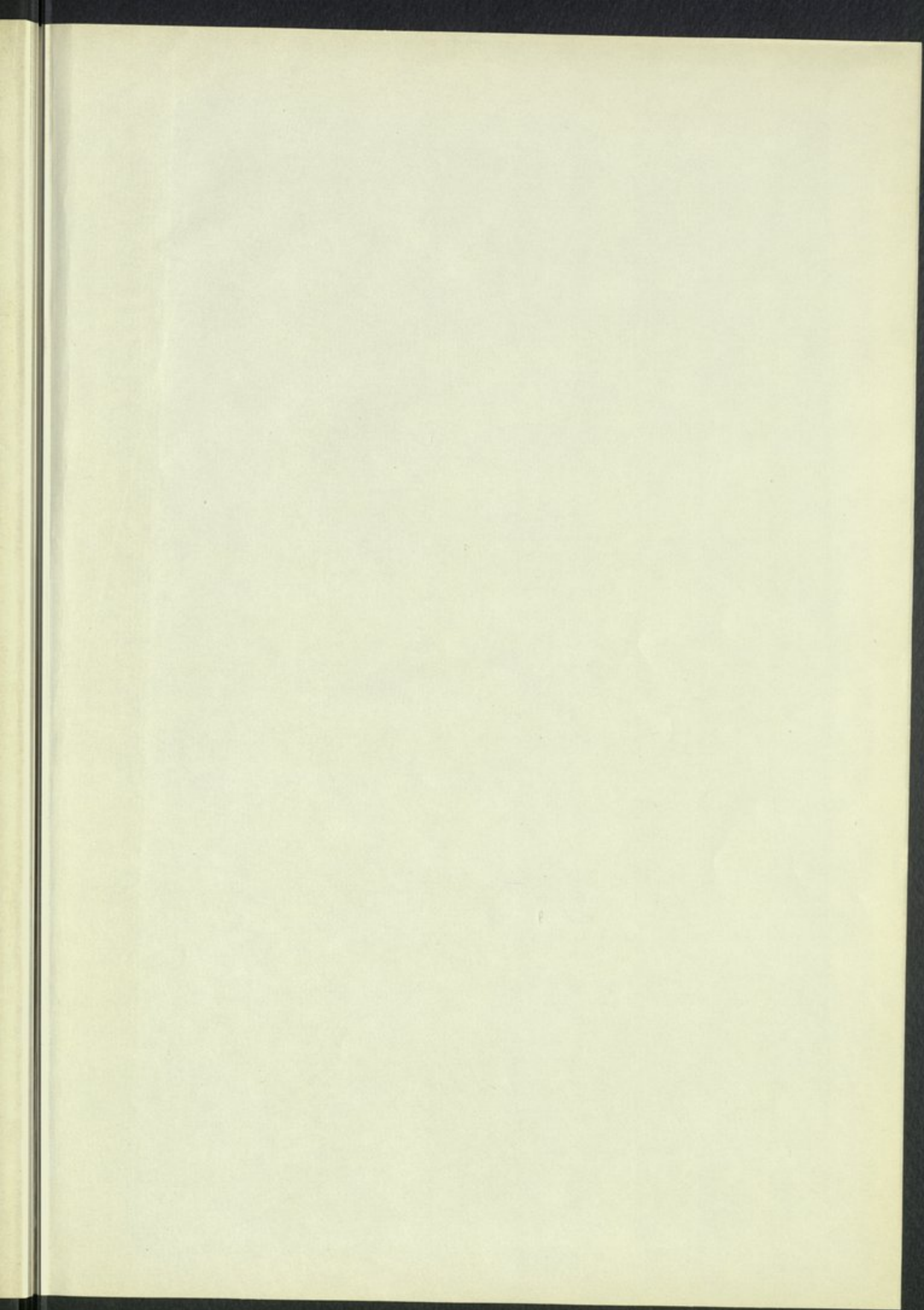
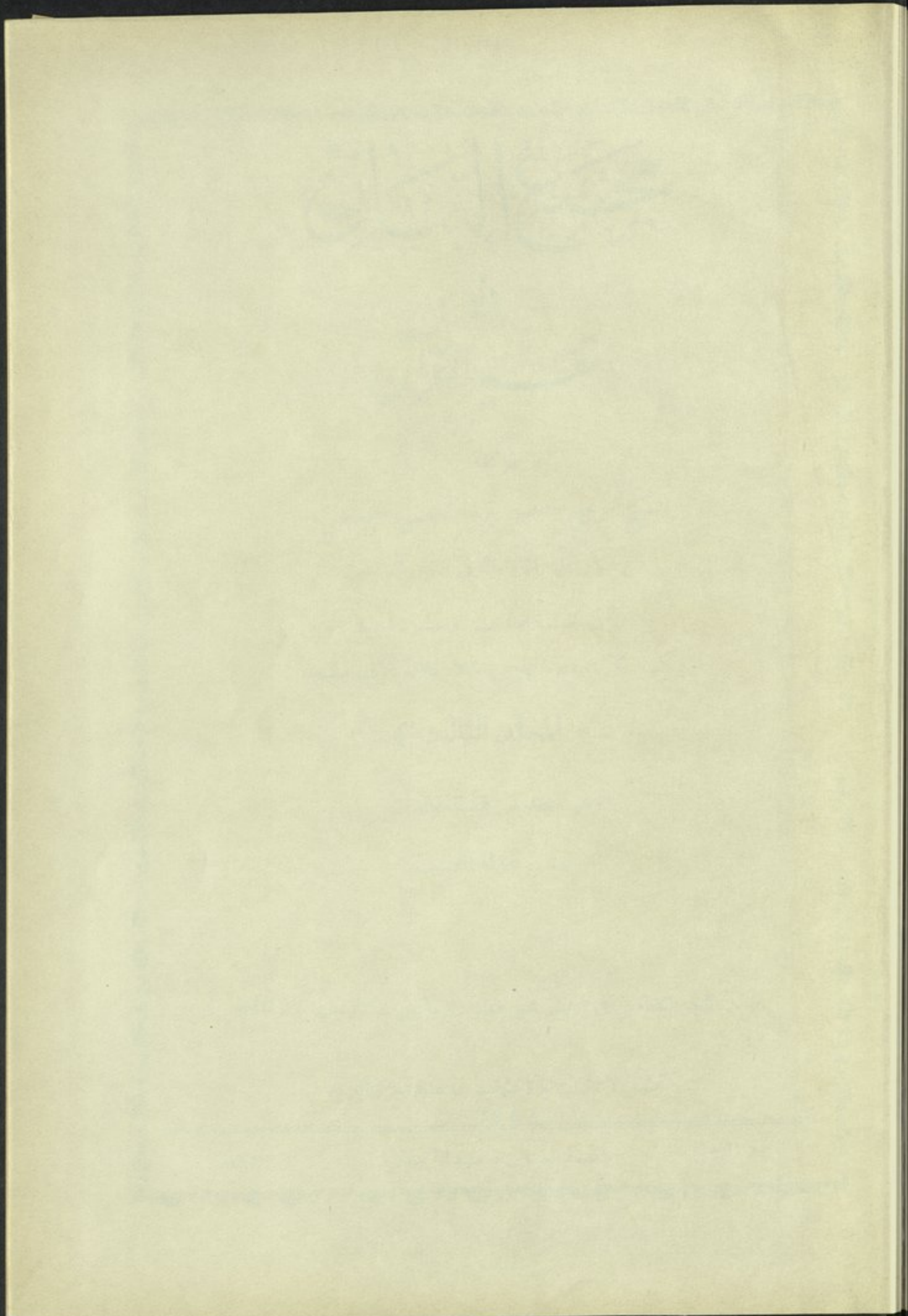


A.U.B. LIBRARY

1821





07
A
S

مَجْمَعُ الْبَيِّنَاتِ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

لمؤلفه

الشيخ ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي

من اكابر علماء الامامية في القرن السادس

يقع في خمسة مجلدات أو عشرة اجزاء

يكون مجموعهم مع الفهارس زهاء ثلاثة آلاف صفحة

﴿ المجلد الثالث ﴾

وهو مجلد من خمسة مجلدات

حسب تجزئة المصنف

صدر الجزء الخامس في اواخر شهر صفر والسادس غرة رجب سنة ١٣٥٥

قيمة الاشتراك ليرة عثمانية ما عدا اجرة البريد

57863

١٩٣٦ م

مطبعة العرفان * صيدا (سوريا)

١٣٥٥ هـ

Gift

Oct. Sept. 1939



[الجزء الخامس]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة التوبة

وهي مدنية كلها وقال بعضهم غير آيتين لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة نزلت سنة تسع من الهجرة وفتحت مكة سنة ثمان وحج رسول الله ﷺ حجة الوداع سنة عشر وقال قتادة ومجاهد وهي آخر ما نزلت على النبي ﷺ بالمدينة

✽ عدد آياتها ✽

هي مائة وتسع وعشرون آية كوفي وثلاثون في الباقي

✽ اختلافها ✽

ثلاث آيات برئى من المشركين بصري عذابا ألياً شامياً وعاد وثمود حجازي

✽ أسماؤها عشرة ✽

سورة براءة سميت بذلك لأنها مفتوحة بها ونزلت باظهار البراءة من الكفار - التوبة - سميت بذلك لكثرة ما فيها من التوبة كقوله ويتوب الله على من يشاء فإن يتوبوا يك خيراً لهم ثم تاب عليهم ليتوبوا - الفاضحة - عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال تلك الفاضحة مازال ينزل حتى خشينا ان لا يبقى منهم أحد الا ذكر وسميت بذلك لأنها فضحت المنافقين باظهار نفاقهم - المبعثرة - عن ابن عباس سماها أيضاً بذلك لأنها تبعث عن اسرار المنافقين اي تبحث عنها - المقشقة - عن ابن عباس سماها بذلك لأنها تبرئ من آمن بها من النفاق والشرك لما فيها من الدعاء إلى الاخلاص وفي الحديث كان يقال لسورتي قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد المقشقتان سميتا بذلك لأنها تبرئان من الشرك والنفاق يقال قشقه اذا برأه وتقشقه المريض من علته اذا أفاق وبرئ منها - البحوث - عن ابي أيوب الانصاري سماها بذلك لأنها تتضمن ذكر المنافقين والبحث عن مرائهم - المدممة - عن سفيان بن عيينة اي المهلكة ومنه قوله فدمدم عليهم ربهم ✽ الحافرة ✽ عن الحسن لأنها حفرت عن قلوب المنافقين ما كانوا يسترونه - المثيرة - عن قتادة لأنها أثارت مخازيهم ومقايهم - سورة العذاب - عن حذيفة بن اليمان لأنها نزلت بعذاب الكفار وروى عاصم عن زر بن حبيش عن حذيفة قال يسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب فهذه عشرة أسماء

✽ فضلها ✽

ابن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الانفال وبراءة فأنا شفيع له الخبر بتمامه وقد مضى ذكره مع ما في معناه في أول الانفال وقد روي عن ابي عبد الله (ع) انه قال الانفال والبراءة واحد وروي ذلك عن سعيد بن المسيب وروى الثعلبي بإسناده عن عائشة عن رسول الله ﷺ انه قال ما نزل علي القرآن الا آية آية وحرفاً حرفاً خلا سورة البراءة وقل هو الله أحد فإنها نزلت علي ومعها سبعون ألف صف من الملائكة

كل يقول يا محمد استوص بنسبة الله خيرا — علة ترك التسمية — في أولها قراءة وكتابة العلماء والمفسرين
فيه أقوال — أحدها — انها ضمت الى الانفال بالمقاربة فصارتا كسورة واحدة اذ الأولى في ذكر اليهود
والثانية في رفع اليهود عن ابي بن كعب — وثانيها — انه لم ينزل بسم الله الرحمن الرحيم على رأس سورة
براءة لأن بسم الله للأمان والرحمة ونزلت براءة لرفع الأمان بالسيف عن علي عليه السلام وسفيان بن عيينة
واختاره ابو العباس المبرد -- وثالثها — ما روي عن ابن عباس انه قال قلت لعثمان بن عفان ما حملكم
على ان عمدتم الى براءة وهي من المثين والى الانفال وهي من المثاني فجعلتموها في السبع الطوال ولم تكتبوا
بينها سطر بسم الله الرحمن الرحيم فقال كان النبي ﷺ تنزل عليه الآيات فيدعو بعض من يكتب له
فيقول له ضع هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من أول ما نزل من القرآن
بالمدينة وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننا انها منها وقبض رسول
الله ﷺ ولم يبين انها موضعتها في السبع الطوال ولم نكتب بينها سطر بسم الله الرحمن الرحيم وكانتا
تدعيان القرينتين

= تفسيرها =

لما ختم الله سبحانه سورة الانفال بإيجاب البراءة عن الكفار افتتح هذه السورة بأنه تعالى ورسوله بريئان
منهم كما أمر المسلمين بالبراءة منهم فقال

قوله تعالى (١) بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٢) فَسِيحُوا
فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (آيتان)

❖ اللغة ❖

معنى البراءة انقطاع العصمة يقال برأ يبرأ براءة وتبرأ تبرؤا وبراءه ابراء والسبح السير على مهل يقال ساح
يسبح سبيحا وسياحة وسيوحا وسيحانا والاعجاز ايجاد العجز والعجز ضد القدرة عند من اثبتته معنى والإخزاء
الإذلال بما فيه الفضيحة والعار والخزي النكال الفاضح

❖ الاعراب ❖

براءة ترتفع على أنها خبر مبتدأ محذوف وتقديره هذه الآيات براءة ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره في
الظرف وهو قوله الى الذين وجاز ان يكون المبتدأ نكرة لأنها موصوفة والاول اجود لأنه يدل على حضور
المدرک كما تقول لمن تراه حاضرا حسن والله اي هذا حسن

— المعنى —

(براءة من الله) اي هذه براءة من الله (ورسوله) اي انقطاع للعصمة ورفع للأمان وخروج من
العهود (الى الذين عاهدتم من المشركين) الخطاب للنبي ﷺ وللمسلمين والمعنى تبرؤا ممن كان بينكم
وبينهم عهد من المشركين فإبـ الله ورسوله بريئان منهم قال الزجاج معناه قد برى الله ورسوله من اعطائهم
العهود والوفاء لهم بها اذ نكثوا واذا قيل كيف يجوز ان ينقض النبي ﷺ العهد فالقول فيه انه يجوز ان ينقض
ذلك على احد ثلاثة اوجه إما ان يكون العهد مشروطا بأن يبقى الى ان يرفعه الله تعالى بوجي وإما ان

يكون قد ظهر من المشركين خيانه وتقص فأمر الله سبحانه بأن يبنذ اليهم عهدهم وإيمانهم يكون موثقا
الى مدة تنتضي المدة وينتقض العهد وقد وردت الرواية بأن النبي ﷺ شرط عليهم ما ذكرناه وروي
ايضا ان المشركين كانوا قد تقضوا العهد أو هموا بذلك فأمره الله سبحانه ان يتقض عهدهم ثم خاطب الله سبحانه
المشركين فقال (فسيحوا في الأرض) أي سيروا في الأرض على وجه المهل وتصرفوا في حوائجكم آمنين
من السيف اربعة اشهر فإذا انقضت هذه المدة ولم تسلموا انقطعت العصمة عن دمانكم وأمواكم (واعلموا
انكم غير معجزى الله) أي غير فائزين عن الله كما يفوت ما يعجز عنه لأنكم حيث كنتم في سلطان الله
وملكه (وان الله مخزي الكافرين) أي مذهم ومهينهم واختلف في هذه الاشهر الاربعة قيل كان ابتداءها
يوم النحر الى العاشر من شهر ربيع الآخر عن مجاهد ومحمد بن كعب القرظي وهو المروي عن ابي عبد
الله (ع) وقيل انما ابتداء اجلهم الأشهر الاربعة من اول شوال الى آخر المحرم لأن هذه الآية نزلت في شوال عن ابن
عباس والزهري قال الفراء كانت المدة الى آخر المحرم لأنه كان فيهم من كانت مدته خمسين ليلة وهو من
لم يكن له عهد من النبي ﷺ فجعل الله له ذلك وقيل ان من كان له عهد من النبي ﷺ أكثر من
اربعة اشهر حط الى الاربعة الأشهر ومن كان له عهد أقل منها رفع اليها عن الحسن وابن اسحاق قيل كان
ابتداء الاشهر الاربعة يوم النحر لعشرين من ذي القعدة الى عشرين من شهر ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة
كان في ذلك الوقت ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة وفيها حجة الوداع وكان سبب ذلك النبي الذي
كانوا يفعلونه في الجاهلية على ما سيأتي بيانه إن شاء تعالى عن الجبائي

* القصة *

اجمع المفسرون ونقله الاخبار انه لما نزلت براءة دفعها رسول الله ﷺ الى أبي بكر ثم أخذها منه ودفعها
الى علي بن ابي طالب (ع) واختلفوا في تفصيل ذلك فقيل انه بعثه وأمره ان يقرأ عشر آيات من أول هذه السورة وان
يبنذ الى كل ذي عهد عهده ثم بعث عليا خلفه ليأخذها ويقرأها على الناس فخرج على ناقه رسول الله ﷺ العضاء
حتى ادرك ابا بكر بندي الخليفة فأخذها منه وقيل ان ابا بكر رجع فقال هل نزل في شي فقال ﷺ لا الا خيرا
ولكن لا يؤدي عني الا انا او رجل مني وقيل انه قرأ على براءة على الناس وكان ابو بكر أميرا على الموسم عن
الحسن وقتادة وقيل انه ﷺ أخذها من ابي بكر قبل الخروج ودفعها الى علي (ع) وقال لا يبلغ عني
الا انا او رجل مني عن عروة بن الزبير وابي سعيد الخدري وابي هريرة وروى اصحابنا ان النبي ﷺ
ولاه ايضا الموسم وانه حين أخذ البراءة من ابي بكر رجع أبو بكر وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده
عن سماك بن حرب عن انس بن مالك ان رسول الله ﷺ بعث ببراءة مع ابي بكر الى اهل مكة فلما
بلغ ذا الحليفة بعث اليه فردوه وقال لا يذهب بهذا الا رجل من أهل بيتي فبعث عليا (ع) وروى الشعبي عن محمد بن
ابي هريرة عن ابي هريرة قال كنت انا ادي مع علي حين أذن المشركين فكان اذا صحل صوته فيما ينادي دعوت
مكانه قال فقلت يا بئس ابي شي كنتم تقولون قال كنا نقول لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفن بالبيت
عريان ولا يدخل البيت الا مؤمن ومن كانت بينه وبين رسول الله ﷺ مدة فإن اجله الى اربعة اشهر
فإذا انقضت الاربعة الاشهر فإن الله بري من المشركين ورسوله وروى عاصم بن حميد عن ابي بصير عن ابي
جعفر (ع) قال خطب علي (ع) الناس واخرط سيفه فقال لا يطوفن بالبيت عريان ولا يحجن البيت مشرك

ومن كانت له مدة فهو إلى مدته ومن لم يكن له مدة فمدته اربعة اشهر وكان خطب يوم النحر وكانت
عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر وقال يوم النحر يوم الحج
الأكبر وذكر ابو عبد الله الحافظ بإسناده عن زيد بن نفع قال سألتنا عليا (ع) بأي شيء بعثت في ذي
الحجة قال بعثت باربعة لا يدخل الكعبة الا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان ولا يجتمع مؤمن وكافر
في المسجد الحرام بعد عامه هذا ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعهده إلى مدته ومن لم يكن له
عهد فأجله اربعة اشهر وروى انه عليه السلام قام عند جرة العقبة وقال يا أيها الناس اني رسول الله
اليكم بأن لا يدخل البيت كافر ولا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد
عند رسول الله ﷺ فله عهده الى اربعة اشهر ومن لا عهد له فله مدة بقية الا شهر الحرم وقرأ عليهم سورة براءة
وقيل قرأ عليهم ثلاث عشرة آية من أول براءة وروى انه عليه السلام لما نادى فيهم ان الله بري من المشركين
اي من كل مشرك قال المشركون نحن نثبرأ من عهدك وعهد ابن عمك ثم لما كانت السنة المقبلة وهي سنة
عشر حج النبي ﷺ حجة الوداع وقفل الى المدينة ومكث بقية ذي الحجة الحرام والمحرم وصفر ولبالي من شهر
ربيع الاول حتى لحق بالله عز وجل

قوله تعالى (٣) وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ
وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٤) إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوا
شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا الْبَيْعَ عَهْدُهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ آياتان

✽ القراءة ✽

قرأ يعقوب برواية روح وزيد ورسوله بالنصب وهي قراءة الحسن وابن ابي اسحق وعيسى بن عمرو
وقرأ سائر القراء ورسوله بالرفع وفي الشواذ قراءة عكرمة وعطاء لم ينقصوا بالضاد المعجمة

✽ الحجة ✽

من قرأ ورسوله بالرفع فإنه على الابتداء وخبره محذوف ويدل عليه ما تقدمه وتقديره ورسوله أيضا
بري من منهم ويجوز ان يكون معطوفا على المضمرة في بري وحسن العطف عليه وإن كان غير مؤكد لأن
قوله من المشركين قام مقام التوكيد وذكر سبويه وجها ثالثا وهو أن يكون معطوفا على موضع ان وهذا
وهم منه لأن ان المفتوحة مع ما بعدها في تأويل المصدر فقد تغيرت عن حكم المبتدأ وصارت في حكم
ليت ولعل وكان في احداثها معنى يفارق المبتدأ فكما لا يجوز العطف على مواضعه فكذا لا يجوز العطف
على موضع ان وإنما يجوز العطف على موضع ان المكسورة كما قال الشاعر

فمن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب

ولعل سبويه توهم انها مكسورة فحمل على موضعها فقرأ في الشواذ ان الله بري بالكسر فاعله
تأول على هذه القراءة ومن نصب عطفه على اسم الله تعالى وعلى هذا فيكون خبره محذوفا ايضا ومن قرأ
لم ينقصوا فمعناه لم ينقصوا اموركم وعهودكم

= اللغة =

الأذان الأعلام يقال اذنته بكذا فأذن أي اعلمته فعلم وقيل إن أصله من النداء الذي يسمع بالأذن ومعناه أوقعه في اذنه وتأذن بمعنى آذن كما يقال تبين وايقن والمدة والزمان والحين نظائر وأصله من مددت الشيء مدافكأنه زمان طويل الفسحة والمدة عند المتكلمين اسم للمعدود من حر كات الفلك وهو محدث

* الأعراب *

وأذان عطف على براءة عن الزجاج وقيل إن تقديره عليكم أذان لأن فيه معنى الأمر فيكون مبتدأ وخبره محذوف عن علي بن عيسى ويجوز أن يكون مبتدأ والخبر قوله أن الله بريء على حذف الباء كأنه قال بأن الله وعلى الوجهين الأولين يكون موضع إن نصباً على أنه مفعول له وقوله الذين عاهدتم في موضع نصب على الاستثناء وبشر معطوف على الأذان أي أذن وبشر عن أبي مسلم

* المعنى *

ثم بين سبحانه أنه يجب اعلام المشركين ببراءة منهم لئلا ينسبوا المسلمين إلى الفدر فقال (وأذان من الله ورسوله إلى الناس) معناه واعلام وفيه معنى الأمر أي اذنوا الناس يعني اهل العهد وقيل المراد بالناس المؤمن والمشرك لأن الكل داخلون في هذا الاعلام وقوله إلى الناس أي للناس يقال هذا اعلام لك واليك (يوم الحج الأكبر) فيه ثلاثة أقوال * أحدها * أنه يوم عرفة من عمر وسعيد بن المسيب وعطا وطووس ومجاهد وروى ذلك عن علي (ع) ورواه المسور بن مخرمة عن النبي ﷺ قال عطا الحج الأكبر الذي فيه الوقوف والحج الأصغر الذي ليس فيه وقوف وهو العمرة * وثانيها * أنه يوم النحر عن علي وابن عباس وسعيد بن جبيرة وابن زيد والنخعي ومجاهد والشعبي والسدي وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ورواه ابن أبي أوفى عن النبي ﷺ قال الحسن وسعي الحج الأكبر لأنه حج فيه المشركون والمسلمون ولم يحج بعدها مشرك * وثالثها * أنه جميع أيام الحج عن مجاهد أيضاً وسفيان فمعناه أيام الحج كلها كما يقال يوم الجمل ويوم صفين ويوم بعث يراد به الحيف والزمان لأن كل حرب من هذه الحروب دامت أباناً (إن الله بريء من المشركين) أي من عهد المشركين فحذف المضاف (ورسوله) معناه ورسوله أيضاً بريء منه وقيل إن البراءة الأولى لنقض العهد والبراءة الثانية لقطع الموالاة والاحسان فليس بتكرار (فإن تبتم فهو خير لكم) معناه فإن تبتم في هذه المدة أيها المشركون ورجعتم عن الشرك إلى توحيد الله (فهو خير لكم) من الإقامة على الشرك لأنكم تنجون به من خزبي الدنيا وعذاب الآخرة (وإن توليتهم) عن الإيمان وصبرتم على الكفر (فاعلموا أنكم غير معجزتي الله) أي لا تعجزونه عن تعذيبكم ولا تفوتون بأنفسكم من أن يحل بكم عذاب في الدنيا وفي هذا اعلام بأن الامهال ليس بعجز وإنما هو لاظهار الحجة والمصاحبة ثم اوعدهم بعذاب الآخرة فقال (وبشر الذين كفروا بعذاب اليم) أي اخبرهم مكان البشارة بعذاب موجه وهو عذاب النار في الآخرة (إلا الذين عاهدتم من المشركين) قال الفراء استثنى الله تعالى من براءته وبراءة رسوله من المشركين قوماً من بني كنانة وبني ضمرة كان قد بقي من أجلهم تسعة أشهر أمر باتمامها لهم لأنهم لم يظاهروا على المؤمنين ولم يتقضوا عهد رسول الله ﷺ وقال ابن عباس عنى به كل من كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد قبل براءة وينبغي أن يكون ابن عباس أراد بذلك من كان بينه وبينه عقد هدنة ولم يتعرض له بعد اوة ولا ظاهر عليه عدواً

لان النبي ﷺ صالح اهل هجر وأهل البحرين وائلة ودومة الجندل وله عهود بالصلح والجزية ولم يبتد اليهم بنقض عهد ولا حاربهم بعد وكانوا أهل ذمة إلى ان مضى لسبيله ﷺ ووفى لهم بذلك من بعده (ثم لم ينقضوكم شيئاً) معناه لم ينقضوكم من شروط العهد شيئاً وقيل معناه لم يضرؤكم شيئاً (ولم يظاهروا عليكم احداً) اي لم يعاونوا عليكم ايها المؤمنون (احداً) من اعدائكم (فأتوا اليهم عهدهم إلى مدتهم) اي إلى انقضاء مدتهم التي وقعت المعاهدة بينكم اليها (ان الله يحب المتقين) لنقض اليهود

قوله تعالى (٥) فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦) وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (آياتان)

— * اللغة * —

الانسلخ خروج الشيء مما لابسهُ واصله من سلخ الشاة وهو نزع الجلد عنها وسلخنا شهر كذا نسلخه سلخا وسلوخا والحصر المنع من الخروج عن محيط والحبس والاسر نظائر والمرصد الطريق ومثله المرقب والمربأ ورسده يرصده رسدا

* الاعراب *

قال ابو الحسن الأخفش قوله كل مرصد المعنى على كل مرصد فحذفت على وانشد

نغالي اللحم للاضياف نيا ونرخصه إذا نضج القدور

المعنى نغالي باللحم فحذفت الباء قال الزجاج كل مرصد ظرف كقولك ذهبت مذهبا وذهبت طريقا وذهبت كل طريق قال ابو علي لا يحتاج في هذا إلى تقدير على إذا كان المرصد اسما للمكان كما انك إذا قلت ذهبت مذهبا ودخلت مدخلا إذا جمعت المذهب والمدخل اسمين للمكان لم يحتاج إلى على ولا إلى تقدير حرف جر إلا ان ابى الحسن ذهب إلى ان المرصد اسم للطريق وإذا كان اسما للطريق كان مخصوصا وإذا كان مخصوصا وجب ان لا يصل الفعل الذي لا يتعدى اليه إلا بحرف جر نحو قدمت على الطريق إلا ان يجيء في ذلك اتساع نحو ما حكاه سيبويه من قولهم ذهبت الشام ودخلت البيت وقد غلط ابو اسحاق الزجاج في قوله كل مرصد ظرف كقولك ذهبت مذهبا وذهبت طريقا في ان جعل الطريق ظرفا كالمذهب وليس الطريق بظرف لأنه مكان مخصوص وقد نص سيبويه على اختصاصه الا ترى انه حمل قول ساعدة

لذن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب

على انه قد حذف منه الحرف اتساعا كما حذف من ذهبت الشام واذا اثبت ذلك فالمرصد مثله ايضا في الاختصاص وان لا يكون ظرفا اذا كان اسما للطريق وقوله احد فاعرابه أنه مرفوع بفعل مضمرة الذي ظهر تفسيره المعنى وان استجارك احد قال الزجاج ومن زعم انه يرفع احداً بالابتداء فقد اخطأ لأن ان الجزاء

لا يتخطى ما يرفع بالابتداء ويعمل فيما بعده فلو أظهرت المستقبل لقلت ان احد يقم اكرمه ولا يجوز ان أحد يقم زيد يقم لا يجوز ان يرفع زيد بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره ويجزم وانما جازي في أن لأن ان يازمها الفعل وجواب الجزاء يكون بالفعل وغيره ولا يجوز ان تضر وتجزم بعد المبتدأ لأنك تقول هاهنا ان تأتي فزيد يقوم فالموضع موضع ابتداء قال ابو علي اعلم ان جواب الشرط وان كان بغير الفعل فالاصل فيه الفعل والفاء واذا واقعان موقع الفعل بدلالة ان قوله ويذرم على قراءة من قرأ بالجزم فمحمول على الموضع من قوله فلا هادي له وأما قول ابي اسحاق لا يجوز ان تضر وتجزم بعد المبتدأ ولعمري انه لا يجوز ان يضر الفعل فيرفع الاسم الذي يرتفع بالابتداء بالفعل المضمر في نحو قولك ان تأتي فزيد يقوم لأن الجزم لا يقع بعد المبتدأ ولكن لا يمتنع ان يقع الجزم بعد الفاعل في الجزاء كما يقع في الشرط لأن الجزاء موضع فعل كما ان الشرط موضع فعل فالمسألة التي منع ابواسحاق اجازتها جائزة لاشكال في جوازها وهي قوله ان يقم احد زيد يقم وقد نص سيبويه على اجازة ذلك قال الزجاج وانما يجوز الفصل في باب ان لأن أن أم الجزاء ولا يزول عنه الى غيره فأما اخواتها فلا يجوز ذلك فيها الا في الشعر قال

فتى واغل يذبهم يُجيبوه
وتعطف عليه كأس الساقى

— المعنى —

ثم بين سبحانه الحكم في المشركين بعد انقضاء المدة فقال (فاذا انسلخ الأشهر الحرم) قيل هي الأشهر الحرم المعروفة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ثلاثة سرد وواحد فرد عن جماعة وقيل هي الأشهر الاربعة التي حرم القتال فيها وجعل الله للمشركين ان يسيحوا في الأرض آمنين على ما ذكرناه من اختلاف المفسرين فيها وعلى هذا فمنهم من قال معناه فاذا انسلخ الأشهر بانسلخ المحرم لان المشركين من كان منهم لهم عهد امهلوا أربعة اشهر من حين نزلت براءة ونزلت في شوال ومن لا عهد لهم فأجلهم من يوم نزول النداء وهو يوم عرفة او يوم النحر إلى تمام الأشهر الحرم وهي بقية ذي الحجة والمحرم كله فيكون ذلك خمسين يوماً فاذا انقضت هذه الخمسون يوماً انقضت الأجلان وحل قتالهم سواء كان لهم عهد خاص او عام ومنهم من قال معناه إذا انسلخ الأشهر الاربعة التي هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر إذا حرمت فيها دماء المشركين وجعلنا لهم ان يسيحوا فيها آمنين (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) اي فضعوا السيف فيهم حيث كانوا في الأشهر الحرم وغيرها في الحل او في الحرم وهذا ناسخ لكل آية وردت في الصلح والاعراض عنهم (وخذوهم) قيل فيه تقديم وتأخير وتقديره فخذوا المشركين حيث وجدتموهم واقتلوهم وقيل ليس فيه تقديم وتأخير وتقديره فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واخذوهم واحصروهم على وجه التخيير في اعتبار الأصلح من الأمرين وقوله (واحصروهم) معناه واحبسوهم واسترقوهم او فادوهم بال وقيل وامنعوهم دخول مكة والتصرف في بلاد الإسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) اي بكل طريق وبكل مكان تظنون انهم يمرون فيه وضيقوا المسالك عليهم لتمكنوا من اخذهم وقوله لهم معناه اقتلهم وأسروهم (فإن تابوا) اي رجعوا من الكفر واقعدوا للشرع (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي قبلوا اقامة الصلاة وآتوا الزكاة لأن عصمة الدم لا تقف على اقامة الصلاة واداء الزكاة فثبت أن المراد به القبول (فخلوا سبيلهم) اي دعوهم يتصرفون في بلاد الإسلام اهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وقيل معناه فخلوا سبيلهم الى البيت اي دعوهم يحجوا معكم (ان الله غفور رحيم) واستدلوا بهذه الآية على ان من ترك الصلاة متمعدا يجب قتله لأن الله تعالى اوجب الامتناع من قتل المشركين بشرط ان يتوبوا ويقبوا الصلاة فاذا لم يقبوا ووجب قتلهم (وان احد من المشركين استجارك

فأجره حتى يسمع كلام الله) معناه وان طلب احد من المشركين الذين امرتك بقتالهم منك الأما من القتل بعد الأشهر الاربعة ليسمع دعوتك واحتجاجك عليه بالقرآن فأمنه وبين له ما يريد وامهله حتى يسمع كلام الله ويتدبره وإنما خص كلام الله لأن معظم الأدلة فيه (ثم ابغاه مأمنه) معناه فإن دخل في الإسلام نال خير الدارين وان لم يدخل في الإسلام فلا تقتله فتكبرون قد غدرت به ولكن اوصله الى ديار قومه التي يأمن فيها على نفسه وماله (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) اي ذلك الأمان لهم بأنهم قوم لا يعدون الايمان والدلائل فأنتم حتى يسمعوا ويتدبروا ويعلموا أن في هذا دلالة على بطلان قول من قال المعارف ضرورية وفي الآية دلالة على ان المتلوا والمسموع كلام الله لأن الشرع والعرف جملا الحكاية كعين المحكي يقال هذا كلام سييويه وشعر امرى القيس ومن ظن ان الحكاية تفارق المحكي لاجل هذا الظاهر فقد غلط لأن المراد ما ذكرناه

قوله تعالى (٧) كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٨) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وُلَا ذِمَّةَ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ آيَاتان

❖ القراءة ❖

في الشواذ قراءة عكرمة ايلا بياء بعد الهزمة

❖ الحجة ❖

يمكن أن يكون أراد إلا كقراءة الجماعة إلا انه ابدل اللام الاولى يا لثقل الادغام وكسر الهزمة كما قالوا دينار وقيراط والأصل دينار وقيراط لقولهم دنانير وقراريط وقد جاء مع التضعيف وحده قال ياليتنا أمنا شالت نعماتها أيما إلى الجنة أيما إلى نار

❖ اللغة ❖

الظهور العلوية الغلبة واصله خروج الشيء إلى حيث يصح ان يدرك الرقبة والانتظار والمراقبة والمراعاة والمحافظة نظائر والرقيب الحافظ والال العهد مأخوذ من الايل وهو البريق يقال ال يول إلا إذا لمع والآلة الحربية للمعاني واذن مؤنثة مشبهة للحربة في تحديدها قال الشاعر

وجدناهم كاذبا إلهم وذو الأل والعهد لا يكذب

والاول القرابة قال حسان

لعمرك إن الك من قريش كال السقب من رأل النعام

❖ المعنى ❖

لما امر سبحانه بنبد العهد إلى المشركين بين ان العلة في ذلك ما ظهر منهم من الغدر وأمر بأوتام العهد لمن استقام على الأمر فقال (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) أي كيف يكون هؤلاء عهد صحيح مع اضمارهم الغدر والنكث وهذا يكون على التعجب او على الجحد ويدل عليه ما روي ان في قراءة عبد الله كيف يكون عهد عند الله ولازمة فأدخل الكلام لأن معنى الاول جحد اي لا يكون لهم عهد وقيل معناه كيف يأمر الله ورسوله بالكف عن دماء المشركين ثم استثنى سبحانه فقال (إلا

الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) أي فلان لهم عهد عند الله لأنهم لهم يضمنوا الغدربك والحياة لك واختلف في هؤلاء من هم فقيل هم قريش عن ابن عباس وقيل هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله يوم الحديبية فلم يستقيموا ونقضوا العهد بأن اعانوا بني بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله ﷺ بعد الفتح اربعة اشهر يختارون امرهم اما ان يسلموا واما ان يلحقوا بأبي بلادشاهوا فأسلموا قبل الأربعة الاشهر عن قتادة وابن زيد وقيل هم من قبائل بكر بنو خزيمية وبنو مدلج وبنو ضمرة وبنو الدئل وهم الذين كانوا قد دخلوا عهد قريش يوم الحديبية إلى المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش فلم يكن نقضها إلا قريش وبنو الدئل من بكر فأمر بإتباع العهد لمن لم يكن له نقض إلى مدته وهذا القول اقرب إلى الصواب لأن هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة (فاستقاموا لكم فاستقيموا لهم) معناه فما استقاموا لكم على العهد أي ما داموا باقين معكم على الطريقة المستقيمة فكونوا معهم كذلك (إن الله يحب المتقين) لانكث والغدر (كيف وان يظهرها عليكم) ها هنا حذف وتقديره كيف يكون لهم عهد وكيف لا تقتلونهم وإنما حذفه لأن ما قبله من قوله كيف يكون للمشركين عهد يدل على ذلك ومثله قول الشاعر يرثي اخاه قد مات

وخبرتاني أنما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقياب
أي فكيف مات وليس بقرية ومثله قول الحطية

فكيف ولم اعلمهم حدلوكم على معظم ولي أديكم قدوا

أي وكيف تلومونني على مدح قريش وتذموتهم فاستغنى عن ذكر ذلك لأنه جرى في القصيدة ما يدل على ما اضمرة ومعناه كيف يكون هؤلاء عهد عند الله وعند رسوله وهم يجال ان يظهرها عليكم ويظفروا بكم ويغلبوكم (لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة) أي لا يحفظوا ولا يراعوا فيكم قرابة ولا عهدا والاول القرابة عن ابن عباس والضحاك والعهد عن مجاهد والسدي والجوار عن الحسن والحلف عن قتادة واليمين عن ابي عبيدة وقيل أن الاول اسم الله تعالى عن مجاهد وروى ان ابا بكر قرئ عليه كلام مسيلة فقال لم يخرج هذا من إلرفأين يذهب بكم ومن قال إن الاول هو العهد قال جمع بينه وبين الذمة وإن كان بمعناه لاختلاف معنى اللفظين كما قال «والفي قولها كذبا ومينا» وقال «متى ادن منه ينأى عني ويهد» (يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم) معناه يتكلمون بكلام المرائين لكم اترضوا عنهم وتأبى قلوبهم إلا العداوة والغدر ونقض العهد (وأكثرهم فاسقون) أي متمردون في الكفر والشرك عن ابن الاخشيد وقال الجياثي أراد كلهم فاسقون لكنه وضع الخصوص موضع العموم وقال القاضي معناه أكثرهم خارجون عن طريق الرفاء بالعهد وأراد بذلك رؤسائهم

قوله تعالى (٩) اشْتَرَوْا بآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
(١٠) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١١) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَنَّى الزَّكَاةَ فَآخَرُوا أَنْكُم فِي الدِّينِ وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٢) وَإِنْ نَكَثُوا
آيَاتِهِمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَلَمَّةً الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا آيَاتَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ
(١٣) أَلَّا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا آيَاتِهِمْ وَهُمْ أَوْلَى حَرَجًا الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّوْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
أَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة والشام أئمة الكفر بهمزتين وقرأ الباقون أئمة بهمزة واحدة ويا بعدها وقرأ ابن عامر لا إيمان بكسر الهمزة ورواه ابن عقدة بإسناده عن عريف بن الرضاح الجعفي عن جعفر بن محمد عليهما السلام والباقر بن يقطين

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي أئمة أصله أفعلة واحدها إمام فإذا جمعته على أفعلة ففيه همزة هي فاء الفعل ويزيد عليها همزة أفعلة الزائدة فيجتمع همزتان واجتماع الهمزتين في كلمة لا يستعمل بحقيقتها قال الزجاج أصله أئمة ولكن الميسين لما اجتمعتا ادغمت الأولى في الثانية والقيت حركتها على الهمزة فصارت أئمة فأبدل النحويون من الهمزة المكسورة الياء قال ومن قال هذا أوم من هذا كان أصله أم فجعلها واواً ومفترحة كما قالوا في جمع آدم أوادم قال أبو علي ومن جمع بين الهمزتين في أئمة فحجته أن سيويوه قال زعموا أن ابن أبي إسحاق كان يحقق الهمزتين في أناس معه وقد يتكلم ببعض العرب وهو ردي ووجهه من القياس أن تقول إن الهمزة حرف من حروف الحلق كالعين وغيره وقد جمع بينها في نحو كعامة وكع يكع فكما جاز اجتماع العينين جاز اجتماع الهمزتين قال علي بن عيسى إنما جاز اجتماع الهمزتين هنا لثلاثي مجتمع على الكلمة تغيران الإدغام والقلب مع خفة التحقيق لأجل ما بعده من السكون وعلى هذا تقول هذا أم من هذا بهمزتين قال وإنما قلبت الهمزة من أئمة دون حركة ما قبلها لأن الحركة إنما نقلت من الميم إلى الهمزة ليبيان زنة الكلمة فلو ذهبت بقلبها على ما قبلها لكانت مناقضاً للفرض فيها وأما قوله لا إيمان لهم فمن فتح الهمزة قال هو أشبه بالموضع فقد قال نكثوا إيمانهم ومن كسرهما جعله مصدر آمنه وإماناً خلاف خوفته ولا يريد مصدراً من الذي هو صدق فيكون تكراراً لدلالة ما تقدم من قوله فقاتلوا أئمة الكفر على أن أهل الكفر لا إيمان لهم

﴿ اللغة ﴾

الإيمان جمع بين وهو القسم والطمع الاعتماد بالعين وأصله الطعن بالرمح والإمام هو المتقدم للاتباع فالإمام في الخير مهتدها وفي الشر ضال مضل والهيم مقارنة الفعل بالعزم من غير إيقاع له وقد ذموا بهذا الهم فيه دليل على العزم وقد يستعمل الهم على مقارنة العزم والبدء فعل الشيء من قبل غيره وهو فعل الشيء أولاً والمرة فعل لم يتكرر وهي الفعلة من المر والمرة والدفعة والكرة نظائر

« المعنى » =

ثم بين سبحانه خصال القوم فقال (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله) ومعناه اعرضوا عن دين الله وصدوا الناس عنه بشي يسير نالوه من الدنيا واصل الاشتراء استبدال ما كان من المتاع بالثمن ونقيضه البيع وهو العقد على تسليم المتاع بالثمن ومعنى الفاء هنا أن اشتروهم هذا اداهم إلى الصد عن الإسلام وهذا ورد في قوم من العرب جمعهم أبو سفيان على طامه يستميلهم على عداوة النبي ﷺ عن مجاهد وقيل ورد في اليهود الذين كانوا يأخذون الرشاً من العوام على الحكم بالباطل عن الجاثي (أنهم ساء ما كانوا يعملون) أي بش العمل عملهم (لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمه) سبق معناه والفائدة في الإعادة أن الأول في صفة الناقضين للعهد والثاني في صفة الذين اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وقيل إنما كررت تأكيداً (وأولئك هم المعتدون) أي المجاوزون الحد في الكفر والظلمين (فلون تلبوا) أي ندموا على ما كان منهم من الشرك وعزموا على ترك العود إليه وقبلوا الإسلام (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي قبلها وأدوها عند نزومها (فأخو أنكم في الدين) أي فهم أخوانكم في الدين فعاملوهم معاملة أخوانكم من المؤمنين (الآيات) أي نبيها ينزلها بخاصة وحدها تنبئها من غيرها حتى يظهر مدلولها على نعم ما يسحون من الظهور فيها (فقر يعلمون) ذلك ويتبينونه دون الجهال الذين لا يتفكرون (وان نكثوا) أي

نقضوا (أيانهم) أي عهدهم وما حلفوا عليه (من بعد عهدهم) أي من بعد ان عقوده (وطعنوا في دينكم) أي عابوه وقدحوا فيه (فقاتلوا أئمة الكفر) أي رؤساء الكفر والضلالة وخصهم بالأمر بقتالهم لأنهم يضلون اتباعهم قال الحسن و اراد به جماعة الكفار وكل كافر إمام لنفسه في الكفر واعتيره في الدعاء اليه وقال ابن عباس وقتادة و اراد به رؤساء قريش مثل الحرث بن هشام و ابي سفيان بن حرب و عكرمة بن ابي جهل و سائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد و كان حذيفة بن اليمان يقول لم يأت اهل هذه الآية بعد و قال مجاهد هم اهل فارس و الروم و قرأ علي عليه السلام هذه الآية يوم البصرة ثم قال أما والله لقد عهد الي رسول الله ﷺ و قال لي يا علي لتقاتلن الفئة الناكثة و الفئة الباغية و الفئة المارقة (انهم لا أيمان لهم) من قرأ بفتح الهمزة فمعناه انهم لا يحفظون العهد و اليمين كما يقال فلان لا عهد له أي لا و فاء له بالعهد و من قرأ بالكسر فمعناه لا تؤمنوهم بعد نكثهم العهد و يحتمل ان يكون معناه انهم اذا آمنوا انسانا لا يفون به و يحتمل ان يكون معناه انهم كفروا فلا ايمان لهم (اعلمهم ينتهون) معناه قاتلوهم لينتهوا عن الكفر فإنهم لا ينتهون عنه بدون القتال و قيل معناه ليكن قصدكم في قتالهم انتهاؤهم عن الشرك فإن قيل كيف نفى بقوله لا ايمان لهم ما اثبت بقوله وان نكثوا أيمانهم قيل له ان الأيمان التي اثبتها هي ما حلفوا بها و عقدوا عليها و اتفانها من بعد لأنهم لم يفوا بها و لم يتمسكوا بوجوبها (الاتقاتلون قوما نكثوا أيمانهم و هموا باخراج الرسول) الالف للاستفهام و المراد به التحضيض و الايجاب و معناه هلا تقاتلنهم و قد نقضوا عهدهم التي عقدوها و اختلفت في هولا . فقيل هم اليهود الذين نقضوا العهد و خرجوا مع الأحزاب و هموا باخراج الرسول من المدينة كما اخرجه المشركون من مكة عن الجبائي و القاضي و قيل هم مشركو قريش و اهل مكة (وهم بدوكم أول مرة) أي بدوكم بنقض العهد عن ابن اسحاق و الجبائي و قيل بدوكم بقتال حلفاء النبي ﷺ من خزاعة عن الزجاج و قيل بدوكم بالقتال يوم بدر و قالوا حين سلم العير لا ننصرف حتى نتأصل محمدا و من معه (اتخشونهم) أي أتخافون ان ينالكهم من قتالكم مكره و لفظه استفهام و المراد به تشجيع المؤمنين و في ذلك غاية الفصاحة لأنه جمع بين التقرع و التشجيع (فإنه أحق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين) المعنى لا تخشوه و لا تتركوا قتالهم خوفا على انفسكم منهم فإنه سبحانه أحق ان تخافوا عقابه في ترك امره بقتالهم ان كنتم مصدقين بعقاب الله و ثوابه أي ان كنتم مؤمنين فضخية الله أحق بكم من خشية غيره والله اعلم و احكم

قوله تعالى (١٤) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ
 وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٥) وَيَذْهَبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
 عَلِيمٌ حَكِيمٌ آيَات

(- القراءة -)

في الشواذ قراءة الاعرج و ابن ابي اسحاق و عيسى الثقفي و عمرو بن عبيد و يتوب الله بالنصب و رويت عن ابي عمرو وايضا

(- الحجة -)

قال ابن جني اذا نصب فالتوبة داخله في جواب الشرط و اذا رفع فهو استئناف و تقديره في النصب ان تقاتلوهم تكن هذه الاشياء كلها التي احدها التوبة من الله على من يشاء و الوجه قراءة الجماعة على الاستئناف لأنه تم الكلام على قوله و يذهب غيظ قلوبهم ثم استأنف فقال و يتوب الله على من يشاء لأن التوبة منه سبحانه على من يشاء ليست مسبية عن قتالهم

= (المعنى) =

ثم أكد سبحانه ما تقدم بأن أمر المسلمين بقتالهم وبشرهم بالنصر والظفر عليهم فقال (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) قتلا واسرا (ويخزهم) اي ويذلهم (وينصركم عليهم) اي ويعينكم ايها المؤمنون عليهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعني صدور بني خزاعة الذين بيت عليهم بنو بكر عن مجاهد والسدي لأنهم كانوا حلفاء النبي ﷺ (ويذهب غيظ قلوبهم) معناه ويكون ذلك النصر شفا قلوب المؤمنين التي امتلأت غيظا لكثرة ما لهم من الاذى من جهتهم ثم استأنف سبحانه فقال (ويتوب الله على من يشاء) اي ويقبل توبة من تاب منهم مع فرط تعديهم رحمة وفضلا (والله عليم حكيم) عليم بتوبتهم اذا تابوا حكيم في امرهم بقتالهم اذا نكثوا قبل ان يتوبوا ويرجعوا لأن افعاله كلها صواب وحكمة وفي هذا دلالة على نبوة نبينا ﷺ لأنه وافق خبر المخبر

= (النظم) =

والوجه في اتصال قوله ويتوب الله على من يشاء بما قبله شيان ﴿ احدهما ﴾ البشارة بأن فيهم من يتوب ويرجع عن الكفر الى الايمان ﴿ والاخر ﴾ بيان انه ليس في قتالهم اقتطاع لأحد منهم عن التوبة
قوله تعالى (١٦) **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** آية
= (اللغة) =

الحساب قوة المعنى في النفس من غير قطع وهو مشتق من الحساب لدخوله فيما يحتسب به والترك ضد يتنفي الفعل المتبدا في محل القدرة عليه ويستعمل بمعنى ان لا يفعل كقوله وتركمهم في ظلمات لا يبصرون والوليجة الدخيلة في القوم من غيرهم والبطانة مثله وليجة الرجل من يختص بدخلة أمره دون الناس الواحد والجمع فيه سراء وكل شيء دخل في شيء ليس منه فهو وليجة قال طرفه

فإن القوافي يتلجن مواجا تضايق عنه ان تولجه الابر

= (الاعراب) =

ام حرف عطف يعطف به الاستفهام وام حسبتم معطوف على ما تقدم من قوله الا تقاتلون وهو من الاستفهام المعارض في وسط الكلام فجعل بأم ليفرق بينه وبين الاستفهام المتبدا لما يفعل نفي الفعل مع تقريب لوقوعه ولم يفعل نفي الفعل بعد اتمامه في وقوعه

= (المعنى) =

ثم نبه سبحانه على جلالة موقع الجهاد فقال (أم حسبتم أن تتركوا) ومعناه اظننتم ايها المؤمنون ان تتركوا من دون ان تكلفوا الجهاد في سبيل الله مع الاخلاص (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) معناه ولما يظهر ما علم الله منكم فذكر نفي العلم والمراد نفي المعلوم تأكيداً للنفي والا فإذن الله عز اسمه عالم بما يكون قبل ان كان وبما لا يكون لو كان كيف كان يكون وتقديره اظننتم ان تتركوا ولم تجاهدوا (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) اي ولم يعلم الله الذين لم يتخذوا سوى الله وسوى رسوله والمؤمنين بطانته واولياءه والذين هم ويفشون اليهم اسرارهم وقال الجبائي فهو ان يكونوا منافقين وهو قول الحسن وفي هذا دلالة على تحريم موالة الكفار والفاسق والالف بهم (والله خبير بما تعملون) اي عليم باعمالكم فيجازيكم عليها

= (النظم) =

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما تقدم الامر بالقتال عطف عليه بهذا الشرط وهو الاخلاص في الجهاد

على وجه قطع العصمة ليظهر الظفر ويستحق الثواب

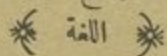
قوله تعالى (١٧) ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون (١٨) انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين آيتان

(القراءة) =

قرأ أهل البصرة وابن كثير مسجد الله على الواحد وهو قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والباقون مساجد الله

(الحجية) =

حججة من أفرد انه عنى به المسجد الحرام وحججة من جمع انه عنى به المسجد الحرام وغيره من المساجد ويحتمل ان يكون أراد المسجد الحرام وإنما جمع لأن كل موضع منه مسجد يسجد عليه فيكون القراءتان بمعنى



الأصل في المسجد هو موضع السجود في العرف ويعبر به عن البيت المهيأ لصلاة الجماعة فيه والعمارة أن يجدد منه ما استرم من الأبنية ومنه اعتمر إذا زار لأنه يجدد بالزيارة ما استرم من الحال

(المعنى) =

لما أمر الله سبحانه بقتال المشركين وقطع العصمة والمرالاة عنهم أمر بمنعهم عن المساجد فقال (ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله) معناه لا ينبغي للمشركين ان يكونوا قواما على عمارة مساجد الله ومتولين لأمرها وينبغي أن يعمرها المسلمون وقيل ان المراد بذلك المسجد الحرام خاصة وقيل هي عامة في جميع المساجد (شاهدين على انفسهم بالكفر) أي حال شهادتهم على انفسهم بالكفر أو مع شهادتهم واختلاف في العمارة للمسجد فقيل هي بدخوله وتزوله كما يقال فلان يعمر مجلس فلان إذا أكثر غشيانه لأن المسجد تكون عمارته بطاعة الله وعبادته وقيل هي باستصلاحه ورم ما استرم منه لانه إنما يعمر للعبادة عن الجبائي وقيل هي بأن يكونوا من أهله أي لا ينبغي أن يترك المشركون فيكونوا أهل المسجد الحرام عن الحسن واختلف في شهادتهم على انفسهم بالكفر كيف هي فقيس هل هي ان النصراني يسأل ما أنت فيقول انا نصراني واليهودي يقول انا يهودي وكذلك المشرك إذا سئل ما دينك يقول مشرك لا يقولها أحد غير العرب عن السدي وقيل معناه ان كلامهم يدل على كفرهم كما يقال كلام فلان يدل على بطلان دعواه عن الحسن وقيل هي قولهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقيل شهادتهم سجدتهم لاصنامهم مع اقرارهم بأنها مخلوقة عن ابن عباس ومعناه انهم يشهدون على انفسهم بأفعالهم واحوالهم ومن أظهر شيئا وبينه يقال قد شهد به (أو لئلك حبطت اعمالهم) التي هي من جنس الطاعة من المؤمنين أي بطلت لانهم أوقعوا على الوجه الذي لا يستحق لأجله الثواب عليها عند الله (وفي النار هم خالدون) أي مقيمون مؤبدون (إنما يعمر مساجد الله) ولفتة إنما لاثبات المذكور ونفي ما عداه فمعناه لا يعمر مساجد الله بزيارتها واقامة العبادات فيها أو ببنائها ورم المسترم منها (إلا من آمن بالله واليوم الآخر) أي من أقر يوحداية الله واعترف بالقيامة (واقام الصلاة) مجدودها (وآتى الزكاة) أي اعطاها إن وجبت عليه إلى مستحقها (ولم يخش إلا الله) أي لم يخف سوى الله احدا من المخلوقين وهذا راجع إلى قوله أتخشونهم فالله

أحق أن تحشوه اي إن خشيتهم فقد ساوتهم في الاشرار كما قال فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم
يخشون الناس كخشية الله الآية (فمسي أو تلك أن يكرنوا من المهتمين) إلى الجنة ونيل ثوابها لأن عسى من
الله واجبة عن ابن عباس والحسن وفي ذكر الصلاة والزكاة وغير ذلك بعد ذكر الإيمان بالله دلالة على ان الإيمان
لا يتناول افعال الجوارح إذ لو تناولها لما جاز عطف ما دخل فيه عليه ومن قال ان المراد فيه التفصيل وزيادة
البيان فقد ترك الظاهر

قوله تعالى (١٩) أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٠) الَّذِينَ
آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَائِزُونَ (٢١) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢٢) خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ

اربع آيات

(=) (القراءة) (=)

في الشواذ قراءة محمد بن علي الباقر (ع) وابن الزبير وابي وجرة السواري وابي جعفر السعدي القاري اجعلتم
سقاية الحاج وعمرة المسجد الحرام وقرأ الضعالم سقاية الحاج بالضم وعمرة المسجد
(=) (الحجة) (=)

اما سقاية فهو جمع ساق وعمرة جمع عامر واما سقاية فقد قال ابن جني فيه نظر ووجهه ان يكون جمعا
جاء على فعال كعرق وعراق ورخل ورخال وظنر وظنار وتوأم وبري وبرا. وانسان واناس ثم أئت كما يؤث
من الجموع أشياء نحو حجارة وعبرة وكان من عدل عن قراءة الجماعة سقاية الحاج وعمارة المسجد إلى هذا إنما هرب من
ان يقابل الحدث بالجوهر وذلك ان من آمن جوهر وسقاية وعمارة مصدران فلا بد إذن من حذف المضاف أي
اجعلتم هذين الفعلين كفضل من آمن بالله فلما رأى أنه لا بد من حذف المضاف قرأ سقاية وعمرة على ما مضى

— اللغة *

السقاية آلة تتخذ لسقي الماء والسقاية مصدر كالسقي ايضا وقيل إنهم كانوا يسقون الحجاج المساء والشراب
وبيت البئر سقاية ايضا والبشارة الدلالة على ما يظهر به السرور في بشرة الوجه كما يقال بشرته ابشره بشري ورضوان
هو معنى يستحق بالإحسان ويدعو إلى الحمد على ما كان ويضاد سخط العصيان والنعيم مشتق من النعمة
وهي اللين فأما النعمة بكسر النون فهي منفعة يستحق بها الشكر لأنها كنعمة العيش وابدأ للزمان المستقبل من غير
آخر كما ان قط للماضي يقال ما رأيت قط ولا اراه ابدأ وجمع الأبد آباد واوود يقال لا افعل ذلك ابد الأبد
وأبد الأبدن وتأبد المنزل أتى عليه الأبد والأوابد الوحش سميت بذلك لطول أعمارها وقيل لم يموت وحشي حتف
اقه وإنما يموت بأفة والآبدة الداهية

* النزول *

قيل انها نزلت في علي بن ابي طالب عليه السلام والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبه وذلك انهم افتخروا
فقال طلحة انا صاحب البيت ويدي مفتاحه ولو اشاءت فيه وقال العباس انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال
علي (ع) ما ادري ما تقولان لقد صليت إلى القبلة ستة اشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد عن الحسن والشعبي
ومحمد بن كعب القرظي وقيل إن عليا (ع) قال للعباس يا عم ألا تهاجر والاتلحق برسول الله فقال ألت في

أفضل من الهجرة أعمار المسجد الحرام واسقي حاج بيت الله فنزلت أجمعتم سقاية الحاج عن ابن سيرين ومرة الحمداني وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بأسناده عن ابن بريدة عن أبيه قال بينا شيبه والعباس يتفاخران إذ مر بها علي ابن أبي طالب عليه السلام فقال بماذا تتفاخران فقال العباس لقد أوتيت من الفضل ما لم يؤت أحد سقاية الحاج وقال شيبه أوتيت عمارة المسجد الحرام فقال علي (ع) استحييت لكما فقد أوتيت على صغري ما لم تؤتيا فقالا وما أوتيت يا علي قال ضربت خراطينكما بالسيف حتى آمنتم بالله ورسوله فقام العباس مغضبا يجر ذبله حتى دخل على رسول الله ﷺ وقال أما ترى إلى ما يستقباني به علي فقال ادعوا لي عليا فدعي له فقال ما حملك على ما استقبلت به عمك فقال يا رسول الله صدمته بالحق فمن شاء فليغضب ومن شاء فليرض فنزل جبرائيل (ع) فقال يا محمد إن ربك بقرأ عليك السلام ويقول أتل عليهم أجمعتم سقاية الحاج الآيات فقال العباس إنا قد رضينا ثلاث مرات وفي تفسير أبي حمزة أن العباس لما أسر يوم بدر أقبل عليه أناس من المهاجرين والانصار فغيروه بالكفر وقطيعه الرحم فقال ما لكم تذكرون متاوتنا وتكتمون محاسننا قالوا وهل لكم من محاسن قال نعم والله لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج وتك العاني فأنزل الله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا إلى آخر الآيات

المعنى

(أجمعتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله) هذا استفهام معناه الانكار أي لا تجعلوا وفيه حذف بدل الكلام عليه وتقديره أجمعتم أهل سقاية الحاج وأهل عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله حتى يكون مقابلة الشخص بالشخص أو يكون تقديره أجمعتم السقاية والعمارة كإيمان من آمن بالله حتى تكون مقابلة الفعل بالفعل وسقاية الحاج سقيهم الشراب قال الحسن وكان نبيذ زبيب يسقون الحاج في الموسم بين الله سبحانه أنه لا يقابل هذه الأشياء بالإيمان بالله (واليوم الآخر) وبالجهاد في سبيله فإنه لا مساواة بين الأبرار (لا يستوتون عند الله) في الفضل والثواب (والله لا يهدي) إلى طريق ثوابه (القوم الظالمين) كما يهدي إليه من كان عارفاً به فاعلا لطاعته محبتياً أعصيته ثم ابتدأ سبحانه فقال (الذين آمنوا) أي صدقوا واعترفوا بوحداية الله (وهاجروا) أو طأنهم التي هي دار الكفر إلى دار الإسلام (وجاهدوا في سبيل الله) أي تحملوا المشاق في ملاقات أعداء الدين (بأموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله) من غيرهم من المؤمنين الذين لم يفعلوا هذه الأشياء (وأولئك هم الفاترون) أي الظافرون بالبيعة (يبشرهم ربهم) برحمته في الدنيا على السنة الرسل وبما بين في كتبه من الثواب الموعود على الجهاد (برحمة منه ورضوان) في الآخرة (وجنات لهم فيها نعيم مقيم) أي دائم لا يزول ولا ينقطع (خالدين فيها أبدا) أي دائمين فيها مع كون النعيم مقبلاً لهم (إن الله عنده أجر) أي جزاء على العمل (عظيم) أي كثير متضاعف لا يبلغه نعمة غيره من الخلق

قوله تعالى (٢٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٤) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ آياتان

✽ القراءة ✽

قرأ أبو بكر عن عاصم وعشيرة تكلم على الجمع والباقون وعشيرة تكلم على التوحيد

✽ الحجة ✽

من أقرد فلان العشيرة يقع على الجمع وقال أبو الحسن العرب لا تجمع العشيرة عشيرات وإنما تقول عشائر ومن جمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة

✽ اللفظة ✽

الاستحباب طلب المحبة ويجوز ان يكون استحباب بمعنى أحب كما ان استحباب يكون بمعنى اجاب فيكون كأنه طلب محبة فوقع له والعشير الجماعة ترجع إلى عقد واحد كالعشيرة ومنه المعاشرة والاقتراف اقتطاع الشيء من مكانه إلى غيره من قرفت القرحة إذا قشرتها والقرف القشر والتربص التثبت في الشيء حتى يجيئ وقته والتربص والتثبت والتنظر والتوقف نظائر ونقيضه التعجل

✽ النزول ✽

روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام انها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حيث كتب إلى قريش يخبرهم

بخبير النبي ﷺ لما أراد فتح مكة

✽ المعنى ✽

ثم نهى الله سبحانه المؤمنين عن موالاته الكافرين وإن كانوا في النسب الاقربين فقال (يا ايها الذين آمنوا لا تأخذوا آباءكم واهوانكم اولياء) وهذا في امر الدين فأما في امر الدنيا فلا بأس بمجالستهم ومعاشرتهم لقوله سبحانه وصاحبها في الدنيا معروف قال ابن عباس لما أمر الله تعالى المؤمنين بالهجرة وازادوا الهجرة فمنهم من تعلقت به زوجته ومنهم من تعلق به ابواه واولاده فكانوا يمنعونهم من الهجرة فيتركون الهجرة لأجلهم فيبين سبحانه ان امر الدين مقدم على النسب وإذا وجب قطع قرابة الأبوين فالأجنبي أولى (إن استحبابوا الكفر على الإيمان) أي إن اختاروا الكفر وآثروه على الإيمان قال الحسن من تولى المشرك فهو مشرك وهذا إذا كان راضياً بشركه (ومن يتولهم منكم) فترك طاعة الله لأجلهم واطلغهم على اسرار المسلمين (فأولئك هم الظالمون) نفوسهم والباخسون حقها من الثواب لأنهم وضعوا الموالاتة في غير موضعها لأن موضعها أهل الإيمان (قل) يا محمد لهؤلاء المتخلفين عن الهجرة إلى دار الإسلام (ان كان آباؤكم) الذين ولدوكم (وابناؤكم) الذي ولدتموهم وهم الأولاد الذكور (واخوانكم) في النسب (وازواجكم) اللاتي عقدتم عليهن عقدة النكاح (وعشيرتكم) أي واقاربكم (واموال) اقتربتموها أي اكتسبتموها واقتطعتموها وجمعتموها (وتجارة تخشون كسادها) أي تخشون انها تنكسد إذا اشتغلت بطاعة الله تعالى والجهاد (ومساكن ترضونها) أي مساكن اخترتموها لأنفسكم وبمعجبكم المقام فيها (أحب اليكم) أي آثر في نفوسكم واقرب إلى قلوبكم (من الله ورسوله) أي من طاعة الله وطاعة رسوله (وجهاد في سبيل) أي ومن الجهاد في سبيل الله (فتربصوا) أي انظروا (حتى يأتي الله بأمره) أي بحكمه فيكم وقيل بعقوبتكم على اختياركم هذه الأشياء على الجهاد وطاعة الله إما عاجلاً وإما آجلاً وفيه وعيد شديد عن الحسن والجبائي وقيل بفتح مكة عن مجاهد وقال بعضهم وهذا لا يصح لأن سورة براءة نزلت بعد فتح مكة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) مضي تفسيره

قوله تعالى (٢٥) لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم

كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين

(٢٦) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٧) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
ثلاث آيات

✽ اللغة ✽

الموطن الموضع الذي يقيم فيه صاحبه وهو مفعول من الوطن واستوطن بالمكان إذا اتخذ وطنًا. حنين اسم واد بين مكة والطائف والإعجاب السرور بما يتعجب منه والعجب السرور بالنفس والرحب السعة في المكان وضده الضيق وقولم مرحبًا معناه أتيت سعة والسكينة الطمأنينة والامنة وهي فعيلة من السكون قال الشاعر

لله قبر عالها ماذا أجن م لقد أجن سكينته ووقارا

والجنود الجموع التي تصلح للحروب

= الإعراب =

مواطن لا ينصرف لأنه جمع ليس على مثال الآحاد ويوم حنين أي وفي يوم حنين عطف على مواطن أي ونصركم في يوم حنين وإنما صرف حنينًا لأنه اسم لمذكر وهو واد ولو ترك صرفه على أنه اسم للبقعة لجاز قال الشاعر

نصروا نبيهم وشدوا أزرهم
بحنين يوم توأكل الأبطال

ومافي قوله بما رحبت مصدرية أي برحبها وسعتها

✽ المعنى ✽

لما تقدم أمر المؤمنين بالقتال ذكرهم بعده بما أتاهم من النصر حالًا بعد حال فقال (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) اللام للقسمة فكأنه سبحانه أقسم بأنه نصر المؤمنين أي عانهم على أعدائهم في مواضع كثيرة على ضعفهم وقلة عددهم حثًا لهم على الانقطاع إليه ومفارقة الأهلين والأقربين في طاعته وورد عن الصادقين (ع) أنهم قالوا كانت المواطن ثمانين موطنًا وروي أن المتوكل اشتكى شكابة شديدة فنذر أن يتصدق بمال كثير أن شفاه الله فلما عوفي سأل العلماء عن حد المال الكثير فاختلفت أقوالهم فأشير عليه أن يسأل أبا الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى (ع) وقد كان حبسه في داره فأمر أن يكتب إليه فكتب يتصدق بثمانين درهمًا ثم سأله عن العلة في ذلك فقرأ هذه الآية وقال عددنا تلك المواطن فبلغت ثمانين موطنًا (ويوم حنين) أي وفي يوم حنين (إذ أعجبكم كثيرتمكم) أي ثم مرتكم وصرتم معجبين بكثرتكم قال قتادة وكان سبب انهزام المسلمين يوم حنين أن بعضهم قال حين رأى كثرة المسلمين لن تغلب اليوم عن قلة فانهمزوا بعد ساعة وكانوا اثني عشر ألفًا وقيل أنهم كانوا عشرة آلاف وقيل ثمانية آلاف والأول أصح وأكثر في الرواية (فلم تغن عنكم شيئًا) أي فلم يدفع عنكم كثيرتمكم سوءًا (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت) أي برحبها والباء بمعنى مع والمعنى ضاقت عليكم الأرض مع سعتها كما يقال أخرج بنا إلى موضع كذا أي معنا والمراد لم تجدوا من الأرض موضعًا للقرار إليه (ثم وليتم مدبرين) أي وليتم عن عدوكم منهزمين وتقديره وليتموهم أدياركم وانهمزتم (ثم أنزل الله سكينته) أي رحمته التي تسكن إليها النفس ويزول معها الخوف (على رسوله وعلى المؤمنين) حين رجعوا إليهم وقتلوهم وقيل على المؤمنين الذين ثبتوا مع رسول الله علي والعباس في قمر من بني هاشم عن الضحاك بن مزاحم وروي الحسن بن علي بن فضال عن أبي الحسن الرضا أنه قال السكينة ربح من الجنة تخرج طيبة لها صورة

كصورة وجه الإنسان فتكون مع الأنبياء اورده العياشي مسندا (وأنزل جنوداً لم تروها) أراد به جنوداً من الملائكة وقيل ان الملائكة نزلوا يوم حنين بثقوية قلوب المؤمنين وتشجيعهم ولم يباشروا القتال يومئذ ولم يقاتلوا إلا يوم بدر خاصة عن الجبائي (وعذب الذين كفروا) بالقتل والأسر وسلب الاموال والا اولاد (وذلك جزاء الكافرين) اي وذلك العذاب جزاء الكافرين على كفرهم (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) ذكر سبحانه ثم في ثلاثة مواضع بمقاربة * الأول * ثم وليتم مدبرين عطف على ما قبله من الفعل وهو قوله ضاقت عليكم * والثاني * ثم أنزل الله سكينته عطف على وليتم مدبرين * والثالث * ثم يتوب الله عطف على أنزل وإنما حسن عطف المستقبل على الماضي لأنه بشاكلة فإن الاول تذكرة بنعمة الله والثاني وعد بنعمة الله والمعنى ثم يقبل الله توبة من تاب عن الشرك ورجع الى طاعة الله والإسلام وندم على ما فعل من القبيح ويجوز ان يريد ثم يقبل الله توبة من انهزم من بعد هزيمته ويجوز ان يريد يقبل توبتهم عن اعجابهم بالكثرة وإنما علقه بالمشيئة لأن قبول التوبة تفضل من الله ولو كان واجبا على ما قاله أهل الوعيد لما جاز تعليقه بالمشيئة كالا يجوز تعليق الثواب على الطاعة بالمشيئة ومن خالف في ذلك قال إنما علقها بالمشيئة لأن منهم من له لطف يصلح به ويتوب ويؤمن عنده ومنهم من لا لطف له منه (والله غفور) اي ستار للذنوب (رحيم) بعباده

* القصة *

ذكر أهل التفسير وأصحاب السير ان رسول الله ﷺ لما فتح مكة خرج منها متوجهاً الى حنين لقتال هوازن وثقيف في آخر شهر رمضان او في شوال من سنة ثمان من الهجرة وقد اجتمع رؤساء هوازن الى مالك بن عوف النصري وساقوا معهم أموالهم ونساءهم وذراتهم ونزلوا بأوطاس قال وكان دريد بن الصمة في القوم وكان رئيس جيشهم وكان شيخاً كبيراً قد ذهب بصره من الكبر فقال بأي واد أنتم قالوا بأوطاس قال نعم مجال الخليل لا حزن ضرر ولا سهل دهن مالي اسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وخوار البقر وثغاء الشاة وبكاء الصبيان فقالوا ان مالك بن عوف ساق مع الناس ابناءهم وأموالهم ونساءهم ليقاتل كل منهم عن أهله وماله فقال دريد راعي ضأن ورب الكعبة ثم قال اتموني بمالك فلما جاءه قال يا مالك انك أصبحت رئيس قومك وهذا يوم له ما بعده رد قومك إلى عليا بلادهم والقي الرجال على متون الخليل فإنه لا ينفعك إلا رجل سيفه وفرسه فإن كانت لك حتى بك من ورائك وإن كانت عليك لا تكون فضحت في أهلك وعيالك فقال له مالك انك قد كبرت وذهب علمك وعقلك وعقد رسول الله ﷺ لواءه الاكبر ودفعه إلى علي بن ابي طالب «ع» وكل من دخل مكة براهة امره أن يحملها وخرج بعد ان اقام بمكة خمسة عشر يوماً وبعث إلى صفوان بن أمية فاستعار منه مائة درع فقال صفوان عارية أم غصب فقال عارية مضمونة مؤداة فأعاره صفوان مائة درع وخرج معه وخرج من مسلمة الفتح الفا رجل وكان «ع» دخل مكة في عشرة آلاف رجل وخرج منها في اثني عشر الفا وبعث رسول الله ﷺ رجلاً من اصحابه فاتبعه الى مالك بن عوف وهو يقول لقومه ليصير كل رجل منكم أهله وماله خلف ظهره واكسروا جفون سيوفكم واكنوا في شعاب هذا الوادي وفي الشجر فإذا كان في غيب الصبح فاحملوا حملة رجل واحد فهدوا القوم فإن محمداً لم يلق احداً يحسن الحرب ولما صلى رسول الله ﷺ باصحابه الغداة انحدر في وادي حنين فخرجت عليهم كتائب هوازن من كل ناحية وانهمت بنو سليم وكانوا على المقدمة وانهم ما وراءهم وخلق الله تعالى بينهم وبين عدوهم لاوعجابهم بكثرتهم وبقي علي «ع» ومعه الراية يقاتلهم في قر قليل ومن المنهزمون برسول الله ﷺ لا يلوون على شيء وكان العباس بن عبد المطلب أخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ والفضل عن يمينه وابوسفيان بن الحرث بن عبد المطلب عن يساره ونوفل بن الحرث وربيعه بن الحرث في تسعة من بني هاشم وعاشرهم ايمن بن أم ايمن وقتل يومئذ وفي ذلك يقول العباس

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة
وقد فر من قد فر عنه فاقشعوا
وقولي إذا ما الفضل كر بسيفه
على القوم أخرى يا بني ليرجعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه
لما ناله في الله لا يتوجع

ولما رأى رسول الله ﷺ هزيمة القوم عنه قال للعباس وكان جهورياً صينياً اصعد هذا الطرب فناد يا معشر المهاجرين والانصار يا اصحاب سورة البقرة يا أهل بيعة الشجرة إلى اين تفرون هذا رسول الله فلما سمع المسلمون صوت العباس تراجعوا وقالوا ليك ليك وتبادر الانصار خاصة وقاتلوا المشركين حتى قال رسول الله ﷺ الآن حي الوطيس «انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب» ونزل النصر من عند الله تعالى وانهمزمت هوازن هزيمة قبيحة فمروا في كل وجه ولم يزل المسلمون في آثارهم ومسا مالك بن عوف فدخل حصن الطاييف وقتل منهم زهاء مائة رجل واغتم الله المسلمين امواهم ونساءهم وامر رسول الله بالذراري والاموال ان تحدر إلى الجعرانة وولي على الغنائم بديل بن ورقاء الخزاعي ومضى ﷺ في أثر القوم فوافى الطاييف في طلب مالك ابن عوف فحاصر أهل الطاييف بقية الشهر فلما دخل ذو القعدة انصرف وأتى الجعرانة وقسم بها غنائم حنين واوطاس قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب رسول الله لم يقفوا لنا حلب شاة فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم حتى إذ انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء يعني رسول الله فتلقانا رجال يبيض الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا اكتافنا فكانوا اياها يعني الملائكة قال الزهري وبلغني ان شيبه بن عثمان قال استديرت رسول الله ﷺ يوم حنين وانا أريد ان اقتله بطلحة بن عثمان ابن طلحة وكان قد قتل يوم أحد فاطلع الله رسوله على ما في نفسي فالتفت إلي وضرب في صدري وقال أعينك بالله يا شيبه فأرعدت فرائصي فنظرت إليه وهو أحب إلي من سمعي وبصري فقلت أشهد انك رسول الله وان الله اطعمك على ما في نفسي وقسم رسول الله الغنائم بالجعرانة وكان معه من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الاول والثاء ما لا يدرى عدته قال ابو سعيد الخدري قسم رسول الله للمتألفين من قريش من سائر العرب ما قسم ولم يكن في الانصار منها شيء قليل ولا كثير فمشى سعد بن عبادة إلى رسول الله فقال يا رسول الله ان هذا الحي من الانصار قد وجدوا عليك في قسمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب ولم يكن فيهم من ذلك شيء فقال ﷺ فأين انت من ذلك يا سعد فقال ما انا إلا امرؤ من قومي فقال رسول الله فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة فجمعهم فخرج رسول الله فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معشر الانصار اولم آتكم ضللاً لافهدكم الله وعائلة فأغناكم الله واعداً فألف بين قلوبكم قالوا بلى يا رسول الله ثم قال ألا تحببوني يا معشر الانصار فقالوا وما نقول وبماذا نجيبك المن لله ولرسوله فقال رسول الله أما والله لو شئتم لقتلتم فصدقتم جنتنا طريدا فأوبناك وعائلاً فأسيناك وخائفاً فأمناك ومخذولاً فنصرناك فقالوا المن لله ولرسوله فقال رسول الله ﷺ وجدتم في انفسكم يا معشر الانصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا وكنتمكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام أفلا ترضون يا معشر الانصار أن يذهب الناس إلى رحالمهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالككم فولذي نفسي بيده لو ان الناس سلكوا شعباً وسلكت الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار ولولا الهجرة لكنت امرؤاً من الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وابناء الانصار فيكمي القوم حتى اخضلت لحامهم وقالوا رضينا بالله ورسوله قسماً ثم نفعوا وقال انس بن مالك وكان رسول الله ﷺ امر منادياً فنادى يوم اوطاس ألا لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرأ بجيضة ثم اقبلت وفود هوازن وقدمت على رسول الله ﷺ بالجعرانة مسلمين فقام خطيبهم وقال يا رسول الله إنما في الحضائر من السبايا خالاتك وحواضتك اللاتي كن يكفلنك فلو اننا ملكنا ابن ابي سمره او النعمان بن المنذر ثم أصابنا منها مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتها وعطفها وانت خير

الكفولين ثم انشد ابيانا فقال صلى الله عليه وآله وسلم أي الأوسيين أحب اليكم السبي او الاموال قالوا يا رسول الله خيرتنا بين
الحسب وبين الاموال والحسب أحب اليانا ولا تتكلم في شاة ولا يعبر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اما الذي لبني
هاشم فهو لكم وسوف أكلم لكم المسلمين واشفع لكم فكلموهم واظهروا اسلامكم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
المهاجرة قاموا فتكلموا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد رددت الذي لبني هاشم والذي بيدي عليهم فمن أحب منكم أن يعطي غير
مكره فليفعل ومن كره أن يعطي فليأخذ الفداء وعلي فداؤهم فأعطى الناس ما كان بأيديهم منهم إلا قليلا من
الناس سألو الفداء وارسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مالك بن عوف وقال إن جئتني مسلما رددت اليك أهلك ومالك ذلك
عندي مائة ناقة فخرج اليه من الطائف فرد عليه أهله وماله واعطاه مائة من الإبل واستعمله على من أسلم من قومه
قوله تعالى (٢٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ
هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ آية

✽ القراءة ✽

في الشواذ قراءة ابن السميقي أنجاس على الجمع وفي مصحف عبد الله بن مسعود وإن خفتهم عائلة

✽ الحجة ✽

قال ابن جني هذا من المصادر التي جاءت على فاعلة كالعاقبة والعافية واللاغية

✽ اللغة ✽

كل مستقذر نجس يقال رجل نجس وامرأة نجس وقوم نجس لأنه مصدر وإذا استعملت هذه اللفظة مع
الرجس قيل رجس نجس بكسر النون والعيلة الفقر تقول عال يعيل إذا افتقر قال الشاعر

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل

✽ المعنى ✽

لما تقدم النهي عن ولاية المشركين أزال سبحانه ولايتهم عن المسجد الحرام وحظر عليهم دخوله فقال (يا أيها
الذين آمنوا إنما المشركون نجس) معناه ان الكافرين أنجاس (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) أي
فامنعوهم عن المسجد الحرام قيل المراد به منعهم من دخول الحرم عن عطا قال والحرم كله مسجد وقبلة والعام
الذي اشار إليه هو سنة تسع الذي نادى فيه علي (ع) بالبراءة وقال لا يجعن بعد هذا العام مشرك وقيل المراد
به منعهم من دخول المسجد الحرام على طريق الولاية للموسم والعمرة وقيل منعوا من الدخول أصلاً في
المسجد ومنعوا من حضور الموسم ودخول الحرم عن الجبائي واختلف في نجاسة الكافر فقال قوم من
الفقهاء ان الكافر نجس العين وظاهر الآية يدل على ذلك وروي عن عمر بن عبد العزيز انه كتب امنعوا
اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين واتبع نهيه قول الله تعالى إنما المشركون نجس الآية وعن الحسن
قال لا تصافحوا المشركين فمن صافحهم فليتوضأ وهذا يوافق ما يذهب اليه اصحابنا من ان من صافح الكافر
ويده رطبة وجب ان يغسل يده وان كانت ايديها يابستين مسحها بالحاظ وقال آخرون انما ساءم الله نجساً
نخبث اعتقادهم وافعالهم واقوالهم واجازوا للذي دخول المساجد قالوا انما يمنعون من دخول مكة للحج قال قتادة
سأهم نجساً لأنهم ينجبون ولا يغسلون ويحدثون ولا يتوضئون فمنعوا من دخول المسجد لأن الجنب
لا يجوز له دخول المسجد (وان خفتهم عيلة) اي فقرا وحاجة وكانوا قد خافوا انقطاع المتاجر بمنع المشركين
عن دخول الحرم (فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء) اي فسوف يغنيكم الله من جهة أخرى ان شاء ان

يفنيكم بأن يرغب الناس من أهل الآفاق في حمل الميرة اليكم رحمة منه ونعمة عليكم قال مقاتل اسلم أهل جدة وصنعاء وجرش من اليمن وحملوا الطعام الى مكة على ظهور الإبل والدواب وكفاهم الله تعالى ما كانوا يتخوفون وقيل معناه يفنيكم بالجزية المأخوذة من أهل الكتاب وقيل بالمطر والنبات وقيل بإباحة الغنائم وإذا سئل عن معنى المشيئة في قوله ان شاء فالقول فيه ان الله تعالى قد علم ان منهج من يبقى الى وقت فتح البلاد واغتنام اموال الأكاسرة فيستغني ومنهم من لا يبقى الى ذلك الوقت فلهذا علقه بالمشيئة وقيل إنما علقه بالمشيئة ليرغب الإنسان الى الله تعالى في طلب الغنى منه وليعلم ان الغنى لا يكون بالاجتهاد (ان الله عليم بالمصالح وتدبير العباد وبكل شيء حكيم) فيما يأمر وينهي

قوله تعالى (٢٩) قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (آية)

✽ اللغة ✽

الدين في الأصل الطاعة قال زهير

لئن حللت يجو في بني اسد في دين عمرو وحالت بيننا فذك
والجزية فعلة من جزى يجزي مثل المقدة والجلسة وهي عطية مخصوصة جزاء لهم على تسكهم بالكفر عقوبة لهم عن علي بن عيسى والصغار الذل والنكال الذي يصغر قدر صاحبه يقال صغر بصغراً فهو صاغر

✽ الإعراب ✽

عن يد في موضع نصب على الحال أي تقدماً كما يقال باعه يداً بيد

✽ النزول ✽

قبل هذه الآية نزلت حين أمر رسول الله ﷺ بحرب الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك عن مجاهد وقيل هي على العموم

✽ المعنى ✽

ثم بين الله سبحانه ان من الكفار من يجوز تبقته بالجزية فقال (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) يعني الذين لا يعترفون بتوحيد الله ولا يقرون بالبعث والنشور وهذا يدل على صحة ما يذهب اصحابنا اليه من انه لا يجوز ان يكون في جملة الكفار من هو عارف بالله وان أقر باللسان وإنما يكونون معتقدين لذلك اعتقاداً ليس بعلم لأنه صريح في ان أهل الكتاب الذين يؤخذ منهم الجزية لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ومن قال انه يجوز ان يكونوا عارفين بالله قال ان الآية خرجت مخرج الذم لهم لأنهم بمنزلة من لا يقربه في عظم الجرم قال الجبائي لأنهم يضيفون اليه ما لا يليق به فكأنهم لا يعرفونه وإنما جمعت هذه الأوصاف لهم ولم يذكرها بالكفار من أهل الكتاب للتحرير على قتالهم لما هم عليه من صفات الذم التي توجب البراءة منهم والعداوة لهم (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) موسى وعيسى عليهما السلام من كتاب نعت محمد ﷺ وقيل يعني ما حرمه محمد ﷺ (ولا يدينون دين الحق) وقيل الحق

هنا هو الله تعالى أي دين الله والعمل بما في التوراة من اتباع نبينا عليه السلام وقيل الحق هو الله ودينه الإسلام عن قتادة وقيل معناه ولا يطعون الله طاعة أهل الإسلام عن أبي عبيدة وقيل معناه لا يعترفون بالإسلام الذي هو الدين الحق (من الذين اتوا الكتاب) وصف الذين ذكروهم بأنهم من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وقال أصحابنا إن المجوس حكمهم حكم اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية عن يد) أي نقداً من يده إلى يد من يدفعه إليه من غير نائب كما يقال كلمته فمأ بفم وقيل معناه عن قدرة لكم عليهم وقهر لهم كما يقال كان اليد لفلان وقيل يد لكم عليهم ونعمة تسدونها اليهم بقبول الجزية منهم (وهم صاغرون) أي ذليلون مقهورون يجرون إلى الموضع الذي يقبض منهم فيه بالعنف حتى يؤدوها وقيل هو أن يعطوا الجزية قائمين والآخذ جالس عن عكرمة

قوله تعالى (٣٠) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣١) اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وسهل عزير ممنوناً والباقون عزير ابن الله بغير تنوين وقرأ عاصم وحده بضاهئون بالهمزة وقرأ الباقون بضاهون بغير الهمزة

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي من نون عزيرا جعله مبتدأ وجعل ابنا خبره وإذا كان كذلك فلا بد من إثبات التنوين في حال السعة والاختيار لأن عزيرا ونحوه ينصرف عجميا كان أو عربيا وأما من حذف التنوين فإنه حذفه على وجهين * أحدهما * أنه جعل الصفة والموصوف بمنزلة اسم واحد كما جعلهما كذلك في قوله لا رجل ظريف وحذف التنوين ولم يحرك لالتقاء الساكنين كما يحرك في زيد العاقل لأن الساكنين كأنهما التقيا في تضاعيف كلمة واحدة فحذف الأول منهما ولم يحرك لكثرة الاستعمال ولا يجوز إثبات التنوين في هذا الباب إذا كان صفة وان كان الأصل لأنهم جعلوه من الأصول المرفوضة كما أن اظهار الأول من المثليين في نحو ظنوا لا يجوز في الكلام فإذا كانا بمنزلة اسم مفرد والمفرد لا يكون جملة مستقلة بنفسه مفيدة في هذا النحو فلا بد من ضمير جزء آخر يقدر انضمامه إليه ليتم جملة ويجعل الظاهر اما مبتدأ أو خبر مبتدأ فيكون التقدير صاحبنا أو نبيينا أو نبينا عزير ابن الله أن قدرت المضمرة المبتدأ وان قدرت بمكس ذلك جاز بهذا الحد الوجهين والوجه الآخر أن لا تجعلها اسما واحدا ولكن يجعل الأول من الاسمين المبتدأ والآخر الخبر فيكون المعنى فيه على هذا كالمعنى في إثبات التنوين وتكون القراءة تان متفتحتين الا أنك حذف التنوين لالتقاء الساكنين وعلى هذا ما يروى من قراءة بعضهم أحد الله الصمد فحذف التنوين لالتقاء الساكنين وقد جاء ذلك في الشعر كثيرا قال الشاعر

أخو الحمد ذو الشيبة الأصلح

جميل الذي أمج داره

وقال «وحاتم الطائي وهاب المني» فاما يضاؤون فقد قال الزجاج اصل المضاهاة المشابهة والاكثر ترك الهمزة واشتقاقه من قولهم امرأة ضهيا وهي التي لا ينبت لها ثدي وقيل هي التي لا تحيض ومعناها انها قد اشبهت الرجال في انه لا ثدي لها وكذلك اذ لم تحض وضمياء فعلاء الهمزة زائدة كما زيدت في شمال وغرقى البيض ولا نعلم الهمزة زيدت غير اول الالف في هذه الاشياء ويجوز ان يكون فعلاء وان كانت بنية ليس لها في الكلام نظير قال ابو علي ليس قوله يضاؤون من امرأة ضهيا لأن هذه الهمزة زائدة غير اصلية وليس بفعال لأنه لو كان اياه لكان مكسورا الصدر وانما ادخله في هذا ما رامه من اشتقاق يضاؤون وقد يجوز ان تعجب الكلمة من غير مشتقة وذلك اكثر من ان يحصى

✽ اللغة ✽

الخبر العالم الذي صنعتته تحبير المعاني بحسن البيان عنها وهو الخبر والخبر بفتح الحاء وكسرها والرهبان جمع الراهب وهو الخاشي الذي يظهر عليه لباس الخشية وقد كثر استعماله على منسكي النصارى

✽ المعنى ✽

ثم حكى الله سبحانه عن اليهود والنصارى اقوالهم الشنيعة فقال (وقالت اليهود عزير ابن الله) وقال ابن عباس القائل لذلك جماعة منهم جاؤا الى النبي ﷺ منهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الضيف فقالوا ذلك قبل واذا قال ذلك جماعة منهم من قبل وقد انقضوا وان عزيرا امي التوراة من ظهر قلبه وقد علمه جبرائيل (ع) فقالوا انه ابن الله الا ان الله تعالى اضاف ذلك الى جميعهم وان كانوا لا يقولون ذلك اليوم كما يقال ان الخوارج يقولون بتعذيب اطفال المشركين واذا يقولون الازارقة منهم خاصة ويدل على ان هذا مذهب اليهود انهم لم ينكروا ذلك لما سمعوا هذه الآية مع شدة حرصهم على تكذيب الرسول ﷺ (وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواهم) معناه انهم اخبروا ذلك القول بافواهم لم يأتهم به كتاب ولا رسول وليس عليه حجة ولا برهان ولا له صحة وقيل انه لم يذكر القول مقرونا بالافواه الا اذا كان ذلك القول زورا كقوله يقولون بافواهم مالميس في قلوبهم (يضاؤون) يشابهون عن ابن عباس وقيل هو اقنوع عن الحسن (قول الذين كفروا) يعني عباد الاوثان في عبادتهم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى عن ابن عباس ومجاهد والفراء وقيل في عبادتهم الملائكة وقولهم انهم بنات الله (من قبل) اي ضاهت النصارى قول اليهود من قبل فقالت النصارى المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله عن قتادة والسدي وقيل شبه كفرهم بكفر الذين مضوا من الامم الكافرة عن الحسن (قاتلهم الله) اي لعنهم الله عن ابن عباس قال ابن الانباري المقاتلة اصلها من القتل فاذا اخبر عن الله بها كانت بمعنى اللعنة لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك (اني بؤفكوت) اي كيف يصرفون عن الحق الى الايفك الذي هو الكذب فكانه قال لا يداغوا الى ذلك القول (انخذوا حبارهم) اي علماءهم (ورهبانهم) اي عبادهم (اربابا من دون الله) روي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انهما قالوا اما والله ما صاموا ولا صلوا ولكنهم احلوا لهم حراما وحرّموا عليهم حلالا فاتبعوهم وعبدوهم من حيث لا يشعرون وروى الثعالبي باسناده عن عدي بن حاتم قال اتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك قال فطرحته ثم اتتهت اليه وهو يقرأ من

سورة البراءة هذه الآية اتخذوا اخبارهم ورهبانهم اربابا حتى فرغ منها فقلت له انا لسا نعبدهم فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه قال فقلت بلى قال فقلت عبادتهم (والمسيح ابن مريم) اي اتخذوا المسيح اياه من دون الله (وما امروا الا ليعبدوا لهما واحدا) أي معبودا واحدا هو الله تعالى (لا اله الا هو) اي لا تحق العبادة الا له ولا يستحق العبادة سواه (سبحانه) تنزيها له (عما يشركون) اي عن شركهم وعما يقولونه وعما لا يليق به

قوله تعالى (٣٢) يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُنِيمَ نوره
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٣) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ آيتان

اللغة

الاطفاء اذهاب نور النار ثم استعمل في اذهاب كل نور والأفواه جمع فم وأصله فوه فحذفت الهاء وابدلت من الواو ميم لأنه حرف صحيح من مخرج الواو مشا كل لها والإياء الامتناع مما طلب من المعنى قال الشاعر «وإن أرادوا ظلمنا أينما» أي منعنا من الظلم

الإعراب

قوله إلا ان يتم نوره إنما دخلت إلا لأن في آيت ضرباً من الجحد تقول آيت أن أفعل كذا فيكون معناه لم أفعل كذا قال الشاعر

وهل لي أم غيرها ان تركتها
أبي الله إلا أن اكون لها ابناً
قال الزجاج في الآية حذف تقديره بأبي الله كل شيء إلا إتمام نوره قال ولا يكون الإيجاب جحداً ولو جاز ذلك على ان يكون فيه طرف من الجحد لجاز كرهت إلا أخاك مثل آيت إلا ان آيت الحذف مستعمل معها

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى انهم (يريدون أن يطفئوا نور الله) وهو القرآن والإسلام عن أكثر المفسرين وقيل نور الله الدلالة والبرهان لأنها يهتدى بها كما يهتدى بالنور عن الجبائي قال ولما سعى سبحانه الحجج والرايين أنواراً سعى معارضتهم لذلك اطفاء ثم قال (بأفواههم) لأن الاطفاء يكون بالأفواه وهو النفخ وهذا من عجيب البيان مع ما فيه من تصغير شأنهم وتضعيف كيدهم لأن التهم يوثق بين الأنوار الضعيفة دون الأقباس العظيمة (ويأبى الله إلا أن يتم نوره) معناه ويمنع الله إلا أن يظهر أمر القرآن وأمر الإسلام وحجته على التمام وأصل الإباء المنع والامتناع دون الكراهية على ما ادعته المجبرة ولهذا تقول العرب فلان يأبى الضيم وهو ابني الضيم ولا مدحة سيف كراهية الضيم لأنه يستوي فيه القوي والضعيف وإنما المدحة في الامتناع او المنع منه (ولو كره الكافرون) أي على كره من الكافرين (هو الذي أرسل رسوله) محمداً وحمله الرسالات التي يؤدبها إلى امته (بالهدى) أي بالحجج والبيئات والدلائل والبراهين (ودين الحق) وهو الإسلام وما تضمنه من الشرائع التي يستحق عليها الجزاء والثواب وكل دين سواه باطل يستحق به العقاب (ليظهره على الدين كله) معناه ليعلي دين الإسلام على جميع الأديان بالحجة والغلبة والقهر لها حتى لا يبقى على وجه الأرض دين إلا مغلوباً ولا يغلب احد أهل الإسلام بالحجة وهم يغلبون أهل سائر الأديان بالحجة واما الظهور بالغلبة فهو ان كل طائفة من المسلمين قد غلبوا على ناحية من نواحي أهل الشرك ولحقهم قهر من جهتهم وقيل

أراد عند نزول عيسى بن مريم لا يبقى أهل دين إلا أسلم أو أدى الجزية عن الضحاك وقال أبو جعفر (ع) إن ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمد فلا يبقى أحد إلا أقر بمحمد وهو قول السدي وقال الكافي لا يبقى دين إلا ظهر عليه الإسلام وسيكون ذلك ولم يكن بعد ولا تقوم الساعة حتى يكون ذلك وقال المقصد بن الأسود سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام أما بعر عزيز وأما بذل ذليل أما يعزهم فيجعلهم الله من أهله فيعزوا به وأما يذلهم فيدينون له وقيل إن الماء في ليظهره عائدة إلى الرسول ﷺ أي ليعلمه الله الأديان كلها حتى لا يخفى عليه شيء منها عن ابن عباس (ولو كره المشركون) أي وإن كرهوا هذا الدين فإن الله يظهره رغما لهم

قوله تعالى (٣٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٥) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَمُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ آيَاتان

اللغة

الكنز في الأصل هو الشيء الذي جمع بعضه إلى بعض ويقال للشيء المجتمع مكنته وناقته كناق اللحم مجتمعة قال نبطويه سمي الذهب ذهباً لأنه يذهب ولا يبقى وسميت الفضة فضة لأنها تنفض أي تتفرق فلا تبقى وحسبك بالاسمين دلالة على فناهما والاحياء جعل الشيء حاراً في الاحساس وهو فوق الاسخان وضده التبريد يقال حمى يحمي حمى واحماه غيره والكي الصاق الشيء الحار بالعضو من البدن

الإعراب

الذين يكتزون موضع نصب لأنه معطوف على اسم ان ويكون المعنى وان الذين يكتزون الذهب والفضة ولا يأكلونها ويجوز أن يكون رفعا على الاستئناف وذكر في قوله ولا ينفقونها وجوه * أحدها * أنه أراد لا ينفقون الكنوز فرجع الضمير إلى ما دل عليه الكلام * والثاني * أنه لما ذكر الذهب والفضة دل على الأموال فكانه قال ولا ينفقون الأموال * والثالث * أن الذهب مؤنث وهو جمع واحده ذهبه وهذا الجمع الذي ليس بينه وبين واحده إلا الهاء يذكرون ويؤنثون ثم لما اجتمعا في التأنيث وكان كل واحد منهما يؤخذ عن صاحبه في الزكاة على قول جمهور العلماء جعلهما كالشيء الواحد ورد الضمير اليهما بلفظ التأنيث * والرابع * أنه اكتفي بأحدهما عن الآخر للإيجاز ورد الضمير إلى الفضة لأنها أقرب إليه كما قال حسان

إن شرح الشباب والشعر الأسود ما لم يعاص كان جنونا
وقدم ذكر أمثاله فيما مضى

المعنى

ثم بين سبحانه حال الأحبار والرهبان فقال (يا ايها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل) أي يأخذون الرشى على الحكم عن الحسن والجبائي وأكل المال بالباطل تملكه من الجهات التي يحرم منها أخذه إلا أنه لما كان معظم التصرف والتملك للأكل وضع الأكل موضع ذلك وقيل إن معناه يأكلون متاع أموال الناس من الطعام فكانهم يأكلون الأموال لأنها ثمن الأكل كما قال الشاعر
ذر الآكلين الماء لو ما فمارى ينالون خيرا بعد أكلهم الماء

اي ثمن الماء (ويصدون عن سبيل الله) اي يمتنعون غيرهم عن اتباع الإسلام الذي هو سبيل الله التي دعاهم الى سلوكها وعن اتباع محمد ﷺ (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) اي يجمعون المال ولا يؤدون زكاته فقد روي عن النبي ﷺ انه قال كل مال لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان ظاهرا وكل مال ادبت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا في الارض وبه قال ابن عباس والحسن والشعبي والسدي قال الجبائي وهو اجماع وروي عن علي عليه السلام ما زاد على اربعة آلاف فهو كنز ادى زكاته او لم يؤد وما دونها فهو نفقة وتقدير الآية والذين يكتزون الذهب ولا ينفقونه في سبيل الله ويكتزون الفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فحذف المعطوف من الأول لدلالة الثاني عليه كما حذف المفعول في الثاني لدلالة الأول عليه في قوله والذاكرين الله كثيراً والذاكرات وتقديره والذاكرات الله وأكثر المفسرين على ان قوله والذين يكتزون على الاستثناء وان المراد بذلك مانعوا الزكاة من هذه الأمة وقيل انه معطوف على ما قبله والاولى ان يكون محمولا على العموم في الفريقين (فبشرهم بعذاب اليم) اي أخبرهم بعذاب موجه وروي سالم بن ابي الجعدان رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال تبأ للذهب تبأ للفضة يكررها ثلاثا فشق ذلك على اصحابه فسأله عمر فقال يا رسول الله أي المال تتخذ فقال لسانا ذا كرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه (يوم يحمى عليها في نار جهنم) اي يوقد على الكنوز أو على الذهب والفضة في نار جهنم حتى تصير نارا (فتكوى بها) اي بتلك الكنوز المحماة والاموال التي منعوا حق الله فيها بأعيانها (جباهم وجنوبهم وظهورهم) وانما خص هذه الاعضاء لأنها معظم البدن وكان ابو ذر الغفاري يقول بشر الكاذبين بكفي في الجباه وكفي في الجنب وكفي في الظهر حتى يلتقي الحر في أجوافهم وفي هذا المعنى الذي أشار اليه ابو ذر خصت هذه المواضع بالكفي لأن داخلها جوف بخلاف اليد والرجل وقيل انما خصت هذه المواضع بالعذاب لأن الجبهة محل الوسم لظهورها والجنب محل الألم والظهر محل الحدود وقيل لأن الجبهة محل السجود فلم تقم فيه بحقه والجنب يقابل القلب الذي لم يخلص في معتقده والظهر محل الأوزار قال يحملون أوزارهم على ظهورهم عن الماوردي وقيل لأن صاحب المال إذا رأى الفقير قبض جيبته وزوى عينيه وطوى عنه كشحه وولاه ظهره عن ابي بكر الوراق (هذا ما كنزتم لأنفسكم) أي يقال لهم في حال الكفي أوبعده هذا جزاء ما كنزتم وجمعتم المال ولم تؤدوا حق الله عنها وجعلتموها ذخيرة لأنفسكم (فذوقوا ما كنزتم) أي فذوقوا العذاب بسبب ما كنزتم فذوقوا ما كنزتم أي تجمعون وتمتعون حق الله منه فحذف لدلالة الكلام عليه وقال رسول الله ﷺ ما من عبد له مال ولا يؤدي زكاته إلا جمع يوم القيامة صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى به جيبته وجنباه وظهره حتى يقضي الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله اما إلى الجنة واما إلى النار وأورده مسلم بن الحجاج في الصحيح وروي ثوبان عن النبي ﷺ قال من ترك كنزا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يتبعه ويقول وبلك ما أنت فيقول أنا كنزك الذي تركت بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقصمها ثم يتبعه سائر جسده وروي الثعلبي باسناده عن الأعمش عن المعمر بن سويد عن ابي ذر قال أتيت رسول الله ﷺ وهو في ظل الكعبة فلما رأيته قد أقبلت قال هم الأخرسون ورب الكعبة هم الأخرسون ورب الكعبة قال فدخاني غم وجعلت اتنفس وقلت هذا شيء حدث في قال قلت من هم فدك أبي وأمي قال الا كثرون إلا من قال بللالم في عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وشماله ومن خلفه وقليل ما هم وروي عن ابي ذر انه قال من ترك بيضاء او حمراء كوي به يوم القيامة X

قوله تعالى (٣٦) إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا

المُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ آيَةٌ

✽ القراءة ✽

قرأ أبو جعفر اثنا عشر واحدا عشر وتسعة عشر بسكون العين والباقون بفتحها

✽ الحجة ✽

الوجه في ذلك ان الاسمين لما جعلوا كالا اسم الواحد وبني الأول منها لأنه كصدر الاسم والثاني منها لتضمنه معنى واو العطف جعل تسكين أول الثاني دليلاً على انها قد صارا كالا اسم الواحد

✽ اللفظة والاعراب ✽

كافة بمعنى الإحاطة مأخوذ من كافة الشيء وهي حرفه واذا انتهى الشيء الى ذلك كف عن الزيادة واصل الكف المنع ومنه المكفوف وهو المتنوع البصر وكافة نصب على المصدر ولا يدخل عليها الألف واللام لأنه من المصادر التي لا تتصرف لوقوعه موقع معا وجميعا بمعنى المصدر الذي في موضع الحال المؤكدة فهو في لزوم النكرة نظير اجمعين في لزوم المعرفة هذا قول الفراء وقال الزجاج كافة تنصب على الحال وهو مصدر على فاعله كالعافية والعاقبة وهو في موضع قاتلوا المشركين محيطين بهم باعتقاد مقاتلتهم ولا يثنى ولا يجمع فلا يقال قاتلوهم كقات ولا كافين كما انك اذا قلت قاتلوهم عامة لم تثن ولم تجمع وكذلك خاصة هذا مذهب النحويين

✽ المعنى ✽

لما ذكر الله سبحانه وعيد الظالم لنفسه بكنز المال من غير اخراج الزكاة وغيرها من حقوق الله منه اقتضى ذلك ان يذكر التهي عن مثل حاله وهو الظلم في الاشهر الحرم الذي يؤدي الى مثل حاله او شر منه في المنقلب فقال (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) اي عدد شهور السنة في حكم الله وتقديره اثنا عشر شهرا وإنما تعبد الله المسلمين ان يجعلوا سنينهم على اثني عشر شهراً ليوافق ذلك عدد الأهلة ومنازل القمر دون ما دان به أهل الكتاب والشهر مأخوذ من شهرة الأمر لحاجة الناس اليه في معاملاتهم ومحل ديونهم وحجهم وصومهم وغير ذلك من مصالحهم المتعلقة بالشهور وقوله (في كتاب الله) معناه فيما كتب الله في اللوح المحفوظ وفي الكتب المنزلة على انبيائه وقيل في القرآن وقيل في حكمه وقضائه عن ابي مسلم وقوله (يوم خلق السماوات والأرض) متصل بقوله عند الله والعامل فيها الاستقرار وإنما قال ذلك لأنه يوم خلق السماوات والأرض أجرى فيها الشمس والقمر وبسيرهما تكون الشهور والأيام وبها تعرف الشهور (منها أربعة حرم) اي من هذه الاثني عشر شهراً أربعة اشهر حرم ثلاثة منها سرد ذو القعدة وذو الحجة والحرم وواحد فريدهو رجب ومعنى حرم انه يعظم انتهاك المحارم فيها أكثر مما يعظم في غيرها وكانت العرب تعظمها حتى لو ان رجلاً لقي قاتل أبيه فيها لم يهجه لحرمتها وإنما جعل الله تعالى بعض هذه الشهور أعظم حرمة من بعض لما علم من المصلحة في الكف عن الظلم فيها لعظم منزلتها ولأنه ربما أدى ذلك الى ترك الظلم أصلاً لانطفاء النائرة وانكسار الحمية في تلك المدة فإن الأشياء تجر الى اشكالها وشهور السنة الحرم سمي بذلك لتحريم القتال فيه وصفر سمي بذلك لأن مكة تصفر من الناس فيه اي تخلو وقيل لأنه وقع وباء فيه فاصفرت وجوههم وقال ابو عبيدة سمي بذلك لأنه صفرت فيه اوطابهم عن اللبن وشهرا ربيع سمي بذلك لانبات الأرض وازراعها فيها وقيل لارتباع القوم اي إقامتهم وجماديان سمي بذلك لجمود الماء فيها ورجب سمي بذلك لأنهم كانوا يرجونه اي يعظمونه يقال رجبته ورجبته بالتخفيف والتشديد قال الكميث

ولا غيرهم ابني لنفسي جنة ولا غيرهم من أجل وأزجب

وقيل سمي بذلك لترك القتال فيه من قولهم رجل ارجب إذا كان أقطع لا يمكنه العمل وزوي عن النبي

انه قال ان في الجنة نهراً يقال له رجب ماؤه أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل من صام يوماً من رجب شرب منه وشعبان سمي بذلك لتشعب القبائل فيه عن ابي عمرو وروى زياد بن ميمون ان النبي ﷺ قال إنما سمي شعبان لأنه بشعب فيه خير كثير لرمضان وشهر رمضان سمي بذلك لأنه يرمض الذنوب وقيل سمي بذلك لشدة الحر وقيل ان رمضان من اسماء الله وشوال سمي بذلك لأن القبائل كانت تشول فيه اي تبرح عن أمكنتها وقيل لسولان النوق اذ نابها فيه وذو القعدة سمي بذلك لعودهم فيه عن القتال وذو الحجة لقضاء الحج فيه (ذلك الدين القيم) اي ذلك الحساب المستقيم الصحيح لاما كانت العرب تفعله من النسي ومنه قوله الكبيس من دان نفسه اية حاسبها وسمي الحساب ديننا لوجوب الدوام عليه ولزومه كلزوم الدين والعبادة وقيل معناه ذلك القضاء المستقيم الحق عن الكبي وقيل معناه ذلك الدين تعبد به فهو اللازم (فلا تظلموا فيهن) اي في هذه الشهور كلها عن ابن عباس وقيل في هذه الاشهر الحرم الأربعة عن قتادة واختاره الفراء قال لأنه لو أراد الأثني عشر شهراً لقال فيها (انفسكم) بترك أوامر الله وارتكاب نواهيه وإذا عاد الضمير إلى جميع الشهور فإنه يكون نهيًا عن الظلم في جميع العمر وإذا عاد إلى الأشهر الحرم ففائدة التخصيص ان الطاعة فيها أعظم ثوابا والمعصية اعظم عقابا وذلك حكم الله في جميع الاوقات الشريفة والباق المقتدسة (وقاتلوا المشركين كافة) اي قاتلوهم جميعاً مؤتلفين غير محتلفين (كما يقاتلونكم كافة) أي جميعاً كذلك فتكون كافة حالاً عن المسلمين ويجوز ان تكون حالاً من المشركين اي قاتلوا المشركين جميعاً ولا تمسكوا منهم بعهد ولا ذمة إلا من كان من أهل الجزية واعطاها عن صغار والظاهر هو الأول وقيل معناه قاتلوهم خلفاً بعد سلف كما انه يخلف بعضهم بعضاً في قتالكم عن الأصم (واعلموا ان الله مع المتقين) بالنصرة والولاية وفي هذه الآية دلالة على أن الاعتبار في السنين بالشهور القمرية لا بالشمسية والاحكام الشرعية معلقة بها وذلك لما علم الله سبحانه فيه من المصلحة ولسهولة معرفته ذلك على الخاص والعام

قوله تعالى (٣٧) **إِنَّمَا النَّسِيُّ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوهُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر النسي بالتشديد من غير همز وقرأ جعفر بن محمد عليهما السلام والزهري عن النسي مخففا في وزن الهدى بغير همز وروى عن مثل ذلك ايضا عن شبيل عن ابن كثير والباقون النسي بالمد والهمز وقرأ بضل بضم الياء وفتح الضاد اهل الكوفة غير ابي بكر وقرأ بضل بضم الياء وكسر الضاد ابو قتيبة وفيه من طريق ابن مقسم عن ابي عمرو ورويس عن يعقوب والباقون بضل بفتح الياء وكسر الضاد

— الحجة —

قال ابو علي النسي مصدر كالنذير والنكير وعذير المحي ولا يجوز ان يكون فعيلًا بمعنى مفعول كما قاله بعض الناس لأنه ان حمل على ذلك كان معناه إنما المؤخر زيادة في الكفر والمؤخر الشهر وليس الشهر نفسه بزيادة في الكفر وإنما الزيادة في الكفر تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر ليست له تلك الحرمة فأما نفس الشهر فلا واما ما روي عن النسي بالياء فذلك يكون على ابدال الياء من الهمزة ولا اعلمها لغة في التأخير كما ان ارجيت لغة في ارجأت وما روي عن النسي بتشديد الياء فعلى تخفيف الهمزة وليس هذا القلب مثل القلب في النسي بالياء لأن النسي بتشديد الياء على وزن فعيل تخفيف قياسي كما ان مقروءة في مقروءة تخفيف قياسي وليس

النسي كذلك وذكر ابن جنبي فيه ثلاثة اوجه * احدها * ان يكون اراد النسي ثم خفف بأن ابدلت الهمزة ياء كما قال الشاعر «هي التراب فوقه اهبابا» اراد اهباء * والثاني * ان يكون فعلا من نسبت لأن الشيء اذا اخر فكأنه نسي * والثالث * وفيه الصنعة ان يكون اراد النسي على فعيل ثم خفف وادغم فصار النسي ثم قصر فعلا بحذف يائه فصار نسي ثم اسكن عين فعل فصار نسي كما قيل في سميح سمح وفي رطيب رطب وفي جديب جديب فأما قوله بضل فليس في بضل اشكال ولا في بضل لأن المضل لغيره ضال فعله اضلال غيره فأما بضل فالمعنى فيه ان كبراءهم واشرافهم بضلونهم بمحملهم على هذا التأخير في الشهور وقرئ في الشواذ بضل بفتح الياء والضاد وهذه لغة اعني ضللت أضل

* اللغة *

قال ابو زيد نسات الإوبل في ظمنها يوماً او يومين او اكثر من ذلك والمصدر النسي يقال نسات الإوبل عن الحوض انساها نساء اذا اخرتها عنه والمواطةء المواقفه يقال واطأ في الشعر إذا قال بيتين على قافية واحدة وأوطأ مثله

- المعنى -

لما قدم سبحانه ذكر السنة والشهر عقبه بذكر ما كانوا يفعلونه من النسي فقال (انما النسي زيادة في الكفر) يعني تأخير الأشهر الحرم عما رتبها الله سبحانه عليه وكانت العرب تحرم الشهور الأربعة وذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم واسماعيل وهم كانوا اصحاب غارات وحروب فرميا كان يشق عليهم ان يمكثوا ثلاثة اشهر متوالية لا يغزون فيها فكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم فيمكثون بذلك زمنا ثم يزول التحريم إلى المحرم ولا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة قال ابن عباس ومعنى قوله زيادة في الكفر انهم كانوا أحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله قال الفراء والذي كان يقوم به رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان رئيس الموسم فيقول انا الذي لا اعب ولا أخاب ولا يرذلني قضاء فيقولون نعم صدقت انشأ شهرراً او أخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر وأحل المحرم فيفعل ذلك والذي كان ينسأها حين جاء الإسلام جنادة بن عوف بن أمية الكناني قال ابن عباس وأول من سن النسي عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف وقال ابو مسلم بن اسلم بل رجل من بني كنانة يقال له القلمس كان يقول اني قد نسات المحرم العام وهما العام صفران فإذا كان العام القابل قضينا فجعلناها محرمين قال شاعرهم «ومنا ناسي الشهر القلمس» وقال الكمي

ونحن الناسون على معد شهور الحل نجعلها حراما

وقال مجاهد كان المشركون يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في الشهور حتى وافقت الحجة التي قبل حجة الوداع في ذي القعدة ثم حج النبي ﷺ في العام القابل حجة الوداع فوافقت في ذي الحجة فذلك حين قال النبي ﷺ وذكر في خطبته إلا وإن الزمان قد استدار كهيثة يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان أراد عليه السلام الأشهر الحرم رجعت إلى مواضعها وعاد الحج إلى ذي الحجة وبطل النسي (بضل به الذين كفروا) اي بضل بهذا النسي الذين كفروا ومن قرأ بضم الباء فمعناه بضلون به غيرهم واضلأهم انهم فعلوا ذلك ليحللوا للناس الأشهر الحرم التي حرم الله القتال فيها ووجب الحج في بعضها فيستحلون ترك الحج في الوقت الذي هو واجب فيه وبوجوبه في الوقت الذي لا يجب فيه وجوزوا ذلك عليهم حتى ضلوا باتباعهم (يحلونه عاما ويحرمونه عاما) اي يجعلون الشهر الحرام حلالا اذا احتاجوا إلى القتال فيه ويجعلون الشهر الحلال حراما ويقولون شهر بشهر وإذا لم يحتاجوا إلى القتال لم يفعلوا ذلك (ليواطئوا عدة ما حرم الله) معناه انهم لم يحلوا شهراً من الحرم إلا حرموا مكانه شهراً من الحلال

ولم يجرموا شهراً من الحلال إلا أحلوا مكانه شهراً من الحرم ليكون موافقه في العدد وذلك المواطة (زين لهم
سوء أعمالهم) اي زينت لهم انفسهم او زين لهم الشيطان سوء أعمالهم عن الحسن وقيل معناه استحسنا ذلك
بهواهم (والله لا يهدي القوم الكافرين) مر تفسيره

قوله تعالى (٣٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَّا قَلَّمْ
إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ
(٣٩) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيتان

اللغة

النفرة الخروج إلى الشيء لأمر هيج عليه ومنه قور الدابة يقال قورت الدابة قورا وقر إلى الثغر قرا ونقير
والتناقل تعاطي اظهار ثقل النفس ومثله الباطو وضده التسرع والمتاع الانتفاع بما يظهر للحواس ومنه قولهم تمتع
بالرياض والمناظر الحسان ويقال للأشياء التي لها اثمان متاع تشبيها به والاستبدال جعل احد الشيئين بدل الاخر
مع الطلب له

الاعراب

اناقلتم افاعلتهم وأصله تفاعلتهم ادغمت التاء في التاء لمناسبتها لها ثم ادخلت الف الوصل ليتمكن الابتداء بها
ومثله اداركوا واتابع في قول الشاعر

تولى الضجيج إذا ما استاقها خصرها عذب المضاق إذا ما اتابع القبل

النزول

قالوا لما رجع رسول الله ﷺ من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم وذلك في زمان ادراك الثار فأحبوا
المقام في المسكن والمال وشق عليهم الخروج إلى القتال وكان (ع) فلما خرج في غزوة إلا كنى عنها ووري غيرها
إلا غزوة تبوك لبعدها شقتها وكثرة العدو ليتأهب الناس فأخبرهم بالذي يريد فلما علم الله سبحانه تناقل
الناس أنزل الآية

المعنى

ثم عاتب سبحانه المؤمنين في التناقل عن الجهاد فقال (يا ايها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم) أي
دعاكم رسول الله ﷺ وقال لكم (انفروا في سبيل الله) أي اخرجوا إلى مجاهدة المشركين وهو ههنا غزوة
تبوك عن الحسن ومجاهد (اناقلتم إلى الأرض) أي تناقلتم وملتم إلى الإقامة في الأرض التي أنتم عليها قال
الجبائي هذا الاستبطاء مخصوص بنفر من المؤمنين لأن جميعهم لم يتناقلوا عن الجهاد فهو عموم أريد به الخصوص
بدليل (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) هذا استفهام يراد به الانكار ومعناه آثرتم الحياة الدنيا الفانية على
الحياة في الآخرة الباقية في النعيم الدائم (فاما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) أي فوائده الدنيا
ومقاصدها في فوائده الآخرة ومقاصدها الاقليل لا تقطع هذه ودوام تلك ثم عقبه سبحانه بالتهديد والوعيد فقال
(ان لا تنفروا يعذبكم الله عذابا ألينا) ومعناه ان لا تخرجوا إلى القتال الذي دعاكم اليه الرسول وتقعدهوا عنه
يعذبكم الله عذابا اليماوما في الآخرة وقيل في الدنيا (ويستبدل) بكم (قوما غيركم) لا يتخلفون عن الجهاد وقيل هم
أبناء فارس عن سعيد بن جبير وقيل هم أهل اليمن عن ابي روق وقيل هم الذين أسلموا بعد نزول هذه الآية عن

الجبائي (ولا تنصروه شيئاً) أي ولا تنصروا الله بهذا القعود شيئاً لأنه غني لنفسه لا يحتاج إلى شيء عن الحسن وابي علي وقيل معناه ولا تنصروا الرسول شيئاً لأن الله عصمه من جميع الناس وينصره بالملائكة أو يقوم آخريين من المؤمنين (والله على كل شيء قدير) فهو القادر على الاستبدال بكم وعلى غير ذلك من الأشياء قال الزجاج وهذا وعيد شديد في التخلف عن الجهاد

قوله تعالى (٤٠) **إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** آية

✽ القراءة ✽

قرأ يعقوب وحده كلمة الله بالنصب والباقون بالرفع

✽ الحجة ✽

من نصب عطفه على قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وجعل كلمة الله هي العليا ومن رفع استأنف وهو أبلغ لأنه يفيد ان كلمة الله هي العليا على كل حال

✽ الاعراب ✽

ثاني اثنين نصب على الحال وللعرب في هذا مذهبان **✽ احدهما ✽** قولهم هذا ثاني اثنين وثالث ثلاثة ورابع اربعة وخامس خمسة أي احد اثنين واحد ثلاثة واحد اربعة واحد خمسة **✽ والآخر ✽** قولهم ثالث اثنين وخامس اربعة بمعنى انه ثلث اثنين وخمس اربعة فالاول اضافة حقيقية محضة والثاني اضافة غير محضة اذ هو في تقدير الانفصال اذ هما في الغار بدل من قوله إذاخرجه الذين كفروا وضع احدا الزمانين في موضع الآخر لتقاربها - المعنى -

ثم أعلمهم الله سبحانه انهم ان تر كوا نصرة رسوله لم يضروه ذلك شيئاً كما لم يضروه قلة ناصر به حين كان بمكة وهم به الكفار فتولى الله نصره فقال (الاتنصروه فقد نصره الله) معناه ان لم تنصروا النبي **ﷺ** على قتال العدو فقد فعل الله به النصر (إذاخرجه الذين كفروا) من مكة فخرج يريد المدينة (ثاني اثنين) يعني انه كان هو وابو بكر (إذ هما في الغار) ليس معهما ثالث اي وهو احد اثنين ومعناه فقد نصره الله منفرداً من كل شيء إلا من ابي بكر والغار الثقب العظيم في الجبل وأراد به هنا غار ثور وهو جبل بمكة (إذ يقول لصاحبه) اي اذ يقول الرسول لأبي بكر (لا تحزن) اي لا تخف (ان الله معنا) يريد انه مطلع علينا عالم بجاننا فهو يحفظنا وينصرنا قال الزهري لما دخل رسول الله **ﷺ** وابو بكر الغار أرسل الله زوجاً من حمام حتى باضا في اسفل الثقب والعنكبوت حتى تنسج بيتاً فلما جاء مراقبة بن مالك في طلبها فرأى بيض الحمام وبيت العنكبوت قال لو دخله أحد لانكسر البيض وتفسخ بيت العنكبوت فانصرف وقال النبي **ﷺ** اللهم اعم ابصارهم فعميت ابصارهم عن دخوله وجعلوا يضربون بيئاً وشالاً حول الغار وقال ابو بكر لو نظروا إلى أقدامهم لرأونا وروى علي بن ابراهيم بن هاشم قال كان رجل من خزاعة فيهم يقال له ابو كرز فما زال يقفوا اثر رسول الله **ﷺ** حتى وقف بهم باب الغار فقال لهم هذه قدم محمد **ﷺ** هي والله أخت القدم التي في المقام وقال هذه قدم ابي قحافة او ابنه وقال ما جازوا هذا المكان اما ان يكونوا قد صدوا في السماء او دخلوا في الأرض وجاء فارس من الملائكة في صورة الانس فوقف على باب الغار وهو يقول لهم اطلبوه في هذه الشعاب فليس ههنا وكانت العنكبوت نسجت على باب الغار ونزل رجل من قريش فبال على باب الغار فقتل ابو بكر قد أبصرونا يا رسول الله فقال **ﷺ** لو ابصرونا ما استقبلونا بعوراتهم (فأنزل الله سكينته

(عليه) يعني على محمد صلى الله عليه وآله وسلم أي التقى في قلبه ما سكن به وعلم أنهم غير وإصاين إليه عن الزجاج (وأيدته) أي قواه ونصره (بجنود لم تروها) أي بملائكة بضربون وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه عن الزجاج وقيل معناه قواه بملائكة يدعون الله تعالى له عن ابن عباس وقيل معناه وإعانه بالملائكة يوم بدر وأخبر الله سبحانه أنه صرف عنه كيد أعدائه وهو في الغار ثم أظهر نصره بالملائكة يوم بدر عن مجاهد والكبي وقال بعضهم يجوز أن تكون الهاء التي في عليه راجعة إلى أبي بكر وهذا بعيد لأن الضائر قبل هذا أو بعده تعود إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلا خلاف وذلك في قوله إلا تنصروه فقد نصره الله وفي قوله إذ أخرجه قوله لصاحبه وقوله فيما بعده وأيدته فكيف يتخللها ضمير عائذ إلى غيره هذا وقد قال سبحانه في هذه السورة ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وقال في سورة الفتح أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وقد ذكرت الشيعة في تخصيص النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية بالسكينة كلاماً رأينا الأضراب عن ذكره أحرى لثلاثاً ينسبنا ناسب إلى شيء (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) معناه أن الله سبحانه جعل كلمتهم نازلة ذنية وإراد به أنه سفلى وعيدهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتخويلهم إياه وأبطله بأن نصره عليهم فعبّر عن ذلك بأنه جعل كلمتهم السفلى لا أنه خلق كلمتهم (وكلمة الله هي العليا) أي هي المرتفعة المنصورة بغير جعل جاعل لأنها لا يجوز أن تدعو إلى خلاف الحكمة وقيل إن كلمة الكفار كلمة الشرك وكلمة الله هي كلمة التوحيد وهي قوله لا إله إلا الله فمعناه جعل كلمة الكفار السفلى بأن جعلهم أذلة أسفلين وأعلى كلمة الله بأن أعز الإسلام والمسلمين (والله عزيز) في انتقامه من أهل الشرك (حكيم) في تدبيره

قوله تعالى (٤١) انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (٤٢) لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لا تتبعوك ولسكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو أسنطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون (٤٣) عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

في الشواذ قراءة الأعمش لو استطعنا بضم الواو وقد مضى الكلام فيه في أوائل سورة البقرة

✽ اللفظة ✽

القاصد السهل المقصد عن غير طول لأنه ما يقصد سهولته وسمي العدل قصداً لأنه ما ينبغي أن يقصد والشقة القطعة من الأرض التي يشق ركوبها على صاحبها لبعدها ويحتمل أن يكون من الشق الذي هو الناحية من الجبل ويحتمل أن يكون من المشقة والشقة السفر والمسافة وقريش بضمون الشين وقيس يكسرونها وقريش بضمون العين من بعدت وقيس يكسرونها

— المعنى —

ثم أمر سبحانه بالجهاد وبين تأكيد وجوبه على العباد فقال (انفروا) أي اخرجوا إلى الغزو (خفافاً وثقالاً) أي شباناً وشيوخاً عن الحسن ومجاهد وعكرمة والضحاك وغيرهم وقيل نشاطاً وغير نشاط عن ابن عباس وقتادة وقيل مشاغيل وغير مشاغيل عن الحكم وقيل اغنياء وفقراء عن أبي صالح وقيل أراد بالخفاف أهل العسرة من المال وقلة العيال وبالثقال أهل اليسرة في المال وكثرة العيال عن الفراء وقيل معناه ركباناً ومشاة عن أبي عمرو وعطية العوفي وقيل ذا صنعة وغير ذي صنعة عن ابن زيد وقيل عزاباً ومتأهلين عن يمان والوجه أن يحمل على الجميع فيقال

معناه اخرجوا الى الجهاد خف عليكم او شق على أي حالة كنتم لأن احوال الانسان لا تخلو من أحد هذه الأشياء (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) وهذا يدل على ان الجهاد بالنفس والمال واجب على من استطاع بها ومن لم يستطع على الوجهين فعليه ان يجاهد بما استطاع (ذلكم خير لكم) معناه ان الخروج والجهاد بالنفس والمال خير لكم من الثاقل وترك الجهاد الى مباح (ان كنتم تعلمون) ان الله عز اسمه صادق في وعده ووعدته وقيل معناه ان كنتم تعلمون الخير في الجملة فاعلموا ان هذا خير قال السدي لما نزلت هذه الآية اشتد شأنها على الناس فنسخها الله تعالى بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية (لو كانت عرضاً قريباً) معناه لو كان ما دعوتهم اليه غنيمة حاضرة (وسفراً قاصداً) اي قريباً هيئاً وقيل قاصداً اي ذا قصد نحو تاصروا لابن عن المبرد وقيل سهلاً متوسطاً غير شاق (لا تبعوك) طمعاً في المال (ولكن بعدت عليهم الشقة) اي المسافة يعني غزوة تبوك أمروا فيها بالخروج الى الشام (وسيحلفوا بالله لو استطعنا لخرجنا معكم) معناه ان هؤلاء سبعتذرون اليك في قومهم عن الجهاد ويحلفون لو استطعنا وقد رنا وتمكنا من الخروج لخرجنا معكم ثم اخبر سبحانه انهم (يهلكون أنفسهم) بما امرهم من الشرك وقيل باليمين الكاذبة والعدو الباطل لما يستحقون عليها من العقاب (والله يعلم انهم لكاذبون) في هذا الاعتذار والحلف وفي هذه دلالة على صحة نبوة نبينا ﷺ اذ أخبر أنهم سيحلفون قبل وقوعه فحلفوا وكان مخبره على ما أخبر به وفيه أيضاً دلالة واضحة على أن القدرة قبل الفعل لأن هؤلاء لا يخلو اما ان يكونوا مستطيعين من الخروج قادرين عليه ولم يخرجوا أو لم يكونوا قادرين عليه وانما حلفوا لو انهم قدروا في المستقبل لخرجوا فإن كان الأول فقد ثبت ان القدرة قبل الفعل وان كان الثاني فقد كذبهم الله تعالى في ذلك وبين انه لو فعل لهم الاستطاعة لما خرجوا وفي ذلك أيضاً وجوب تقدم القدرة على المقدور فإن حلوا الاستطاعة على وجود الآلة وعدة السفر فقد تركوا الظاهر من غير ضرورة فإن حقيقة الاستطاعة القدرة على انه لو كان عدم الآلة والعدة عذراً في التأخر فعدم القدرة اصلاً أحرى وأولى أن يكون عذراً فيه ثم خاطب النبي ﷺ بما فيه بعض العتاب في اذنه لمن استأذنه في التأخر عن الخروج معه الى تبوك فقال (عفا الله عنك لم اذنت لهم) في التخلف عنك قال قتادة وعمر بن ميمون اثنان فعلمنا النبي ﷺ لم يؤمر بها اذنه للمناقضين وأخذ الفداء من الاسارى فعاتبه الله كما تسمعون وهذا من لطيف المعاتبه بدأه بالعفو قبل العتاب وهل كان هذا الاذن قبيحاً ام لا قال الجبائي كان قبيحاً ووقع صغيراً لانه لا يقال في المباح لم فعلته وهذا غير صحيح لأنه يجوز ان يقال فيما غيره افضل منه لم فعلته كما يقول القائل لغيره اذ اراه هاتب اخاه لم عاتبته وكلمته بما يشق عليه وان كان يجوز له معاتبته بما يشق عليه وكيف يكون اذنه لهم قبيحاً وقد قال سبحانه في موضع آخر فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم وقيل معناه اذام الله لك العفو لم اذنت هؤلاء في الخروج لأنهم استأذنوا فيه فمما قالوا لخرجوا الا رادوا الخبال والفساد ولم يعلم النبي ﷺ ذلك من سريرتهم عن ابي مسلم (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) أي حتى تعرف من له العذر منهم في التخلف ومن لا عذر له فيكون اذنتك لمن اذنت له على علم قال ابن عباس وذلك ان رسول الله ﷺ لم يكن يعرف المنافقين يومئذ وقيل انه (ع) انما خبرهم بين الظمن والاقامة متوعداً لهم ولم يأذن فاغتنم القوم ذلك وفي هذا اخبار من الله سبحانه انه كان الاولى ان يلزمهم الخروج معه حتى إذا لم يخرجوا أظهر نفاقهم لأنه متى أذن لهم ثم تأخروا لم يعلم النفاق كان تأخرهم

أم لغيره وكان الذين استأذنوه منافقين ومنهم جد بن قيس ومعتب بن قشير وهما من الأنصار
 قوله تعالى (٤٤) لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
 وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٥) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (آيتان)

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه حال المؤمنين والمنافقين في الاستئذان فقال (لا يستأذنك) أي لا يطلب منك الاذن
 في القعود عن الجهاد معك بالمعاذير الفاسدة وقبل معناه لا يستأذنك في الخروج لأنه مستغن عنه بدعائك
 إلى ذلك بل يتأهب له عن ابي مسلم (الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم)
 والمعنى في ان يجاهدوا فحذف في فافضى الفعل (والله عليم بالمتقين) قال ابن عباس هذا تعبير للمنافقين حين
 استأذنوه في القعود عن الجهاد وعذر للمؤمنين في قوله لم يذهبوا حتى يستأذنوه والمعنى أنه لم يخرجهم من صفة
 المتقين إلا لأنه علم انهم ليسوا منهم (إنما يستأذنك) في التأخر عن الجهاد والنخلف عن القتال معك وقيل في
 الخروج لأن المنافق إنما يستأذنك في الخروج تلقا ولا يتأهب كما يتأهب المؤمنون عن ابي مسلم (الذين
 لا يؤمنون بالله) أي لا يصدقون به (واليوم الآخر) يعني بالبعث والنشور (وارتابت قلوبهم) أي اضطربت
 وشكت (فهم في ريبهم يترددون) فهم في شكهم يذهبون ويرجعون والتردد هو التصرف بالذهاب والرجوع
 مرات متقاربة مثل التحير وأراد به المنافقين أي يتوقعون الاذن لشكهم في دين الله وفيما وعد المجاهدين ولو
 انهم كانوا مخلصين لوثقوا بالنصر وبثواب الله فبادروا إلى الجهاد ولم يستأذنوك فيه

قوله تعالى (٤٦) وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ
 وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٧) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا إِلَّا لَكُمْ
 يَبْغُونَكُمْ مِنَ الْفِتْنَةِ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٨) لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ
 وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (ثلاث آيات)

✽ اللغة ✽

العدة والاهبة والالة نظائر والانبعاث الانطلاق بسرعة في الأمر وفلان لا ينبعث في الحاجة اي
 ليس له نفاذ فيها والتثبيط التوقيف عن الأمر بالتزهد فيه ومثله التزبيث والخبال الفساد والخبال الموت
 والخبال الاضطراب في الرأي والخبال بسكون الباء وفتحها الجنون والخبال فساد الأعضاء قال

ابني لبني استمُ بيد إلا يداً مخبولة العضد

والإبضاع الإسراع في السير قال امرؤ القيس

أرانا موضعين حتم غيب ونسخر بالطعام وبالشراب

وربما قالوا للركب وضع بغير الف ووضعت الناقة تضع وضعا ووضعها ووضعها إبضاعا قال

ياليتني فيها جذع اخب فيها وأضع

خلالكم اي بينكم مشتق من التخلل وفي الحديث تراصوا بين الصفوف لا يتخللکم الشياطين كأنها نبات
حذفت والتقليب تصرف الشي يجعل اعلاه اسفله ورجل حوّل قلب كأنه يقلب الآراء في الامور ويجوّلها

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء المنافقين فقال (ولو ارادوا الخروج) مع النبي ﷺ نصرته له او رغبة
في جهاد الكفار كما اراد المؤمنون ذلك (لا اعدوا له عدة) اي لا استعدادوا للخروج عدة وهي ما يعد لامر
يحدث قبل وقوعه والمراد لاخذوا اهبة الحرب من الكراع والسلاح لان ايمارة من اراد امراً ان يتأهب له
قبل حدوثه (ولكن كره الله انبعاثهم) معناه ولكن كره الله خروجهم الى الغزو لعلمه انهم لو خرجوا لكانوا
يمشون بالنميمة بين المسلمين وكانوا عيوناً للمشركين وكان الضرر في خروجهم اكثر من الفائدة (فتبسطهم) عن
الخروج الذي عزموا عليه لا عن الخروج الذي امرهم به لان الاول كفر والثاني طاعة ولا ينبغي ان
يقال كيف كره انبعاثهم بعد ما امر به في الآية الاولى لانه اذا امر بذلك على وجه الذب عن الدين ونية
الجهاد وكره ذلك على نية التضريب والفساد فقد كره غير ما امر به ومعنى تبسطهم بطأهم وخذلهم لما يعلم
منهم من الفساد (وقيل اعدوا مع القاعدن) اي وقيل لهم اعدوا مع النساء والصبيان ويحتمل ان يكون القائلون
لهم ذلك اصحابهم الذين نهوهم عن الخروج مع النبي ﷺ للجهاد ويحتمل ان يكون ذلك من كلام النبي
ﷺ لهم على وجه التهديد والوعيد لا على وجه الاذن ويجوز ان يكون ايضا على وجه الاذن لهم
في القعود الذي عاتبه الله تعالى عليه اذ كان الاولى ان لا يأذن لهم ليظهر للناس نفاقهم قال ابو مسلم هذا
يدل على ان الاستئذان كان في الخروج وان الاذن من النبي ﷺ لهم كان في الخروج لانه اذا كره
الله سبحانه خروجهم و اراد قعودهم واذن النبي ﷺ في قعودهم فلا عيب عليه ولكنهم استاذنوا في الخروج
تملقا و ارادة للفساد فاذن النبي ﷺ لهم فيه ولم يعلم ضمائرهم فعلم الله تعالى ذلك من نياتهم ومنعهم من
الخروج اذ كره خروجهم ثم بين سبحانه وجه الحكمة في كراهية انبعاثهم وتبسطهم عن الخروج فقال (لو
خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا) معناه لو خرج هؤلاء المنافقون معكم الى الجهاد ما زادوكم بخروجهم الا
شرا وفسادا وقيل غدرا ومكرا عن الضحاك وقيل يريد عجزاً وجبناً عن ابن عباس اي انهم كانوا يجبنونكم عن
لقاء العدو بهويل الامر عليكم (ولا وضعوا خلالكم) اي لا سراعوا في السدخول بينكم بالتضريب والافساد
والنميمة يريد ولسعوا فيما بينكم بالتفريق بين المسلمين ويكون تقديره ولا عدوا الا بل وسطكم وقيل معناه
لا وضعوا ابلهم خلالكم يتخلل الراكب الرجلين حتى يدخل بينهما فيقول ما لا ينبغي (يبغونكم الفتنة) بعدوا الا بل
وسطكم ومعنى يبغونكم يبغون لكم اوفيكم اي يطلبون لكم المحنة باختلاف الكلمة والفرقة وقيل معناه يبغونكم
ان تكونوا مشركين والفتنة الشرك عن الحسن وقيل معناه يخوفونكم بالعدو ويخبرونكم انكم منهزمون وان
عدوكم سيظهر عليكم عن الضحاك (وفيكم ساعوت لهم) اي وفيكم عيون للمنافقين ينقلون اليهم
ما يسمعون منكم عن مجاهد وابن زيد وقيل معناه فيكم قائلون منهم عند سماع قولهم يريد ضعف المسلمين
عن قتادة وابن اسحاق وجماعة (والله عليم بالظالمين) اي هؤلاء المنافقين الذين ظلموا انفسهم لما اضمروا
عليه من الفساد منهم عبد الله بن ابي وجد بن قيس واوس بن قبيط ثم اقسم الله سبحانه فقال (لقد ابتغوا
الفتنة من قبل) الفتنة اسم يقع على كل سوء وشر والمعنى لقد طلب هؤلاء المنافقون اختلاف كلمتكم

وتشتيت اهوائكم وافتراق آرائكم من قبل غزوة تبوك اية في يوم أحد حين انصرف عبد الله بن ابي
 باصحابه وخذل النبي ﷺ فصرف الله سبحانه عن المسلمين فتنتهم وقيل أراد بالفتنة صرف الناس عن
 الايمان والقاء الشبهة الى ضعفاء المسلمين عن الحسن وقيل أراد بالفتنة الفتك بالنبي ﷺ في غزوة تبوك
 ليلة العتبة وكانوا اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا على الثنية ليفتكوا بالنبي ﷺ عن سعيد بن جبير
 وابن جريج (وقبلوا الامور) أي احتالوا في توهين أمرك وايقاع الاختلاف بين المؤمنين وفي قتلك بكل
 ما امكهم فيه فلم يقدروا عليه وقيل انهم كانوا يريدون في كيدته وجهها من التدبير فاذا لم يتم ذلك فيه تركوه
 وطلبوا المكيدة في غيره فهذا تقلاب الامور عن ابي مسلم (حتى جاء الحق) معناه حتى جاء النصر والظفر
 الذي وعده الله به (وظهر أمر الله) أي دينه وهو الاسلام على الكفار على رغبتهم (وهم كارهون) أي في حال
 كراهيتهم لذلك فهي جملة في موضع الحال

قوله تعالى (٤٩) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي اَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَحِيْطَةٌ
 بِالْكَافِرِيْنَ (٥٠) اِنْ تُصِْبِكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَاِنْ تُصِْبِكَ سَيِّئَةٌ يَقُولُوْا قَدْ اَخَذْنَا اَمْرًا مِّنْ قَبْلُ
 وَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُوْنَ (٥١) قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا اِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُوْنَ (٥٢) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُوْنَ بِنَا اِلَّا اِحْدَى الْحُسَيْنِيْنَ وَنَحْنُ نَرَبَّصُ بِكُمْ اَنْ يُصِيبَكُمْ
 اللهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ اَوْ بِاَيْدِيْنَا فَتَرَبَّصُوْا اِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُوْنَ (اربع آيات)

❖ القراءة ❖

القراءة المشهورة ان يصيبنا وقرأ طلحة بن مصرف قل هل يصيبنا وكذلك هو في مصحف ابن مسعود

❖ النزول ❖

قيل ان رسول الله ﷺ لما استنفر الناس الى تبوك قال انفروا لعلمكم تغفون بنات الاصفر فقام جد
 ابن قيس أخو بني سلمة بن بني الخزرج فقال يا رسول الله ائذن لي ولا تفتني بينات الاصفر فاني أخاف
 ان افتتن بهن فقال قد اذنت لك فأنزل الله تعالى ومنهم من يقول ائذن لي الآيات عن ابن عباس ومجاهد
 فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لبني سلمة من سيدكم قالوا جد بن قيس غير انه بخيل جبان
 فقال عليه السلام وأي داء ادوى من البخل بل سيدكم الفتى الابيض الجعد بشر بن البراء بن المعرور فقال
 في ذلك حسان بن ثابت

وقال رسول الله والقول لاحق	وبن قال منا من تعدون سيدا
فقلنا له جد بن قيس على الذي	نبخله فينا وان كان انكدا
فقال واي الداء ادوى من الذي	رमितم به جدا وان كان امجدا
وسود بشر بن البراء لجوده	وحق لبشر ذي النداء ان يسودا
اذا ما اتاه الوفد انهب ماله	وقال خذوه انه عائد غدا

— المعنى —

(ومنهم) أي ومن المنافقين (من يقول ائذن لي) في القعود عن الجهاد (ولا تفتني) بينات الاصفر

عن ابن عباس ومجاهد قال الفراء سميت الروم أصفر لأن حبشيا غلب على ناحية الروم وكان له بنات قد أخذن من بياض الروم وسواد الحبشة فكان صفرا لعمى وقيل معناه لا تؤمنني اي لا توقعني في الاثم بالعصيان لمخالفة أمرك بالخروج الى الجهاد وذلك غير متيسر لي عن الحسن وقتادة والجبايي والزجاج (الا في الفتنة سقطوا) معناه الا في العصيان والكفر وقوموا بمخالفتهم أمرك في الخروج والجهاد وقيل معناه لا تعذبني بتكليف الخروج في شدة الحر الا قد سقطوا في حر اعظم من ذلك وهو حر نار جهنم عن ابي مسلم ويدل عليه قوله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا (وان جهنم لمحيطه بالكافرين) اي ستحيط بهم فلا مخلص لهم منها (ان تصبك حسنة تسوءهم) هذا خطاب من الله سبحانه للنبي ﷺ ومعناه ان تلك نعمة من الله وفتح وغنمة يحزن المنافقون (وان تصبك مصيبة) معناه وان تصبك شدة ونكبة وآفة في النفس او المال (يقولوا قد أخذنا امرنا من قبل) أي أخذنا حذرنا واحترزنا بالتعود من قبل هذه المصيبة عن مجاهد ومعناه أخذنا امرنا من مواضع الهلكة فسلمنا مما وقعوا فيه (ويتولوا وهم فرحون) اي رجعوا الى بيوتهم فرحين بما أصاب المؤمنين من الشدة (قل) يا محمد لهم (ان يصيبنا الا ما كتب الله لنا) اي كل ما يصيبنا من خير او شر فهو ما كتبه الله في اللوح المحفوظ من امرنا وليس على ما يظنون ويتوهمون من اهلنا من غير ان يرجع امرنا الى تدبير عن الحسن وقيل معناه لن يصيبنا في عاقبة امرنا الا ما كتب الله لنا في القرآن من النصر الذي وعدنا وانا نظفر بالاعداء فتكون النصرة حسنى لنا او تقتل فتكون الشهادة حسنى لنا ايضا اي فقد كتب الله لنا ما يصيبنا وعلما ما لنا فيه من الحظ عن الزجاج والجبايي (هو مولانا) اي هو مالكا ونحن عبده وقيل هو ولينا وناصرنا يحفظنا وينصرنا ويتولى حياتنا ودفع الضرر عنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) هذا امر من الله تعالى للمؤمنين بالتوكل عليه والرضا بتدبيره وتقديره فليتوكل على الله المؤمنون (قل) يا محمد لهؤلاء المنافقين (هل تربصون بنا الا احدهم الحسينين) معناه هل تنتظرون لنا الا احدي الخصميتين الحميدتين والتمنتين العظيمتين إما الغلبة والغنمة في العاجل وإما الشهادة مع الثواب الدائم في الآجل عن ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم وهل وان كان حرف الاستفهام فعننا هنا التفرغ بالتربص المؤدي صاحبه الى كل ما يكرهه من خيبة وفوز خصمه ومن هلاكه ونجاة خصمه ومن شقوته وسعادة خصمه (ونحن نتربص بكم) اي ونحن نتوقع بكم (ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بأيدينا) اي يوقع الله بكم عذابا من عنده يهلككم به او بان ينصرنا عليكم فيقتلكم بأيدينا (فتربصوا) صورته صورة الأصر والمراد به التهديد كقوله اعملوا ما شئتم لأنه لو كان امرا لهم لكانوا في تربصهم بالمؤمنين القتل مطيعين الله (انا معكم متربصون) اي منتظرون إما الشهادة والجنة وإما الغنمة والاجر لنا وإما البقاء في الذل والخزي وإما الموت او القتل مع المصير الى النار لكم وهذه الآية تفسير لقوله تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقيل معناه فتربصوا هلاكنا فاننا متربصون هلاككم وقيل تربصوا مواعيد الشيطان في ابطال دين الله ونحن متربصون مواعيد الله في اظهار دينه ونصرة نبيه واستئصال مخالفه

قوله تعالى (٥٣) قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ

(٥٤) وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ

إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٥) فَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ
 اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ان يقبل بالياء والباقون بالتاء

✽ الحجة ✽

وجه القراءة بالتاء ان الفعل مسند إلى مؤنث في اللفظ ووجه الياء ان التأنيث ليس بحقيقي فجاز ان
 يذكر كما جاء فمن جاءه موعظة

✽ اللغة ✽

الطوع الاقنياد بإرادة لم يحمل عليها والكراهة فعل الشيء بكراهة حمل عليها والمنع امر يصاد الفعل وينافيه
 وهو على وجهين منع أن يفعل ومنع ان يفعل به فهو لاء منعوا من ان يفعل بهم قبول نفقتهم والزهق الخروج
 بصعوبة وأصله الهلاك وكل هالك زاهق زهق يزهق زهوقا والزاهق من الدواب السمين الشديد السمن
 لانه هالك ينقل بدنه في السير والكر والفر وزهق فلان بين ايدي القوم إذا ذهب سابقا لهم حتى يهلك منهم
 والاعجاب السرور بما يعجب منه يقال اعجبني حديثه اي سرني

✽ الاعراب ✽

انفقوا طوعا او كرها لفظ امر ومعناه معنى الشرط والجزاء المعنى ان انفقتم طائعين أو مكريهين لن
 يتقبل منكم ومثله من الشعر قول كثير

اسيحي بنا او احسني لاملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت

فلم يأمرها بالإساءة ولكن اعلمها ان اساءت أو أحسنت فهو على عهدا فكأنه قال ان أحسنت أو أسأت
 فلا تلامي قال الزجاج فان قال قائل كيف يكون الأمر في معنى الخبر قيل له إذا كان في الكلام دليل
 عليه جاز كما يكون لفظ الخبر في معنى الأمر والدعاء كقولك غفر الله لزيد ورحمه الله ومعناه اللهم اغفر
 له وارحمه وقوله ان تقبل في موضع نصب وتقديره من ان تقبل وانهم كفروا بالله في موضع رفع المعنى
 ما منعهم من قبول نفقاتهم إلا كفرهم ويجوز ان يكون التقدير وما منعهم الله منه إلا لأنهم كفروا

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه ان هؤلاء المنافقين لا ينفقون بما ينفقونه مع اقامتهم على الكفر فقال (قل) يا محمد
 هؤلاء (انفقوا طوعا أو كرها) أي طائعين أو مكريهين (ن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين) معناه
 وانما لم يتقبل منكم لأنكم كنتم متمردين عن طاعة الله والله سبحانه انما يتقبل من المؤمنين المخلصين (وما منعهم
 أن تقبل منهم نفقاتهم إلا انهم كفروا بالله ورسوله) اي وما يمنع هؤلاء المنافقين ان يثابروا على نفقاتهم الا كفرهم
 بالله ورسوله وذلك مما يحبط الاعمال وينع من استحقاق الثواب عليها (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) اي
 متشاقلين والمعنى لم يوردوها على الوجه الذي أمروا ان يوردوها على ذلك الوجه (ولا ينفقون إلا وهم كارهون)
 لذلك لأنهم انما يصلون وينفقون للرياء والتستر بالاسلام لا لابتغاء مرضاة الله تعالى وفي هذا دلالة على ان الكفار
 مخاطبون بالشرائع لأنه سبحانه ذمهم على ترك الصلاة والزكاة ولولا وجوبها عليهم لم يذموا بتركها (فلا تعجبك

أموالهم ولا أولادهم) الخطاب للنبي ﷺ والمراد جميع المؤمنين وقيل يريد لا تعجبك أيها السامع أي لا يأخذ بقلبك ماتراه من كثرة أموال هؤلاء المناقذين وكثرة أولادهم ولا تنظر اليهم بعين الإعجاب (انما يريد الله ان يعذبهم بها في الحياة الدنيا) قد ذكر في معناه وجوه * أحدها * ان فيه تقديرا وتأخيرا أي لا يسرك أموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة عن ابن عباس وقسادة فيكون الظرف على هذا متعلقا بأموالهم وأولادهم ومثله قوله تعالى فأتقوا الله انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا بالتشديد عليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم * وثانيها * ان معناه انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا بالتشديد عليهم في التكليف وأمرهم بالإنفاق في الزكاة والغزو فيؤذونهم على كره منهم ومشقة اذ لا يرجون به ثوابا في الآخرة فيكون ذلك عذابا لهم عن الحسن والبخعي * وثالثها * ان معناه انما يريد الله ليعذبهم بحفظها والمصائب فيها مع حرمان المنفعة به عن ابن زيد * ورابعها * ان معناه انما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا أي بسبي الأولاد وغنيمية الأموال عند تمكن المؤمنين من أخذها وغنمها فيتحصرون عليها فيكون ذلك جزاء على كفرهم عن الجبائي * وخامسها * ان المراد يعذبهم بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والحزن عليها وكل هذا عذاب وكذلك خروجهم عنها بالموت لأنهم يفارقونها ولا يدرون الى ماذا يصيرون واللام في قوله ليعذبهم يحتمل ان يكون بمعنى ان ويحتمل ان يكون لام العاقبة والتقدير انما يريد الله ان يعلي لهم فيها ليعذبهم (وترهق انفسهم) أي تهلك وتذهب بالموت (وهم كافرون) جملة في موضع الحال أي حال كونهم كافرين والإرادة تعلقت بزهرق انفسهم لا بالكفر وهذا كما تقول اريد ان أضربه وهو عاص فالإرادة تعلقت بالضرب لا بالعصيان

قوله تعالى ٥٦ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ

٥٧ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ آيتان

* القراءة *

قرأ يعقوب وسهل او مدخلا بفتح الميم وسكون الدال وهو قراءة ابن ابي اسحاق والحسن والباقرن مدخلا وفي الشواذ قراءة مسلمة بن محارب ومدخلا بضم الميم وسكون الدال وقراءة الاعرج مدخلا بتشديد الدال والحاء وقراءة أنس وهم يجمعون رواه الاعمش عنه

= (الحجة) =

أما قوله مدخلا في القراءة المشهورة فأصله مدخللا لكن التاء تبدل بيمد الدال دالا لأن التاء مهموسة والدال مجهورة والتاء والدال من مكان واحد فكان الكلام من وجه واحد أخف ومن قرأ مدخلا فهو من دخل يدخل مدخلا ومن قرأ مدخلا فهو من ادخلته مدخلا قال

الحمد لله ممسينا ومصبحنا بالخير صبحنا ربي ومسنا

ومن قرأ مدخلا بتشديد الدال والحاء جعله متدخلا ثم ادغم التاء في الدال وفي رواية الاعمش انه سمع انسا يقرأ يجمعون وقال وما يجمعون قال يجمعون ويشتدون واحد

= (اللغة) =

الفرق اتزعاج النفس بتوقع الضرر وأصله من مفارقة الأموال حال الاتزعاج والملاجأ الموضع الذي يتحصن فيه ومثله المعقل والموتل والمعتصم والمعتمد والمغارات جمع مغارة مفعلة من غار الشيء في يغور إذا دخل منه في موضع يستتره والغار النقب في الجبل والمدخل المسلك الذي يتدسس بالدخول فيه وهو مفتعل والجماع مضى المار مسرعا على وجهه لا يرده شيء عنه وقيل هو المشي بين الشيتين قال مهلهل

لقد جمعت جماحا في دمائهم
والجموح الراكب هواه قال

حتى رأيت ذوي احسابهم خمدوا
خلعت عذارى جامحا ما يرذني

المعنى *

ثم اظهر سبحانه سرا من اسرار القوم فقال (ويحلفون بالله انهم لمنكم) اي يقسم هؤلاء المنافقون انهم لمن جملتكم ايها المؤمنون اي مؤمنون امثالكم (وما هم منكم) اي ليسوا مؤمنين بالله كما انتم كذلك (واكنهم قوم يفرقون) اي يخافون القتل والاسر ان لم يظهر والايمن (او يجدون مالجاً) اي او يجد هؤلاء المنافقون حرزا عن ابن عباس وقيل حصنا عن قتادة (او مغارات) اي غيرانا في الجبال عن ابن عباس وقيل سراديب عن عطاء (او مدخلا) اي موضع دخول يا وون اليه عن الضحاك وقيل نفقا كنفق اليربوع عن ابن زيد وقيل اسرابا في الارض عن ابن عباس واي جعفر (ع) وقيل وجها يدخلونه على خلاف رسول الله ﷺ عن الحسن (اولوا اليه) اي لعدلوا اليه وقيل لا عرضوا عنكم اليه (وهم يجمعون) اي يسرعون في الذهاب اليه ومعنى الآية انهم من خبت دخلتهم وسوء سريرتهم وحرصهم على اظهار ما في نفوسهم من النفاق والكفر او اصابوا شيئا من هذه الاشياء لا ووا اليه ليجاهروا بما يضررونه واعرضوا عنك

قوله تعالى (٥٨) وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ (٥٩) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ آياتان
= (القراءة) =

قرأ يعقوب يلزمك بضم الميم وهي قراءة الحسن والاعرج والباقر بكسر الميم

اللغة *

يقال لمزت الرجل المزه والمزه اذا عبته وكذلك همزته قال الشاعر

إذا لقيتك تبدي لي مكاشرة
وإن تغيبت كنت الهامز للهمزا

وقيل الهمز العيب بكسر العين وغمزها اي بكسر عينه إذا غاب والهمز العيب على وجه المسارة وقيل لأعرابي
أتهمز الفارة قال الهر بهمزها فأوقع الهمز على الأكل والهمز كاللهمز
= (الزول) =

عن ابي سعيد الخدري قال بينا رسول الله ﷺ يقسم قسما وقال ابن عباس كانت غنائم هوازن يوم حنين اذا جاءه ابن ابي ذي الخويصرة التميمي وهو حرقوص بن زهير أصل الخوارج فقال عدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل إذا لم يعدل فقال عمر يا رسول الله أئذني لي فأضرب عنقه فقال النبي ﷺ دعه فإن له اصحابا يمتقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية فينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في رضافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرت والدم آيتهم رجل اسود في احدى ثدييه او قال في احدى يديه مثل ثدي المرأة او مثل البضعة تدردر يخرجون على فترة من الناس وفي حديث آخر فاذا خرجوا فاقتلوه ثم اذا خرجوا فاقتلوهم فترلت ومنهم من يلزمك الآية قال ابو سعيد الخدري اشهد اني سمعت هذا من رسول الله ﷺ واشهد ان عليا (ع) حين قتلهم وانا معه جيت بالرجل على

النعمة الذي نعمته رسول الله ﷺ رواه الثعلبي بأسناده في تفسيره وقال الكلبي نزلت في المؤلفة قلوبهم وهم المنافقون قال رجل منهم يقال له ابن الجواظ لم يقسم بالسوية فأُنزل الله الآية وقال الحسن أتاه رجل وهو يقسم فقال الست تزعم ان الله تعالى أمرك ان تضع الصدقات في الفقراء والمساكين فقال بلى قال فما لك تضعها في رعاة الغنم قال ان نبي الله موسى (ع) كان راعي غنم فلما رأى الرجل قال عليه السلام احذروا هذا وقال ابن زيد قال المنافقون ما يعطيها محمد إلا من أحب ولا يوتر بها الا هو اهـ فتزات الآية

= « المعنى » =

ثم اخبر سبحانه عنهم فقال (ومنهم) اي ومن هؤلاء المنافقين (من يلذك في الصدقات) اي يعيبك ويظلم عليك في امر الصدقات (فان اعطوا منها) اي من تلك الصدقات (رضوا) وأقروا بالعدل (وان لم يعطوا منها اذا هم يستخطون) اي يعضبون ويعيبون وقال ابو عبد الله (ع) اهل هذه الآية اكثر من ثلثي الناس (ولو انهم رضوا ما أتاهم الله ورسوله) معناه ولو ان هؤلاء المنافقين الذين طلبوا منكم الصدقات وعاينوا بها رضوا بما اعطاهم الله ورسوله (وقالوا) مع ذلك (حسبنا الله) اي كفانا الله او كافينا الله (سيوتينا الله من فضله ورسوله) اي سيعطينا الله من فضله وانعامه ويعطينا رسوله مثل ذلك وقالوا (انا إلى الله راغبون) في ان يوسع علينا من فضله فيغنينا عن أموال الناس وقيل يعني راغبون اليه فيما يعطينا من الثواب ويصرف عنا من العذاب وجواب او محذوف وتقديره لكان خيرا لهم واعود عليهم وحذف الخواب في مثل هذا الموضع ابلغ على ما تقدم بيانه

قوله تعالى (٦٠) إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ آيَةٌ

✽ الإعراب ✽

قال الزجاج فريضة منصوب على التوكيد لأن قوله إنما الصدقات لهؤلاء كقولك فرض الله الصدقات لهؤلاء.

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه لمن الصدقات فقال (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) ومعناه ليست الصدقات التي هي زكاة الأموال الا لهؤلاء. واختلف في الفرق بين الفقير والمساكين على قولين أحدهما أنه يصنف واحد وإنما ذكر الصنفان تأكيدا للأمر وهو قول ابي علي الجائي واليه ذهب ابو يوسف ومحمد فقالا فيمن قال ثلث مالي للفقراء والمساكين وفلان ان فلان نصف الثلث ونصفه الاخر للفقراء والمساكين لأنها صنف واحد والاخر وهو قول الأكثرين انها صنفان وهو قول الشافعي وابي حنيفة فإنه قال في المسألة المذكورة ان فلان ثلث الثلث وثلثي الثلث للفقراء والمساكين ثم اختلف هؤلاء على اقوال فقليل ان الفقير هو المتعفف الذي لا يسأل والمساكين الذي يسأل عن ابن عباس والحسن والزهري ومجاهد ذهبوا إلى ان المسكين مشتق من المسكنة بالمسألة وروي ذلك عن ابي جعفر (ع) وقبل ان الفقير الذي يسأل والمسكين الذي لا يسأل وجاء في الحديث ما يدل على ذلك فقد روي عن النبي ﷺ انه قال ليس المسكين الذي يردده الاكامة والأكلان والتمرة والتمران ولكن المسكين الذي لا يجد غنيا فيغنيه ولا يسأل الناس شيئا ولا يفتن به فيتصدق عليه وقيل الفقير هو الزمن المحتاج والمسكين هو الصحيح المحتاج عن قتادة وقيل الفقراء المهاجرون والمساكين غير المهاجرين عن الضحاك وابراهيم ثم اختلفوا من وجه آخر فقل ان الفقير اسوأ حالا من المسكين فان الفقير هو الذي لا شيء له والمسكين الذي له باقة من العيش لا تكفيه واليه ذهب الشافعي وابن الانباري واحتجا

بقوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر وبأن الفقير مشتق من فقار الظهر فكان الحاجة قد كسرت فقار ظهره وقيل ان المسكين اسوأ حالا من الفقير فإن الفقير الذي له بلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وهو قول ابي حنيفة والقتبي وابن دريد وأمة اللغة وانشد يونس

أما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبيل
فساء فقيراً وجمل له حلوبة وأجابوا عن السفينة بأنها كانت مشتركة بين جماعة ولكل واحد منهم الشيء
اليسير وايضا فإنه يجوز ان يكون ساهم مساكين على وجه الرحمة كما جاء في الحديث مساكين أهل النار
وقال الشاعر

مساكين أهل الحب حتى قبورهم عليها تراب الذل بين المقابر

وقيل انهم كانوا يعملون عليها اجارة فأضيفت اليهم (والعاملين عليها) يعني سعاة الزكاة وجباتها (والمؤلفة قلوبهم) وكان هؤلاء قوما من الأشراف في زمن النبي ﷺ وكان يعطيهم سهام من الزكاة ليتألفهم به على الإسلام ويستعين بهم على قتال العدو ثم اختلف في هذا السهم هل هو ثابت بعد النبي ام لا فقيل هو ثابت في كل زمان عن الشافعي واخثاره الجبائي وهو المروي عن ابي جعفر (ع) إلا انه قال من شرطه ان يكون هناك إمام عادل يتألفهم على ذلك به وقيل ان ذلك كان خاصا على عهد رسول الله ﷺ ثم سقط بعده لأن الله سبحانه أعز الإسلام وقهر الشرك عن الحسن والشعبي وهو قول ابي حنيفة واصحابه (وفي الرقاب) يعني في فك الرقاب من العتق وأراد به المكاتبين واجاز اصحابنا ان يشتري منه عبد مؤمن اذا كان في شدة ويعتق ويكون ولاؤه لأرباب الزكاة وهو قول ابن عباس والحسن ومالك (والغارمين) وهم الذين ركبتهم الديون في غير معصية ولا اسراف يقضي عنهم الديون (وفي سبيل الله) وهو الجهاد بلا خلاف ويدخل فيه عند اصحابنا جميع مصالح المسلمين وهو قول ابن عمر وعطاء وهو اختيار البخاري وجعفر بن مبشر قالوا يني منه المساجد والقناطر وغير ذلك (وابن السبيل) وهو المسافر المنقطع به يعطى من الزكاة وان كان غنيا في بلده ذا يسار وانما سمي ابن السبيل للزومه للطريق فنسب اليه كما قال الشاعر

انا ابن الحرب ربتي وليدا إلى ان شبت واكتهمت لداقي

وقيل هو الضيف عن قتادة (فريضة من الله) اي مقدرة واجبة قدرها الله وحتمها (والله عليم) بحاجة خلقه (حكيم) فيما فرض عليهم واوجب من اخراج الصدقات وغير ذلك

قوله تعالى (٦١) وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اللَّهُ يُدْعَى بِأَسْمَاءِ الْحَقِّ وَالْحَقُّ أَكْبَرُ مِنْ الْأَسْمَاءِ (٦٢) بِحَلْفُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُذْهِبَ اللَّهُ بِلُغْوِكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (ثلاث آيات)

* القراءة *

قرأ عاصم في رواية الاعمش والبرجمي عن ابي بكر قل اذن خير لكم بالضم والتنوين فيها وهو قراءة الحسن وقناة وعيسى بن عمر وغيرهم وقرأ الباقون اذن خير لكم بالاضافة وقرأ نافع اذن خير ساكنة الذال في كل القرآن وقرأ حمزة وحده ورحمة للذين آمنوا بالجر والباقون ورحمة بالرفع

* الحجة *

قال ابو علي اذن في الآية اذا خففت او ثقلت فإنه يجوز ان يطلق على الجملة وان كانت عبارة عن جارحة منها كما قال الخليل في التاب من الابل انه سميت به لمكان التاب البازل فسميت الجملة كلها به وقالوا للرئيس هو عين القوم والربيفة هو عينهم ويجوز فيه شيء آخر وهو ان الاسم يجري عليه كالوصف له لوجود معنى ذلك الاسم فيه كقول جرير

تبدو فتبدي جمالا زانه خفر
اذا ترارات السود العنا كيب
فأجرى العنا كيب وصفا عليهن يريد انهن من الحقارة والدمامة كالعنا كيب وقال آخر

فلولا الله والمهر المفدى
لا بت وانت غربال الاهداب

فجعله غربالا لكثرة الخروق فيه من آثار الطعن وكذلك قوله هو اذن اجري على الجملة اسم الجارحة لما اراد به من كثرة استعماله لها في الاضفاء بها ويجوز ان يكون فعلا من اذن يا اذن اذا اذا استمع ومنه قوله تعالى واذت لر بها اي استمعت وقوله اذن لي اي استمع لي وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لشيء يتقنى بالقرآن فعلى هذا يكون معناه انه كثير الاستماع مثل أنف وسجح قال ابو زيد رجل اذن اذا كان يصدق بكل ما يسمع وقوله اذن خير لكم بالاضافة وهو الاكثر في القراءة فمعناه انه اذن خير اي مستمع خير وصلاح لكم ومصغ اليه لا مستمع شر وفساد ومن قرأ اذن خير لكم قال الزجاج معناه من يستمع منكم فيكون قريبا منكم قابلا للمعذر خير لكم قال ابو علي ومن رفع ورحمة كان المعنى هو اذن خير لكم ورحمة جملة الرحمة لكثرة هذا المعنى فيه وعلى هذا وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ويجوز ان يقدر حذف المضاف من المصدر واما الجر في رحمة فعلى العطف على خير كأنه اذن خير ورحمة فان قلت فيكون اذن رحمة فان هذا لا يمتنع لأن الاذن في معنى مستمع في الأقوال الثلاثة التي تقدمت فكأنه مستمع رحمة فجاز هذا كما جاز مستمع خيرا الا ترى ان الرحمة من الخير فان قلت فهلا استغنى بشمول الخير للرحمة وغيره ان تقدير عطف الرحمة عليه فالقول فيه ان ذلك لا يمتنع كما لا يمتنع اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم خص فقال خلق الانسان وان كان قوله خلق بعم الانسان وغيره فكذلك الرحمة اذا كانت من الخير لم يمتنع ان تعطف فتخصص الرحمة بالذكر من ضروب الخير لقلبه من ذلك في وصفه وكثرته كما خصص الانسان بالذكر وان كان الخلق قد عمه وغيره والبعث بين الجار وما عطف عليه لا يمتنع من العطف الا ترى ان من قرأ وقيله يارب انما يحمله على وعنده علم الساعة وعلم قبيله

* اللغة *

الفرق بين الأحق والأصلح ان الأحق قد يكون من غير صفات الفعل كقولك زيد احق بلللا والأصلح لا يقع هذا الموقوع لأنه من صفات الفعل وتقول الله احق بأن يطاع ولا تقول اصلح والمحادة مجاوزة الحد بالمشاققة وهي والمخالفة والمجانبة والمعادة نظائر واصله المنع والمحادة ما يعتري الانسان من

النزق لأنه يمنع من الواجب والخزي الهوان وما يستحي منه

✽ الاعراب ✽

اذن خير خبر مبتدأ محذوف ومن لم يصف جعل خبراً صفة لاذن واللام في قوله يؤمن للمؤمنين على حد اللام في قوله ردف لكم أو على المعنى لأن معنى يؤمن يصدق فعدي باللام كما عدى مصدقاً به في نحو قوله مصدقاً لما بين يديه وقيل انما دخلت اللام للفرق بين إيمان التصديق وإيمان الامان قوله فإن له نار جهنم يحتمل ان يكون العامل في ان احد أمرين اما ان يكون على تقدير حذف الجار على معنى فلان له نار جهنم أو فإن له نار جهنم واما ان يكون اعاد ان الاولى على التكرير للتوكيد بسبب طول الكلام عن الزجاج وأقول ان هذا على مذهب أبي الحسن وأبي علي الفارسي يرتفع قوله ان له نار جهنم بظرف مضمرة محذوفة من هذا الموضع لطول الكلام وتقديره فله ان له نار جهنم والمعنى فله وجوب نار جهنم ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف والتقدير فأمره أو شأنه ان له نار جهنم ولا يجوز ان يرتفع بفعل مضمرة لأن الفعل لا يقع بعد الفاء في جواب الشرط وانما يدخل الفاء في جواب الشرط إذا كان مبتدأ أو خبراً أو جملة فعلية غير خبرية نحو قوله فقولي اني نذرت هذا مذهب سيويه قال الزجاج ولو قرى فإن له بكسر الهمزة على وجه الاستئناف لكان جائزاً فيكون كقولك فله نار جهنم غير انه لم يقرأ به أحد

✽ النزول ✽

قيل نزلت في جماعة من المنافقين منهم الجلاس بن سويد وشاس بن قيس ومخشي بن حمير ورفاعة بن عبد المنذر وغيرهم قالوا ما لا ينبغي فقال رجل منهم لا تفعلوا فأنا نخاف ان يبلغ محمداً ما تقولون فيوقع بنا فقال الجلاس بل نقول ما شئنا ثم نأثبه فيصدقنا بما نقول فإن محمد اذن سامعة فأنزل الله الآية وقيل نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان رجلاً ادم احمر العينين اسفح الخدين مشوه الخلق وكان ينم حديث النبي ﷺ إلى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال انما محمد اذن من حدثه شيئاً صدقه تقول ما شئنا ثم نأثبه ونخلف له فيصدقنا وهو الذي قال فيه النبي ﷺ من أراد ان ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحرث عن محمد بن اسحاق وغيره وقوله يخلفون بالله لكم ايرضوكم الآية قيل انها نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله ﷺ من تبوك اتوا المؤمنين يعتذرون اليهم من تخلفهم وهمتلون ويخلفون فنزلت الآية عن مقاتل والكبي وقيل في جلاس بن سويد وغيره من المنافقين قالوا لئن كان ما يقول محمد حقاً فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الأنصار يقال له عاصم ابن قيس فقال والله انما يقول محمد حق وأنتم شر من الحمير ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا ان عامراً كذاب فنزلت الآية عن قتادة والسدي

✽ المعنى ✽

ثم رجع سبحانه إلى ذكر المنافقين فقال (ومنهم) أي ومن هؤلاء المنافقين (الذين يؤذون النبي) والأذى قد يكون بالفعل وقد يكون بالقول وهو هنا بالقول (ويقولون هو اذن) معناه انه يستمع الى ما يقال له ويصغي اليه ويقبله (قل) يا محمد (اذن خير لكم) أي هو اذن خير يستمع الى ما هو خير لكم وهو الوحي وقيل معناه هو يسمع الخير ويعمل به ومن قرأ اذن خير لكم فمعناه قل كونه اذناً أصلح لكم لأنه

يقبل عذركم ويستمتع اليكم ولو لم يقبل عذركم لكان شرا لكم فكيف تعيرونه بما هو خير لكم وأصلح (يومن بالله ويؤمن للمؤمنين) معناه انه لا يضره كونه اذنا فانه اذن خير فلا يقبل الا الخبر الصادق من الله ويصدق المؤمن ايضا فيما يخبرونه ويقبل منهم دون المنافقين عن ابن عباس فايما للؤمنين تصديقه لهم على هذا القول وقيل يومن للمؤمنين اي يؤمنهم فيما يلقي اليهم من الايمان ولا يؤمن للمنافقين بل يكونون على خوف وان حلفوا (ورحمة للذين آمنوا منكم) أي وهو رحمة لهم لانهم انما نالوا الايمان بهدايته ودعائه اياهم (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم) في الآخرة (يخلفون بالله لكم ليرضوكم) اخبر سبحانه ان هؤلاء المنافقين يقسمون بالله ان الذي بلغكم عنهم باطل اعتذاركم اليكم وطلب المرضاتكم (والله ورسوله أحق ان يرضوه) اي والله ورسوله أحق وأولى بأن يطلبوا مرضاتهم (ان كانوا مؤمنين) مصدقين بالله مقرين بنبوة نبيه محمد ﷺ وتقديره والله احق ان يرضوه ورسوله احق ان يرضوه فحذف للتخفيف ولدلالة الكلام عليه كما قال الشاعر

نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف

والمعنى نحن بما عندنا راضون وانت بما عندك راض ثم قال سبحانه على وجه التقرير والتوبيخ لهؤلاء المنافقين (لم يعلموا) أي وما يعلموا (انه من يحادد الله ورسوله) اي من تجاوز حدود الله التي أمر المكلفين ألا يتجاوزوها وانما قال لم يعلموا لمن لا يعلم على وجه الاستبطاء لهم والتخلف عن عمله أي هلا علموا بعد ان مكثوا من عمله وقيل هو امر بالعلم اي يجب ان يعلموا بهذا الخبر وبالادلة وقيل معناه لم يخبرهم النبي ﷺ بذلك عن الجبائي (فان له نار جهنم خالدا فيها) أي دائما (ذلك الخزي) أي الهوان والذل (العظيم)

قوله تعالى (٦٤) يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون (٦٥) ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل بالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن (٦٦) لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

قرأ عاصم ان نعف ونعذب فيها بالنون طائفة بالنصب وقرأ الباقون ان يعف بالياء وضمها وفتح الفاء تعذب بالياء وضمها طائفة بالرفع

✽ الحجة ✽

قال ابو علي حجة من قرأ ان نعف قوله ثم عفونا عنكم ومن قرأ ان يعف فالمعنى معنى نعف واما تعذب بالياء فلان الفعل في اللفظ مسند الى موث ظاهر

✽ اللغة ✽

الحذر اعداد ما ينفي الضرر ورجل حذر متحيز ورجل حذريان كثير الحذر شديد الفزع والمنافق الذي يظهر من الايمان خلاف ما يبطنه من الكفر مشتق من نفاق البرقع لانه يخفي بابا ويظهر بابا ليكون اذا

اتي من احدها خرج من الآخر والخوض دخول القدم فيما كان مائعا من الماء والطين ثم كثر حتى استعمل في غيره واللعب فعل ما فيه سقوط المنزلة لتعجل اللذة كفعل الصبي ولذلك قالوا ملاعب الاسنة اي انه لشجاعته يقدم على الاسنة كفعل الصبي الذي لا يفكر في عاقبة امره والاعتذار اظهار ما يقتضي العذر والاجرام الانقطاع عن الحق إلى الباطل يقال جرم الثمر اذا صرمه ونجرت السنة تصرمت

التزول

قبل نزلت في اثني عشر رجلا وقفوا على العقبة ليفتكوا برسول الله ﷺ عند رجوعه من تبوك فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك وامره ان يرسل اليهم ويضرب وجوه رواحلهم وعمار كان يقود دابة رسول الله ﷺ وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حتى نحاهم فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم اعرف منهم احدا فقال رسول الله ﷺ انه فلان وفلان حتى عدتم كلهم فقال حذيفة ألا تبعث اليهم فتقتلهم فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم عن ابن كيسان وروي عن ابي جعفر الباقر (ع) مثله الا انه قال انتمموا بينهم ليقتلوه وقال بعضهم لبعض ان فطن تقول انا كنا نخوض ونلعب وان لم يفطن تقتله وقيل ان جماعة من المنافقين قالوا في غزوة تبوك يظن هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هبمات هبمات فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فقال احبسوا علي الركب فدعاهم فقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا نخوض ونلعب وحلفوا على ذلك فنزلت الآية ولئن سألتهم ليقولن «الخب» عن الحسن وقنادة وقيل كان ذلك عند منصرفه من غزوة تبوك إلى المدينة وكان بين يديه أربعة نفر او ثلاثة يستهزؤون ويضحكون واحدم يضحك ولا يتكلم فنزل جبريل واخبر رسول الله ﷺ بذلك فدعا عمار بن ياسر وقال ان هؤلاء يستهزؤون بي وبالقرآن اخبرني جبرائيل بذلك ولئن سألتهم ليقولن كنا نتحدث بحديث الركب فاتبعهم عمار وقال لهم مم تضحكون قالوا نتحدث بحديث الركب فقال عمار صدق الله ورسوله احترقتم احرقكم الله فأقبلوا إلى النبي ﷺ يعتذرون فأنزل الله تعالى الآيات عن الكلابي وعلي بن ابراهيم وابي حمزة وقيل ان رجلا قال في غزوة تبوك ما رأيت اكذب لسانا ولا اجبن عند اللقاء من هؤلاء يعني رسول الله ﷺ واصحابه فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق واراد ان يخبر رسول الله ﷺ بذلك فجاء وقد سبقه الوحي فجاء الرجل معتذرا وقال انما كنا نخوض ونلعب ففيه نزلت الآية عن ابن عمر وزيد بن اسلم ومحمد بن كعب وقيل ان رجلا من المنافقين قال يحدثنا محمد ان ناقة فلان بوادي كذا وكذا وما يدريه ما الغيب فنزلت الآية عن مجاهد وقيل نزلت في عبد الله بن ابي ورهطه عن الضحاك

المعنى

ثم اخبر سبحانه عنهم فقال (يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم) فيه قولان ﴿احدها﴾ انه اخبار بانهم يخافون ان يفشوا سرايرهم ويحذرون ذلك عن الحسن ومجاهد والجبائي واكثر المفسرين والمعنى انه يحذرون من ان ينزل الله عليهم اي على النبي والمؤمنين سورة تنبئ عما في قلوبهم من النفاق والشرك وقد قيل ان ذلك الحذر انما اظهره على وجه الاستهزاء لا على سبيل التصديق لانهم حين رأوا رسول الله ﷺ ينطق في كل شيء عن الوحي قال بعضهم لبعض أهدروا ألا ينزل

وحي فيكم يتناجون بذلك ويضحكون عن ابي مسلم وقبل انهم كانوا يخافون ان يكون عليه السلام صادقا فينزل عليه الوحي فيفتضحون عن الجبائي وقبل انهم كانوا يقولون القول فيما بينهم ثم يقولون عسى الله ان لا يفشي علينا سرنا عن مجاهد * والثاني * ان هذا اللفظ لفظه الخبر ومعناه الامر فهو كقولك ليحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تخبرهم بما في قلوبهم من النفاق وحسن ذلك لان موضع الكلام على التهديد (قل استهزوا) معناه قل يا محمد هؤلاء المنافقين استهزوا اي اطلبوا الهزء وهو وعيد بلفظ الامر (ان الله مخرج ما تخدرون) اي مظهر ما تخدرون من ظهوره والمعنى ان الله يبين لنيبيه باطن حالكم ونفاقكم (ولئن سألتهم عن طعنهم في الدين واستهزائهم بالنبي ﷺ وبالمسلمين) ليقولوا انما كنا نخوض ونلعب (واللام للتأكيد والقسم ومعناه لقالوا) كنا نخوض خوض الركب في الطريق لا على طريق الجسد ولكن على طريق اللعب والهوى فكان عذرم اشد من جرمهم (قل) يا محمد (ابالله وآياته) اية حججه وبياناته وكتابه (ورسوله) محمد ﷺ (كنتم تستهزون) ثم امر الله سبحانه نبيه ﷺ ان يقول هؤلاء المنافقين (لا تعتذروا) بالعاذير الكاذبة (قد كفرتم بعد ايمانكم) اي فانكم بما فعلتموه قد كفرتم بعد ان كنتم مظهرين الايمان الذي يحكم لمن اظهره بأنه مؤمن ولا يجوز ان يكونوا مؤمنين على الحقيقة مستحقين للثواب ثم يرتدون على ما تقرر بالدليل وذكر في غير هذا الموضع ان المؤمن لا يجوز ان يكفر (ان نغف عن طائفة منكم نغذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) اي كافرين مصرين على النفاق هذا اخبار منه سبحانه انه ان عفا عن قوم منهم اذا تابوا يعذب طائفة اخرى لم يتوبوا واقاموا على النفاق والطائفة اسم للجماعة على الحقيقة لانه اسم لما يطيف بغيره ويحيط به وقد سمي الواحد طائفة على معنى انها نفس طائفة وقد ورد القرآن بذلك في قوله وليشهد عذابها طائفة من المؤمنين فقد ورد في الآثار عن ائمتنا (ع) ان اقل من يحذر عذابها واحد من المؤمنين فصاعد وروي ان هاتين الطائفتين كانوا ثلاثة نفر فهذا اثنان وضحك واحد وهو الذي تاب من نفاقه واسمه مخشى بن حبر فمعا الله عنه

قوله تعالى (٦٧) الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٨) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ مُعِيمٌ (٦٩) كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَائِقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَائِقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَائِقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٧٠) أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ أربع آيات

✽ اللغة ✽

الاستمتاع طلب المتعة وهي فعل ما فيه اللذة من المأكل والمشرب والمناكح والخلاف النصيب سواء

كان عاجلا أو آجلا وقال الزجاج النصيب الذي هو عند صاحبه وافر الحظ والموتفكات جمع موتفكة قد اتفكت بهم الأرض أي انقلبت

= الإعراب =

موضع الكاف من قوله كالذين من قبلكم نصب أي وعدكم الله على الكفر به كما وعد الذين من قبلكم والكاف في قوله كما استمتع وكالذين خاضوا نصب بأنه صفة لمصدر محذوف وتقديره استمتعتم استمتاعا مثل استمتعتم وخضتم خوضا مثل خوضهم قال جامع العلوم النحوي البصير كالذي خاضوا تقديره على قياس قول سيويه كالذي خاضوا فيه فحذف في فصار كالذي خاضوه ثم حذف الهاء وهو على قول يونس والاختفاء الذي مصدره والتقدير كالحوض الذي خاضوا فيه ومثل هذا اختلافهم في قوله ذلك الذي يبشر الله عباده على قول سيويه تقديره يبشر الله به على قول يونس والاختفاء ذلك تبشيرا لله عباده

- المعنى -

ثم ذكر سبحانه احوال أهل النفاق فقال (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) أي بعضهم من جملة بعض وبعضهم مضاف إلى بعض في الاجتماع على النفاق والشرك كما تقول أنا من فلان وفلان مني أي امرنا واحد وكلمتنا واحدة وقيل معناه بعضهم على دين بعض عن الكلابي وقيل بعضهم من بعض على حقوق مقت الله بهم جميعا عن أبي مسلم (يأمرون بالمنكر) أي بالشرك والمعاصي (وينهون عن المعروف) أي عن الأفعال الحسنة التي أمر الله بها وحث عليها (ويقبضون أيديهم) أي يمسكون أموالهم عن انفاقها في طاعة الله ومرضاته عن الحسن وقتادة وقيل معناه يمسكون أيديهم عن الجهاد في سبيل الله عن الجبائي (نسوا الله فسيهم) أي تركوا طاعته فتركهم في النار وترك رحمتهم واثبتهم عن الأصم وقيل معناه جعلوا الله كالمنسي حيث لم يتفكروا في أن لهم صناعا يشبههم ويعاقبهم ليمنعهم ذلك عن الكفر والأفعال القبيحة فجعلهم سبحانه في حكم المنسي عن الثواب وذكر ذلك لازدواج الكلام لأن النسيان لا يجوز عليه تعالى (إن المنافقين هم الفاسقون) أي الخارجون عن الإيمان بالله ورسوله وعن طاعته وقيل الفاسقون المترددون في الشرك (وعند الله المنافقين والكفار نار جهنم) أخبر سبحانه أنه وعد الذين يظهرون الإسلام ويطنون الكفر النار وكذلك الكفار وإنما فصل النفاق من الكفر وإن كان النفاق كفرا يبين الوعيد على كل واحد من الصنفين (خالدين فيها) أي دائمين فيها (هي حسبهم) معناه نار جهنم والعقاب فيها كقايمة ذنوبهم كما يقول عذبتك حسب ما فعلت وحسب فلان ما نزل به أي ذلك على قدر فعله (ولعنهم الله) أي أبعدهم من جنته وخيره (ولهم عذاب مقيم) أي دائم لا يزول (كالذين من قبلكم) أي وعدكم على النفاق والاستهزاء كما وعد الذين من قبلكم من الكفار الذين فعلوا مثل فعلكم عن الزجاج والجبائي وقيل معناه فعلكم كفعل الذين من قبلكم من كفار الأمم الخالية (كانوا أشد منكم قوة) في أبدانهم (وأكثر أموالا وأولادا) فلم ينفعهم ذلك شيئا وحل بهم عذاب الله تعالى (فاستمعوا بخلافتهم) أي بنصبيهم وحظهم من الدنيا بأن صرفوها في شهواتهم المحرمة عليهم وفيما نهاهم الله عنه ثم اهلكوا (فاستمعتم بخلافتكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلافتهم) أي فاستمتعتم أنتم أيضا بحظكم في الدنيا كما استمتعوا هم (وخضتم كالذي خاضوا) أي وخضتم في الكفر والاستهزاء بالمومنين كما خاض الأولون (أو تلك الذين حبطت أعمالهم) التي تقع

طاعة من المؤمنين مثل الانفاق في وجوه الخير وصلة الرحم وغيرها (في الدنيا والآخرة) إذ لم يستحقوا عليها ثوابا في الآخرة ولا تعظيما وتبجيلا في الدنيا لكفرهم وشركهم (وأولئك هم الخاسرون) خسروا انفسهم وأهلكوها بفعل المعاصي المؤدية إلى الهلاك ووردت الرواية عن ابن عباس انه قال في هذه الآية ما اشبه الليلة بالبارحة كالذين من قبلكم هزلوا بنوا اسرائيل شبهنا بهما لا اعلم إلا انه قال والذي نفسي بيده لتسبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه وروي مثل ذلك عن ابي هريرة عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لتأخذن كما اخذت الامم من قبلكم ذراعا بذراع وشبرا بشبر وباعا بباغ حتى لو أن احدا من اولئك دخل جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم واهل الكتاب قال فهل الناس الا هم وقال عبد الله بن مسعود انتم اشبه الامم ببني اسرائيل سمتما وهديا تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة غير اني لا ادري اتبعون العجل ام لا وقال حذيفة المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلنا وكيف قال اولئك كانوا يخفون نفاقهم وهزلوا اعلنوه اورد ذلك جميعا الثعلبي في تفسيره ثم قال سبحانه (ألم يأتهم) اي ألم يأت هولاء المنافقين الذين وصفهم (نبأ الذين من قبلهم) اي خبر من كان قبلهم (قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين) ذكر سبحانه الامم الماضية والقرون السالفة وانه سبحانه اهلكها ودمر عليها لتكذيبها رسالها لئلا يأمنوا ان يزل بهم مثل ما نزل باولئك فأهلك سبحانه قوم نوح بالفرق وعادا قوم هود بالريح الصرصر وثور قوم صالح بالرجفة وقوم ابراهيم بسلب النعمة وهلاك نمرود واصحاب مدين وهي البلدة التي فيها قوم شعيب بعذاب يوم الظلة وقيل ان مدين اسم نسبت البلد اليه وقدم ذكره (والموتفكات) اي المنقلبات وهي ثلاث قرى كان فيها قوم لوط ولذلك جمعها بالالف والتاء عن الحسن وقتادة وقال في موضع آخر والموتفكة اهوى فجاء بها على طريق الجنس اهلكهم الله بالحسف وقلب المدينة عليهم (اتهم رسلاهم بالبينات) اي بالحجج والمعجزات (فما كان الله ليظلمهم) اي ما يظلمهم الله باهلاكهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) أي ولكن عاقبهم باستحقاق إذ كذبوا رسل الله كما فعلتم فأهلكهم بكفرهم وعصيانهم

قوله تعالى (٧١) وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧٢) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٣) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَأَهُم جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
ثلاث آيات

✽ اللغة ✽

العدن والاقامة والخلود نظائر ومنه المعدن قال الاعشى

فإن يستضيفوا إلى حكمة يضافوا إلى راجح قد عدن

والرضوان مصدر رضي يرضى رضي ورضوانا والجهاد ممارسة الأمر الشاق واصله من الجهد

✽ المعنى ✽

لما ذكر الله تعالى المنافقين ووصفهم بقبائح خصالهم اقتضت الحكمة ان يذكر المؤمنين ويصفهم بضد اوصافهم

ليتصل الكلام بما قبله اتصال النقيض بالنقيض فقال (المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض) اي بعضهم انصار بعض يلزم كل واحد منهم نصرة صاحبه وموالاته حتى ان المرأة تهي اسباب السفر لزوجها إذا خرج وتحفظ غيبة زوجها وهم يد واحدة على من سواهم (يا مرون بالمعروف) وهو ما اوجب الله فعله او رغب فيه عقلا او شرعا (وينهون عن المنكر) وهو ما نهى الله عن فعله وزهد فيه عقلا او شرعا (ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله) اي يداومون على فعل الصلاة واخراج الزكاة من اموالهم ووضعتها حيث امر الله تعالى بوضعها فيه ويمثلون طاعة الله ورسوله ويتبعون ايراداتها ورضائها (او لتك سيرحهم الله) اي الذين هذه صفتهم يرحمهم الله (في الآخرة إن الله عزيز حكيم) أي قادر على الرحمة والعذاب واضع كل واحد منهما موضعه وفي الآية دلالة على ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الأعيان لانه جعلهما من صفات جميع المؤمنين ولم يخص قوما منهم دون قوم (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار) اي من تحت أشجارها الانهار والماء فيها (خالدين فيها ومساكن طيبة) يطيب العيش فيها بناها الله تعالى من اللآلئ والياقوت الأحمر والزرجد الأخضر لا اذى فيها ولا وصب ولا نصب عن الحسن (في جنات عدن) اي في جنات اقامة وخلد وقيل هي بطنان الجنة اي وسطها عن ابن مسعود وقيل هي مدينة في الجنة وفيها الرسل والانبياء والشهداء وأئمة الهدى والناس حولهم والجنان حولها عن الضحاك وقيل إن عدنا اعلى درجة في الجنة وفيها عين التسليم والجنان حولها محدة بها وهي مغطاة من يوم خلقها الله عز وجل حتى يتلفها أهلها الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كسبان المسك الأبيض عن مقاتل والكلبي وروي عن النبي ﷺ انه قال عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك (ورضوان من الله اكبر) رفع على الابتداء اي رضا الله تعالى عنهم اكبر من ذلك كله قال الجبائي إننا صار الرضوان اكبر من الثواب لانه لا يوجد شيء منه إلا بالرضوان وهو الداعي اليه الموجب له وقال الحسن لأن ما يصل إلى القلب من السرور برضوان الله اكبر من جميع ذلك وإنما رفع رضوان لأنه استأنفه للتعظيم كما يقول القائل اعطيتك ووصلتك ثم يقول وحسن رأيي فيك ورضاي عنك خير من جميع ذلك (ذلك هو الفوز العظيم) أي ذلك النعيم الذي وصفت هو النجاح العظيم الذي لا شيء اعظم منه ثم امر سبحانه بالجهاد فقال (يا أيها النبي جاهد الكفار) بالسيف والقتال (والمنافقين) واختافوا في كيفية جهاد المنافقين فقيل ان جهادهم باللسان والوعظ والتخريف عن الجبائي وقيل جهادهم بإقامة الحدود عليهم وكان نصيبهم من الحدود اكثر وقيل هو بالانواع الثلاثة بحسب الامكان يريد باليد فان لم يستطع فباللسان فان لم يستطع فبالقلب فان لم يقدر فليكفر في وجوههم عن ابن مسعود وروي في قراءة أهل البيت جاهد الكفار بالمنافقين قالوا لأن النبي ﷺ لم يكن يقاتل المنافقين وإنما كان يتألفهم لأن المنافقين لا يظهرون الكفر وعلّم الله تعالى بكفرهم لا يبيح قتلهم إذا كانوا يظهرون الايمان (واغظ عليهم) ومعناه واسمعهم الكلام الغليظ الشديد ولا ترق عليهم (ومأواهم جهنم) اي منزلهم ومقامهم ومسكنهم جهنم يريد مأوى الفريقين (وبئس المصير) اي بئس المرجع والمآوى

قوله تعالى (٧٤) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا يَنَالُوا إِلَّا الْآنَ أَخَانُكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا بِكُمْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (آية)

✽ الامة ✽

الهم مقارنة الفعل بتقليبه في النفس تقول هم بالشئ بهم همأ وليس الهم من العزم في شئ إلا ان يبلغ نهاية القوة في النفس والنيل لحوق الأمر يقال نال ما اشتهى او تقي اي ادركه ونقم منه شيئا اي انكر قال ما نقموا من بني امية إلا انهم يحملون ان غضبوا والفضل الزيادة في الخير على مقدار ما وأما التفضل فهو الزيادة من الخير الذي كان للقادر عليه ان يفعله وان لا يفعله

✽ النزول ✽

اختلف في من نزلت فيه هذه الآية فقيل ان رسول الله ﷺ كان جالسا في ظل شجرة فقال انه سيأتيكم إنسان فينظر اليكم بعيني الشيطان فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله ﷺ فقال علام تشتمني أنت واصحابك فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فأنزل الله هذه الآية عن ابن عباس وقيل خرج المنافقون مع رسول الله ﷺ إلى تبوك فكانوا إذا خلا بعضهم ببعض سبوا رسول الله ﷺ واصحابه وطعنوا في الدين فنقل ذلك حذيفة إلى رسول الله ﷺ فقال لهم ما هذا الذي بلغني عنكم فحلفوا بالله ما قالوا شيئا من ذلك عن الضحاك وقيل نزلت في جلاس بن سويد بن الصامت وذلك ان رسول الله ﷺ خطب ذات يوم بتبوك وذكر المنافقين فسأهم رجسا وعابهم فقال الجلاس والله لئن كان محمد صادقا فيما يقول فنحن شر من الحمير فسمعه عامر بن قيس فقال أجل والله ان محمدا صادق وانتم شر من الحمير فلما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله فأمرها رسول الله ﷺ ان يجلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر فحلف بالله ما قال ثم قام عامر فحلف بالله لقد قاله ثم قال اللهم أنزل على نبيك الصادق منا الصدق فقال رسول الله ﷺ والمؤمنون آمين فنزل جبرائيل (ع) قبل ان يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فاون يتربوا بك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قال لك لقد قتله وانا استغفر الله وأتوب إليه فقبل رسول الله ﷺ ذلك منه عن الكلبي ومحمد بن اسحاق ومجاهد وقيل نزلت في عبدالله بن ابي بن سلول حين قال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عن قتادة وقيل نزلت في اهل العقبة فلم يروا في ان يقتالوا رسول الله ﷺ في عقبه عند مرجعهم من تبوك وأرادوا ان يقطعوا انساع راحلته ثم يتخسروا به فأطلعه الله تعالى على ذلك وكان من جملة معجزاته لأنه لا يمكن معرفة مثل ذلك إلا بوحي من الله تعالى فسار رسول الله ﷺ في العقبة وعار وحذيفة معه احدهما يقود ناقته والاخر يسوقها وأمر الناس كلهم بسلوك بطن الوادي وكان الذين هموا بقتله اثني عشر رجلا او خمسة عشر رجلا على الخلاف فيه عرفهم رسول الله ﷺ وسأهم بأسانئهم واحدا واحدا عن الزجاج والواقدي والكلبي والقصة مشروحة في كتاب الواقدي وقال الباقر عليه السلام كانت ثمانية منهم من قريش وأربعة من العرب

✽ المعنى ✽

ثم اظهر سبحانه اسرار المنافقين فقال (يملفون بالله ما قالوا) يعني انهم حلفوا كاذبين ما قالوا ما حكي عنهم ثم حقق عليهم ذلك واقسم سبحانه بأنهم قالوا ذلك لأن اللام في (لقد قالوا) لام القسم (وكلمة الكفر) كل كلمة فيها جحد لنعم الله تعالى وكانوا يظعنون في الإسلام (وكفروا بعد اسلامهم) اي بعد اظهار اسلامهم يعني ظهر كفرهم بعد ان كان باطنا (وهو ما يمل ينالوا) قيل فيه ثلاثة اقوال ﴿احدها﴾ انهم هموا بقتل النبي ﷺ ليلة العقبة والتنفير بناقته عن الكلبي ومجاهد وغيرها ﴿وثانيها﴾ انهم هموا باخراج الرسول من المدينة فلم يبلغوا ذلك عن قتادة والسدي ﴿وثالثها﴾ انهم هموا بالفساد والتضريب بين اصحابه ولم ينالوا ذلك عن الجبائي (وما نقموا إلا أن اغناهم الله ورسوله من فضله) معناه انهم عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر

النعمة ان تقوموا وبيانه انهم تقوموا فيما ليس بموضع للنعمة فإنه لم يكن للمسلمين ذنب ينقومونه منهم بل الله تعالى أباح لهم الغنائم وأغناهم بذلك فقابلوا النعمة بالكفران وكان من حقهم أن يقابلوها بالشكر وقد مر هذا المعنى عند قوله قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الآية في سورة المائدة وإنما لم يقل من فضلها لأنه لا يجمع بين اسم الله واسم غيره في الكناية تعظيماً لله ولذلك قال النبي ﷺ لمن سمعه يقول مسن أطاع الله ورسوله فقد اهتدى ومن عصاهم فقد غوى بشس خطيب القوم انت فقال كيف اقول يا رسول الله ﷺ قال قل ومن يعص الله ورسوله وهكذا القول في قوله سبحانه والله ورسوله أحق أن يرضوه وقيل إنما لم يقل من فضلها لأن فضل الله سبحانه منه وفضل رسول الله من فضل الله (فإن يتوبوا بك خير لهم) أي فإن يتب هؤلاء المنافقون ويرجعوا إلى الحق يكن ذلك خيراً لهم في الدنيا والآخرة فإنهم يناون بذلك رضا الله ورسوله والجنة (وإن يتولوا) أي يعرضوا عن الرجوع إلى الحق وسلوك الطريق المستقيم (يعذبهم الله عذاباً أليماً) مؤلماً (في الدنيا) بما ينالهم من الحسرة والغم وسوء الذكر (وفي الآخرة) بعذاب النار (وما لهم في الأرض) أي ليس لهم في الأرض (من ولي) أي محب (ولا نصير) ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله

قوله تعالى (٧٥) وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَئِن آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٦) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ (٧٧) فَأَعَقَّبَهُمُ نَفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٨) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سَرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ

اربع آيات

اللغة

المعاهدة هي أن تقول علي عهد الله لأفعلن كذا فإنه يكون بذلك قد عقد على نفسه وجوب ما ذكره لأن الله تعالى قد حكم بذلك وقدر وجوبه عليه في الشرع والبخل منع السائل لشدة الاعطاء ثم صار في الشرع لمنع الواجب لأن من منع الزكاة فهو بخيل قال الرماني لا يجوز أن يكون البخل منع الواجب لمشقة الاعطاء كما قال زهير

إن البخيل ملوم حيث كان وا
كن الجواد على علاقته هرم

قال لأنه يلزم على ذلك ان يكون الجود هو بذل الواجب من غير مشقة الاعطاء وكان من قضى ديناً عليه يكون جواداً لأنه أدى الواجب من غير مشقة وإنما قال زهير ما قاله لأن البخل صفة نقص قال ومن منع مالا يضره بذلك ولا ينفعه منعه مما تدعو اليه الحكمة فهو بخيل لأنه لا يقع المنع على هذه الصفة إلا لشدة في النفس وإن لم يرجع إلى ضراذ الشدة من غير ضرر معقولة كما يصفون الجورة بأنها ثيبة لاجل الشدة وأعقبه وأورثه واداه نظاير وقد يكون أعقبه بمعنى جازاه قال النابغة

فمن أطاع فأعقبه بطاعته

ومن عصاك فعاقبه معاقبة

والنجوى الكلام الخفي يقال ناجيته وتناجوا وانتجوا وفلان نجى فلان والجمع أنجيه قال

إني إذا ما القوم كانوا أنجيه

وأصله من النجوى وهو البعد كأن المتناجين قد تباعدوا من غيرهما وقيل هو من النجوة أي المكان المرتفع الذي لا يصل إليه السيل فكانت رجما حديثهما إلى حيث لا يصل إليه غيرهما

﴿ الاعراب ﴾

معنى لما معنى إذا لأن لما الغالب عليها الجزاء وهي اسم يقع في جواب متى يقال متى كان كذا فيقول السامع لما كان كذا ولما ولولا يكونان لما مضى بخلاف ان وإذا فإنها لما يستقبل إلا ان لولا على تقدير نفي وجوب الثاني لانتهاء الأول ولما يدل على وقوع الثاني لوقوع الأول فلما آتاهم من فضله المفعول الثاني محذوف تقديره فلما آتاهم ما تمنوه من فضله لنصدقن أصله لنصدقن أدغمت التاء في الصاد = (النزول) =

قيل تزات في ثعلبة بن حاطب وكان من الانصار فقال للنبي ﷺ ادع الله أن يرزقني مالا فقال يا ثعلبة قليل تودى شكره خير من كثير لا تطيقه أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت تم آتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فقال ﷺ اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنماً فتمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها ثم كثرت نموا حتى تباعد عن المدينة فاستغل بذلك عن الجمعة والجماعة وبعث رسول الله ﷺ إليه المصدق ليأخذ الصدقة فأبى وبخل وقال ما هذه إلا أخت الجزية فقال رسول الله ﷺ يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة وأنزل الله الآيات عن أبي أمامة الباهلي وروى ذلك مرفوعاً وقيل ان ثعلبة أتى مجلساً من الانصار فأشهدهم فقال لئن آتاني الله من فضله تصدقت منه وآتيت كل ذي حق حقه ووصلت منه القرابة فابتلاه الله فمات ابن عم له فورثه مالا ولم يف بما قال فنزلت عن ابن عباس وسعيد ابن جبير وقتادة وقيل تزات في ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف قال لئن رزقنا الله مالا لنصدقن فلما رزقها الله المال بخل به عن الحسن ومجاهد وقيل تزات في رجال من المنافقين نبئت بن الحارث وجد بن قيس وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير عن الضحاك وقيل نزلت في حاطب بن أبي بلتعة كان له مال بالشام فأبطأ عليه وجهه لذلك جهداً شديداً فحلف لئن آتاه الله ذلك المال ليصدقن فآتاه الله تعالى ذلك فلم يفعل عن الكلبي

﴿ المعنى ﴾

ثم أخبر سبحانه عنهم فقال (ومنهم) أي من جملة المنافقين الذين تقدم ذكرهم (من عاهد الله لئن آتانا من فضله) أي لئن اعطانا من رزقه (لنصدقن) أي لنصدقن على الفقراء (وانكونن من الصالحين) بإنفاقه في طاعة الله وصلة الرحم ومواساة أهل الحاجة (فلما آتاهم من فضله) أي اعطاهم ما اقترحوه ورزقهم ما تمنوه من الأموال (بخلوا به) أي شحت نفوسهم عن الوفاء بالعهود ومنعوا حق الله منه (وتولوا) عن فعل ما أمرهم الله به (وهم معرضون) عن دين الله تعالى (فاعقبهم نفاقاً في قلوبهم) أي فأورثهم بخلهم بما أوجبوا الله تعالى على انفسهم النفاق في قلوبهم وأداهم إلى ذلك عن الحسن كأنهم حصلوا على النفاق بسبب البخل وهذا كمن يقول لابنه اعقبك صحبة فلان ترك التعلم وقيل معناه اعقبهم الله بذلك حرمان التوبة كما حرم إبليس عن مجاهد وأراد بذلك أنه دلنا على انه لا يتوب كما دلنا من حال إبليس على انه لا يتوب لأنه سلب عنه قدرة التوبة (إلى يوم يلقونه) أي يلقون جزاء البخل فذكر البخل وأراد به جزاءه كقوله سبحانه اعمالهم كرماد اشتدت به الريح وعلى القول الثاني فمعناه إلى يوم يلقون الله أي اليوم الذي لا يملك فيه النفع والضرر الا الله تعالى وهذا اخبار من الله تعالى عن هؤلاء المنافقين انهم يموتون على النفاق وكان ذلك معجزة للنبي ﷺ لأنه خرج مخبره على وفق خبره (بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) بين

سبحانه ان هذا انما اصابهم بفعلهم السي وهو اخلافهم الوعد وكذبهم (لم يعلموا) اي لم يعلم هو لاء المنافقون (ان الله يعلم سرهم) اي ما يخفون في انفسهم (ونجوهم) ما يتناجون به بينهم وهذا استفهام براد به التوبيخ والمعنى انه يجب عليهم ان يعلموا ذلك (وان الله علام الغيوب) جمع غيب وهو كل ما غاب عن الاحساس ومعناه يعلم كل ما غاب عن العباد وعن ادراكهم من موجود او معدوم من كل وجه يصح ان يعلم منه لأن فعلا صيغة مبالغة وفي قوله فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الآية دلالة على ان بعض المعاصي قد يدعو الى بعض لانهم لما تهاونوا باداء هذا الحق دعاهم ذلك الى الثبات على النفاق الى الممات وكذلك يدعو بعض الطاعات الى بعض وعلى ذلك ترتيب الشرائع وفيه دلالة على ان الاخلاف والخبائنة والكذب من اخلاق أهل النفاق وقد صح في الحديث عن النبي ﷺ انه قال للمنافق ثلاث علامات اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خاب

قوله تعالى (٧٩) الَّذِينَ يَلْتَمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٨٠) أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ آياتان

— اللغة —

المطوع اصله المنطوع ادغمت التاء في الطاء لانها من مخرجها والطاء افضل منها بالاستعلاء والاطباق والتطوع كل فعل يستحق المدح بفعله ولا يستحق الذم بتركه ونظيره النافلة والفضيلة والجهد والجهد بمعنى وهو الحمل على النفس بما يشق وقيل بينها فرق والجهد بالفتح في العمل وبالضم في القوت عن الشعبي وقيل الجهد بالفتح المشقة وبالضم الطاعة عن القتيبي

— الاعراب —

يجوز ان يكون موضع الذين يلتمزون بأن يكون بدلا من الهاء والميم في قوله ومنهم من عاهد الله ويحتمل ان يكون رفعا على الابتداء وخبره سخر الله منهم وهذا اولى وقوله في الصدقات من صلة يلتمزون ولا يكون من صلة المطوعين لأنه فصل بينهما قوله من المؤمنين والذين لا يجدون عطف على الذين يلتمزون

— المعنى —

ثم وصفهم الله بصفة أخرى (فقال الذين يلتمزون) اي يعيبون (المطوعين) المتطوعين بالصدقة (من المؤمنين) ويطعنون عليهم في الصدقات (والذين لا يجدون الا جهدهم) اي ويعيبون الذين لا يجدون الا طاقتهم فيتصدقون بالقليل قيل اتاه عبد الرحمن بن عوف بصرة من دراهم تملأ الكف واتاه عليه بن زيد الحارثي بصاع من تمر وقال يا رسول الله عملت في النخل بصاعين فصاعتر كنته لأهلي وصاعا اقرضته ربي وجاء زيد بن اسلم بصدقة فقال معتب بن قشير وعبد الله بن نبتل ان عبد الرحمن رجل يحب الربا ويتغني بذلك وان الله غني عن الصاع من التمر فعابوا المكثر بالربا والمقل بالاقبال (فيسخرون منهم) أي فيستهزؤون منهم (سخر الله منهم) اي جازاهم جزاء سخريتهم حيث صاروا إلى النار (ولهم

عذاب اليم (اي موجه مؤلم وروي عن النبي ﷺ انه سئل فقيل يا رسول اي الصدقة افضل قال جهد المقل (استغفر لهم او لا تستغفر لهم) صيغته صيغة الأمر والمراد به المبالغة في الایاس من المغفرة بأنه لو طلبها طلب المأمور بها أو تركها ترك المنهي عنها لكان ذلك سواء في ان الله تعالى لا يفعلها كما قال سبحانه في موضع آخر سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ان يفر الله لهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) الوجه في تعليق الاستغفار بسبعين مرة المبالغة لا العدد المخصوص ويجري ذلك مجرى قول القائل « لو قلت لي الف مرة ما قبلت » والمراد اني لا اقبل منك فكذلك الآبسة والمراد بذلك فيها نفي الغفران جملة وقيل ان العرب تبالغ بالسبعة والسبعين ولهذا قيل للأسد السبع لأنهم تأولوا فيه لقوته انها ضوعفت له سبع مرات واما ما ورد ان النبي ﷺ قال والله لا يزيدن عن السبعين فإنه خبر واحد لا يعول عليه ولا يتضمن ان النبي ﷺ يستغفر للكفار وذلك غير جائز بالاجماع وقد روي انه قال لو علمت انه لو زدت على السبعين مرة غفر لهم لفعلت ويحتمل ان يكون النبي ﷺ يرجو ان يكون لهم لطف يصلحون به فعزم على الاستغفار لهم فلما بين الله عز اسمه انه ليس لهم لطف ترك ذلك ويحتمل ان يكون قد استغفر لهم قبل ان يعلم بكفرهم ونفاقهم ويحتمل ان يكون قد استغفر لهم قبل ان يخبر بأن الكافر لا يغفر له أو قبل ان يمنع منه ويجوز ان يكون استغفاره لهم واقعا بشرط النوبة من الكفر فمنعه الله منه واخبره بأنهم لا يؤمنون أبدا فلا فائدة في الاستغفار لهم والله أعلم بحقيقة الأمر (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله) معناه ان حرمان المغفرة لهم بكفرهم بالله ورسوله (والله لا يهدي القوم الفاسقين) مر معناه

قوله تعالى (٨١) فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨٢) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٣) فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُوا لَلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ثلاث آيات

✽ اللغة ✽

المخلف المتروك خلف من مضى ومثله المؤخر عن مضى والفرح ضد الغم وهو لذة في القلب بنيل المشتى ومثله السرور وقال البصريون من المعتزلة ان السرور والغم يرجعان إلى الاعتقاد فالسرور اعتقاد وصول منفعة اليه في المستقبل أو دفع ضرر مظنون عنه أو معلوم والغم اعتقاد وصول ضرر اليه في المستقبل أو فوت منفعة عنه واليه ذهب المرتضى قدس الله روحه والخلاف مصدر خالفته مخالفة وخلافا وزعم ابو عبيدة ان معناه بعد وانشد

عقب الربيع خلافتهم فكأننا
بسط الشواطب بينهن حصيرا
والشواطب النساء يقدرن الأديم بعد ما يقدرنه والخالف كل من تأخر عن الشاخص والمتخلف بمعناه
والضحك حال تفتح وانبساط يظهر في وجه الإنسان عن تعجب مع فرح والبكاء حال تقبض يظهر عن
غم في الوجه مع جري الدموع على الخد

✽ الاعراب ✽

خلاف نصب على المصدر بمعنى المفعول له اذ جعلته بمعنى المخالفة واذا جعلته بمعنى خلف فهو نصب على الظرف فليضحكوا انما سكنت لام الامر ولم تسكن لام الاضافة لانها توذن بعمالها للجر المناسب لها فلذلك الزمت الحركة مع ان العوامل في الاسماء اقوى من العوامل في الأفعال جزاء نصب على المصدر أي يجوزون جزاء على افعالهم التي اكتسبوها

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه ان جماعة من المنافقين الذين خلفهم النبي ﷺ ولم يخرجهم معه إلى تبوك استاذنوه في التأخر فأذن لهم فرحوا بعمودهم فقال (فرح المخلفون بعمودهم) أي بعمودهم عن الجهاد (خلاف رسول الله) أي بعده وقيل معناه لمخالفتهم النبي ﷺ (وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله) ظاهر المعنى (وقالوا) أي قالوا للمسلمين ليصدوهم عن الغزو (لا تنفروا في الحر) أي لا تخرجوا إلى الغزو سراعا في هذا الحر وقيل بل معناه قال بعضهم لبعض ذلك طلبا للراحة والدعة وعدولا عن تحمل المشاق في طاعة الله ومرضاته (قل) يا محمد اهد (نار جهنم) التي وجبت لهم بالتخلف عن امر الله تعالى (اشد حرا) من هذا الحر فهي اولى بالاحتراز والحذر عنها اذ لا يعدد بهذا الحر في جنب ذلك الحر (لو كانوا يفقهون) اوامر الله تعالى ووعدته ووعيدته (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) هذا تهديد لهم في صورة الأمر أي فليضحك هو لا المنافقون في الدنيا قليلا لأن ذلك يفنى وان دام إلى الموت ولا أن الضحك في الدنيا قليل لكثرة احزانها وهمومها وليبكوا كثيرا في الآخرة لأن ذلك يوم مقداره خمسين الف سنة وهم فيه يبكون فصار بكواؤهم كثيرا (جزاء بما كانوا يكسبون) من الكفر والنفاق والتخلف بغير عذر عن الجهاد قال ابن عباس ان اهل النفاق لي يكون في النار عمر الدنيا فلا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وروى انس بن مالك عن النبي ﷺ انه قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا (فإن رجعت الله) يا محمد أي فإن ردك الله من غزوتك هذه وسفرك هذا (إلى طائفة منهم) أي من المنافقين الذين تخلفوا عنك وعن الخروج معك (فاستأذنوك للخروج) معك إلى غزوة اخرى (قل ان تخرجوا معي ابدا) إلى غزوة (ولن تقاتلوا معي عدوا) ثم بين سبحانه سبب ذلك فقال (انكم رضيتم بالعود اول مرة) أي عن غزوة تبوك (فاقدموا مع الخالفين) في كل غزوة واختلف في المراد بالخالفين فقيل معناه مع النساء والصبيان عن الحسن والضحاك وقيل مع الرجال الذين تخلفوا من غير عذر عن ابن عباس وقيل مع المخالفين قال الفراء يقال عبد خالف وصاحب خالف إذا كان مخالفا وقيل مع الخساسة والادنياء يقال فلان خالفه اهله إذا كان ادونهم وقيل مع اهل الفساد من قولهم خلف الرجل على اهله يخلف خلوقا إذا فسد ونبذ خالف أي فاسد وخلف فم الصائم إذا تغيرت ريحه وقيل مع المرضى والزمني وكل من تأخر لنقص عن الجبائي

قوله تعالى (٨٤) وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٥) وَلَا تَعْبُجْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ
يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ آيَاتَان

* الإعراب *

مات جملة في موضع جر صفة لاحد وتقديره على احد ميت منهم وابدأ منصوب لأنه ظرف لقوله تصل
وانما كسران من قوله انهم كفروا وان كان في موضع التعليل لتحقيق الاخبار بأنهم على الصفة التي ذكرها

* المعنى *

ثم نهى سبحانه نبيه ﷺ عن الصلاة عليهم فقال (ولا تصل) يا محمد (على احد منهم) اي من المنافقين (مات ابدأ) أي بعد موته فإنه عليه السلام كان يصلي عليهم ويجري عليهم احكام المسلمين (ولا تقم على قبره) أي لا تقف على قبره للدعاء فإنه (ع) كان إذا صلى على ميت يقف على قبره ساعة ويدعوه فنهاه الله تعالى عن الصلاة على المنافقين والوقوف على قبورهم والدعاء لهم ثم بين سبحانه سبب الأمرين فقال (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) فما صلى رسول الله ﷺ بعد ذلك على منافق حتى قبض وفي هذه الآية دلالة على أن القيام على القبر للدعاء عبادة مشروعة ولولا ذلك لم يخص سبحانه بالنهي عنه الكافر وروي أنه ﷺ صلى على عبد الله بن أبي البسه قميصه قبل ان ينهى عن الصلاة على المنافقين عن ابن عباس وجابر وقتادة وقيل إنه ﷺ أراد ان يصلي عليه فأخذ جبرائيل بثوبه وتلا عليه ولا تصل على احد منهم الآية عن انس والحسن وروي انه قبل لرسول الله لم وجهت بقميصك اليه بكفن فيه وهو كافر فقال ان قميصي لن تغني عنه من الله شيئاً واني اوئل من الله ان يدخل بهذا السبب في الإسلام خلق كثير فروي أنه أسلم الف من الخزرج لما رأوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله ﷺ ذكره الزجاج قال والاكثر في الرواية أنه لم يصل عليه (ولا تعجبك أمواهم وأولادهم) الخطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة (انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا) بما يلحقهم فيها من المصائب والغموم وبما يأخذها منهم المسلمون على وجه الغنيمة وبما يشق عليهم من اخراجها في الزكاة والانفاق في سبيل الله مع اعتقادهم بطلان الإسلام فيشد عليهم فيكون ذلك عذاباً لهم (وترهبوا أنفسهم) أي تهلك بالموت (وهم كافرون) اي في حال كفرهم وقد مضى تفسير مثل هذه الآية وانما كرر للتذكير في موطنين مع بعد أحدهما عن الآخر ويجوز ان يكون الآيتان في فريقين من المنافقين فيكون كما يقول القائل لا تعجبك حال زيد ولا تعجبك حال عمرو عن الجبائي

قوله تعالى (٨٦) وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ أُسْتَذَكَّ أَوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (٨٧) رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٨٨) لَيْكِنَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٩) أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ أربع آيات

(= اللغة) =

قال الزجاج الخوالم النساء المتخلفين عن الجهاد ويجوز أن يكون جمع خالفة في الرجال والخالف والخالفة الذي هو غير نجيب ولم يأت في فاعل فواعل صفة الا في حرفين قالوا فارس وفوارس وهالك وهوالك والطبع واختم بمعنى واحد والخيرات المنافع التي تسكن النفس اليها وترتاح لها من النساء الحسان وغيرهن من نعيم

الجنان واحدا خيرة قال الشاعر

ولقد طعنت مجامع الربلات
وقال المبرد الخيرات الجواري الفاضلات جمع خيرة وقيل يجوز ان يكون خيرة بالتشديد فخففت نحو
هين وهين والاعداد جعل الشيء مهيبا لغيره وأصله من العدد لأنه قد عدد الله جميع ما يحتاج الى تقديمه
له من الأمور ومثله اتخاذ الاعتاد

✽ الاعراب ✽

أن آمنوا في موضع نصب بحذف حرف الجر على تقدير بأن آمنوا بالايان ولا يجوز الحذف مع

صريح المصدر

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه تمام اخبار المنافقين فقال (واذا أنزلت سورة) من القرآن على محمد ﷺ (أن آمنوا بالله) اي بأن آمنوا وهو خطاب للمؤمنين وامرهم بأن يدوموا على الايمان ويتمسكوا به في مستقبل الاوقات ويدخل فيه المنافق ويثاوله الامر بأن يستأنف الايمان ويترك النفاق (وجاهدوا مع رسوله) اي اخرجوا الى الجهاد معه فكانه قال آمنوا انتم وادعوا الى الايمان غيركم (استأذنتك) اي طلب الاذن منك في القعود (أولوا الطول) اي أولوا المال والقدرة والغنى عن ابن عباس وغيره (منهم) اي من المنافقين (وقالوا ذرنا) اي دعنا (نكن مع القاعدين) اي المتخلفين عن الجهاد من النساء والصبيان وانما لحق هؤلاء الذم لأنهم أقوم على الجهاد (ورضوا بأن يكونوا مع الخوالم) اي رضوا لنفوسهم أن يقعدوا مع النساء والصبيان والمرضى والمقعدين (وطبع على قلوبهم) ذكرنا معنى الطبع فيما تقدم قال الحسن هؤلاء قوم قد بلغوا الحد الذي من بلغه مات قلبه (فهم لا يفقهون) أوامر الله ونواهيها ولا يتدبرون الأدلة ثم مدح النبي ﷺ والمؤمنين فقال سبحانه (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم) ينفقونها في سبيل الله ومرضاته (وأنفسهم) يقاتلون الكفار ثم اخبر سبحانه عما أعد لهم من الجزاء على انقيادهم لله ورسوله فقال (وأولئك هم الخيرات) من الجنة ونعيمها وقيل الخيرات المنافع والمدح والتعظيم في الدنيا والثواب والجنة في الآخرة (وأولئك هم المفلحون) اي الظافرون بالوصول الى البقية (أعد الله لهم) اي هيا وخلق لهم (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) مضى تفسيره في غير موضع (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره (الفوز العظيم) والفوز النجاة من الهلكة الى حال النعمة وسميت الهلكة مفازة نفاولا لها بالنجاة وانما وصفه بالعظيم لأنه حاصل على وجه الدوام وبالاغزاز والاجلال والاكرام

قوله تعالى (٩٠) وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله

ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم آية

✽ القراءة ✽

قرأ يعقوب وقتيبة المعذرون بسكون العين وتخفيف الذال وهي قراءة ابن عباس والضحاك ومجاهد

والباقون بفتح العين وتشديد الذال

= (الحجة) =

من قرأ بالتخفيف أراد الذين يأتون بالعدر ومن قرأ بالتشديد احتمل أمرين * أحدهما * ان يكون المراد المتعذرون كان لهم عذر أو لم يكن وإنما ادغم التاء في الذال لقرب مخرجهما * والثاني * انه أراد المقصرون من التعذير فالمعذر المقصر الذي يريك انه معذور ولا عذر له والمعذر المبالغ الذي له عذر والمعذر يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له قال لبيد « ومن ييك حولاً كاملاً فقد اعتذر » أي أتى بعذر

- المعنى -

لما تقدم حديث المخلفين صنف الله تعالى الاعراب منهم صنفين فقال سبحانه (وجاء المعذرون من الاعراب) أي المقصرون الذين يعتذرون وليس لهم عذر عن أكثر المفسرين وقيل هم المعتذرون الذين لهم عذر وهم نفر من بني غفار عن ابن عباس قال وبدل عليه قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فمطف الكاذبين عليهم فدل ذلك على أن الأولين في اعتذارهم صادقون وقيل معناه الذين يتصورون بصورة أهل العذر وليسوا كذلك (ليؤذن لهم) في التخلف عن الجبائي (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) أي وقعدت طائفة من المنافقين من غير ان يعتذروا وهم الذين كذبوا فيما كانوا يظهرونه من الإيمان (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) قال ابو عمرو بن العلاء في هذه الآية كلا الفريقين كان مسيئاً جاء قوم فعذروا ووجع آخرون فعدوا يريد أن قوما تكلفوا عذراً بالباطل وتحلف آخرون من غير تكلف عذروا وظهر علة جراته على الله ورسوله

قوله تعالى (٩١) لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٢) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أُحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ (٩٣) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتُنذِرُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَا رِضْوَانًا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ثلاث آيات

* اللغة *

النصح اخلاص العمل من الغش والحمل اعطاء المركوب من فرس أو بعير أو غير ذلك نقول حمله يجعله حملاً إذا اعطاه ما يحمل عليه قال

الأفتى عنده خفان يحماني عليهما إنني شيخ على سفر

والفيض الجري عن امتلاء من قولهم فاض الأثناء بما فيه والحزن ألم في القلب بفوت أمر مأخوذ من حزن الأرض وهي الأرض الغليظة المسلك

= الإعراب =

حزنا نصب لأنه مفعول له أي يبكون للحزن ولا يجدوا منصوب بأن وموضع ان لا يجدوا نصب تقديره لأن لا يجدوا حذف الجار فوصل الفعل

﴿ النزول ﴾

قيل إن الآية الأولى نزلت في عبد الله بن زائدة وهو ابن أم مكتوم وكان ضريب البصر جاء الى رسول الله ﷺ فقال يا نبي الله اني شيخ ضريب خفيف الحال نحيف الجسم وليس لي قائد فهل لي رخصة في التخلف عن الجهاد فسكت النبي ﷺ فأنزل الله الآية عن الضحك وقيل نزلت في عائد بن عمرو واصحابه عن قتادة والآية الثانية نزلت في البكائين وهم سبعة نفر منهم عبد الرحمن بن كعب وعليه بن زيد وعمرو بن ثعلبة وابن غنمة وهو لاء من بني النجار وسالم بن عبيد وهرم بن عبد الله وعبد الله بن عمرو ابن عوف وعبد الله بن معقل من مزينة جاؤا الى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله احمنا فإنه ليس لنا ما نخرج عليه فقال لا أجد ما احملكم عليه عن ابي حمزة الثمالي وقيل نزلت في سبعة نفر من قبائل شتى أتوا النبي ﷺ فقالوا له احمنا على الخفاف والبغال عن محمد بن كعب وابن اسحاق وقيل كانوا جماعة من مزينة عن مجاهد وقيل كانوا سبعة من فقراء الانصار فلما بكوا حمل عثمان منهم رجلين والعباس بن عبد المطلب رجلين ويامين بن كعب النضري ثلاثة عن الواقدي قال وكان الناس يتبوك مع رسول الله ﷺ ثلاثين الفا منهم عشرة آلاف فارس

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه أهل العذر فقال (ليس على الضعفاء) وهم الذين قوتهم ناقصة بالزمانة والمعجز عن ابن عباس وقيل هم الذين لا يقدرون على الخروج (ولا على المرضى) وهم اصحاب العلل المانعة من الخروج (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) يعني من ليست معه نفقة الخروج وآلة السفر (خرج) أي ضيق وجناح في التخلف وترك الخروج مع رسول الله ﷺ (إذا نصحو الله ورسوله) بأن يخلصوا العمل من الغش ثم قال سبحانه (ما على المحسنين من سبيل) أي ليس على من فعل الحسن الجميل في التخلف عن الجهاد طريق للتقرب في الدنيا والعذاب في الآخرة وقيل هو عام في كل محسن والاحسان هو ايصال النفع الى الغير ليتنفع به مع تعريه من وجوه القبح ويصح ان يحسن الانسان الى نفسه ويحمد على ذلك وهو اذا فعل الأفعال الجميلة التي يستحق بها المسدح والثواب (والله غفور) أي سائر على ذوي الاعذار بقبول العذر منهم (رحيم) بهم لا يلزمهم ما فوق طاقتهم ثم عطف عليه فقال (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) أي ولا على الذين اذا جاؤك يسألونك مركباً يركبونه فيخرجون معك الى الجهاد اذ ليس معهم من الأموال والظهر ما يمكنهم الخروج به في سبيل الله (قات لا أجد ما احملكم عليه) أي لا أجد مركباً يركبونه ولا ما اسوي به أمركم (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً الا يجدوا ما ينفقون) أي رجعوا عنكم وأعينهم تسيل بالدمع لحزنهم ان لا يجدوا ما يركبونه من الدواب وينفقونه في الطريق ليخرجوا معكم ولحرصهم على الخروج المعنى وليس على هؤلاء ايضاً حرج في التخلف عن الجهاد وليس عليهم سبيل للذم والعقاب (انما السبيل) والطريق بالعقاب والحرج (على الذين يستأذنونك وهم اغنياء) أي يطلبون الأذن منك يا محمد في المقام وهم مع ذلك اغنياء متمكنون من الجهاد في سبيل الله (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) من النساء والصبيان ومن لا حراك به (وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) قد تقدم بيانه

قوله تعالى (٩٤) يَعتَظِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ

نَبَأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسِيرَى اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٥) سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ
 فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآءٌ جَهَنَّمُ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) يَخْلِفُونَ لَكُمْ
 لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ثلاث آيات

✽ النزول ✽

قيل نزلت الآيات في جد بن قيس ومعنب بن قشير واصحابها من المنافقين وكانوا ثمانين رجلا ولما قدم
 النبي ﷺ المدينة راجعا من تبوك قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم عن ابن عباس وقيل نزلت في عبد الله
 ابن ابي حلف للنبي ﷺ ان لا يتخلف عنه بعدها وطلب الى النبي ﷺ ان يرضى عنه عن مقاتل

✽ المعنى ✽

ثم اخبر الله سبحانه عن هؤلاء القوم الذين تأخروا عن الخروج مع النبي ﷺ فقال (يعتذرون اليكم) من
 تأخرهم عنكم بالباطيل والكذب اذا رجعت اليهم اي اذا انصرفتم الى المدينة من غزوة تبوك (قل) يا
 محمد (لا تعتذروا لن نؤمن لكم) اي لسنا نصدقكم على ما تقولون (قد نبأنا الله من اخباركم) اي قد اخبرنا
 الله واعلمنا من اخباركم وحقية أمركم ما علمنا به كذبكم وقيل انه أراد به قوله سبحانه او خرجوا فيكم
 ما زادوكم الا خبالا الآية (وسيرى الله عملكم ورسوله) اي سيعلم الله فيما بعد ورسوله عملكم هل تتوبون
 من نفاقكم أم تقيمون عليه وقيل معناه سيعلم الله أعمالكم وعزائمكم في المستقبل ويظهر ذلك لرسوله فيعلمه
 الرسول باعلامه اياه فيصير كالشيء المرئي لأن أظهر ما يكون الشيء أن يكون مرثيا كما علم ذلك في الماضي
 فأعلم به الرسول (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) اي ترجعون بعد الموت الى الله سبحانه الذي يعلم ما غاب
 وما حضر وما يخفى عليه السر والعلانية (فينبئكم بما كنتم تعملون) اي يخبركم بما عملتم كما احسنها وبيعها
 فيجازيكم عليها اجمع (سيخلفون بالله لكم) اي سيقسم هؤلاء المنافقون والمتخلفون فيما يعتذرون به اليكم
 ايها المؤمنون (اذا انقلبتم اليهم) انهم انما تخلفوا العذر (لتعرضوا عنهم) اي لتصفحوا عن جرمهم ولا توبخوهم
 ولا تصفوهم ثم أمر الله سبحانه نبيه ﷺ والمؤمنين فقال (فأعرضوا عنهم) اي اعراض ردوا انكار وتكذيب
 ومقت ثم بين عن سبب الاعراض فقال (انهم رجس) اي نجس ومعناه انهم كالشيء الممتن الذي يجب الاجتناب
 عنه فاجتنبوهم كما تجتنب الأنجاس (ومآء جهنم) اي مصيرهم ومآلهم ومستقرهم جهنم (جزاء بما كانوا
 يكسبون) اي مكافأة على ما كانوا يكسبونه من المعاصي (يخلفون لكم لترضوا عنهم) اي طلبا لمرضاةكم عنهم
 ايها المؤمنون (فإن ترضوا عنهم) لجهلكم بحالهم (فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) الخارجين من
 طاعته الى معصيته لعلمه بحالهم ومعناه انه لا ينفعهم رضاكم عنهم مع سخط الله عليهم وارتفاع رضاه عنهم
 وإنما قال سبحانه ذلك لئلا يتوهم انه اذا رضي المؤمنون فقد رضي الله والمراد بذلك انه اذا كان الله لا يرضى
 عنهم فينبغي لكم ايضا ان لا ترضوا عنهم وفي هذا دلالة على ان من طلب بقله رضا الناس ولم يطلب رضا
 الله سبحانه فإن الله يسخط الناس عليه كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ انه قال من التمس رضا
 الله بسخط الناس رضي الله عنه وارضى عنه الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط الله عليه الناس

قوله تعالى (٩٧) الأعراب أشد كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٨) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الْدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٩٩) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ثلاث آيات

❖ القراءة ❖

قرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بضم السين وفي سورة الفتح مثله والباقون بفتح السين وقرأورش واسماعيل عن نافع قرينة بضم الراء والباقون قرينة بسكون الراء

❖ الحجة ❖

قال ابو علي الدائرة لانخلو اما ان تكون صفة او بمنزلة العاقبة والعافية والصفة اكثر في الكلام فينبغي ان يحمل عليها فالمعنى عليها انها خلة تحيط بالانسان حتى لا يكون له منها مخلص واضيفت الى السوء او الى السوء على الوجهين على وجه التأكيد والزيادة في التبيين ولولم تضاف لعلم هذا المعنى منها كما ان نحو قوله شمس النهار كذلك والسوء الرداءة والفساد وهو خلاف الصدق الذي في قولك ثوب صدق وليس الصدق من صدق اللسان كما ان السوء ليس من سووته في المعنى وان كان اللفظ واحدا بذلك على ذلك انك اضفته الى ما لا يجوز عليه الصدق والكذب في الأخبار واما دائرة السوء بالضمه فكقولك دائرة الهزيمة ودائرة البلاء فاجتمعا في جواز اضافة الدائرة اليهما من حيث اريد بكل واحد منهما الرداءة والفساد فمن قال دائرة السوء فتقديره الاضافة الى الرداءة والفساد ومن قال دائرة السوء فتقديره دائرة الضرر والمكروه من قولهم سووته مساءة ومساينة والمعنيان متقاربان قال ابو الحسن دائرة السوء كما تقول رجل السوء وانشد

و كنت كذئب السوء لما راى دما بصاحبه يوما احال على الدم

واما قوله قرينة فالأصل حركة الراء والاسكان للتخفيف كما في الرسل والكتب والأذن والظنب واما قربات فينبغي ان يتقل لأنه اذا ثقل ما اصله التخفيف نحو الظلمات والغرفات فان تقرأ الحركة الثانية في الكلمة الواحدة اجدر ومثل قولهم قرينة وقرينة بسرة وسرة هدنة وهدنة حكاه محمد بن يزيد

== اللفظة ==

رجل عربي اذا كان من العرب وان سكن البلاد ورجل اعربي اذا كان ساكنا في البادية والعرب صنفان عدنانية وقحطانية والفضل للعدنانية برسول الله ﷺ واجدر مأخوذ من جدر الحائط بسكون الدال وهو اصله واساسه والمغرم الغرم وهو نزول نائبة بالمال من غير خيانة واصله لزوم الأمر ومنه قوله ان عذابها كان غراما اي لازما وحب غرام اي لازم والغريم يقال لكل واحد من المتدائنين للزوم احدهما الآخر وغرمة كذا اي الزمة اياه في ماله والتربص الانتظار ومنه التربص بالطعام لزيادة الاسعار واصله التمسك بالشيء لعاقبة والدوائر جمع دائرة هي من حوادث الدهر وقيل الحال المتقلبة عن النعمة الى البلية والدائرة الدولة والقرينة هي طلب الثواب والكرامة من الله تعالى بحسن الطاعة

* الأعراب *

اجدر ان لا يعلموا ان في موضع نصب لأن الباء محذوفة والمعنى اجدر بترك العلم تقول انت جدبر
 أن تفعل و جدبر بأن تفعل اي هذا الفعل ميسر لك واذا حذفت الباء لم يصلح إلا بأن وان اثبت الباء صلح
 بأن وغيرها تقول انت جدبر بأن تقوم و جدبر بالقيام وإنما صلح مع ان الحذف لأن ان يدل على الاستقبال
 فكأنهما عوض من المحذوف وصلوات الرسول عطف على قوله ما ينفق وموضعه نصب وتقديره ويتخذ النفقة
 وصلوات الرسول ويتخذ قربات وقيل صلوات معطوف على قربات على معني يطلبون بالانفاق قرابة الله وصلوات
 الرسول عن الجاني

* المعنى *

لما تقدم ذكر المناقبين بين سبحانه أن الأعراب منهم اشد في ذلك واكثر جهلا فقال (الأعراب
 اشد كفرا ونفاقا) يريد الأعراب الذين كانوا حول المدينة وانما كان كفرهم اشد لأنهم اقسى واجفى
 من أهل المدن وهم ايضا ابعدهم سماع التنزيل وانذار الرسل عن الزجاج ومعناه أن سكان البوادي اذا كانوا
 كفارا او منافقين فهم اشد كفرا من أهل الحضر لبعدهم عن مواضع العلم واستماع الحجج ومشاهدة المعجزات
 وبركات الوحي (واجدر أن لا يعلمو حدود ما نزل الله على رسوله) اي وهم احرى وأولى بأن لا يعلموا حدود
 الله في الفرائض والسنن والحلال والحرام (والله عليهم) باحوالهم (حكيم) فيما يحكم به عليهم (ومن الأعراب من
 يتخذ ما ينفق مفرما) اي ومن منافقي الأعراب من بعد ما ينفق في الجهاد وفي سبيل الخير مفرما لحقه لأنه لا يرجو به ثوابا
 (ويتربص بكم الدوائر) أي ويتنظر بكم الدوائر اي صروف الزمان وحوادث الايام والعواقب المذمومة قال الزجاج
 والغراء كانوا يتربصون بهم الموت او القتل فكانوا ينتظرون موت النبي ﷺ ليرجعوا الى دين المشركين
 واكثر ما يستعمل الدائرة في زوال النعمة الى الشدة والعاوية الى البلاء ويقولون كانت الدائرة عليهم وكانت
 الدائرة لهم ثم رد سبحانه ذلك عليهم فقال (عليهم دائرة السوء) اي على هؤلاء المناقبين دائرة البلاء يعني
 أن ما ينتظرون بكم هو لا حق بهم وهم الغلبون ابدا (والله سميع) لمقاتلتهم (عليهم) بنياتهم لا يخفى عليه
 شيء من حالاتهم ثم بين سبحانه من الأعراب المؤمنين المخلصين فقال (ومن الأعراب من يؤمن بالله
 واليوم الآخر) ومنهم من يرجع الى سلامة الاعتقاد في التصديق بالله وبالقيامة والجنة والنار) ويتخذ
 ما ينفق قربات عند الله) اي ويريد بنفقته في الجهاد وغير ذلك من اعمال البر قربات جمع قرابة وهي الطاعة
 اي طاعات عند الله وتعظيم امره ورعاية حقه وقيل معناه يتقرب الى الله بانفاقه ويطلب بذلك ثوابه ورضاه
 (وصلوات الرسول) اي دعاؤه بالخير والبركة عن قيادة وقيل استغفاره عن ابن عباس والحسن ومعناه
 انه يرغب في دعاء النبي ﷺ (الا انها قرابة لهم) معناه الا ان صلوات الرسول قرابة لهم تقربهم
 الى ثواب الله ويجوز ان يكون المعنى ان نفقتهم قرابة لهم الى الله (سيدخلهم الله في رحمته) هذا وعد منه
 سبحانه بأن يرحمهم ويدخلهم الجنة وفيه مبالغة بأن الرحمة غمرتهم ووسعتهم (ان الله غفور) لذنوبهم (رحيم)
 بأهل طاعته وهما من الفاظ المبالغة في الوصف بالمغفرة والرحمة

قوله تعالى (١٠٠) وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ

بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ آيَةٌ

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب والانصار بالرفع وهي قراءة عمر بن الخطاب والحسن وقتادة والقراءة المشهورة والانصار بالجر وقرأ ابن كثير وحده من تحتها بزيادة من وكذلك هو في مصاحف مكة وقرأ الباقر تحتها بغير من وعليه سائر المصاحف والمعنى واحد

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالرفع عطفه على قوله السابقون ومن قرأ بالجر عطفه على المهاجرين واما قوله والذين اتبعوهم باحسان فيجوز ان يكون معطوفا على الانصار في رفعه وجره ويجوز ان يكون معطوفا على السابقون وان يكون معطوفا على الانصار اولى لقربه منه

﴿ الإعراب ﴾

السابقون مبتدأ والأولون صفة من المهاجرين تبين لهم والذين اتبعوهم ان حملته على السابقون كان مرفوعا وان حملته على الانصار كان مجرورا وخبر الاسماء كلها رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم عطف على رضي فالوقف على قوله خالدون فيها ابدا

﴿ النزول ﴾

قيل نزلت هذه الآية فيمن صلى الى القبلتين عن سعيد بن المسيب والحسن وابن سيرين وقتادة وقيل نزلت فيمن بايع بيعة الرضوان وهي بيعة الحديبية عن الشعبي قال ومن اسلم بعد ذلك وهاجر فليس من المهاجرين الاولين وقيل هم اهل بدر عن عطاء بن رباح وقيل هم الذين اسلموا قبل الهجرة عن الجبائي

— المعنى —

لما تقدم ذكر المنافقين والكفار عقبه سبحانه بذكر السابقين الى الايمان فقال (والسابقون الاولون) أي السابقون الى الايمان والى الطاعات وإنما مدحهم بالسبق لأن السابق الشيء يتبعه غيره فيكون متبوعا وغيره تابع له فهو امام فيه وداع له الى الخير بسبقه اليه وكذلك من سبق الى الشر يكون اسوأ حالا لهذه العلة (من المهاجرين) الذين هاجروا من مكة الى المدينة والى الحبشة (والانصار) أي ومن الانصار الذين سبقوا نظرهم من أهل المدينة الى الاسلام ومن قرأ والانصار بالرفع لم يجعلهم من السابقين وجعل السبق للمهاجرين خاصة (والذين اتبعوهم باحسان) أي بأفعال الخير والدخول في الاسلام بعدهم وسلوك مناهجهم ويدخل في ذلك من يجي بعدهم الى يوم القيامة (رضي الله عنهم ورضوا عنه) أخبر سبحانه أنه رضي عنهم فاعلمهم ورضوا عن الله سبحانه لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم وإيمانهم به وبقينهم (واعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدون فيها أبدا) أي بقون ببقاء الله منعمين (ذلك الفوز العظيم) أي الفلاح العظيم الذي يصغر في جنبه كل نعيم وفي هذه الآية دلالة على فضل السابقين ومزيتهم على غيرهم لما لحقهم من انواع المشقة في نصره الدين فمنها مفارقة العشائر والأقربين ومنها مباينة المؤلف من الدين ومنها

نصرة الإسلام مع قلة العدد وكثرة العدو ومنها السبق الى الإيمان والدعاء اليه واختلف في أول من أسلم من المهاجرين قبيل ان أول من آمن خديجة بنت خويلد ثم علي بن أبي طالب (ع) وهو قول ابن عباس وجابر بن عبد الله وأنس وزيد ابن ارقم ومجاهد وقتادة وابن اسحاق وغيرهم قال انس بعث النبي ﷺ يوم الاثنين وصلى علي عليه السلام وأسلم يوم الثلاثاء وقال مجاهد وابن اسحاق انه أسلم وهو ابن عشر سنين وكان مع رسول الله ﷺ أخذه من ابي طالب وضمه الى نفسه يريه في حجره وكان معه حتى بعث نبيا وقال الكاظمي انه أسلم وله تسع سنين وقيل اثنتا عشرة سنة عن ابي الاسود قال السيد ابو طالب الهروي وهو الصحيح وفي تفسير الثعلبي روى اسماعيل بن أبياس بن عفيف عن ابيه عن جده عفيف قال كنت امرأاً تاجرأً فقدمت مكة أيام الحج فنزلت على العباس بن عبد المطلب وكان العباس لي صديقاً وكان يختلف الى اليمن يشتري العطر فيبيعه أيام الموسم فبينما أنا والعباس بنى اذ جاء رجل شاب حين حلقت الشمس في السماء فرمى ببصره الى السماء ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلاً فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه فلم يلبث ان جاءت امرأة فقامت خلفها فرحم الشاب فرحم الغلام والمرأة فخر الشاب ساجداً فسجد معه ورفع الشاب ورفع الغلام والمرأة فقلت يا عباس امر عظيم فقال امر عظيم فقلت ويحك ما هذا فقال هذا ابن أخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يزعم ان الله بعثه رسولا وان كئوز كسرى وقيصر ستفتح عليه وهذا الغلام علي بن ابي طالب وهذه المرأة خديجة بنت خويلد وزوجة محمد تابعاه على دينه وأيم الله ما على ظهر الأرض كلها احد على هذا الدين غير هؤلاء فقال عفيف الكندي بعد ما أسلم ورسخ الإسلام في قلبه يا ليتني كنت رابعاً وروى ان ابا طالب قال اعلمى عليه السلام ابي بنى ما هذا الدين الذي أنت عليه قال يا أبة آمنت بالله ورسوله وصدقته فيما جاء به وصليت معه لله فقال له ان محمداً ﷺ لا يدعو الا الى خير فالزمه وروى عبد الله بن موسى عن العلاء بن صالح عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله قال سمعت علياً (ع) يقول ان عبد الله وأخوه رسوله وانا الصديق الأكبر لا يقوله بعدى الا كذاب مفتر صليت قبل الناس بسبع سنين وفي مسند السيد ابي طالب الهروي مرفوعاً الى ابي أيوب عن النبي ﷺ قال صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين وذلك انه لم يصل فيها احد غيري وغيره وقيل ان أول من أسلم بعد خديجة ابوبكر عن ابراهيم النخعي وقيل أول من أسلم بعدها زيد بن حارثة عن الزهري وسليمان بن يسار وعروة بن الزبير وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده مرفوعاً الى عبد الرحمن بن عوف في قوله سبحانه والسابقون الأولون قال هم عشرة من قريش اولهم إسلاماً علي بن ابي طالب (ع)

قوله تعالى (١٠١) وَمِنْ حَوْلِكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠٢) وَأَخْرُوجُوا أَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ آيَاتان

﴿ اللقمة ﴾

حول الشيء المحيط به من حال يحول اذا دار بالانقلاب ومنه الحول للسنة والمحالة لأنها تدور في المحور

والمرد أصله الملاسة ومنه صرح ممد اي مماس والامرذ الذي لا شعر على وجهه والمرداء الرملة التي لا تنبت شيئاً ذكره علي بن عيسى وقيل أصله الظهور والمراد الذي ظهر شره وشجرة مرداء اذا تساقط ورقها فظهرت عيدانها ورجل امرد لظهور مكان الشعر منه عن ابن عرفة ومرد الرجل يرد مرداً اذا عتا وخرج من الطاعة واعيا خبثاً ومنه شيطان مرد ومريد وفي المثل تمرذ مرد وعزالا بلق وهما حصنان

✽ الاعراب ✽

ومن أهل المدينة مردوا اي قوم مردوا فحذف الموصوف ويجوز ان يكون التقدير ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق ففصل بين الصفة والموصوف بالظرف وآخرون اعترفوا معطوف على قوله من الاعراب منافقون وكذلك وآخرون مرجون وان شئت قدرت ومنهم آخرون

✽ المعنى ✽

ثم عاد الكلام الى ذكر المنافقين فقال سبحانه (ومن حولكم) اي ومن جملة من حولكم يعني حول مدينتكم (من الاعراب) وهم الذين يسكنون البدوا اذا كانوا مطبوعين على العربية (منافقون) يظهرون الايمان ويبطنون الكفر وقيل انهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار وكانت منازلهم حول المدينة (ومن أهل المدينة) اي منافقون وانما حذف لدلالة الأول عليه (مردوا على النفاق) اي مرنوا على النفاق وتجروا عليه عن الفراء وقيل معناه أقاموا عليه لم يتوبوا منه كما تاب غيرهم عن ابن زيد وابان بن تغلب وقيل معناه لجوافيه وابوا غيره عن ابن اسحاق وقيل فيه تقديم وتأخير وتقديره ومن حولكم من الاعراب منافقون مردوا على النفاق ومن أهل المدينة اي مثل ذلك عن الزجاج (لا تعلمهم) يا محمد اي لا تعرفهم (نحن نعلمهم) اي نعرفهم (سنعذبهم مرتين) فيه اقوال ✽ احدها ✽ ان معناه نعذبهم في الدنيا بالفضيحة فإن النبي ﷺ ذكر رجالاً منهم وأخرجهم من المسجد يوم الجمعة في خطبته وقال اخرجوا فانكم منافقون ويعذبهم في القبر عن ابن عباس والسدي والكلبي وقيل مرة في الدنيا بالسبي والقتل ومرة في الآخرة يعذاب القبر عن مجاهد وروى حصيف عنه عذبوا بالجويع مرتين وقيل احداها أخذ الزكاة منهم والأخرى عذاب القبر عن الحسن وقيل احداها غيظهم من أهل الإسلام والأخرى عذاب القبر عن ابن اسحاق وقيل ان الأولى ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم والأخرى عذاب القبر وقيل ان الأولى إقامة الحدود عليهم والأخرى عذاب القبر عن ابن عباس وكل ذلك محتمل غير اننا نعلم ان المرتين معا قيل ان يردوا الى عذاب النار (ثم يردون الى عذاب عظيم) اي يرجعون يوم القيامة الى عذاب مؤبد في النار (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) يعني من أهل المدينة او من الاعراب آخرون أقرؤا بذنوبهم وليس يرجع الى المنافقين والاعتراف الاقرار بالشئ عن معرفة (خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً) يعني انهم يفعلون افعالاً جميلة ويفعلون افعالاً سيئة قبيحة والتقدير وعملاً آخر سيئاً (عسى الله ان يتوب عليهم) قال المفسرون عسى من الله واجبة وانما قال عسى حتى يكونوا بين طمع واشفاق فيكون ذلك ابعث من الاتكال على العفو واهمال التوبة وفي هذا دلالة على بطلان القول بالاحباط لانه لو صح الاحباط لكان احد العاملين اذا طرأ على الآخر احبطه وابطله فلم يجتمعا فلا يكون قوله خلطوا معنى وقال بعض التابعين ما في القرآن آية ارجى لهذه الامة من هذه الآية وقد يستعمل لفظ الخاط في الجمع من غير امتزاج يقال خلط الدراهم والدنانير وقيل انه يجري مجرى قواهم استوى

الماء والخشبة أي مع الخشبة وقيل ان خاط بالتخفيف في الخير وخالط بالتشديد في الشر (ان الله غفور رحيم) هذا تعليل لقبول التوبة من العصاة اي لأنه غفور رحيم

✽ النزول ✽

قال ابو حمزة الشامي بلغنا انهم ثلاثة نفر من الانصار ابولبابة بن عبدالمنذر وثعلبة بن وديعة واوس بن حذام تخلفوا عن رسول الله ﷺ عند مخرجهم الى تبوك فلما بلغهم ما انزل الله فيمن تخلف عن نبيه ايقنوا بالهلاك واوثقوا انفسهم بسواري المسجد فلم يزلوا كذلك حتى قدم رسول الله ﷺ فسأل عنهم فذكر له انهم اقسوا ان لا يملكون انفسهم حتى يكون رسول الله ﷺ يحلهم وقال رسول الله ﷺ وانا اقسى لا اكون اول من حلهم الا ان اوامر فيهم بأمر فلما نزل عسى الله ان يتوب عليهم عمد رسول الله ﷺ اليهم فاحلهم فانطلقوا فاجاؤا بأموالهم الى رسول الله ﷺ فقالوا هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فخذها وتصدق بها عنا قال (ع) ما امرت فيها فنزل خذ من أموالهم صدقة الآيات وقيل انهم كانوا عشرة رهط منهم ابو لبابة عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس وقيل كانوا ثمانية منهم ابو لبابة وهلال وكردم وابو قيس عن سعيد بن جبير وزيد بن اسلم وقيل كانوا سبعة عن قتادة وقيل كانوا خمسة وروي عن ابي جعفر الباقر (ع) انها نزلت في ابي لبابة ولم يذكر غيره معه وسبب نزولها فيه ماجرى منه في بني قريظة حين قال ان نزلتم على حكمه فهو الذبح وبه قال مجاهد وقيل نزلت فيه خاصة حين تأخر عن النبي ﷺ في غزوة تبوك فربط نفسه بسارية على ما تقدم ذكره عن الزهري ثم قال ابو لبابة يا رسول الله ان من توبتي ان اهجرد ارقسومي التي اصبحت فيها الذنب وانا انخلع من مالي كله قال يجزيك يا ابا لبابة الثلث وفي جميع الاقوال اخذ رسول الله ﷺ ثلث أموالهم وترك الثلثين لأن الله تعالى قال خذ من أموالهم ولم يقل خذ أموالهم

قوله تعالى (١٠٣) خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم (١٠٤) ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويبأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم (١٠٥) وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر ان صلاتك وفي هود اصلاتك على التوحيد وقرأ الباقون ان صلواتك اصلواتك على الجمع قال ابو علي الصلاة في اللغة الدعاء قال الاعشى في الخمر

وقابلها الريح في دنيا وصل على دنيا وارتمم

فكان معنى صل عليهم ادع لهم فالن دعاء كاهم تسكن اليه نفوسهم وتطيب به فاقولهم صلى الله على رسوله وملائكته فلا يقال فيه انه دعاء لهم من الله تعالى كما لا يقال في نحو ويل للمطففين ونحوه انه دعاء عليهم ولكن المعنى فيه ان هؤلاء ممن يستحق عندهم ان يقال فيهم هذا النحو من الكلام وكذلك قوله بل عجبت ويسخرون فيمن ضم الياء وهذا مذهب سيوريه فاذا كانت الصلاة مصدرا وقع على الجمع والمفرد على لفظ واحد كصوت الحمير فاذا اختلف جاز ان يجمع لاختلاف ضروبه كما قال ان انكر الاصوات فأما من زعم ان الصلاة اولى لأن الصلاة للكثرة والصلوات للقليل فلم يكن قوله متجهالاً لأن الجمع بالتاء قد يقع على الكثير كما يقع على القليل كقوله وهم

في الغرقات آمنون وقوله ان المسلمين والمسلمات وقوله ان الصديقين والمصدقات فقد يقع هذا الجمع على الكثير كما يقع على القليل

✽ الاعراب ✽

قوله تطهرهم انما ارتفع لأحد أمرين اما ان يكون صفة لصدقة ويكون التائب ويكون قوله بها للتبيين ويكون التقدير صدقة مطهرة واما ان يكون التاء خطابا للنبي ﷺ والتقدير فانك تطهرهم بها فتكون صفة لصدقة (ايضا) ويكون الضمير في بها للصدقة الموصوفة واما وتزكيتهم فلا يكون الا للخطاب وقيل ان تطهرهم يجوز ان يكون على الاستئناف وحمله على الاتصال اولي

✽ المعنى ✽

ثم خاطب سبحانه النبي ﷺ وامره باخذ الصدقة من اموالهم تطهيرا لهم وتكفيرا لسيئاتهم فقال (خذ) يا محمد (من اموالهم) ادخل من للتبويض لأنه لم يجب ان يصدق بالجميع وانما قال من اموالهم ولم يقل من مالهم حتى يشتمل على اجناس المال كلها وهذا يدل على وجوب الأخذ من سائر اموال المسلمين لاستوائهم في احكام الدين الا ما خصه الدليل (صدقة) قيل اراد بها الامر بان يأخذ الصدقة من اموال هؤلاء التائبين تشديدا للتكليف وليست بالصدقة المفروضة بل هي على سبيل الكفارة للذنوب التي اصابوها عن الحسن وغيره وقيل اراد بها الزكاة المفروضة عن الجبائي واكثر اهل التفسير وهو الظاهر لأن حمله على الخصوص بغير دليل لا وجه له فيكون امرا بأن يأخذ من المالكين للنصاب الزكاة من الرق اذا بلغ مائتي درهم ومن الذهب اذا بلغ عشرين مثقالا ومن الابل اذا بلغت خمسا ومن البقر اذا بلغت ثلاثين ومن النعم اذا بلغت اربعين ومن الغلات والثمار اذا بلغت خمسة اوسق (تطهرهم وتزكيتهم بها) معناه تطهرهم تلك الصدقة عن دنس الذنوب وتزكيتهم انت بها اي تنسبهم الى الزكاة وتدعو لهم بما يصيرون به ازكيا وقيل معناه تطهرهم انت وتزكيتهم انت بها فيكون كلا الفعلين مضافا الى النبي ﷺ (وصل عليهم) هذا امر من الله تعالى للنبي ﷺ ان يدعو لمن يأخذ منه الصدقة ومعناه ادع لهم بقبول صدقاتهم كما يقول الداعي اجرک الله فيما اعطيت وبارکک فيما ابقيت وروي عن النبي ﷺ انه كان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم وقال عبد الله بن ابي اوفى وكان من اصحاب الشجرة فاتاه ابن ابي اوفى بصدقة فقال اللهم صل على آل ابي اوفى اورده البخاري ومسلم في الصحيح (ان صلاتك سكن لهم) اي ان دعواتك مما تسكن نفوسهم اليه وقيل رحمة لهم عن ابن عباس وقيل وقار وطأينة لهم ان الله قد قبل منهم عن قتادة والكلبي وقيل تثبت لهم عن ابي عبيدة (والله سميع عليم) يسمع دعائك لهم ويعلم ما يكون منهم في الصدقات (الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده) استفهام يراد به التنبيه على ما يجب ان يعلم بالمخاطب اذا رجع الى نفسه وفكر فيما نبه عليه علم وجوبه وانما وجب ان يعلم ان الله يقبل التوبة لأنه اذا علم ذلك كان ذلك داعياله الى فعل التوبة والتمسك بها والمساعدة اليها وما هذه صورته يجب العلم به ليحصل به الفرز بالثواب والخلاص من العقاب والسبب فيه انهم لما سألوا النبي ﷺ ان يأخذ من اموالهم ما يكون كفارة لذنوبهم امتنع من ذلك انتظارا لأذن من الله سبحانه فيه فبين الله انه ليس يقبل التوبة الى النبي ﷺ وان ذلك الى الله عز اسمه فإنه الذي يقبلها (وبأخذ الصدقات) اي يتقبلها ويضمن الجزاء عليها قال الجبائي جعل الله اخذ النبي والمؤمنين للصدقات اخذا من الله على وجه التشبيه والمجاز من حيث كان بأمره وقد ورد الخبر عن النبي ﷺ انه قال ان الصدقة تقع في يد الله قبل أن تصل الى يد السائل والمراد بذلك انها تنزل هذا التنزيل ترغيبا لعباد في فعلها وذلك يرجع الى تضمن الجزاء عليها (وان الله هو الثواب الرحيم) عطف على ما قبله ولذلك فتح ان وقدم تفسيره (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم

ورسوله والمؤمنون) هذا امر من الله سبحانه لنبيه ان يقول للمكلفين اعملوا ما امركم الله به عمل من يعلم انه مجازاً على فعله فان الله سيرى عملكم وانما ادخل سين الاستقبال لأن ما لم يحدث لا يتعلق به الروية فكانه قال كل ما تعملونه يراه الله تعالى وقيل اراد بالروية هاهنا العلم الذي هو المعرفة ولذلك عداه الى مفعول واحد اي يعلم الله تعالى ذلك فيجازيكم عليه ويراه رسوله اي يعلمه فيشهد لكم بذلك عند الله تعالى ويراه المؤمنون قيل اراد بالمؤمنين الشهداء وقيل اراد بهم الملائكة الذين هم الحفظة الذين يكتبون الاعمال وروى اصحابنا ان اعمال الأمة تعرض على النبي ﷺ في كل اثنين وخميس فيعرفها وكذلك تعرض على ائمة الهدى عليهم السلام فيعرفونها وهم المعنيون بقوله والمؤمنون وانما قال سيرى الله مع انه سبحانه عالم بالاشياء قبل وجودها لأن المراد بذلك انه سيعلمها موجودة بعد ان علمها معدومة وكونه عالماً بانها ستوجد هو كونه عالماً بوجودها اذا وجدت لا يتجدد حال له بذلك (وستردون الى عالم الغيب والشهادة) اي سترجعون الى الله الذي يعلم السر والعلانية (فينبشكم) اي يخبركم بما كنتم تعملون (ويجازيكم عليه

قوله تعالى (١٠٦) **وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ**

عَلِيمٌ حَكِيمٌ آية

القراءة

قرأ أهل المدينة والكوفة غير الي بكرر مرجون بغير همز والباقون مرجون بالهمز

الحجة

قال الازهري الإرجاء يهزم ولا يهزم ارجأت الأمر وارجيته اخرته وارجأت الحامل دنت لأن يخرج ولدها

فهي مرجى ومرجئة وارجت بغير همز ايضا

النزول

قال مجاهد وقتادة نزلت الآية في هلال بن امية الواقفي ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهم من الاوس والخزرج وكان كعب بن مالك رجل صدق غير مطعون عليه وانما تخلف توائعا عن الاستعداد حتى فاته المسير وانصرف رسول الله ﷺ فقال والله مالي من عذر ولم يعتذر اليه بالكذب فقال (ع) صدقت فمرحتي يقضي الله فيك وجاء الآخرون فقالوا مثل ذلك وصدقا فتهى رسول الله ﷺ عن مكالمتهم وامر نساءهم باعتزالهم حتى ضاقت عليهم الارض بارحبت فاقاموا على ذلك خمسين ليلة وبنى كعب خيمة على سلع يكون فيها وحده وقال في ذلك

ابعد دوربني القين الكرام وما شادوا علي بنيت البيت من سعف

ثم نزلت التوبة عليهم بعد الخمسين في الليل وهو قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية فاصبح المسلمون يبتدونهم ويبشرونهم قال كعب فجئت الى رسول الله في المسجد وكان (ع) اذا سر يستبشر كان وجهه فلقمة قمر فقال لي ووجهه يبرق من السرور ابشر بخير يوم اطلع عليك شرقه منذ ولدتك امك قال كعب فقلت امن عند الله ام من عندك يا رسول الله فقال من عند الله وتصدق كعب بثلاث ماله شكرا لله على توبته

المعنى -

ثم عطف سبحانه على ما قبله من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم فقال (وآخرون مرجون لأمر الله) اي مؤخرون موقوفون لما يرد من امر الله تعالى فيهم (اما يعذبهم واما يتوب عليهم) لفظة اما وقوع احد الشيتين والله سبحانه عالم بما يصير اليه امرهم ولكن سببانه خاطب العباد بما عندهم ومعناه ولكن كان امرهم عندكم على هذا اي على الخوف والرجاء وهذا يدل على صحة مذهبنا في جواز العفو عن العصاة لأنه سبحانه بين ان قوما من العصاة يكون امرهم الى الله تعالى ان شاء عذبهم وان شاء قبل توبتهم فعفا عنهم ويدل ايضا على

ان قبول التوبة تفضل من الله سبحانه لانه لو كان واجبا لما جاز تعليقه بالمشيئة (والله عليم) بما يوول اليه حالهم (حكيم) فيما يفعله بهم

قوله تعالى (١٠٧) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفَرِّقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يُشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٨) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحْسِنُونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (١٠٩) أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١١٠) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَالِمٌ حَكِيمٌ

أربع آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة وابن عامر الذين اتخذوا بغير وار والباقون بالواو وقرأ نافع وابن عامر أسس بضم الألف بنيانه بالرفع في الموضعين وقرأ الباقر أسس بنيانه فيها وفي الشواذ قراءة نصر بن عاصم أس بنيانه على وزن فعل وقراءة نصر بن علي أساس بنيانه وأس بنيانه وقرأ ابن عامر وحزمة وحماد ويحيى عن ابي بكر وخلف جرف بالتخفيف والباقر جرف بالثقل وقرأ يعقوب وسهل الى ان على انه حرف الجر وهو قراءة الحسن وقتادة والجدري وجماعة ورواه البرقي عن ابي عبد الله وقرأ الباقر الا ان مشددة اللام وقرأ ابو جعفر وابن عامر وحزمة وحفص وسهل ورويس عن يعقوب تقطع بفتح التاء والتشديد وقرأ روح تقطع بضم التاء مخففا وقرأ الباقر تقطع بضم التاء مشدداً

✽ الحجة ✽

من اثبت الواو في الذين عطفه على ما تقدم والتقدير ومنهم الذين اتخذوا مسجدا ومن حذف الواو ابتداء الكلام واضمر الخبر بعده كما اضمر في قوله ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام إلى قوله والباد والمعنى فيه ينتقم منهم أو يعذبهم ونحو ذلك وحسن الحذف في الموضعين لطول الكلام بالابتداء وصلته ويجوز ان يكون على ان تضرر ومنهم فيكون تقديره ومنهم الذين اتخذوا كما اضمرت الحرف مع الفعل في قوله وأما الذين اسودت وجوههم اكفرتهم بعد إيمانكم أي يقال لهم اكفرتهم ولا يجوز ان يكون الذين بدلًا من قوله وآخرون مرجون لأن المرجئين لأمر الله غير الذين اتخذوا مسجدا ضارا فلا يجوز ان يدلوا منهم ومن قرأ أسس بنيانه بنى الفعل للفاعل كما اضاف البيان اليه في قوله بنيانه فالصدر مضاف إلى الفاعل والباقي والمؤنس واحد ومن بنى الفعل للمفعول به لم يمد ان يكون في المعنى كالأول لأنه إذا أسس بنيانه فيولى ذلك غيره بأمره كان كبنائه هوله فاما من قرأ اس بنيانه في الموضعين واساس بنيانه بالاضافة فإنها بمعنى واحد وجمع الاس اساس كقفل واقفال وجمع الاساس أساس واسس واما الجرف فالأصل فيه ضم العين والاسكان تخفيف ومثله الشغل والشغل والطنب والطنب ومن قرأ إلا ان تقطع قلوبهم فمعناه تبلى وتنقطع بالبلى اي لا تبلى قلوبهم بالاريمان أبدا ومن قرأ تقطع بضم التاء فهو في المعنى مثل الأول الا ان الفعل اضيف إلى القطع المبني للقلوب بالموت وفي الأول اسند إلى القلوب لما كانت هي البالية وهذا مثل مات زيد وسقط الحائط ونحو ذلك ما اسند فيه الفعل

إلى من حدث فيه وان لم يكن منه وتقطع بسند الفعل فيه إلى المقطع المبني وان لم يذكر في اللفظ فاسند الفعل الذي هو تغير القلوب في الحقيقة إلى القلوب ومن قرأ إلى ان تقطع فإنه جعله على الغاية وزعموا ان في حرف إلى حتى المات وهذا يدل على انهم يوتون على نفاقهم فإذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الإيمان واتخذوا به مسن الكفر

✽ اللغة ✽

الضرار هو طلب الضرر ومحاولته كما ان الشقاق محاولة ما يشق يقال ضاره مضارة وضرار او الارصاد الارتقاب تقول رصده يرصده رصدا وارصده ارصادا قال الكسائي رصده رقبته وارصده اعددهته والبنيان مصدر قال ابو علي وهو جمع على حد شعيرة وشهير لأنهم قالوا بنيانة في الواحد قال اوس

كبنيانة القري موضع رحلها وأثار رصغيا من الدف ابلق

وجاء بناء المصدر على هذا المثال في غير هذا الحرف نحو الغفران وليس بنيان جمع بناء لأن فعلانا إذا كان جمعا نحو كئيبان وقضبان لم تلحقه تاء التأنيث وقال ابو زيد يقال بنيت ابني بنيا وبنيانا وبناء وبنية وجرعها البني قال

بني السماء فسواها ببنيتها ولم تمد باطناب ولا عمد

فالبناء والبنية مصدران ومن ثم قوبل به الفراش في قوله جعل لكم الأرض فراشا والبناء بناء فالبناء لما كان رفعا للشيء قوبل به الفراش الذي هو خلاف البناء والتقوى خصلة من الطاعة يحتز بها من العقوبة والتقى صفة مدح لا تطلق إلا على مستحق الثواب وواد تقوى مبدلة من الياء لأنها من وقيت وانما أبدلت للفرق بين الاسم والصفة في الأبنية مثل خزيا وشفا جرف الشبي وشفيره وجرفه نهايته في المساحة ويشي شفران وجرف الوادي جاتسه الذي ينحفر بالماء اصله وهو من الجرف والاجتراف هو اقتلاع الشيء من اصله وهار الجرف يهور هورا فهو هائر وتهور وانهار ويقال ايضا هار بهار وهار اصله هائر وهو من المقلب كما يقال لاث الشيء به إذا دار فهو لاث والاصل لاثث وكما قالوا شاكي السلاح أي شائك قال

فتعرفوني انني انا ذاكم شاكي سلاحي في الحوادث معلم

وكما قال العجاج (لاث به الاشياء والعبري) اي مطيف وقال ابو علي والمعز من هائر منقلبة عن الواو لأنهم قالوا تهور البناء إذا تساقط وتداعى وفي الحديث سار الليلة حتى انهار الليل ثم سار حتى تهور فهذا في الليل كالمثل والتشبيه بالبناء والانهيال والانهيال يتقاربان في المعنى كما يتقاربان في اللفظ

✽ الاعراب ✽

قد ذكرنا اعراب قوله والذين اتخذوا في الحججة ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره لا تقم فيه ابدا كما تقول والذي يدعوك إلى النفي فلا تسمع الدعاء وتقديره فلا تسمع دعاءه وكذلك التقدير في الآية لا تقم في مسجدكم أبدا فحذف للاختصار ويجوز ان يكون خبر الذين قوله أفمن اسس بنيانه أي أفمن اسس بنيانه من هؤلاء أم من اسس من الذين اتخذوا ضرارا منصوب على انه مفعول له وكذلك ما بعده والمعنى اتخذوه للضرار والكفر والتفريق والارصاد فلما حذف اللام افضى الفعل فنصب ويجوز ان يكون مصدرا محمولا على المعنى لأن اتخاذهم المسجد على غير التقوى معناه ضاروا به ضرارا من أول يوم دخلت من في الزمان والاصل منذ ومذه هذا الاكثر استعمالا في الزمان ومن جائز دخولها ايضا لأنها الأصل في ابتداء الغاية والتبويض ومنه قول زهير

لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن شهر

وبروي من دهر وقد قيل ان المعنى من مرحجج ومن مر شهر وان تقوم في موضع نصب أي أحق بأن تقوم

فيه وفيه منصوب بالموضع بقوله تقرر وفيه من قوله فيه رجال في موضع رفع لأنه خبر مبتدأ مقدم عليه والمبتدأ رجال ولا يجوز ان يكون مرفوع الموضع بكونه وصفا لمسجد بل هو على الاستئناف والوقف التام على قوله احق ان تقوم فيه ثم استوتف الكلام فليل فيه رجال وانما قلنا ذلك لأنك لو جعلت الظرف الذي هو فيه وصفا للمسجد لكنت فصلت بين النكرة وصفتها بالخبر الذي هو احق وقوله أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله قال ابو علي القول فيه انه يجوز ان تكون المعادلة وقعت بين البائين ويجوز ان يكون بين البائين فإذا عادت بين البائين كان المعنى المؤسس بنيانه متقيا خيرا ام المؤسس بنيانه غير متق لأن قوله على شفا جرف يدل على ان بانيه غير متق لله تعالى ولا خاش له ويجوز ان يقدر حذف المضاف كأنه أبناء من أسس بنيانه متقيا خيرا ام بناء من أسس بنيانه على شفا جرف والبنيان مصدر اوقع على المبنى مثل الخلق إذا عنيت به المخلوق وضرب الامير إذا عنيت به المضروب وكذلك نسج اليمن يدالك على ذلك انه لا يخلو من ان يراد به اسم الحدث او اسم العين فلا يجوز ان يكون الحدث لأنه إننا يؤسس المبنى الذي هو عين وبين ذلك ايضا قوله على شفا جرف والحدث لا يعلو شفا جرف والجار في قوله على تقوى من الله وقوله على شفا جرف هار في موضع نصب على الحال تقديره افمن أسس بنيانه متقيا خيرا ام من أسس بنيانه غير متق أو معاقبا على بنائه وفاعل انهار البنيان اي انهار البنيان بالباي في نار جهنم لأنه معصية وفعل لما كرهه الله تعالى من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين ومن امال هار فقد احسن لما في الراء من التكرير فكأنك لفظت بواين مكسورتين وبجسب كثرة الكسرات تحسن الامالة ومن لم يعل فلان ترك الامالة هو الأصل وقوله الا ان تقطع قلوبهم موضع ان تقطع نصب تقديره الا على تقطع قلوبهم غير ان حرف الاضافة يحذف مع ان ولا يحذف مع المصدر ومعنى الا ههنا حتى لأنه استثناء من الزمان المستقبل والاستثناء منه منته اليه فاجتمعت مع حتى في هذا الموضع على هذا المعنى

✽ النزول ✽

قال المفسرون ان بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجدا قبا. وبعثوا إلى رسول الله ﷺ ان يأتيهم فأتاهم وصلى فيه فحسداهم جماعة من المنافقين من بني غنم بن عوف فقالوا انبي مسجدا فنصلي فيه ولا نحضر جماعة محمد وكانوا اثني عشر رجلا وقيل خمسة عشر رجلا منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ونبيل بن الحرث فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قبا. فلما فرغوا منه اتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يا رسول الله اننا قد بنينا مسجدا الذي العلة والحاجة واليلة المطيرة واليلة الشاتية واننا نحب ان تأتينا فتصلي فيه لنا وتدعو بالبركة فقال ﷺ اني على جناح سفر ولو قدمنا اتيناكم ان شاء الله فصلينا اكم فيه فلما انصرف رسول الله ﷺ من تبوك ترات عليه الآية في شأن المسجد

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه جماعة اخرى من المنافقين بنوا مسجدا للتفريق بين المسلمين وطلب الفوائل للمؤمنين فقال (والذين اتخذوا مسجدا) والمسجد موضع السجود في الأصل وصار بالعرف اسما لبقعة مخصوصة بنيت للصلاة فالاسم عربي فيه معنى اللغة (ضارا) أي مضارة يعني للضرر بأهل مسجد قبا. أو مسجد الرسول ﷺ ليقل الجمع فيه (وكفرا) اي ولا إقامة الكفر فيه وقيل اراد انه كان اتخذهم ذلك كفرا بالله وقيل ليكفروا فيه باطلعن على رسول الله ﷺ والإسلام (وتفريقا بين المؤمنين) اي لاختلاف الكلمة وابطال الإفاة وتفريق الناس عن رسول الله ﷺ (وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل) اي ارضدوا ذلك المسجد واتخذوه واعدوا لأبي عامر الراهب وهو الذي حارب الله ورسوله من قبل وكان من قصته انه كان قد تهرب في الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبي ﷺ المدينة حسده وحزب عليه الأحزاب ثم هرب بعد فتح مكة إلى الطائف

فما اسلم أهل الطائف لحق بالشام وخرج إلى الروم وتنصر وهو ابو حنظلة غسيل الملائكة الذي قتل مع النبي ﷺ يوم احد وكان جنبا فغسلته الملائكة وسمى رسول الله ﷺ ابا عامر الفاسق وكان قد ارسل إلى المنافقين أن استعدوا وابنوا مسجداً فإني اذهب إلى قيصر وأتي من عنده بجنود وأخرج محمداً من المدينة فكان هو لاء المنافقون يتوقعون ان يجيئهم ابو عامر فمات قبل ان يبلغ ملك الروم (وليحلفن ان أردنا الا الحسنى) معناه ان هو لاء يحلفون كاذبين ما أردنا ببناء هذا المسجد الا الفعلة الحسنى من التوسعة على أهل الضعف والعدة من المسلمين فأطلع الله نبيه على فساد طوبتهم وخبث سريرتهم فقال (والله يشهد انهم لكاذبون) وكفى لمن يشهد الله سبحانه بكذبه خزيها فوجه رسول الله ﷺ عند قدومه من تبوك عاصم بن عوف العجلاني ومالك بن الدخشم وكان مالك من بني عمرو بن عوف فقال لها انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه وروي انه بعث عمار بن ياسر ووحشياً فحرقاه وأمر بأن يتخذ كناسة يلقي فيها الجيف ثم نهى الله سبحانه ان يقوم في هذا المسجد فقال (لا تقوم فيه أبدا) اي لا تصل فيه ابدا يقال فلان يقوم بالليل اي يصلي ثم اقسم فقال (لمسجد) اي والله لمسجد (أسس على التقوى) اي بني أصله على تقوى الله وطاعته (من اول يوم) اي منذ اول يوم وضع اساسه عن المبرد (احق أن تقوم فيه) أي اولى بأن تصلي فيه واختلف في هذا المسجد فقيل هو مسجد قباء عن ابن عباس والحسن وعروة بن الزبير وقيل هو مسجد رسول الله ﷺ

عن زيد بن ثابت وابن عمر وابي سعيد الخدري وروى هو عن النبي ﷺ قول هو مسجدي هذا وقيل هو كل مسجد بني للإسلام وأريد به وجه الله عن ابي مسلم ثم وصف المسجد واهله فقال (فيه) اي في هذا المسجد الذي أسس على التقوى (رجال يحبون ان يتطهروا) اي يحبون ان يصلوا الله تعالى متطهرين بأبلغ الطهارة وقيل يحبون ان يتطهروا من الذنوب عن الحسن وقيل يحبون ان يتطهروا بالماء عن الغائط والبول وهو المروي عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام وروى عن النبي ﷺ انه قال لأهل قباء ماذا تفعلون في طهركم فإن الله تعالى قد احسن عليكم الثناء قالوا نغسل اثر الغائط فقال انزل الله فيكم (والله يحب المطهرين) اي المتطهرين ثم قرر سبحانه الفرق بين المسجدين فقال (أمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من أسس بنيانه على شفا جرف هار) قد مضى بيانه والمراد ان الله تعالى شبه بنيانهم على نار جهنم بالبناء على جانب نهر هذا صفته فكأن من بني على جانب هذا النهر فإنه ينهار بناؤه في الماء ولا يثبت فكذلك بناء هو لاء ينهار ويسقط في نار جهنم يعني انه لا يستوي عمل المتقي وعمل المنافق فإن عمل المؤمن المتقي ثابت مستقيم مبني على اصل صحيح ثابت وعمل المنافق ليس بثابت وهو واه ساقط والالف في قوله افمن الف استفهام يراد به الإنكار هاهنا وليس معنى خير في الآية افضل بل هو كما يقال هذا خير وهذا شر وقال الشاعر

والخير والشر مقرونان في قرن فالخير متبع والشر محذور

واما قوله وافعلوا الخير فإن معناه وافعلوا الأفضل وقوله (فانهار به في نار جهنم) اي يوقعه ذلك البناء في نار جهنم (والله لا يهدي القوم الظالمين) مر بيانه وروى عن جابر بن عبد الله انه قال رأيت المسجد الذي بني ضاراً يخرج منه الدخان (لا يزال بنيانهم الذي بنوا بيته في قلوبهم) اي لا يزال بناء المبني الذي بنوه شكاً في قلوبهم فيما كان من اظهار اسلامهم وثباتهم على النفاق وقيل ان معناه حزازة في قلوبهم وقبل حسرة في قلوبهم يترددون

فيها (الا ان تقطع قلوبهم) معناه الا ان يموتوا والمراد بالآية انهم لا ينزعون عن الخطيئة ولا يتوبون حتى يموتوا على نفاقهم وكفرهم فاذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الايمان واخذوا به من الكفر وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تنقطع بها قلوبهم ندما واسفا على نفيطهم (والله عليم) اي عالم بنيتهم في بناء مسجد الضرار (حكيم) في امره بنقضه والمنع من الصلاة فيه

قوله تعالى (١١١) **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٢) النَّبِيُّونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ آيَاتِنَا**

(= القراءة =)

قرأ اهل الكوفة غير عاصم فيقتلون بضم الباء ويقتلون بفتح الباء والباقون فيقتلون بفتح الباء ويقتلون بضمها وفي قراءة ابي وعبد الله بن مسعود والأعمش الثائبين العابدين بالياء الى آخرها وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام .

— الحجة —

قال ابو علي من قرأ فيقتلون ويقتلون فقدم الفعل المسند الى الفاعل فلائهم يقتلون اولا في سبيل الله ويقتلون ولا يقتلون اذا قتلوا ومن قدم الفعل المسند الى المفعول به جاز ان يكون في المعنى مثل الاول لأن الممطوف بالواو يجوز ان يراد به التقديم فإن لم يقدر فيه التقديم كان المعنى في قوله فيقتلون بعد قوله يقتلون يقتل من بقي منهم بعد قتل من قتل واما الرفع في قوله الثائبون العابدون فعلى القطع والاستئناف أي هم الثائبون ويكون على المدح وقيل انه رفع على الابتداء وخبره محذوف بعد قوله والحافظون لحدود الله أي لهم الجنة أيضا عن الزجاج وقيل انه رفع على البدل من الضمير في يقاتلون أي يقاتل الثائبون وأما الثائبين العابدين فيحتمل ان يكون جزا وان يكون نصبا اما الجر فعلى ان يكون وصفا للمؤمنين أي من المؤمنين الثائبين واما النصب فعلى اضمار فعل بمعنى المدح كأنه قال اعني وامدح الثائبين

✽ اللغة ✽

السائح من ساح في الأرض يسبح سبيحا اذا استمر في الذهاب ومنه السبح الماء الجاري ومن ذلك يسمى الصائم سائحا لاستمراره على الطاعة في ترك المشتهى

✽ الاعراب ✽

وعدا نصب على المصدر لأن قوله اشترى يدل على انه وعد ومثله صنع الله الذي اتقن كل شيء وفطرة الله التي فطر الناس عليها

* المعنى *

لما تقدم ذكر المؤمنين والمنافقين عقب سبحانه بالترغيب في الجهاد فقال (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة) حقيقة الاشتراء لا تجوز على الله تعالى لأن المشتري إنما يشتري ما لا يملكه وهو عز اسمه مالك الاشياء كلها لكنه مثل قوله من ذا الذي يقرض الله قرصا حسنا في انه ذكر لفظ الشراء والقرض تطلقا لتأكيد الجزاء ولما كان سبحانه ضمن الثواب على نفسه عبر عن ذلك بالاشتراء وجعل الثواب ثمنا والطاعات مثمنا على ضرب من المجاز واخبر انه اشترى من المؤمنين انفسهم يبذلونها في الجهاد في سبيل الله واموالهم ايضا ينفقونها ابتغاء مرضاة الله على ان يكون في مقابلة ذلك الجنة وروي عن الأعمش انه قرأ بالجنة وهي قراءة عمر بن الخطاب والجهاد قد يكون بالسيف وقد يكون باللسان وربما كان جهاد اللسان ابلى لأن سبيل الله دينه والدعاء الى الدين يكون اوليا باللسان والسيف تابع له ولأن اقامة الدليل على صحة المدلول اولى وايضاح الحق وبيانه احرى وذلك لا يكون الا باللسان وقد قال النبي ^{صلى الله عليه وسلم} يا علي لأن يهدي الله على يدك نسمة خير مما طلعت عليه الشمس وإنما ذكر سبحانه شراء النفس والمال لأن العبادات على ضربين بدنية ومالية ولا ثالث لهما ويروى أن الله سبحانه تاجر المؤمنين فأغلى لهم الثمن فجعل ثمنهم الجنة وكان الصادق (ع) يقول ايا من ليست له همة انه ليس لأبدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها وانشد الاصحى للصادق (ع)

اثامن بالنفس النفيسة ربها	فليس لها في الخلق كلهم ثمن
بها نشترى الجنات إن أنابعتها	بشيء سواها إن ذلكم غبن
إذا ذهبت نفسي بدنيا أصبتها	فقد ذهب الدنيا وقد ذهب الثمن

(يقاتلون في سبيل الله) هذا بيان للغرض الذي لأجله اشتراهم (فيقتلون) المشركين (ويقتلون) اي ويقتلهم المشركون يعني أن الجنة عوض عن جهادهم سواء قتلوا او قتلوا ومن قرأ فهقتلون ويقتلون فهو المختار عن الحسن لأنه يكون تسليم النفس الى المشتري اقرب والبائع إنما يستحق الثمن بتسليم المبيع (وعدا عليه حقا) معناه ان ايجاب الجنة لهم وعد على الله حق لا شك فيه وتقديره وعدهم الله الجنة على نفسه وعدا حقا اي صدقا واجبا لا خلف فيه (في التوراة والانجيل والقرآن) وهذا يدل على ان اهل كل ملة امروا بالقتال وعدوا عليه الجنة عن الزجاج (ومن اوفى بعهده من الله) معناه لا احد اوفى بعهده من الله لأنه يفي ولا يخلف بحال (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) فافرحوا بهذه المبايعة حتى ترى آثار السرور في وجوهكم بسبب هذه المبايعة لأنكم بعتم الشيء من مالكه واخذتم ثمنه ولأنكم بعتم فانيا بياق وزائلا بدائم (وذلك هو الفوز العظيم) اي ذلك الشراء والبيع الظفر الكبير الذي لا يقاربه شيء ثم وصف الله سبحانه المؤمنين الذين اشترى منهم الاثمن والاموال بأوصاف فقال (التائبون) اي الراجعون الى طاعة الله والمنقطعون اليه النادمون على ما فعلوه من القبائح (العابدون) اي الذين يعبدون الله وحده ويتذللون له بطاعته في اوامره ونواهيه وقيل هم الذين اخذوا من ابدانهم في ليلهم ونهارهم فعبدوا الله في السراء والضراء عن الحسن وقتادة (الحامدون) اي الذين يحمدون الله على كل حال عن الحسن وقيل هم الشاكرون لنعم الله على وجه الاخلاص له (السائحون) اي الصائمون عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وسعيد بن جبير

ومجاهد وروي مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال سباحة امتي الصيام. وقبل هم الذين يسيحون في الأرض فيعتبرون بعجائب الله تعالى وقيل هم طلبة العالم يسيحون في الأرض لطلبه عن عكرمة (الراكهون الساجدون) اي المودون للصلاة المفروضة التي فيها الركوع والسجود (الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) ادخل الواو هنا لأن الأمر بالمعروف يتضمن النهي عن المنكر فكانت هما شيئا واحداً ولأنه قرن النهي عن المنكر بالأمر بالمعروف في أكثر المواضع فادخل الواو ليدل على المقارنة (والحافظون لحدود الله) اي والقائمون بطاعة الله عن ابن عباس يعني الذين يؤدون فرائض الله وأوامره ويحذرون نواهيه لأن حدود الله وأمره ونواهيه وإنما دخل الواو لأنه جاء وهو اقرب الى المعطوف (وبشر المؤمنين) هذا امر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يبشر المصدقين بالله المعترفين بنبوته بالثواب الجزيل والمنزلة الرفيعة خاصة اذا جمعوا هذه الاوصاف وقد روى اصحابنا ان هذه صفات الائمة المعصومين عليهم السلام لأنه لا يكاد يجمع هذه الاوصاف على تمامها وكما لها غيرهم ولقي الزهري علي بن الحسين (ع) في طريق الحج فقال له تركت الجهاد وصعوبته واقبلت الى الحج والله سبحانه يقول ان الله اشترى من المؤمنين الآية فقال (ع) له اتم الآية الاخرى التائبون العابدون الى آخرها ثم قال اذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم افضل من الحج

قوله تعالى (١١٣) مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٤) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ آيَاتان

❀ اللغة ❀

اصل الاواه من التاوه وهو التراجع والتحزن يقال تاوه تاوها واوه تاويها قال المثقف العبدى

اذا ما قمت ارحلها بليل تاوه آهة الرجل الحزين

وار جاء منه فعل مصر فالكان آه يوه اوها مثل قال يقول قولاً والعرب تقول اوه من كذا بكسر الواو وتسكين الهاء. قال

فاوه بذكراها اذا ما ذكرتها ومن بعد ارض دونها وسما.

والعامية تقول اوه وفيه خمس لغات اوه بسكون الواو وكسر الهاء. وار واو بالتثنية واره واوه

= « المعنى » =

(ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين) ومعناه ليس للنبي والمؤمنين ان يطلبوا المغفرة للمشركين الذين يمدون مع الله لها آخر والذين لا يوجدون ولا يقرون بالآية (ولو كانوا اولي قربي) اي ولو كان الذين يطلبون لهم المغفرة اقرب الناس اليهم (من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم) اي من بعد ان يعلموا انهم كفار مستحقون للاخورد في النار وفي تفسير الحسن ان المسلمين قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الا تستغفروا باننا الذين ما تروا في الجاهلية فانزل الله سبحانه هذه الآية وبين انه لا ينبغي للنبي ولا مؤمن ان يدعو الكافر ويستغفر له وقوله ما كان للنبي ابلغ من ان يقول لا ينبغي للنبي لأنه يدل على قبحه وان الحكمة تمنع منه واو قال لا ينبغي لم يدل على ان الحكمة تمنع منه وإنما كان يدل على انه لا ينبغي ان يختاره ومعناه لم يجعل الله في دينه ولا في حكمه ان يستغفروا للمشركين واو دعوتهم رقة القرابة وشفقة الرحم الى الاستغفار لهم بعد ما ظهر ان لهم عذابا عظيما ثم بين سبحانه الوجه في استغفار ابراهيم لابيه مع كونه كافرا سوا كان اباه الذي ولده أوجده

لأنه ارعاه على ما رواه اصحابنا فقال (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه) اي لم يكن استغفاره له الا صادرا عن موعدة وعدها اياه واختلف في صاحب هذه الموعدة هل هو ابراهيم وابوه فقيل ان الموعدة كانت من الأب وعدها ابراهيم انه يؤمن ان استغفر له فاستغفر له لذلك (فلما تبين له انه عدو لله) ولا يفني بما وعد (تبرأ منه) وترك الدعاء له وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة الا أنهم قالوا انما تبين عداوته لما مات على كفره وقيل ان الموعدة كانت من ابراهيم قال لأبيه اني استغفر لك ما دمت حيا وكان يستغفر له مقيدا بشرط الايمان فلما آيس من إيمانه تبرأ منه وهذا يوافق قراءة الحسن الا عن موعدة وعدها اياه بالباء ويقويه قوله الا قول ابراهيم لأبيه لا استغفرن لك وما املك لك من الله من شيء (ان ابراهيم لأواه) اي دعاء كثير الدعاء والسكاء عن ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وقيل لأواه الرحيم بعباد الله عن الحسن وقتادة وقيل هو الذي اذا ذكر النار قال اوه عن كعب وقيل لأواه المؤمن بلفظة الجبشة عن ابن عباس وقيل لأواه المؤمن المستيقن عن مجاهد وعكرمة وقيل لأواه العفيف عن النخعي وقيل هو الراجح عن كل ما يكره الله عز وجل غن عطا وقيل هو الخاشع المتضرع رواه عبد الله بن شداد عن النبي ﷺ وقيل هو المسبح الكثير بالذكر لله سبحانه عن عقبه بن عامر وقيل هو المتأثر شفقا وفرقا المتضرع يقينا بالإجابة ولزوما للطاعة عن ابي عبيدة وقال الزجاج وقد انتظم قول ابي عبيدة اكثر ما روي في الأواه (حلیم) يقال بلغ من حلم ابراهيم (ع) ان رجلا قد اذاه وشتمه فقال له هداك الله وقيل الحلیم السيد عن ابن عباس واصله انه الصبور على الاذى الصفوح عن الذنب

﴿ النظم ﴾

لما تقدم ذكر الكفار والمنافقين والمنع من موالاتهم والصلاة عليهم والقيام على قبرهم للدعاء لهم نهي عن دعائهم بعد موتهم ولما نهى الله النبي والمؤمنين عن الاستغفار للمشركين ذكر قصة ابراهيم وعذره في الاستغفار لأبيه واما قوله ان ابراهيم لأواه حلیم فالنما اتصل بما قبله بأنه اذا كان له صفة الرأفة والرحمة يكون في دعائه اخلص وعلى خلاص اقربائه من العذاب احرص ومع ذلك تبرأ منه لما يش من فلاحه

قوله تعالى (١١٥) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكَيْلِ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٦) إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ آيَات

(- التزول =)

قيل مات قوم من المسلمين على الإسلام قبل أن تنزل الفرائض فقال المسلمون يا رسول الله اخواننا الذين ماتوا قبل الفرائض ما منزلتهم فنزل وما كان الله ليضل قوماً الآية عن الحسن

﴿ المعنى ﴾

(وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم) اي وما كان الله ليحكم بضلالة قوم بعد ما حكم بهدياتهم (حتى يبين لهم ما يتقون) من الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية فلا يتقون فعند ذلك يحكم بضلالتهم وقيل وما كان الله ليعذب قوماً فيضلهم عن الثواب والكرامة وطريق الجنة بعد إذ هداهم ودعاهم إلى الايمان حتى يبين لهم ما يستحقون به الثواب والعقاب من الطاعة والمعصية وقيل لما نسخ بعض الشرائع وقد غاب اناس وهم يعملون بالأمر الأول إذ لم يعلموا بالأمر الثاني مثل تحويل القبلة وغير ذلك وقد مات الأولون على الحكم الأول سئل النبي ﷺ عن ذلك فأنزله الله الآية وبين انه لا يعذب هؤلاء على التوجه إلى القبلة الاولى حتى يسموا

بالنسخ ولا يعملوا بالناسخ فحينئذ يعذبهم عن الكلي (إن الله بكل شيء عليم) يعلم جميع المعلومات حتى لا يشذ شيء منها عنه لكونه عالماً لنفسه (إن الله له ملك السماوات والأرض) الملك اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير (يحيي ويميت) أي يحيي الجهاد ويميت الحيوان (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) أي ليس لكم سواه حافظ بحفظكم وولي يتولى امركم ولا ناصر بنصركم ويدفع العذاب عنكم

✽ النظم ✽

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها ان الله سبحانه لما حرم على المؤمنين ان يستغفروا للمشركين بين سبحانه انه لا يأخذهم بذلك إلا بعد ان بد لهم على تحريمه عن مجاهد ووجه اتصال الآية الثانية بما قبلها الحظ على ما تقدم ذكره من جهاد المشركين ملوكهم وغير ملوكهم لأنهم عبيد من له ملك السماوات والأرض بأمرهم بما يشاء ويديروهم على ما يشاء عن علي بن عيسى

قوله تعالى (١١٧) لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ أُبْعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٨) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ آيَاتان

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة وحفص عن عاصم يزيغ بالياء وهي قراءة الأعمش والباقون تزيغ بالياء والقراءة المشهورة الذين خلفوا قرأ علي بن الحسين زين العابدين (ع) وابو جعفر محمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق عليهم السلام وابو عبد الرحمن السلمي خلفوا وقرأ عكرمة وزر بن حبش وعمرو بن عبيد خلفوا بفتح الخاء واللام خفيفة

✽ الحجة ✽

قال ابو علي يجوز ان يكون فاعل كاد احد ثلاثة اشياء ✽ الأول ✽ ان تضمرفيها القصة والحديث ويكون تزيغ الخبر وجاز ذلك فيها وإن كان الأصل في اخبار القصة إنما هو في الابتداء لأن الخبر لازم لكاد فأشبهه العوامل الداخلة على الابتداء للزوم الخبر له قال ولا يجوز ذلك في عسى لأن عسى قد يكون فاعله المفرد في كثير من الأمر فلا يلزمه الخبر كقوله عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم فإذا كان كذلك لم يحتمل الضمير الذي يحتمله كاد كما لم يحتمله سائر الافعال التي تسند إلى فاعليهما لا يدخل على المبتدأ ✽ والثاني ✽ ان يضمرفي كاد ذكر ما تقدم لما كان النبي ﷺ والمهاجرون والأنصار قبيلة واحداً وفريقاً واحداً جاز أن يضمرفي كاد ما دل عليه ما تقدم ذكره من القبيل والحزب والفريق ونحو ذلك من الأسماء المفردة الدالة على الجمع وقال منهم فحمله على المعنى مثل قوله آمن بالله واليوم الآخر ثم قال فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكذلك فاعل كاد على هذا الوجه ✽ الثالث ✽ أن يكون فاعل كاد القلوب وتقديره من بعد ما كاد قلوب فريق منهم تزيغ ولكنه قدم تزيغ كما تقدم خبر كان وجاز تقديمه وإن كان فيه ذكر من القلوب ولم يمتنع من حيث يمتنع الإضمار وقبل الذكر لما كان النية به التأخير كما لم يمتنع ضرب غلامه زيد لما كان التقدير به التأخير فأما من قرأ يزيغ بالياء فيجوز أن يكون قد ذهب إلى ان في كاد ضمير الحديث فيرتفع قلوب يزيغ فذكر وإن كان فاعله مؤنثاً لتقدم الفعل ومن قرأ تزيغ بالياء جاز أن يكون ذهب إلى ان القلوب مرتفعة بكاد وجاز أن يكون الفعل المسند إلى القصة أو الحديث بـوئث إذا كان في الجملة

التي يفسرها مؤنث كقوله فإذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وجاز تأنيث هي التي هي ضمير القصة لذكر الأبصار المؤنثة في الجملة التي هي التفسير فكذلك يؤنث الذي في كاد لذكر المؤنث في الجملة المفسرة فتقول كادت وتدغم التاء التي هي علامة التأنيث في تاء تزبغ وتزبغ على هذا للقلوب وهي مرتفعة به ويجوز الحاق التاء بكاد من وجه آخر وهي ان ترفع قلوب فريق بكاد فتلحقه علامة التأنيث من حيث كان مستنداً إلى مؤنث ومن قرأ خلقوا فتأويله أقاموا ولم يبرحوا ومن قرأ خالفوا فمعناه عائد إلى ذلك لأنهم إذا خالفوهم فأقاموا فقد خلقوا هناك

✽ اللغة ✽

الزبغ ميل القلب عن الحق ومنه قوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وزاغت الشمس إذا مالت وزاغ عن الطريق جاز وعدل والتخليف تأخير الشيء عن مضي فأما تأخير الشيء عنك في المكان فليس بتخليف وهو من الخلف الذي هو مقابل لجهته الوجه يقال خلفه أي جعله خلفه فهو مخلف ورجبت البلاد إذا اتسعت والرحب السعة ومنه مرحباً واهلاً أي رحبت بلادك واهلت والضيق ضد السعة والظن هنا بمعنى اليقين كما في قول دريد بن الصمة

فقلت لهم ظنوا بالقي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد

✽ النزول ✽

نزلت الآية الأولى في غزاة تبوك وما لحق المسلمين فيها من العسرة حتى هم قوم بالرجوع ثم تداركهم لطف الله سبحانه قال الحسن كان العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم الشعير الموس والتمر المدود والاهالة السنخة وكان نفر منهم يخرجون ما معهم من التميرات بينهم فإذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلا أكها حتى يجد طعاماً ثم يعطيها صاحبه فيمصها ثم يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى يأتي على آخرهم فلا يبقى من التمرة إلا النواة قالوا وكان أبو خيشمة عبد الله بن خيشمة تخلف إلى أن مضى من سير رسول الله ﷺ عشرة أيام ثم دخل يوماً على امرأتين له في يوم حار في عريشين لهما قد ربتاهما وبردتا الماء وهياتا له الطعام فقام على العريشين وقال سبحانه الله رسول الله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في الفتح والريح والحر والقري يحمل سلاحه على عاتقه وأبو خيشمة في ظلال باردة وطعام مهيب و امرأتين حسناوين ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أكلم واحدة منك كلمة ولا ادخل عريشاً حتى ألحق بالنبي ﷺ فأناخ ناضحه واشتد عليه وتزود وارتحل وامراتاه تكلمانه ولا يكلمهما ثم سار حتى إذا دنا من تبوك قال الناس هذا راكب على الطريق فقال النبي ﷺ كمن أبا خيشمة أولى لك فلما دنا قال الناس هذا أبو خيشمة يارسول الله فأناخ راحلته وسلم على رسول الله ﷺ فقال (ع) أولى لك فحدثه الحديث فقال له خيراً ودعا له وهو الذي زاغ قلبه للمقام ثم نبته الله وأما الآية الثانية فلما نزلت في شأن كعب ابن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وذلك أنهم تخلفوا عن رسول الله ﷺ ولم يخرجوا معه لا عن تقاع ولكن عن توان ثم ندموا فلما قدم النبي ﷺ المدينة جاءوا إليه واعتذروا فلم يكلمهم النبي ﷺ وتقدم إلى المسلمين بأن لا يكلمهم أحد منهم فهجرهم الناس حتى الصبيان وجاءت نسائهم إلى رسول الله ﷺ فقلن له يارسول الله نعتزلم فقال لا ولكن لا يقربوكن فضاقت عليهن المدينة فخرجوا إلى رؤوس الجبال وكان أهاليهم يجيئون لهم بالطعام ولا يكلمونهم فقال بعضهم لبعض قد هجرنا الناس ولا يكلمنا أحد منهم فهالنا نهاجر نحن أيضاً ففترقوا ولم يجتمع منهم اثنان وبقوا على ذلك خمسين يوماً يتضرعون إلى الله تعالى ويتوبون إليه فقبل الله تعالى توبتهم وانزل فيهم هذه الآية

✽ المعنى ✽

(لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأَنْصار) أقسم الله تعالى في هذه الآية لأن لام لقد لام القسم بأنه سبحانه قبل توبتهم وطاعانهم وإنما ذكر اسم النبي ﷺ مفتاحاً للكلام وتحسيناً له ولأنه سبب توبتهم وإلا فلم يكن منه ما يوجب التوبة وقد روي عن الرضا علي بن موسى عليه السلام أنه قرأ لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والأنصار (الذين اتبعوه) في الخروج معه إلى تبوك (في ساعة العسرة) وهي صعوبة الأمر قال جابر يعني عسرة الزاد وعسرة الظهر وعسرة الماء والمراد بساعة العسرة لأن الساعة تقع على كل زمان وقال عمر ابن الخطاب أصابنا حر شديد وعطش فأمر الله سبحانه السماء بدعاء النبي ﷺ فغشنا بذلك (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) عن الجهاد فهموا بالانصراف من غزاتهم من غير امر فعصمهم الله تعالى من ذلك حتى مضوا مع النبي ﷺ (ثم تاب عليهم) من بعد ذلك الزبغ ولم يرد بالزبغ هاهنا الزبغ عن الإيمان (أنه بهم رؤوف رحيم) تداركهم برحمته والرأفة أعظم من الرحمة (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) قال مجاهد معناه خلفوا عن قبول التوبة بعد قبول توبة من قبل توبتهم من المنافقين كما قال سبحانه فيما مضى وآخرون مرجون لأمر الله أما يعذبهم وإما يتوب عليهم وقال الحسن وقتادة معناه خلفوا عن غزوة تبوك لما تخلفواهم وأما قراءة أهل البيت عليهم السلام خلفوا فإنهم قالوا لو كانوا خلفوا لما توجه عليهم العذب ولكنهم خلفوا (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) أي برحبها وما هاهنا مصدرية ومعناه ضاقت عليهم الأرض مع اتساعها وهذه صفة من بلغ غاية الندم حتى كأنه لا يجد لنفسه مذهباً وذلك بأن النبي أمر الناس بأن لا يجالسوا ولا يكلموهم كما مر ذكره لأنه كان نزلت توبة الناس ولم تنزل توبتهم ولم يكن ذلك على معنى رد توبتهم لأنهم كانوا مأمورين بالتوبة ولا يجوز في الحكمة رد توبة من يتوب في وقت التوبة لكن الله سبحانه أراد بذلك تشديد المحنة عليهم في تأخير انزال توبتهم وأراد بذلك استصلاحهم واستصلاح غيرهم لئلا يعودوا إلى مثله (وضاقت عليهم أنفسهم) هذه عبارة عن المبالغة في الغم حتى كأنهم لم يجدوا لأنفسهم موضعاً يخفون فيه وقيل معنى ضيق أنفسهم ضيق صدورهم بألم الذي حصل فيها (وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه) أي وأيقنوا أنه لا يعصمهم من الله موضع يعتصمون به ويلجأون إليه غيره تعالى ومعناه علموا أنه لا معتصم من الله إلا به وأن لا ينجهم من عذاب الله إلا التوبة (ثم تاب عليهم ليتوبوا) أي ثم سهل الله عليهم التوبة حتى تابوا وقيل ليتوبوا أي ليعودوا إلى حالتهم الأولى قبل المعصية وقيل معناه ثم تاب على الثلاثة وانزل توبتهم على نبيه ﷺ ليتوب المؤمنون من ذنوبهم لعلمهم بأن الله سبحانه قابل التوبة قال الحسن أما والله ما سفكوا من دم ولا أخذوا من مال ولا قطعوا من رحم ولكن المسلمين تسارعوا في الشخوص مع رسول الله ﷺ وتخلف هؤلاء وكان أحدهم تخلف بسبب ضيعة له والآخر لأهله والآخر طلباً للراحة ثم ندموا وتابوا فقبل الله توبتهم (إن الله هو التواب) أي الكثير القبول للتوبة (الرحيم) بعباده

✽ النظم ✽

اتصلت الآية الأولى بقوله التائبون الآية اثني الله سبحانه عليهم هناك وبين في هذه الآية قبول توبتهم ورضاه عنه باتباعهم للنبي ﷺ في ساعة العسرة عن أبي مسلم وقيل أنه سبحانه لما ذكر أن له ملك السماوات والأرض ولا ناصر لأحد دونه بين عقبيه رحمته بالمؤمنين ورافته بهم في قبول توبتهم

قوله تعالى (١١٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ آية

✽ القراءة ✽

في مصحف عبد الله وقراءة ابن عباس من الصادقين وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع)

اللغة

الصادق هو القائل بالحق العامل به لأنه صفة مدح ولا يطلق إلا على من يستحق المدح على صدقه

المعنى

ثم خاطب الله سبحانه المؤمنين الصادقين بالله المقرين بنبوة نبيه ﷺ فقال (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) أي اتقوا معاصي الله واجتنبوها (وكونوا مع الصادقين) الذين يصدقون في اخبارهم ولا يكذبون ومعناه كونوا على مذهب من يستعمل الصدق في اقواله وأفعاله وصاحبهم ورافقهم كقولك أنا مع فلان في هذه المسئلة أي أقتدي به فيها وقد وصف الله الصادقين في سورة البقرة بقوله ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر إلى قوله أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون فأمر سبحانه بالافتداء بهؤلاء الصادقين المتقين وقيل المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم الله في كتابه وهو قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب ومنهم من ينتظر يعني علي بن أبي طالب (ع) وروى الكافي عن أبي صالح عن ابن عباس قال كونوا مع الصادقين مع علي واصحابه وروى جابر عن أبي جعفر (ع) في قوله وكونوا مع الصادقين قال مع آل محمد ﷺ واصحابه عن نافع مع النبيين والصديقين في الجنة بالعمل الصالح في الدنيا عن الضحاك وقيل مع محمد ﷺ واصحابه عن نافع وقيل مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم واعمالهم وخرجوا مع رسول الله ﷺ ولم يتخلفوا عنه عن ابن عباس وقيل ان معنى مع هنا معنى من فكانه أمر بالكون من جملة الصادقين وبعضه قراءة من قرأ من الصادقين والمعنيان متقاربان هنا لأن مع للمصاحبة ومن للتبعيض فإذا كان من جملتهم فهو معهم وبعضهم وقال ابن مسعود لا يصح من الكذب جد ولا هزل ولا أن بعد احدكم صبيه ثم لا ينجز له اقراوا إن شئت هذه الآية هل ترون في الكذب رخصة

قوله تعالى (١٢٠) مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢١) وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ آيَاتان

اللغة

الرجبة طلب المنفعة يقال رغب فيه إذا طلب المنفعة به ورغب عنه إذا طلب المنفعة بتركه والظما شدة العطش والنصب التعب ومثله الوصب قال النابغة

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطي الكواكب

والمخمصة المجاعة وأصله ضمور البطن للمجاعة ورجل خميص البطن وامرأة خمصانة ضامرة البطن والموطئ الأرض والغيظ انتقاض الطبع بما يرى مما يسوؤه يقال غاظه يغيظه

المعنى

لما قص الله سبحانه قصة الذين تأخروا عن الخروج مع النبي ﷺ إلى غزوة تبوك ثم اعتذارهم عن ذلك وتوبتهم منه وأنه قبل توبة من ندم على ما كان منه لرافته بهم ورحمته عليهم ذكر عقيب ذلك على وجه التوبيخ

لهم والاوزاء على ما كانوا فعلوه فقال (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) ظاهره خبر ومعناه نهي مثل قوله ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله أي ما كان يجوز وما كان يحل لأهل مدينة الرسول ومن حولهم من سكان البوادي أن يتخلفوا عنه في غزاة تبوك وغيرها بغير عذر وقيل انه مزينة وجهينة واشجع وغفار واسلم (ولا يراغبوا بأنفسهم عن نفسه) أي ما كان يجوز لهم ولجميع المؤمنين أن يطلبوا قمع نفوسهم بتوقيتها دون نفسه وهذه فريضة ألزمهم الله إياها حتى رسول الله ﷺ فيما دعاهم إليه من الهدى الذي اهدوا به وخرجوا من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان وقيل معناه ولا يرضوا لأنفسهم بالخفض والدعة ورسول الله في الحر والمثقة يقال رغبت بنفسي عن هذا الأمر أي ترفعت عنه بل عليهم أن يجعلوا أنفسهم وقاية للنبي ﷺ (ذلك) أي ذلك النهي لهم والزجر عن التخلف (بأنهم لا يصيبهم ظمأ) أي عطش (ولا نصب) أي ولا تعب في ابدانهم (ولا مخصصة في سبيل الله) أي ولا مجاعة وهي أشدة الجوع في طاعة الله (ولا يطؤون موطئاً يعيظ الكفار) أي لا يضعون اقدامهم موضعاً يعيظ الكفار وطؤهم إياه يعني دار الحرب فإن الإنسان يعيظه ويغضبه أن يظأ غيره موضعه (ولا يتالون من عدو نيلاً) أي ولا يصيبون من المشركين أسراً من قتل أو جراحة أو مال أو أمر بغنمهم ويعيظهم (إلا كتب لهم به عمل صالح) وطاعة رفيعة (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) أي الذين يفعلون الأفعال الحسنة التي يستحق بها المدح والثواب وفي هذا تحريض على الجهاد وأعمال الخير (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة) أي ولا ينفقون في الجهاد ولا في غيره من سبل الخير والمعروف نفقة قليلة ولا كثيرة يريدون بذلك اعزاز دين الله ونفع المسلمين والتقرب بذلك إلى الله تعالى (ولا يقطعون وادياً) أي ولا يجاوزون وادياً (إلا كتب لهم) ثواب ذلك (ليجزئهم الله أحسن ما كانوا يعملون) أي يكتب طاعتهم ليجزيهم عليها بقدر استحقاقهم ويزيدهم من فضله حتى يصير الثواب أحسن وأكثر من عملهم وقيل ان الأحسن من صفة فعلهم لأن الأعمال على وجوه واجب ومندوب ومباح وإنما يجازى على الواجب والمندوب دون المباح فيقع الجزاء على أحسن الأعمال وقيل معناه ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون قال ابن عباس يرضيهم بالثواب ويدخلهم الجنة بغير حساب والآيتان تدلان على وجوب الجهاد مع رسول الله ﷺ وحظر التخلف عنه وقد اختلف في ذلك فقيل المراد بذلك جميع من دعاه النبي ﷺ إلى الجهاد وهو الصحيح وقيل المراد به أهل المدينة ومن حولها من الأعراب ثم اختلف فيه من وجه آخر فقيل انه خاص في النبي ﷺ ليس لأحد أن يتخلف عنه في الجهاد إلا لعذر فأما غيره من الأئمة فيجوز التخلف عنه عن قتادة وقيل ان ذلك لأول هذه الأمة وآخرها من المجاهدين في سبيل الله عن الأوزاعي وابن المبارك وقيل ان هذا كان في ابتداء الإسلام وفي أهله قلة فأما الآن وقد كثرت الإسلام وأهله فإنه منسوخ بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية عن ابن زيد وهذا هو الأقوى لأنه لا خلاف ان الجهاد من فروض الكفايات فلو لزم كل أحد لصار من فروض الأعيان

قوله تعالى (١٢٢) وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٤) وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٥) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ أَرْبَعُ آيَاتٍ

﴿ اللغة ﴾

التفقه تعلم الفقه والفقه العلم بالشيء وفي حديث سلمان انه قال لامرأة ففهمت أي علمت وفهمت فأما ففهمت بضم القاف فمعناه صارت فقيهة وقد اختص في العرف بعلم الأحكام الشرعية فيقال لكل عالم بها فقيه وقيل الفقه فهم المعاني المستنبطة ولذلك لا يقال الله سبحانه فقيه والحذر تجنب الشيء بما فيه من المصرة قال الزجاج يقال غلظة وغلظة وغلظة ثلاث لغات قال ابو الحسن قراءة الناس بالكسر وهي العربية والمراد بالمرض في الآية الشك فإنه فساد في القلب يحتاج إلى العلاج كما ان الفساد في البدن يحتاج إلى مداواة ومرض القلب اعضل وعلاجه أعسر ودواؤه أعز وأطباؤه أقل

﴿ الإعراب ﴾

لولا نفر بمعنى هلا نفر وهي للتخصيص إذا دخلت على الفعل فإذا دخلت على الاسم فمعناها امتناع الشيء لأجل وجود غيره ليتفقوا أي ليتفقوا باقوهم لأنه إذا قر طائفة منهم تفقه من بقي منهم وإن شئت فمعناه ليتفقوا كلهم لأنه من قر منهم إذا رجع استعلم من بقي فصار كلهم فقيهاً وهم يستبشرون جملة في موضع الحال وكذلك قوله وهم كافرون

﴿ النزول ﴾

قيل كان رسول الله ﷺ إذا خرج غازياً لم يتخلف عنه إلا المنافقون والمعذرون فلما أنزل الله تعالى عيوب المنافقين وبين تفاهيمهم في غزاة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن غزاة يغزوها رسول الله ﷺ ولا سرية ابدافاً لأمير رسول الله ﷺ بالسرايا إلى الغزوة نفر المسلمون جميعاً وتر كوا رسول الله ﷺ وحده فأنزل الله سبحانه وما كان المؤمنون لينفروا الآية عن ابن عباس في رواية الكلبى وقيل انها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله ﷺ خرجوا في البوادي فأصابوا من الناس معروفًا وخصباً ودعوا من وجدوا من الناس على الهدى فقال الناس وما نراكم إلا وقد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجاً وأقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على النبي ﷺ فأنزل الله عز وجل هذه الآية عن مجاهد

« المعنى »

لما تقدم الترغيب في الجهاد بأبلغ اسباب الترغيب وتأنيب من تخلف عنه بأبلغ اسباب التأنيب بين في هذه الآية موضع الرخصة في تأخر من تأخر عنه فقال سبحانه (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) وهذا نفي معناه النهي أي ليس للمؤمنين ان ينفروا ويخرجوا إلى الجهاد باجمعهم ويتركوا النبي ﷺ فريداً وحيداً وقيل معناه ليس عليهم ان ينفروا كلهم من بلادهم إلى النبي ﷺ ليتعلموا الدين ويضيعوا ما وراءهم ويخلوا ديارهم عن الجبائي (فلولا قر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقوا في الدين) اختلف في معناه على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه فهلاً خرج إلى الغزوة من كل قبيلة جماعة ويبقى مع النبي ﷺ جماعة ليتفقوا في الدين يعني الفرقة القاعدية يتعلمون القرآن والسنن والفرائض والأحكام فإذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن وتعلمه القاعدون قالوا لهم إذا رجعوا اليهم ان الله قد انزل بعدكم على نبيكم قرآناً وقد تعلمناه فتعلمه السرايا فذلك قوله (وليندروا قومهم إذا رجعوا اليهم) أي وليعلموهم القرآن ويخوفوهم به إذا رجعوا اليهم (لعلمهم يحذرون) فلا يعملون بخلافه عن ابن عباس في رواية الوالبي وقتادة والضحاك وقال الباقر (ع) كان هذا حين كثر الناس فأمرهم الله ان نفر منهم طائفة وتقيم طائفة للتفقه وان يكون الغزوة نوباً ﴿ وثانيها ﴾ ان التفقه والانداز يرجعان إلى الفرقة النافرة وحشاها الله تعالى على التفقه لترجع إلى المخلفة فتحذرهما ومعنى ليتفقوا في الدين ليتبصروا ويتيقنوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين وليندروا قومهم من الكفار إذا رجعوا اليهم من

الجهاد فيخبروهم بنصر الله النبي والمؤمنين ويخبروهم انهم لا يبدان لهم بقتال النبي والمؤمنين لعلمهم يحذرون ان يقاتلوا النبي ﷺ فينزل بهم ما نزل بأصحابهم من الكفار عن الحسن وابي مسلم قال ابو مسلم اجتمع للنافرة ثواب الجهاد والتفقه في الدين وانذار قومهم * وثالثها * ان التفقه راجع الى النافرة والتقدير ما كان لجميع المؤمنين ان ينفروا الى النبي ﷺ ويخلوا ديارهم ولكن لينفر اليه من كل ناحية طائفة لتسمع كلامه وتعلم الدين منه ثم ترجع الى قومها فتبين لهم ذلك وتندبرهم عن الجبائي قال والمراد بالنفر هنا الخروج لطلب العلم وانما سمي ذلك قرا لما فيه من مجاهدة اعداء الدين قال القاضي ابو عاصم وفي هذا دليل على اختصاص الغربية بالتفقه وأن الانسان يتفقه في الغربية مالا يمكنه ذلك في الوطن ثم بين سبحانه ما يجب تقديمه فقال (يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار) اي قاتلوا من قرب منكم من الكفار الاقرب منهم فالاقرب في النسب والدار وقال الحسن كان هذا قبل الأمر بقتال المشركين كافة وقال غيره هذا الحكم قائم الآن لأنه لا ينبغي لأهل كل بلد ان يخرجوا الى قتال الأبعد ويدعوا الأقرب والادنى لأن ذلك يؤدي الى الضرر وربما يمنعهم ذلك عن المضي في وجهتهم إلا أن يكون بينهم وبين الاقرب موادة فلا بأس حينئذ بمجاوزة الأقرب إلى الأبعد على ما يراه المتولي لامور المسلمين ولو قال سبحانه قاتلوا الأبعد فالأبعد لكان لا يصح لانه لا أحد للأبعد يبتدىء منه كما للأقرب وفي هذا دلالة على انه يجب على اهل كل ثغر الدفاع عن انفسهم إذا خافوا على بيضة الإسلام وإن لم يكن هناك إمام عادل وقال ابن عباس امروا ان يقاتلوا الادنى فالأدنى من عدوهم مثل قريظة والنضير وخيبر وفدك وقال ابن عمر انهم الروم لأنهم سكان الشام والشام أقرب إلى المدينة من العراق وكن الحسن إذا سئل عن قتال الروم والتترك والدبلم تلا هذه الآية (وليجدوا فيكم غلظة) اي شجاعة عن ابن عباس وقيل شدة عن مجاهد وقيل صبراً على الجهاد عن الحسن والمعنى وليحسوا منكم بضداللين وخلاف الرقة وهو العنف والشدة ليكون زجرهم لهم (واعلموا أن الله مع المتقين) عن الشرك اي معيتمهم وناصرهم ومن كان الله ناصرهم لم يغلبه احد فاما إذا نصره سبحانه بالحجة فإنه يجوز أن يغلب بالحرب لضرب من المحنة وشدة التكليف ثم عاد الكلام إلى ذكر المنافقين فقال سبحانه (وإذا ما انزلت سورة) في القرآن (فمنهم) أي من المنافقين (من يقول) على وجه الإنكار اي يقول بعضهم لبعض (ايكم زادت هذه) السورة (إيماناً) وقيل معناه يقول المنافقون للمؤمنين الذين في ايمانهم ضعف ايمانكم زادت هذه السورة إيماناً أي يقينا وبصيرة (أما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) معناه أما المؤمنون المخلصون فزادتهم تصديقاً بالفرائض مع ايمانهم بالله عن ابن عباس ووجه زيادة الايمان انهم كانوا مؤمنين بما قد نزل من قبل وآمنوا بما انزل الآن (وهم يستبشرون) اي يسرون ويبشرون بعضهم بعضاً قد تهلت وجوههم وفرحوا بنزولها (وأما الذين في قلوبهم مرض) أي شك وتفاق (فزادتهم رجساً إلى رجسهم) أي تفاقوا وكفروا إلى تفاقهم وكفروهم لأنهم يشكون في هذه السورة كما شكوا فيما تقدمها من السور فذلك هو الزيادة وسمي الكفر رجساً على وجه الذم له وانه يجب تجنبه كما يجب تجنب الارجاس وأضاف الزيادة إلى السورة لأنهم يزدادون عندها رجساً ومثله كفى بالسلامة داءً وقول الشاعر «وحسبك داءً ان تصح وتسلم» (وماتوا وهم كافرون) أي واداهم شكهم فيما أنزل الله تعالى من السور إلى أن ماتوا على كفرهم وأبوا شراً مآب

قوله تعالى (١٢٦) **أُولَا يَرُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ** (١٢٧) **وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاءُكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ** (١٢٨) **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ** (١٢٩) **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ**

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَرْبَعُ آيَاتٍ

❖ القراءة ❖

قرأ أولاً ترون بالتاء حمزة ويعقوب وهي قراءة أبي والقراءة المشهورة من أنفسكم بضم الفاء وقرأ ابن عباس وابن عليّة وابن محيصن والزهري من أنفسكم بفتح الفاء وقيل إنها قراءة فاطمة «ع»

❖ الحجة ❖

من قرأ بالتاء فهو خطاب للمؤمنين ومن قرأ بالياء فهو توبيخ للمنافقين بالاعراض عما يجب أن لا يعرضوا عنه من التوبة والإقلاع عما هم عليه من النفاق ومن قرأ من أنفسكم بفتح الفاء فمعناه من أشرفكم ومن خياركم يقال هذا أنفس المتاع أي أجوده وخياره واشتقاقه من النفس وهي أشرف ما في الإنسان

❖ اللغة ❖

العزیز الشديد والعزیز في صفات الله تعالى معناه المنيع القادر الذي لا يتعذر عليه فعل ما يريد والعزة امتناع الشيء بما يتعذر معه ما يحاول منه وهو على ثلاثة أوجه امتناع الشيء بالقدرة أو بالقلة أو بالصعوبة والعنت لقاء الشدة والأذى الذي يضيق به الصدر وعنت الدابة بعنتاً إذا حدثت في قوائمه كسبر بعد جبر لا يمكنه معه الجري فكأنه شق عليه الجري وأكمة عنوت شاقة المصعد وحسبي الله أي كافي الله وهو من الحساب لأنه تعالى يعطي بحسب الكفاية التي تغني عن غيره وبزيد من نعمه ما لا يبلغ إلى حد ونهاية إذ نعمه دائماً ومنته متواترة متظاهرة والتوكل تفويض الأمر إلى الله على الثقة بحسن تدبيره وكفايته

— (الاعراب) —

أولاً يرون الواو للعطف دخلت عليها همزة الاستفهام ويحتمل الروية أن تكون المتعديّة إلى مفعولين وإن تكون من روية العين فإذا كانت المتعديّة إلى المفعولين بسدان مسدّهما وإن كانت من روية العين يكون ابلغ ما عنتم ما مصدرية وتقديره عزيز عليه عنتم فهو في موضع رفع بعزيز وقوله لا إله إلا هو جملة في موضع الحال وتقديره حسبي الله مستحقاً لإخلاص العبادة والإقرار بالوحدانية وجر القراء كلهم العظيم على أنه صفة العرش ولو قرئ بالرفع على أن يكون صفة لرب العرش لجاز

❖ المعنى ❖

ثمّ به سبحانه على اعراض المنافقين عن النظر والتدبر لما ينبغي أن ينظروا ويتدبروا فيه فقال (أولاً يرون) أي أو لا يعلم هؤلاء المنافقون وقيل معناه أولاً يبصرون (انهم يفتنون) أي يمتحنون (في كل عام مرة أو مرتين) أي دفعة أو دفعتين بالأمرض والأوجاع هو رائد الموت (ثم لا يثوبون) أي لا يرجعون عن كفرهم (ولاهم يذكرون) أي لا يتذكرون نعم الله عليهم وقبل يمتحنون بالجهاد مع رسول الله ﷺ وما يرون من نصرة الله رسوله وما ينال أعداؤه من القتل والسبي عن ابن عباس والحسن وقيل بالقحط والجوع عن مجاهد وقيل يبتك استارهم وما يظهر من حيث مرأئهم عن مقاتل وقيل بالبلاء والجلأ ومنع القطر وذهاب الثمار عن الضحاك (وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض) معناه وإذا نزلت سورة من القرآن وهم حضور عند النبي ﷺ كرهوا ما يسمعونه ونظر بعضهم إلى بعض نظراً يؤمنون به (هل يراكم من أحد) وإنما يفعلون ذلك لأنهم منافقون يحذرون أن يعلم بهم فكأنهم يقول بعضهم لبعض هل يراكم من أحد ثم يقومون فينصرفون وإنما يفعلون ذلك مخافة أن تنزل آية تفضحهم وكانوا لا يقولون ذلك بأنفسهم ولكن ينظرون نظر من يقول لغيره ذلك القول فكأنه يقول ذلك وقيل معناه إن المنافقين كان ينظر بعضهم إلى بعض نظر تعنت وطمع في القرآن ثم يقولون هل يرانا أحد من

المسلمين فإذا تحقق لهم انه لا يراهم احد من المسلمين بالغوا فيه وان علموا انهم يراهم واحد منهم كفوا عنه
(ثم انصرفوا) اي انصرفوا عن المجلس وقيل انصرفوا عن الايمان به (صرف الله قلوبهم) عن الفوائد التي
يستفيدونها المؤمنون والسرور بها وحرموا الاستبشار بتلك الحال وقيل معناه صرف الله قلوبهم عن رحمته وثوابه
عقوبة لهم على انصرفهم عن الايمان بالقرآن وعن مجلس النبي ﷺ وقيل انه على وجه الدعاء عليهم أي
خذلهم الله باستحقاقهم ذلك ودعاء الله على عباده وعيد لهم واخبار بلحاق العذاب بهم عن ابي مسلم (بأنهم قوم
لا يفقهون) أي ذلك بسبب انهم لا يفقهون مراد الله بخطابه لأنهم لا ينظرون فيه ثم خاطب الله سبحانه جميع
الخلق واكد خطابه بالقسم فقال (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) عني بالرسول محمدا ﷺ أي جاءكم
رسول من جنسكم من البشر ثم من العرب ثم من بني اسماعيل عن السدي وقيل ان الخطاب للعرب وليس في العرب
قبيلة إلا وقد ولدت النبي ﷺ وله فيهم نسب عن ابن عباس وقيل معناه انه من نكاح لم يصبه شيء من ولادة
الجاهلية عن الصادق «ع» وروى ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء
ما ولدني إلا نكاح كنيكاح الاسلام وإنما من الله عليهم بكونه منهم لأنهم إذا عرفوا مولده ومنشأه وشاهدوه
صغيراً وكبيراً وعرفوا حاله في صدقه وأمانته ولم يعثروا على شيء يوجب نقصاً فيه فبالحري أن يكونوا اقرب الى
القبول منه والالتقياد له (عزيز عليه ما عنتم) معناه شديد عليه عنتم أي ما يلحقكم من الضرر بترك الايمان
وقيل معناه شديد عليه ما أتمتم عن الكبي والضحاك وقيل ما اعتنكم وضرركم عن القتيبي وقيل ما هلكتم عليه عن
ابن الانباري (حريص عليكم) معناه حريص على من لم يؤمن أن يؤمن عن الحسن وقتادة (بالمؤمنين رؤوف
رحيم) قيل هما واحد والرافة شدة الرحمة وقيل رؤوف بالمطيعين منهم رحيم بالمذنبين وقيل رؤوف بأقربائه
رحيم بأوليائه رؤوف لمن رآه رحيم بمن لم يره وقال بعض السلف لم يجمع الله سبحانه لأحد من الأنبياء بين
اسمين من اسمائه إلا للنبي ﷺ فإنه قال بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال ان الله بالناس لرؤوف رحيم (فإن
تولوا) أي ذهبوا عن الحق واتباع الرسول وما يأمرهم به واعرضوا عن قبوله وقيل معناه فإن تولوا عنك وعن
الإقرار بنبوتك (فقل حسبي الله) أي كافي الله فإنه القادر على كل شيء (لا إله إلا هو عليه توكلت) وبه
وثقت وعليه اعتمدت وأموري اليه فوضت (وهو رب العرش العظيم) خص العرش بالذكر تفخيماً لشأنه ولأنه
إذا كان رب العرش مع عظمه كان رب ما دونه في العظم وقيل ان العرش عبارة عن الملك والسلطان فمعناه
رب الملك العظيم في السماوات والارض عن ابي مسلم وقيل ان هذه الآية آخر آية نزلت من السماء وآخر سورة
كاملة نزلت سورة براءة وقال قتادة آخر القرآن عهداً بالسما هاتان الآيتان خاتمة براءة

سورة يونس

هي مكية في قول الاكثرين وروي عن ابن عباس وقناة الا ثلاث آيات نزلت بالمدينة فإن كنت في شك مما انزلنا اليك إلى آخره وقال ابن المبارك الا ومنهم من يؤمن به الآية فإنها نزلت في اليهود بالمدينة

عدد آياتها

مائة وتسع آيات عند الجميع غير الشامي فإنه يقول وعشر آيات

اختلافها

ثلاث آيات مخلصين له الدين وشفاء لما في الصدور شامي من الشاكرين غير الشامي

فضلها

ابن بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأها اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعد من غرق مع فرعون وروي عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة يونس في كل شهرين او ثلاثة لم يخف عليه آل يكون من الجاهلين وكان يوم القيامة من المقربين

تفسيرها

لما ختم الله سورة البراءة بذكر الرسول افتتح هذه السورة بذكره وما انزل عليه من القرآن فقال
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) اَلرَّ تِلْكَ اَيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) اَ كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا اَنْ اَوْحَيْنَا اِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ اَنْ اَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ اٰمَنُوْا اَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ اِنَّ هَذَا سَاحِرٌ مِّبِينٌ اَيْتَان

القراءة

قرأ آثر بإمالة الراء ابو عمرو وأهل الكوفة غير عاصم إلا يجيى وقرأ الباقر بالتفخيم وقرأ اساحر بالالف ابن كثير وأهل الكوفة وقرأ الباقر لسحر بكسر السين وبغير الف

(الحجة) =

قال ابو علي من امال فقال رايها فلائها اساء لما تلفظ بها من الاصوات المنقطعة في مخارج الحروف كما ان غاقف اسم للصوت الذي يصوته الغراب فجازت الإمالة فيها من حيث كانت اسما ولم تكن كالحروف التي يمتنع فيها الإمالة نحو ما ولا وما اشبهها من الحروف فإن قلت ان الأسماء لا تكون على حرفين احدهما حرف لين وإمالة يكون على هذه الصفة الحروف نحو ما ولا فالقول ان هذه الأسماء لا يمتنع أن تكون على حرفين احدهما حرف لين لأن التنوين لا يلحقها فيؤمن لا امتناع التنوين من اللحاق لها ان تبقى على حرف واحد فإذا أمن ذلك لم يمتنع أن يكون الاسم على حرفين احدهما حرف لين الا ترى انهم قد قالوا هذا شاة فجاء على حرفين احدهما حرف لين لما امن لحاق التنوين له لاتصال علامة التأنيث به وكذا قولك رأيت رجلا ذا مال لاتصال المضاف اليه به وكذلك قولهم كسرت فازيد قال وبدل على قول من قال لسحر قوله سبحانه قالوا هذا سحر وانا به كافرون وبدل على ساحر قوله وقال

الكافرون هذا ساحر كذاب وقد تقدم قوله اوحينا إلى رجل منهم فمن قرأ ساحر اراد الرجل ومن قرأ
سحر اراد الذي اوحى سحر

✽ اللغة ✽

الآية العلامة التي تنبئ عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة والقرآن مفصل بالآيات مضمن بالحكم
النافية للشبهات والحكيم ههنا بمعنى المحكم فعيل بمعنى مفعول قال الاعشى
وغريبة تأتي الملوك حكيمة
وأشده ابو عبيدة لأبي ذؤيب

يواعدني عكاظ لنزانه ولم يشعر إذا أنى خليف
أي مخلف من اخلفته الوعد وقبل هو بمعنى الحاكم ودليله قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه قال
الازهري القدم الشيء الذي تقدمه قدامك ليكون عدة لك حتى تقدم عليه وقيل القدم المتقدم كالتقص
والقبض قال ابن الاعرابي القدم المتقدم في الشرف وقال العجاج
ذل بنو العوام عن آل الحكم وتر كوا الملك لملك ذي قدم
وقال الازهري فلان يمشي القدمية والتقدمية اذا تقدم في الشرف وقال ابو عبيدة والكسائي كل
سابق في خير أو شر فهو عند العرب قدم ويقال لفلان قدم في الإسلام وهو موثق يقال قدم حسنة قال
حسان

لنا القدم العليا اليك وخلفنا لأولنا في طاعة الله تابع
وقال ذو الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس انها مع الحسب العادي طمت على البحر

✽ الاعراب ✽

أضيفت آيات الى الكتاب لأنها ابعاض الكتاب كما ان سوره ابعاضه وان اوحينا في موضع رفع بأنه
اسم كان وعجبا خبره واللام في قوله للناس يتعلق بمحذوف كان صفة لعجب فلما تقدم صار حالا كقوله
«لعزة موحشا طلل قديم» وان شئت كان ظرفا لكان وان انذر في موضع نصب تقديره اوحينا بأن أنذر فحذف
الجار فوصل الفعل وان لم قدم صدق كذلك موضعه نصب بقوله وبشر ولو قرئ ان لهم بالكسر لكان
جائزا لأن البشارة في معنى القول الا أنه لم يقرأ به وأضيف قدم الى صدق كما يقال مسجد الجامع

✽ المعنى ✽

قد مضى الكلام في معاني الحروف المعجمة المذكورة في أوائل السور من قبل (تلك آيات الكتاب
الحكيم) معناه ان الآيات التي جرى ذكرها او الآيات التي أنزلت على محمد ﷺ هي آيات القرآن
المحكم من الباطل الممنوع من الفساد لا كذب فيه ولا اختلاف وقيل تلك أي هذه السور آيات الكتاب
الحكيم أي اللوح المحفوظ وسماه محكما لأنه ناطق بالحكمة وقيل لأنه جمع العلوم والحكمة وقيل إنما
وصف الكتاب بالحكيم لأنه دليل على الحق كالناطق بالحكمة ولأنه يؤدي الى المعرفة التي تميز بها طريق
الهلاك من طريق النجاة (أكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس) هذه الف استفهام

المراد به الإنكار وقيل ان المراد بالناس هنا أهل مكة قالوا تعجب ان الله سبحانه لم يجد رسولا يرسله الى الناس إلا يتيم ابي طالب والتقدير أكان ايجاوننا الى رجل من الناس بأن يندرم عجبنا ومعناه لماذا تعجبون ان أوحينا الى رجل منهم وليس هذا موضع التعجب بل هو الذي كان يجب فعله عند كل العقلاء فإن الله تعالى لما اكل لعباده عقولهم وكفهم معرفته واداء شكره وعلم انهم لا يصلحون ولا يقومون بذلك الأبداع يدعوهم اليه ومنبه ينبههم عليه وجب في الحكمة أن يفعل ذلك ثم بين سبحانه الوجه الذي لأجله بعث وما الذي أوحى اليه فقال ان انذر الناس اي اخبرهم بالعذاب وخوفهم به (وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم) اي عرفهم مافيه الشرف والخلود في نعيم الجنة على وجه الإكرام والإجلال لصالح الاعمال وقيل ان لهم قدم صدق اي اجرا حسنا ومنزلة رفيعة بما قدموا من اعمالهم عن ابن عباس وروي عنه ايضا ان المعنى سبقت لهم السعادة في الذكر الأول ويؤيده قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وقيل هو تقديم الله تعالى إياهم في البعث يوم القيامة بيانه قوله «ع» نحن الآخرون السابقون يوم القيامة وقيل ان القدم اسم للحسنى من العبد واليد اسم للحسنى من السيد للفرق بين السيد والعبد وقيل ان معنى قدم صدق شفاعته محمد صلى الله عليه وسلم لهم يوم القيامة عن ابي سعيد الخدري وهو المروي عن ابي عبد الله «ع» قال الكافرون (ان هذا لساحر مبين) يعنون النبي أي قالوا هذا ساحر مظهر للسحر وما أتى به سحر بين على اختلاف القراءتين والسحر فعل يخفى وجه الحيلة فيه حتى يتوهم انه معجز وهذا يدل على عجزهم عن معارضة القرآن ولذلك عدلوا إلى وصفه بالسحر

قوله تعالى (٣) إِنَّ رَبَّكُمْ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٤) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللهُ حَقًّا أَنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ

آياتان

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر المدني انه يبدأ بفتح الهمزة وهو قراءة الاعمش والباقون بكسرها

﴿ الحجة ﴾

من قرأ انه فتقديره وعد الله حقا لأنه يبدأ الخلق ثم يعيده اي من قدر على هذا الأمر العظيم فإنه غني عن أخلاف الوعد وان شئت كان تقديره وعد الله وعدا حقا انه يبدأ الخلق فيكون في محل النصب بالفعل الناصب لقوله وعدا قال ابن جنبي ولا يجوز ان يكون انه منصوبه الموضع بنفس وعدا لأنه قد وصف بقوله حقا والصفة اذا جرت على موصوفها اذنت بتمامه وانقضاء اجزائه ولا يكون تاما اذا كان ما بعد الصفة من صلته فأما قول الخطيئة

ازمعت ياسا مبينا من نوالكم ولن ترى طاردا للحرك كالياس

فإن قوله من نوالكم ليس من صلة ياس بل بتعلق بفعل يدل عليه قوله ياسا مبينا فكأنه قال فيما بعد

يُست من نوالكم وقال الفراء من فتح جملة مفعول حقا كما في قول الشاعر
 أحقا عباد الله أن لست زائرا بثينة او يلقي الثريا رقيبها
 = اللغة =

القسط العدل ومنه القسط النصيب والقسط بفتح القاف الجور والقسط بفتح القاف والسين اعوجاج في
 الرجلين والحميم الماء الذي اسخن بالنار اشد اسخان قال المرقش الأصغر
 في كل يوم لها مقطرة فيها كباء معد وحميم
 * الأعراب *

جميعا نصب على الحال وعد الله منصوب على المصدر لأن قوله اليه مرجعكم معناه الوعد بالرجوع وحقا
 منصوب على أحق ذلك حقا عن الزجاج وأضيف المصدر في قوله وعد الله الى الفاعل لما لم يذكر الفعل كما
 في قول كعب بن زهير

تسمى الوشاة جنابيتها وقيلهم إنك يا ابن ابي سلمى لمقتول
 أي ويقولون قيلهم

* المعنى *

(ان ربكم) أي خالقكم ومنشئكم ومالك تدبيركم وتصريفكم من امره ونهيه والذي يجب عليكم عبادته
 (الله الذي خلق السماوات والارض) أي اخترعها وأنشأها على ما فيها من عجائب الصنعة وبدائع الحكمة
 في ستة ايام بلا زيادة وتقصان مع قدرته على إنشائها دفعة واحدة والوجه فيه ان في ذلك مصلحة للملائكة
 وعبرة لهم ولغيرهم إذا اخبروا عن ذلك وكذلك تصريف الانسان حالا بعد حال واخراج الثمار والازهار
 شيئا بعد شيء مع قدرته على ذلك في اقل من لمح البصر لأن ذلك أبعد من توهم الاتفاق فيه (ثم استوى
 على العرش) مر تفسيره في سورة الاعراف وقيل ان العرش المذكور هنا هو السماوات والارض لأنهن من
 بنائه والعرش البناء واما العرش العظيم الذي تعبد الله سبحانه للملائكة بالحفوف به والإعظام له وعنايه بقوله
 الذين يحملون العرش ومن حوله فهو غير هذا وقيل ان ثم هنا معنى الواو وقيل ان ثم دخل على التدبير وتقديره
 أي ثم استوى عليه بإنشاء التدبير من جهته كما يستوي الملك على سرير ملكه بالاستيلاء على تدبيره فإن
 تدبير الأمور كلها ينزل من عند العرش ولهذا ترفع الأيدي في دعاء الحوائج نحو العرش (يدبر الأمر) أي يقدره
 وينفذه على وجهه ويرتبه على مراتبه على احكام عواقبه وهو مأخوذ من الدبور (ما من شفيع إلا من بعد
 إذنه) إنما قال هذا وإن لم يجر ذكر للشفعاء لأن الكفار كانوا يقولون الأصنام شفعاؤنا عند الله فبين
 سبحانه ان الشفيع إنما يشفع عنده إذا أذن له في الشفاعة وإذا كانت الأصنام لا تعقل فكيف تكون شفاعة
 مع انه لا يشفع عنده احد من الملائكة والنبين إلا بإذنه وامره (ذالك الله ربكم) أي ان الموصوف بهذه
 الصفات هو إلهكم (فاعبدوه) وحده لأنه لا إله لكم سواه ولا يستحق هذه الصفات غيره ولا تمبدوا
 الأصنام (أفلا تذكرون) حثهم سبحانه على التذكر والتفكير فيما أخبرهم به وعلى تعرف صحته (اليه مرجعكم
 جميعا) المرجع يحتمل معنيين * أحدهما * أن يكونا بمعنى المصدر الذي هو الرجوع * والآخر * ان يكون بمعنى
 موضع الرجوع أي اليه موضع رجوعكم يكون إذا شاء (وعد الله حقا) أي وعد الله تعالى ذلك عباداه وعدا

حقا صدقا (انه يبدو الخلق ثم يعيده) اي يبتدىء الخلق ابتداء ثم يعيدهم بعد موتهم (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اي ليؤتيهم جزاء اعمالهم (بالقسط) اي بالعدل لا ينقص من أجورهم شيئا (والذين كفروا لهم شراب من حميم) اي ماء حار قد انتهى حره في النار (وعذاب أليم) وجميع (بما كانوا يكفرون) أي جزاء على كفرهم

✽ النظم ✽

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه قال أكان للناس عجباً قالوا وكيف لانعجب ولا علم لنا بالمرسل فقال ان ربكم الله ويحوز ان يكون على انه لما قال أكان للناس عجباً وكان هذا حكماً على الله سبحانه فكأنه قال أفتحكمون عليه وهو ربكم قال الاصم ويحتمل ان يكون هذا ابتداء خطاب للخلق جميعاً احتج الله بها على عباده بما بين من بدائع صنعه في السماوات والارض وفي انفسهم

قوله تعالى (٥) هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٦) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ آيَاتان

✽ القراءة ✽

قرأ اهل البصرة وابن كثير وحفص والعجلي يفصل بالياء والباقون يفصل بالنون

✽ الحجة ✽

من قرأ بالياء فلائه تقدم ذكر الله سبحانه فأضمره في الفعل ومن قرأ بالنون مثل قوله تلك آيات الله نتلوها = (اللغة) =

الجعل إيجاد ما به يكون الشيء على صفة لم يكن عليها والضياء يجوز ان يكون جمع ضوء كسوط وسياط وحوض وحياض ويجوز ان يكون مصدر ضاء يضيء ضياء وضوءاً مثل عاذ يعوذ عباداً وعوداً وقام يقوم قياماً وعلى اي الوجهين كان فالمضاف محذوف وتقديره جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذات نور ويكون جعل النور والضياء لكثرة ذلك فيهما والاختلاف ذهاب كل واحد من الشئيين في غير جهة الآخر فاختلف الليل والنهار ذهاب احدهما في جهة الضياء والآخر في جهة الظلام والليل عبارة عن وقت غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني وليل ويلة مثل تمر وتمر والنهار عبارة عن اتساع الضياء من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس والنهار واليوم بمعنى واحد إلا ان في النهار فائدة اتساع الضياء

✽ المعنى ✽

ثم زاد سبحانه في الاحتجاج للتوحيد فقال (هو الذي جعل الشمس ضياء) بالنهار (والقمر نوراً) بالليل والضياء ابلغ في كشف الظلمات من النور وفيه صفة زائدة على النور (وقدره منازل) أي وقدر القمر منازل معلومة (لتعلموا به) وبمنازله (عدد السنين والحساب) وأول الشهر وآخره واقضاء كل سنة وكميتها وجعل الشمس والقمر آيتين من آيات الله تعالى وفيهما اعظم الدلالات على وحدانيته تعالى من وجوه كثيرة منها خلقها وخلق الضياء والنور فيهما ودورانها وقربهما وبعدها ومشارقتها ومغاربها وكسوفها وفي بث الشمس الشعاع في العالم وتأثيرها في الحر والبرد واخراج النبات وطبخ الثمار وفي تمام القمر وسط الشهر ونقصانه

في الطرفين ليميز أول الشهر وآخره من الوسط كل واحد من ذلك نعمة عظيمة من الله سبحانه على خلقه
وذلك قال (ما خلق الله ذلك الا بالحق) لأن في ذلك منافع للخلق في دينهم ودنياهم ودلائل على
وحدانية الله وقدرته وكونه عالما لم يزل ولا يزال (نفضل الآيات) أي نشرحها ونبينها آية آية (لقوم يعلمون)
فيعطون كل آية حظها من التأمل والتدبر وقيل ان المعنى في قوله وقدره منازل التثنية أي قدر الشمس
والقمر منازل غير انه وحده الايجاز اكتفاء بالمعلوم كما مر ذكر امثاله فيما تقدم وكما في قول الشاعر

رمانى بأمر كنت منه ووالدي بريئا ومن حول الطوي رمانى

فإن الشمس تقطع المنازل في كل سنة والقمر يقطعها في كل شهر فأغايتم الحساب وتعلم الشهور والسنون
والشتاء والصيف بمقاديرها ومجاريها في تداورها (إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض)
أي فعله فيهما على ما يقتضيه الحكمة في السماوات من الافلاك والكواكب السيارة وغير السيارة وفي
الأرض من الحيوان والنبات والجماد وانواع الارزاق والنعم (لآيات) أي حججا ودلالات على وحدانية
الله (لقوم يتقون) معاصي الله ويخافون عقابه وخصهم بالذكر لاختصاصهم بالانتفاع بها

قوله تعالى (٧) إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ
هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٨) أُولَئِكَ مَا وَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٠) دَعَاؤُهُمْ
فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (أربع آيات)

— (القرائة) —

في الشواذ قراءة ابن محيصن ويعقوب ان الحمد لله

= (الحجة) =

وهذه القراءة تدل على ان قراءة الجماعة ان الحمد لله إنما هو على أن ان مخففة من الثقيلة كما في قوله

في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل

فيكون على تقدير انه الحمد لله ولا يجوز أن تكون أن هنا زائدة كما زيدت في قوله

ويوما توافينا بوجه مقسم كان ظبية تعطو إلى وارق السلم

أي كظبية

— اللغة —

الغفلة والسهو من النظائر وهو ذهاب المعنى عن النفس وتقبضه البقطة والدعوى قول يدعى به إلى
امر والتحية التكرمة بالحال الجليلة ولذلك يسمون الملك التحية قال (من كل ما نال الفتى قد نلتها إلا التحية)
وهو مأخوذ من قولهم احياك الله حياة طيبة

— المعنى —

ثم انه سبحانه اوعد الغافلين عن الأدلة المتقدمة المكذبين بالمعاد فقال (إن الذين لا يرجون لقاءنا)
أي لقاء جزائنا ومعناه لا يطعمون في ثوابنا واصله إلى نفسه تعظيما له ويحتمل أن يكون المعنى لا يجفون

عقابنا كما يكون الرجاء بمعنى الخوف كما في قول الهذلي

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عواسل

جعل سبحانه ملاقة ما لا يقدر عليه إلا هو ملاقة له كما جعل آياتنا ملائكته آياتنا له في قوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله تفتيحاً للأمر (ورضوا بالحياة الدنيا) أي متعوا بها واختاروها فلا يعملون إلا لها ولا يجتهدون إلا لاجلها مع سرعة فنائها ولا يرجون ما وراءها (واطمانوا بها) أي وسكنوا إلى الدنيا بأنفسهم وركنوا إليها بقلوبهم (والذين هم عن آياتنا غافلون) أي ذاهبون عن تأملها فلا يعتبرون بها (اولئك مأواهم النار) أي مستقرهم النار (بما كانوا يكسبون) من المعاصي ثم وعد سبحانه المؤمنين بعد ما وعد الكافرين فقال (إن الذين آمنوا) أي صدقوا بالله ورسله (وعملوا الصالحات) أي وأضافوا إلى ذلك الأعمال الصالحة (يهدبهم ربهم بإيمانهم) إلى الجنة (تجزيه من تحتهم الأنهار في جنات النعيم) أي تجري بين أيديهم الأنهار وهم يرونها من علو كما قال سبحانه قد جعل ربك تحتك سرياً ومعلوم أنه لم يجعل السري الذي هو الجدول تحتها وهي قاعدة عليه وإنما أراد أنه جعله بين يديها وقيل معناه من تحت بسايتهم واسرتهم وقصورهم عن الجبائي وقوله بإيمانهم يعني به جزاء على إيمانهم (دعواهم فيها) أي دعاء المؤمنين في الجنة وذكرهم فيها أن يقولوا (سبحانك اللهم) يقولون ذلك لا على وجه العبادة لأنه ليس هناك تكليف بل يلتذون بالتسبيح وقيل أنهم إذا مر بهم الطير في الهواء يشتهونه قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم الطير فيقع مشوياً بين أيديهم وإذا قضا منه الشهوة قالوا الحمد لله رب العالمين فيطير الطير حياً كما كان فيكون مفتوح كلامهم في كل شيء التسبيح ومختتم كلامهم التمجيد فيكون التسبيح في الجنة بدل التسمية في الدنيا عن ابن جريج (وتحيتهم فيها سلام) أي تحيتهم من الله سبحانه في الجنة سلام وقيل معناه تحية بعضهم لبعض فيها أو تحية الملائكة لهم فيها سلام يقولون سلام عليك أي سلمت من الآفات والمكاره التي ابتلي بها أهل النار وقد ذكرنا معنى قوله (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) وليس المراد أن ذلك يكون آخر كلامهم حتى لا يتكلموا بعده بشيء بل المراد أنهم يجعلون هذا آخر كلامهم في كل ما ذكروه عن الحسن والجبائي قوله تعالى (١١) وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٢) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لَجْنِيهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ آياتان

(القرأة) =

قرأ ابن عاصم ويعقوب لقضى بفتح القاف أجلهم منصوب والباقون لقضي على ما لم يسم فاعله أجلهم بالرفع

✽ الحجة ✽

قال أبو علي اللام في قوله لقضى إليهم جواب لو في قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير والمعنى الله أعلم ولو يعجل الله للناس دعاء الشر أي ما يدعون به من الشر على أنفسهم في حال ضجر أو بظن استعجاله أيام بدعاه الخير فأضاف المصدر إلى المفعول فحذف الفاعل كقوله تعالى لا يسأم الإنسان من دعاء

الخبر في حذف ضمير الفاعل والتقدير اولو يعجل الله للناس الشر استعجالا مثل استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم قال ابو عبيدة لقضي اليهم أجلهم معناه لفرغ من أجلهم وانشد لأبي ذؤيب

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوايح تبع
ومثل ما أنشده قول الآخر

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها بوائق في أكمامها لم تفتق

والمعنى لفرغ من أجلهم ومدتهم المضروبة للحياة وإذا انتهت مدتهم المضروبة للحياة هلكتوا وهذا قريب من قوله ويدعوا الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وقالوا للمبت مقضى كأنه قضى إذامات وقضى فعل . التقدير استوفي أجله وفرغ منه قال ذو الرمة

إذا الشخص فيها هزه الال اغمضت عليه كإغماض المقضي هجولها
المعنى اغمضت هجول هذه البلاد على الشخص الذي فيها فلم ير لفرقه في الال كإغماض المقضي فهو الميت
واما ما يتعلق به الجار من قوله لقضي اليهم فكأنه لما كان معنى قضى فرغ وكان قولهم فرغ يتعدى بهذا الحرف في قوله

الآن فقد فرغت الى نمير فهذا حين صرت لهم عذابا

وفي التنزيل سنفرغ لكم ايها الثقلان امكن ان يكون الفعل يعدى باللام كما يعدى بالي وباللام في قوله بأن ربك أوحى لها فلما كان معنى قضى فرغ تعلق بها الى كذلك تعلق بقضي ووجه قراءة ابن عامر لقضى اليهم أجلهم على اسناد الفعل الى الفاعل ان الذكر قد تقدم في قوله ولو يعجل الله للناس فقال لقضى على هذا ومن حجته في ذلك قوله ثم قضى أجلا واجل مسمى عنده فهذا الأجل الذي في هذه الآية هو الأجل المضروب للمحيا كما ان الأجل في قوله لقضى اليهم أجلهم كذلك فكما اسند الفعل في الأجل المضروب للحياة الى الفاعل في قوله ثم قضى اجلا عند الجميع كذلك اسنده ابن عامر في قوله لقضى اليهم أجلهم الى الفاعل ولم يسنده الى الفعل المبني للمفعول ويدل على ان الأجل في قوله ثم قضى اجلا اجل المحيا ان قوله وأجل مسمى عنده اجل البعث يبين ذلك قوله ثم انتم تموتون اي انتم ايها المشركون تشكون في البعث ومن قرأ لقضى فبنى الفعل للمفعول به فلا أنه في المعنى مثل قول من بنى الفعل للفاعل

= الاعراب =

قوله لجنبه في موضع نصب على الحال تقديره دعانا منبطحا لجنبه او دعانا قائما ويجوز ان يكون تقديره إذا مس الانسان الضر لجنبه او مسه قاعدا او مسه قائما دعانا وموضع الكاف من كذلك نصب على المفعول ما لم يسم فاعله أي زين للمسرفين عملهم مثل ذلك

✽ المعنى ✽

ثم عاد الكلام الى ذكر المائلين الى الدنيا المطمئنين اليها الغافلين عن الآخرة فقال (ولو يعجل الله للناس الشر) اي اجابة دعوتهم في الشر إذا دعوا به على أنفسهم وأهاليهم عند الفيض والضرر واستعجلوه مثل قول الانسان رفعتني الله من بينكم وقوله لولده اللهم العنه ولا تبارك فيه (استعجالهم بالخير) اي كما يعجل لهم اجابة الدعوة بالخير إذا استعجلوها (لقضى اليهم أجلهم) اي لفرغ من اهلاكهم ولكن الله

تعالى لا يعجل لهم الهلاك بل يمهلهم حتى يتوبوا وقيل معناه ولو يعجل الله للناس العقاب الذي استحقوه بالمعاصي كما يستعجلونهم خير الدنيا وربما أجيبوا إلى ما سألوه إذا اقتضت المصلحة ذلك لفنوا لأن بنية الإنسان في الدنيا لا تحمل عقاب الآخرة بل لا تحمل ما دونه والله سبحانه يوصله اليهم في وقته وسمي العقاب شر من جهة المشقة والأذى الذي فيه وفائدته انه او تعجلت العقاب لزال التكليف ولا يزول التكليف إلا بالموت وإذا عوجلوا بالموت لم يبق أحد (فندر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون) أي فندع الذين لا يخافون البعث والحساب يتحبرون في كفرهم وعدولهم عن الحق إلى الباطل وتمردهم في الظلم والعمه شدة الحيرة ثم اخبر سبحانه عن قلة صبر الإنسان على الضرر والشدائد فقال (وإذا مس الإنسان الضر) أي المشقة والبلاء والمحنة من عن الدنيا (دعانا لجنبه) أي دعانا لكشفه مضطجعا (او قاعداً او قائماً) أي على أي حال كان عليها واجتهد في الدعاء وسؤال العافية وليس غرضه بذلك نيل الثواب الآخرة وإنما غرضه زوال ما هو فيه من الألم والشدة وقيل ان تقديره وإذا مس الإنسان الضر مضطجعا او قاعداً او قائماً دعانا لكشفه وفيه تقديم وتأخير (فلما كشفنا عنه ضره) أي فلما أزلنا عنه ذلك الضرر ووهبنا له العافية (مر) أي استمر على طريقته الأولى معرضاً عن شكرنا (كان لم يدعنا إلى ضره) أي كان لم يدعنا قط لكشف ضره ولم يسألنا إزالة الألم عنه (كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) أي كما زين لهم الشيطان وأقرانهم الفؤاد وترك الدعاء عند الرخاء زينوا للمسرفين أي للمشركين عملهم عن الحسن ويحتمل ان يكون زين للمسرفين بعضهم لبعض وإنما لم يصف التزيين اليهم فهو كقولهم فلان معجب بنفسه وقد حث الله سبحانه بهذه الآية الذين منحوا الرخاء بعد الشدة والعافية بعد البلية على أن يتذكروا حسن صنع الله اليهم وجزيل نعمته عليهم ويشكروه على ذلك ويسأوه ادامة ذلك لديهم وبه بذلك على وجوب الصبر عند المحنة احتساباً للأجر وابتغاءاً للثواب والذخر

قوله تعالى (١٣) ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا يؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين (١٤) ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون آيات

✽ اللغة ✽

القرون جمع قرن وهو اهل كل عصر سموا بذلك لمقارنة بعضهم لبعض ومنه قرن الشاة لمقارنته آخر بإزائه والقرن بكسر القاف هو المقاوم لقرينه في الشدة

✽ الاعراب ✽

موضع كيف نصب بقوله تعملون وتقديره لننظر أخيراً تعملون ام شراً ولا يجوز أن يكون معمول ننظر لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل في ما بعده

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عما نزل بالأمة الماضية من المثالات وحذر هذه الأمة عن مثل مصارعهم فقال (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم) بأنواع العذاب (لما ظلموا) انفسهم بأن أشركوا وعصوا (وجاءتهم رسلهم بالبينات) أي بالمعجزات الظاهرة والدلالات الواضحة (وما كانوا يؤمنوا) هذا اخبار بأن هذه الأمم

انما اهلكوا لما كانوا في المعلوم انهم لو بقوا لم يكونوا يؤمنون بالرسل الذين اتوهم والكتب التي جاؤوهم بها واستدل ابو علي الجبائي بهذا على ان تبقية الكافر واجبة إذا كان المعلوم من حاله انه يؤمن فيما بعد (كذلك نجزي القوم المجرمين) اي كذلك نعذب القوم المشركين في المستقبل إذا لم يؤمنوا بعد قيام الحججة عليهم وعلمنا انهم لا يؤمنون ولا يصلحون (ثم جعلناكم) يا امة محمد (خلائف في الأرض من بعدهم) اي من بعد القرون التي اهلكناهم ومعناه اسكنناكم الأرض خلفهم (لننظر كيف تعملون) اي لنرى عملكم اين يقع من عمل او تلك أتفتدون بهم فتستحقون من العقاب مثل ما استحقوه ام تؤمنون فتستحقون الثواب وإنما قال لننظر ليدل على انه سبحانه يعامل العبد معاملة المختبر الذي لا يعلم الشيء فيجازه على ما يظهر منه دون ما قد علم انه يفعله مظهرة في العدل والنظر في الحقيقة لا يجوز على الله تعالى لأنه إنما يكون بالقلب وهو التفكير والعين وهو تقليب الحدقة نحو المرئي التماس الروية مع سلامة الحاسة واحد هذين لا يجوز عليه سبحانه وإنما يستعمل ذلك في صفاته على وجه المجاز والاتساع فإن النظر إنما هو لطلب العلم وهو سبحانه يعامل عباده معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه

قوله تعالى (١٥) وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أُمْتٌ بِرِيقِ
غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدَّلَهُ مِنْ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ
إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٦) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ
فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٧) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ
كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمَجْرِمُونَ ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

في رواية ابي ربيعة عن البري عن ابن كثير ولا دراهم فجعلها لا ما دخلت على ادراكه وامال في ادراكه
وادراك في جميع القرآن ابو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وروي في الشواذ عن ابن عباس والحسن
ولا ادريكم به

✽ الحججة ✽

قال ابو علي حكى سيبويه دريته ودريت به والاكثر في الاستعمال بالباء وبين ذلك قوله ولا ادراكه
ولو جاء على اللغة الأخرى لكان ولا ادراكه وقال الدرية كالفطنة والشعرة وهي مصادر يراد بها ضروب
من العلم اما الدرية فكالمهداية والدلالة فكان الدرية التأني والتعمل لعلم الشيء وعلى هذا المعنى ما تصرف
من هذه الكلمة أنشد ابو زيد

فإن غزالك الذي كنت تدري إذا شئت لبث خادر بين اشبل
وتدري اي تختل ومنه الدرية في قول اكثر الناس الخمل الذي يستتر به الصايد من الوحش كأنه يختل
به وداريت الرجل لايتته وخاتلته وإذا كان الحرف على هذا فالداري في وصف القديم سبحانه لا يسوغ
فأما قول الراجز (لاهم لأدري وانت الداري) فلا يكون حجة في جواز ذلك لأنه استجاز ذلك لما تقدم

من قوله لا أدري كما جاز فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وان تسخروا منا فإنا نسخر منكم وأيضا فإن الأعراب يذكرون أشياء يمتنع جوازها كما قالوا

لاهم ان كنت الذي بهدي ولم تغيرك الأمور بعدي
وقال الآخر « لو خافك الله عليه حرمه » فأما الهمزة على ما حكى عن الحسن وغيره فلا وجه له لأن الدرء الدفع قال ابن جنبي يجوز ان يكون لها وجه وان كان فيه ضعف صنعة وهوان يكون أراد ولا ادريتكم به ثم قلبت الياء الفاعلا لفتح ما قبلها وان كانت ساكنة كقولهم في بأس يا اس وفي يئس بائس وقال قطرب ان لغة عقيل في اعطيتك ان يقولوا اعطانتك ثم همز الألف على انة من قال في الباز الباز وفي العالم والحاتم والنابل العالم والحاتم والنابل ومن قرأ ولا دريكم به فعناه ولا علمكم الله تعالى به فيكون نفيًا للتلاوة واثباتا للعلم وعلى قراءة الجماعة يكون نفيًا للأمرين جميعا

✽ اللغة ✽

التلقاء جهة مقابلة الشيء الا انه قد يستعمل ظرفا فيقال هو تلقاه كما يقال هو حذاء وقبائه وتجاهه وازاءه والعمر بفتح العين وسكون الميم والعمر بضمها البقاء واذا استعمل في القسم فالفتح لا غير

✽ النزول ✽

قبل نزلت في خمسة نفر عبد الله بن أمية المخزومي والوليد بن مغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن ابي قيس العامري والعاص بن عامر بن هاشم قالوا للنبي ﷺ أنت بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وهبل وليس فيه عيبها او بدله تكلم به من تلقاه نفسك عن مقاتل وقيل نزلت في المستهزئين قالوا يا محمد أنت بقرآن غير هذا فيه مانسلكه عن الكافي

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن مشركي قريش فقال (واذا تتلى عليهم آياتنا) المنزلة في القرآن (بينات) أي واضحات في الحلال والحرام وسائر الشرائع وهي نصب على الحال (قال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يؤمنون بالبعث والنشور فلا يخشون عقابنا ولا يطعمون في ثوابنا (أنت بقرآن غير هذا) الذي تلووه علينا (او بدله) فاجعله على خلاف ما تقرؤه والفرق بينهما أن الإتيان بغيره قد يكون معه وتبدله لا يكون الا برفعه وقيل معنى قوله بدله غير احكامه من الحلال او الحرام أرادوا بذلك زوال الحظر عنهم وسقوط الأمر منهم وان يخلي بينهم وبين ما يريدونه (قل) يا محمد (ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي) أي من جهة نفسي وناحية نفسي ولأنه معجز فلا أقدر على الإتيان بمثله (ان اتبع الا ما يوحى الي) أي ما أتبع الا الذي أوحى الي (اني أخاف ان عصيت ربي) في اتباع غيره (عذاب يوم عظيم) أي يوم القيامة ومن استدلل بهذه الآية على أن نسخ القرآن بالسنة لا يجوز فقد ابدل لأنه اذا نسخ القرآن بالسنة وما بقوله النبي ﷺ فإنما يقوله بالوحي من الله فلم ينسخ القرآن ولم يبدله من قبل نفسه بل يكون تبدله من قبل الله تعالى ولكن لا يكون قرآنا ويؤيد ذلك قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي الا يوحى (قل) يا محمد (او شاء الله ما تلوته عليكم) معناه او شاء الله ما تلوته هذا القرآن عليكم بأن كان لا ينزله علي (ولا ادراكم به) أي ولا اعلمكم الله به بأن لا ينزله علي فلا اقراءه عليكم فلا تعلمونه (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) أي فقد مكثت واقمت بينكم

دهرا طويلا من قبل إنزال القرآن فلم أقرأه عليكم فلا تعلمونه ولا ادعيت نبوة حتى اكرمني الله تعالى به (أفلا تعقلون) أي أفلا تتفكرون فيه بعقولكم فتعلموا ان المصلحة فيما أنزله الله تعالى دون ما تقرونه قال علي بن عيسى العقل هو العلم الذي يمكن به الاستدلال بالشاهد على الغائب والناس يتفاضلون فيه بالأمر المتفاوت فبعضهم اعقل من بعض اذا كان اقدر على الاستدلال من بعض (فمن اظلم ممن افترى على الله) أي لا احد اظلم ممن اخترع على الله (كذبا أو كذب باياته إنه لا يفاجح المجرمون) أي المشركون عن الحسن فإني قيل أليس من ادعى الربوبية اعظم ظلما من المسدعي للنبوة قلنا إن المراد بقوله من افترى على الله كذبا من كفر بالله تعالى فقد دخل فيه من ادعى الربوبية وغيره من انواع الكفار فكأنه قال لا احد اظلم من الكافر

قوله تعالى (١٨) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَوَآءَ شَفَاعَاتِنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩) وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقَضَيْتَنَّا بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٠) وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنزَلِ عَلَيْهِ آيَةً مِّن رَّبِّهِ قَلِيلًا إِنَّمَا الْغَيْبُ لَللَّهِ فَمَنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ثلاث آيات

✽ القراة ✽

قرأ تشر كون بالتاء أهل الكوفة غير عاصم وكذلك في النحل في موضعين وفي الروم والباقرن كل ذلك بالياء

✽ الحجة ✽

من قرأ بالتاء فلعله اتنبئون الله ومن قرأ بالياء احتمل وجهين ✽ احدهما ✽ على قل كأنه قيل له قل انت سبحانه وتعالى عما يشركون والوجه الآخر ان يكون هو سبحانه تزه نفسه عما أقروه فقال ذلك

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم) أي ويعبد هؤلاء المشركون الأصنام التي لا يضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها فإن قيل كيف ذمهم على عبادة الصنم الذي لا ينفع ولا يضر مع انه او نفع وضر لكان لا يجوز ايضا عبادته قلنا عبادة من لا يقدر على أصول النعم وإن قدر على النفع والضر إذا كان قبيحا فمن لا يقدر على النفع والضر اصلا من الجماد تكون عبادته اقبح واشنع فلذلك خصه بالذكر (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم قالوا انا نعبد هذه الأصنام لتشفع لنا عند الله وان الله أذن لنا في عبادتها وانه سيسفها فينا في الآخرة وتوهوا ان عبادتها اشد في تعظيم الله سبحانه من قصده تعالى بالعبادة فجمعوا بين قبيح القول وقبيح الفعل وقبيح التروهم وقيل معناه هؤلاء شفعاؤنا في الدنيا لإصلاح معاشها عن الحسن قال لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث بدلالة قوله واقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت (قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض) امر سبحانه نبيه ﷺ أن يقول لهم على وجه الإلزام أتخبرون الله بما لا يعلم من حسن عبادة الأصنام وكونها شافعة لأن ذلك او كان صحيحا لكان تعالى به عالما ففي نفي علمه بذلك نفي المعارف ومعناه انه ليس في السماوات ولا الأرض إلا غير الله ولا احد يشفع لكم يوم القيامة وقيل معناه أتخبرون الله بشريك او شفيع لا يعلم شيئا كما قال ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض فكذلك وصفهم بأنهم لا يعلمون في السماوات والأرض شيئا

(سبحانه وتعالى عما يشركون) أي تنزه الله تعالى عن أن يكون له شريك في استحقاق العبادة (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا) فيه أقوال **❦** أحدها **❦** أن الناس كانوا جميعا على الحق وعلى دين واحد فاختلّفوا في الدين الذي كانوا مجتمعين عليه ثم قيل أنهم اختلفوا على عهد آدم وولده عن ابن عباس والسدي ومجاهد والجبائي وأبي مسلم ومتى اختلفوا قيل عند قتل أحد ابنيه أخاه وقيل اختلفوا بعد موت آدم (ع) لأنهم كانوا على شرع واحد ودين واحد إلى زمن نوح وكانوا عشرة قرون ثم اختلفوا عن أبي روق وقيل كانوا على ملة الإسلام من لدن إبراهيم (ع) إلى أن غيره عمرو بن لحي وهو أول من غير دين إبراهيم وعبد الصم في العرب عن عطا ويدرل على صحة هذه الأقوال قراءة عبد الله وما كان الناس إلا أمة واحدة على هدى فاختلّفوا عنه **❦** وثانيها **❦** أن الناس كانوا أمة واحدة مجتمعة على الشرك والكفر عن ابن عباس والحسن والكلبي وجماعة ثم اختلف هو لا. فقيل كانت أمة كافرة على عهد إبراهيم ثم اختلفوا ففترقوا فمنهم مؤمن ومنهم كافر عن الكلبي وقيل كانت كذلك منذ وفاة آدم إلى زمن نوح عن الحسن وقيل أراد به العرب الذين كانوا قبل بعث النبي **ﷺ** فإنهم كانوا مشركين إلى أن بعث النبي **ﷺ** فآمن به قوم وبقي آخرون على الشرك وسئل علي (ع) عن هذا فقيل كيف يجوز أن يطبق أهل عصر على الكفر حتى لا يوجد مؤمن يشهد عليهم والله تعالى يقول فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد واجيبوا عن ذلك بأنه يجوز أن يكون أهل كل عصر وان لم يخجل عن مؤمنين يشهدون عليهم فربما يقولون في عصر وإنما يتبع الاسم الأعم وعلى هذا يقال دار الإسلام ودار الكفر وفي تفسير الحسن ما كان الناس إلى بعث نوح إلا ملة واحدة كافرة إلا الخاصة فلأن الأرض لا تحل من أن يكون لله تعالى فيها حجة **❦** وثالثها **❦** أن الناس خلقوا على فطرة الإسلام ثم اختلفوا في الأديان (وأولا كلمة سبقت من ربك) من أنه لا يعاجل العصاة بالمقوبة انعاما عليهم في الثاني بهم (اقضي بينهم) أي فصل بينهم (فبما فيه يختلفون) بأن يهلك العصاة وينجي المؤمنين لكنه أخرهم إلى يوم القيامة تفضلا منه إليهم وزيادة في الانعام عليهم ثم حكى سبحانه عن هو لا. الكفار فقال (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه) أي هلا أنزل على محمد آية من ربه تضرط الخلق إلى المعرفة بصدقه فلا يجتاحون بها إلى النظر والاستدلال ولم يطلبوا معجزة تدل على صدقه لانه **ﷺ** قد أتاهم بالمعجزات الدالة على نبوته وإنما لم يلجئهم الله إلى ما التمسوه لأن التكليف يمنع من الاضطرار إلى المعرفة فلأن الغرض بالتكليف التعريض للثواب ولو كانت المعرفة ضرورة لما استحقوا ثوابا فكيف وكان يكون ذلك ناقضا للغرض (فقل إنما الغيب لله) معناه قل يا محمد إن الذي يعلم الغيب ويعلم مصالح الأمور قبل كونها هو الله العالم لنفسه يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها لا تخفى عليه خافية فيعلم ما في انزاله صلاح فينزه ويعلم ما ليس في انزاله صلاح فلا ينزله ولذلك لا يفعل الآية التي اقترحوها في هذا الوقت لما في ذلك من حسن تدبير (فانتظروا) أي فانتظروا عقاب الله تعالى بالقهر والقتل في الدنيا والعقاب في الآخرة (أي معكم من المنتظرين) لأن الله تعالى وعد في النصرة عليكم وقيل معناه فانتظروا اذلال الكافرين فالذي منتظر اعزاز المؤمنين

قوله تعالى (٢١) وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِن بَعْدِ ضِرَاءٍ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (٢٢) هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِين بِيَهُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَسْنَا أَنْجِيتُنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٣) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ

الْحَقِّ بِأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ
فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ روح وزيد عن يعقوب وسهل يكررون بالياء. والباقون بالتاء. وقرأ ينشركم بالنون والشين من النشر ابو
جعفر وابن عامر والباقون يسيركم بالسين والياء. من التسيير وقرأ حفص وحده متاع بالنصب والباقون بالرفع
= (الحجة) =

من قرأ يكررون بالياء. فلقوله إذا لهم مكر في آياتنا ومن قرأ بالتاء. فللخطاب اي قل لهم يا محمد إن رسل الله
يكتبون ما تكتبون ومن قرأ يسيركم يقويه قوله فامشوا في مناكبها وكاروا من رزقه وقوله قل سيروا في الأرض
ويقال سار الدابة وسيرته وسيرته قال (فلا تجزعن من سنة انت سرتها) وقال لبيد

فبنيان حرب ان تبوء بحربه وقد يقبل الضيم الذليل المسير

ومن قرأ ينشركم فحجته قوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء. وقوله وما بث فيها من دابة والبث التفريق
والنشر في المعنى وأما متاع الحياة الدنيا فقد قال الزجاج من رفع فعلى وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون متاع
الحياة الدنيا خيرا لقرله بغيكم ﴿ والآخر ﴾ ان يكون خبر المبتدأ على انفسكم ومتاع الحياة على اضمار هو ومن
نصب فعلى المصدر اي تتمتعون متاع الحياة الدنيا قال ابو علي قوله على انفسكم يحتمل تأويلين ﴿ احدهما ﴾ ان
يكون متعلقا بالمصدر لأن فعله يتمدى بهذا الحرف الا ترى إلى قوله بغي بعضنا على بعض ثم بغي عليه وإذا كان
الجار من صلة المصدر كان الخبر متاع الحياة الدنيا فيكون معناه بغي بعضكم على بعض متاع الحياة في الدنيا وليس
ما يقرب إلى الله ويجوز ان يكون على متعلقا بحذوف فيكون خبرا للمصدر وفيه ذكر يعود اليه فيكون كقولك
الصلاة في المسجد فيكون المصدر مضافا إلى الفاعل ومفعوله محذوف والمعنى إنا بغي بعضكم على بعض بما يدل
على انفسكم ويكون كقوله ولا يجيئ المكر السي إلا بأهله ومن نصب احتمل النصب وجهين ﴿ احدهما ﴾
ان يكون على من صلة المصدر ويكون الناصب لمتاع هو المصدر الذي هو البغي ويكون خبر المبتدأ محذوفا
وحسن حذفه اطول الكلام ولأن بغيكم يدل على تبغون فيحسن الحذف لذلك وهذا الخبر او اظهرته لكان
يكون مكروه او مذموم او منهى عنه ونحو ذلك ﴿ والآخر ﴾ ان يكون على انفسكم خبر المبتدأ
فيكون متاع منصوبا على وجهين ﴿ احدهما ﴾ تتمتعون متاعا فيدل انتصاب المصدر عليه ﴿ والآخر ﴾ ان يضر تبغون
لأن ما يجري مجرى ذكره قد تقدم كأنه لو اظهره لكان تبغون متاع الحياة الدنيا فيكون مفعولا له ولا يجوز
ان يتعلق المصدر بالمصدر في قوله إنا بغيكم فقد جعلت على خبراً لقوله انما بغيكم لفصلك بين الصلة والموصول

﴿ اللفظة ﴾

التسيير التحريك في جهة تمتد كاسير الممدود والبر الأرض الواسعة التي تقطع من بلد إلى بلد ومنه البرلاتساع
الخيزبه والبحر مستقر الماء الواسع حتى لا يرى من وسطه حافته والفلك السفن وسميت فلكا لدورانها في الماء
وأصله الدور ومنه فلكة المغزل وتفلك ثدي الجارية إذا استدار والفلك يكون جمعا وواحدا وهو ههنا جمع
والعاصف الريح الشديدة وعصفت الريح فهي عاصف وعاصفة قال

حتى إذا عصفت ريح مزعزعة فيها قطار ورعد صوته زجل

﴿ الاعراب ﴾

جواب إذا الأولى في إذا الثانية وإنما جعل إذا جوابا لكونها بمعنى الجملة لما فيها من معنى المفاجأة وهي ظرف

مكان وهو كقوله وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطرون ومعناه إن تصبهم سيئة قنطروا وإذا أذقنا الناس رحمة مكروا وجربن بهم ابتداء الكلام خطاب وبعد ذلك إخبار عن غائب لأن كل من أقام الغائب مقام من يخاطبه جاز له أن يرده إلى الغائب قال كثير

أسيتني بنا أو أحسنني لا ملومة
لدينا ولا مقلية إن تقلت
وقال عنتره

شطت مزار العاشقين فأصبحت
عسر على طلابك ابنة مخزم
وقوله فلما أنجاهم إذا هم يبنون المعنى فلما أنجاهم بفوا

— المعنى —

ثم أخبر سبحانه عن ذمهم فعالمهم فقال (وإذا أذقنا الناس رحمة) يريد بالناس الكفار فهو عموم يراد به الخصوص (من بعد ضراء مستهم) أي راحة ورجاء بعد شدة وبلاء، وحققة الذوق فيما له طعم يوجد إنما يكون طعمه بانهم وإنما قال أذقناهم الرحمة على طريق البلاغة أشدة إدراك الحاسة أيها (إذا لهم مكر في آياتنا) أي فهم يمتارون لدفع آياتنا بكل ما يجدون السبيل إليه من شبهة أو تخليط في مناظرة أو غير ذلك من الأمور الفاسدة وقال مجاهد مكرهم استهزأوهم وتكذبيهم (قل) يا محمد لهم (الله أسرع مكرًا) أي أقدر جزاء على المكر ومعناه أن ما يأتيهم من العقاب أسرع مما أتوه من المكر أي أوقع في حقه وقيل إن مكره سبحانه أنزله العقوبة بهم من حيث لا يشعرون (أن رسلنا) يعني الملائكة الحفظة (يكتبون ما تمكرون) أي ما تدبرون من سوء التدبير وفي هذا غاية الزجر والتهديد من وجهين * أحدهما * أنه يحفظ مكرهم * والآخر * أنه أقدر على جزائهم وأسرع فيه ثم امتن الله سبحانه على خلقه بأن عدد نعمه التي يفعلها بهم في كل حال فقال (هو الذي يسيركم في البر والبحر) أي يمكنكم من السير في البر والبحر بما هيأ لكم من آلات السير وهي خلق الدواب وتسخيرها لكم لتركبوها في البر وتحملوا عليها أثقالكم وهي السفن في البحر وإرسال الرياح المختلفة التي تجري بالسفن في الجهات المختلفة (حتى إذا كنتم في الفلك) خص الخطاب براكب البحر أي إذا كنتم راكبي السفن في البحر (وجربن بهم) أي وجرت السفن بالناس لما ركبوها عدل عن الخطاب إلى الإخبار عن الغائب تصرفاً في الكلام على أنه يجوز أن يكون خطاباً لمن كان في تلك الحال وإخباراً لغيرهم من الناس (بريح طيبة) أي بريح لينة يستطيبونها (وفرحوا بها) أي سرروا بتلك الرياح لأنها تباعثهم مقصودهم عن أي مسلم وقيل فرحوا بالسفينة حيث حملتهم وأمتعهم (جاءتها ريح عاصف) أي جاءت السفينة ريح عاصف شديدة الهبوب الهائلة (وجاءهم الموج من كل مكان) من البحر والموج اضطراب البحر ومعناه وجاء راكبي البحر الأمواج العظيمة من جميع الوجوه (وظنوا أنهم أحيط بهم) أي ايقنوا أنهم دنوا من الهلاك وقيل غلب على ظنهم أنهم سيهلكون لما أحاط بهم من الأمواج (دعوا الله) عند هذه الشدائد والأحوال والتجأوا إليه ليكشف ذلك عنهم (مخلصين له الدين) أي على وجه الإخلاص في الاعتقاد ولم يذكروا الأوثان والاصنام لعلمهم بأنهم لا تنفعهم ههنا شيئاً وقالوا (لئن أنجيتنا) يا رب (من هذه) الشدة (لنكونن من الشاكرين) أي من جملة من يشكرك على نعمك وقوله جاءتها ريح عاصف جواب قوله إذا كنتم في الفلك وقوله دعوا الله جواب قوله وظنوا أنهم أحيط بهم (فلما أنجاهم) أيخلصهم الله تعالى من تلك المحن (إذا هم يبنون في الأرض بغير الحق) أي يعملون فيها بالمعاصي والفساد ويشتغلون بالظلم على الأنبياء وعلى المسلمين (يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا) أي بغي بعضكم على بعض وما ينالونه به متاع في الدنيا وإنما تأتونه لبعثكم العاجلة وإيثارها على ما يقرب إلى الله تعالى من الطاعات وقد مر بيانه قبل (ثم أينما مرجعكم) في الآخرة (فننبئكم بما كنتم تعملون) أي نخبركم

بأعمالكم لأننا اثبتناها عليكم وهي كلمة تهديد ووعيد

== (النظم) ==

قيل إنها اتصل قوله هو الذي يسيركم الآية بما قبله لأنه تفسير لبعض ما اجمل في الآية المتقدمة التي هي قوله وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم عن ابي مسلم وقيل انه يتصل بما تقدم في السورة من دلائل التوحيد فكانه قال إلهكم الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهو الذي يسيركم

قوله تعالى (٢٤) إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرٌ نَالِيلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٥) وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ آيَاتِنَا

✽ القراءة ✽

في الشواذ قراءة الاعرج والشعبي واني العالية ونصر بن عاصم والحسن بخلاف وازينت وقراءة ابي عثمان وازينت

✽ الحجة ✽

اما ازينت فأصله تزينت فأدغمت التاء في الزاي وسكنت الزاي فاجتلبت لها الف الروصل واما ازينت فلأنه على افعلت اي جاءت بالزينة وازينت اجرد في العربية لأن ازينت الأ جود فيه اذانت مثل اقال وابع واما ازينت فوزنه افعات وأصله ازيانت مثل ادهامت واسوادت إلا انه كره التقاء الساكنين فحركات الأ ف فانقلبت همزة كقول كثير وللأرض أما سودها فتجملت بياضا وأما بيضها فادهامت

✽ اللغة ✽

الزخرف كمال حسن الشيء ويقال زخرفته اي حسنته ومنه زخرفت الجنة لأهلها اي زينت بأحسن الألوان وغني بالمكان اقام به والمعاني المنازل قال النابغة

غنيت بذلك اذهم لك جيرة منها بعطف رسالة وتودد

والدعاء طلب الفعل بما يقع لأجله والداعي إلى الفعل خلاف الصارف عنه والفرق بين الدعاء والأمر ان في الأمر ترغيبا في الفعل وزجرا عن تركه وله صيغة تنبي عنه والدعاء ليس كذلك وكلاهما طلب وأيضا فإن الأمر يقتضي ان يكون الأمر دون الرتبة والدعاء يقتضي ان يكون فوقه

— (المعنى) —

لما تقدم ما يوجب الترغيب في الآخرة والتزهيد في الدنيا عقبه سبحانه بذكر صفة الدارين فقال (إنما مثل الحياة الدنيا) اي صفة الحياة الدنيا او شبه الحياة الدنيا في سرعة فنائها وزوالها (كماء انزلناه من السماء) وهو المطر (فاختلط به) اي بذلك المطر (نبات الأرض) لأن المطر يدخل في خلل النبات فيختلط به وقيل معناه فاختلط بسببه بعض النبات بالبعض فاختلط ما يأكل الناس بما يأكل الأنعام وما يقتات بما يتفكه ثم فصل ذلك فقال (بما يأكل الناس) كالحبوب والثمار والبقول (والأنعام) كالخيش وسانر أنواع المراعي وقد قيل في المشبه والمشبه به في الآية أقوال **✽** احدها **✽** انه تعالى شبه الحياة الدنيا بالما فيما يكون به من الانتفاع ثم الانقطاع **✽** وثانيها **✽** انه شبهها بالنبات على ما وصفه من الاغترار به ثم المصير إلى الزوال عن الجبائي واني مسلم **✽** وثالثها **✽** انه تعالى شبه الحياة الدنيا بحياة مقدره على هذه الأوصاف (حتى إذا اخذت الأرض زخرفها)

اي حسنها وبهجتها بانواع الأوان واجناس النبات وغير ذلك (وازينت) اي تزينت في عين رائيها (وظن اهلها) اي مالكتها (انهم قادرون عليها) اي على الانتفاع بها ومعناه بلغت المبلغ الذي ظن اهلها انهم يحصلونها ويقدرون على غلتها او ادامتها (أتاها امرنا ليلا أو نهارا) أي أتاها عذابنا من برد او برد وقيل معناه أتاها حكمنا وقضاونا بالهلاكها وإتلافها (فجعلناها حصيدا) أي محصودة ومعناها مقطوعة مقروعة ذاهبة يابسة (كأن لم تكن بالامس) أي كأن لم تقم على تلك الصفة بالامس ومعناه كأن لم تكن ولم توجد من قبل (كذلك تفصل الآيات لقوم يتفكرون) اي مثل ذلك نميز الآيات لقوم يتفكرون فيها فيعتبرون بها ولما بين سبحانه ان الدنيا تنقطع وتفتى بالموت كما يفنى هذا النبات بفنون الآفات ونبه على التوقع ازوالها والتجرز عس الغرار باحوالها رغب عقبيه في الآخرة فقال (والله يدعو إلى دار السلام) قيل ان السلام هو الله تعالى فان الله تعالى يدعو إلى داره وداره الجنة عن الحسن وقتادة وقيل دار السلام الدار التي يسلم فيها من الآفات عن الجبائي والسلام والسلامة واحدمثل الرضاع والرضاعة قال

تحيا بالسلامة ام بسكر وهل لك بعد رهطك من سلام

وقيل سميت الجنة دار السلام لأن اهلها يسلم بعضهم على بعض والملائكة تسلم عليهم ويسلم ربهم عليهم فلا يسمعون إلا سلاما ولا يرون إلا سلاما ويعضده قوله تحيتهم فيها سلام وما اشبهه (ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) قيل يهدي من يشاء إلى الايمان والدين الحق بالتوفيق والتيسير والاطاف وقال الجبائي يريد به نصب الأدلة لجميع المكلفين دون الاطفال والمجانين وقيل معناه يهدي من يشاء في الآخرة إلى طريق الجنة الذي يسلكه المؤمنون ويعدل عنه الكافرون إلى النار

قوله تعالى (٢٦) لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ آيَاتُ

(=) (القراءة) (=)

قرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب وسهل قطعا ساكنة الطاء. والباقرن قطعا بفتحها

— الحجة —

القطع جمع قطعة من الليل والقطع الجزء من الليل الذي فيه ظلمة

✽ اللفظة ✽

الرهق لحاق الامر ومنه راهق الغلام اذا لحق بالرجال ورهقه في الحرب ادركه قال الازهري الرهق اسم من الارهاق وهو أن يجعل الإنسان على ما لا يطيقه ومنه سأرهقه صعورا والكسب اجتلاب النفع والجزاء والمكافأة والقتر القبار والقتر الغبرة والقتر الدخان ومنه الاقتار في المعيشة

✽ الاعراب ✽

جزاء سيئة في ارتفاعه وجهان \rightarrow احدهما \rightarrow ان يكون مبتدأ وخبره بمثلها على زيادة الباء في قول اي احسن لأنه وجد في مكان آخر وجزاء سيئة سيئة مثلها ويجوز ان يكون الباء متعلقة بخبر محذوف تقديره جزاء سيئة كائن بمثلها كما تقول انما انا بك وأمري بيدك وما أشبه ذلك \rightarrow والآخر \rightarrow ان يكون فاعلا باضار فعل تقديره استقر لهم جزاء سيئة بمثلها ثم حذف استقر فبقي لهم جزاء سيئة بمثلها ثم حذف لهم لدلالة الكلام

على ان هذا مستقر لهم ويجوز ان يكون جزاء سيئة مبتدأ والخبر محذوف تقديره لهم جزاء سيئة بمثلها
 او جزاء سيئة بمثلها كائن هذا قد أجازته ابو الفتح وقوله وترهقهم عطف على كسبوا وجاز ان يفصل بينها بقوله
 جزاء سيئة بمثلها لأنه من الاعتراض الذي يبين الأول ويسدده ويشبهه مظلما قال ابو علي ان اجريته على
 قطع ساكنة الطاء فيجتملى نصبه على وجهين ﴿٢٨﴾ احدها ﴿٢٨﴾ ان يكون صفة لقطع على قياس قوله وهذا كتاب
 أنزلناه مبارك وصفت الكتاب بالمفرد بعد ما وصفته بالجملة واجريته على النكرة ﴿٢٩﴾ والآخر ﴿٢٩﴾ ان يكون
 حالا من الذكر الذي في الظرف يعني قوله من الليل وان اجريته على قطع مفتوحة الطاء لم يكن صفة له ولا حالا
 من الذكر الذي في قوله من الليل ولكن يكون حالا من الليل والعامل في الحال ما يتعلق به من الليل وهو الفعل
 المختزل ومثل ذلك في زيادة الوصف بالسواد قول الشاعر

وردية مثل الساء اعتسفتها

وقد صبغ الليل الحصى بسواد

اي سودتها الظلمة وقال غيره يجوز ان يكون مظلما صفة لقطع على قول الشاعر

لو ان مدحة حي تنشرن احدا

احبى اباكن يالبي الاماديع

— المعنى —

ثم بين سبحانه أهل دار السلام فقال (الذين احسنوا الحسنى) ومعناه للذين احسنوا العمل وأطاعوا الله تعالى
 في الدنيا جزاء لهم على ذلك الحالة الحسنى والمنزلة الحسنى وهي الحالة الجامعة للذات والتعميم على اكمل ما يكون
 وأفضل ما يمكن وهو تأنيث الأحسن (وزيادة) ذكر في ذلك وجوه ﴿٢٨﴾ احدها ﴿٢٨﴾ ان الحسنى الثواب المستحق
 والزيادة التفضل على قدر المستحق على طاعاتهم من الثواب وهي المضاعفة المذكورة في قوله فله عشر امثاله عن ابن
 عباس والحسن ومجاهد وقتادة ﴿٢٩﴾ وثانيها ﴿٢٩﴾ الزيادة هي ان ما اعطاهم الله تعالى من النعم في الدنيا لا يحاسبهم
 به في الآخرة عن ابي جعفر الباقر (ع) ﴿٣٠﴾ وثالثها ﴿٣٠﴾ ان الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها اربعة ابواب عن
 علي (ع) وقيل الزيادة ما يأتيهم في كل وقت من فضل الله مجددا ﴿٣١﴾ ورابعها ﴿٣١﴾ ان الزيادة هي النظر إلى وجه
 الله تعالى وروى ذلك عن ابي بكر وأبي موسى الأشعري وغيرهما وقد بين الله سبحانه الزيادة في موضع آخر بقوله
 ليوفيهم اجرهم ويزيدهم من فضله (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) اي لا يلحق وجوههم سواد عن ابن عباس
 وقتادة وقيل غبار ولا ذلة اي هوان وقيل كآبة وكسوف عن قتادة وروى الفضيل بن يسار عن ابي جعفر الباقر
 عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ ما من عين تفرقت بمانها إلا حرم الله ذلك الجسد على النار فان فاضت
 من خشية الله لم يرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة (او لثك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) مر معناه (والذين كسبوا
 السيئات) اي اكتسبوا وارتكبوا (جزاء سيئة بمثلها) اي لهم جزاء كل سيئة بمثلها يعني يجوزون بمثل
 اعمالهم اي قدر ما يستحق عليها من غير زيادة لأن الزيادة على قدر المستحق من العقاب ظلم وليس كذلك الزيادة
 على قدر المستحق من الثواب لأن ذلك تفضل يحسن فعله ابتداء فمثل هنا مقدار المستحق من غير زيادة ولا نقصان
 (وترهقهم ذلة) اي يلحقهم هوان وذلة لأن العقاب يقارنه الإهانة والإذلال (ما لهم من الله من عاصم) اي
 ما لهم من حافظ ومانع يدفع عقاب الله عنهم (كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) أي كأننا البست
 وجوههم ظلمة الليل والمراد وصف وجوههم بالسواد كقوله سبحانه ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله
 وجوههم مسودة (او لثك اصحاب النار هم فيها خالدون) ظاهر المراد

قوله تعالى (٢٨) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ
 وَشُرَكَائِكُمْ فزِيلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَارٌ تَعْبُدُونَ (٢٩) فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ (٣٠) هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَوَضَّلْنَا عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ثلاث آيات

❖ القراءة ❖

قرأ تتلو بالناء اهل الكوفة غير عاصم وروح وزيد عن يعقوب والباقون تبلو بالباء

= (الحجة) =

قال ابو علي من قرأ تبلو فمعناه تخبر من قولم البلاء ثم الثناء اي الاختبار للمثنى عليه ينبغي ان يكون قبل الثناء ليكون الثناء عن علم بقدر ما يوجبه ومعنى اختبارها ما اسلفت انه ان قدم خيرا او شرا جوزي عليه كما قال فمن يعمل مثقال ذرة إلى آخره ومن عمل صالحا فلنفسه وغير ذلك من الآي ومن قرأ تتلو فإنه من التلاوة التي هي القراءة دليله قوله فأولئك يقرأون كتابهم وقوله اقرأ كتابك ويكون تتلو تتبع من قولم تلا الفريضة النفل إذا أتبعها النفل قال

علي ظهر عادي كأن أرومه
رجال يتلون الصلاة قيام
فيكون المعنى تتبع كل قس ما اسلفت من حسنة او سيئة قال
قد جعلت دلوي تستليني
ولا أحب تبع القرين
اي تستبعني من ثقلها

❖ اللفظة ❖

التزويل التفريق مأخوذة من قولهم زلت الشيء عن مكانه ازيله وزيلته للكثرة من هذا إذا نجته عن مكانه وزايلت فلانا إذا فارقت هنالك اي في ذلك المكان وهو ظرف فهنا للقرين وهنالك للبعيد وهنالك لما بينها قال زهير هنالك ان يستبخلوا المال يبخلوا وان يسألوا يعطوا وان يبسروا يعلوا والاسلاف تقديم امر لما بعده فمن اسلف الطاعة لله جوزي بالثواب ومن اسلف المعصية جوزي بالعقاب

❖ الاعراب ❖

جميعا نصب على الحال مكانكم قال الزجاج هو منصوب على الأمر والمعنى انظروا مكانكم حتى يفصل بينكم والعرب تنوع فتقول مكانك وانتظري وهي كلمة جرت على الوعيد واقول ان الصحيح عند المحققين ان مكانك ودونك من اسماء الأفعال فيكون مكانكم ههنا اسما لا لزوما مبنيا على الفتح وليس بمنصوب نصب الظروف وكم لا محل له من الاعراب إذ هو حرف الخطاب وانتم رفع تأكيد للضمير في مكانكم وشركاؤكم عطف عليه وهذا كما تقول في قولهم عليك زيدا ان الكاف حرف الخطاب لا محل له من الاعراب وعلى ههنا اسم للفعل وليس بحرف وكفى بالله شهيدا قال الزجاج شهيدا منصوب على التمييز ان شئت وان شئت على الحال ان كنا ان بمنزلة ما النفي اي ما كنا عن عبادتكم إلا غافلين قاله الزجاج واقول الصحيح أن هذه هي المخففة من الثقلية وإذا كانت مخففة من الثقلية بلزما اللام ليفرق بينها وبين النافية والتقدير انا كنا عن عبادتكم غافلين وهنالك منصوب بتبلو إلا انه غير متمكن واللام زائدة كسرت لالتقاء الساكنين

❖ المعنى ❖

ولما تقدم ذكر الجزاء بين سبحانه وقت الجزاء فقال (ويوم نحشرهم جميعا) اي نحشر الخلائق اجمعين اي

نجمهم من كل اوب إلى الموقف (ثم نقول للذين اشر كوا) في عبادتهم مع الله غيره وفي اموانهم فقالوا هذا
 لله وهذا لشر كائنا (مكانكم انتم وشركاؤكم) اي اثبتوا والزموا مكانكم انتم مع شر كائكم يعني الأوثان فقد
 صحبتهم في الدنيا فاصحبهم في المحشر وقيل معناه اثبتوا حتى تسألوا كقوله وقفوم انهم مسؤلون (فزبلنا بينهم)
 أي فميزنا وفرقنا بينهم في المسئلة فسألنا المشركين على حدة لم عبدتم الأصنام وسألنا الأصنام على حدة لم عبدتم
 وبأي سبب عبدتم وهذا سؤال تقريع وتبكيت عن الحسن ومثله وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت وقيل معناه
 فزبلنا بينهم وبين الأوثان فتهرباً منهم الشركاء وانقطعت اسبابهم (وقال شر كآؤهم ما كنتم إيانا تعبدون) أي
 يجيبهم الله وينطقهم فقالوا ما كنا نشعر بأنكم إيانا تعبدون عن مجاهد وقيل ان شركاهم من كانوا يعبدونهم من
 الشياطين وقيل هم الملائكة الذين كانوا يعبدونهم من دون الله وفي كيفية جحدهم لعبادتهم إياه قولان
 * أحدهما * انهم يقولون ذلك على وجه اهااتهم بالرد عليهم اي ما اعتذروا بذلك لكم * والآخر * ان المراد
 انكم لم تعبدونا بأمرنا ودعائنا ولم يرد انهم لم يعبدوهم اصلاً لأن ذلك كذب لا يجوز أن يقع في الآخرة
 لكونهم ملجئين إلى ترك القبيح عن الجبائي وهذه الآية نظير قوله إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا الآية
 (فكفى بالله شهيدا) اي فاصلاً للحكم (بيننا وبينكم) ايها المشركون (إن كنا عن عبادتكم لغافلين)
 مر معناه وهذا إذا كان المراد به الملائكة فإنهم عما ادعوه غافلون لأنهم لم يشعروا بذلك ولا أمروا به وإن كان
 المراد الأصنام فلم يكن لها حس ولا علم وهذا غاية في الزام الحجّة حيث اختاروا للعبادة من لم يدعهم اليها ولم يشعر
 بها (هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت) أي في ذلك المكان وفي تلك الحال وفي ذلك الوقت تجرب وتعلم كل
 نفس ما قدمت من خير او شر وترى جزاءه على القراءة بالتاء معناه تقرأ كل نفس جزاء عملها وجزاء ما قدمته
 (وردوا إلى الله مولاهم الحق) اين وردوا إلى جزاء الله وإلى الموضع الذي لا يملك احد فيه الحكم إلا الله
 الذي هو مالكهم وسيدهم وخالقهم والحق صفة لله تعالى وهو القديم الدائم الذي لا يفنى وما سواه يبطل وقيل
 الحق هو الذي يكون معنى اللفظ حاصل له على الحقيقة فالله جل جلاله هو الحق لأن معنى الإلهية حاصل له على
 الحقيقة (وضل عنهم ما كانوا يفترون) اي بطل وهلك عنهم ما كانوا يدعون به باقراهم من الشركاء مع الله تعالى

قوله تعالى (٣١) قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
 وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا
 تَتَّقُونَ (٣٢) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٣)
 كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ثلاث آيات

القراءة

قرأ أهل المدينة وابن عامر كلمات ههنا وفي آخرها على الجمع وكذلك في سورة المؤمن والباقون على التوحيد

* الحجة *

قال ابو علي من قرأ على التوحيد احتمل وجهين * أحدهما * ان يكون جعل ما أوعده به الفاسقون كلمة
 وإن كانت في الحقيقة كلمات لأنهم قد هسمون القصيدة كلمة والخطبة كلمة * والآخر * ان يكون كلمة ربك
 التي يراد بها الجنس قد اوقعت على بعض الجنس كما اوقع اسم الجنس على بعضه في قوله وانكم لتعمرون عليهم
 مصبحين وبالليل وقول الشاعر « يبطن شريان يعوي عنده الذيب » نأماً من جمع فإنه جعل الكلم التي توعدوا بها
 كل واحدة منها كلمة ثم جمع فقال كلمات وكلاهما وجه

* الأعراب *

كذلك حقت الكاف في موضع نصب أي مثل افعالهم جازاهم ربك وقوله انهم لا يؤمنون بدل من كلمة ربك أي حقيق عليهم انهم لا يؤمنون ويجوز ان يكون على تقدير حقت عليهم الكلمة لا أنهم لا يؤمنون ويكون الكلمة ما وعدوا به من العقاب

* المعنى *

ثم قرر سبحانه أدلة التوحيد والبعث عليهم فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (من يرزقكم) أي من يخلق لكم الأرزاق (من السماء) بأنزال المطر والغيث (ومن الأرض) بإخراج النبات وأنواع الثمار والرزق في اللغة هو العطاء الجاري يقال رزق السلطان الجندي إلا ان كل رزق فإن الله هو الرزاق به لأنه لو لم يطلقه على يد ذلك الانسان لم يجئ منه شيء فلا يطلق اسم الرزاق إلا على الله تعالى ويقيد في غيره كما لا يطلق اسم الرب إلا عليه ويقيد في غيره فيقال رب الدار ورب الضيعة ولا يجوز أن يخلق الله حيوانا يريد تربيته إلا ويرزقه لأنه إذا أراد بقاءه فلا بد له من الغذاء (أمن يملك السمع والأبصار) معناه أم من يملك أن يعطيكم الاسماع والأبصار فيقوبها وينورها ولو شاء لسلب نورها وحسها (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) قيل معناه ومن يخرج الانسان من النطفة والطفة من الانسان وقيل معناه ومن يخرج الحيوان من بطن أمه إذا ماتت أمه ويخرج غير التام ولا البالغ حد الكمال من الحي وقيل معناه ومن يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن (ومن يدبر الأمر) أي ومن الذي يدبر جميع الأمور في السماء والأرض على ما توجبه الحكمة (فسيقولون الله) أي فسيعترفون بأن الله تعالى يفعل هذه الأشياء وان الأصنام لا تقدر عليها (فقل أفلا تتقون) أي فقل لهم عند اعترافهم بذلك أفلا تتقون عقابه في عبادة الأصنام وفي الآية دلالة على التوحيد وعلى حسن المحاجة في الدين لأنه سبحانه حاج بها المشركين وفيها دلالة على انهم كانوا يقرون بالخالق وإن كانوا مشركين فإن جمهور العقلاء يقرون بالصانع سوى جماعة قليلة من ملحدة الفلاسفة ومن اقر بالصانع على هذا صنفان موحد يعتقد ان الصانع واحد لا يستحق العبادة غيره ومشرك وهم ضربان فضرب جعلوا لله شريكا في ملكه يضاده وبنائوه وهم الثنوية والمجوس ثم اختلفوا فمنهم يثبت لله شريكا قديما كالمناوية ومنهم من يثبت شريكا محدثا كالمجوس وضرب آخر لا يجعل لله تعالى شريكا في حكمه وملكه ولكن يجعل له شريكا في العبادة يكون متوسطا بينه وبين الصانع وهم اصحاب المتوسطات ثم اختلفوا فمنهم من جعل الوسايط من الاجسام العلوية كالنجوم والشمس والقمر ومنهم من جعل المتوسط من الأجسام السفلية كالأصنام ونحوها تعالى الله عما يقول الزائغون عن سبيله علوا كبيرا (فذلكم الله) ذلك اشارة إلى اسم الله تعالى الذي وصفه في الآية الأولى بأنه الذي يرزق الخلق ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي والكاف والميم للمخاطبين وهم جميع الخلق اخبر سبحانه ان الذي يفعل هذه الأشياء (ربكم الحق) الذي خلقكم ومعبودكم الذي له معنى الإلهية ويحق له العبادة دون غيره من الأصنام والأوثان (فمادام بعد الحق ولا الضلال) استفهام يراد به التقرير على موضع الحجة إذ لا يجد المجيب محيدا عن الاقرار به إلا يذكر ما لا يلتفت اليه والمراد به ليس بعد الذهاب عن الحق إلا الوقوع في الضلال لأنه ليس بينهما واسطة فإذا ثبت ان عبادته هو الحق ثبت ان عبادة ما سواه باطل وضلال (فأنى تصرفون) أي فكيف تعدلون عن عبادته مع وضوح الدلالة على انه لا معبود سواه (كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون) معناه ان الوعيد من الله تعالى للكفار بالنار في الصحة كالقول بأنه ليس بعد الحق ولا الضلال وقيل ان معناه مثل انصرفهم عن الإيمان وجبت العقوبة لهم أي جازاهم ربهم بمثل ما فعلوا من الانصراف وهذا في قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون ومعناه سبق علم ربك في هؤلاء انهم لا يؤمنون وقيل معنى قوله انهم لا يؤمنون أو لا أنهم لا يؤمنون أي وجبت العقوبة عليهم لذلك

قوله تعالى (٣٤) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ
 ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ (٣٥) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي
 لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُبْعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ
 تَحْكُمُونَ (٣٦) وَمَا يَبْسُغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ
 عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أهل الكوفة غير عاصم أمن لا يهدي ساكنة الهاء خفيفة الدال وقرأ أهل المدينة غير ورش يهدي
 ساكنة الهاء مشددة الدال وقرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر وروح وزيد عن يعقوب يهدي بفتح الياء والهاء
 وتشديد الدال إلا أن أبا عمرو أشار إلى فتحة الهاء من غير اشباع وقرأ عاصم غير حماد ويحيى ورويس عن
 يعقوب يهدي بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال وقرأ حماد ويحيى عن أبي بكر عن عاصم يهدي بكسر
 الياء والهاء والتشديد

✽ الحجة ✽

قوله يَهْدِي وَيَهْدِي وَيَهْدِي وِيَهْدِي أصل جميعها يهتدي بفتحة الدال وإن اختلفت الفاعل ادغموا التاء
 في الدال لمقاربتها لها فإنها من حيز واحد ثم اختلفوا في تحريك الهاء فمن قرأ يهدي التي حركة الحرف المدغم
 وهو التاء على الهاء ومن قرأ يهدي بكسر الهاء فإنه حرك الهاء بالكسر لالتقاء الساكنين ومن سكن الهاء
 جمع بين الساكنين ومن أشم الهاء ولم يسكن فالأشمام في حكم التحريك ومن كسر الهاء مع الهاء اتبع الياء
 ما بعدها من الكسرة وهو ردي لثقل الكسر في الياء

- الاعراب -

قوله فما لكم كيف تحكمون ما مبتدأ ولكم خبره وكيف منصوب بقوله تحكمون لا يغني من الحق شيئاً
 يجوز أن يكون قوله شيئاً مفعول يغني ويجوز أن يكون في موضع مصدر أي لا يغني من الحق غناء وكذا قيل
 في قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئاً قالوا هو مفعول تجزي وقالوا هو مصدر أي جزاء وكذلك قوله
 ولا تشر كوا به شيئاً قالوا هو مفعول تشر كوا وقالوا هو مصدر أي لا تشر كوا به اشراكاً وكذلك قوله بعدوني
 ولا بشر كون بي شيئاً

✽ المعنى ✽

ثم احتج سبحانه عليهم في التوحيد باحتجاج آخر فقال (قل) يا محمد هؤلاء المشركين (هل من شركائكم
 من يبدؤ الخلق ثم يعيده) أي هل من هذه الأصنام التي جعلتموها شركاء لله في العبادة وقيل الذين جعلتموهم
 شركاء في أموالكم كما قال وهذا لشركائنا من يبدؤ الخلق بالإنشاء بعد أن لم يكن وهو النشأة الأولى ثم يعيده
 في النشأة الثانية (قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده) معناه فإن قالوا ليس من شركائنا من يقدر عليه أو سكتوا
 فقل أنت لهم الله هو الذي يبدؤ الخلق بأن ينشئه على غير مثال ثم يفنيه ثم يعيده يوم القيامة (فأنتى تؤفكون)
 أي كيف تصرفون عن الحق وتقلبون عن الإيمان ثم استأنف الاحتجاج فقال سبحانه (قل) يا محمد (هل من
 شركائكم من يهدي إلى الحق) أي هل من هذه الأصنام من يهدي الناس إلى الرشده وما فيه الصلاح
 والنجاة والخير بدلالة ينصبها وحجة يظهرها فلا بد من أن يجيبوا بلا (فقل) أنت لهم (الله) هو الذي (يهدي)

للحق) إلى طريق الرشاد يقال هديت إلى الحق وهديت للحق بمعنى واحد (أمن يهدي إلى الحق) معناه أمن يهدي غيره إلى طريق التوحيد والرشد (أحق أن يتبع) أمره ونهيه (أمن لا يهدي) احداً (إلا ان يهدي) او لا يهتدى هو إلا ان يهدي والاصنام لا تهتدي ولا تهدي احداً وان هديت لانها موات من حجارة ونحوها ولكن الكلام نزل على انها ان هديت اهتدت لانهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها كما يعبر عن عقل ووصفت بصفة من يعقل وان لم يكن في الحقيقة كذلك ألا ترى إلى قوله سبحانه ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السماوات والأرض شيئاً ولا يستطيعون وقوله إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم وإنما من موات ألا ترى انه قال فادعوهم فليستجيبوا لكم ألهم ارجل يمشون بها الآية وكذلك قوله وان تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم فأجري عليه اللفظ كما يجري على من يعلم وعلى هذا فقولهُ إلا ان يهدي إلا بمنزلة حتى فكأنه قال امن لا يهتدي حتى يهدي ام من لا يعلم حتى يعلم ومن لا يستدل على شيء حتى يدل عليه وإن كان لو دل او علم لم يستدل ولم يعلم ولو هدى لم يهتد بين الله سبحانه بذلك جهلهم وقلة تمييزهم في تسويتهم من لا يعلم ولا يقدر بالله القادر والعالم وقال البلخي لا يهدي ولا يهتدى بمعنى واحد يقال هديته فهدى اي اهتدى وقيل ان المراد بذلك الملائكة والجن لأنهم يهتدون إذا هدوا وقيل المراد به الرؤساء والمضلون الذين يدعون إلى الكفر وقيل ان المعنى في قوله لا يهدي إلا ان يهدي لا يتحرك إلا ان يحرك ولا ينتقل إلا ان ينقل كقول الشاعر (حيث يهدي ساقه قدمه) اي بحمل وقيل معناه إلا ان يركب الله فيه آلة التمييز والهداية ويرزقه فهما وعقلاً فإن هدى حينئذ اهتدى (فما لكم) قال الزجاج هذا كلام تام كأنه قال اي شيء لكم في عبادة من لا يضر ولا ينفع (كيف تحكمون) هذا تعجب من حالهم اي كيف تقضون بأن هذه الاصنام آلهة وانها تستحق العبادة وقيل كيف تحكمون لانفسكم بما لا توجه الحجة ولا تشهد بصحته الأدلة (وما يتبع اكثرهم إلا ظناً) اي ليس يتبع اكثرهم إلا الكفار إلا ظناً الظن الذي لا يجدي شيئاً من تقليد آبائهم ورؤسائهم (إن الظن لا يغني من الحق شيئاً) لأن الحق إنما ينتفع به من علمه حقاً وعرفه معرفة صحيحة والظن يكون فيه تجويز ان يكون المظنون على خلاف ما ظن فلا يكون مثل العلم (إن الله علم بما يفعلون) من عبادة غير الله تعالى فيجازيهم عليه وفيه ضرب من التهديد

قوله تعالى (٣٧) وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٨) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَنزِلُوا سُورَةَ مِثْلِهِ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَفْتَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٩) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَا نِهِمْ تَأْوِيلَهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ أَرْبَع آيَاتٍ

(اللقنة) =

القرآن عبارة عن هذا الكلام الذي هو في اعلى طبقات البلاغة مع حسن النظام والجزالة والتفصيل والتقسيم والتميز نظائر وضده التليس والتخليط والسورة جملة منزلة محيطة بآيات الله كحاطة سور البناء بالبناء والاستطاعة حالة للحي تنطاع بها الجوارح للفعل وهي مأخوذة من الطوع والقدرة مأخوذة من القدر ففي معنى يمكن ان يوجد بها الفعل والا يوجد لتقصير قدره عن ذلك المعنى

✽ الإعراب ✽

وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله اي لأن يفترى ويجوز أن يكون المعنى ما كان هذا القرآن افتراء فيكون مصدرا في موضع نصب بأنه خبر كان وتصديق عطف عليه اي ولكن كان تصديق الذي بين يديه ام يقولون افتراء ام هذه هي المنقطعة وتقديره بل ايقولون وكيف في موضع نصب على انه خبر كان

✽ المعنى ✽

ثم رد الله سبحانه على الكفار قولهم إئت بقراء غير هذا اوبدله وقولهم ان النبي ^{صلى الله عليه وآله وسلم} افتري هذا القرآن فقال (وما كان هذا القرآن ان يفترى) اي افتراء (من دون الله) فأقام ان مع الفعل مقام المصدر بل هي وحى من الله ومتلقى منه (ولكن تصديق الذي بين يديه) من الكتب كما قال في موضع آخر مصدقا لما بين يديه وهذه شهادة من الله بأن القرآن صدق وشاهد لما تقدم من التوراة والانجيل والزبور بأنها حق ومن وجه آخر هو شاهد لها من حيث انه مصداق لها على ما تقدمت البشارة به فيها وقيل معناه تصديق الذي بين يديه في المستقبل من البعث والنشور والحساب والجزاء (وتفصيل الكتاب) اي تبين المعاني المجملة في القرآن من الحلال والحرام والأحكام الشرعية وقيل معناه وبيان الأدلة التي تحتاجون اليها في امور دينكم (لا ريب فيه من رب العالمين) اي لا شك فيه انه نازل من عند الله وانه معجز لا يقدر احد على مثله وهذا غايبة في التحدي (ام يقولون افتراء) هذا تقرير على موضع الحجة بعد مضي حجة اخرى وتقديره بل ايقولون افتراء هذا فألزهم على الأصل الفاسد امكان أن يأتيوا بمثله (وقل) لم (فأتوا بسورة مثله) أي مثله في البلاغة لأنكم من اهل لسانه فلو قدر على ذلك لقدرتم انتم ايضا عليه فإذا عجزتم عن ذلك فاعلموا انه ليس من كلام البشر وانه منزل من عند الله عز اسمه وقيل بسورة مثله اي بسورة مثل سورة منه وقال مثله لانه إنما التمس من هذا شبه الجنس (وادعوا من استطعتم من دون الله) اي وادعوا من قدرتم عليه من دون الله واستعينوا به للمعاوضة على المعارضة بسورة مثله (إن كنتم صادقين) في ان هذا القرآن مفترى من دون الله وهذا ايضا غايبة في التحدي والتعجيز (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) اي بما كذبوا ولم يعلموه من جميع وجوهه لأن في القرآن ما يعلم المراد منه بدليل ويحتاج إلى الفكر فيه والرجوع إلى الرسول في معرفة مراده وذلك مثل التشابه بالكفار لما لم يعرفوا المراد بظاهره كذبوا به وقيل معناه بل كذبوا بما لم يحيطوا علما بكيفية نظمه وترتيبه وهذا كما ان الناس يعرفون الفاظ الشعر والخطب ومعانيها ولا يمكنهم ابداعها لجهلهم بنظمها وترتيبها وقال الحسن معناه بل كذبوا بالقرآن من غير علم يبطلانه وقيل معناه بل كذبوا بما في القرآن من الجنة والنار والبعث والنشور والثواب والعقاب (ولما يأتيهم تأويله) أي لم يأتيهم بعد حقيقة ما وعد في الكتاب ما يؤول اليه امرهم من العقوبة وقيل معناه إن في القرآن اشياء لا يعلموه هم ولا يمكنهم معرفته إلا بالرجوع إلى النبي ^{صلى الله عليه وآله وسلم} فلم يرجعوا اليه وكذبوا به فلم يأتيهم تفسيره وتأويله فيكون معنى الآية بل كذبوا بما لم يدركوا علمه من القرآن ولم يأتيهم تفسيره ولو راجعوا فيه رسول الله ^{صلى الله عليه وآله وسلم} لعلموه وروي عن ابي عبيد الله (ع) انه قال ان الله خص هذه الامة بآيتين من كتابه ان لا يقولوا الا ما يعلمون وان لا يردوا ما لا يعلمون ثم قرأ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله الا الحق الآية وقرأ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه الآية وقيل ان من هنا اخذ امير المؤمنين علي عليه السلام قوله الناس اعداء ما جهلوا واخذ قوله قيمة كل امرئ ما يحسنه من قوله عز وجل فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مباهم من العلم واخذ قوله تكلموا تعرفوا من قوله ولتعرفنهم في لحن القول (كذلك كذب الذين من قبلهم) اي مثل تكذيب هؤلاء كذبت الامم السالفة رسالها (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) اي كما

كان عاقبة اولئك الهلاك كذلك يكون عاقبة هؤلاء ثم اخبر سبحانه ان من جملة هؤلاء الذين كذبوا بالقرآن ونسبوه الى الافتراء من سيئون من به في المستقبل وصدق بأنه من عند الله ومنهم من يموت على كفره فقال (ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به) وأراد سبحانه انه إنما يهلكهم في الحال لما يعلم في تبييتهم من الصلاح وقيل معناه ومنهم من يؤمن بالقرآن في نفسه ويعلم صحته إلا انه يعاند ويظهر من نفسه خلاف ما يعلمه ومنهم من هو شاك فيه فكأنه قال ومنهم معاندون ومنهم شاكون (وربك اعلم بالمفسدين) اي بمن يدوم على الفساد ويعلم من يتوب

قوله تعالى (٤١) وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٤٢) وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (٤٣) وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ (٤٤) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ أربع آيات

= « المعنى » =

ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (وان كذبوك) يا محمد ولم يصدقوك وردوا عليك قولك (فقل لهم لي عملي) فان كنت كاذبا فوباله علي (ولكم عملكم) اي ولكم جزاء عملكم (انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون) نظيره قوله قل يا ايها الكافرون الى آخر السورة وهذا وعيد لهم من الله تعالى كقوله اعملوا على مكاثمكم ونحوه وقيل ان هذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل انه لا تنافي بين هذه الآية وآية القتال لانها براءة ووعد وذلك لا ينافي الجهاد (ومنهم من يستمعون اليك) معناه ومن جملة هؤلاء الكفار من يستمع اليك يا محمد والاستماع طلب السمع فهم كانوا يطلبون السمع للرد لا للفهم فذلك لزمهم الذم فانهم اذا سمعوه على هذا الوجه كانوا صم لم يستمعوه حيث لم ينتفعوا به (افانت تسمع الصم) هذا خطاب للنبي ﷺ بأنه لم يقدر على اسماع الصم (ولو كانوا لا يعقلون) قال الزجاج معناه ولو كانوا جهالا وهذا مثل قول الشاعر «أصم عما ساءه سمع» (ومنهم من ينظر اليك) أي ومن جملة من ينظر اليك يا محمد فلم يخبر بلفظ الجمع هنا لأنه حمله على اللفظ وقال من يستمعون فأخبر بلفظ الجمع حمله على المعنى اي ينظر إلى أفعالك وأقوالك لا نظر الحقيقة والعبرة بل نظر العادة فلا ينتفع بنظره (افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون) أي فكأنك لا تقدر ان تبصر العمي فتنتفعهم به كذلك لا تقدر ان تنتفع بما تأتي به من الأدلة من ينظر اليها ولا يطلب الانتفاع بها وقوله افانت استفهام المراد به النفي وقيل ان معنى الآيتين ومنهم من يستمع الى كلامك استماع الطعن والتعنت وينظر الى أدلتك نظر الطاعن القادح فيها المكذب بها الراد عليها فلا تقدر ان تنتفعهم بمثل هذا الاستماع والنظر (ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون) قد تمدح سبحانه في هذه الآية بأنه لا يظلم أحداً من الناس شيئا بأن ينقص من حسناتهم وجزاء طاعاتهم ولكنهم ينقصون انفسهم ويظلمونها بارتكاب ما نهى الله عنه من القبائح والمعنى هنا ان الله تعالى لا يمنع احداً الانتفاع بما كلفهم الانتفاع به من القرآن والأدلة ولكنهم يظلمون انفسهم بترك النظر فيه والاستدلال به وتقويتهم انفسهم الثواب عليها وادخالهم عليها العقاب ففي الآية دلالة على انه سبحانه لا يفعل الظلم فيطلب قول المجبرة في

إضافة كل ظلم الى خلقه وإرادته

﴿ النظم ﴾

قيل في اتصال الآية الأولى بما قبلها انه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوت فاندوا وكذبوا أمر فبا بعد
بقطع العصمة عنهم والوعيد لهم وأما الآية الأخيرة وهي قوله إن الله لا يظلم الناس شيئا فالوجه في اتصالها
بما قبلها انها تتصل بقوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين يعني انهم استحقوا ذلك الهلاك والعذاب بأفعالهم وما ظلمناهم
وقيل انها اتصلت بقوله ومنهم من يستمعون اليك ومنهم من ينظر اليك فكأنه قال ان الله لا يمنهم الانتفاع بما كلفهم
بل مكنتهم وبين لهم وهداهم وازاح عنهم ولكن ظلموا هم أنفسهم بترك الانتفاع به عن الجبائي وأبي مسلم
وقيل انه لما تقدم ذكر الوعد والوعيد بين سبحانه انه لا يظلمهم أي لا ينقص من حسناتهم ولا يزيد في سيئاتهم

قوله تعالى (٤٥) وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ
خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (٤٦) وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعَنَّكَ
فَيَأْتِيَنَّا مَرَجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ (٤٧) وَإِكْلَامُ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قَضِيَ
بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يظلمون ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ حفص عن عاصم ويوم يحشرهم بالياء والباقون بالنون

﴿ الحجة ، والإعراب ﴾

قال ابو علي يحتمل قوله كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار ثلاثة أوجه ﴿ احدها ﴾ أن يكون صفة
ليوم ﴿ والآخر ﴾ أن يكون صفة للمصدر المحذوف ﴿ والثالث ﴾ أن يكون حالا من الضمير في نحشرهم
فإذا جعلته صفة ليوم احتل ضربين من التأويل ﴿ احدهما ﴾ أن يكون التقدير كأن لم يلبثوا
قبله إلا ساعة فحذفت الكلمة لدلالة المعنى عليها ومثل ذلك في حذف هذا النحو منه قوله فإذا بلغن أجلهن
فأمسكوهن بمعروف أي أمسكوهن قبله وكذلك قوله يترصدن بأنفسهن أي يترصدن بعدهم ويجوز أن يكون
المعنى كأن لم يلبثوا قبله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ثم حذفت الهاء من الصفة كقولك الناس
رجلان رجل أهنتم ورجل أكرمتهم ومثل هذا في حذف المضاف وإقامة الصفة المضاف اليه مقامه قوله ترى
الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم التقدير وجزاؤه واقع بهم فحذف المضاف وان جعلته صفة للمصدر
كأن على هذا التقدير الذي وصفناه وبمثله وإن جعلته حالا من الضمير المنتصب لم يحتاج الى حذف شيء من
اللفظ لأن الذكر من الحال قد عاد الى ذي الحال والمعنى نحشرهم مشابهة احوالهم احوال من لم يلبث إلا
ساعة واما يوم نحشرهم فإنه يصلح ان يكون معمولاً لا حداثيين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون معمول يتعارفون
﴿ والآخر ﴾ أن يكون يوم نحشرهم لما دل عليه قوله كأن لم يلبثوا فإذا جعلته معمولاً لقوله يتعارفون انتصب
يوم على وجبهين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون ظرفاً معناه يتعارفون في هذا اليوم ﴿ والآخر ﴾ أن يكون مفعولاً
على السعة على قوله يا سارق الليلة أهل الدار ومعنى يتعارفون يحتمل أمرين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون
المعنى مدة إقامتهم التي وقع حشرهم بعدها وحذف المفعول للدلالة عليه كما حذف في مواضع كثيرة وعدي

تفاعل كما يعدي في قوله تخاطأت النبل احشاه او يكون اعمل الفعل الذي دل عليه بتعارفون الا ترى انه قد دل على يستعملون ويتعرفون وتعرفوا مدة اللبث هاهنا كما تعرفوها في قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً او بعض يوم والآخر في التعارف ما جاء من قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فتعارفهم يكون على احد هذين الوجهين فلي هذا يكون قوله ويوم نحشرهم معمول بتعارفون والآخر ان يكون يوم نحشرهم معمول ما دل عليه قوله كأن لم يلبثوا الا ترى ان المعنى تشابه احوالهم احوال من لم يلبث فيعمل في الظرف هذا المعنى ولا يمنع المعنى من ان يعمل في الظرف وان تقدم الظرف عليه كقولهم اكل يوم لك ثوب واذا حملته على هذا لم يجوز ان يكون صفة للمصدر لأن الموصوف الذي هو المصدر موضعه بعد الفعل تقديره يوم نحشرهم حشراً كأن لم يلبثوه أو لم يلبثوا قبله والصفة لا يتقدم عليها ما تعمل فيه ولا يجوز أيضاً ان تجعله صفة ليوم على هذا لأن الصفة لا تعمل في الموصوف الا ترى ان الصفة شرح للموصوف كما ان الصلة لا تعمل في الموصول لذلك فإن قلت فاذا قدرت كأن لم يلبثوا على تقدير الحال من الضمير هل يجوز ان يكون يوم معمولاً له فان ذلك لا يجوز لأن العامل في الحال يحشر او نحشر وقد اضيف اليوم اليه ولا يجوز ان يعمل في المضاف المضاف اليه ولا ما يتعلق بالمضاف اليه لأن ذلك يوجب تقديمه على المضاف الا ترى انه لم يجوز القتال زيدا حين يأتي واذا جمعت بتعارفون العامل في يوم نحشرهم لم يجوز ان يكون صفة ليوم على انك كأنك وصفت اليوم بقوله كأن لم يلبثوا وتعارفون فوصفت يوم نحشرهم بجملة من لم يجوز ان يكون معمولاً لقوله بتعارفون لأن الصفة لا تعمل في الموصوف وجاز وصف اليوم بالجملة وان اضيف لأن الاضافة ليست بمحضة فلم تعرفه وبدل على النون في نحشرهم قوله سبحانه وحشرناهم وقوله فجعلناهم جماعاً ونحشره يوم القيامة اعمى وبدل على الباء قوله ليجمعنكم إلى يوم القيامة وكل واحد منها يجري مجرى الآخر

- المعنى -

ثم بين سبحانه حالهم يوم الجمع فقال (ويوم يحشرهم) أي يجمعهم من كل مكان إلى الموقف (كأن لم يلبثوا) في الدنيا (إلا ساعة من النهار) أي كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار ومعناه انهم استقلوا أيام الدنيا فإن المكث في الدنيا وإن طال كان بمنزلة مكث ساعة في جنب الآخرة عن الضحك وجماعة وقبل استقلوا أيام مقامهم في الدنيا لقلة انتفاعهم بأعمارهم فيها فكأنهم لم يلبثوا إلا يوماً فيها لقلة فائدتها وقيل انهم استقلوا مدة لبثهم في القبور عن ابن عباس وقد دل الله سبحانه بذلك على انه لا ينبغي لأحد أن يغتر بطول ما يأمله من البقاء في الدنيا إذا كان عاقبته إلى الزوال (بتعارفون بينهم) معناه ان الخلق يعرف بعضهم بعضاً في ذلك الوقت كما كانوا في الدنيا كذلك وقبل معناه يعرف بعضهم بعضاً ما كانوا عليه من الخطأ والكفر قال الكاظمي بتعارفون إذا خرجوا من قبورهم ثم تنقطع المعرفة إذا عاينوا العذاب ويترأ بعضهم من بعض (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله) أي بقاء جزاء الله (وما كانوا مهتدين) للحق قال الحسن معناه خسروا أنفسهم لأنهم لم يكونوا مهتدين في الدنيا ولو كانوا مهتدين في الدنيا لم يخسروا أنفسهم ومعناه انهم خسروا الدنيا حين صرفوها إلى المعاصي وخسروا نعيم الآخرة حين فوتوها على أنفسهم بما صيهم (واما زينك) يا محمد في حياتك بعض الذي نعدهم أي نعد هؤلاء الكفار من العقوبة في الدنيا قالوا ومنها وقعة بدر (او

توفيتك) أي نمتك قبل ان ينزل ذلك بهم وينزل ذلك بهم بعد موتك (فأولينا مرجعهم) أي إلى حكمنا مصيرهم في الآخرة فلا يفوتونا وقيل ان الله سبحانه وعد نبيه ^{صلى الله عليه وسلم} ان ينتقم له منهم اما في حياته او بعد وفاته ولم يجده بوقت فقال ان ما وعدناه حقاً لا محالة (ثم الله شهيد على ما يفعلون) أي عليم بأفعالهم حافظ لها فهو يوفيه عقاب معاصيهم (ولكل أمة رسول بعثه الله اليهم وحمله الرسالة التي يؤدونها اليهم) فإذا جاء رسولهم ههنا حذف واضمار والتقدير فإذا جاء رسولهم وبلغ الرسالة فكذبه قومه وصدقه آخرون (قضى بينهم) فيهلك المكذبون وينجو المؤمنون وقيل معناه فإذا جاء رسولهم يشهد عليهم يوم القيامة عن مجاهد وقيل في الدنيا بما أذن الله له من الدعاء عليهم قضى بينهم أي فصل بينهم الأمر على الحتم (بالقسط) أي بالعدل (وهم لا يظلمون) أي لا ينقصون عن ثواب طاعتهم ولا يزدادون في عقاب سيئاتهم

قوله تعالى (٤٨) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٥٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا كُنتُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَادًّا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (٥١) أَأَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ الْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (٥٢) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ خمس آيات

✽ اللغة ✽

الوعد خبر بما يعطى من الخير والوعيد خبر بما يعطى من الشر هذا إذا فصل فإن اجل وقع الوعد على الجميع والنفع هو اللذة والسرور وما أدى اليها أو الى واحد منها والضرر الألم والغم وما أدى اليها أو الى واحد منها والاجل هو الوقت المضروب لوقوع أمر كاجل الدين واجل الانسان

✽ الاعراب ✽

متى سؤال عن الزمان وأين سؤال عن المكان. بيانا منصوب على الظرف وقوله ماذا يستعجل بجوزان يكون ما في موضع رفع وذلك اذا كان ذا معنى الذي والمعنى ما الذي يستعجل منه المجرمون فيكون ما مبتدأ والذي خبره ويجوز ان يكون في موضع نصب وذلك اذا جعلت ما وذا اسما واحدا والمعنى اي شيء يستعجل منه المجرمون من العذاب أو من الله فيكون مفعول يستعجل وجواب ان اتاكم محذوفا وتقدير الكلام أرايتهم ماذا يستعجل من العذاب المجرمون ان اتاكم عذابه بيانا أو نهارا أو وقع ان اتاكم في وسط الكلام موقع الاعتراض ومعنى ماذا يستعجل ههنا الانكار اي ليس في العذاب شيء يستعجل به وجاء في صيغة الاستفهام لأنه لا جواب لصاحبه يصح له وقوله أثم دخلت الف الاستفهام على ثم التي للعطف لتدل على ان معنى الجملة الثانية بعد الأولى مع ان الالف صدر الكلام والعامل في اذا قوله آمتم به وقوله الآن وقد كنتم به تستعجلون تقديره الآن به تؤمنون

== « المعنى » ==

لما وعد سبحانه المكذبين بين عقبيه انهم اذا استعجلوا ذلك على سبيل التكذيب والرّد فقال (ويقولون)

أي ويقول هو إلا المشركون (متى هذا الوعد) الذي تعدنا به من البعث وقيام الساعة وقبل من العذاب (ان كنتم صادقين) في ذلك (قل) يا محمد جواباً لهم (لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً) أي لا أقدر لنفسي على ضرر أو نفع (إلا ما شاء الله) ان يملكني او يقدرني عليه فكيف أقدر لكم لا أني اذا لم أقدر على ذلك كنت عن انزال العذاب وعن معرفة وقته اعجز او يكون معناه اذا لم املك لنفسي شيئاً من ذلك الا ما ملكنيه الله تعالى فكيف املك تقديم القيامة وتمجيل العقوبة قبل الوقت المقدر له (اكل امة أجل) اي لكل امة في عذابها على تكذيب الرسل وقت معلوم (اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) فلا يتأخرون عن ذلك الوقت ولا يتقدمون عليه بل يهلكهم في ذلك الوقت بعينه (قل) يا محمد لهؤلاء المكذبين المستعجلين بالعذاب (أرايتم) اي اعلمتم (ان اتاكم عذابه) اي عذاب الله (بيانا) اي ليلاً (اونهاراً) ماذا يستعجل منه المجرمون) وهذا استفهام معناه التقطيع والتهويل كما يقول الانسان لمن هو في امر يستوحش عاقبته ماذا تجني على نفسك وهذا جواب لقولهم متى هذا الوعد وقال ابو جعفر الباقر (ع) يريد بذلك عذاباً ينزل من السماء على فسقة اهل القبلة في آخر الزمان ونعوذ بالله منه (انتم اذا ما وقع آمنتم به) هذا استفهام معناه الانكار وتقديره احياناً وقع بكم العذاب المقدر الموقت آمنتم به أي بالله في وقت اليأس وقبل بالقرآن وقيل بالعذاب الذي كنتم تنكرونه فيقال لكم (الآن) تؤمنون وقد اضطررتم لحلوله (وقد كنتم به) اي بالعذاب (تستعجلون) من قبل مكذبين مستهزئين وقال الحسن معناه ثم انكم ستؤمنون به عند وقوع العذاب فلا ينفعكم ايمانكم ونظيره الآن وقد عصيت قبل (ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد) أي ثم يقال يوم القيامة للذين ظلموا انفسهم ذوقوا عذاب الدوام في الآخرة بعد عذاب الدنيا (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) معناه انكم قد دعيتم وهديتم وبين لكم الأدلة وازيحت عنكم العلة فأبيتم الا التادي في الكفر والانهماك في النفي فذوقوا جزاء اعمالكم وانما شبهوا بالذائق وهو الذي يطلب الطعم بالغم لانه اشد احساساً وقيل لانهم يتجرعون العذاب بدخوله اجوافهم

قوله تعالى (٥٣) وَيَسْتَبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ
(٥٤) وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ
وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٥٥) أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنْ وَعَدَ
اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٦) هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أربع آيات

✽ اللغة ✽

الاستنباء طلب النبأ الذي هو الخبر والافتداء ايقاع الشيء بدل غيره لدفع المكروه به يقال فداءه بقديسه فدية وفداء وافتداه افتداء وفاداه مفاداة

✽ الإعراب ✽

الا كلمة تستعمل في التنبيه واصليها لا دخل عليها حرف الاستفهام تقريراً وتذكيراً فصارت تنبيهاً وكسرت ان بعد الا لأن الا يستأنف ما بعدها لينبه بها على معنى الابتداء ولذلك وقع بعدها الأمر والدعاء كقول امرئ القيس «ألا انعم صباحاً أبها الطلل البالي»

✽ المعنى ✽

(ويستنبئونك) يا محمد أي يطلبون منك أن تخبرهم (أحق هو) أي أحق ما جئت به من القرآن والنبوة والشريعة وقيل أحق ما تعدنا من البعث والقيامة والعذاب عن الجبائي (قل) يا محمد (أي وربّي) أي نعم وحق الله (انه لحق) لا شك فيه (وما أنتم بمعجزين) أي سابقين فائتين وهذا الاستخبار يحتمل ان يكون إنما وقع منهم على وجه التعريف والاستفهام ويحتمل ان يكون وقع على وجه الاستهزاء (ولو ان لكل نفس ظلمت) أي أشركت بالله عن ابن عباس وقيل ظلمت بكل ما يسمى ظلماً (ما في الأرض) من الأموال (لافتدت به) من هول ما يلحقها من العذاب (واسرروا الندامة لما رأوا العذاب) أي اخفوا الندامة أي امر الندامة رؤساء الضلالة من الاتباع والسفلة وقيل أسروا الندامة أي اخلصوها والندامة الحسرة على ما كان يتمنى انه لم يكن وقيل أسروا أي أظهروا عن أبي عبيدة والجبائي وقال الأزهري وهذا غلط لأن ما يكون بمعنى الاظهار يكون بالشين المنقطعة من فوق (وقضي بينهم بالقسط) أي فصل بينهم بالعدل (وهم لا يظلمون) فيما يفعل بهم من العقاب لأنهم جنوه على أنفسهم وروى عن ابي عبد الله (ع) انه قال إنما أسروا الندامة وهم في النار كراهية لشهانة الاعداء على أنفسهم (الا ان الله ما في السموات والأرض) أي له ملك السموات والأرض وما فيها فلا يقدر أحد على منعه من احلال العقاب بمعلوكه المستحق له (ألا ان وعد الله) باحلال العقاب بالمجرمين (حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) صحة ذلك لجهلهم به تعالى وبصحة ما أتى به النبي ﷺ (وهو يحيي) أي يحيي الخلق بعد كونهم أمواتاً (وميت) أي يميتهم بعد ان كانوا أحياء (واليه يرجعون) يوم القيامة فيجازيهم على اعمالهم قال الجبائي وفي هذه الآية دلالة على انه لا يقدر على الحياة إلا الله تعالى لأنه تعالى تمدح بكونه قادراً على الاحياء والامانة

✽ النظم ✽

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها ان قوله ويستنبئونك عطف على ويستعملونك المعنى انهم يستعملونك ويقولون متى تكون القيامة والعذاب أو يستخبرونك أحق ما تقول من كونه ووجه اتصال قوله ألا ان الله ما في السموات والأرض بما قبله اتصال الاثبات بالنفي وتقديره ليس للظالم ما يقتدي به بل جميع الملك له تعالى وقيل انه يتصل بما قبله بمعنى ان من يملك السموات والأرض يقدر على ابقاع ما توعد به ووجه اتصال قوله ألا ان وعد الله حق بما قبله انه إذا خلق السموات والأرض لا للعبث بل لمنافع الخلق فلا يجوز عليه خلف الوعد وايضا فان من صفة الخالق ان يكون عالماً لذاته غنياً غير محتاج والخلف كذب قبيح ولا بد للفعل من داع والسداعي إلى القبيح اما الجهل بقبحه أو الحاجة اليه فإذا لا يجوز الخلف عليه إذا لا داعي له اليه

قوله تعالى (٥٧) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْوِينُ مَوْعِظَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٨) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ

آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أبو جعفر وابن عامر فليفرحوا بالياء تجمعون بالتاء وقرأ يعقوب برواية رويس فلتفرحوا وتجمعون بالياء فيهما جميعاً وروى ذلك عن النبي ﷺ وإبي بن كعب والحسن وسفي رواية زيد عن يعقوب فلتفرحوا بالتاء يجمعون بالياء وروى ذلك عن ابن عباس وقناة وجماعة والباقون بالياء فيهما جميعاً

= (الحجة) =

قال ابو علي قوله بفضل الله وبرحمته الجارية يتعلق بمضمرة استغني عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاء تكلم موعظة من ربكم كما ان قوله الآن وقد عصيت قيل يتعلق الظرف فيه بمضمرة بدل عليه ما تقدم من الفعل وكذلك قوله الآن وقد كنتم به تستعجلون فاما قوله فبذلك فليفرحوا فان الجار في قوله فبذلك يتعلق بليفرحوا لأن هذا الفعل اتصل بالباء قال وفرحوا بها وقال وفرحت بما قد كان من سيدبكم فاما الفاء في قوله فليفرحوا فزيادة بذلك على ذلك ان المعنى فافرحوا بذلك ومثل هذه الآية قول الشاعر « واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي » فالفاء في قوله فاجزعي زيادة كما كانت الفاء في قوله فليفرحوا زيادة ولا تكون الزيادة الاولى لأن الظرف إنما يتعلق باجزعي فاما من قرأ فلتفرحوا بالباء فإنه اعتبر الخطاب الذي قبل وهو قوله قد جاء تكلم موعظة وزعموا انها في حرف ابي فافرحوا قال ابوالحسن وزعموا انها لغة وهي قليلة نحو لنضرب وانت تخاطب فاما من قرأ هو خير ما تجمعون بالباء فعلى انه عنى المخاطبين والغيب جميعاً الا انك غلبت المخاطبة على الغيبة ومن قرأ بالياء كان المعنى فافرحوا بذلك اي المؤمنون اي افرحوا بفضل الله ورحمته فإن ما اتاكموه من الموعظة شفاء لما في الصدور تلج اليقين النفس بالايمان وسكون النفس اليه خير مما يجمعه غيركم من اعراض الدنيا ممن فقد هذه الحال التي حزنتموها

* المعنى *

لما تقدم ذكر القرآن وما فيه من الوعد والوعيد عقبه سبحانه بذكر جلاله موقع القرآن وعظم محله في باب الأدلة فقال (يا ايها الناس) خطاب لجميع الخلق وتبنيه لهم ويقال انه خطاب القريش (قد جاء تكلم موعظة من ربكم) يعني القرآن والموعظة بيان ما تجب أن يحذر عنه ويرغب فيه وقيل هي ما يدعو الى الصلاح ويزجر عن الفساد (وشفاء لما في الصدور) الشفاء معنى كالدواء لإزالة الداء فداء الجهل اضر من داء البدن وعلاجه اعسر واطبأوه اقل والشفاء منه اجل والصدر موضع القلب وهو اجل موضع في البدن لشرف القلب (وهدى) اية ودلالة تؤدي الى معرفة الحق (ورحمة للمؤمنين) اي ونعمة لمن تمسك به وعمل بما فيه وخص المؤمنين بالذكر وان كان القرآن موعظة ورحمة لجميع الخلق لأنهم الذين اتفقوا به ووصف الله سبحانه القرآن في هذه الآية باربعة صفات بالموعظة والشفاء لما في الصدور وبالهدى والرحمة (قل بفضل الله وبرحمته) معناه قل يا محمد بافضل الله وبنعمته فإنه يجوز اطلاق الفاضل على الله تعالى فوضع الفضل في موضع الإفضال كما وضع النبات في قوله والله ابتلكم من الارض نباتا في موضع النباتات وقيل ان الفضل الى الله بمعنى الملك كما يضاف العبد اليه بأنه مالك له (فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) قال الزجاج قوله بذلك بدل من قوله بفضل الله وبرحمته وهو بدل على انه يعني به القرآن اي فبذلك فليفرح الناس لأنه خير لكم يا اصحاب محمد مما يجمعه هؤلاء الكفار من الاموال ومعنى الآية قل هؤلاء الفرحين بالدنيا المعتدين بها الجامعين لها اذا فرحتم بشي فافرحوا بفضل الله عليكم ورحمته لكم يا نزال هذا القرآن وارسل محمد اليكم فانكم تحصلون بهما نعيما دائما مقيما هو خير لكم من هذه الدنيا الفانية وقيل فضل الله هو القرآن ورحمته الاسلام عن ابي سعيد الخدري والحسن وروى انس عن النبي ﷺ انه قال من هداه الله للاسلام وعلمه القرآن ثم شكك الفاقة كتب الله عز وجل الفقر بين عينيه الى يوم القيامة ثم تلا قل بفضل الله وبرحمته الآية وقيل فضل الله الاسلام ورحمته القرآن عن قتادة ومجاهد وغيرهما قال ابو جعفر الباقر (ع) فضل الله رسول الله ﷺ ورحمته علي بن ابي طالب (ع)

ورواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس

قوله تعالى (٥٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ
 اللَّهُ أَدْنَىٰ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٦٠) وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٦١) وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ثَلَاثَ آيَاتٍ

✽ القراءة ✽

قرأ الكسائي وما يعزب بكسر الزاي هنا وفي سبأ وهو قراءة الاعمش وبيحي بن وثاب وقرأ الباقر بضم الزاي وقرأ حمزة وخلف وبعقوب وسهل ولا اصغر ولا اكبر بالرفع والباقر بفتحها

✽ الحجة ✽

يعزب ويعزب لغتان صحيحتان ومن فتح الزاي من اصغر واكبر فلأن افعل في الموضعين في موضع جر على تقدير ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر وإنما فتح لأنه غير منصرف وإنما منع الصرف لأن الفعل اذا اتصل به من كان صفة واذا كان صفة لم ينصرف في النكرة ومن رفع حملة على موضع الجار والمجرور الذي هو من مثقال ذرة فإنه في موضع رفع كما كانا في قوله وكفى بالله ويجوز رفعه من جهة اخرى على الابتداء ويكون الخبر قوله الا في كتاب مبين

✽ اللغة ✽

الشأن اسم يقع على الامر والحال تقول ما شأنك وما بالك وما حالك والإفاضة الدخول في العمل على جهة الانصباب اليه مأخوذ من فيض الاناء اذا انصب الماء من جوانبه ومنه قوله افضتم من عرفات اي تفرقتم كتفرق الماء الذي ينصب من الاناء والغروب الذهاب عن المعلوم وضده حضور المعنى للنفس وتقرب اذا انفرد عن اهله

✽ الأعراب ✽

ما في قوله ما انزل الله في موضع نصب بانزل ويكون بمعنى اي في الاستفهام ويحتمل ان يكون ما بمعنى الذي فيكون نصبا برأيتم

✽ المعنى ✽

ثم امر سبحانه نبيه ﷺ ان يخاطب كفار مكة فقال (قل) يا محمد لهم (ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق) فجعله حلالا (فجعلتم منه حراما وحلالا) اي جعلتم بعضه حراما وبعضه حلالا يعني ما حرما من السائبة والبحيرة والوصيلة ونحوها مما حرما من زروعهم وإنما قال انزل الله لأن ارزاق العباد من المطر الذي ينزله الله (قل) يا محمد لهم (آلله اذن لكم ام على الله تفترون) ومعناه انه لم يأذن لكم في شيء من ذلك بل انتم تكذبون في ذلك على الله سبحانه (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) معناه اي شيء يظن الذين يكذبون على الله انه يصيبهم يوم القيامة على افتراءهم على الله اي لا ينبغي ان يظنوا ان يصيبهم على ذلك الا العذاب الشديد والعقاب الأليم (ان الله لذو فضل على الناس) بما فعل بهم من ضروب الانعام (ولكن اكثرهم لا يشكرون) نعمه ويجحدونها وهذا الكلام خرج مخرج التقرير على افتراء الكذب وان كان في صورة الاستفهام وتقديره اهو ديهم افتراؤهم الكذب الى خير ام شر وقيل ان معنى قوله لذو فضل على الناس انه لم يضيق عليهم بالتحريم كما ادعيتهم ذلك عليه وقيل معناه انه لذو فضل على خلقه بترك معاملة من افتري عليه الكذب بالعقوبة في الدنيا وامهاله اياهم الى يوم القيامة ثم بين سبحانه ان امهاله اياهم ليس لجهل بحالهم فقال (وما تكون في شأن)

اي ما تكون انت يا محمد في حال من الأحوال وفي امر من امور الذين من تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة وغير ذلك (وما تتلوا منه من قرآن) اي وما تقرأ من الله من قرآن وقيل من الكتاب من قرآن والقرآن يقع على القليل والكثير منه وقيل ان الهاء تعود الى الشأن اي وما تتلوا من الشأن من قرآن (ولا تعملون من عمل الاكنا عليكم شيوا) اي ولا تعمل انت وامتك من عمل الا كنعاملين به شاهدين عليكم به (اذ تفيضون فيه) اي تدخلون فيه وتخوضون فيه (وما يعزب عن ربك اي وما يبعد وما يغيب عن علم ربك ورويته وقدرته) من مثقال ذرة) اي وزن نملة صغيرة (في الارض ولا في السماء ولا اصفر من ذلك) من وزن نملة (ولا اكبر الا في كتاب مبين) اي في كتاب بينه الله فيه قبل ان خلقه وهو اللوح المحفوظ وقيل اراد به كتاب الحفظ الذي كتبه الملائكة السفيرة وحفظوه وقال الصادق (ع) كان رسول الله ﷺ اذا قرأ هذه الآية بكى بكاء شديدا

✽ النظم ✽

قيل في اتصال الآية الاولى بما قبلها انها اتصلت بقوله قل من يرزقكم من السماء والارض فاذا قرأوا انه الرزاق قيل لهم اجعلتم ما رزقكم بعضه حراما وبعضه حلالا عن ابي مسلم وقيل لما وصف القران بأنه هدى ورحمة وامرهم بالنمسك بما فيه عقبه بذكر مخالفتهم لما جاء في القران وتحريمهم ما احل الله

قوله تعالى (٦٢) **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٣) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٤) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٥) وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** أربع آيات

✽ اللمعة ✽

الخوف والفزع والجزع نظائر وهو ازعاج القلب لما يتوقع من المكروه والأمن ضده والحزن غلظ لهم مأخوذ من الحزن وهي الارض الغليظة والسرور ضده والبشرى الخبر مما يظهر سروره في بشرة الوجه والبشارة مثلها والعزة شدة الغلبة من عزه يعزه إذا غلبه ومنه قولهم إذا عز اخوك فمن يعني إذا غلبك ولم تقاومه فلن له وعز الشيء يعز بفتح العين إذا اشتد ويعز بكسرهما إذا صار عزيزاً لا يوجد فكأنه اشتد وجوده

— (الاعراب) —

الذين آمنوا يمتثل موضعه ثلاثة أوجه من الاعراب ✽ الأول ✽ النصب على انه صفة أولياء الله ✽ الثاني ✽ الرفع على المدح ✽ الثالث ✽ الرفع على الابتداء وخبره لهم البشرى فإن جعلت الذين آمنوا صفة لم تقف على يحزنون بل تقف على يتقون وإن جعلته مبتداً وقفت على يحزنون دون يتقون لأن لم البشرى خبر عنهم والبشرى يرتفع بالظرف على الأقوال الثلاثة ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعاً كسرت ان للاستئناف بالتذكير لما ينفي الحزن ولا يجوز ان يكون كسرت لأنها وقعت بعد القول لأنه بصير حكاية عنهم وان النبي ﷺ يحزن لذلك وهذا كفر ويجوز فتحها على تقدير اللام كأنه قال ولا يحزنك قولهم لأن العزة لله جميعاً وقد غلط القتيبي في هذا فزعم ان فتحها يكون كفوراً ولبس الأمر كما ظنه فإنها إذا كانت معمولة للقول لم يحز وإذا تعلقت بغير القول جاز سواء فتحت أو كسرت ومثل الفتح قول ذي الرمة

فما هجرتك النفس يا مي انها قلتك ولكن قل منك نصيبها

ولكنهم يا أملح الناس اولعوا بقول إذا ما جئت هذا جنيبها

وقال القتيبي عند ذكر هذه المسألة إذا قلت هذا قاتل اخي بالتوبين دل على انه لم يقتل وإذا قلت هذا قاتل اخي يحذف التوبين دل على انه قتل وهذا غلط باجماع من النحويين لأن التوبين قد تحذف وأنت تريد الحال

والاستقبال قال الله تعالى هديا بالغ الكعبة يريد بالغ الكعبة وكل نفس ذائقة الموت أي ستذوق

✽ المعنى ✽

(ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم) بين سبحانه ان المطيعين لله الذين تولوا القيام بأمره وتولاهم سبحانه بحفظه وحياطته لا خوف عليهم يوم القيامة من العقاب (ولا هم يحزنون) أي لا يخافون واختلف في أولياء الله فقيل هم قوم ذكرهم الله بما هم عليه من سيئات الخير والاخبات عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل هم المتحابون في الله ذكر ذلك في خبر مرفوع وقيل هم الذين آمنوا وكانوا يتقون وقد بينهم في الآية التي بعدها عن ابن زيد وقيل انهم الذين أدوا فرائض الله واخذوا بسنن رسول الله وتورعوا عن محارم الله وزهدوا في عاجل هذه الدنيا ورغبوا فيما عند الله واكتسبوا الطيب من رزق الله لمعابشهم لا يريدون به التفاخر والتكاثر ثم انفقوه فيما يلزمهم من حقوق واجبة فأولئك الذين يبارك الله لهم فيها اكتسبوا ويقابون على ما قدموا منه لا آخرتهم وهو المروي عن علي بن الحسين عليه السلام وقيل هم الذين توالت أفعالهم على موافقة الحق (الذين آمنوا) أي صدقوا بالله واعتبروا بوحدانيته (وكانوا يتقون) مع ذلك معاصيه (لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فيه أقوال ✽ أحدها ✽ ان البشري في الحياة الدنيا هي ما بشرهم الله تعالى به في القرآن على الأعمال الصالحة ونظيره قوله وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم وقوله يبشرهم ربهم برحمة منه الآية عن الزجاج والفراء وثانيها ✽ ان البشارة في الحياة الدنيا بشارة الملائكة (ع) للمؤمنين عند موتهم بأن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة عن قتادة والزهري والضحاك والجبائي ✽ وثالثها ✽ انها في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه او ترى له وفي الآخرة بالجنة وهي ما يبشرهم الملائكة عند خروجهم من القبور وفي القيامة إلى ان يدخلوا الجنة يبشرونهم بها حالا بعد حال وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وروي ذلك في حديث مرفوع عن النبي ﷺ وروى عقبه بن خالد عن ابي عبد الله (ع) انه قال يا عقبه لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلا هذا الدين الذي اتم عليه وما بين احدكم وبين ان يرى ما تقر به عينه إلا ان يبلغ نفسه إلى هذه واومى بيده إلى الوريد الخبر بطوله ثم قال ان هذا في كتاب الله وقرأ الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة الآية وقيل ان المؤمن يفتح له باب إلى الجنة في قبره فيشاهد ما اعد له في الجنة قبل دخولها (لا تبدل لكلمات الله) أي لا خلف لما وعد الله تعالى به من الثواب ولا خلاف في قوله بوضع كلمة أخرى مكانها بدلا منها لأنها حق والحق لا خلف فيه بوجه (ذلك هو الفوز العظيم) أي ذلك الذي سبق ذكره من البشارة في الحياة الدنيا وفي الآخرة هي النجاة العظيمة التي يصغر في جنبها كل شيء (ولا يحزنك قولهم) ظاهره النهي والمراد به التسلية للنبي ﷺ عن اقوالهم المؤذية وهو مثل قولهم لا رأيتك ههنا أي لا تكن ههنا فمن كان ههنا رأيتك وكذلك المراد بالآية لا تعباً بأذاهم فمن عبأ به آذاهم (ان العزة لله جميعاً) فيمتنعهم منك بعزته ويدفع اذاهم عنك بقدرته وقيل معناه لا يحزنك قولهم انك ساحر او مجنون فينتصرك الله عليهم وسيدلهم وينتقم منهم لك فإنه عزيز قادر عليه (هو السميع العليم) بسمع أقوالهم ويعلم ضائرهم فيجازيهم عليها ويدفع عنك شرهم ويرد كيدهم وضرهم

✽ النظم ✽

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها انه لما تقدم ذكر المؤمن والكافر بين عقبيه ان اولياءه لا خوف عليهم وقيل لما ذكر انه يحصي اعمال خلقه بشر من تولاه وذكر ما اعد لهم ووجه اتصال قوله ولا يحزنك قولهم بما تقدم انه يتصل بقوله وان كذبوك فلا يحزنك قولهم وقل لي عملي ولكم عملكم وقيل انه يتصل بما قبله فكأنه قال إذا كنت من اولياء الله ومن اهل البشارة فلا ينبغي ان تحزن بطعن من بطعن عليك ووجه اتصال قوله هو السميع

العلم بما قبله انه يسمع قولهم ويجازيهم فلا يحزنك ذلك

قوله تعالى (٦٦) أَلَا إِنَّ اللَّهَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٦٧) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ آيَاتان

✽ اللغة ✽

الفرق بين الجعل والفعل ان جعل الشيء يكون باحداث غيره كجعل الطين خزقا ولا يكون فعله إلا باحداثه والفرق بين الجعل والتغيير ان تغيير الشيء لا يكون إلا بتغييره على خلاف ما كان وجعله يكون بتغييره على مثل ما كان كجعل الانسان نفسه ساكنا على استدامة الحال وإنما قال والنهار مبصرا وإنما يبصر فيه تشبيها ومجازاً واستعارة في صفة الشيء بسببه على وجه المبالغة كما يقال مرر كاتم وليل نائم ومثله قول جرير

لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بناثم
وقال ربه «قد نام ليلى وتجلي همي»

✽ المعنى ✽

لما سلى الله سبحانه نبيه ﷺ بقوله ولا يحزنك قولهم فإنهم لا يفوتوني بين بعد ذلك ما يدل على صحته فقال (ألا ان الله من في السماوات ومن في الأرض) يعني العقلاء وإذا كان له ملك العقلاء فما عداهم تابع لهم وإنما خص العقلاء تفخيها (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) يحتمل ما هاهنا وجيهين ✽ احدهما ✽ ان يكون بمعنى أي شيء فكأنه قال وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء تقييحا لفعلهم ✽ والاخر ✽ ان يكون نافية أي وما يتبعون شركاء في الحقيقة ويحتمل وجهاً ثالثاً وهو ان يكون ما بمعنى الذي ويكون منصوباً بالعطف على من ويكون التقدير والذي يتبع الأصنام الذين يدعونهم من دون الله شركاء فحذف العائد من الصلة وشركاء حال من ذلك المحذوف وإن جعلت ما تقييحا فقوله شركاء ينتصب بيدعونه والعائد إلى الذين الواو في يدعون ويكون قوله ان يتبعون مكرراً لطول الكلام وتقف في هذا القول على قوله ومن في الأرض وفي ذلك القول على قوله شركاء (ان يتبعون إلا الظن) أي ليس يتبعون في اتخاذهم مع الله شركاء إلا الظن لتقليدهم أسلافهم في ذلك أو لشبهة دخلت عليهم بأنهم يتقربون بذلك إلى الله تعالى (وإن هم إلا يخرضون) أي وليسوا إلا كاذبين بهذا الاعتقاد والقول (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) معناه ان الذي يملك من في السماوات ومن في الأرض هو الذي خلق لكم الليل لسكونكم ولأن يزول التعب والكلال عنكم بالسكون فيه (والنهار مبصراً) أي وجعل النهار مبصراً مضيئاً تبصرون فيه وتهتدون به في حوائجكم بالأبصار (ان في ذلك لآيات) أي لحججاً ودلالات على توحيد الله سبحانه من حيث لا يقدر على ذلك غيره (لقوم يسمعون) الحجج سماع تدبر وتفهم وتعقل

قوله تعالى (٦٨) قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٩) قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٧٠) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ثلاث آيات

✽ الإعراب ✽

متاع خبر مبتدأ محذوف وتقديره ذلك أو هو متاع وقوله لا يفلحون وقف تام ويجوز ان يكون متاع مبتدأ محذوف الخبر وتقديره لهم متاع

📖 المعنى 📖

ثم حكى الله سبحانه عن صنف من الكفار أنهم اضافوا اليه اتخاذ الولد وهم طائفتان ✽ احدهما ✽ كفار قريش والدرب فانهم قالوا الملائكة بنات الله ✽ والاخرى ✽ النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله فقال سبحانه (قالوا اتخذ الله ولدا) وانما قال قالوا وان لم يكن سبق ذكرهم لأنهم كانوا بحضرة النبي ﷺ وكان يعرفهم وتصح الكناية عن المعلوم كما تصح عن المذكور (سبحانه) أي تنزيها له عما قالوا (هو الغني) عن اتخاذ الولد ثم بين سبحانه الوجه فيه فقال (له ما في السموات وما في الأرض) ومعناه إذا كان له ما في السموات وما في الأرض ملكا وملكا وخالقا فهو الغني عن اتخاذ الولد لأن الإنسان انما يتخذ الولد ليتقوى به من ضعف أو ليستغني به من فقر والله سبحانه منزه عن ذلك وإذا استحال اتخاذ الولد حقيقة عليه سبحانه استحال عليه اتخاذ الولد على وجه التبني (ان عندكم من سلطان بهذا) أي ما عندكم من حجة وبرهان بهذا (أتقولون على الله ما لا تعلمون) هذا توبيخ من الله سبحانه لهم على قولهم ذلك ثم بين سبحانه الوعيد لهم على ذلك فقال (قل) يا محمد (ان الذين يفترون) أي يكذبون (على الله الكذب) باتخاذ الولد وغير ذلك (لا يفلحون) أي لا يفوزون بشيء من الثواب وأصل الافتراء من القطع من فريت الا ذم أي قطعته فمعناه يقطعون الكذب الذي يكذبون به على الله تعالى وقوله (متاع في الدنيا) معناه لهم متاع في الدنيا يتمتعون به أياما قلائل ثم تنقضي وقوله (ثم الينا مرجعهم) أي ثم إلى حكمنا مصيرهم (ثم نذيقهم العذاب الشديد) وهو عذاب النار (بما كانوا يكفرون) أي يكفروهم

قوله تعالى (٧١) وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (٧٢) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٣) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

قرأ يعقوب وحده وشركاؤكم بالرفع وهو قراءة الحسن وابن ابي اسحق وابي عبد الرحمن السلمي وعيسى الثقفي وقرأ الباقون وشركاؤكم بالنصب وفي الشواذ قراءة الاعرج وعاصم والجحدري والزهري فاجمعوا امركم مفتوحة الميم موصولة الهمزة من جمع

✽ الحجة ✽

من قرأ فاجمعوا امركم وشركاؤكم بالرفع رفعه على العطف على الضمير في اجمعوا وساغ عطفه على

الضمير من غير تو كيد من أجل طول الكلام بقوله امركم وإذا جاز في قوله سبحانه ما اشر كنا ولا آباؤنا ان نكتفي من طول الكلام بلا وان كانت بعد حرف العطف كان الاكتفاء من التوكيد بما هو أطول من لا وهو ايضا قبل الواو كما ان التوكيد لو ظهر لكان قبلها اخرى فلو قال قائل قم وزيد كان اقبح من ان يقول قم وزيد وذلك لأن المعطوف عليه في قم وزيد ضمير مستكن لا لفظ له فهو اضعف من ضمير المخاطب او المتكلم في قم لأن له لفظا وهو التاء وقمت وزيد اضعف من قمنا وزيد لأن نا من قمنا اتم لفظا من التاء في قم واما شركاءكم بالنصب فقد قيل فيه انه منصوب على اخبار فعل كأنه قيل وادعوا شركاءكم قالوا وكذا هو في مصحف ابي وقيل تقديره فاجمعوا امركم واجمعوا شركاءكم لأن اجمعوا يدل عليه وذهب المحققون إلى انه مفعول معه وتقديره مع شركائكم كما انشد سيبويه

فكونوا انتم وبني ابيكم

مكان الكليتين من الطحال

وقال اجمت الامر واجمت على الامر أي عزمت عليه قال المورج اجمت الامر افصح من اجمت عليه قال ابو الهيثم اجمع امره إذا جعله جمعا بعد ما كان متفرقا قال « هل اغدون يوما وامري مجمع »

✽ اللغة ✽

الغمة ضيق الأمر الذي يوجب الحزن والغمة والكربة والضعفة والشدة نظائر وتقيضه الفرجة وقيل غمة مغطى تغطية خبره مأخوذ من غم الهلال إذا حال دون رؤيته غيم

— المعنى —

ثم امر الله سبحانه نبيه ﷺ ان يقرأ عليهم اخبار نوح فقال (واتل عليهم نبأ نوح) اي خبره (إذ قال لقومه) الذين بعث اليهم (يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي) اي شق وعظم عليكم اقامتي بين اظهركم (وتذكيري) اي وعظي وتنبهني اياكم (بآيات الله) اي بحججه وبيناته على صحة التوحيد والعدل والنبوة والمعاد ويطلان ما تدبنون به وفي الكلام حذف هو قوله وعزمت على قتلي وطردي من بين اظهركم (فعلى الله توكلت) جعله جواب الشرط مع انه متوكل عليه في جميع احواله ليبين لهم انه متوكل في هذا التفصيل لما في اعلامه ذلك من زجرهم عنه لأن الله تعالى يكفيه أمرهم ومعناه فإلى الله فوضت امري وبه وثقت ان يكفيني امركم (فاجمعوا امركم وشركاءكم) معناه فأعزموا على امركم مع شركائكم وانفقوا على امر واحد من قتلي وطردي ولا تضطربوا فيه فتختلف احوالكم فيما تلقونني به وهذا تهديد في صورة الأمر وقيل معناه اعزموا على امركم وادعوا شركاءكم فبين (ع) انه لا يرتدع عن دعائهم وعيب آلهتهم مستعينا بالله عليهم واتقا بأنه سبحانه يعصمه منهم وقيل أراد بالشركاء الأوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله وقيل أراد من شاركم في دينهم (ثم لا يكن امركم عليكم غمة) أي لا يكن امركم عليكم غما وحرزنا بأن ترددوا فيه وقيل معناه ليكن امركم ظاهراً مكشوفاً ولا يكون مغطى مبها مستوراً من غممت الشيء إذا سترته وقيل معناه لا تأتوه من غير أن تشاوروا ومن غير أن يجتمع رأيكم عليه لأن من حاول أمراً من غير ان يعلم كيف يتأتى ذلك كان امره غمة عليه (ثم اقضوا إلي ولا تنظرون) أي انهضوا إلي فاقتلوني ان وجدتم اليه سبيلا ولا تؤخروني ولا تمهلوني عن ابن عباس وقيل معنى اقضوا الي افعلوا ما تريدون وادخلوا إلي لأنه

بمعنى افرغوا من جميع حبلكم كما يقال خرجت اليك من المهدة وقيل معناه توجهوا اليي وروي عن بعضهم انه قرأ ثم افضوا اليي أي أسرعوا اليي من الفضا لأنه اذا صار الي الفضا تمكن من الإسراع وهذا كان من معجزات نوح (ع) لأنه كان وحيدا مع نفر يسير وقد اخبر بأنهم لا يقدرون على قتله وعلى ان ينزلوا به سوا لأن الله تعالى ناصره وحافظه عنهم (فإن توليتم) أي ذهبتم عن الحق واتباعه ولم تقبلوه ولم تنظروا فيه (فما سأنتكم من اجر) اي لا اطلب منكم أجراً على ما أوديه اليكم من الله فيثقل ذلك عليكم وقيل معناه ان اعرضتم عن قبول قولي لم يضرنني لأنني لم اطلع فيما لكم فبفتوتني ذلك بتوليكم عني وانما يعود الضرر عليكم (ان اجرى إلا على الله) أي ما اجري الا على الله في القيام باده الرسالة (وامرت ان اكون من المسلمين) أي امرني الله بأن اكون من المستسلمين لأن الله بطاعته ثقة بأنها خير ما يكتسبه العباد (فكذبوه) يعني انهم كذبوا نوحا أي نسبوه إلى الكذب فيما يذكره من انه نبي الله وان الله بعثه اليهم ليدعوهم إلى طاعته (فنجيناه ومن معه في الفلك) أي في السفينة (وجعلناهم خلائف) أي جعلنا الذين نجوا مع نوح خلفاء لمن هلك بالغرق وقيل انهم كانوا ثمانين نفساً وقال البلخي يجوز ان يكون أراد جعلناهم رؤساء في الأرض (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) اي اهلكنا باقي اهل الأرض اجمع لتكذيبهم لنوح (ع) (فانظر) ايها السامع (كيف كان عاقبة المنذرين) اي المخوفين بالله وعذابه اي كيف اهلكهم الله

قوله تعالى (٧٤) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (٧٥) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٧٦) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ (٧٧) قَالَ مُّوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٨) قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَلَفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمْ أَلْكِبْرِيَاءٌ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

روى حماد ويحيى عن ابي بكر وزيد عن يعقوب ويكون لكما الكبرياء بالياء والباقون بالتاء

= (الحجة) =

الوجه في الباء ان تأنيث الكبرياء غير حقيقي وقد فصل ايضاً بينه وبين الفعل ومن قرأ بالتاء فلا ت لفظه لفظ التأنيث

= (اللغة) =

الإجرام اكتساب السيئة واصله القطع والفت الصرف عن الأمر يقال لفته يلفته لفتاً وامرأة لفت ذات زوج لها ولد من غيره لأنها تلفت إلى ولدها عنقها

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه قصة من بعثه بعد نوح فقال (ثم بعثنا من بعده) أي من بعد نوح واهلاك قومه (رسلاً) يريد

ابراهيم وهودا وصالحا ولوطا وشعبيا (الى قومهم) الذين كانوا فيهم بعد ان تناسلوا وكثروا (فجاؤهم بالبينات) أي فأتوهم بالبراهين والمعجزات الدالة على صدقهم الشاهدة بنبوتهم (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) أي لم يكونوا ليصدقوا يعني أو لك الأتوم الذين بعث اليهم الرسل بما كذبت به أوائلهم الذين هم قوم نوح أي كانوا مثلهم في الكفر والعتو وقيل معناه لم يكن منهم من يؤمن من بعد هذه الآيات بما كذبوا به من قبلها بل كانت الحالتان سواء عندهم قبل البينات وبعدها عن ابي مسلم والبلخي (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) أي نجعل على قلوب الظالمين لنفوسهم الذين تعدوا حدود الله سمة وعلامة على كفرهم يلزمهم الذم بها ويعرفهم بها الملائكة كما فعلنا ذلك بقلوب هؤلاء الكفار وقد مر معاني الطبع والختم فيما تقدم (ثم بعثنا من بعدهم) أي من بعد الرسل أو من بعد الأمم (موسى وهارون) (ع) نبين مرسلين إلى فرعون وملائته أي وروثاء قومه (بآياتنا) أي بأدانتنا ومعجزاتنا (فاستكبروا عن الاتقياد لها والإيمان بها) (وكانوا قوما مجرمين) عاصين لربهم مستحقين للعقاب الدائم (فلما جاءهم) أي جاء قوم فرعون (الحق من عندنا) يعني ما أتى به موسى من المعجزات والبراهين (قالوا إن هذا سحر مبين) أي ظاهر (قال موسى) لهم (أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا) أي أتقولون لمعجزاته سحر والسحر باطل والمعجز حق وهما متضادان (ولا يفلح الساحرون) أي لا يظفرون بحجة ولا يأتون على ما يدعونه بينة وإنما هو تمويه على الضعفة (قالوا) يعني قال فرعون وقومه لموسى (أجبثنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا) أي لتصرفنا عن ذلك (وتكون لكما الكبرياء) أي الملك عن مجاهد وقيل العظمة والسلطان والأصل ان الكبرياء استحقاق صفة الكبر في اعلی المراتب في الأرض أي في أرض مصر وقيل أراد اسم الجنس والمراد به الإنكار وان كان اللفظ لفظ الاستفهام تعلقوا بالشبهة في انهم على رأي آباءهم وان من دعاهم الى خلافه فظاهر أمره انه يريد التأمير عليهم فلم يطيعوه (وما نحن لكما بؤمنين) أي بمصدقين فيما تدعيانه من النبوة

قوله تعالى (٧٩) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٨٠) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى اأَنْتُمْ مُلْقُونَ (٨١) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨٢) وَيَحِقُّ لِلَّهِ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ اربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرا أهل الكوفة غير عاصم بكل سحر بالتشديد والباقون ساحر على وزن فاعل وقرا أبو جعفر وأبو عمرو السحر بقطع الألف ومدّها على الاستفهام والباقون السحر موصولة على الخبر

﴿ الحجة ﴾

قد بينا الوجه في سحر وساحر في سورة الاعراف وأما قوله السحر فلان ما في قوله ما جئتم به في موضع رفع بالابتداء وجئتم في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ والكلام استفهام والسحر بدل من المبتدأ ولزم ان يلحق السحر الاستفهام ليساوي المبدل منه في انه استفهام ألا ترى انه ليس في قولك السحر استفهام وعلى هذا قالوا كم مالك عشرون أم ثلاثون فجعلت العشرون والثلاثون بدلا من كم والحقت ام لأنك

في قولك كم درهما مالك مدع ان له مالا كما انك في قولك اعشرون ام ثلاثون مالك مدع احد الشيطان ولا يلزم ان تضمر للسحر خبرا على هذا لأنك اذا ابدلت من المبتدأ صار في موضعه وصار ما كان خبرا لما ابدلت منه في موضع خبر البديل ومن قرأ ما جئتم به السحر كان ما في قوله موصولا وجئتم به الصلة والهاء المجرورة عائدة على الموصول وخبر المبتدأ الذي هو الموصول السحر ومما يقوي هذا الوجه ما زعموا انه في حرف عبد الله ما جئتم به سحر فعلى هذا يكون تقديره الذي جئتم به السحر وعلى الوجه الأول وهو ان يكون ما استفهاما فتقديره اي شيء جئتم السحر واما وجه الاستفهام مع علم موسى انه سحر فإنه مثل قوله أنت قلت للناس اتخذوني واي آلهين من دون الله في انه للتقرير

المعنى *

(وقال فرعون) حكى الله سبحانه عن فرعون انه حين اعجزه المعجزات التي ظهرت لموسى (ع) ولم يكن له في دفعها حيلة قال لقومه (اثنوني بكل ساحر عليم) بالسحر بليغ في عمله وايمنا طلب فرعون كل ساحر ليتعاونوا على دفع ما أتى به موسى وحتى لا يقوته شيء من السحر بتأخر بعضهم وايمنا فعل ذلك للجهل بأن ما أتى به موسى من عند الله وليس بسحر وبعد ذلك علم انه ليس بسحر فعائدا كما قال سبحانه لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السماوات والارض بصائر وقيل انه علم انه ليس بسحر ولكنه ظن ان السحر يقاربه بمقاربة تشبيه (فلما جاء السحرة) الذين طلبهم فرعون وأمر بإحضارهم وموسى حاضر (قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون) وفي الكلام حذف يدل عليه الظاهر وتقديره فلما أتوه بالسحرة وبالحيال والعصي قال لهم موسى (القوا ما انتم ملقون) اي اطرحوا ما جئتم به وقيل معناه افعلوا ما انتم فاعلون وهذا ليس بأمر بالسحر ولكنه قال ذلك على وجه التحدي والالزام اي من كان عنده ما يقاوم المعجزات فليقله وقيل انه امر على الحقيقة بالالإلقاء ليظهر بطلانه وانما يقتصر على قوله القوالا انه اراد القوا جميع ما انتم ملقون في المستأنف فلو اقتصر على القوا ما افاد هذا المعنى والإلقاء اخراج الشيء عن اليد الى جهة الأرض ويشبه بذلك قولهم القى عليه مسألة والقى عليه رداه (فلما القوا) اي فلما القت السحرة سحرهم (قال موسى) لهم (ما جئتم به السحر) اي الذي جئتم به من الحيال والعصي السحر ادخل عليه الالف واللام للعهد لأنهم لما قالوا لما أتى به موسى انه سحر قال (ع) ما جئتم به هو السحر عن الفراء (ان الله سيبطله) اي سيبطل هذا السحر الذي فعلتموه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) معناه ان الله لا يهيب عمل من قصد افساد الدين ولا يمضيه ويبطله حتى يظهر الحق من الباطل والمحق من المبطل (ويحق الله الحق) أي يظهر الله الحق ويحقه ويثبتته وينصر اهله (بكلماته) قيل في معناه اقوال * احدها * ان معناه بوعد موسى «ع» وكان وعده النصر فأنجز وعده عن الحسن * وثانيها * ان معناه بكلامه الذي يتبين به معاني الآيات التي اتاهانيه عن الجبائي * وثالثها * بما سبق من حكمه في الوح المحفوظ بأن ذلك سيكون (ولو كره المجرمون) ظهور الحق وابطال الباطل وفي هذه الآية دلالة على انه تعالى ينصر المحقين كلهم في حقهم وذلك على وجهين * احدهما * بالحجة فهذه النصرة مستمرة على كل حال «والثاني» بالغبلة والقهر وهذا يختلف بحسب المصلحة لأن المصلحة قد تكون بالنخلة تارة وبالحيولة اخرى

قوله تعالى (٨٣) فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأهيم
أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين (٨٤) وقال موسى يا قوم

إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٥) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا
لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٦) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ اربع آيات

= اللغة =

الذرية الجماعة من نسل القبيلة وقد تقدم القول في اصلها ووزنها والفتنة اصلها البلية وهي معاملة تظهر
الامور الباطنة يقال فتن الذهب إذا احرقته بالنار ليظهر الخالص وقوله يوم هم على النار يفتنون اي
يجرقون لما فيه من اظهار حالهم في الضلال وقوله والفتنة اشد من القتل معناه التعذيب لارد عن الدين لما فيه
من اظهار النصره اشد

= الاعراب =

يا قوم حذفته منه ياء الإضافة اجتزاء بالكسرة منها وهو في النداء احسن من اثباتها لقوة النداء على
التغيير والفاء في قوله فقالوا فاء العطف وجواب الامر كما تقول قال السائل كذا فقال المجيب كذا وانما اجازت
الفاء في الجواب ولم تجز الواو لأن الفاء تترتب من غير مهلة فهي موافقة لمعنى وجوب الثاني بالاول
وليس كذلك الواو

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه من آمن من قوم موسى (ع) فقال (فما آمن لموسى) اي لم يصدق موسى في ما ادعى من
النبوته مع ما اظهره من المعجزات الظاهرة (الا ذرية من قومه) اي اولاد آمن قوم فرعون وقيل أراد من
قوم موسى (ع) وهم بنو اسرائيل الذين كانوا بمصر واختلف من قال بالاول فقيل انهم قوم كانت امهاتهم
من بني اسرائيل وآباؤهم من القبط فاتبعوا امهاتهم وأخوالهم عن ابن عباس وقيل انهم أناس يسير من قوم فرعون
منهم امرأة فرعون ومومن آل فرعون وجارية وامرأة هي مشاطة امرأة فرعون عن عطية عن ابن عباس
وقيل انهم بعض اولاد القبط لم يستجب آباؤهم موسى واختلف من قال بالثاني فقيل هم جماعة من بني
اسرائيل أخذهم فرعون لتعلم السحر وجعلهم من أصحابه فأمنوا بموسى عن الجبائي وقيل أراد مؤمني بني
اسرائيل وكانوا ستائة الف وكان يعقوب دخل مصر منهم باثني وسبعين انسانا فتوالدوا حتى بلغوا ستائة
الف وانما ساهم ذرية على وجه التصغير لضعفهم عن ابن عباس في رواية اخرى وقال مجاهد أراد بهم اولاد
الذين ارسل اليهم موسى من بني اسرائيل لطول الزمان هلك الآباء وبقي الأبناء (على خوف من فرعون)
يعني آمنوا وهم خائفون من معرفة فرعون (وملئهم) ومن اشرافهم وروؤسائهم قال الزجاج وانما جازأف
يقال وملئهم لأن فرعون ذو اصحاب يأتمرون له وقيل ان الضمير في ملئهم راجع إلى الذرية لأن
آباؤهم كانوا من القبط وكانوا يخافون قومهم من القبط ان يصرفوهم عن دينهم ويعذبوهم (ان يفتنهم)
ايه يصرفهم عن الدين يعني ان يتمكنهم لمحنة لا يمكنهم الصبر عليها فينصرفون عن الدين وكان جنود
فرعون يعذبون بني اسرائيل فكان خوفهم منه ومنهم (وان فرعون لعال في الأرض) اي مستكبر باغ طاغ
في ارض مصر ونواحيها (وانه لمن المسرفين) اي من المجاوزين الحد في العصيان لأنه ادعى الربوبية واسرف
في القتل والظلم والاسراف التجاوز عن الحد في كل شيء (وقال موسى) لقومه الذين آمنوا به (يا قوم

إن كنتم آمنتم بالله (كما تظهرون) فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين (أي فاستندوا أموركم إليه إن كنتم مسلمين على الحقيقة وإنما أعاد قوله إن كنتم مسلمين بعد قوله إن كنتم آمنتم بالله لبشيرة المعنى باجتماع الصفتين التصديق والانقياد أي إن كنتم آمنتم بالله فاستسلموا لأمره وفائدة الآية بيان وجوب التوكل على الله عند نزول الشدة والتسليم لأمره ثقة بحسن تدبيره وانقطاعا إليه (فقالوا على الله توكلنا) أخبر سبحانه عن حسن طاعتهم له وانهم قالوا استندنا أمورنا إلى الله واثقين (ربنا لا تجعلنا فتنه للقوم الظالمين) أي لا تمكن الظالمين من ظلمنا بما يحملنا على اظهار الانصراف عن ديننا عن مجاهد وقيل معناه ربنا لا تظهر علينا فرعون وقومه فيفتن بنا الكفار ويقولوا لو كانوا على الحق لما ظفروا عليهم عن الحسن وابي مجاز وروى زرارة ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام ان معناه لا تساطهم علينا فتفتنهم بنا (ونجنا) وخلصنا (برحمتك من القوم الكافرين) أي من قوم فرعون واستعبادهم ابانا واخذهم جماعتنا بالاعمال الشاقة والمهن الخسيسة

قوله تعالى (٨٧) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكَ مِمَّا مِصْرَ يَوْمًا وَأَجْعَلُوا يُبُوتَكُمْ قِبَلَهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٩) قَالَ قَدْ أُجِيبْتُ دَعْوَتُكُمْ مَا فَاسْتَقِيمًا وَلَا تَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ثلاث آيات

(= القراءة =)

قرأ ابن عامر ولا تتبعان خفيفة النون والباقون بالتشديد

✽ الحجة ✽

من قرأ بالنون الشديدة كسرهما لوقوعها بعد الف الثانية فاشبهت نون الاثنين في رجلان ولم يعتد بالنون الساكنة قبلها السكونها وخفتها فصارت المكسورة كأنها وليت الألف ومن قرأ بالتخفيف فإنه يمكن ان يكون خفف الثقلية للتضعيف كما خففوا رب وان ونحوها إلا انه حذف الاولى من المثليين كما بدلاوا الاولى من المثليين في نحو قيراط ودينار ولزم ذلك في هذا الموضع لأن الحذف لو لحق الثانية لزم التقاء الساكنين والتقاء الساكنين على هذا الحد غير مأخوذ به عند العامة وان شئت كان على لفظ الظاهر والمعنى الامر كقوله يترصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا تضار والدة بولدها أي لا ينبغي ذلك وان شئت جعلته حالا من استقيما والتقدير استقيما غير متبعين وبدل على ذلك قول الشاعر

فلا اسقى ولا يسقى شريبي ويرويه إذا اوردت مائي
وكقول الفرزدق

بأيدي رجال لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سلت

— اللفظة ✽

تبوء أي اتخذ يقال تبوأ لنفسه بيتا أي اتخذه وبوات له بيتا أي اتخذته له ويقال ان تبوء وبوء بمعنى

اي اتخذ بيتا مثل بدل وتبدل وخلص وتخلص قال ابو علي تبوء فعل يتعدى إلى مفعولين واللام في قوله لقومكما كالتي في قوله ردف لكم ويقوي ذلك قوله واذا بواثنا لبراهيم مكان البيت فدخلت اللام على غير المطاوع كما دخلت على المطاوع في قوله تبوءا لقومكما والطمس محو الاثر يقال طمس عينه اطمسها طمسا وطموسا وطمست الريح آثار الديار والطمس تغير إلى الدثور والدروس قال كعب بن زهير

من كل نضاجة الذفرى إذا عرقت عرضتها طامس الأعلام مجهول

✽ الاعراب ✽

مصر غير منصرف لأنه موث معرفة ولو صرفت خلقتها كما تصرف هند لكان جائزا وترك الصرف اقيس وقوله بيوتامفعول به وليس بظرف مكان لاختصاصه والبيوت هنا كالعرف في قوله تعالى لبيوتهم من الجنة غرقا فلا يؤمنوا يحتمل وجهين من الاعراب النصب والجرم فأما النصب ففيه وجهان ✽ احدهما ✽ ان يكون على جواب صيغة الأمر بالفاء ✽ والاخر ✽ ان يكون عطفا على ليضلوا اي ليضلوا فلا يؤمنوا وهذا قول المبرد وعلى هذا فيكون قوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم اعتراضا واما الجرم فيكون على وجه الدعاء عليهم وتقديره فلا آمنوا ومثله قول الاعشى

فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوي ولا تلقني إلا وأنفك راغم

— (المعنى) —

(واوحينا إلى موسى وأخيه) أي أمرناهما (ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا) اي اتخذنا لمن آمن بكما بمصر يعني البلدة المعروفة بيوتا تسكنونها وتأوون اليها (واجعلوا بيوتكم قبلة) اختلف في ذلك فقيل لما دخل موسى مصر بعد ما اهلك الله فرعون أمروا باتخاذ مساجد يذكر فيها اسم الله تعالى وان يجعلوا مساجدهم نحو القبلة أي الكعبة وكانت قبلتهم إلى الكعبة عن الحسن ونظيره في بيوت اذن الله ان ترفع الآية وقيل ان فرعون أمر بتخريب مساجد بني اسرائيل ومنعهم من الصلاة فأمروا ان يتخذوا مساجد في بيوتهم يصلون فيها خوفا من فرعون وذلك قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أبي صلوا في بيوتكم لتأمنوا من الخوف عن ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم وقيل معناه اجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا عن سعيد بن جبير (واقيموا الصلاة) أي أديبوها وواظبوا على فعلها (وبشر المؤمنين) بالجنة وما وعد الله تعالى من الثواب وانواع النعيم والخطاب لموسى (ع) عن ابي مسلم وقيل الخطاب لمحمد ﷺ (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائه) اي اعطيت فرعون وقومه (زينة) يزينون بها من الحلي والثياب وقيل الزينة الجمال وصحة البدن وطول القامة وحسن الصورة (واموالا) يجمعون بها في الحياة الدنيا وانما اعطاهم الله تعالى ذلك للإعانة عليهم مع تعريه من وجود الاستفساد (ربنا ليضلوا عن سبيلك) اللام للعاقبة والمعنى وعاقبة امرهم انهم يضلون عن سبيلك ولا يجوز ان يكون لام الغرض لأننا قد علمنا بالادلة الواضحة ان الله سبحانه لا يبعث الرسول ليأمر الخلق بالضلال ولا يرهق ايضا منهم الضلال وكذلك لا يؤتمهم المال ليضلوا وقيل معناه لئلا يضلوا عن سبيلك فحذفت لا كقوله شهدنا ان تقولوا يوم القيامة أي لئلا تقولوا وحذف ذلك لدلالة العقل عليه وقيل انه لام الدعاء والمعنى ابتلهم بالبقاء على ما هم عليه من الضلال وانما قال ذلك لعلمه بأنهم لا يؤمنون من طريق الوحي وفائدته اظهار التبرؤ منهم كما يلعب ابلوس ويدل عليه انه اعاد قوله (ربنا اطمس على اموالهم) فدل ذلك

على انه اراد به الدعاء عليهم والمراد بالطمس على الأموال تغييرها عن جهتها إلى جهة لا يتفجع بها قال مجاهد وقناة وعامة اهل التفسير صارت جميع اموالهم حجارة حتى السكر والغايز (واشدد على قلوبهم معناه ثبتم على المقام بيلدهم بعد اهلاك أموالهم فيكون ذلك اشد عليهم وقيل معناه أمتهم بعد سلب أموالهم واهلكهم وقيل انه عبارة عن الخذلان والطبع (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) قد ذكرنا وجوهه وقيل معناه انهم لا يؤمنون إيمان الجاه حتى يروا العذاب وهم مع ذلك لا يؤمنون إيمان اختيار أصلاً ثم اخبر سبحانه انه اجاب لها الدعوة فقال (قال) اي قال الله تعالى لموسى وهارون (قد اجيبت دعوتكما) والداعي كان موسى «ع» لأنه كان يدعو وكان هارون يؤمن على دعائه فساهم ادا عين عن عكرمة والربيع وابي العالبة واكثر المفسرين ولأن معنى التأمين اللهم استجب هذا الدعاء (فاستقيماً) اي فأثبتنا على ما امرتكم من دعاء الناس إلى الإيمان بالله تعالى والإنذار والوعظ قال ابن جريج مكث فرعون بعد هذا الدعاء اربعين سنة وروي ذلك عن ابي عبد الله «ع» (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) نهاهما سبحانه عن ان يتبعنا طريقة من لا يؤمن بالله ولا يعرف انبياءه عليهم السلام

قوله تعالى (٩٠) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) أَلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩٢) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ثلاث آيات

❖ القراءة ❖

قرأ اهل الكوفة غير عاصم آمنت انه بكسر الالف والباقون انه بالفتح وروي عن ابي جعفر ونافع الان بالوقاء حركة الهمزة على اللام وحذف الهمزة وقرأ ننجيك خفيفة قنينة ويعقوب وسهل والباقون ننجيك بالتشديد وفي الشواذ قراءة ابي بن كعب ومحمد بن السميع ننجيك بالحاء
(الحمزة) -

قال ابو علي من قرأ آمنت انه بالفتح فلان هذا الفعل يصل بحرف الجر في نحو يؤمنون بالغيب فلما حذف حرف الجر وصل الفعل إلى ان فصار في موضع نصب او جر على الخلاف في ذلك ومن قرأ آمنت انه بالكسر حمله على القول المضمر كأنه قال آمنت وقلت انه واضمار القول في هذا النحر كثير وقال علي بن عيسى من كسر إنه جعله بدلا من آمنت ومن فتح جعله معمول آمنت واما الآن فان لام المعرفة إذا دخلت على كلمة اولها الهمزة فخفت الهمزة كان في تخفيفها وجهان ❖ احدهما ❖ ان يلقي حركتها على اللام وتقر همزة الوصل فيقال الحمد وقد حكى ذلك سيوريه وحكى ابو الحسن ان اناسا يقولون الحمد فيحذفون الهمزة التي للوصل قال

فقد كنت تخفي حب سمراء حقة فبح لان منها بالذي أنت بائح

فاسكن الحاء لما كانت اللام متحركة ولو لم يعتد بالحركة كما لم يعتد بها في الوجه الاول لحرك الحاء بالكسر كما يحرك في بح اليوم وبنجيك وبنجيك في معنى واحد اي نلقيك على نجوة من الارض قال اوس بن حجر

فمن بنجوته كمن بعقوته والمستكن كمن يشي بقرواح

والقرواح حيث لا ماء ولا شجر ومن قرأ ننجيك بالحاء فإنه يفعلك من الناحية اي نجعلك في ناحية ومنه

نجيت الشيء فتنجي أي باعدته فتباعد فصار في ناحية قال الخطيب

تنجي فاجلسي مني بعيدا أراح الله منك العالمينا

✽ اللغة ✽

المجاورة الخروج عن الحد من إحدى الجهات الأربع والاتباع طلب اللحاق بالأول اتبعه إتباعا وتبعه بمعنى وحكى أبو غنيدة عن الكسائي أنه قال إذا أريد أنه اتبعهم خيرا أو شرا قالوا بقطع الهزمة وإذا أريد به أنه اقتدى بهم واتبع أثرهم قالوا بتشديد التاء ووصل الهزمة والبعي طلب الاستعلاء بغير حق والعدو والعدوان الظلم والنجوة الأرض التي لا يعلوها السيل واصلها من الارتفاع

✽ الإعراب ✽

بغيا وعدوا مفعول له وقيل إنها مصدران في موضع الحال أي في حال البغي والعدوان الآن فصل بين الزمان الماضي والمستقبل مع أنه إشارة إلى الحاضر ولهذا بني كما بني ذا وعرف الآن بالالف واللام وامن يتضمن حرف التعريف لأن ما مضى بمنزلة المضمر في المعنى في أنه ليس له صورة والحاضر في معنى المصريح في صحة الصورة والعامل في قوله الآن محذوف وتقديره الآن آمنت

— المعنى —

ثم بين سبحانه مآل آل فرعون وقومه فقال (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر) أي عبرنا بهم البحر حتى جاوزوه سالمين بأن يبسنا لهم البحر وفرقنا لهم الماء اثني عشر فرقا (فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا) أي لبغوا عليهم وبظلموهم وذلك أن الله سبحانه لما أجاب دعاء موسى أمره بإخراج بني إسرائيل من مصر ليلا فخرج وتبعهم فرعون وجنوده مشرقين حتى انتهوا إلى البحر وأمر الله سبحانه موسى (ع) فضرب البحر بعصاه فانفلق اثني عشر فرقا وصار لكل سبط طريق يابس فارتفع بين كل طريقين الماء كالجبل وصار في الماء شبه الخروق فجعل بعضهم ينظر إلى بعض فلما وصل فرعون بجنوده إلى البحر رأوا البحر بتلك الهيئة فهابوا دخول البحر وكان فرعون على حصان أدهم فجاء جبرائيل عليه السلام على فرس وديق وحاض البحر وميكائيل يسوقهم فلما شم أدهم فرعون ريح فرس جبريل (ع) انسل خلفه في الماء واقتحمت الخيول خلفه فلما دخل آخرهم البحر وهم أولهم ان يخرج انطبق الماء عليهم (حتى إذا أدركه الفرق) أي وصل إليه الفرق وايقن بالهلاك (قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين) وكان ذلك إيمان إلهاء لا يستحق به الثواب فلم ينفعه إيمانه (الآن) وقد عصيت قبل فيه اضمار أي قيل له الآن آمنت حين لا ينفع الإيمان ولا يقبل لأنه حال الإلجاء (وقد عصيت) بترك الإيمان في حال ما ينفعك الإيمان فهلا آمنت (قبل) ذلك (وكنت من المفسدين) في الأرض بقتل المؤمنين وادعاء الأوهية وأنواع الكفر واختلاف في قائل هذا القول فقيل قاله جبريل (ع) وقيل ذلك كلام الله تعالى قاله له على وجه الإهانة والتوبيخ وكان ذلك معجزة لموسى عليه السلام وروى علي بن إبراهيم بن هاشم بإسناده عن الصادق عليه السلام قال ما أتى جبريل رسول الله ﷺ إلا كشيئا حزينا ولم يزل كذلك منذ أهلك الله فرعون فلما أمر الله سبحانه بنزول هذه الآية نزل وهو ضاحك مستبشر فقال له جبريل ما أتيتني إلا وبينت الحزن في وجهك حتى الساعة قال نعم يا محمد لما غرق والله فرعون قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل فأخذت حماة فوضعتها في فيه ثم قلت له الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم خفت أن تلحقه الرحمة من عند الله فيعذبني على ما فعلت فلما كان الآن وأمرني أن أؤدي إليك ما قتلته أنا لفرعون آمنت وعلمت أن ذلك كان لله رضا (فالיום ننجيلك بيدنك) اختلف في معناه فقال أكثر المفسرين معناه لما غرق الله فرعون وقومه انكر بعض بني إسرائيل غرق فرعون وقالوا هو أعظم شأنًا من أن يغرق فأخرجهم الله حتى رأوه فذلك قوله فالיום

ننجيك اي نلقيك على نجوة من الأرض وهي المكان المرتفع بيدنك أي بجسدك من غير روح وذلك انه طفا عريانا وقيل معناه نخلصك من البحر وانت ميت والبدن الدرع قال ابن عباس كانت عليه درع من ذهب يعرف بها فالعني زرفعك فوق الماء بدرعك المشهورة ليعرفوك بها (لتكون لمن خلفك آية) اي لتكون نكالا لمن خلفك فلا يقولوا مثل مقاتلك عن الكلبي وقيل انه كان يدعي انه رب فين الله امره وانه عبد وفيه من الآية انه غرق مع القوم واخرج هو من بينهم وكان ذلك آية عن الزجاج (وان كثيرا من الناس عن آياتنا غافلون) يعني ان كثيرا من الناس عن التفكير في دلالاتنا والتدبر لحججنا وبيناتنا غافلون اي ذاهبون

قوله تعالى (٩٣) وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبْوَأً صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ آية

-- « الاعراب » --

المبوء يجوز ان يكون مصدرا ويجوز ان يكون مكانا ويكون المفعول الثاني من بوأت على هذا محذوفا كما حذف من قوله وبوأيكم في الأرض ويجوز ان ينتصب المبوء نصب المفعول به على الاتساع وان كان مصدرا فقد أجاز ذلك سيوريه في قوله أما الضرب فأنت ضارب

(- المعنى -)

ثم بين سبحانه حال بني اسرائيل بعد اهلاك فرعون فقال (ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوء صدق) اخبر سبحانه عن نعمه عليهم بعد ان انجاهم واهلك عدوهم يقول مكناهم مكانا محمودا وهو بيت المقدس والشام وانما قال مبوءا صدق لأن فضل ذلك المنزل على غيره من المنازل كفضل الصدق على الكذب وقيل معناه انزلناهم في موضع خصب وامن يصدق فيما يدل عليه من جلالة النعمة وقال الحسن يريد به مصر وذلك ان موسى عبر ببني اسرائيل البحر ثانيا ورجع إلى مصر وتبوا مساكن آل فرعون وقال الضحاك هو الشام ومصر (ورزقناهم من الطيبات) اي مكناهم الاشياء الاذيدة وهذا يدل على سعة ارزاق بني اسرائيل (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) معناه فما اختلفوا في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم يعني اليهود كانوا مقرين به قبل مبوءه حتى جاءهم العلم وهو القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس وقال الفراء العلم محمد صلى الله عليه وسلم لأنه كان معلوما عندهم بنعتهم فلما جاءهم اختلفوا في تصديقه فكفر به اكثرهم وقيل ان معناه فما اختلف بنو اسرائيل الا من بعد ما جاءهم العلم بالحق على يد موسى وهارون فانهم كانوا مطبقين على الكفر قبل مجي موسى فلما جاءهم آمن به بعضهم وثبت على الكفر بعضهم فصاروا مختلفين (ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) هذا اخبار منه تعالى بأنه الذي يتولى الحكم بينهم يوم القيامة في الأمور التي يختلفون فيها فلن مع بقاء التكليف لا يرتفع الخلاف

قوله تعالى (٩٤) فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ

مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٥) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ

كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَيَكُونُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٩٦) إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ

لَا يُؤْمِنُونَ (٩٧) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ثلاث آيات

❖ القراءة ❖

قد تقدم اختلاف القراء في كلمة وكلما والوجه في ذلك

* اللغة *

الامتراء طلب الشك مع ظهور الدليل وهو من مري الضرع وهو مسحه ليدر فلا معنى لمسحه بعد دروره بالحليب
- (الاعراب) -

النون في قوله فلا تكونن نون التأكيد وهي لا تدخل في غير الواجب لأنك لا تقول انت تكونن ودخلت في القسم على هذا الوجه لأنه يطلب بالقسم التصديق وانما بنى الفعل مع نون التأكيد لأنها ركبت مع الفعل على تقدير كلمتين كل واحدة مركبة مع الاخرى مع ان الأولى ساكنة واقتضت حركة بناء لالتقاء الساكنين ولو جاءتهم كل آية قال الأخفش انت كل لأنها مضافة إلى مؤنث ولفظة كل للمذكر والمؤنث سواء والرؤية في الآية رؤية العين لأنها تعدت إلى مفعول واحد والعذاب وان كان اليا وهو لا يصح ان يرى فإنه ترى اسبابه فهو بمنزلة ما يرى

- المعنى -

ثم بين سبحانه صحة نبوة محمد ﷺ فقال (فان كنت في شك مما انزلنا اليك فمسل الذين يقرون الكتاب من قبلك) اختلف المفسرون في معناه على اقوال اولها قال الزجاج ان هذه الآية قد كثر سؤال الناس عنها وخوضهم فيها وفي السورة ما يدل على بيانها فان الله سبحانه يخاطب النبي ﷺ وذلك الخطاب شامل للخلق فالمعنى فان كنتم في شك فاسألوا والدليل عليه قوله في آخر السورة يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم الآية فاعلم الله سبحانه ان نبيه عليه السلام ليس في شك ومثل هذا قوله يا ايها النبي اذا طلقت النساء فقال طلقتنم والخطاب للنبي ﷺ وحده وهذا مذهب الحسن وابن عباس واكثر اهل التأويل وروي عن الحسن وقتادة وسعيد بن جبير انهم قالوا ان النبي ﷺ لم يشك ولم يسأل وهو المروي ايضا عن ابي عبد الله (ع) وثانيها ان الخطاب لرسول الله ﷺ وان لم يشك وعلم الله سبحانه انه غير شك ولكن الكلام خرج مخرج التقرير والافهام كما يقول القائل اعبد الله ان كنت عبدي فأطعني ولا ييه ان كنت والدي فتعطف علي ولولده ان كنت ابني فبرني يريد بذلك المبالغة وربما خرجوا في المبالغة الى ما يستحيل كقولهم بكت السماء لموت فلان اي او كان تبكي السماء على ميت لبكت عليه وكذلك ههنا يكون المعنى لو كنت ممن يشك فشككت فاسأل الذين يقرون الكتاب من قبلك عن الفراء وغيره وثالثها ان المعنى فان كنت ايها المخاطب او ايها السامع في شك مما انزلنا اليك على لسان نبينا محمد ﷺ فيكون الخطاب لغيره ورابعها ما ذكره الزجاج انه يجوز ان يكون ان في معنى ما فيكون المعنى ما كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرون الكتاب اي اسنا نريد بامرك ان تسأل لأنك شك ولكن لتزداد ايمانا كما قال ابراهيم (ع) حين قال له اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالزيادة في التعريف ليست مما يبطل صحة العقيدة وإنما امر سبحانه بسؤال اهل الكتاب مع جحد اكثرهم لنبوته فيه قولان احدهما انه امره بأن يسأل مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وتميم الداري واشباههم عن ابن عباس ومجاهد والضحاك والآخري ان المراد سلهم عن صفة النبي ﷺ المبشرون به في كتبهم ثم انظر فيما وافق تلك الصفة وهذا القول اقوى لأن هذه السورة مكية وابن سلام وغيره إنما اسلموا بالمدينة وقال الزهري ان هذه الآية نزلت في السماء فلن صح ذلك فقد كفي المؤنثة ورواه اصحابنا ايضا عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل ايضا ان المراد بالشك الضيق والشدة بما يعانیه من نعمتهم واذاهم اي ان ضقت ذرعا بما تلقي من أذى قومك فاسأل الذين يقرون الكتاب من قبلك كيف صبر الانبياء على اذى قومهم فاصبر كذلك (لقد جاءك الحق من ربك) يعني بالحق القرآن والاوسلام (فلا تكونن من المكثرين) اي الشاكين ولا تكونن من الذين

كذبوا بآيات الله) اي من جملة من يجحد آيات الله ولا يصدق بها (فتكون من الخاسرين) اي فإنك ان فعلت ذلك كنت من الخاسرين ولم يقل من الكافرين لأن الانسان قد علم شدة تحسره وتأسفه على خسران ماله فكيف اذا خسر دينه ونفسه (ان الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) معناه ان الذين اخبر الله عنهم بغير شرط انهم لا يؤمنون فنفي الايمان عنهم ولم ينف عنهم القدرة عليه فان نفي الفعل لا يكون نفيًا للقدرة عليه كما ان الله سبحانه نفى عن نفسه مغفرة المشركين ولم يكن ذلك نفيًا لقدرة على مغفرتهم وقيل معناه ان الذين وجب عليهم سخط ربك عن قتادة وقيل معناه وجب عليهم وعيد ربك (ولو جاءتهم كل آية) اي كل معجزة ودلالة مما يقترحونها (حتى يروا العذاب الأليم) الموعود فيصيروا ملجأين الى الايمان وفي هذا اعلام بأن هؤلاء الكفار لا لطف لهم في المعلوم يؤمنون عنده ايمان اختيار

قوله تعالى (٩٨) فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين اية
* الاعراب *

لولا بمعنى هلا وهي تستعمل على وجهين * احدهما * التحضيض * والآخر * التأنيب كقواك في التحضيض هلا تأتي زيدا حاجتك وفي التأنيب هلا امتنعت من الفساد الذي دعيت اليه قال الشاعر

تعدون عقور النيب افضل مجدكم
بني ضو طرى لولا الكمي المقنعا

اي هلا تعقرون الكمي وكانت قرية. كان هذه هي التامة لا تحتاج الى خبر وآمنت فنفعها ايمانها صفة لقرية فان الجمل قد تقوم مقام الصفة للنكرة والا قوم يونس استثناء متصل واقع على المعنى لا على ظاهر اللفظ فكأنه قال هلا آمن اهل قرية والجميع مشتركون في هذا العتاب وقوم يونس مشتق من الجميع ومثل هذا الاستثناء في قوله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم او اوبقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم وقال الزجاج الا قوم يونس استثناء منقطع وتقديره لكن قوم يونس لما آمنوا ومثله قول النابغة

وقفت فيها أصيلا لا اسألها
عييت جوابا وما بالربع من احد

الا اواري لا لا يا ما أبيتها
والنووي كالحوض بالمظلومة الجلد

وحكى الفراء في البيت لا ان ما ابيتها وقال جمع الشاعر بين ثلاثة احرف في النفي لا وان وما وقوا بعضهم يونس ويوسف بكسر النون والسين اراد ان يجعل الاسمين عربيين مشتقين من آسف وانس وهو شاذ

* المعنى *

لما ذكر سبحانه ان ايمان فرعون لم يقبل عند معاينة العذاب وصل ذلك بذكر ايمان قوم يونس قبل نزول العذاب فقال (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها الا قوم يونس) قيل ان معناه فهلا كان اهل قرية آمنوا في وقت ينفعهم إيمانهم. اعلم الله سبحانه أن الايمان لا ينفع عند وقوع العذاب ولا عند حضور الموت الذي لا يشك فيه ولكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب عن الزجاج قال وقوم يونس لم يقع بهم العذاب إنما رأوا الآية التي تدل على العذاب فمثلهم مثل العليل الذي يتوب في مرضه وهو يرجو العافية ويخاف الموت وقيل ان معناه لم يكن فيما خلا ان يؤمن اهل قرية بأجمعهم حتى لا يشد منهم احد الا قوم يونس فهلا كانت القرى كلها هكذا عن الحسن وقيل معناه فما كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها يريد بذلك لم يكن هذا معروفا لأمة من الأمم كفرت ثم آمنت عند نزول العذاب وكشف عنهم اي لم اقل هذا بأمة قط الا قوم يونس لما آمنوا عند نزول العذاب كشف عنهم العذاب بعد ما تدلى عليهم وهو قوله (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) عن

قتادة وابن عباس في رواية عطاء وقيل انه اراد بقوله فلولا كانت قرية آمنت قوم غمرد فإنه قد جاءهم العذاب يوماً فيوماً كما جاء قوم يونس الا ان قوم يونس استدر كوا ذلك بالتوبة واو لكلم يستدر كوا فوصف اهل القرية بأنهم سوى قوم يونس ليعرفهم به بعض التعريف اذ كان اخبر عنهم على سبيل الاخبار عن النكرة عن الجبائي وهذا الذي ذكره انما كان يصح او كان الا قوم يونس مرفوعاً فكان يكون صفة لقرية او بدلا منه على معنى هلاك ان قوم قرية آمنوا الا قوم يونس ولم يقرأ احد من القراء بالرفع (ومتعناهم الى حين) وهو وقت انقضاء آجالهم

- (القصة) -

وكان من قصة يونس على ما ذكره سعيد بن جبير والسدي وهب وغيرهم ان قوم يونس كانوا بني نوى من ارض الموصل وكان يدعوهم الى الاسلام فأبوا فأخبرهم ان العذاب مصيبتهم الى ثلاث ان لم يتوبوا فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فإن بات فيكم تلك الليلة فليس بشيء وإن لم يبت فاعلموا ان العذاب مصيبتكم فلما كان في جوف الليل خرج يونس من بين اظهريهم فلما اصبحوا يغشاهم العذاب قال وهب اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت سطوحهم وقال ابن عباس كان العذاب فرق رؤسهم قدر ثلثي ميل فلما رأوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم فلم يجدوه فخرجوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الايمان والتوبة واخلصوا النية وفرقوا بين كل والده وولدها من الناس والانعام فحن بعضها الى بعض وعلت اصواتها واختلطت اصواتها بصواتهم وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعاءهم وكشف عنهم العذاب بعد ما اظلم قال عبد الله ابن مسعود بلغ من توبة اهل نينوى ان يرادوا المظالم بينهم حتى ان كان الرجل ليأتي الحجر وقد وضع عليه اساس بنيانه فيقتله ويرده وروي عن ابي مخنف انه قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له لقد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حي يا قيوم يا حي يا حي يا حي لا اله الا انت فقالوا لها فانكشف عنهم العذاب وروي عن علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن جميل قال قال ابو عبد الله (ع) كان فيهم رجل اسمه مليخا عابداً آخر اسمه روبييل عالم وكان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم وكان العالم ينهاه ويقول له لا تدع عليهم فان الله يستجيب لك ولا يجب هلاك عباده فقبل يونس قول العابد فدعا عليهم فاوحى الله تعالى اليه انه يأتيهم العذاب في شهر كذا في يوم كذا فلما قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد وبقي العالم فيهم فلما كان اليوم الذي نزل بهم العذاب قال لهم العالم افرعوا الى الله فلهه يرحمكم ويرد العذاب عنكم فاخرجوا الى المغازة وفرقوا بين النساء والاولاد وبين سائر الحيوان والاولادها ثم ابكوا وادعوا ففعلوا فصرف عنهم العذاب وكان قد نزل بهم وقرب منهم ومر يونس على وجهه مغاضبا كما حكى الله تعالى عنه حتى انتهى الى ساحل البحر فاذا سفينة قد شحنت وارادوا ان يدفعوها فساءهم يونس ان يحملوه فحملوه فلما توسطوا البحر بعث الله عليهم حوتا عظيما فحبس عليهم السفينة فقتلوا فوق من بينهم السهم على يونس فأخرجوه فألقوه في البحر فالتقمه الحوت ومر به في الماء وقيل ان الملاحين قالوا نقترع فمن اصابته القرعة القيناه في الماء فلما هانعا عبدا عاصيا ابقا فوقت القرعة سبع مرات على يونس فقام وقال انا العبد الابق والقي نفسه في الماء فابتلعه الحوت فاوحى الله الى ذلك الحوت لا تؤذ شجرة منه فلو في جعلت بطنك سجته ولم اجعله طعامك فلبث في بطنه ثلاثة ايام وقيل سبعة ايام وقيل اربعين يوماً وقد سأل بعض اليهود امير المؤمنين عليا عليه السلام عن سجن طاف اقطار الارض بصاحبه فقال له يا يهودي هو الحوت الذي حبس يونس في بطنه فدخل في بحر قلزم حتى خرج الى بحر مصر ثم سار منها الى بحر طبرستان ثم خرج من الدجلة قال عبد الله بن مسعود ابتلع الحوت حوت اخر فأهوى به الى قرار الارض وكان في بطنه اربعين ليلة فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجاب

الله له فامر الحوت فنبذه على ساحل البحر وهو كالفرخ المتمط فأثبت الله عليه شجرة من يقطين فجعل يستظل تحتها ووكّل الله به وعلا يشرب من لبنها فيست الشجرة فسكى عليها فوحى الله تعالى اليه تبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او يزيدون اردت ان اهلكهم فخرج يونس فإذا هو بسلام يرعى فقال من أنت قال من قوم يونس قال اذا رجعت اليهم فاخبرهم انك لقيت يونس فاخبرهم الغلام ورد الله عليه بدنه ورجع الى قومه وآمنوا به وقيل انه (ع) ارسل الى قوم غير قومه الاولين

قوله تعالى (٩٩) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (١٠٠) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ آيتان

✽ القراءة ✽

قرأ ونجعل بالنون حماد ويحيى عن ابي بكر والباقرن بالياء

✽ الحجة ✽

من قرأ بالنون فإنه ابتداء بالاجبار عن الله ومن قرأ بالياء فلأنه تقدم ذكر الله تعالى فكفى عنه

✽ اللغة ✽

المشيئة والارادة والايتار والاختيار نظائر وانما يختلف عليها الاسم بحسب مواقعها على ما بين في موضعه قال علي بن عيسى النفس خاصة الشيء التي او بطل ما سواها لم يبطل ذلك الشيء ونفسه وذاته واحد إلا انه قد يؤكّد بالنفس ولا يؤكّد بالذات والنفس مأخوذة من النفاسة

== (الاعراب) ==

كاهم تأكيد لمن وجعا نصب على الحال

✽ المعنى ✽

لما تقدم ان إيمان الملجأ غير نافع بين سبحانه ان ذلك لو كان ينفع لأكره اهل الارض عليه فقال (ولو شاء ربك) يا محمد (لا آمن من في الأرض) أي لا آمن اهل الأرض (كاهم جميعا) ومعناه الاخبار عن قدرة الله تعالى وانه يقدر على ان يكره الخلق على الايمان كما قال ان نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ولذلك قال بعد ذلك (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ومعناه انه لا ينبغي ان تريد اكرامهم على الايمان مع انك لا تقدر عليه لأن الله تعالى يقدر عليه ولا يريد له لأنه يتنافى التكليف وأراد بذلك تسليمة النبي ^{صلى الله عليه وسلم} وتخفيف ما يلحقه من التحسر والحرص على إيمانهم عنه وفي هذا ايضا دلالة على بطلان قول المجبرة انه تعالى لم يزل كان شائبا وانه لا يوصف بالقدرة على ان يشاء لأنه تعالى اخبر انه لو شاء لقدر لكنه لم يشأ فلذلك لم يوجد ووا كانت مشيئة ازلية لم يصح تعليقها بالشرط فصح ان مشيئته فعلية ألا ترى انه لا يصح ان يقال لو علم سبحانه ولو قدر كما صح ان يقال لو شاء ولو اراد (وما كان لنفس ان تؤمن إلا باذن الله) معناه انه لا يمكن احد ان يؤمن إلا باطلاق الله تعالى له في الايمان وتمكينه منه ودعائه اليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك وقيل ان اذنه هاهنا امره كما قال يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم عن الحسن والجبائي وحقيقة الاذن اطلاقه في الفعل بالأمر وقد يكون الاذن بالاطلاق في الفعل يرفع التبعة وقيل ان اذنه هنا علمه اي لا تؤمن نفس إلا بعلم الله من قولهم اذنت لكذا إذا سمعته وعلمته واذنته اعلمته فيكون خيرا

من علمه سبحانه لجميع الكائنات ويجوز ان يكون بهنى اعلام الله المكلفين بفضل الايمان وما يدعوههم إلى فعله ويبيشهم عليه (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) معناه ويجعل العذاب على الذين لا يتفكرون حتى يعقلوا فكأنهم لا عقول لهم عن قتادة وابن زيد وقيل معناه ويجعل الكفر عليهم أي يحكم عليهم بالكفر ويذمهم عليه عن الحسن وقيل الرجس الغضب والسخط عن ابن عباس وقال الكسائي الرجس النتن والرجز والرجس واحد قال ابو علي وكان الرجس على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون في معنى العذاب ﴿ والثاني ﴾ والآخر ﴿ ان يكون بمعنى القدر والنجس اي يحكم بانهم رجس كما قال سبحانه انما المشركون نجس

قوله تعالى (١٠١) قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٢) فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَاَنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (١٠٣) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا لِنُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ثلاث آيات

(= القراءة =)

قرأ الكسائي برواية نصير ويعقوب برواية روح وزيد ثم ننجي رسلنا خفيفة وروي عن روح التشديد أيضا فيه والباقر ننجي بالتشديد وقرأ الكسائي وحفص عن عاصم ويعقوب وسهل ننجي المؤمنين خفيفة والباقر ننجي بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

حجة من قال ننجي قوله فانجاه الله من النار وحجة من قال ننجي قوله ونجينا الذين آمنوا وكلاهما حسن قال الشاعر ونجى ابن هند سابع ذو غلالة

أجش هزيم والرماح دوان

﴿ الامة ﴾

النظر طلب الشيء من جهة الفكر كما يطلب ادراكه بالعين والنذر جمع نذير وهو صاحب النذارة والانتظار هو الثبات لتوقع ما يكون من الحال تقول انتظرني حتى الحلقك ولو قلت ترقمني لم تكن قد أمرته بالثبات والمثل في الجنس ما سد احدهما مسد صاحبه فإيا يرجع الى ذاته والمثل في غير الجنس ما كان على معنى يقربه من غيره كقربه من جنسه كتشبيه اعمال الكفار بالسراب والنجاة مأخوذة من النجوة وهي الارتفاع عن الهلاك وكذلك السلامة مأخوذة من اعطاء الشيء من غير نقيصة اسلمته اليه اذا اعطيته سالما من غير آفة

﴿ الإعراب ﴾

وجه التشبيه في كذلك ان نجاة من بقي من المؤمنين كنجاة من مضى في انه حق على الله واجب لهم ويحتمل ان يكون العامل في كذلك ننجي الأول وتقديره ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك الانجاء. ويحتمل ان يكون العامل فيه ننجي الثاني وحقا نصب على المصدر أي يحق حقا وقيل انه نصب على الحال وان كان لفظه لفظ المصدر عن ابي مسلم قال جامع العلوم النحوي الضرير ويجوز ان ينصب حقا بدلا من كذلك او وصفا ولا يجوز ان ينصب كذلك وحقا جميعا بقوله ننجي رسلنا لأن الفعل الواحد لا يعمل في مصدرين ولا في حالين ولا في استثنائين ولا في مقولي معها وقد بين ذلك في موضعه فإن جعلت كذلك من صلة ننجي وجعلت حقا من صلة قوله ننجي المؤمنين اي ننجي المؤمنين حقا كان الوقف على كذلك

* المعنى *

ثم بين سبحانه ما يزيد في تنبيه القوم وارشادهم فقال (قل) يا محمد لمن يسألك الآيات (انظروا ماذا في السماوات والأرض) من الدلائل والعبر من اختلاف الليل والنهار ومجاري النجوم والأفلاك وما خلق من الجبال والبحار وأنبت من الأشجار والثمار واخرج من أنواع الحيوانات فإن النظر في افرادها وجملتها يدعو إلى الإيمان وإلى معرفة الصانع ووجدانيته وعلمه وقدرته وحكمته (وما تعني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) معناه وما تعني هذه الدلالات والبراهين الواضحة مع كثرتها وظهورها ولا الرسل المخوفة عن قوم لا ينظرون في الأدلة تفكرا وتدبرا ولا يريدون الإيمان وقيل ما تعني معناه أي شيء تعني عنهم من اجتلاب نفع او دفع ضرر إذا لم يستدلوا بها فيكون ما للاستفهام وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية هتف بها وقال وما تعني الحجج عن قوم لا يقبلونها وقال ابو عبد الله عليه السلام لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل بالبراق فركبها فأتى بيت المقدس فلقني من لقي من الأنبياء ثم رجع فأصبح يحدث اصحابه اني اتيت بيت المقدس ولقيت اخواني من الأنبياء فقالوا يا رسول الله كيف اتيت بيت المقدس الليلة قال جاءني جبرائيل بالبراق فركبها وآية ذلك اني مررت بعير لأبي سفيان على ما لبني فلان وقد اضلوا جملا لهم احمر وهم في طلبه فقال القوم بعضهم لبعض انما جاءه راكب سريع ولكنكم قد اتيتهم الشام وعرفتموها فاسألوه عن اسواقها وأبوابها وتجارها فسالوه عن ذلك وكان صلى الله عليه وسلم إذا سئل عن الشيء لا يعرفه شق ذلك عليه حتى يرى ذلك في وجهه قال فيينا هو كذلك إذا اتاه جبرائيل عليه السلام فقال يا رسول الله هذه الشام قد رفعت لك فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو بالشام فقالوا له أين بيت فلان ومكان كذا فأجابهم في كل ما سأله عنه فلم يؤمن منهم إلا قليل وهو قول الله تعالى وما تعني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ثم قال ابو عبد الله (ع) فنعوذ بالله ان لا نؤمن بالله ان لا نؤمن بالله ورسوله (فهل ينتظرون إلا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم) معناه فهل ينتظر هؤلاء الذين امروا بالإيمان فلم يؤمنوا وبالنظر في الأدلة فلم ينظروا إلا العذاب والهلاك في مثل الأيام التي هلك من قبلهم من الكفار فيها قال قتادة أراد به وقائع الله في عاد وثمود وقوم نوح وعبر عن الهلاك بالأيام كما يقال ايام فلان يراد به أيام دولته وایام محنته واللفظ لفظ الاستفهام والمراد به التقني وتقديره ليس ينتظرون إلا ذلك (قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين) أي قل يا محمد لهم فانتظروا ما وعدنا الله من العذاب فأوفي منتظر معكم من جميع المنتظرين لما وعد الله به (ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا) من بينهم ونخلصهم من العذاب وقت نزوله وقيل من شرور اعدائهم ومكرهم (كذلك حقا علينا ننج المؤمنين) قال الحسن معناه كنا إذا اهلكنا أمة من الأمم الماضية نجينا نبيهم ونجينا الذين آمنوا به ايضا كذلك إذا اهلكنا هؤلاء المشركين نجيناك يا محمد والذين آمنوا بك وقيل معناه كذلك حقا علينا اي واجبا علينا من طريق الحكمة ننجي المؤمنين من عذاب الآخرة كما ننجيهم من عذاب الدنيا وقال ابو عبد الله (ع) لأصحابه ما يمنعكم من ان تشهدوا على من مات منكم على هذا الأمر انه من اهل الجنة ان الله تعالى يقول كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين

قوله تعالى (١٠٤) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي تَتَوَفَّأَكُمْ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٥) وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧) وَإِنْ يَسْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ أربع آيات

* اللغة *

الشك وقوف في المعنى ونقيضه كمن يشك في كون زيد في الدار فإنه لا يكون لإحدى الصفتين عنده
مزية على الأخرى فيقف وهو معنى غير الاعتقاد عند أبي علي الجبائي وأبي هاشم ثم رجع عنه أبو هاشم وقال ليس
بمعنى وهو اختيار القاضي والتوفي قبض الشيء على التام والاقامة نصب الشيء ونقيضه الاضجاع وأقام بالمكان
استمر فيه كاستمرار القيام في جهة الانتصاب والماسة والمطابقة والمجامعة نظائر وضدها الميانية والكشف رفع
الساتر المانع من الإدراك فكان الضر ههنا ساتر يمنع من إدراك الإنسان
(الاعراب) =

ان كنتم في شك شرط وجوابه في قوله لا اعبد وإنا صرح ذلك لأن معناه ان كنتم في شك فلا تطمعوا في
تشكيكي حتى اعبد غير الله كعبادتكم

* المعنى *

ثم امر سبحانه نبيه ﷺ بالبراءة عن كل معبود سواه فقال (قل) يا محمد هو لا الكفار (يا أيها الناس
ان كنتم في شك من ديني) أحق هو أم لا (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) لشككم في ديني (ولكن
أعبد الله الذي يتوفاكم) أي يقدر على إمامتكم وهذا يتضمن تهديدا لهم لأن وفاة المشركين ميعاد عذابهم
ومتى قيل كيف قال ان كنتم في شك من ديني مع اعتقادهم بطلان دينه فجوابه من وجوه **الاول** أحدها **الاول** ان
يكون التقدير من كان شاكا في امري فهذا حكمه **والثاني** انهم في حكم الشاك الاضطراب الذي
يجدون في انفسهم عند ورود الآيات **والثالث** ان فيهم من كان شاكا فغلب ذكرهم (وامرت ان
اكون من المؤمنين) أي وامرني ربي ان اكون من المصدقين بالترعيد واخلاص العبادة له (وان اقم وجهك
هذا عطف على ما قبله فكأنه قال وقيل لي واقم وجهك (للدين) أي استقم في الدين باقبالك على ما امرت به
من القيام باعباء الرسالة وتحمل امر الشريعة بوجهك وقيل معناه واقم وجهك في الصلاة بالتوجه نحو الكعبة
(حنيفا) أي مستقيا في الدين (ولا تكونن من المشركين) هذا نهي عن الاشراف مع الله سبحانه غيره في العبادة
(ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك) ان اطعته (ولا يضرك) ان عصيته وتركته أي لا تدعه إلهًا كما يدعو
المشركون الأوثان آلهة وإنا قال ما لا ينفعك ولا يضرك مع انه لو نفع وضر لم تحسن عبادته ايضا لأمرين
احدهما ان معناه مالا ينفعك نفع الآلهة ولا يضرك ضرره **والثاني** انه إذا كان عبادة غير الله
من يضر وينفع قبيحة فعبادة من لا يضر ولا ينفع اقبح (فلون فعلت فإنك إذا من الظالمين) معناه فإن خالفت
ما أمرت به من عبادة غير الله كنت ظالما لنفسك بإدخالك الضر الذي هو العقاب عليها وهذا الخطاب وان كان
متوجها إلى النبي ﷺ في الظاهر فالمراد به امته (وان يسسك الله بضر) معناه وان احل الله بك ضرا من
بلا او شدة او مرض (فلا كاشف له إلا هو) أي لا يقدر احد على كشفه غيره كأنه سبحانه لما بين ان غيره
لا ينفع ولا يضر عقبه ببيان كونه قادرا على النفع والضر (وان يودك بخير) من صحة جسم ونعمة وخصب
ونحوها (فلا راد لفضله) أي لا يقدر على منعه أحد وتقديره وان يردك خيرا ويجوز فيه التقديم والتأخير يقال فلان
يريدك بالخير ويريد بك الخير (يصيب به) أي بالخير (من يشاء من عباده) فيعطيه على ما تقتضيه الحكمة
ويعلمه من المصلحة (وهو الغفور) لذنوب عباده (الرحيم) بهم

قوله تعالى (١٠٨) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أُهْتَدَىٰ فَلْيَمَّ يُهْتَدِ
لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَلْيَمَّ يُضِلْ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (١٠٩) وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ

حَتَّىٰ يَخُصِّمَ اللَّهُ لَهُهُ خَيْرُ الْخَائِمِينَ آيَاتُ

- (المعنى) -

ثم ختم الله سبحانه السورة بالموعظة الحسنة تسلية للنبي ﷺ والوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين فقال عز اسمه (قل) يا محمد مخاطباً للمكلفين (يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) وهو القرآن ودين الاسلام والادلة الدالة على صحته وقيل يريد بالحق النبي ﷺ ومعجزاته الظاهرة (فمن اهتدى) بذلك بأن نظر فيه وعرفه حقاً وصواباً (فإنا يهتدي لنفسه) معناه فإن منافع ذلك من الثواب وغيره يعود عليه (ومن ضل) عنه وعدل عن تأمله والاستدلال به (فإنا يضل عليها) أي على نفسه لأنه يجني عليها (وما أنا عليكم بوكيل) أي وما أنا بحفيظ لكم عن الهلاك إذا لم تنظروا انتم لأنفسكم ولم تعلموا بما يخلصها كما يحفظ الوكيل مال غيره والمعنى انه ليس علي إلا البلاغ ولا يلزمني ان أجعلكم مهتدين وان انجيكم من النار كما يجب علي من كل على متاع ان يحفظه من الضرر (واتبع ما يوحى اليك واصبر) على اذى الكافرين وتكذيبهم (حتى يخصم الله) بينك وبينهم باظهار دينه واعلاء أمره (وهو خير الخائمين) لأنه لا يخصم إلا بالعدل والصواب

سورة هود

هي مكية كلها في قول الاكثرين وقال قتادة إلا آية وهو قوله واقم الصلاة طرفي النهار فاذا نزلت بالمدينة

عدد آياتها

هي مائة وثلاث وعشرون آية كوفي وآيتان شامي والمدني الاول وآية في الباقي

اختلافها

سبع آيات بري ما تشركون كوفي في قوم لوط غير البصري من سجيل مكسي شامي والمدني الأخير كنتم مؤمنين حجازي منضود وانا عاملون عراقي شامي والمدني الأول مختلفين عراقي شامي

فضلها

ابن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء وروى الثعلبي باسناده عن ابي اسحق عن ابي حنيفة قال قيل يا رسول الله قد اسرع اليك الشيب قال شيبني هود واخواتها وفي رواية اخرى عن انس بن مالك عن ابي بكر قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبني هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل اتاك حديث الفاشية وروى العياشي عن الحسن بن علي الوشا عن ابن سنان عن ابي جعفر عليه السلام قال من قرأ سورة هود في كل جمعة بعثه الله يوم القيامة في زمرة النبيين وحوسب حساباً يسيراً ولم تعرف له خطيئة عملها يوم القيامة

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة يونس بذكر الوحي في قوله واتبع ما يوحى اليك افتتح هذه السورة ببيان ذلك

الوحي فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير (٢) ألا تعبدوا إلا الله إنني ل لكم منه نذير وبشير (٣) وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويوت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير (٤) إلى الله مرجعكم وهو على كل شي قدير
أربع آيات

❖ اللغة ❖

الاحكام منع الفعل من الفساد والحكمة المعرفة بما يمنع الفعل من الفساد والنقص وبما يميز القبيح من الحسن والفاقد من الصحيح والحكيم في صفات الله سبحانه يحتمل وجهين ❖ احدها ❖ ان يكون بمعنى محكم فهو فعل بمعنى مفعول اي محكم أفعاله فيكون على هذا من صفات فعله فلا يوصف به فيما لم يزل ❖ والثاني ❖ ان يكون بمعنى عليم فيكون من صفات ذاته فيوصف بأنه حكيم لم يزل

❖ الاعراب ❖

قال الزجاج كتاب مرفوع باضمار هذا كتاب وقال بعضهم كتاب خبر الر وهذا غلط لأن كتاب احكمت آياته ليس هو الر وحدها وان لا تعبدوا في موضع نصب تقديره فصلت آياته لأن لا تعبدوا ويحتمل ان يكون على تقدير أمرم بأن لا تعبدوا فلما حذف الباء وصل الفعل فنصبه وان استغفروا معطوف عليه ومعنى إلا في قوله إلا الله ايجاب للمذكور بعدها ما نفي عن كل ما سواه من العبادة وهي التي تفرغ عامل الاعراب لما بعدها يمتعكم جزم جواب لقوله وان استغفروا ربكم وان تولوا يريد تولوا فحذف احدى التامين تخفيفا وابن كثير يدغم التاء الاولى في الثانية ويشدد

— المعنى —

قد بينا تفسير (آر) والاقريل التي فيها في اول البقرة فلا معنى لاعادته (كتاب) يعني القرآن اي هو كتاب (احكمت آياته ثم فصلت) ذكر فيه وجوه ❖ احدها ❖ ان معناه احكمت آياته فلم ينسخ منها شي كما نسخت الكتب والشرائع ثم فصلت ببيان الحلال والحرام وسائر الاحكام عن ابن عباس ❖ وثانيها ❖ ان معناه احكمت آياته بالأمر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد والثواب والعقاب عن الحسن وابي العالية ❖ وثالثها ❖ احكمت آياته جملة ثم فرقت في الانزال آية بعد آية ليكون المكلف امكن من النظر والتدبر عن مجاهد ❖ ورابعها ❖ احكمت في نظمها بأن جعلت على ابلغ وجوه الفصاحة حتى صار معجزا ثم فصلت بالشرع والبيان المفروض فكأنه قيل محكم النظم مفصل الآيات عن ابي مسلم ❖ وخامسها ❖ اتقنت آياته فليس فيها خلل ولا باطل لأن الفعل المحكم ما قد اتقنه فاعله حتى لا يكون فيه خلل ثم فصلت بأن جعلت متابعة بعضها اثر بعض (من لدن حكيم) اي ان هذا الكتاب أتاكم من عند حكيم في احواله وتدبيره (خبير) اي عليم باحوال خلقه ومصالحهم وفي هذه الآية دلالة على ان كلام الله سبحانه محدث لأنه وصفه بأنه احكمت آياته ثم فصلت والاحكام من صفات الافعال وكذلك التفصيل ثم قال من لدن حكيم وهذه الاضافة لاتصح الا في المحدث لأن التقديم يستحيل أن يكون صادرا من غيره وقوله الا تعبدوا الا الله معناه انزل هذا الكتاب ليأمركم (أن لا تعبدوا الا الله) والكي لا تعبدوا الا الله كما يقال كتبت اليك ان لا تخرج من الدار وان لا تخرج بالنصب والجزم (انني لكم منه نذير وبشير) هذا اخبار من النبي ﷺ انه مخوف من مخالفة

الله وعصيانه بأليم العقاب مبشر على طاعة الله بجزيل الثواب (وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) ومعناه اطلبوا المغفرة واجعلوها غرضكم ثم توصلوا اليها بالتوبة وقيل معناه استغفروا ربكم من ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستأنف متى وقعت منكم المعصية عن الجبائي وقيل ان ثم ههنا بمعنى الواو عن الفراء وهذا لأن الاستغفار والتوبة واحد فتكون التوبة تأكيدا للاستغفار (يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى يعني انكم متى استغفرتوه وتبتم اليه يمتعكم في الدنيا بالنعم السابقة في الخفض والدعة والأمن والسعة الى الوقت الذي قدر لكم اجل الموت فيه وقال الزجاج يريد بيبقيكم ولا يستأصلكم بالعذاب كما استأصل اهل القرى الذين كفروا (ويوت كل ذي فضل فضله) قيل ان الفضل بمعنى التفضيل والافضال اي ويعط كل ذي افضال على غيره بما له او عمل او عمل بيد او رجل جزاء افضاله فيكون الهاء في فضله عائدا الى ذي الفضل وقيل ان معناه يعطي كل ذي عمل صالح فضله اي ثوابه على قدر عمله فان من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الجنة وعلى هذا فالاولى أن تكون الهاء في فضله عائدا الى اسم الله تعالى (وان تولوا) اي عرضوا عما امروا به وقيل معناه وان تتولوا انتم اي تعرضوا فحذف احدى التائين ولذلك شدد ابن كثير في رواية البرقي عنه (فلو في اخاف عليكم عذاب يوم كبير) اي كبير شأنه وهو يوم القيامة وهذا الخوف ليس في معنى الشك بل هو في معنى اليقين اي فقل لهم يا محمداني اعلم ان لكم عذابا عظيما وانما وصف اليوم بالكبير اعظم ما فيه من الاهوال (الى الله مرجعكم) اي في ذلك اليوم الى حكم الله مصيركم لأن حكم غيره يزول فيه وقيل معناه اليه مصيركم بأن يعيدكم للجزاء (وهو على كل شيء قدير) يقدر على الإعادة والبعث والجزاء فاحذروا مخالفته

قوله تعالى (٥) أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَغْفِرُوا مِنْهُ الْآجِينَ يَسْتَغْفِرُونَ نِيَابَهُمْ يَعْلَمُ

مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ آيَةٌ

﴿ القراءة ﴾

روي عن ابن عباس بخلاف ومجاهد ويحيى بن يعمر وعن علي بن الحسين وابي جعفر محمد بن علي وزيد ابن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام يشنون صدورهم على مثال يفعلون وعن ابن عباس ايضا يشنون وعن مجاهد يشنون وروي ذلك ايضا عن عروة الأعمش

﴿ الحجة ﴾

اما يشنونني على مثال يفعلون فهو من امثلة المبالغة تقول اعشب البلد فاذا كثر ذلك قلت اعشوشب وكذلك احولى واخشوشب واخشوشن وأما يشنون ويشنون فقد قال ابن جنى انها من لفظ الش وهو ما هس وضمف من الكلاء وانشد ابو زيد

تكفي القروح اكلة من شن ويشنون

بالمهزة اصله يشنان فحركات الألف لسكونها وسكون النون الأولى فانقلبت همزة واما يشنون فاصله يشنون فلزم الادغام لتكرير العين اذا كان غير ملحق فاسكنت النون الأولى ونقلت كسرتها الى الواو وادغمت النون في النون فصارت يشنون

﴿ اللغة ﴾

اصل الشني العطف تقول تنيته عن كذا اي عطفته ومنه الاثنان لعطف احدهما على الآخر في المنى ومنه الشناء لعطف المناقب في المدح ومنه الاستثناء لأنه عطف عليه بالاخراج منه والاستخفاء طلب خفاء الشيء يقال استخفى وتخفى بمعنى وكذلك استغشى وتخشى قالت الجمناء

ارعى النجوم وما كلفت رعيتها وتارة اتغشى فضل اطماري

* الاعراب *

الامعناها التنبيه ولاحظ لها في الاعراب وما بعدها مبتدأ

(- النزول -)

قيل نزلت في الاخنس بن شريق وكان حلو الكلام يلقي رسول الله ﷺ بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره عن ابن عباس وروى العياشي باسناده عن ابي جعفر (ع) قال اخبرني جابر بن عبد الله ان المشركين اذا مروا برسول الله ﷺ طأطأ احداهم رأسه وظهره هكذا وغطى رأسه بشوبه حتى لا يراه رسول الله ﷺ فانزل الله هذه الآية

* المعنى *

لما تقدم ذكر القرآن بين سبحانه فعلهم عند سماعه فقال (الانهم) يعني الكفار والمنافقين (يشنون صدورهم) اي يطوونها على ما هم عليه من الكفر عن الحسن وقيل معناه يشنون صدورهم لكيلا يسموا كلام الله سبحانه وذكره عن قتادة وقيل يشنونها على عداوة النبي ﷺ عن الفراء والزجاج وقيل انهم اذا عقدوا مجلسا على معادة النبي ﷺ والسعي في امره بالفساد انضم بعضهم الى بعض وثنى بعضهم صدره الى صدر بعض يتناجون (ليستخفوا منه) اي ليخفوا ذلك من الله تعالى على القول الاخير فلانهم كانوا قد بلغ من شدة جهلهم بالله أن ظنوا انهم اذا تنوا صدورهم على سبيل الاخفاء لم يعلم الله تعالى اسرارهم وعلى الاقوال الأخر معناه ليستروا ذلك عن النبي ﷺ (ألا حين يستغشون ثيابهم) معناه انهم يتغطون بثيابهم ثم يتفاضون فيما كانوا يديرونه على النبي ﷺ وعلى المؤمنون فيكتمونه عن ابن عباس فبين الله سبحانه انه (يعلم ما يسرون وما يعلنون) وقت ما يتغطون بثيابهم ويجعلونها غشا فوقهم لا بمعنى انه يتجدد له العلم في حال استغشائهم بالثوب بل هو عالم بذلك في الأزل (انه عليهم بذات الصدور) يريد بما في النفوس عن ابن عباس وبحقيقة ما في القلوب من المضمرات وقيل انه كنى باستغشا ثيابهم عن الليل لأنهم يتغطون بظلمته كما يتغطون بثيابهم

قوله تعالى (٦) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٧) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّا لَنُكْفِرُكُمْ بِمَعْوَتِنَا مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٨) وَلَئِنْ أَخْرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْسِبُهُ الْيَوْمَ بِآئِنِهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (ثلاث آيات)

* اللغة *

الدابة الحي الذي من شأنه ان يذب وقد صار في العرف مختصا بنوع من الحيوان وقد ورد القرآن بها على الأصل في قوله وما من دابة والله خلق كل دابة

* الاعراب *

اللام في قوله لئن لام القسم ولا يجوز ان يكون لام الابتداء لأنها دخلت على ان التي للجزء ولام الابتداء إنما هي للاسم او ما ضارع الاسم في باب ان وجواب الجزاء مستغنى عنه بجواب القسم لأنه إذا جاء في صدر

الكلام غلب عليه كما انه إذا تأخر وتوسط الغي ويوم يأتيهم نصب على الظرف من مصروف اي ليس يصرف
العذاب عنهم يوم يأتيهم العذاب

- المعنى -

(وما من دابة في الأرض) اي ليس من دابة تدب على وجه الأرض ويدخل فيه جميع ما خلقه الله تعالى
على وجه الأرض من الجن والانس والطير والأنعام والوحوش والهوام (إلا على الله رزقها) اي إلا والله سبحانه
يتكفل برزقها ويوصله اليها على ما تقتضيه المصلحة وتوجيه الحكمة (ويعلم مستقرها ومستودعها) اي يعلم موضع
قرارها والموضع الذي اودعها فيه وهو اصلاص الآباء وارحام الامهات عن مجاهد وقيل مستقرها حيث تأوي اليه
من الأرض ومستودعها حيث تموت وتبعث منه عن ابن عباس والزبيد وقيل مستقرها ما يستقر عليه عملها ومستودعها
ما يصير اليه (كل في كتاب مبين) هنا اخبار منه سبحانه ان جميع ذلك مكتوب في كتاب ظاهر وهو اللوح
المحفوظ وإنما أثبت سبحانه ذلك مع انه عالم لذاته لا يغرب عن علمه شيء من مخلوقاته لما فيه من اللطف
للملائكة أو لمن يخبر بذلك (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) هذا اخبار منه سبحانه عن نفسه
بأنه انشأها في هذا المقدار من الزمان مع قدرته على ان يخلقها في مقدار لمح البصر والوجه في ذلك انه سبحانه
اراد ان يبين بذلك ان الامور جارية في التدبير على منهج الحكمة منشأة على ترتيب لما في ذلك من المصلحة
والمراد بقوله ستة ايام ما مقداره مقدار ستة ايام لأنه لم يكن هناك ايام بعد فلان اليوم عبارة عما بين طلوع الشمس
وغروبها (وكان عرشه على الماء) في هذا دلالة على ان العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات والأرض
وكان الماء قائماً بقدرته الله تعالى على غير موضع قرار بل كان الله يسكنه بكمال قدرته وفي ذلك اعظم الاعتبار
لأهل الإنكار وقيل ان المراد بقوله عرشه بناؤه يدل عليه قوله وما يعرشون أي يبنون والمعنى وكان بناؤه على
الماء فلان البناء على الماء ابداع واعجب عن ابي مسلم (ليلوكم ايكم احسن عملاً) معناه انه خلق الخلق ودبر
الامور ليظهر احسان المحسن فلانه الغرض في ذلك اي ليعاملكم معاملة المتبلي المختبر لئلا يتوهم انه سبحانه
يجازي العباد على حسب ما في معلومه انه يكون منهم قبل ان يفعلوه وفي قوله احسن عملاً دلالة على انه قديكون
فعل حسن احسن من حسن آخر لأن حقيقة لفظه افعل يقتضي ذلك (ولئن قلت) يا محمد لهم (انكم مبعوثون
من بعد الموت) للحساب والجزاء (ليقولن الذين كفروا ان هذا إلا سحر مبين) أي ليس هذا القول إلا تنويه
ظاهر لا حقيقة له ومن قرأ سحر فللمراد ليس هذا يعنون النبي ﷺ الا ساحر قال الجبائي وفي الآية دلالة على
انه كان قبل خلق السموات والأرض الملائكة لأن خلق العرش على الماء لوجه حسنه الا ان يكون فيه لطف
لمكلف يمكنه الاستدلال به فلا بد اذا من حي مكلف وقال علي بن عيسى لا يمتنع ان يكون في الاخبار
بذلك مصلحة للمكلفين فلا يجب ما قاله الجبائي وهو الذي اختاره المرتضى قدس الله روحه (ولئن اخبرنا عنهم
العذاب الى امة معدودة) معناه ولئن اخبرنا عن هؤلاء الكفار عذاب الاستئصال الى اجل مسمى ووقت معلوم
والامة الحين كما قال سبحانه وادكر بعد امة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقيل الى امة اي الى جماعة يتعاقبون
فيصرون على الكفر ولا يكون فيهم من يؤمن كما فعلنا بقوم نوح عن علي بن عيسى وقيل معناه الى امة بعد
هؤلاء نكلفهم فيعضون فتقتضي الحكمة اهلاكهم واقامة القيامة عن الجبائي وقيل ان امة المعدودة هم اصحاب
المهدي (ع) في آخر الزمان ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً كعدة اهل بدر يجتمعون في ساعة واحدة كما يجتمع
قرع الخريف وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام ليقولن على وجه الاستهزاء (ما يجبهه)
اي أي شيء يؤخر هذا العذاب عنا ان كان حقاً (الا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم) اي ان هذا العذاب الذي
يستبطنونه اذا نزل بهم في الرقت المقدور لا يقدر احد على صرفه عنهم إذا اراد الله ان يأتيهم به ولا يتمكن من

إذهابه عنهم اذا اراد الله أن يأتيهم به (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) اي ونزل بهم الذي كانوا يستخرون به من نزول العذاب ويحققونه

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها انه لما قال سبحانه يعلم ما يسرون وما يعلنون قال عقيبهِ وكيف يخفى على الله سر هؤلاء. وهو يرزقهم واذا وصل الى كل واحد رزقه ولم ينسه فليعلم انه يعلم سره وقوله ويعلم مستقرها ومستودعها يدل على ما ذكرنا ثم زاده بيانا بقوله وهو الذي خلق السماوات الآية فإن اصل الخلق التقدير الذي لا يختل بالنقصان والزيادة وذلك لا يتم الا من العالم لذاته

قوله تعالى (٩) وَلَئِن أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤْسُ كَفُورٌ (١٠) وَلَئِن أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَه لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١١) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَوْ لَئِكَ لَهُم مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ثلاث آيات

﴿ اللغة ﴾

الذوق تناول الشيء بالشم لا إدراك الطعم وسمى الله سبحانه احلال اللذات بالانسان اذ اذقه اسرعة زوالها تشبيها بما يذوق ثم يزول كما قيل « احلام نوم او كظل زائل » والنزع قلع الشيء عن مكانه واليؤس فعول من يس واليأس القطع بأن الشيء المتوقع لا يكون ونقيضه الرجاء. والنعماء انعام يظهر اثره على صاحبه والضراء مضرة تظهر الحال بها لأنها اخرجنا مخرج الاحوال الظاهرة مثل حمراء وعيناء مع ما فيهما من المبالغة والفرح والسرور من النظائر وهو انفتاح القلب بما يلتذ به وضده الغم والصحيح ان الغم والسرور من جنس الاعتقادات وليسا بجنسين من الاعراض ومن الناس من قال انهما جنسان والفخور الذي يكتر فخوره وهو التطاول بتعديد المناقب وهي صفة ذم اذا اطلقت لما فيها من التكبر على من لا يجوز ان يتكبر عليه -- « الاعراب » --

اللام في لئن لتوطية القسم وليست للقسم والتقدير والله لئن اذقنا الانسان منا رحمة انه ليؤس فإنه جواب القسم الذي هيأته اللام الا انه مغم عن جواب الشرط وواقع مرقعه ومثله قول الشاعر
لئن عادلي عبد العزيز بمثلها
وامكنتني فيها اذا لا اقبلها
اي والله لا اقبلها او كانت جواب ان لكان لا نقلها. الذين صبروا في موضع نصب على الاستثناء من الانسان لأنه اسم الجنس فهو كقوله ان الانسان لفي غمر الا الذين آمنوا وقال الزجاج والآنخس انه استثناء ليس من الأول والمعنى لکن الذين صبروا والاول قول الفراء.

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حال الانسان فيما قابل به نعمه من الكفر فقال (ولئن اذقنا الانسان منا رحمة) اي احللنا به نعمه من الصحة والكفاية والسعة من المال والولد وغير ذلك من نعم الدنيا (ثم نزعناها منه) اي سلبنا تلك النعمة عنه اذا رأينا المصلحة فيه (انه ليؤس) اي قنوط وهو الذي سنته وعادته اليأس (كفور) وهو الذي عادته كفران النعمة ومعنى الآية مصروف الى الكفار الذين هذه صفتهم لجهلهم بالصانع الحكيم الذي لا يعطي ولا يمنع الا لما تقتضيه الحكمة من وجود المصالح (ولئن اذقناه) اي احللنا به واعطيناه (نعماء بعد ضراء مسته) اي بعد بلا. اصابته (ليقولن) عند نزول النعماء به (ذهب السيئات عني) اي ذهبت الحصال التي تسره صاحبها من جهة نفور طبعه عنه وهو ها هنا بمعنى الشدايد والالام والامراض عني فلا تعود الي ولا يردى شكر الله عليها

(انه افرح فخور) يفرح به ويفخر به على الناس فلا يبصر في المحنة ولا يشكر عند النعمة (الا الذين صبروا)
معناه الا الذين قابلوا الشدة بالصبر والنعمة بالشكر (وعملوا الصالحات) أي واطبوا على الاعمال الصالحة (او لتك
اهم مغفرة ولجر كبير) وهو الجنة

قوله تعالى (١٢) فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا
أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ كِتَابًا أَوْجَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٣) أَمْ يَقُولُونَ
أَفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
(١٤) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ
ثلاث آيات

✽ اللغة ✽

ضائق وضيق بمعنى واحد إلا ان ضائق ههنا أحسن لوجهين ✽ احدهما ✽ انه عارض ✽ والآخر ✽ انه
اشكل بقوله تارك والكنز المال المدفون سمي بذلك لاجتماعه وكل مجتمع من لحم وغيره مكنز وصار في الشرع
اسم ذم لكل مال لا يخرج منه حق الله تعالى من الزكاة وغيره وان لم يكن مدفونا واقتري واختلق واخترق
وخلق وخرص وخرق إذا كذب والاستجابة في الآية طلب الإجابة بالقصد إلى فعلها ويقال استجاب واجاب
بمعنى واحد والفرق بين الإجابة والطاعة ان الطاعة موافقة الإرادة الجاذبة إلى الفعل برغبة او رهبة والإجابة موافقة
الداعي إلى الفعل من اجل انه دعا به

(- الاعراب -)

ان يقولوا في موضع نصب بأنه مفعول له وتقديره كراهة ان يقولوا فحذف المضاف وقيل ان يقولوا في
موضع جر بدلا من الماء في قوله ضائق به صدرك ام يقولون افتراه ام هذه منقطعة ليست بالمعادلة وتقديره بل
يقولون افتراه وهو تقرير بصورة الاستفهام

✽ النزول ✽

روي عن ابن عباس ان رؤساء مكة من قريش اتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد ان كنت رسولا
فحول لنا جبال مكة ذهباً أو اثنتا بملائكة يشهدون لك بالنبوة فأنزل الله تعالى فلعلك تارك الآية وروى العياشي
باسناده عن ابي عبد الله (ع) ان رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام اني سألت ربي ان يوافق بيني وبينك
ففعل وسألت ربي ان يجعلك وصيي ففعل فقال بعض القوم والله لصاع من تمر في شن بال احب الينا مما سألت
محمد ربه فهلا سأله ملكا يعضده على عدوه او كنزا يستعين به على فاقته فنزلت الآية

(- المعنى -)

ثم امر سبحانه رسوله بالثبات على الأمر وحثه على حجاج القوم بما يقطع العذر فقال (فلعلك تارك بعض
ما يوحى إليك) أي ولعلك تارك بعض القرآن وهو ما فيه سب آهتهم ولا تبلغهم إياه دفعا لشرم وخوفا منهم
(وضائق به صدرك) أي ولعلك بضيق صدرك مما يقولونه وبما يلحقك من اذاهم وتكذيبهم وقيل باقتراحاتهم
(ان يقولوا) أي كراهة ان يقولوا أو مخافة ان يقولوا (لولا انزل عليه كنز) من المال (أو جاء معه ملك)
يشهد له فليس قوله فلعلك على وجه الشك بل المراد به النهي عن ترك اداء الرسالة والحث على اداها كما يقول
احدنا لغيره وقد علم من حاله انه بطبعه ولا يعصيه ويدعوه غيره إلى عصيانه لعلك تترك بعض ما أمرك به القول

فلان وإنما يقول ذلك ليؤس من بدعوه إلى ترك أمره فمعناه لا تترك بعض ما يوحى اليك ولا بضق صدرك بسبب مقاتلتهم هذه (إنما أنت نذير) أي منذر (والله على كل شيء وكيل) أي حفيظ يجلب النفع اليه ويدفع الضرر عنه (أم يقولون افتراه) معناه بل يقولون اختلق القرآن واخترعه وأتى به من عند نفسه وقيل إن ههنا محذوقاً وتقديره أي كذبونك فيما أتيتهم به من القرآن أم يقولون افتريته على ربك وحذف لدلالة ما أتى على ما أتى وعلى هذا فيكون أم هذه هي متصلة (قل) يا محمد لهم (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) أي إن كان هذا مفترى على الله كما زعمتم فأتوا أنتم بعشر سور مثله في النظم والفصاحة مفتريات على زعمكم فإن القرآن نزل بلغتكم وقد نشأت أنا بين أظهركم فإن لم يمكنكم ذلك فاعلموا أنه من عند الله تعالى وهذا صريح في التحدي وفيه دلالة على جهة اعجاز القرآن وإنما هي البلاغة والفصاحة في هذا النظم المخصوص لأنه لو كان جهة الاعجاز غير ذلك لما قنع في المعارضة بالافتراء والاختلاق لأن البلاغة ثلاث طبقات فأعلى طبقاتها معجز وأدناها وأوسطها يمكن فالتحدي في الآية إنما وقع في الطبقة العليا منها ولو كان وجه الاعجاز الصرفة (?) لكان الركيك من الكلام أبلغ في باب الاعجاز والمثل المذكور في الآية لا يجوز أن يكون المراد به مثله في الجنس لأن مثله في الجنس يكون حكايته فلا يقع بها التحدي وإنما يرجع ذلك إلى ما هو متعارف بين العرب في تحدي بعضهم بعضاً كما اشتهر من مناقضات امرئ القيس وعلقمة وعمرو بن كثوم والحارث بن حلزة وجريز والفرزدق وغيرهم وقوله (وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) معناه ادعوهم ليعينوكم على معارضة القرآن إن كنتم صادقين في قولكم وفي افتريته ويريد بقوله من استطعتم من خالف نبينا محمداً ﷺ من جميع الأمم وهذا غاية ما يمكن في التحدي والمحاجة وفيه الدلالة الواضحة على اعجاز القرآن لأنه إذا ثبت أن النبي ﷺ تحداهم به وأوعدهم بالقتل والأمر بعد أن عاب دينهم وأهنتهم وثبت أنهم كانوا أحرص الناس على إبطال أمره حتى بذلوا مهجهم وأموالهم في ذلك فإذا قيل لهم افتروا أنتم مثل هذا القرآن وادحضوا حجته وذلك أيسر وأهون عليكم من كل ما تكلفتموه فعدلوا عن ذلك وصاروا إلى الحرب والقتل وتكلف الأمور الشاقة فذلك من ادل الدلائل على عجزهم إذ لو قدروا على معارضته مع سهولة ذلك عليهم لفعلوه لأن العاقل لا يعدل عن الأمر السهل إلى الصعب الشاق مع حصول الغرض بكل واحد منها فكيف ولو بلغوا غاية أمانيتهم في الأمر الشاق وهو قتله ﷺ لكان لا يحصل غرضهم من إبطال أمره فإن المحقق قد يقتل فإن قيل لم ذكر التحدي مرة بعشر سور ومرة بسورة ومرة بحديث مثله فالجواب أن التحدي إنما يقع بما يظهر فيه الاعجاز من منظوم الكلام فيجوز أن يتحدى مرة بالأقل ومرة بالأكثر (فإن لم يستجيبوا لكم) قيل إنه خطاب للمسلمين والمراد فإن لم يجيبكم هؤلاء الكفار إلى الايمان بعشر سور مثله معارضة لهذا القرآن (فاعلموا) أيها المسلمون (إنما أنزل) القرآن (بعلم الله) عن مجاهد واختاره الجاثي وقيل هو خطاب للكفار وتقديره فإن لم يستجب لكم من تدعونهم إلى المعاونة ولم يتبها لكم المعارضة فقد قامت عليكم الحجة وقيل إن الخطاب للرسول ﷺ أي فإن لم يجيبوك وذكره بلفظ الجمع تفخيماً والغرض التنبيه على اعجاز القرآن وأنه المنزل من عند الله سبحانه على نبيه ﷺ وذكره في قوله بعلم الله وجوه * أحدها * أن معناه أن الله عالم به وبأنه حق منزل من عنده * وثانيها * أن معناه بعلم الله مواقع تأليفه في علو طبقته وأنه لا يقدر أحد على معارضته * وثالثها * أنه أنزله الله على علم بتربيته ونظمه ولا يعلم غيره ذلك (وإن لا إله إلا هو) أي واعلموا أنه لا إله إلا هو لأن مثل هذا المعجز لا يقدر عليه إلا الله الواحد الذي لا إله إلا هو (فهل أتم مسلمون) أي هل أنتم بعد قيام الحجة عليكم بما ذكرناه من كلام الله مستسلمون منقادون له معتقدون لتوحيده وهذا استفهام في معنى الأمر مثل قوله فهل أنتم منتبهون

قوله تعالى (١٥) من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها

لَا يَبْخَسُونَ (١٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ آيَاتِنَ

✽ القراءة ✽

روي في الشواذ قراءة أبي وابن مسعود وباطلا ما كانوا يعملون

— (الحجة) —

الوجه فيه ان يكون باطلا منصوبا يعلمون وما مزبدة للتوكيد فكأنه قال وباطلا كانوا يعملون ومثله قوله
أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون

— (اللمة) —

الزينة تحسين الشيء بغيره من لبسة أو حلية أو هيئة يقال زانه يزينه زينة وزينه يزيدنه تزينا والتوفية تأدية
الحق على تمام والبخس نقصان الحق وكل ظالم باخس لأنه يظلم غيره بنقصان حقه وفي المثل (تحسبها حمقاء وهي باخس)

✽ الإعراب ✽

قال الفراء كان هذه هنا زائدة وتقديره من يرد الحياة الدنيا وقال غيره معناه ان يصح انه كان كقوله سبحانه
ان كان قميصه قد من دبر ولا يجوز مثل ذلك في غير كان لأنها ام الأفعال قال ابو علي الشرط والجزاء لا يقعان
إلا فيما يستقبل فحرف الجزاء يميل معنى الماضي إلى الاستقبال لا محالة ولو جاز وقوع الماضي بعدها على معناها
لما جزمت ألا ترى ان لو لم تجزم وان كان فيها معنى الشرط والجزاء لوقوع الماضي بعدها على بابه نحو لو جئتني
أمس لا كرمك

✽ المعنى ✽

(من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) أي زهرتها وحسن بهجتها ولا يريد الآخرة (نوف اليهم اعمالهم
فيها) أي نوفر عليهم جزاء اعمالهم في الدنيا تاماً (وهم فيها لا يبخسون) أي لا ينقصون شيئاً منه واختلف في
معناه فقيل ان المراد به المشركون الذين لا يصدقون بالبعث يعملون أعمال البر كصلة الرحم واعطاء السائل
والكف عن الظلم واغاثة المظلوم والأعمال التي يحسنها العقل كبناء القناطر ونحوه فإن الله يعجل لهم جزاء
اعمالهم في الدنيا بتوسيع الرزق وصحة البدن والامتناع بما خولهم وصرف المكراه عنهم عن الضحالك وفتادة وابن
عباس ويقال ان من مات منهم على كفره قبل استيفاء العوض وضع الله عنه في الآخرة من العذاب بقدره فأما ثواب
الآخرة فلا حظ لهم فيه وقيل المراد به المنافقون الذين كانوا بغزون مع النبي ﷺ للغنيمة دون نصرة الدين
وثواب الآخرة جازاهم الله تعالى على ذلك بأن جعل لهم نصيباً في الغنيمة عن الجبائي وقيل ان المراد به أهل الرياء
فإن من عمل عملاً من أعمال الخير يريد به الرياء لم يكن لعمله ثواب في الآخرة ومثله قوله تعالى ومن كان يريد
حرف الدنيا نوتته منها وما له في الآخرة من نصيب وفي الحديث ان النبي ﷺ قال بشروا عني بالسنة والتمسكين
في الأرض ومن عمل منهم عملاً للدنيا لم يكن له نصيب في الآخرة (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار)
ظاهر المراد (وحبط ما صنعوا فيها) فلا يستحقون عليه ثواباً لأنهم أوقعوه على خلاف الوجه المأمور بإيقاعه عليه
(وباطل ما كانوا يعملون) أي بطل اعمالهم التي عملوها لغير الله تعالى وهذا يحقق ما ذهبنا اليه من ان الإحباط
عبارة عن ابطال نفس العمل بأن يقع على غير الوجه الذي يستحق به الثواب وذكر الحسن في تفسيره ان
رجلاً من اصحاب النبي ﷺ خرج من عند اهله فإذا جارية عليها ثياب وهيئة فجلس عندها فقامت فأهوى
بيده إلى عارضها فمضت فأتبعها بصره ومضى خلفها فلقبه حائط فحشم وجهه فعلم انه اصيب بذنبه فأقرب رسول الله

فذكر له ذلك فقال أنت رجل عجل الله عقوبة ذنبك في الدنيا إن الله تعالى إذا أراد بعبد شراً أمسك
عنه عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وإذا أراد به خيراً أمسك عنه عقوبة ذنبه في الدنيا

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآية بما قبلها أنه سبحانه لما قال فهل أنتم مسلمون فكان قائلاً قال إن أظهرنا الإسلام لسلامة
المال والنفس يكون ماذا فقال من أراد الدنيا دون الآخرة سواء أرادها باظهار الإسلام أو أرادها بسائر
المساعي فسيبيله هذا

قوله تعالى (١٧) أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُّوسَىٰ
إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي
مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٨) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ لَكُمْ بُعْضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا
لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ
كَافِرُونَ (٢٠) أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ
أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٢) لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسِرُونَ
ست آيات

﴿ اللغة ﴾

البينة الحجة الفاصلة بين الحق والباطل والعرض اظهار الشيء بحيث يرى للتوقيف على حاله يقال عرضت
الكتاب على فلان وعرضت الجند ومعنى العرض على الله انهم يقفون في المقام الذي يريه العباد للمطالبة بالاعمال
فهو كالعرض عليه سبحانه والاشهاد جمع شاهد فهو كصاحب واصحاب وقيل جمع شهيد كشرىف واشراف
والعوج العدول عن طريق الصواب يقال في الدين عوج بالكسر وفي العصا عوج بالفتح فرقا بين ما يرى
وما لا يرى فجعلوا السهل للسهل والصعب للصعب أعني الفتح والكسر والاعجاز الامتناع عن المراد بما لا يمكن
معه إيقاعه وحقيقة الاستطاعة القوة التي تنطاع بها الجارحة للفعل ولذلك لا يقال في الله تعالى انه مستطيع واصل
الجرم القطع ولا جرم تقديره لا قطع قاطع عن ذا إلا انه أكثر حتى صار كالمثل وهو قول الشاعر
ولقد طعنت ابا عيننة طعنة
جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا

أي قطعتهم إلى الغضب فرواية الفراء في فزارة النصب والمعنى كسبتهم ان يغضبوا وروى غيره برفعها
بمعنى ان الفعل لها

— (الاعراب) —

من كان على بينة من ربه خبره محذوف وتقديره أفمن كان على بينة من ربه وعلى الاوصاف التي ذكرتها كمن
لا بينة له ومثله حذف جواب لو في قوله

واقسم لو شيء اتانا رسوله
سوالك ولكن لم نجد لك مدفعا

وكتاب موسى عطف على قوله وبتلوه شاهد منه أي وكان يتلوه كتاب موسى من قبله ونصب اماماً ورحمة على الحال لأن كتاب موسى معرفة وقوله وهم بالآخرة هم كافرون كرر قوله هم مرتين كما قال ابعدهم انكم اذا متم وكنتم تراباً وعظاماً انكم مخرجون كرر انكم مرتين ووجهه انه لما طال الكلام كرر مرة أخرى للتوكيد لا جرم قال سيبيويه جرم فعل ماض ولا رد لقولهم كقوله وتصف ألسنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار قال لا اي ليس لهم الجنة ثم قال جرم اي كسبهم قولهم ان لهم الحسنى ان لهم النار وقيل جرم بمعنى وجب اي وجب ان لهم النار

✽ المعنى ✽

(أفمن كان على بينة من ربه) استفهام يراد به التقرير وتقديره أهل الذي كان على برهان وحجة من الله والمراد بالبينه هنا القرآن والمعنى بقوله أفمن كان على بينة النبي ﷺ وقيل المعنى به كل محق يدين بحجة وبينه لأن من يتناول العقلاء وقيل هم المؤمنون من أصحاب محمد ﷺ عن الجبائي (وبتلوه شاهد منه) أي وبتبعه من يشهد بصحته منه واختلف في معناه فقيل الشاهد جبرائيل (ع) بتلو القرآن على النبي ﷺ من الله تعالى عن ابن عباس ومجاهد والزجاج وقيل شاهد من الله تعالى محمد ﷺ وروي ذلك عن الحسين بن علي عليها السلام وابن زيد واختاره الجبائي وقيل شاهد منه لسانه أي بتلو القرآن بلسانه عن محمد بن علي اعني ابن الحنفية والحسن وقتادة وقيل الشاهد منه علي بن ابي طالب عليه السلام يشهد للنبي ﷺ وهو منه وهو المروي عن ابي جعفر وعلي بن موسى الرضا عليها السلام ورواه الطبرسي باسناده عن جابر بن عبد الله عن علي عليه السلام وقيل الشاهد ملك يحفظه ويسدده عن مجاهد وقيل بينة من ربه حجة من عقله واطراف البينة اليه تعالى لأنه ينصب الأدلة العقلية والشرعية وبتلوه شاهد منه يشهد بصحته وهو القرآن عن ابي مسلم (ومن قبله) أي ومن قبل القرآن لأنه مدلول عليه فيما تقدم من الكلام وقيل معناه ومن قبل محمد ﷺ (كتاب موسى) بتلوه ايضاً في التصديق لأن النبي ﷺ بشر به موسى في التوراة (اماماً) يؤتم به في أمور الدين (ورحمة) اي ونعمة من الله تعالى على عباده وقيل معناه ذا رحمة أي سبب الرحمة لمن آمن به (أو لك يؤمنون به) معناه أو لك الذين هم على بينة من ربهم يؤمنون بالقرآن وقيل بمحمد ﷺ وتقدير الآية أفمن كان على بينة من ربه وبصيرة من ليس على بينة ولا بصيرة الا أنه اختصر وقيل تقديره أفمن كان على بينة من ربه وبتلوه شاهد منه على صدقه ويتقدمه شاهد فأمن بهذا كله من أراد الحياة الدنيا وزينتها ولم يؤمن ثم أخبر عنه فقال (أو لك يؤمنون به) وقوله (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) معناه ومن يكفر بالقرآن او بمحمد ﷺ من مشركي العرب وفرق الكفار كاليهود والنصارى وغيرهم فالنار موعده ومصيره ومستقره وفي الحديث ان النبي ﷺ قال لا يسمع بي أحد من الأمة لا يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي الا كان من اصحاب النار (فلا تكن في مرية) أي في شك (منه) الخطاب للنبي ﷺ والمراد جميع المكلفين وقيل ان تقديره لا تلك أيها الانسان او أيها السامع في مرية من ربك أي من أمره وانزاله (إنه الحق من ربك) الهاء راجع إلى القرآن وقيل إلى محمد ﷺ وقيل معناه ان الخبر الذي أخبرتك به حق من عند الله تعالى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بصحته وصدقته لجهلهم بالله تعالى وجحدهم لنبوته نبيه ﷺ (ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً) أي لا أحد اظلم منه إلا انه خرج مخرج الاستفهام ليكون ابلغ (أو لك يعرضون على ربهم) يوم القيامة أي بوقوفهم موقفا يراهم الخلائق للمطالبة بما عملوا ويسألون عن اعمالهم ويجازون عليها (ويقول الأشهاد) يعني الملائكة يشهدون على العباد وهم الحفظة عن مجاهد وقيل هم الأنبياء عن الضحاك وقيل هم شهداء كل عصر من أئمة المؤمنين (هو لاء الذين كذبوا على ربهم) اي كذبوا على رسل ربهم وأضافوا إلى الله ما لم ينزله (ألا لعنة الله على الظالمين) هذا ابتداء خطاب من الله تعالى وقيل هو من كلام الأشهاد ومعناه ألا لعنة الله على الذين ظلموا أنفسهم بإدخال الضرر عليها وغيرهم بإحلال

الآلام عليهم ولعنة الله إبعاده من رحمته ثم وصف سبحانه الظالمين الذين لعنهم فقال (الذين يصدون عن سبيل الله) اي يغيثون الخلق ويصرفونهم عن دين الله وقد يكون ذلك بإلقاء الشبهة اليهم وقد يكون ايضا بالترغيب والترهيب والاطاع والتهديد وغير ذلك وإنما جاز تمكين الصاد عن سبيل الله من هذا الفساد لأنه مكلف بالامتناع منه وليس في منعه لطف بأن ينصرف عن الفساد الى الصلاح فهو كشهوة القبيح الذي به يصح التكليف (ويغونها عوجا) اي ويطلبون لسبيل الله زبعا عن الاستقامة وعدولا عن الصواب وقيل ان بغيهم العوج هي زيادتهم وتقصانهم في الكتاب ليتغير الأدلة ولا يستقيم صفة النبي ^{صلى الله عليه وسلم} كما كان يفعلها اليهود وقيل هي إيرادهم الشبه وكتمانهم المراد وتحريفهم التأويل (وهم بالآخرة) أي بالقيامة والبعث والنشور والثواب والعقاب (هم كافرين) أي جاحدون غير مقرين (أو لك لم يكونوا معجزين في الأرض) أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأن عليهم لعنة الله وانهم الذين يصدون عن سبيل الله بأنهم لم يكونوا فائتين في الأرض هربا فيها من الله تعالى إذا أراد اهلاكهم كما يهرب الهارب من عدو قد جسد في طلبه وإنما خص الأرض بالذكر وان كانوا لأه يفوتون الله ولا يخرجون عن قبضته على كل حال لأن معاقل الأرض هي التي يهرب اليها البشر ويعتصمون بها عند المخاوف فكأنه سبحانه نفى ان يكون هؤلاء الكفار عاصم منه ومانع من عذابه (وما كان لهم من دون الله من أولياء) معناه انه ليس لهم من ولي ولا ناصر ينصرونهم ويحمونهم من الله سبحانه مما يريد ابقاعه بهم في الدنيان المنكاره وفي الآخرة من انواع العذاب (يضاعف لهم العذاب) قيل في معناه وجوه ^١ احدها ^٢ انه لا يقتصر بهم على عذاب الكفر بل يعاقبون عليه وعلى سائر المعاصي كما قال في موضع آخر زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ^٣ وثانيها ^٤ ان معناه انه كما مضى ضرب من العذاب يعقبه ضرب آخر من العذاب مثله أو فوقه كذلك دائما مؤبدا و كل ذلك على قدر الاستحقاق ^٥ وثالثها ^٦ انه يضاعف العذاب على رؤسائهم لكفرهم وظلمهم اتسمهم ولدعائهم الاتباع اليه وهو عذاب الضلال وعذاب الصد عن الدين (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) فيه وجوه ^٧ احدها ^٨ يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الابصار فلا يبصرون عنادا وذهابا عن الحق فاستقطت الباء عن الكلام كما في قول الشاعر

تغالي اللحم للاضياف نيا
ونبذله إذا نضج القدور

أراد تغالي باللحم عن الفراء والبلخي وهذا وجه رابع من معنى قوله يضاعف لهم العذاب ^٩ وثانيها ^{١٠} انه لاستثقالهم استماع آيات الله وكراهتهم تذكروها وتفهمها جروا مجرى من لا يستطيع السمع وان ابصارهم لم تنفعهم مع اعراضهم عن تدبر الآيات فكأنهم لم يبصروا وبما يجري هذا المجرى قول الاعشى

ودع هريرة ان الركب مرتحل
وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

وقد علمنا ان الأعشى كان بقدر على الوداع وإنما تقي الطاقه عن نفسه من حيث الكراهية والاستئقال ^{١١} وثالثها ^{١٢} انه انما عني بذلك آياتهم وأوتانهم وتقدير الكلام أو لك الكفار وآياتهم لم يكونوا معجزين في الأرض يضاعف لهم العذاب وقال مخبراً عن الآلهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وروي ذلك عن ابن عباس وفيه أدنى بعد ^{١٣} ورابعها ^{١٤} ان ما هنا ليست للشيء بل تجري مجرى قولهم لأواصلنك ما لاح نجم والمعنى انهم معذبون ما داموا أحياء (أو لك الذين خسروا انفسهم) من حيث فعلوا ما استحقوا به العقاب فهلكوا فذلك خسران انفسهم وخسران النفس اعظم الخسران لا نه ليس عنها عوض (وضل عنهم ما كانوا يفترون) مضى بيانه سراراً (لاجرم) قال الزجاج لا تقي لما ظنوا انه ينفهم كأن المعنى لا يتفهم ذلك جرم (هم) أي انهم في الآخرة هم الأخسران) اي كسب ذلك الفعل لهم الخسران وقال غيره معناه لا بد ولا محالة انهم وقيل معناه حقاً ويستعمل في امر يقطع عليه ولا يرتاب فيه اي لا شك ان هؤلاء الكفار هم أخسر الناس في الآخرة

* النظم *

اتصلت الآية الأولى بقوله قل فأتوا بعشر سور مثله والمراد انهم إذا لم يأتوا بذلك فقل لهم أفمن كان على
بينة كمن لا يكون معه بينة وقيل اتصلت بقوله من كان يريد الحياة الدنيا أي من كان مجتهداً في الدين كمن
كان همه الحياة الدنيا وزينتها ووجه اتصال الآية الثانية وهي قوله ومن اظلم ممن اظلم من افترى على الله كذباً انه سبحانه
أراد ان يبين حال العاقل والعاقل فكأنهم قالوا وما بضرنا ان لا نعرف ذلك فأجيبوا بأن من لا يعرف الله لا يأمن
ان يكذب على الله ومن اظلم ممن كذب على الله

قوله تعالى (٢٣) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (٢٤) **مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ
مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** آيات

* اللغة *

الإخبات الطمأنينة وأصله الاستواء من الخبت وهو الأرض المستوية الواسعة فكان الإخبات خشوع مستمر على
استواء نيه والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بحال الأول والمعنى عبارة عن فساد آلة الرؤية وليس بمعنى
يضاد الإبصار وكذلك الصمم عبارة عن فساد آلة السمع لأن الصحيح ان الإدراك أيضاً ليس بمعنى
= « المعنى » =

لما تقدم ذكر الكفار وما اعد الله لهم من العذاب عقبه سبحانه بذكر المؤمنين فقال (ان الذين آمنوا)
أي صدقوا الله ورسوله واعتقدوا وحدانيته (وعملوا الصالحات) التي أمرهم الله تعالى بها ورجبهم فيها (واخبتوا
إلى ربهم) أي انابوا وتضرعوا اليه عن ابن عباس وقيل معناه اطمأنوا إلى ذكره عن مجاهد وقيل خضعوا له
وخشعوا اليه عن قتادة والكل متقارب وقيل ان معناه واخبتوا الربهم فوضع اللام كما قال سبحانه اوحى
لها بمعنى اوحى اليها وقال بنادي للإيمان (أو تلك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) ظاهر المعنى ثم ضرب سبحانه
مثلاً للمؤمنين والكافرين فقال (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) أي مثل فريق المسلمين
كالبصير والسميع ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم لأن المؤمن ينتفع بحواسه لاستعماله إياها في الدين
والكافر لا ينتفع بها فصارت حواسه بمنزلة المعدوم وإنما دخل الواو ليعين ان حال الكافر كحال الأعمى على حدة
وكحال الأصم على حدة وحال من يكون قد جمع بين الصفتين جميعاً (هل يستويان مثلاً) أي هل يستوي
حال الأعمى والأصم وحال البصير والسميع عند عاقل فكما لا تستوي هاتان الحالتان عند العقلاء كذلك لا تستوي
حال الكافر والمؤمن (أفلا تذكرون) أي أفلا تفكرون في ذلك فتعلموا صحة ما ذكرناه

قوله تعالى (٢٥) **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦) أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا
اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ** (٢٧) **فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ
إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن
فَضْلٍ بَلْ نُنظِرُكُمْ كَاذِبِينَ** (٢٨) **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِن رَّبِّي وَإِنِّي رَحْمَةٌ
مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزَرْنَا مَكُومَهَا وَآتَمْرَ لَهَا كَارِهُونَ** أربع آيات

✽ القراءة ✽

قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحزمة في إني لكم بكسر الهجزة والباقون أي بفتحها وقرأ أبو عمرو ونصير عن الكسائي بادي الرأي بالهمزة وقرأ الباقون بادي الرأي بالياء غير مهموز وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر فعميت بضم العين وتشديد الميم والباقون فعميت بفتح العين مخففاً

(الحجة) =

قال أبو علي من فتح أي فإنه بحملها على أرسلنا أي أرسلناه بآني لكم نذير مبين فإن قيل لو كان محمولاً عليه لكان أنه لأن نوحاً اسم للغيبة قيل هذا لا يمتنع لأن الخطاب بعد الغيبة في نحو هذا سائغ ألا ترى قوله وكتبنا له في الألواح ثم قال فخذها بقوة ومن كسر فالوجه فيه أنه حمل على القول المضمر لأنه مما قد اضمحلت كثيراً في القرآن قال سبحانه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام أي يقولون سلام وقال والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى أي قالوا ما نعبدهم فإن قلت فهلا رجحت قراءة من قرأ أن على قراءة من كسر لأن قوله ألا تعبدوا محمول على الإرسال وإذا فتحت أن كان أشكل بما بعدها لخلها جميعاً على الإرسال يقال لك أن من كسر قال يجوز أن يكون قوله إني لكم وما بعده محمولاً على الاعتراض بين المفعول وما يتصل به مما بعده كما كان في قوله قل إن الهدى هدى الله اعتراضاً بينهما في قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم فكذلك قوله إني لكم نذير مبين لأن التقدير ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه أن لا تعبدوا إلا الله وأما قوله بادي الرأي فقد حكى أبو علي عن الجبائي أنه قال يقال أنت بادي الرأي يريد ظاهر الرأي لا يهمز بادي وبدي الرأي أي مهموز فمز لم يهمز أراد أنت فيما بدا من الرأي أي أنت ظاهر الرأي ومن همز أراد أنت أول الرأي ومبتدأه قال أبو علي المعنى فيمن قال بادي الرأي بلا همز فجعله من بدا الشيء إذا ظهر أي ما اتبعك إلا الأراذل فيما ظهر لهم من الرأي إن لم يتعقبوه بنظر فيه ولا يبين لهم ومن همز أراد اتبعوك في أول الأمر من غير أن يتبعوا الرأي بشكر وروية فيه وهاتان الكلمتان يتقاربان في المعنى لأن الهمزة في اللام معناه ابتداء الشيء وأوله واللام إذا كانت واواً كان المعنى الظهور وابتداء الشيء يكون ظهوراً وإن كان الظهور قد يكون ابتداءً وغير ابتداءً فلذلك يستعمل كل واحد مكان الآخر وجاز في اسم الفاعل أن يكون ظرفاً كما جاز في فعل نحو قريب ومليء لأن فاعلاً وفعلماً يتعاقبان على المعنى نحو عالم وعليم وشاهد وشهيد وحسن ذلك إضافته إلى الرأي وقد اجروا المصدر أيضاً في إضافته إليه في قولهم أما جهد رأي فأني منطلق فهذا لا يكون إلا ظرفاً وفعل إذا كان مصدرًا وفاعلاً قد يتفقان في أشياء وقد يجوز في قول من همز فقال بادي الرأي إذا خفف الهمز أن يقول بادي الرأي فيقلب الهمزة ياء لانكسار ما قبلها فيكون كقولهم مير في جمع ميرة وذئب في جمع ذئبة والعامل في هذا الظرف هو قولك اتبعك التقدير ما اتبعك في أول رأيهم أو فيما ظهر من رأيهم إلا أراد لنا فأخر الظرف وأوقع بعد إلا الظرف ولو كان بدل الظرف غيره لم يجز ألا ترى أنك لو قلت ما أعطيت أحداً إلا زبداً درهماً فأوقعت بعد إلا اسمين لم يجز لأن الفعل أو معنى الفعل في الاستثناء يصل إلى ما انتصب به بتوسط الحرف ولا يصل الفعل بتوسط الحرف إلى أكثر من مفعول ألا ترى أنك إذا قلت استوى الماء والخشبية فنصبت الخشبية لم يجز أن تتبعه اسماً آخر تنصبه فكذلك المستثنى إذا أُلحقت إلا وأوقعت بعدها اسماً مفرداً لم يجز أن تتبعه آخر ولو قلت ما ضرب القوم إلا بعضهم بعضاً لم يجز وتصحيحها ما ضرب القوم أحداً إلا بعضهم بعضاً تبدل الاسمين بعد إلا من الاسمين قبلها قال جامع العلوم البصير النحوي أن أبا علي حمل بادي الرأي هنا على أنه ظرف لما قبله ثم رجع عن مثله في قوله وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب فجعله على فاعل آخر دل عليه بكلمه على تقدير أو يكلمه الله من وراء حجاب قال والظرف في الآيتين عندنا محمول على الفعل قبل إلا لأن الظرف قد يكتفى

فيه برأحة الفعل انتهى كلامه واقول ان ما قاله فيه نظر لأن ابا علي قال في تلك الآية لا يعمل ما قبل الاستثناء إذا كان كلاما تاما فيما بعده وليس ما قبل إلا في هذه الآية كلاما تاما فإن قوله الذين هم ارادنا فاعل لقوله اتبعك فلذلك فرق بين الموضوعين رجع كلام ابي علي واما تحقيق الهمزة وتخفيفها في الرأي فأهل تحقيق الهمزة يخففونها وأهل التخفيف يبطلون منها الألف وكذلك ما اشبهه من نحو الباس والراس والفاس ومن قرأ فعميت بالتخفيف بقوي قوله اجتمعهم على التخفيف في قوله سبحانه فعميت عليهم الأبناء وهذه مثلها ويجوز في قوله فعميت أمران احدهما ان يكون عمومها عن الآن والرحمة لانعمي وإنما يعنى عنها فيكون كقولهم ادخلت القلنسوة في رأسي ونحو ذلك مما بقلب إذا لم يكن فيه اشكال وفي التنزيل فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله وقال الشاعر

ترى الثوب فيها مدخلا ظل رأسه
والآخر أن يكون بمعنى خفيت كقول الشاعر

ومهمه اطرافه في مهمه
وأعمى الهدى بالخائرين العمه

اي خفي الهدى لأن الهدى ليس بذئ جارحة تلحقها هذه الآفة ومن هذا يقال للسحاب الغمام لا إخفائه ما يخفيه كما قيل له الغمام ومن هذا قول الشاعر «واكنني عن علم ما في غدعم» قال وقولهم اتاني صكة عمي إذا أتى في المهاجرة وشدة الحر يحمّل عندنا تأويلين * احدهما * ان يكون المصدر أضيف إلى العمى كما قالوا ضرب التلف أي الضرب الذي يحدث عنه التلف * والآخر * ان يكون عمي تصغير اعمى على وجه الترخيم واضيف المصدر إلى المفعول به كقولك من دعاء الخير والتقدير صكة الحر الاعمى والمعنى ان الحر من شدته كأنه يعمي من أصابه والمصدر في الوجهين ظرف نحو مقدم الحاج وخفوق النجم ومن قرأ عميت اعتبر قراءة أبي والأعمش ففهما عليك وإسناد الفعل إلى المفعول به في عميت قريب من عمي هنا في المعنى

* اللغة *

الردل الخسيس الحقيق من كل شيء والجمع اردل ثم يجمع على اراذل كقولك كب واكلب واكالب ويجوز ان يكون جمع الاردل فيكون مثل اكبر جمع الاكبر والرأي الرؤبة من قوله يرونهم مثلهم رأي العين اي رؤبة العين والرأي ايضا ما يراه الإنسان في الأمر وجمعه آراء

* الإعراب *

ان لا تعبدوا إلا الله يحتمل ان يكون موضع تعبدوا من الاعراب نصبا بأن ويحتمل أن يكون جزما بالنهي وقوله عذاب يوم اليم يجوز ان يكون تقديره يوم اليم عذابه فحذف المضاف الذي هو عذاب واقيم المضاف اليه الذي هو الضمير مقامه فاستكن في اليم ويجوز ان يكون وصف اليوم بالانم لأن الألم فيه يقع ويجوز في غير القراءة أليما فيكون صفة لعذاب وقوله اتبعك وفاعل الذي هو الذين هم ارادنا في موضع نصب بأنه مفعول ثان لتزيك إن كان بمعنى نعلمك وفي موضع الحال إن كان من رؤبة العين وقوله انلزمكوها فيه ثلاث ضمائر ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغائب فجاءت على احسن ترتيب بدأ بالتكلم لأنه أخص بالفعل ثم بالمخاطب ثم بالغائب ولو أتى بالمتفصل لجاز لتباعده من العامل بما فرق بينه وبينه فأشبهه ما ضربت إلا إياك وما ضربني إلا أنت واجاز الفراء انلزمكوها بتسكين الميم جعله بمنزلة عضد وعضد وكبد وكبد ولا يجوز ذلك عند البصريين وإنما يجيزون ذلك في ضرورة الشعر كقول امرئ القيس

فاليوم اشرب غير مستحقب
إنما من الله ولا واغل

وكقول الآخر

وناع يخبرنا بمهلك سيد تقطع من وجد عليه الأنامل

وقول الآخر «إذا عوججن قلت صاحب قوم» يريد يا صاحب قوم

* المعنى *

لما تقدم ذكر الوعد والوعيد والترغيب والترهيب عقب ذلك سبحانه بذكر اخبار الأنبياء تأكيداً لذلك وتخويفاً للقوم وتسلياً للنبي ﷺ وبدأ بقصة نوح «ع» فقال (ولقد ارسلنا نوحا إلى قومه اني لكم نذير مبين) وقدمت بيانه (ان لا تعبدوا إلا الله) اي انذر كم ان لا تعبدوا إلا الله عن الزجاج يريد لأن توحّدوا الله وقتروا كوا عبادة غيره وبدأ بالدعاء إلى الإخلاص في العبادة وقيل انه دعاهم إلى التوحيد لأنه من أهم الأمور إذ لا يصح شيء من العبادات إلا بعد التوحيد (اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم) إنما قال اخاف مع ان عقاب الكفار مقطوع عليه لأنه لم يعلم ما يؤل إليه فاقبة امرهم من إيمان او كفر وهذا لطف في الاستدعاء واقرب إلى الإجابة في الغالب (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) اي من قوم نوح لنوح «ع» (ما نراك إلا بشرا مثلنا) ظنا منهم ان الرسول إنما يكون من غير جنس المرسل اليه ولم يعلموا ان البعثة من الجنس قد تكون أصحح ومن الشبهة أبعث (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا) اي لم يتبعك الملأ والاشراف والرؤساء منا وإنما اتبعك اخصاؤنا الذين لا مال لهم ولا جاه (بادي الرأي) اي في ظاهر الأمر والرأي لم يتديروا ما قلت ولم يتفكروا فيه وقال الزجاج معناه اتبعوك في الظاهر وباطنهم على خلاف ذلك ومن قرأ بالهمز فالمعنى انهم اتبعوك ابتداء الرأي أي حين ابتدأوا ينظرون ولو فكروا لم يتبعوك وقيل معناه ان في مبتدأ وقوع الرؤية عليهم يعلم انهم اراذلنا واسافلنا (وما نرى لكم علينا من فضل) اي وما نرى لك ولقومك علينا من فضل فإن الفضل إنما يكون في كثرة المال والمنزلة في الدنيا والشرف في النسب وإنما قالوا ذلك لأنهم جهلوا طريقة الاستدلال ولو استدلووا بالمعجزات الدالة على نبوته لعلموا انه نبي وان من آمن به مؤمن ومن خالفه كافر وعرفوا حقيقة الفضل وهكذا عادة ارباب الدنيا يستحقرون ارباب الدين إذا كانوا فقراء ويستزدلونهم وإن كانوا هم الاكبر من الأفضلين عند الله سبحانه (بل نظنكم كاذبين) هذا تمام الحكاية عن كفار قوم نوح قالوه لنوح ومن آمن به (قال) نوح لقومه (يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي) اي على برهان وحجة يشهد بصحة النبوة وهي المعجزة وقال ابن عباس على بينة اي على يقين وبصيرة ومعرفة من ربوبية ربي وعظمته واختلف في قول نوح (ع) هذا انه جواب عما اذا قيل انه جواب عن قولهم بل نظنكم كاذبين فكأنه قال ان تظنونني كاذبا فما تقولون لو كنت على خلافه وعلى حجة من ربي واضحة لا تصدقوني وقيل بل هو جواب عن قولهم ما نراك إلا بشرا مثلنا اي وإن كنت بشرا فماذا تقولون إذا أتيتكم بحجة دالة على صدقي ألا تصدقوني وفيه بيان ان الرسالة إنما تظهر بالمعجزة فلا معنى لاعتبار البشرية وقيل هو جواب عن قولهم ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا فكأنه قال إنهم اعتصموا بالله وبما أتاهم من البينة والرحمة فنالوا بذلك الرفعة والفضل وانتم فتنتم بالدنيا الدنية الفانية فأنتم في الحقيقة الاراذل لا هم وقيل هو جواب عن قولهم وما نرى لكم علينا من فضل فكأنه قال لا تتبعوا المال والجاه فإن الواجب اتباع الحجة والدلالة ويجوز ان يكون جوابا عن جميع ذلك (وآتاني رحمة من عنده) رد عليهم بهذا جميع ما ادعوه والرحمة والنعمة هي ههنا النبوة اي واعطاني نبوة من عنده (فعميت عليكم) اي خفيت عليكم لقلّة تدبركم فيها (أتلمزكموها وانتم لها كارهون) اي تريدون مني ان اكرهكم على المعرفة وأجئكم اليها على كره منكم هذا غير مقدور لي والهاء كناية عن الرحمة فيدخل فيها النبوة والدين وسائر النعم وقيل معناه انلزمكم قبولها فحذف المضاف ويجوز ان يكون الهاء كناية عن البينة ويكون المراد ان علي إن ادلكم بالبينة وليس علي

ان اضطر كم إلى معرفتها

قوله تعالى (٢٩) وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٣٠) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ
إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣١) وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ
إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنْ إِذَا
لِمَنْ الظَّالِمِينَ ثلاث آيات

✽ اللفظة ✽

الطرد الإبعاد على جهة الهوان وتطارد الأفعال حمل بعضها على بعض والازدراء الاحتقار افتعال من الزرابة
يقال زربت عليه إذا عبته وازرت به إذا قصرت به قال الشاعر

رأوه فازدروه وهو خرق وينفع أهله الرجل القبيح
ولم يخشوا مقاتله عليهم وتحت الرغوة اللبن الصريح

✽ المعنى ✽

ثم انكر نوح استثقلم التكليف والعاقلة إنما يستثقل الأمر إذا ألزمته مؤنة ثقله فقطع هذا العذر بقوله
(ويا قوم لا أسئلكم عليه مالا) أي لا اطلب منكم على دعائكم إلى الله اجرا فتمتنعون من إجابتي خوفا من
اخذ المالب (إن أجري إلا على الله) أي ما ثوابي وما أجري في ذلك إلا على الله (وما أنا بطارد الذين آمنوا)
أي لست اطرد المؤمنين من عندي ولا ابعدهم على وجه الإهانة وقيل انهم كانوا سألوهم طردهم ليؤمنوا له اتقه من
ان يكونوا معهم على سواء عن ابن جريج والزجاج (انهم ملاقوا ربهم) وهذا يدل على انهم سألوهم طردهم
فأعلمهم انه لا يطردهم لأنهم ملاقوا ربهم فيجازي من ظلمهم وطردهم بجزائه من العذاب عن الزجاج وقيل
معناه انهم ملاقوا ثواب ربهم فكيف يكونون ارادل وكيف يجوز طردهم وهم لا يستحقون ذلك عن
الجبائي (ولكني أراكم قوما تجهلون) الحق واهله وقيل معناه تجهلون ان الناس إنما يتفاضلون بالدين لا بالدنيا
وقيل تجهلون فيما تسألون من طرد المؤمنين (ويا قوم من ينصرتي من الله إن طردتهم) معناه من يمتعني من عذاب
الله إن انا طردت المؤمنين فكانوا خصائي عند الله في الآخرة (أفلا تذكرون) أي أفلا تتفكرون فتعلمون
ان الأمر على ما قلته ووفق علي بن عيسى بين التفكير والتذكر بأن التذكر طلب معنى قد كان حاضرا للنفس
والتفكير طلب معرفة الشيء بالقلب وإن لم يكن حاضرا للنفس وليست النصرة المذكورة في الآية من الشفاعة في
شيء لأن النصرة هي المنع على وجه المغالبة والقهر والشفاعة هي المسألة على وجه الخضوع فلا دلالة في الآية على نفي
الشفاعة للمذنبين على ما قاله بعضهم (ولا أقول لكم عندي خزائن الله) هذا تمام الحكاية عما قاله نوح لقومه
ومعناه اني لا ارفع قسي فوق قدرها فأدعي ان عندي مقدورات الله تعالى فأفعل ما أشاء وأعطي ما أشاء وأمنع
من اشاء عن الجبائي وابي مسلم وقيل خزائن الله مفاتيح الله في الرزق وهذا جواب لقولهم ما نراك إلا بشرا مثلنا
او قولهم وما نرى لكم علينا من فضل (ولا اعلم الغيب) أي ولا ادعي علم الغيب حتى أدلكم على منافعكم
ومضاركم وقيل لا اعلم الغيب فأعلم ما تسرونه في قوسكم فيكون جوابا لقولهم ان هؤلاء الذين آمنوا بك
اتبوك في ظاهر ما ترى منهم أي فسيبلي قبول ايمانهم الذي ظهر لي ولا يعلم ما يضررونه إلا الله تعالى (ولا

اقول إني ملك) فأخبركم بخبر الساء من قبل نفسي وإنما انا بشر لا أعلم الأشياء من غير تعليم الله تعالى وقيل معناه لا اقول اني روحاني غير مخلوق من ذكر وأنتى بل انا بشر مثلكم خصني الله بالرسالة (ولا اقول للذين تردى أعينكم) اي لا اقول لهؤلاء المؤمنين الذين تستقلونهم وتستخفونهم وتحقرهم أعينكم لما ترون عليهم من زيي الفقراء (ان يوئيم الله خيراً) اي لا يعطيهم الله في المستقبل خيراً على اعمالهم ولا يثيبهم عليها بل اعطاهم الله كل خير في الدنيا من التوفيق ويعطيهم كل خير في الآخرة من الثواب (الله اعلم بما في أقسام) اي بما في قلوبهم من الإخلاص وغيره (اني اذا لمن الظالمين) ان طردتهم تكذيباً لظاهر إيمانهم أو قلت فيهم غير ما أعلم

قوله تعالى (٣٢) قالوا يا نوح قد جادلتنا فما كثررت جدالنا فما بنا تعدنا ان كنت من الصادقين (٣٣) قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين (٣٤) ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون (٣٥) أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بري مما تجرمون أربع آيات

✽ اللغة ✽

الجدال والمجادلة المقاتلة بما يقتل الخصم من مذهبه بحجة أو شبهة وهو من الجدل شدة القتال ويقال للصرع أجدل لأنه من أشد الجوارح والجدال والمرء بمعنى غير ان المرء مذموم لأنه مخاصمة في الحق بعد ظهوره كمرى الصرع بعد دروره وليس كذلك الجدال والفرق بين الحجاج والجدال ان المطلوب بالحجاج ظهور الحججة والمطلوب بالجدال الرجوع عن المذهب والاعجاز هو التوت بالهرب والفرق بين افتراء الكذب وقول الكذب ان قول الكذب قد يكون على وجه تقليد الإنسان فيه لغيره وأما افتراء الكذب فهو افتعاله من قبل نفسه واجرم وجرم بمعنى قال

طريد عشيرة ورهين ذنب بما جرمت يدي وجنى لساني

✽ المعنى ✽

ثم حكى الله سبحانه جواب قوم نوح عما قاله لهم فقال (قالوا يا نوح قد جادلتنا) أي خاصمتنا وحاججتنا (فأكثرت جدالنا) أي زدت في مجادلتنا على مقدار الكفاية وفي بعض الروايات عن ابن عباس فأكثرت جدلنا والمعنى واحد (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) في ان الله تعالى يعدنا على الكفر اي فلستاناؤمن بك ولا تقبل منك (قال) نوح (إنما يأتيكم به الله ان شاء) أي لا يأتي بالعذاب إلا الله سبحانه متى شاء لا يقدر عليه غيره فإن شاء عجل وان شاء أخر (وما أنتم بمعجزين) أي لا تفوتونه بالهرب (ولا ينفعكم نصحي إن أردت ان أنصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم) ذكر في تأويله وجوه أحدها \llcorner إن كان الله يريد ان يخيبكم من رحمته بأن يجرمكم ثوابه ويعاقبكم لكفركم به فلا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم وقد سعى الله سبحانه العقاب غيا بقوله فسوف يلقون غيا ويشهد بصحة ما قلناه قول الشاعر

من يلق خيراً يحمده الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

ولما خيب الله سبحانه قوم نوح من رحمته وثوابه واعلم الله نوحا (ع) بذلك في قوله لن يوئمن من قومك الا من قد آمن قال لهم لا ينفعكم نصحي مع ايثاركم ما يوجب خيبكم والعذاب الذي جره اليكم قبيح افعالكم واذا طرأ شرط على شرط كان الثاني مقدماً على الاول في المعنى وان كان مؤخراً في اللفظ والتقدير ولا ينفعكم نصحي

ان كان الله يريد أن يغويكم ان اردت ان انصح لكم ﴿ وثانيها ﴾ ان المعنى ان كان الله يريد عقوبة اغوائكم الخلق واضلالكم اياهم اي يريد عقوبتكم على ذلك ومن عادة العرب أن تسمي العقوبة باسم الشيء المعاقب عليه كما في قوله سبحانه وجزاء سيئة سيئة مثلها ومكروا ومكر الله والله يستهزي بهم وقد مر فيما مضى امثال ذلك ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه ان كان الله يريد ان يهلككم فلا ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وان قبلتم قولي وامنتم لأن الله تعالى حكم بأن لا يقبل الايمان عند نزول العذاب عن الحسن وقد حكى عن العرب انهم قالوا اغويت فلانا بمعنى اهلكته ويقال غوي الفصيل اذا فسد من كثرة شرب اللبن ﴿ ورابعها ﴾ ان قوم نوح كانوا يعتقدون ان الله تعالى بضل عباده عن الدين وان ما هم عليه بارادة الله لولا ذلك لغيره واجبرهم على خلافه فقال لهم نوح على وجه التعجب من قولهم والانكار لذلك ان نصحي لا ينفعكم ان كان القول كما تقولون وهذا هو المحكي عن جعفر بن احرب وإنما شرط النصح بالارادة في قوله ان اردت ان انصح لكم مع وقوع هذا النصح استظهارا في الحجة عليهم لا أنهم ذهبوا الى انه ليس بنصح فقال لو كان نصحا ما قمع من لا يقبله ولا يجوز ان يكون المراد بالاغواء في الآية فعل الكفر أو الدعاء الى الكفر والحمل عليه على ما يعتقد المجبرة لقيام الأدلة على ان خلق الكفر وارادته من اقبح القبائح كالأمر به وكالم يجز ان يأمر به فكذلك لا يجوز ان يفعله ويريده ولأنه لو جاز منه الاضلال لجاز منه ان يبعث من يدعو الى الضلال ويظهر المعجزات على يده وفي هذا ما فيه (هو ربكم واليه ترجعون) اي هو خالقكم ورازقكم والى حكمه وتدييره تصيرون فيجازيكم على اعمالكم (ام يقولون افتراه) قيل انه يعني بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم والمراد ابو من كفار محمد صلى الله عليه وسلم بما اخبرهم به محمد صلى الله عليه وسلم من نبي قوم نوح (ع) ام يقولون افتراه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه (فقل) لهم يا محمد (ان افتريته) واختلقته كما تزعمون (فعلي اجرامي) اي عقوبة جرمي لا تؤخذون به (وانا بري مما تجرمون) اي لاؤخذ بجرمكم عن مقاتل وقيل يعني به نوحاً (ع) وانه يقول على الله الكذب عن ابن عباس

﴿ النظم ﴾

ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها على القول الاول انها متصل بقوله ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله

قوله تعالى (٣٦) وَأَوْحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مِنْ قَدَّ آمَنَ فَلَا تَبْتَئَسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٧) وَأَصْنَعُ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٣٨) وَيَصْنَعُ الْفُلَّكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٩) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ

أربع آيات

= (اللغة) =

الابتئاس حزن في استكانة وانشد ابو عبيدة

ما يقسم الله إقبال غير مبتئس منه واقعد كريماً ناعماً الببال

وهو افتعال من البؤس وقد يكون البؤس بمعنى الفقر ايضاً والصنع جعل الشيء موجوداً بعد ان كان معدوماً ومثله الفعل وينفصلان من الحدوث من حيث ان الصنعة يقتضي صناعاً والفعل يقتضي فاعلاً من حيث اللفظ وليس كذلك الحدوث لأنه يفيد تجدد الوجود لا غير والصناعة الحرفة التي يكسب بها والفلك السفينة وبكون واحداً

وجمعا والسخرية اظهار خلاف الايطان على وجه يفهم ميه اسنضعاف العقل ومنه السخيرة النذليل يكون استضعافا بالقهر والفرق بين السخرية واللعب ان في السخرية خديعة واستنقاصا ولا يكون الا بحيوان وقد يكون اللعب بجماد والحلول النزول للمقام وهو من الحل خلاف الارتحال وحلول العرض وجوده في الجوهر من غير شغل حيزو المصحح للحلول التحيز

= الاعراب =

سوف ينقل الفعل من الحال الى الاستقبال مثل السين سواء الا ان فيه معنى التسوية وهو تعليق النفس بما يكون من الامور من يأتيه قيل في من هذه قولان ﴿ ائحدهما ﴾ ان يكون بمعنى اي فكأنه قال ابنا يأتيه عذاب يخزيه ﴿ والآخر ﴾ ان يكون بمعنى الذي والمعنى واحد ومن اذا كانت للاستفهام استغنت عن الصلة كما استغنت كيف وكم عن الصلة واذا كانت بمعنى الذي فلا بد لها من الصلة لأن البيان مطلوب من المسوؤل دون السائل

* المعنى *

(واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) اعلم الله سبحانه نوحا انه لن يؤمن به احد من قومه في المستقبل (فلا تبئس) اي لا تغتم ولا تحزن (بما كانوا يفعلون) والعقل لا يدل على ان قوما لا يؤمنون في المستقبل وإنما طريق ذلك السمع فلما علم ان احدا منهم لا يؤمن فيما بعد ولا من نسلهم دعا عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا أنك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فلما اراد الله سبحانه اهلاكم امر نبيه باتخاذ السفينة له ولقومه فقال (واصنع الفلك) اي اعمل السفينة لتركبها أنت ومن آمن بك (باعيننا) اي بمرأى منا عن ابن عباس والتأويل يحفظنا اباك حفظ الرائي لغيره اذا كان يدفع الضرر عنه وذكر الاعين لتأكيد الحفظ وقيل اراد بالأعين الملائكة الموكلين بك وبحضرتهم وهم ينظرون باعينهم اليك وإنما اضاف ذلك الى نفسه اكراما وتعظيما لهم وقوله (ووحينا) معناه وعلى ما اوحينا اليك من صفتها وحالها عن ابي مسلم وقيل المراد بوحينا اليك ان اصنعها وذلك انه (ع) لم يعلم صنعة الفلك فعلمه الله تعالى عن ابن عباس اي فاننا نوحى اليك بما تحتاج اليه من طوله وعرضه وهيأته (ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مفرون) اي لا تسألني العفو عن هؤلاء الذين كفروا من قومك ولا تشفع لهم فانهم مفرون عن قريب وهذا غاية في الوعيد كما يقول الملك لوزيره لا تذكر حديث فلان بين يدي وقيل انه عنى به امرأته وابنه وانما نهاه عن ذلك ليصونه عن سؤال ما لا يجاب اليه وليصرف عنه مأثم الممالة للطغاة (وبصنع الفلك) اي وجعل نوح (ع) يصنع الفلك كما امره الله تعالى وقيل واخذ نوح في صنعة السفينة بيده فجعل ينحتها ويسويها واعرض عن قوله (وكما مر عليه ملا من قومه سخروا منه) اي كلما اجتاز به جماعة من اشراف قومه وروسائهم وهو يعمل السفينة هزوا من فعله وقيل انهم كانوا يقولون له يا نوح صرت نجارا بعد النبوة على طريق الاستهزاء وقيل إنما كانوا يسخرون من عمل السفينة لأنه كان يعملها في البر على صفة من الطول والعرض ولا ماء هناك يحمل مثلها فكانوا يضحكون ويتعجبون من عمله (قال) أي كان يقول لهم (ان تسخروا منا فاننا نسخر منكم كما تسخرون) والمراد ان تستجهلونا في هذا الفعل فاننا نستجهلكم عند نزول العذاب بكم كما تستجهلونا عن الزجاج وقيل معناه فاننا نجاز بكم على سخرتكم عند الفرق والهلاك واراد به تعذيب الله اياهم فسمى الجزاء باسم المجزي به ويحتمل ان يريد فاننا نسخر منكم بعد الفرق على وجه الشماتة لاعلى وجه السفه (فسوف تعلمون) ابنا احق بالسخرية او تعلمون عاقبة سخرتكم (من يأتيه عذاب يخزيه) هذا ابتداء كلام من نوح والاظهر أن يكون متصلا بما قبله اي فسوف تعلمون ابنا يأتيه عذاب بهينه وفضحه في الدنيا ويكون يخزيه صفة العذاب (ويحل عليه عذاب مقيم)

اي وينزل عليه عذاب دائم في الآخرة

* القصة *

قال الحسن كان طول السفينة الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقال قتادة كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلاثين ذراعا وبابها في عرضها وقال ابن عباس كانت ثلاث طبقات طبقة للناس وطبقة للأنعام والدواب وطبقة للهوام والوحش وجعل أسفلها للوحوش والسباع والهوام وأوسطها للدواب والانعام وركب هو ومن معه في الأعلى معما يحتاج اليه من الزاد وكانت من خشب الساج وروت عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مكث نوح في قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى حتى اذا كان آخر زمانهم غرس شجرة فمظمت وذهبت كل مذهب فقطعها وجعل يعمل على سفينته وقومه يمررون عليه فيسألونه فيقول اعمل سفينة فيسخررون منه ويقولون تعمل سفينة على البر فكيف تجري فيقول سوف تعلمون فلما فرغ منها وفار التنور وكثر الماء في السكك خشيت ام صبي عليه وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت به حتى بلغت ثلثيه فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبته رفعته بيديها حتى ذهب بها الماء فلو رحم الله منهم احدا لرحم أم الصبي وروى علي بن ابراهيم عن ابيه عن صفوان عن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال لما اراد الله اهلاك قوم نوح عقم ارحام النساء اربعين سنة فلم يلد لهم موارد ولما فرغ نوح من اتخاذ السفينة امره الله تعالى أن ينادي بالسريانية أن يجمع اليه جميع الحيوانات فلم يبق حيوان الا وقد حضر فادخل من كل جنس من اجناس الحيوان زوجين ما خلا الفأر والسنور وانهم لما شكوا اليه سرقين الدواب والقذر دعا بالخنزير فمسح جبينه فغطس فسقط من انفه زوج فأرة فتناسل فلما كثروا وشكروا اليه منهم دعا بالأسد ومسح جبينه فغطس فسقط من انفه زوج سنور وكان الذين آمنوا به من جميع الدنيا ثمانين رجلا وفي حديث آخر انهم شكوا اليه العذرة فأمر الله الفيل فغطس فسقط الخنزير وروى الشيخ ابو جعفر في كتاب النبوة باسناده عن حنان بن سدير عن ابي عبد الله (ع) قال آمن مع نوح من قومه ثمانية نفر

قوله تعالى (٤٠) حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل (٤١) وقال أركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسها إن ربي لغفور رحيم (٤٢) وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني أركب معنا ولا تكن مع الكافرين (٤٣) قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين أربع آيات

* القراءة *

قرأ حفص عن عاصم من كل زوجين متوننا وفي المؤمنين كذلك وقرأ الباقون من كل زوجين مضافا وقرأ أهل الكوفة غير ابي بكر مجريها بفتح الميم والباقون بضم الميم واقفوا على ضم الميم في مرسيا الامايري في الشواذ عن ابن محيصن انه فتح الميم فيهما وقرأ عاصم يا بني اركب معنا بفتح الباء والباقون بكسر وروي عن علي بن ابي طالب (ع) وابي جعفر محمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام وعروة بن الزبير ونادى نوح ابنه وروي

عن عكرمة ابنها وعن السدي ابناه وعن ابن عباس ابنة علي الرقف

✽ الحجة ✽

الوجه في قرأته حفص ما قاله ابو الحسن ان الاثنين زوجان قال الله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين والمرأة زوج الرجل والرجل زوجها قال وقد يقال للاثنين هما زوج قال لييد

من كل محفوف يظل عصيه زوج عليه كلة وقرامها

قال ابو علي من قرأ من كل زوجين كان قوله اثنين مفعول الحمل والمعنى احمل من الأزواج إذا كانت اثنين اثنين زوجين فالزوجان في قوله من كل زوجين يراد بهما الشيعاء وليس يراد بهما الناقص عن الثلاثة ومثل ذلك قول الشاعر

فاعمد لما يعلو فما لك بالذي لا تستطيع من الأمور يدان

إنما يريد تشديد انهما قوته عنه وتكثيره ويبين هذا المعنى قول الفرزدق

وكل رفيقي كل رحل وإن هما تعاطى القنا قوما هما اخوان

رفيقان اثنان لا يكونان رفيقي كل رحل وإنما يريد الرفقاء إذا كانوا رفيقين ومن نوء فقال من كل زوجين فحذف المضاف اليه من كل ونون فالمعنى من كل شيء ومن كل زوج زوجين اثنين فيكون انتصاب اثنين على انه صفة ازوجين فإن قلت فالزوجان قد فهم انهما اثنان فكيف جاز وصفها بقوله اثنين فإنما جاز ذلك للتأكيد والتشديد كما قال لا تتخذوا إلهين اثنين وقد جاء في غير هذا من الصفات ما صرفه إلى التأكيد كقولهم أمس الدابر ونفخة واحدة ونعجة واحدة قال ومناة الثالثة الأخرى قال ابو علي ويجوز في قوله بسم الله مجربها ومرساها ان يكون حالا من شيتين من الضمير الذي في قوله اركبوا ومن الضمير الذي فيها فإن جعلت قوله بسم الله خبر مبتدأ مقدما في قول من لم يرفع بالظرف او جعلت قوله مجربها مرتفعا بالظرف لم يكن قوله بسم الله مجربها إلا جملة في موضع الحال من الضمير الذي فيها ولا يجوز أن يكون من الضمير الذي في قوله اركبوا لأنه لا ذكر فيها يرجع إلى الضمير ألا ترى ان الظرف في قول من رفع بالظرف قد ارتفع به الظاهر وفي قول من رفع في هذا النحر بالابتداء قد جعل في الظرف ضمير المبتدأ فإذا كان كذلك خلت الجملة من ذكر يعود إلى ذي الحال من الحال وإذا خلا من ذلك لم يكن إلا حالا من الضمير الذي فيها ويجوز أن يكون بسم الله حالا من الضمير الذي في قوله اركبوا على أن لا يكون الظرف خبرا عن الاسم الذي هو مجربها على ما كان في الوجه الأول ويكون حالا من الضمير على حد قولك خرج بشيابه وركب في سلاحه والمعنى ركب مستعدا بسلاحه ومتلبسا بشيابه وفي التثنية وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به فكان المعنى اركبوا متبركين باسم الله ومتمسكين بذكر اسم الله ويكون في باسم الله ذكر يعود إلى الماء ورين فإن قلت فكيف يكون اتصال المصدر الذي هو مجربها بالكلام على هذا فإنه يكون متعلقا بما في باسم الله من معنى الفعل وجاز تعلقه به لأنه يكون ظرفا على نحو مقدم الحاج وخفوق النجم كأنهم كانوا متبركين بهذا الاسم او متمسكين به في وقت الجري او الاجراء والرسو او الارساء على حسب الخلاف بين القراء فيه ولا يكون الظرف متعلقا باركبوا لأن المعنى ليس عليه الا ترى ان المعنى لا يراد اركبوا فيها في وقت الجري والثبات لنا المعنى اركبوا الآن متبركين باسم الله في الوقتين اللذين لا ينفك الراكبون فيها من الاجراء والارساء ليس يراد اركبوا وقت الجري والرسو فموضع مجربها نصب على هذا الوجه بأنه ظرف عمل فيه المعنى وفي الوجه الأول رفع بالابتداء او بالظرف وبدل على انه في الوجه الأول رفع وإن كان ذلك الفعل الذي كان يتعلق به لا يعتبر به الا ان قول الشاعر أنشده الأصمعي

بأبي أنت وفوك الأشنب كأنما زرت عليه الزرنب

وحجة من فتح مجريها قوله وهي تجري بهم ولو كان مجريها لكان وهي تجريهم وحجة من ضم ان جرت بهم وأجرتهم يتقاربان في المعنى يقال جرى الشيء وأجريت به وجريت به واما قوله يا بني فقد قال ابو علي الكسري في الياء الوجه في يا بني وذلك ان اللام من ابن ياء او واو حذفت في ابن كما حذفت في اسم واثنين فاذا حقرت الحقت ياء التحقير فلزم ان ترد اللام الذي حذفت لانك لو لم تردها لوجب أن تحرك بالتحقير بحركات الاعراب وتعاقبها عليها وهي لا تحرك ابدا بحركة الاعراب ولا غيرها ألا ترى ان من حذف الهززة الساكن ما قبلها في نحو الحُب لم يفعل ذلك في الهمز نحو افياس (?) إنما يبدل من الهززة ياء ويدغم فيها ياء التحقير كما يفعل ذلك مع ياء خطية وواو مقرونة ونحو ذلك من حروف المد التي لا تتحرك فاذا تبين ان ياء التحقير اجريت هذا المجري علمت انها لا تتحرك كما لا تتحرك حروف المد التي اجريت بالتحقير مجراها فلو لم ترد اللام مع ياء التحقير وجعلتها محذوفة في التحقير كما حذفتها في التكبير للزم الياء التي للتحقير الانقلاب كما ازم سائر حروف الاعراب فيبطل دلالتها على التحقير كما ان الألف في التكسير لو حركتها لبطلت دلالتها على التكسير ولذلك رددت اللام فاذا رددت اللام وأضفتها إلى نفسك اجتمعت ثلاث ياءات الأولى منها التي للتحقير والثانية لام الفعل والثالثة التي للاضافة تقول هذ بني فاذا ناديت جاز فيها وجهان اثبات الياء وحذفها فن قال يعبادي فأثبت بقياس قوله ان يقول بني ومن قال يعباد قال يابني فحذف الياء التي للاضافة وأبقى الكسرة دالة عليها وهذا الوجه هو الجيد عندهم ومن قرأ يا بني بالفتح فالقول فيه انه أراد به الإضافة كما أرادها في قوله يا بني إذا كسر الياء التي هي لام الفعل كأنه قال يا بني بآبائنا ياء الاضافة ثم ابدل من الكسرة الفتحة ومن الياء الألف فصار يا بنينا كما قال الشاعر «يا بنت عما لا تلمومي واهجعي» ثم حذف الألف كما كان حذف الياء في يا بني وقد حذفت الياء التي للاضافة إذ أبدلت الألف منها أنشد ابو الحسن

فلست بمدرك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لواني

انهاه بلهفاء قال ابو عثمان ووضع الألف مكان الياء في الاضافة مطرد واجازيا زيدا اقبل إذا أردت الاضافة فقال وعلى هذا قراءة من قرأ يا أبت لم تعبد ويا قوم لا أسألكم وانشد «وهل جزع ان قلت وا ابتها» واما من قرأ ونادى نوح ابنه فإنه أراد ابنها كما روي عن عكرمة والمعنى ابن امرأته لأنه قد جرى ذكرها في قوله سبحانه وأهلك فحذف الألف تخفيفا كما قلناه في بني بالفتح ويا أبت واما قراءة السدي ابنه فإنه يريد به الندبة وهو على الحكاية اي قال له يا ابنه ووا ابنه فأما ابنه بالسكون فعلى ما جاء في نحو قوله «ومطواي مشتاقان له ارقان»

✽ اللغة ✽

الفور الغليان واصله الارتفاع فار القدر يفور فوراً وفوراً وفوراً وورانا ارتفع ما فيه بالغليان ومنه قولهم فعل ذلك من فوره اي من قبل ان يسكن والأورساء امساك السفينة بما تقف عليه يقال ارساها الله فرست قال عنتره

فصبرت نفساً عند ذلك حرة
ترسو إذا نفس الجبان تطلع
والموج جمع موجه وهي قطعة عظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير والعصمة المنع

(الاعراب) =

حتى متعلقة بقوله واصنع الفلك بأعيننا . لا عاصم ركب عاصم مع لافيني لأنها بالتركيب صار كاسم واحد وقيل انه بني لتضمنه معنى من لأن هذا جواب هل من عاصم وحق الجواب ان يكون وفق السؤال فكان يجب ان يقول لا من عاصم إلا ان من حذفت وتضمن الكلام معناه فبني الاسم لذلك وهذا وجه حسن واليوم خبر العامل فيه المحذوف لا قوله عاصم لأنه لو عمل فيه عاصم اصار من صلته فكان يجب تنوينه لأنه يشبه المضاف كما تقول لا ضاربا زيدا في دارك ولم يقرأ احد لا عاصم اليوم وقيل ان خبره قوله من امر الله والتقدير لا إذا عصمة

كائن من امر الله في اليوم واليوم معمول الظرف وان تقدم عليه كما جاز كل يوم لك ثوب ولا يجوز ان يتعلق اليوم بنفس امر لأن امر مصدر فلا يتقدم عليه ما في صلته ومن رحم فيه ثلاثة اقوال * احدها * ان يكون استثناء منقطعا لأن التقدير الا من رحمه الله فيكون من مفعولا واستثناء من عاصم وعاصم فاعل فكأنه قال لكن من رحمه الله معصوم * وثانيها * ان يكون المعنى لا عاصم الا من رحمتنا فكأنه قال لا عاصم الا الله * والثالث * ان عاصم ههنا بمعنى معصوم وتقديره لا معصوم من امر الله إلا من رحمه الله وقد يأتي فاعل بمعنى مفعول كقوله في عيشة راضية اي مرضية وما دافق اي مدفوق وقال الخطيب

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

اي المكسور وعلى القولين الأخيرين يكون الاستثناء متصلا وقال ابن كيسان لما قال لا عاصم كان معناه لا معصوم لأن في نفي العاصم نفي المعصوم ثم قال إلا من رحم فاستثناء على المعنى فيكون متصلا
- المعنى -

ثم اخبر سبحانه عن اهلاك قوم نوح فقال (حتى اذا جاء امرنا) والمعنى فذلك حاله وحالهم حتى إذا جاء قضاءنا بنزول العذاب (وفار التنور) بالماء اي ارتفع الماء بشدة اندفاع وفي التنور اقوال * اولها * انه تنور الخابزة وانه تنور كان لآدم فار الماء منه علامة لنوح (ع) اذ نبع الماء من موضع غير معهود خروجه منه عن ابن عباس والحسن ومجاهد ثم اختلف في ذلك فقال قوم ان التنور كان في دار نوح (ع) بعين ورده من ارض الشام وقال قوم بل كان في ناحية الكوفة وهو المروي عن أئمتنا (ع) وروي المفضل بن عمر عن ابي عبد الله (ع) في حديث طويل قال كان التنور في بيت عجز مؤمنة في دير قبلة ميمنة مسجد الكوفة قال قلت فكيف كان بدخروج الماء من ذلك التنور قال نعم ان الله احب ان يري قوم نوح آية ثم ان الله سبحانه ارسل عليهم المطر فيفيض فيض الفرات فيض الفرات فيض العيون كلها فيض ففرقهم الله وانجى نوحا ومن معه في السفينة فقلت فكم لبث نوح في السفينة حتى نضب الماء فخرجوا منها فقال لبث فيها سبعة ايام بلياليها فقلت له ان مسجد الكوفة لتقديهم فقال نعم هو مصلى الانبياء ولقد صلى فيه رسول الله ^{صلى الله عليه وآله وسلم} حين اسري به الى السماء قال له جبرائيل (ع) يا محمد هذا مسجد ابيك آدم ومصلى الانبياء فانزل فصل فيه فنزل فصلي فيه ثم ان جبرائيل (ع) عرج به الى السماء وفي رواية اخرى ان السفينة استقلت بما فيها فجرت على ظهر الماء مائة وخمسين يوما بلياليها وروي ابو عبيدة الخدّاء عن ابي جعفر (ع) قال مسجد كوفان وسطه روضة من رياض الجنة الصلاة فيه بسبعين صلاة صلى فيه الف نبي وسبعون نبيا فيه فار التنور وجرت السفينة وهو سرة بابل ومجمع الانبياء عليهم السلام * وثانيها * ان التنور وجه الارض عن ابن عباس والزهري وعكرمة واختاره الزجاج ويؤيده قوله وفجرنا الارض عيونا * وثالثها * ان معنى قوله وفار التنور طلع الفجر وظهرت امارات دخول النهار وتقضي الليل من قواهم نور الصبح تنويرا وروي ذلك عن علي (ع) ورابعها * ان التنور اعلى الارض واشرفها والمعنى نبع الماء من الامكنة المرتفعة فشبهت بالتناير لعلوها عن قتادة * وخامسها * ان فار التنور معناه اشتد غضب الله عليهم ووقعت نعمتهم بهم كما تقول العرب حمي الوطيس اذا اشتد الحرب وفار قدر القوم اذا اشتد حربهم قال الشاعر

يفور علينا قدرهم فنذيمها ونفثائها عنا اذا حميها غلا

يريد بالقدر الحرب ونذيمها نسكنها وهذا أبعد الاقوال من الاثر وحمل الكلام على الحقيقة التي تشهد بها الرواية اولى (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) اي قلنا لنوح (ع) لما فار الماء من التنور احمل في السفينة من كل جنس من الحيوان زوجين اي ذكر وانثى وقد ذكرنا المعنى في حجة القراءتين (واهلك) اي واحمل اهلك وولدك (الا من سبق عليه القول) اي من سبق الوعد باهلاكه والاخبار بانه لا يؤمن وهي امراته الخائنة واسمها

واغلة وابنها كنعان (ومن آمن) أي واحمل فيها من آمن بلك من غير اهلك ثم اخبر سبحانه فقال (وما آمن معه الا قليل) أي الا نفر قليل وهم ثمانون انسانا في قول الاكثرين وقيل اثنان وسبعون رجلا وامرأة وبنوه الثلاثة ونسأؤهم فهم ثمانية وسبعون نفسا وحمل معه جسد آدم (ع) عن مقاتل وقيل عشرة انفس عن ابن اسحاق وقيل ثمانية انفس عن ابن جريج وقتادة وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقيل سبعة انفس عن الاعمش وكان فيهم بنوه الثلاثة سام وحام ويافت وثلاث كنانهم فالعرب والروم وفارس واصناف العجم ولد سام والسودان من الحبش والزنج وغيرهم ولد حام والترك والصين والصقالبة وياجوج وماجوج ولد يافت (وقال اركبوا فيها) أي وقال نوح لمن آمن معه اركبوا في السفينة وفي الكلام حذف تقديره فلما فار التنور ووقف نوح على ما دله الله عليه من هلاك الكفار قال لأهله وقومه اركبوا فيها (بسم الله مجربها ومرسيها) أي متبركين باسم الله أو قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها أي اثباتها وجسها وقيل معناه بسم الله اجرواؤها وارساؤها وقد ذكرنا تفسيره في الحجة وقال الضحاك كانوا اذا ارادوا ان تجري السفينة قالوا بسم الله مجربها فجرت واذا ارادوا ان تقف السفينة قالوا بسم مرسيها فوقفت (ان ربي لغفور رحيم) هذا حكاية عما قاله نوح لقومه ووجه اتصاله بما قبله انه لما ذكرت النجاة بالركوب في السفينة ذكرت النعمة بالمغفرة والرحمة لتجتلبا باطاعة كما اجتلبت النجاة بركوب السفينة (وهي تجري بهم في موج كالجبال) معناه ان السفينة كانت تجري بنوح ومن معه على الماء في امواج كالجبال في عظمها وارتفاعها ودل بتشبيها بالجبال على ان ذلك لم يكن موجا واحدا بل كان كثيرا وروي عن الحسن ان الماء ارتفع فوق كل شي وفوق كل جبل ثلاثين ذراعا وقال غيره خمسة عشر ذراعا وقيل ان سفينة نوح سارت بعشر مضين من رجب فسارت ستة اشهر حتى طافت الارض كلها لا تستقر في موضع حتى اتت الحرم فطافت بموضع الكعبة اسبوعا وكان الله سبحانه رفع البيت إلى السماء ثم سارت بهم حتى انتهت إلى الجودي وهو جبل بأرض الموصل فاستقرت عليه اليوم العاشر من المحرم وروي اصحابنا عن ابي عبد الله (ع) ان نوحا ركب السفينة في اول يوم مسن رجب فصام وأمر من معه أن يصوموا ذلك اليوم وقال من صام ذلك اليوم تباعدت عنه النار مسيرة سنة (ونادى نوح ابنه) كنعان وقيل ان اسمه يام (وكان في معزل) أي في قطعة من الارض غير القطعة التي كان نوح فيها حين ناداه وقيل معناه كان في ناحية من دين أبيه أي قد اعتزل دينه وكان نوح يظن انه مسلم فلذلك دعاه وقيل كان في معزل من السفينة (يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) دعا ابنه إلى أن يركب معه في السفينة ايسلم من الفرق قال الحسن كان ينافق اياه فلذلك دعاه وقال ابو مسلم دعاه بشرط الايمان ومعناه يا بني آمن بالله ثم اركب معنا ولا تكن على دين الكافرين وعلى القول الأول يكون معناه لا تتخلف مع الكافرين فتغرق معهم فأجابته ابنه (قال سأوي إلى جبل) أي سأرجع إلى مأوى من جبل (يعصمني من الماء) ان يعني من آفات الماء (قال) نوح (لا عاصم اليوم من امر الله إلا من رحم) أي لا مانع ولا دافع اليوم من عذاب الله إلا من رحمه الله بإيمانه فأمن بالله يرحمك الله (رحال بينها الموج فكان) أي فصار (من المغرقين)

قوله تعالى (٤٤) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَيْ مَاءكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ

وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ آية

اللغة

البلع اجراء الشئ في الخلق إلى الجوف والاقلاع اذهاب الشئ من اصله حتى لا يرى له أثر يقال اقلعت السماء إذا ذهب مطرها حتى لا يبقى شئ منه واقلع عن الأمر إذا تركه رأسا

المعنى

ثم بين سبحانه الحال بعد انتهاء الطوفان فقال (وقيل يا ارض ابلمي ماءك) أي قال الله سبحانه للارض

انشفي ماوك الذي نبتت به العيون واشربي ماوك حتى لا يبقى على وجهك شيء منه وهذا اخبار عن ذهاب الماء عن وجه الارض بأوجز مدة فجرى مجرى ان قيل لها ابلعي فبلعت (وياسماء اقلعي) اي وقال تعالى للسماء ياسماء امسكي عن المطر وهذا اخبار عن اقشاع السحاب وانقطاع المطر في أسرع زمان فكأنه قال لها اقلعي فأقلعت (وغيض الماء) اي ذهب به عن وجه الارض إلى باطنه والمعنى ونشفت الارض ماءها ويقال ان الارض ابتلعت جميع مائها وماء السماء لقوله وغيض الماء ويقال لم تبتلع ماء السماء لقوله ابلعي ماوك وان ماء السماء صار بحارا وانهارا وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام (وقضي الأمر) اي وقع اهلاك الكفار على التمام وفرغ من الأمر وقيل وقضي الأمر بنجاة نوح ومن معه (واستوت على الجودي) اي استقرت السفينة على الجبل المعروف قال الزجاج هو بناحية آمد وقال غيره بقرب جزيرة الموصل قال زيد بن عمرو بن نفيل

سبحانه ثم سبحانا يعود له وقبله سبح الجودي والجمد

وقال ابو مسلم الجودي اسم لكل جبل وارض صلبة وفي كتاب النبوة مسنداً إلى ابي بصير عن ابي الحسن علي بن موسى بن جعفر عليهما السلام قال كان نوح لبث في السفينة ماشاء الله وكانت مأورة فخلى سبيلها فأوحى الله إلى الجبال اني واضع سفينة نوح على جبل منكن فظاوات الجبال وشمخت وتواضع الجودي وهو جبل بالموصل فضرب جوجو السفينة الجبل فقال نوح عند ذلك يا مارياتقن وهو بالعربية يا رب اصلح وفي رواية أخرى يارهمان اتقن وتأويله يا رب احسن وقيل ارست السفينة على الجودي شهرا (وقيل بعدا للقوم الظالمين) اي قال الله تعالى ذلك ومعناه أبرد الله الظالمين من رحمته لا يبرادهم أنفسهم مورد الهلاك وإنما انتصب على المصدر وفيه معنى الدعاء ويجوز ان يكون هذا من قول الملائكة او من قول نوح والمؤمنين وفي هذه الآية من بدائع الفصاحة وعجائب البلاغة ما لا يقاربه كلام البشر ولا يدانيه منها انه خرج مخروج الأمر وإن كانت الارض والسماء من الجماد ليكون أدل على الاقتدار ومنها حسن تقابل المعنى واتلاف الألفاظ ومنها حسن البيان في تصوير الحال ومنها الابعاز من غير اخلال إلى غير ذلك مما يعلمه من تدبره وله معرفة بكلام العرب ومحاوراتهم ويروى ان كفار قريش أرادوا أن يتعاطوا معارضة القرآن فعكفوا على باب البر ولحوم الضأن وسلاف الحمر اربعةين يوماً لتصفو أذهانهم فلما أخذوا فيما أرادوا سمعوا هذه الآية فقال بعضهم لبعض هذا كلام لا يشبهه شيء من الكلام ولا يشبه كلام المخلوقين وتركوا ما أخذوا فيه وافترقوا

قوله تعالى (٤٥) وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٦) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٧) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٨) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُنْتَعِبُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمُ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٩) تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ الكسائي ويعقوب وسهل انه عمل غير صالح على الفعل ونصب غير والباقون عمل اسم مرفوع منون

غير بالرفع وقرأ ابن كثير فلا تسألن مشددة النون مفتوحة وقرأ ابو عمرو ويعقوب وسهل فلا تسألني خفيفة النون
مشبهة الياء وقرأ اهل الكوفة خفيفة النون بغير ياء وقرأ أهل المدينة غير قالون فلا تسألني مشددة النون مشبهة
الياء وقرأ ابن عامر وقالون فلا تسألن مشددة النون مكسورة بغير ياء

✽ الحجة ✽

قال ابو علي من قرأ انه عمل فنون فالمراد ان سوءا لك ما ليس لك به علم عمل غير صالح ويحتمل ان يكون
الضمير في انه لما دل عليه قوله اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فيكون تقديره ان كوزك مع الكافرين
وانحيازك اليهم وتركك الركوب معنا والدخول في جملتنا عمل غير صالح ويجوز أن يكون الضمير لابن نوح كأنه
جعل عملا غير صالح كما يجعل الشيء الشيء لكثرة ذلك منه كقولهم الشعر زهير او يكون المراد انه ذوعمل
غير صالح فحذف المضاف ومن قرأ انه عمل غير صالح فيكون في المعنى كقراءة من قرأ انه عمل غير صالح وهو
يجعل الضمير لابن نوح وتكون القراءة تان متفقتين في المعنى وإن اختلفتا في اللفظ ومن ضعف هذه القراءة بأن
العرب لا تقول هو يعمل غير حسن حتى يقولوا عمل غير حسن فالقول فيه انهم يقيمون الصفة مقام الموصوف عند
ظهور المعنى فيقول القائل قد فعلت صوابا وقلت حسنا بمعنى فعلت فعلا صوابا وقلت قولنا حسنا قال عمر بن ابي ربيعة

أيها القائل غير الصواب

آخر النصح واقل عتابي

وقال ايضا

وكم من قتيل ما يناء به دم
ومن مالى عينيه من شيء غيره
ومن علق وهن إذا لفه منا
إذا راح نحو الجرة البيض كالدمى

اراد وكم من انسان قتيل ونظائره كثيرة ومن قرأ فلا تسألن بفتح اللام ولم يكسر النون عدى السؤال
إلى مفعول واحد في اللفظ والمعنى على التعدي إلى مفعول ثان ومن كسر النون هاهنا فإنه يدل على تعدية السؤال
إلى مفعولين ﴿احدهما﴾ اسم المتكلم والآخر اسم الموصول وحذفت النون المتصلة بياء المتكلم لاجتماع
النونات كما حذفت النون من قولهم انى كذلك وكما حذفت النون من قوله «يسوء الغاليات إذا فليتي» وأما
اثبات الياء في الوصل فهو الأصل وحذفها اخف والكسرة تدل عليها

✽ الاعراب ✽

قوله ما ليس لك به علم يحتمل قوله به في الآية وجهين ﴿احدهما﴾ أن يكون كقوله «كان جزائي
بالعصا ان اجلدا» إذا قدمت بالعصا وكقوله وكانوا فيه من الزاهدين وإني لكما لمن الناصحين وانا على ذلكم من
الشاهدين وزعم ابو الحسن أن ذلك إما يجوز في حروف الجر والتقدير فيه التعليق بضمير يفسره هذا الذي ظهر
بعد وإن كان لا يجوز تسلطه عليه ومثل ذلك قوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين فانتصب يوم
يرون بما دل عليه لا بشرى يومئذ ولا يجوز لما بعد لا هذه ان يتسائط على يوم يرون وكذلك اني لكما لمن الناصحين
متعلق بما دل عليه النصح المظهر والتقدير اني ناصح لكما لمن الناصحين وكذلك به في قوله ما ليس لك به علم
يتعلق بما يدل عليه قوله علم الظاهر وان لم يجوز أن يعمل فيه والوجه الآخر أن يكون متعلقا بالمستقر وهو العامل فيه
كتعلق الظرف بالمعاني كما تقول ليس لك فيه رضا فيكون به في الآية بمنزلة فيه والعلم يراد به العلم المتيقن الذي
يعلم به الشيء على الحقيقة ليس العلم الذي يعلم به الشيء على ظاهره كالذي في قوله فان علمتموهن مؤمنات ونحو
ما يعلمه الحاكم بشهادة الشاهدين وقرار المقر بما يدعي ونحو ذلك مما يعلم به العلم الظاهر الذي يسع الحاكم
الحكم بالشيء معه تلك من انباء الغيب تلك مبتدأ ومن انباء الغيب الخبر ونوحها اليك خبر ثان وإن شئت
كان في موضع الحال اي تلك كائنة من انباء الغيب موحاة اليك وان شئت كان تلك مبتدأ ونوحها الخبر والجار

من صلة نوحها أي تلك نوحها اليك من أبناء الغيب ولا يجوز أن يكون من زيادة على تقدير تلك أبناء الغيب لأنها لا تتراد في الموجب ويجوز على قول الآخفش

« المعنى »

ثم حكى سبحانه تام قصة نوح (ع) فقال (ونادى نوح ربه) نداء تعظيم ودعاء (فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق) معناه يامالكى وخالقي ورازقي وعدتني بتنجية أهلي وإن ابني من أهلي وإن وعدك الحق لا خلف فيه فنجبه إن كان ممن وعدتني بنجاته (وأنت أحكم الحاكمين) في قولك وفعلك (قال) الله سبحانه (إن نوح انه ليس من أهلك) وقد قيل في معناه أقوال **﴿﴾** أحدها **﴿﴾** انه كان ابنه لصلبه والمعنى انه ليس من أهلك الذين وعدتكم بنجاتهم معك لان الله سبحانه قد استثنى من أهله الذين وعده ان ينجيهم من أراد اهلاكم بالقرع فقال إلا من سبق عليه القول عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة واختاره الجبائي **﴿﴾** وثانيها **﴿﴾** ان المراد بقوله ليس من أهلك انه ليس على دينك فكان كفره أخرجه عن ان يكون له احكام أهله عن جماعة من المفسرين وهذا كما قال النبي عليه وآله السلام سلمان منا أهل البيت وإنما أراد على ديننا وروى علي بن مهزيار عن الحسن بن علي الوشاء عن الرضا (ع) قال قال ابو عبد الله (ع) ان الله تعالى قال لنوح انه ليس من أهلك لأنه كان مخالفا له وجعل من اتبعه من أهله ويؤيد هذا التأويل ان الله سبحانه قال على طريق التعليل إنه عمل غير صالح فبين انه إنما خرج عن احكام أهله لكفره وسوء عمله وروى عن عكرمة انه قال كان ابنه ولكنه كان مخالفا له في العمل والنية فمن قيل انه ليس من أهلك **﴿﴾** وثالثها **﴿﴾** انه لم يكن ابنه على الحقيقة وإنما ولد على فراشه فقال (ع) انه ابني على ظاهر الامر فاعلمه الله تعالى أن الأمر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امرأته عن الحسن ومجاهد وهذا الوجه بعيد من حيث ان فيه منافاة القرآن لانه تعالى قال ونادى نوح ابنه ولان الانبياء يجب ان ينزهوا عن مثل هذه الخال لانها تعير وتشين وقد نزه الله انبياءه عما دون ذلك توقيرا لهم وتعظيما عما ينفر من القبول منهم وروى عن ابن عباس انه قال ما زنت امرأة نبي قط وكانت الخيانة من امرأة نوح انها كانت تنسبه إلى الجنون والخيانة من امرأة لوط انها كانت تدل على اضيافه **﴿﴾** ورابعها **﴿﴾** انه كان ابن امرأته وكان ربيبه ويمضه قراءة من قرأ ابنه بفتح الهاء وابنها والمعتمد المعول عليه في تأويل الآية القولان الأولان (انه عمل غير صالح) قد ذكرنا الوجه في القراءتين واختار المرتضى (رض) في تأويله ان التقدير ان ابنك ذو عمل غير صالح واستشهد على ذلك بقول الخنساء

ما ام سقب على بوّ تطيف به

ترتع ما رعت حتى إذا ادكرت

أرادت فإني ناهي ذات اقبال وادبار قال ومن قال ان المعنى إن سؤالك اياي ما ليس لك به علم عمل غير صالح

فلن من امتنع من أن يقع على الأنبياء شي من القبائح يدفع ذلك فإذا قيل له فلم قال (فلا تسألن ما ليس لك به علم) وكيف قال نوح رب إني اعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم قال لا يستنع أن يكون نهي عن سؤال ما ليس لك به علم وان لم يقع منه وان يكون تعوذ من ذلك وان لم يوقعه كما نهى الله سبحانه نبيه عن الشرك في قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وإن لم يجز وقوع ذلك منه وإنما سأل نوح (ع) نجاة ابنه بشرط المصلحة لا على سبيل القطع فلما بين الله تعالى ان المصلحة في غير نجاته لم يكن ذلك خارجا عما تضمنه السؤال وقوله (إني اعظك) أي احذرك والوعظ الدعاء إلى الحسن والجزر عن الفبيح على وجه الترغيب والترهيب (أن تكون من الجاهلين) معناه لا تكن منهم قال الجبائي يعني اني اعظك لئلا تكون من الجاهلين ولا شك ان وعظه سبحانه يصرف عن الجهل وينزه عن القبائح (قال) نوح عند ذلك (رب اني اعوذ بك ان أسألك ما ليس

لي به علم) اي اعتصم بك ان اسألك ما لا اعلم انه صواب وانك تفعله ومعنى العياذ بالله الاعتصام به طلبا للنجاة ومعناه ههنا الخضوع والتذلل لله سبحانه ليوفقه ولا يكله إلى نفسه وإِنما حذف يا من قوله رب واثبه في قوله يا نوح لأن ذلك نداء تعظيم وهذا نداء تنبيه فوجب ان يأتي بحرف التنبيه (وإلا تغفر لي وترحمي اكن من الخاسرين) إنما قال ذلك على سبيل التخضع والاستكانة لله تعالى وإن لم يسبق منه ذنب ثم حكى الله سبحانه ما أمر به نوحا حين استقرت السفينة على الجبل بعد خراب الدنيا بالطوفان فقال (قيل يا نوح اهبط) اي انزل من الجبل أو من السفينة (بسلام منا) اي بسلامة منا ونجاة منا وقيل بتحية وتسليم منا عليك (وبركات عليك) اي ونعم دائمة وخيرات نامية ثابتة حالا بعد حال عليك (وعلى أمم ممن معك) يعني الأمم الذين كانوا معه في السفينة من المؤمنين والأمة الجماعة الكثيرة المتفقة على ملة واحدة وقيل معناه وعلى أمم من ذرية من معك وقيل يعني بالأمم سائر الحيوان الذين كانوا معه لأن الله تعالى جعل فيها البركة (وأمم ستمتعهم ثم يسهم منا عذاب أليم) معناه انه يكون من نسلهم أمم ستمتعهم في الدنيا بضروب من النعم فيكفرون ونهلكهم ثم يسهم بعد الهلاك عذاب مؤلم وإنما ارتفع أمم لأنه استأنف الاخبار عنهم وروي عن الحسن انه قال هلك المتمتعون في الدنيا لأن الجهل يغلب عليهم والعقل فلا يتفكرون إلا في الدنيا وعمارتها وملاذها ثم اشار سبحانه إلى ما تقدم ذكره من اخبار قوم نوح فقال (تلك) اي تلك الأنبياء (من انباء الغيب) اي من اخبار ما غاب عنك معرفته ولو قال ذلك كان جائزا لأن المصادر قد يكفى عنها بالتذكير كما يكفى بالتأنيث بقولون قدم فلان ففرحت بها اي بقدمته وفرحت به اي بقدومه (نوحيا اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا) اي ان هذه الاخبار التي اعلناها كما لم تكن تعلمها انت ولا قومك من العرب يعرفونها من قبل إيماننا اليك لأنهم لم يكونوا اهل كتاب وسير وقيل من قبل هذا القرآن وبيان القصص فيه (فاصبر) اي فاصبر على القيام بأمر الله وعلى أذى قومك يا محمد كما صبر نوح على أذى قومه وهذا أحد الوجوه التي لأجلها كرر الله قصص الأنبياء عليهم السلام ليصبر النبي ﷺ على ما كان يقاسيه من أمور الكفار الجهال حالا بعد حال (ان العاقبة للمتقين) اي ان العاقبة المحمودة وخاتمة الخير والنصرة للمتقين كما كانت لنوح (ع)

قوله تعالى (٥٠) وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥١) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥٢) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٣) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٤) إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنْ أَسْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٥) مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ (٥٦) إِنِّي نَوَّكَتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٧) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ (٥٨) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٩) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ

وَأَتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٦٠) وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدَ لَعَادِ قَوْمِ هُودٍ احدى عشرة آية كوفي وعشر في الباقيين عد الكوفي ما نشر كون آية

✽ اللغة ✽

الفطر الشق عن أمر الله كما ينفطر الورق عن الشجر ومنه فطر الله الخلق لأنه بمنزلة ماشق عنه فظهر المدرار الدار الكثير المتتابع على قدر الحاجة إليه دون الزائد المفسد المضر ومفعال للمبالغة كقولهم معطار ومقداموا تترك من قولهم عراه يعروه إذا أصابه قال الشاعر [من القوم يعروه اجترأ ومأثم] والفرق بين الإظهار والتأخير ان الإظهار امهال لينظر صاحبه في أمره والتأخير خلاف التقديم والناصية قصاص الشعر واصله الاتصال من قولهم مفازة تناصي مفازة إذا كانت الأخيرة متصلة بالأولى قال «في تناصيها بلادني» وقال ابو النجم

ان يمس رأسي اشمط العناصي كأننا فرقه المناصي

أي يجاذب ليتصل به في مرة . العنيد العاتي الطاغى عند بعند عنوداً إذا تجبر وعند عن الأمر إذا حاد عنه فهو عائد وعنود

(- الاعراب -)

أخاهم نصب بتقدير ارسلنا كأنه قال وارسلنا إلى عاد أخاهم وهو دا عطف بيان وعاد مصروف لأن المراد به الحي وقد يقصد به القبيلة فلا يصرف قال

لو شهد عاد في زمان عاد لا قبرها مبارك الجلالد(?)

غيره من ضم الراء حمل الصفة على الموضع ومن جره حمل على اللفظ قوله ان تقول إلا اعتبارك بعض آهتنا بسوء وقال صاحب كتاب كشف الجامع النحوي ان حرف تقي لحقت تقول فنفت جميع القول إلا قولاً واحداً وهو قولهم اعتبارك بعض آهتنا بسوء والتقدير ما تقول قولاً إلا هذه المقالة والفعل يدل على المصدر وعلى الظرف وعلى الحال ويجوز ان يذكر الفعل ثم يستثنى من مدلوله ما دل على من المصادر والظروف والأحوال فنقول اعتبارك مستثنى من المصدر الذي دل عليه نقول كقوله تعالى أفما نحن بمبتين إلا موتتنا الأولى فنصب موتتنا على الاستثناء لأنه مستثنى من ضروب الموت الذي دل عليه قوله بمبتين ومما جاء من ذلك في الظروف قوله ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار فساعة استثناء مما دل عليه يلبثوا من الأوقات ومما جاء من ذلك في الحال قوله ضربت عليهم الذلة أينما نقفوا إلا ببجل من الله التقدير ضربت عليهم الذلة في جميع الأحوال أينما نقفوا إلا متمسكين ببجل أي بعهد من الله انتهى كلامه وقوله فإن تولوا تقديره فإن تولوا فحذف احدى النائين لدلالة الكلام عليه وقوله بعداً لعاد منصوب على المصدر أي ابعدهم الله بعداً فوقع بعداً موقعاً أبعاد كما وقع نبات موقع انبات في قوله والله انتكم من الارض نباتا

(- المعنى -)

ثم عطف سبحانه قصة هود على قصة نوح فقال (وإلى عاد أخاهم هوداً) أراد أخاهم في النسب دون الدين (قال يا قوم اعبدوا الله) وحده وأطيعوه دون الأصنام (ما لكم من إله غيره) دخول من يفيد التعميم تهي ان يكون لهم معبود يستحق العبادة غير الله عز اسمه (إن أنتم إلا مفترون) أي ما أنتم إلا كاذبون في قولكم إن الأصنام الهة (يا قوم لا أسألكم عليه أجراً) أي لست اطلب منكم على دعائي لكم إلى عبادة الله جزاء

(إن أجري إلا على الذي فطرني) أي ليس جزائي إلا على الله الذي خلقتني (أفلا تعقلون) عني ما أقول لكم فتعلمون أن الأمر على ما أقوله (ويا قوم أستغفروا ربكم ثم توبوا إليه) قد بينا وجه تقديم الاستغفار على التوبة في أول هذه السورة (يرسل السماء عليكم مدرارا) أي يرسل المطر عليكم متتابعاً متواتراً داراً وقيل أنهم كانوا قد اجذبوا فوعدهم هود أنهم إن تابوا اخضبت بلادهم وامرعت وهادهم وأثمرت اشجارهم وزكت ثمارهم ينزل الغيث الذي يعيشون به وهذا مثل قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب (ويزدكم قوة إلى قوتكم) فسرت القوة هنا بالمال والولد والشدة وكل ذلك مما يتقوى به الإنسان قال علي بن عيسى يريد عزاً إلى عزكم بكثرة عددكم و أموالكم وقيل قوة في إيمانكم إلى قوة ابدانكم (ولا تتولوا) عما أدعوكم إليه (مجرمين) أي مشركين كافرين (قالوا يا هود ما جئنا ببينة) أي بحجة ومعجزة تبين صدقك (وما نحن بتاركي آلتهنا عن قولك) أي لسنا بتاركي عبادة الأصنام لأجل قولك وقيل إن عن جعلت مكان الباء فمعناه بقولك (وما نحن لك بمؤمنين) أي مصدقين وإنما حملهم على دفع البينة مع ظهورها أشياء معها تقليد الآباء والرؤساء ومنها اتقاهم لمن جاء بها حيث لم ينظروا فيها ومنها أنه دخلت عليهم الشبهة في صحتها ومنها اعتقادهم لأصول فاسدة دعوتهم إلى جحدها وإنما حملهم على عبادة الأوثان أشياء منها اعتقادهم أن عبادتها تقر بهم إلى الله زلفى ومنها أن الشيطان ربما القى إليهم أن عبادتها تحظيهم في الدنيا ومنها أنهم ربما اعتقدوا مذهب المشبهة فآخذوا الأوثان على صورته عندهم فعبدوها (إن نقول إلا اعتراك بعض آتتنا بسوء) هذا تمام الحكاية عن قوم هود جواباً لهود والمعنى لسنا نقول فيك إلا أنه أصابك بعض آتتنا بسوء فخبيل عقلك لثمتك لها وسبك إياها ذهب إليه ابن عباس ومجاهد (قال) أي قال هود لقومه (إني أشهد الله وأشهدوا) أي وأشهدكم أيضاً بعد إيمانهم بالله (إني بريء مما تشركون من دونه) أي إن كنتم تزعمون أن آلهتكم عاقبتني لطعني عليها فإني على بصيرة في البراءة مما تشركونه مع الله من آلهتكم التي تزعمون أنها أصابتني بسوء وإنما أشهدهم على ذلك وإن لم يكونوا أهل شهادة من حيث كانوا كفاراً فساقاً إقامة للحجة عليهم لا لتقوم الحجة بهم فقال هذا القول أعتذاراً وانذاراً وقيل أنه أراد بقوله أشهدوا واعلموا كما قال شهد الله أي علم الله (فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون) أي فاحتالوا واجتهدوا انتم وآلهتكم في أنزال مكروه بي ثم لا تميلوني قال الزجاج وهذا من أعظم آيات الأنبياء أن يكون الرسول وحده وامته متعاونة عليه فيقول لهم كيدوني فلا يستطيع واحد منهم ضره وكذلك قال نوح لقومه فاجمعوا أمركم وشركاءكم الآبئة وقال نبينا ^{صلى الله عليه وسلم} فإن كان لكم كيد فكيدون ومثل هذا القول لا يصدر إلا عن من هو واثق بنصر الله وبأنه يحفظه عنهم ويعصمه منهم ثم ذكر هود (ع) هذا المعنى فقال (إني توكلت على الله ربي وربكم) أي فوضت أمري إلى الله سبحانه متمسكاً بطاعته تاركاً لمعصيته وهذا هو حقيقة التوكل على الله سبحانه (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) أي ما من حيوان يدب على وجه الأرض إلا وهو مالك لها بصرفها كيف يشاء. وبقرها وجعل الأخذ بالناصية كتابة عن القهر والقدرة لأن من أخذ بناصية غيره فقد قهره وأذله (إن ربي على صراط مستقيم) أي أنه سبحانه مع كونه قاهراً على عدل فبايعامل به عباده والمعنى أنه يعدل ولا يجور وقيل معناه إن ربي في تدبير عباده على طريق مستقيم لا عوج فيه ولا اضطراب فهو يجري على سبيل الصواب ويفعل ما يقتضيه الحكمة (فإن تولوا) هذا حكاية عما قاله هود (ع) لقومه والمعنى فإن تولوا ويجوز أن يكون حكاية عما قاله سبحانه لهود والمعنى فإن تولوهم (ف) قل لهم (قد ابغتكم ما أرسلت به إليكم) أي ليس ذلك لتقصير مني في إبلاغكم وإنما هو لسوء اختياركم في اعراضكم عن نصحي فقد ابغتكم جميعاً ما أوحى إلي (ويستخلف ربي قوماً غيركم) أي ويهلككم ربي بكفركم ويستبدل بكم قوماً غيركم يوحدهونه ويعبدونه (ولا تضررونه شيئاً) يعني إذا استخلف غيركم فبجعلهم بدلاً منكم لا تقدررون له على ضرر وقيل معناه لا تضررونه بتوليكم

واعراضكم شيئاً ولا ضرر عليه في اهلاكم لأنهم لم يخلقكم لحاجة منه اليكم (إن ربي على كل شيء حفيظ) يحفظه من الهلاك إن شاء وبهلكه إذا شاء وقيل معناه إن ربي يحفظني عنكم وعن إذاكم وقيل معناه إن ربي على كل شيء من أعمال عباده حفيظ حتى يجازيهم عليها (ولما جاء امرنا) بهلاك عاد (نجينا هوداً والذين آمنوا معه) من الهلاك وقيل انهم كانوا اربعة آلاف (برحمة منا) أي بما أربناهم من الهدى والبيان عن ابن عباس وقيل برحمة منا أي بنعمة منا وهي النجاة أي أنجيناهم برحمة ليعلم انه عذاب اريد به الكفار لا اتفاق وقع (ونجيناهم من عذاب غليظ) أي كما نجيناهم من عذاب الدنيا نجيناهم من عذاب الآخرة والغليظ الثقيل العظيم ويحتمل أن يكون هذا صفة للعذاب الذي عذب به قوم هود ثم ذكر سبحانه كفر عاد فقال (وتلك) أي وتلك القبيلة (عاد جعدوا بآيات ربهم) يعني معجزات هود الدالة على صحة نبوته (وعصوا رسله) إنما جمع الرسل وكان قد بعث اليهم هود لأن من كذب رسولا واحداً فقد كفر بجميع الرسل ولأن هوداً كان يدعوهم إلى الإيمان به وبمن تقدمه من الرسل وبما انزل عليهم من التكتب فكذبوا بهم جميعاً فلذلك عصوهم (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) أي واتبع السفلة والسقاط الرؤساء وقيل إن الجبار من يقتل ويضرب على غضبه والعنيد الكثير العناد الذي لا يقبل الحق (واتبعوا في هذه الدنيا لعنة) أي واتبع عاداً بعد اهلاكم في الدنيا بالابعاد عن الرحمة فإن الله تعالى ابعدهم من رحمته وتعبد المؤمنون بالدعاء عليهم باللعن (ويوم القيامة) أي وفي يوم القيامة يبعدون من رحمة الله كما بعدوا في الدنيا منها ويلعنون بأن يدخلوا النار فإن اللعنة الداء بالاببعاد من قولك لعنة إذا قال عليه لعنة الله وأصله الإبعاد من الخير (ألا) ابتداء وتنبية (إن عاداً كفروا ربهم) أراد ربهم فحذف الباء كما قالوا امرتك الخير أي بالخير (ألا بعداً لعاد قوم هود) أي ابعدهم الله من رحمته فبعدوا بعداً

قوله تعالى (٦١) وَإِلَى ثَمُودَ آيَاتِهِمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦٢) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٣) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَإِنِّي مِمَّنْ رَحِمَةً فَمَنْ يَبْضُرُّ فِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٤) وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوْهَا نَأْ كُلَّ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٥) فَفَعَّرُوْهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مُكَذَّبٍ (٦٦) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٧) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٨) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعِثْنَا لَثَمُودَ ثَمَانِي آيَاتٍ

✽ القراة ✽

قرأ أهل المدينة غير اسماعيل والكسائي والبرجمي والشموني عن أبي بكر عن عاصم ومن خزري يومئذ بفتح الميم ههنا وعذاب يومئذ في المعارج والباقون بكسر الميم على الإضافة وقرأ حمزة وحفص عن عاصم ويعقوب إلا أن ثمود غير منون في جميع القرآن وقرأ الباقر ثموداً بالتونين ههنا وفي الفرقان والعنكبوت والنجم لأنه مكتوب

بالألف في هذه المواضع واو بكر عن عاصم بقرأ وثود في والنجم بغير تنوين وبنون الباقي وروى عنه البرجمي ومحمد بن غالب عن الأعشى في والنجم بالتنوين ايضا وقرأ الكسائي وحده الأ بعدا لثمود بالجر والتنوين والباقيون لثمود بفتح الدال

-(الحجة)-

قال ابو علي قوله ومن خزري يومئذ يوم في قوله يومئذ ظرف فتحت او كسرت في المعنى إلا انه اتسع فيه فجعل اسما كما اتسع في قوله بل مكر الليل والنهار فأضيف المكر اليها وإنما هو فيها فكذلك العذاب والخزري والفرع في قوله من فزع يومئذ اضمن إلى اليوم والمعنى على ان ذلك كله في اليوم كما ان المكر في الليل والنهار بذلك على ذلك قوله ولعذاب الآخرة أجزى وقوله لا يميز نهم الفرع الاكبر وقوله ففزع من في السموات ومن في الارض وقوله ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيتنا واما من كسر الميم من يومئذ فلان يوما اسم معرب فأضيف اليه ما أضيف من العذاب والخزري والفرع فانجر بالاضافة ولم يفتح اليوم فتبنيه لإضافته إلى المبني لأن المضاف منفصل من المضاف اليه ولا يلزمه الإضافة فلما لم يلزم الاضافة المضاف لم يلزم فيه البناء بذلك على ذلك انك تقول ثوب خز ودار زيد فلا يجوز فيه إلا الاعراب وإن كان الاسمان جعلتا بمعنى الحرف فلم يلزمها البناء كما يلزم ما لا ينفك منه معنى الحرف نحو ابن وكيف ومتى فلما لم يبين المضاف للاضافة وإن كان قد عمل عمل الحرف من حيث كان غير لازم كذلك لم يبين يوم للاضافة الى اذ لأن اضافته لم تلزم كما لم يبين المضاف وإن كان قد عمل في المضاف اليه بمعنى اللام او بمعنى من لما لم تلزم الاضافة واما من فتح فقال من عذاب يومئذ ومن خزري يومئذ ففتح مع انه في موضع جر فلان المضاف يكتسي من المضاف اليه التعريف والتنكير ومعنى الاستفهام والجزاء في نحو غلام من تضرب وغلام من تضرب اضربه والنفي في نحو قولهم ما اخذت باب دار احد فلما كان يكتسي من المضاف اليه هذه الاشياء اكتسى منه الاعراب والبناء ايضا اذا كان المضاف من الأسماء الشائعة نحو يوم وحين ومثل ويشبه بهذا الشياخ الأسماء الشائعة المبنية نحو ابن وكيف ولو كان المضاف مخصوصا نحو رجل وغلام لم يكتسب منه البناء كما اكتسى منه الاسماء الشائعة فمما جاء من ذلك قوله

على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت ألماصح والشيب وازع

ومن ذلك قوله انه لحق مثل ما انكم تنطقون فمثل في موضع رفع في قول سيبويه وقد جرى وصفا على الكسرة إلا انه فتح للإضافة إلى ما ومن ذلك قول الشاعر

وتداعى منخراه بدم مثل ما أثمر حماض الجبل

لما اضاف مثل إلى المبني وكان اسما شائعا بناه ولم يعربه وذهب ابو عثمان إلى انه جعل مثلا مع ما بمنزلة اسم واحد فبنى مثلا على الفتح ولا دلالة قاطعة على هذا القول في هذا البيت وإن كان ما ذهب اليه مستقيا فاما الكسرة في إذ فالتقاء الساكنين وذلك ان إذ من حكمها أن تضاف الى الجملة من الابتداء والخبر فلما اقتطعت عنها الاضافة نونت ليبدل التنوين على ان المضاف اليه قد حذف فكسرت الدال لسكونها وسكون التنوين وقال في صرف ثمود وترك صرفه ان هذه الأسماء التي تجري على القبائل والاحياء على ضروب * احدها * أن يكون اسما للحى والاب * والآخر * ان يكون اسما للقبيلة * والثالث * ان يكون الغالب عليه الأب والحى والقبيلة * والرابع * أن يستوي ذلك في الاسم فيجري على الوجهين ولا يكون لأحد الوجهين مزية على الآخر في الكثرة فمما جاء على انه اسم الحى قولهم ثقيف وقريش وكل ما لا يقال فيه بنو فلان واما ما جاء اسما للقبيلة فنحو تميم قالوا تميم بنت مر قال سيبويه سمعناهم يقولون فيس ابنة غيلان وتميم صاحبة ذلك وقالوا تغلب ابنة وائل قال

لولا فوارس تغلب ابنة وائل نزل العدو عليك كل مكان

واما ما غلب عليه اسم الحي او القبيلة فقد قالوا باهلة بن اعصر وقالوا يعصر وباهلة اسم امرأة قال سيبويه ولكنه جعل اسم الحي ومجوس لم يجعل الاسم القبيلة وتميم اكثرهم يجعله اسم القبيلة ومنهم من يجعله اسم الأب فأما ما استوى فيه ان يكون اسما للقبيلة وان يكون اسما للحي فقال سيبويه هو ثمود وسبأ فهما مرة للقبيلتين ومرة للحيين وكثرتهما سواء قال وعاداً وثمودا وقال الا ان ثمودا كفروا ربهم وقال وآتيننا ثمود الناقة فإذا اسنوى في ثمود ان يكون مرة للقبيلة ومرة للحي فلم يكن لحمه على احد الوجوهين مزية في الكثرة فمن صرف في جميع المواضع كان حسناً ومن لم يصرف في جميع المواضع كان حسناً وكذلك ان صرف في موضع ولم يصرف في موضع آخر إلا انه لا ينبغي ان يخرج عما قرأت به القراء فإن القراءة سنة متبعة ومن ذلك قول الشاعر

كسا الله حي تغلب ابنة وائل من اللوم اظفارا بطيئاً نصولها

فقال حي ثم قال ابنة وائل فجمع بين الحي والقبيلة وأما قوله

أولئك أولى من يهود مدحة إذا انت يوماً قلتها لم تؤنب

فقد قامت الدلالة على أن يهود استعملت على انها للقبيلة وليس للحي في قوله أولئك أولى من يهود لأن يهود لو كان للحي لصرف وانشد ابو الحسن

فرت يهود واسلمت جيرانها صى لما فعلت يهود صام

وكذلك جاء في الحديث تقسم يهود ومثل يهود في هذا مجوس في قول الشاعر «كنار مجوس تستعراستعاراً» إلا ترى انه لو كان للحي دون القبيلة لانصرف

✽ اللغة ✽

الإشياء إيجاد ابتداء من غير استعانة بشيء من الاسباب وانشأ فلان حديثاً او شعراً والاستعمار جعل القادر يعمر الأرض كعمارة الدار ومنه العمرى في الفقه وهو أن يقول اعطيتك هذه الدار عمري او عمرك والمس واللمس بمعنى وفرق علي بن عيسى بينهما بأن المس قد يكون بين جمادين واللمس لا يكون إلا بين حيين لما فيه من الإدراك والجنوم السقوط على الوجه وقيل هو القعود على الركبة وغني بالمكان إذا أقام به والمغنى المنزل قال النابغة

غنيت بذلك إذ هم لك جيرة منها بعطف رسالة وتودد

وأصل الغنى الاكتفاء ومنه الغنى بالمال والغناء بالمد الصوت الذي يكتفى به والغناء الاكتفاء بحال الشيء ومنه غني بالمكان لا كنفائه بالإقامة فيه

✽ الاعراب ✽

أرأيت لا مفعول له ههنا لأنه معلق كما يعلق إذا دخل الجملة لام الابتداء في مثل قوله قد رأيت لزيد خير منك فكذلك الجزاء وجواب انت الأولى الفاء وجواب ان الثانية محذوف وتقديره ان عصيته فمن ينصرفي إلا انه استغنى بالأول فلم يظهر ومن ينصرفي صورته صورة الاستفهام ومعناه النفي فكأنه قال فلا ناصر لي من الله ان عصيته وإنما جاز الغاء رأيت هنا لأنها دخلت على جملة قائمة بنفسها من جهة انها تفيد لو انفردت عن غيرها وهو بتعلق بمعناها دون تفصيل لفظها وقوله فيأخذكم جواب النهي بالفاء ولذلك نصبه وتقديره لا يقع منكم مسها بسوء فإن يأخذكم عذاب قريب أي فإخذ عذاب عاجل إياكم وإيام أصله ابوام قلبت الواو ياء وادغمت الياء الأولى فيها

* المعنى *

ثم عطف سبحانه على ذلك قصة صالح فقال (والى ثمود اخاهم صالحا) وكان ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام وكان عاد باليمن عن الجبائي (فقال لهم) صالح (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من آله غيره) مضى تفسيره (هو انشاؤكم من الارض) أي ابدأ خلقكم من الارض لأنه خلق آدم من الأرض ومرجع نسبكم اليه (واستعمركم فيها) أي جعلكم عمار الارض بأن مكنكم من عمارتها وأحوجكم إلى السكنى فيها وقيل معناه واعمروا لكم مدة اعماركم من العمرى عن مجاهد وقيل معناه وأطال فيها اعماركم عن الضحاك قال وكانت اعمارهم من ألف سنة إلى ثلاثمائة سنة وقيل معناه امركم من عمارتها بما تحتاجون اليه من المساكن والزرعات وغرس الأشجار وفي هذا دلالة على فساد قول من حرم المكاسب لأنه سبحانه امتن على عباده بأن مكنهم من عمارة الارض ولو كان ذلك محرما لم يكن لذلك وجه (فاستغفروهم ثم توبوا اليه) أي فاستغفروهم من الشرك والذنوب ثم دوموا على التوبة (إن ربي قريب) يرحمته لمن وحده (محيب) لمن دعاه (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) أي كنا نرجو منك الخير لما كنت عليه من الأحوال الجميلة قبل هذا القول فالآن يشنا منك ومن خيرك بإبداعك ما ابدعت وقيل معناه كنا نرجوك ونظنك عوننا لنا على ديننا (أنتهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) استفهام معناه الانكار كأنهم أنكروا أن ينهى الانسان عن عبادة ما عبده آباؤه (والنا لفي شك مما تدعوننا اليه) من الدين (مريب) موجب للريبة والتهمة إذ لم يكن آباؤنا في جهالة وضلالة (قال) صالح لهم (يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي) مر بيانه فيما قبل (وأتاني منه رحمة) أي وأعطاني الله منه نعمة وهي النبوة (فمن ينصرنى من الله إن عصيته) أي فمن يمنع عذاب الله عني إن عصيته مع نعمته علي* (فا تزيدوني غير تخسير) أي ما تزيدوني بقولكم أنتهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا غير نسبي إياكم إلى الخسارة والتخسير مثل التفسيق والتفجير قال ابن الاعرابي يريد غير تخسير لكم لآلئ وقال ابن عباس ما تزيدوني إلا بصيرة في خسارتكم وقيل معناه ان أجبتمكم إلى ما تدعونني اليه كنت بمنزلة من يزداد الخسران (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) أشار إلى ناقته التي جعلها الله معجزته لأنه سبحانه أخرجها لهم من جوف صخرة يشاهدونها على تلك الصفة وخرجت كما طلبوه وهي حامل وكانت تشرب يوما جميع الماء فتنفرد به ولا ترد الماء معها دابة فإذا كان يوم لا ترد فيه وردت الواردة كلها الماء وهذا اعظم آية ومعجزة وانتصب آية على الحال من ناقة الله فكانه قال انتبهوا اليها في هذه الحال والمعنى ان شككم في نبوتي فهذه الناقة معجزة لي وأضافها إلى الله تشريفا لها كما يقال بيت الله (فدروها تأكل في أرض الله) أي فاتركوها في حال أكلها فتكون تأكل في أرض الله جملة منصوبة الموضع على الحال ويجوز أن يكون مرفوعا على الاستئناف والمعنى فإنها تأكل في أرض الله من العشب والنبات (ولا تمسوها) أي لا تصيبوها (بسوء) قتل او جرح او غيره (فياخذكم) ان فعلتم ذلك (عذاب قريب) أي عاجل فهلككم (فمقروها) أي عقروها بعضهم ورضي به البعض وانما عقروها احمر ثمود وضربت به العرب المثل في الشؤم (فقال) صالح (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام) أي تلذذوا بما تريدون من المدركات الحسنة من المناظر والاصوات وغيرها مما يدرك بالحواس في بلادكم ثلاثة أيام ثم يحل بكم العذاب بعد ذلك ويقال للبلاد دار لأنها تجمع أهلها كما تجمع الدار أهلها ومنه قولهم ديار ربيعة وديار مضر وقيل في داركم يعني دار الدنيا وقيل معنى قوله تمتعوا في داركم عيشوا في بلدكم وعبر عن الحياة بالتمتع لأن الحي يكون متمتعا بالحواس قالوا لما عمرت الناقة صعد فصيها الجبل ورغا ثلاث مرات فقال

صالح لكل رغبة اجل يوم فاصفرت الوانهم اول يوم ثم احمرت في الغد ثم اسودت اليوم الثالث فهو قوله (ذلك وعد غير مكذوب) أي ان ما وعدتكم به من العذاب ونزوله بعد ثلاثة أيام وعد صدق لا كذب فيه وروى جابر بن عبد الله الانصاري أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك قام فخطب الناس وقال يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات فهو لا قوم صالح سألوا نبيهم ان يبعث لهم الناقة وكانت ترد من هذا الفج فاشرب ماءهم يوم ورودها ويجلبون من لبنها مثل الذي كانوا يشربون من ماؤها يوم غبها فتوا عن أمر ربهم فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام وكان وعدا من الله غير مكذوب ثم جاءتهم الصيحة فأهلك الله من كان في مشارق الأرض ومغاربها منهم إلا رجلا كان في حرم الله فنعاه حرم الله من عذاب الله تعالى يقال له ابورغال قيل له يا رسول الله من ابورغال قال ابو قحيف (فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) مر تفسيره في قصة عاد (ومن خزري يومئذ) قال ابن الانباري هذا معطوف على محذوف تقديره نجينا من العذاب ومن خزري يومئذ أي من الخزري الذي ازمهم ذلك اليوم والخزري العيب الذي تظهر فضيخته ويستحي من مثله (ان ربك هو القوي) أي القادر على ما يشاء (العزيز) الذي لا يمتنع عليه شيء ولا يمنع عما أراده (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) قيل ان الله سبحانه أمر جبرائيل فصاح بهم صيحة ماتوا عندها ويجوز ان يكون الله تعالى خلق تلك الصيحة التي ماتوا عندها (فأصبحوا في ديارهم) أي منازلهم (جاثمين) أي ميتين واقعين على وجوههم ويقال جاثمين أي قاعدين على ركبهم وإنما قال فأصبحوا لأن العذاب أخذهم عند الصباح وقيل أنهم الصيحة ليلا فأصبحوا على هذه الصفة والعرب تقول عند الامر العظيم واسوء صباحاه (كان لم يغنوا فيها) أي كان لم يكونوا في منازلهم قط لا تقطع آثارهم بالهلاك إلا ما بقي من اجسادهم الدالة على الخزري الذي نزل بهم (الا ان شئد كفروا ربهم الا بعدا لشود) قد سبق تفسيره

قوله تعالى (٦٩) وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا اِبْرَاهِيْمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ اَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيْدٍ (٧٠) فَلَمَّا رَأَى اَيْدِيَهُمْ لَا نُصَلُّ اِلَيْهِ نَكْرَهُمْ وَاَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ اِنَّا اَرْسَلْنَا اِلَيْ قَوْمِ لُوطٍ (٧١) وَاَمْرَانَهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاَهَا بِاِسْحَاقَ وَمِنْ وَّرَآءِ اِسْحَاقَ يَعْقُوْبَ (٧٢) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى اَلَّذِى وَاَنَا عَجُوْزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا اِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيْبٌ (٧٣) قَالُوا اَنْعَجِبِيْنَ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ رَحْمَتُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ اَهْلَ الْبَيْتِ اِنَّهُ حَمِيْدٌ مَّجِيْدٌ (٧٤) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ اِبْرَاهِيْمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَى مُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٥) اِنَّ اِبْرَاهِيْمَ لَحَكِيْمٌ اَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٦) يَا اِبْرَاهِيْمُ اَعْرِضْ عَنْ هَذَا اِنَّهُ قَدْ جَاءَ اَمْرُ رَبِّكَ وَاِنَّهُمْ لَأَتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُوْدٍ سبع آيات عند البصريين ثمان عند غيرهم لم يعد البصري في قوم لوط آية

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة والكسائي قال سلم بكسر السين وسكون اللام هنا وفي الذاريات وقرأ الباقون قال سلام وقرأ يعقوب بالنصب ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم وقرأ الباقون ويعقوب بالرفع وفي الشواذ قراءة الاعمش وهذا بعلي شيخ بالرفع

* الحجة *

قال ابو علي اخبر ابو اسحاق عن محمد بن يزيد قال السلام اربعة اشياء منها مصدر سلمت والسلام شجر قال الا سلام وحرمل والسلام جمع سلامة والسلام اسم من اساء الله تعالى وقوله دار السلام يحتمل أن يكون مضافة الى الله تعظيها لها ويحتمل أن يكون دار السلامة من العقاب فمن حصل فيها كان على خلاف من وصف بقوله ويأتيه الموت من كل مكان واما انتصاب قوله سلاما فلا أنه لم يحك شيئا تكلمه وابه فيحكي كما يحكي الجمل ولكن هو معنى ما تكلمت به الرسل كما ان القائل إذا قال لا إله إلا الله فقلت حقا او قلت اخلاصا أعمت القول في المصدرين لأنك ذكرت معنى ما قال ولم تحك نفس الكلام الذي هو جملة تحكى فكذلك نصب سلاما في قوله قالوا سلاما لما كان معنى ما قيل ولم يكن نفس المقول بعينه فأما قوله وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال سيبويه زعم ابو الخطاب ان مثله يريد مثل قولك سبحان الله الذي تفسيره براة الله من سوء وقولك للرجل سلاما تريد مسلما منك لا ابتلي بشي من امرك فعلى هذا المعنى وجه ما في الآية قال وزعم ان قول أمية

سلامك ربنا في كل فجر بريا ما يعيبك الذموم

على قوله برئت ربنا من كل سوء واما قوله قال سلام فسلام مرفوع لأنه من جملة الجملة المحكية والتقدير فيه سلام عليكم فحذف الخبر كما حذف من قوله فصبر جميل أي صبر جميل امثل او يكون المعنى أمرى سلام وشأنى سلام كما ان قوله فصبر جميل يصلح ان يكون المحذوف منه المبتدأ ومثل ذلك قوله فاصفح عنهم وقل سلام على حذف المبتدأ الذي سلام خبره واكثر ما يستعمل سلام بغير ألف ولام وذلك لأنه في معنى الدعاء فهو مثل قولهم خير بين يديك ولما كان في معنى المنصوب استجيز فيه الابتداء بالنكرة فمن ذلك قوله قال سلام عليك سأستغفرك ربي وقال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال سلام على نوح في العالمين سلام على ابراهيم وسلام على عباده الذين اصطفى وقد جاء بالألف واللام قال سبحانه والسلام على من اتبع الهدى والسلام على يوم ولدت وزعم ابو الحسن ان في العرب من يقول سلام عليكم ومنهم من يقول السلام عليكم فالذين أحقوا الألف واللام حملوه على المهود والذين لم يلحقوه حملوه على غير المهود وزعم ان منهم من يقول سلام عليكم فلا ينون وحمل ذلك على وجهين * احدهما * انه حذف الزيادة من الكلمة كما يحذف الأصل من نحو قولك لم يك ولا ادر ويوم يأت * والآخر * انه لما كثر استعمال هذه الكلمة وفيه الألف واللام حذفها منه لكثرة الاستعمال كما حذفنا من اللهم فقالوا «لاهم ان عامر الفجور» قد حبس الخليل على يعمر» واما من قال سلم فإن سلما يحتمل امرين * احدهما * ان يكون بمعنى سلام فيكون المعنى امرنا سلم او سلم عليكم ويكون سلم في الآية بمعنى سلام كقولهم حل وحلال وحرم وحرام فيكون على هذا قراءة من قرأ سلام وسلم بمعنى واحد وإن اختلف اللفظان * والآخر * أن يكون سلم خلاف العدو والحرب لأنهم لما كفوا عن تناول ما قدمه اليهم فنكرهم وأوجس الخيفة منهم قال انا سلم ولست بحرب ولا عدو فلا تمنعوا من تناول طعامي كما يمنع من تناول طعام العدو ومن قرأ ومن وراء اسحاق يعقوب بالرفع كان رفعه بالابتداء او بالظرف في قول من رفع به ومن فتح فقال يعقوب احتمال ثلاثة اضرب * احدها * أن يكون يعقوب في موضع جر أي فبشرناها باسحاق ويعقوب قال

ابو الحسن وهذا اقوى لأنها بشرت بها قال وفي اعمالها ضعف لأنك فصلت بين الجار والمجرور بالظرف
 * والآخر * أن تحمله على موضع الجار والمجرور كقوله «إذا ما تلاقينا من اليوم او غدا» و كقراءة من
 قرأ و حورا عيننا بعد يطاق عليهم بكذا ومثله «ولسنا بالجبال ولا الحديد» * والثالث * أن يحمل على فعل
 مضمرة كأنه قال فبشرناها باسحاق ووهبنا له يعقوب فأما الأول فقد نص سيبويه على فتح مثله نحو مررت
 بزید اول من أمس وأمس عمرو وكذلك قال ابو الحسن لو قلت مررت بزید اليوم وأمس عمرو لم يحسن
 واما الحمل على الموضع على حد مررت بزید وعمرو فالفصل فيه ايضا قبيح كما قبح الحمل على الجر وذلك ان
 الفعل يصل بحرف العطف وحرف العطف هو الذي يشرك في الفعل وبه يصل الفعل الى المفعول به كما يصل
 بحرف الجر ولو قال مررت بزید قائما يحمل الحال من المجرور لم يميز التقديم عند سيبويه لأن الجار هو الموصل
 للفعل فكما قبح التقديم عنده لضعف الجار العامل كذلك الحرف العاطف مثل الجار في انه يشرك في الفعل
 كما يوصل الجار الفعل ولبس نفس الفعل العامل في الموضعين جميعا وإذا كان كذلك قبح الفصل بالظرف
 في العطف على الموضع وقبح ايضا الفصل في الرفع والنصب كما قبح في الجر لأن العاطف فيهما مثله في الجار
 وليس العامل في نفس الرفع والنصب كما ان العامل فيما بعد حرف العطف ليس الجار انما يشر به فيه العاطف
 وقد جاء ذلك في الشعر قال الأعشى

يوما تراها كشيبة اردية الحمى س ويوما أدبها نغلا

فصل بالظرف بين المشترك في النصب وما اشركه فيه فإذا قبح الفصل في الحمل على الموضع كما قبح
 الفصل في الحمل على الجار فينبغي أن يحمل قراءة من قرأ يعقوب بالنصب على فعل آخر مضمرة يدل عليه
 بشرنا كما تقدم ولا يحمل على الوجهين الآخرين واما الرفع في قوله شيخ فقيه وجوه * احدها * ان يكون
 بعلي خبر المبتدأ وشيخ يدل من بعلي فيكون كأنه قال هذا شيخ * والآخر * ان يكون شيخ خبر مبتدأ
 محذوف ويكون هذا بعلي كلاما تاما يحسن الوقف عليه و * الثالث * ان يكون بعلي بدلا من هذا وشيخ
 هو الخبر فيكون تقديره بعلي شيخ و * الرابع * ان يكون بعلي وشيخ جميعا خبرا عن هذا كقولك هذا
 حاو حامض اي قد جمع الحلاوة والحموضة فكذلك ههنا تقديره هذا جمع البعولة والشيخوخة قال ابن جني
 وهنا وجه خامس لكنه على قياس مذهب الكسائي وذلك انه يعتقد في خبر المبتدأ أبدا ان فيه ضميرا وإن
 لم يكن مشتقا من الفعل نحو زيد أخوك وهو يريد النسب فإذا كان كذلك فقياس مذهبه ان يكون شيخ
 بدلا من الضمير في بعلي لأنه خبر عن هذا

* اللغة *

العجل ولد البقرة والمعجول لغة فيه وجمعه العجاجيل وسمي بذلك لتعجيل أمره بقرب ميلاده والحنيذ
 المشوي وهو المحنوذ فعيل بمعنى مفعول يقال حنذه يحنذه حنذا قال العجاج «ورهباً من حنذه أن تهرجا»
 يعني الحمر الوحشية قال الزجاج الحنيذ المشوي بالحجارة وقيل الحنيذ المشوي حتى يقطر والعرب تقول احنذ
 هذا الفرس أي اجعل عليه الحبل حتى يقطر عرقا وقيل الحنيذ المشوي فقط وقيل هو السميط ويقال نكرته
 وانكرته بمعنى واحد ونكرته اشد مبالغة وهي لغة هذيل والحجاز وانكرته لغة تميم قال الاعشى وجمع بين اللغتين
 وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلما

وقال ابو ذؤيب

فنكرنه فنفرن فامترست به هوجاء هادية وهاد جرشع
والايجاس الاحساس واوجس وتوجس أي أحس قال ذو الرمة

وقد توجس ركزا مفقر ندس بنبأة الصوت ما في سمعه كذب

ويقال أوجس خوفا أي أضمر والبعل الزوج وأصله القائم بالأمر يقولون للنخل الذي يستغني بماء السماء عن سقي الأنهار والعيون بعل لأنه قائم بالأمر في استغنائه عن تكلف السقي له ومنه قيل للرب والصاحب بعل والمعجب يجري على المصدر وعلى المتمجب منه تقول هذا أمر عجب ولا يجوز العجب من أمر الله تعالى لأنه يجب ان يعلم انه قادر على كل شيء من الأجناس لا يعجزه شيء وما عرف سببه لا يتعجب منه والمجيد الكريم يقال مجد الرجل يعجد مجادة إذا كرم قال الشاعر

رفعت مجد تميم يا هلال لها رفع الطرف على العلياء بالعمد
والروع الافراع يقال راعه يروعه إذا افزعه قال عنترة

ما راعني إلا حمولة أهلها وسط الديار تسف حب الحمخم

وارتاع ارتباعا إذا خاف والروع بضم الراء النفس يقال القي في روعي أي في نفسي وسميت بذلك لأنها موضع الروع والرد والدفع واحد وتقبضه الأخذ والفرق بين الرد والدفع ان الدفع قد يكون إلى جهة القدام والخلف والرد لا يكون إلا إلى جهة الخلف

-- « الاعراب » --

فما لبث ان جاء اي ما أقام حتى جاء بعجل وان جاء في موضع نصب بوقوع لبث عليه كأنه قال فما أبطأ عن مجيئه بعجل فلما حذف حرف الجر وصل الفعل وقال الفراء ويحتمل يكون موضعه رفعا بأن نجعل ان جاء فاعل لبث فكأنك قلت فما لبث مجيئه بعجل والفاء يابولتي يحتمل ان يكون الف ندبة ويحتمل أن يكون ياء الإضافة فانقلبت الفاء ومعناه الايدان بورود الأمر العظيم كما تقول العرب يا للدواهي أي تعالى فإنه من احيائك لحضور ما حضر من اشكالك ويجوز الوقف عليه بغير هاء والاختيار في الكلام ان يوقف عليه بالهاء يا ويلتهاء قال الزجاج اما المصحف فلا يخالف ولا يوقف عليه فإن اضطر واقف إلى أن يقف وقف عليه بغير هاء بالاختيار واما الهمزتان في قوله ألد ففيه ثلاثة أوجه إن شئت خفقت الأولى وحققت الثانية فقلت يا ويلتي ألد وإن شئت حققت الأولى وخفقت الثانية وهو الاختيار فقلت يا ويلتي ألد وإن شئت حققتها جميعا فقلت ألد وشيخنا منصوب على الحال قال الزجاج الحال هاهنا نصبها من لطيف النحو وذلك انك إذا قلت هذا زيد قائما فإن كنت تقصد أن تخبر من لا يعرف زيدا انه زيد لم يجوز أن تقول هذا زيد قائما لأنه يكون زيدا ما دام قائما فإذا زال عن القيام فليس بزيد وإنما تقول للذي يعرف زيدا هذا زيد قائما فيعمل في الحال التنبيه والمعنى انتبه زيد في حال قيامه او اشير لك الى زيد في حال قيامه لأن هذا إشارة الى ما حضر وقال غيره إن شئت جعلت العامل فيه معنى التنبيه وإن شئت جعلت العامل فيه معنى الإشارة وإن شئت اعمت فيه مجموعهما وكذا ما جرى مجراه تقول هذا زيد مقبلا ولا يجوز مقبلا هذا زيد لأن العامل ليس بفعل محض فإن قلت ها مقبلا ذا زيد وجعلت العامل معنى الإشارة

لم يجوز وإن جعلت العامل معنى التنبيه جاز. يجادلنا في موضع نصب لانه حكاية حال قد مضت وإلا فالجيد ان تقول لما قام قمت وبضعف ان تقول لما قام اقوم وعلى هذا فيكون جواب لما محذوف لدلالة الكلام عليه ويكون تقديره قلنا ان ابراهيم حلیم او ناديتاه يا ابراهيم اعرض عن هذا ويجوز ان يكون تقديره أخذ يجادلنا واقبل يجادلنا ويجوز أن يكون لما كان شرطا للماضي وقع المستقبل فيه في معنى الماضي كما أن أن لما كان شرطا للمستقبل وقع الماضي فيه في معنى المستقبل

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصة ابراهيم ولوط فقال سبحانه (ولقد جاءت رسلنا) يعني الملائكة وانما دخلت اللام لتأكيد الخبر ومعنى قد ههنا ان السامع لقصص الانبياء يتوقع قصة بعد قصة وقد للتوقع فجاءت لتوذن ان السامع في حال توقع واختلف في عدد الرسل فقبل كانوا ثلاثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل عن ابن عباس وقيل كانوا اربعة عن ابي عبد الله «ع» قال والرابع اسمه كروبل وقيل كانوا تسعة عن الضحاك وقيل احد عشر عن السدي وكانوا على صور الغلمان أتوا (ابراهيم) الخليل «ع» (بالبشرى) اي بالشارة باسحاق ونبوته وانه يولد له يعقوب عن الحسن والسدي والجبائي وروي عن ابي جعفر «ع» ان هذه البشارة كانت باسما عيل «ع» من هاجر وقيل البشارة بهلاك قوم لوط (قالوا سلاما) هذه حكاية ما قال رسل الله تعالى لابراهيم «ع» اي سلمنا سلاما بمعنى الدعاء له وقيل معناه أصبت سلاما اذ اعطاك الله سلاما اي سلامة كما يقال أهلا ومرحبا وكان تحية من الملائكة لابراهيم «ع» (فقال) ابراهيم مجيبا لهم (سلام) وقد مر تفسيره (فما لبث ان جاء بعجل حنيد) اي لم يتوقف حتى جاءهم على عادته في اكرام الاضياف وتقديم الطعام اليهم بعجل مشوي لانه توهم انهم اضياف لكونهم على صورة البشر وكان ابراهيم يحب الضيفان فجاءوه على احسن الوجوه اليه وصار لذلك من السنة أن يعجل للضيف الطعام وقيل ان معنى حنيد نضيج بالحجارة المحماة في خد من الارض عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل ان الحنيد ما حفرت له في الارض ثم غممه وهو فعل أهل البادية عن الفراء وقيل حنيد مشوي يقطر ماؤه عن ابن عطية (فلما رأى) ابراهيم (ايديهم) يعني ايدي الملائكة (لا تصل اليه) اي الى العجل (نكرهم) اي انكرهم (وأوجس منهم خيفة) اي اخضر منهم خوفا واختلف في سبب الخوف فقيل انه لما رآهم شبانا اقوياء وكان ينزل طرفا من البلد وكانوا يمتنعون من تناول طعامه لم يأمن ان يكون ذلك لبلاء وذلك ان اهل ذلك الزمان اذا أكل بعضهم طعام بعض أمنه صاحب الطعام على نفسه وماله ولهذا يقال تحرم فلان بطعامنا اي أثبت الحرمة بيننا بأكله الطعام وقيل انه ظنهم لصوصا يريدون به سوء او قيل انه ظن انهم ليسوا من البشر وانهم جاؤا لاصراع عظيم وقيل علم انهم ملائكة فخاف ان يكون قومه المقصودين بالعذاب حتى (قالوا) له (لا تخف) يا ابراهيم (إنا ارسلنا الى قوم لوط) بالعذاب والاهلاك لا الى قومك وقيل انهم دعوا الله فأحيا العجل الذي كان ذبحه ابراهيم وشواه فظفر ورعى فعلم حينئذ انهم رسل الله (وامرأته) سارة بنت هاران بن ياحور بن ساروع بن ارعوى بن فالغوهي ابنة عم ابراهيم (قائمة) من وراء الستر تسمع كلام الرسل وكلام ابراهيم عن وهب وقيل انها كانت بنت خالته وقيل كانت قائمة تخدم الرسل وابراهيم جالس معهم عن مجاهد وقيل كانت قائمة تصلي وكان ابراهيم جالسا وفي قراءة ابن مسعود وامرأته قائمة وهو جالس (فضحكت) قيل هو الضحك المعروف

الذي يعترى الانسان للفرح وقد يكون للتعجب فضحكت تعجبا من غفلة قوم لوط مع قرب نزول العذاب بهم عن فتادة وقيل تعجبا من امتناعهم عن الأكل وخدمتها أيام نفسها ولهذا يقال «وشر الشدائد ما يضحك» وقالت عجبا لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا تكرمه لهم وهم لا يتناولون من طعامنا وقيل ضحكت لأنها قالت لابراهيم اضمم لوطا ابن اختك اليك فإنني اعلم انه سينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما أتى الأمر على ماتوهمت عن الزواج وقيل تعجبا وسرورا من البشارة باسحاق لأنها كانت قد هرمت وهي ابنة ثمان وتسعين سنة او تسع وتسعين سنة وكان قد شلخ زوجها وكان ابن تسع وتسعين او مائة سنة وقيل مائة وعشرين سنة ولم يرزق لها ولد في حال شبابها وعلى هذا فيكون في الكلام تقديم وتأخير وتقديره فيبشرناها باسحاق ويعقوب فضحكت بعد البشارة وروي ذلك عن ابي جعفر «ع» (فبشرناها باسحاق) اي باين يسمى اسحاق نبيا (ومن وراء اسحاق يعقوب) يعني ومن بعد اسحاق يعقوب وقيل الوراثة ولد الولد عن ابن عباس اي فبشرناها بنبي بين نبين وهو اسحاق ابوه نبي وابنه نبي وقيل ان ضحكت بمعنى حاضت عن مجاهد وروي عن الصادق «ع» ايضا يقال ضحكت الارنب أي حاضت والضحك فتحة الضاد الحيض وفي لغة ابي الحرث بن كعب ضحكت النخلة إذا أخرجت الطلع او البسر والضحك الطلع وأشد بعضهم في الضحك بمعنى الحيض قول الشاعر

وضحك الأرنب فوق الصفا كمثل دم الجوف يوم اللقا

قال الفراء ولم اسمعه من ثقة والوجه فيه ان يكون على طريق الكتابة قال الكمي

فأضحكت السباع سيوف سعد لقتلى مادفن ولا ودينا

(قالت) سارة (يا ويلتي ألد وانا عجوز) أي هذا شيء عجيب ان ألد وقد شخت من زوج شيخ ولم تشك في قدرة الله تعالى ولكن إنما قالت ذلك لكونه خارجا عن العادة كما ولى موسى مديرا حين اقبلت عصاه حية حتى قيل له اقبل ولا تخف وإلا فهي كانت عارفة بأن الله تعالى بقدر على ذلك ولم ترد بقولها يا ويلتي الدعاء على نفسها بالويل ولكنها كلمة تجري على افواه النساء إذا طرأ عليهن ما يتعجبن منه وقيل انها لم تتعجب من قدرة الله ولكنها أرادت أن تعرف هل تتحول شابة أم تلد على تلك الحال وكل ذلك عجيب (وهذا بعلي شيخا) اي هذا الذي تعرفونه بعلي وهو شيخ (إن هذا) الذي بشرت به (لشيء عجيب قالوا) اي قالت الملائكة لها حين تعجبت من أن تلد بعد الكبر (أتعجبين من أمر الله) ومعنى الاستفهام ههنا التنبيه والتوقيف أي أتعجبين من ان يفعل الله تعالى ذلك بك ولزوجك (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أي ليس هذا موضع تعجب لأن التعجب إنما يكون من الأمر الذي لا يعرف سببه ونعمة الله تعالى وكثرة خيراته النامية الباقية عليكم وهذا يحتمل ان يكون اخبارا عن ثبوت ذلك لهم وتذكيرا بنعمة الله وبركاته عليهم ويحتمل أن يكون دعاء لهم بالرحمة والبركة من الملائكة فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم يا أهل البيت كما يقال أتتعجب من كذا بارك الله فيك وبرحمك الله ويعني بأهل البيت أهل بيت ابراهيم «ع» وإنما جعلت سارة من أهل بيته لأنها كانت ابنة عمه ولا دلالة في الآية على ان زوجة الرجل من أهل بيته على ما قاله الجبائي وروي ان امير المؤمنين «ع» مر بقوم فسلم عليهم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ومغفرته ورضوانه فقال «ع» لهم لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكة لأبينا ابراهيم «ع» رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت (انه حميد) أي محمود على افعاله وقيل الحميد الذي يحمد عباده على الطاعات (حميد) اي كريم وهو المبتدىء بالمعطية قبل الاستحقاق وقيل معناه واسع القدرة والنعمة عن ابي مسلم وروي ان سارة قالت لجبرئيل «ع» ما آية ذلك فأخذ بيده عودا يابساً فلواه بسين اصابعه فاهتز اخضر عن السدي (فلما ذهب عن ابراهيم الروح) أي الخوف والفرع الذي دخله من الرسل (وجاءته البشري) بالولد (بجادلنا في قوم لوط) اي يجادل رسلنا ويسألهم في قوم لوط وتلك المجادلة انه

قال لهم ان كان فيها خمسون من المؤمنين أهلكونهم قالوا لا قال فأربعون قالوا لا فما زال ينقص ويقولون لا حتى قال فواحد قالوا لا فاحتج عليهم بلوط وقال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بما فيها لننجينه وأهله عن قتادة وقيل انه جادلهم وقال بأبي شيء استحقوا عذاب الاستئصال وهل ذلك واقع لا محالة أم هو تخويف ليرجعوا إلى الطاعة بأي شيء يهلكون وكيف يجيئ الله المؤمنين عن الجبائي ولما سألهم سؤال مستقص سمي ذلك السؤال جدالا لأنه خرج مخرج الكشف عن شيء غامض (إن ابراهيم خليل أوام) مر معناه في سورة براءة (متنب) راجع إلى الله تعالى في جميع اموره متوكل عليه وفي هذا اشارة إلى أن تلك المجادلة من ابراهيم (ع) لم تكن من باب ما بكره لأنه مدحه بالحلم وبأن ذلك كان في أمر يتعلق بالرحمة ورقة القلب والرافة وذلك لأنه رأى الخلق الكثير في النار فنأوه لهم (يا ابراهيم اعرض عن هذا) هو حكاية ما قالت الملائكة لابراهيم (ع) فأني نادته بأن قالت يا ابراهيم اعرض عن هذا القول وهذا الجدل في قوم لوط وانصرف عنه بالذكر والفكر (انه قد جاء أمر ربك) بالعذاب فهو نازل بهم لا محالة (وانهم آتيتهم عذاب غير مردود) يعني غير مدفوع عنهم اي لا يقدر أحد على رده عنهم

قوله تعالى (٧٧) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٨) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَرْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٩) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٨٠) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨١) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَٰتِكَ إِنَّهُ مَصِيبُهُمَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَاهَا عَٰلِيهَا سَٰفِلِيهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ (٨٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّٰلِمِينَ بَبِيعِدٍ سبع آيات بلا خلاف وتنام الآية السادسة عند المدني الأخير قوله سجيل وعند الباقر قوله منضود

(القراءة) =

في الشواذ قراءة سعيد بن جبير والحسن بخلاف وعيسى الثقفي ومحمد بن مروان هن اطهر لكم بالنصب والقراءة المشهورة اطهر بالرفع وقراءة شيبه أو اوي بالنصب والقراءة العامة بالرفع وقرأ اهل الحجاز فاسر بأهلك وان اسر موصولة الهمز والباقون فاسر وان اسر بقطع الهمزة حيث كان وقرأ ابن كثير وابو عمرو إلا امرأتك بالرفع والباقون بالنصب

— الحجة —

أما قوله هن اطهر لكم فإن سيبويه ضعف هذه القراءة وقال فيها اجتنبى ابن مروان في لحنه قال ابن جنبي وإنما صح ذلك عنده لأنه ذهب إلى انه جعل هن فصلا وليست بين احد الجزأين اللذين هما مبتدأ وخبر ونحو ذلك نحو ظننت زيدا هو خير منك وكان زيد هو العالم ويجوز أن يكون بناتي هن جملة من مبتدأ وخبر في موضع الخبر لهؤلاء كقولك زيد اخوك هو وأن يكون اطهر حالا من هن او من بناتي والمعامل فيه معنى الإشارة كقولك

هذا زيد هو قائما ومن قرأ أو أوى بالنصب فيكون تقديره لو أن لي بكم قوة أو أويا إلى ركن شديد ويكون منتصبا
بإضمار أن وعليه بيت الكتاب

فلولا رجال من كرام اعزة وآل سبيع أو أسوأك علقما
والتقدير أو إن أسوأك فكأنه قال أو أياك مسألتي ومن قرأ فأمر بأهلك بإثبات الهمزة في اللفظ أو بغير
الهمزة فإن سري وأسرى معناهما سار ليلا قال النابغة

أسرت عليه من الجوزاء سارية
ويروى سرت وقال امرؤ القيس

سريت بهم حتى تكل مطيهم وحتى الجياد ما يقدن بأرسان
وقال سبحانه سبجان الذي أسرى بعبدته ومن قرأ إلا إمرأتك نصبا فإنه جعل الكلام قبله مستقلا بنفسه
فنصب مع النفي كما ينصب مع الإيجاب والوجه الأقيس الرفع على البدل من أحدلان معنى ما أتاني أحد إلا زيد
ما أتاني إلا زيد فكما اتفقوا فيما أتاني إلا زيد على الرفع وكان ما أتاني أحد إلا زيد بمنزلة وبمعناه اختاروا الرفع
مع ذكر أحد وما بقوي ذلك انهم في الكلام وأكثر الاستعمال يقولون ما جاءني إلا امرأة فيزدكرون حملا على
المعنى ولا يكادون يؤثون ذلك إلا في الشعر كما في قول الشاعر «فما بقيت إلا الضلوع الجراشع» وقول ذي الرمة
«وما بقيت إلا التحيرة والألواح والعصب» وزعموا أن في حرف عبد الله أو أبي فأسير بأهلك بقطع من الليل
إلا امرأتك وليس فيه ولا يلتفت منكم أحد وهذا بقوي قول من نصب

✽ اللغة ✽

اصل سي بهم سوي بهم من السوء فاسكنت الواو ونقلت كسرتها إلى السين ويقال سوته فسي كما يقال
شغلته فشغل ومررته فسر والفرق بين السوء والقيح أن السوء ما يظهر مكروهه لصاحبه والقيح ما ليس للقادر
عليه أن يفعل ويقال ضاق فلان بأمره ذرعا إذا لم يجد من المكروه في ذلك الأمر مخلصا والعصيب الشديد في
الشر خاصة واصله من الشد يقال عصبت الشيء أي شدته وعصبت فخذا الناقة لتدر وناقاة عصب ويوم عصب
وعصيب كأنه التف على الناس بالشر أو يكون التف شره بعضه ببعض قال الشاعر

فإنك إن لم ترض بكر بن وائل
وقال عدي بن زيد

و كنت لزاز خصمك لم أعرد
وقال الراجز

يوم عصب يعصب الأبطالا
والإهرع الإهرع في المشي قال مهلهل

فجأوا بهرعون وهم أنارى

وقال صاحب العين الإهرع السوق الخثيث قال أبو مسلم والقرآن بالسوق أشبه والركن معتمد البناء بعد
الأساس وركنا الجبل جانباه قال الراجز

يأوي إلى ركن من الأر كان

والشدة تجمع بعصب معه التفكك وقد تكون الشدة تقبضا يعسر معه التحلل والقطع القطعة العظيمة تمضي من

الليل وقيل نصف الليل كأنه قطع نصفين والالتفات افتعال من اللف وهو اللي يقال لفت فلانا عن رأيه أي صرفته وامرأة لفت لها ولد من غير زوجها وكأنها تلفت إلى ولدها ومنه الحديث في صفة النبي ^{صلى الله عليه وسلم} انه كان إذا التفت التفت مع أي كان لا بلوي عنقه بمئة ويسرة والسجيل فارسي معرب أي سنك وكل حجارة وطين وقال ابو عبيدة هو الحجارة الشديدة واشد لابن مقبل

ورجلة يضربون البيض ضاحية ضربا تواصي به الأبطال سجيننا

وسجين وسجيل بمعنى واحد والعرب تعاقب بين النون واللام فقبلت النون هاهنا لاما وقيل انه مشتق من اسجلته أي اعطيته فتقديره انها من مثل العطية في الادرار وقيل انه من السجل وهو الدلو العظيمة فتقديره انها من مثل السجل في الاوسال وقيل انه من اسجلته إذا ارسلته وكأنها مرسله عليهم وقيل انه من السجل وهو الكتاب فكأنها سجلت لهم والمراد كتب الله عليهم ان يعذبهم بها والمنضود من انضدت الشيء بعضه على بعض والمسومة من السياء وهي العلامة ومنه السائمة وهي المرسله في المرعى وذلك أن الإبل السائمة تختلط في المرعى فيجعل عليها السياء لتمييزها

❖ الإعراب ❖

يهرعون اليه في موضع نصب على الحال . من قبل ومن بعد مبنيان على الضم فإذا اضيفا اعرابا . لو أن لي بكم قوة جواب لو محذوف بدل الكلام عليه وتقديره خلقت بينهم وبينكم . انه مصيبيها ما اصابهم الهاء في انه ضمير الشأن والحديث ومصيبيها مبتدأ وما اصابهم موصول وصلته في موضع الرفع بكونه فاعل مصيبيها وقد سد مسد خبر المبتدأ . من سجيل في موضع نصب بكونه صفة لحجارة أي كائنة من سجيل . مسومة صفة أخرى لحجارة ويجوز ان يكون نصبا على الحال من الضمير المستكن في منضود

— المعنى —

ثم اخبر سبحانه عن اتيان الملائكة لوطا بعد خروجهم من عند ابراهيم «ع» وما جرى بينهم وبين قوم لوط فقال (ولما جاءت رسلنا لوطا) أي لما جاؤه في صفة الأدميين (سي بهم) أي ساءه مجيئهم لأنه خاف عليهم من قومه (وضاق بهم ذرعا) أي ضاق بمجيئهم ذرعه أي قلبه لما رأى لهم من جمال الصورة وحسن الشارة وقد دعوه إلى الضيافة وقومه كانوا يسارعون إلى امثالهم بالفاحشة وقيل معناه ضاق بحفظهم من قومه ذرعه حيث لم يجد سبيلا إلى حفظهم وكان قد علم عادة قومه من الميل إلى الذكور وقد أتوه في صورة الغلمان المرذواصله ان الشيء اذا ضاق ذرعه لم يتسع له ما اتسع فاستعار ضيق الذرع عند تعذر الامكان كما استعار الاتساع (وقال هذا يوم عصيب) أي هائل شديد كثير الشر التف الشر فيه بالشر وإنما قال ذلك لأنه لم يعلم أنهم رسل الله وخاف عليهم من قومه ان يفضحهم وقال الصادق (ع) جاءت الملائكة لوطا وهو في ذراعة قرب القرية فسلموا عليه ورأى هيئة حسنة عليهم ثياب بيض وعمائم بيض فقال لهم المنزل فتقدمهم ومشوا خلقه فقال في نفسه أي شيء صنعت آتي بهم قومي وانا اعرفهم فالتفت اليهم فقال انكم لتأتون شرارا من خلق الله وكان قد قال الله لجبرائيل لاتهلكهم حتى يشهد عليهم ثلاث مرات فقال جبرائيل هذه واحدة ثم مشى لوط ثم التفت اليهم فقال انكم لتأتون شرارا من خلق الله فقال جبرائيل هذه اثنان ثم مشى فلما بلغ باب المدينة التفت اليهم فقال انكم لتأتون شرارا من خلق الله فقال جبرائيل هذه الثالثة ثم دخل ودخلوا معه حتى دخل منزله فلما رأته امرأته رأت هيئة حسنة فصعدت فوق السطح فصفقت فلم يسمعوا فدخنت فلما رأوا الدخان اقبلوا يهرعون فذلك قوله (وجاءه قومه يهرعون اليه) أي يسرعون في المشي لطلب الفاحشة عن قتادة ومجاهد والسدي وقيل معناه يساقون وليس هناك سائق غيرهم فكان بعضهم يسوق بعضا عن ابي مسلم والهاء في اليه كناية عن لوط (ومن قبل) أي ومن قبل اتيان

الملائكة وقيل ومن قبل محبي قوم لوط الى ضيفانه وقيل من قبل مجيئهم الى داره عن الجبائي وقيل إنه من قبل بعثة لوط اليهم (كانوا يعملون السيئات) اي يعملون الفواحش مع الذكور (قال) لوط (يا قوم هؤلاء بناتي هن أظهر لكم) معناه أن لوطا لما هموا بأضيافه وجاهروا بذلك فالتقوا جلباب الحياء فيه عرض عليهم نكاح بناته وقال هن أحل لكم من الرجال فدعاهم إلى الحلال واختلف في ذلك فقيل أراد بناته لصلبه عن قتادة وقيل أراد النساء من أمته لأنهن كالبنت له فإن كل نبي أبو أمته وازواجه أمهاتهم عن مجاهد وسعيد بن جبير واختلف أيضا في كيفية عرضهن فقيل بالتزويج وكان يجوز في شرعه تجوز المؤمنة من الكافر وكذا كان يجوز أيضا في مبدئ الإسلام وقد زوج النبي ﷺ بنته من أبي العاص بن الربيع قبل ان يسلم ثم نسخ ذلك وقيل أراد التزويج بشرط الإيمان عن الزجاج وكانوا يخطبون بناته فلا يزوجهن منهم لكفرهم وقيل انهم كان لهم سيدان مطاعان فيهم فأراد أن يزوجهما ببنتيه زعوراء ورتيباء (فاتقوا الله) اي فاتقوا عقاب الله في مواقة الذكور (ولا تخزون في ضيفي) اي لا تلزموني عارا ولا تلحقوا بي فضيحة ولا تخجلوني بالهجوم على اضيافي فإن الضيف إذا نزل به معرفة لحق عارها للمضيف (اليس منكم رجل رشيد) أي اليس في جملةكم رجل قد أصاب الرشد فيعمل بالمعروف وينهى عن المنكر ويذكر هؤلاء عن قبيح فعلهم ويجوز أن يكون رشيد بمعنى مرشد اي يرشدكم الى الحق (قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) هذا جواب قوم لوط حين عرض عليهم بناته ودعاهم إلى النكاح المباح أي ما لنا في بناتك من حاجة لأن ما لا يكون للانسان فيه حاجة فإنه يرغب عنه كما يرغب عما لا حق له فيه فلذلك قالوا من حق وقيل معناه ما لنا فيهن من حق لأننا لا تزوجهن وكانوا يقرون بأن من لم يتزوج بامرأة فإنه لا حق له فيها عن الجبائي وابن اسحاق فالقول الأول محمول على المعنى والقول الثاني على ظاهر اللفظ (وانك لتعلم ما تريد) أي تعلم ميلنا إلى الغلمان دون النساء فلما لم يقبلوا الموعظة تأسف لوط على فقد تمكنه من دفاعهم بأن (قال لو ان لي بكم قوة) أي منعة وقدرة وجماعة اتقوى بها عليكم فأدفعكم عن اضيافي (أو آوي إلى ركن شديد) او أنضم الى عشيرة منيعة تنصرني وشيعة تمنعني لدفتكم ولكن لا يمكنني ان افعل ذلك قال الصادق عليه السلام فقال جبرئيل لو يعلم اي قوة له قال فكأبوه حتى دخلوا البيت فصاح به جبرئيل ان يا لوط دعهم يدخلوا فلما دخلوا اهوى جبرئيل بأصبه نحوهم فذهبت أعينهم وهو قوله فطمسنا أعينهم قال قتادة ذكر لنا ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد لوط إلا في عز من عشيرته ومنعة من قومه وروي عن النبي ﷺ انه قال رحم الله أخي لوطا كان بأوي إلى ركن شديد وهو معونة الله تعالى ولما رأت الملائكة ما لقيه لوط من قومه (قالوا يا لوط إنا رسل ربك) ارسلنا لهما كههم فلا تغتم (لن يصلوا اليك) اي لا ينالونك بسوء ابدأ (فاسر بأهلك) اي سر بأهلك ليلا وقال السدي لم يؤمن بلوط إلا ابتاه (بقطع من الليل) اي في ظلمة الليل عن ابن عباس وقيل بعد طائفة من الليل عن قتادة وقيل في نصف من الليل عن الجبائي (ولا يلفت منكم احد) قيل في معناه وجوه * احدها * لا ينظر احد منكم وراءه عن مجاهد كأنهم تعبدوا بذلك للنجاة بالطاعة في هذه العبادة * والثاني * لا يلفت احد منكم إلى ماله ولا متاعه بالمدينة وليس معنى يلفت من الرؤية عن الجبائي كأنه أراد في ان النظر اليهم عبرة فلم يتهوا عنها * والثالث * ان معناه ولا يتخلف منكم احد عن ابن عباس * والرابع * انه امرهم أن لا يلفتوا إذا سمعوا الوجبة والهدية (إلا امرأتك) وقيل انها التفت حين سمعت الوجبة فقالت يا قوماه فأصابها حجر فقتلها وقيل إلا امرأتك معناه لا تسر بها (انه مصيبيها ما أصابهم) أي يصيبها من العذاب ما أصابهم امرؤه ان يخلفها في المدينة (إن موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب) لما اخبر الملائكة لوطا بأنهم يهلكون قوم لوط قال لهم اهلكوهم الساعة لضيق صدورهم بهم وشدة غيظه عليهم فقالوا ان موعد اهلا كههم الصبح لم يجعل الصبح ظرفا وجعله خبر إن لأن الموعد هو الصبح وإنما قالوا له اليس الصبح بقريب تسلية له وقيل انه إنما قال لهم اهلكوهم الساعة فقالوا

ذلك وفي هذا دلالة على ان الله سبحانه إنما يهلك من يهلكه عند انقضاء مدته وإن ضاق صدر الغير به ويجوز أن يكون قد جعل الصبح ميقات اهلاكهم لأن النفوس فيه اودع والناس فيه اجمع (فلما جاء امرنا) فيه اقوال * احدها * جاء امرنا الملائكة باهلاك قوم لوط * والثاني * جاء العذاب كأنه قيل كن على التعظيم على طريق المجاز كما قال الشاعر

فقلت له العينان سمعا وطاعة وحدرتا كالدر لما يثقب

وعلى هذا فالامر هو قس العذاب * والثالث * جاء امرنا بالعذاب (جعلنا عاليها سافلها) اي قلبنا القرية اسفلها اعلاها فإن الله تعالى امر جبرائيل «ع» فأدخل جناحه تحت الأرض فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ثم قلبها ثم خسف بهم الأرض فهم يتجملجون فيها إلى يوم القيامة فعلى هذا يكون معنى جعلنا جعل بأمرنا وإنما اضافته إلى نفسه لانه امره به (وأمطرنا عليهم حجارة) أي وأمطرنا على القرية أي على الغائبين منها حجارة عن الجبائي وقيل امطرت الحجارة على تلك القرية حين رفعها جبرائيل وقيل وإنما امطرت عليهم الحجارة بعد ان قلبت قريتهم تغليظا للعقوبة وقيل كانت اربع مدائن وهي الموثفكات سدوم وعمورة ودوما وصبوام واعظمها سدوم وكان لوط يسكنها قال ابو عبيدة يقال مطر في الرحمة وامطر في العذاب (من سجيل) اي سنك كل عن ابن عباس وسعيد بن جبير بين بذلك صلابتها ومباينتها للبرد وانها ليست من جنس ما جرت به عادتهم في سقوط البرد من الغيوم وقيل ان السجين الطين عن قتادة وعكرمة ويؤيده قوله ليرسل عليهم حجارة من طين وروي عن عكرمة ايضا انه بحر معلق في الهواء بين الأرض والسماء منه ازلت الحجارة وقال الضحاك هو الآجر وقال الفراء هو طين قد طبخ حتى صار بمنزلة الارحاء وقال كان اصل الحجارة طينا فشدت عن الحسن وقيل ان السجيل سماء الدنيا عن ابن زيد فكأنت تلك الحجارة منزلة من السماء الدنيا (منضود) هو من صفة سجيل اي تضد بعضها على بعض حتى صار حجراً عن الربيع وقيل مصفوف في تتابع أي كان بعضها في جنب بعض عن قتادة وقيل يتبع بعضها بعضا عن ابن عباس (مشومة) هي من صفة الحجارة اي معلمة جعل فيها علامات تدل على انها معدة للعذاب وقيل مطوقة بها نضخ من حمرة عن قتادة وعكرمة وقيل كان مكتوبا على كل حجرة منها اسم صاحبها عن الربيع وقيل عليها سماء لا تشاكل حجارة الأرض عن ابن جريج وقيل مشومة عن الحسن والسدي وقيل مشورة (عند ربك) أي في علم ربك وقيل في خزائن ربك التي لا يملكها غيره ولا يتصرف فيها احد إلا بأمره (وماهي من الظالمين يبعيد) اي وما تلك الحجارة من الظالمين من امتك يا محمد يبعيد أراد بذلك ارباب قريش وقال قتادة ما اجار الله منها ظالماً بعد قوم لوط فاتقوا الله وكونوا منه على حذر وقيل يعني بذلك قوم لوط يريد انهم لم تكن تحطهم وذكر أن حجراً بقي معلقاً بين السماء والأرض اربعين يوماً يتوقع به رجلاً من قوم لوط كان في الحرم حتى خرج منه فأصابه قال قتادة وكانوا اربعة آلاف الف

قوله تعالى (٨٤) والى مدین اخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من االه غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيظ (٨٥) ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقيسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٨٦) بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ (٨٧) قالوا يا شعيب اصلاتك تا مراك ان تترك ما يعبد ابا ونا او ان تفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت

أَلْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٨) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا
وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي
إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٩) وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا
أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (٩٠) وَأَسْتَغْفِرُكُمْ
رَبِّكُمْ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩١) قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا
لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ (٩٢) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ
عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِي إِنْ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٣) وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا
عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا
إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٤) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ
الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٥) كَسَانُ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَّا بَعْدًا لِمَدِينٍ
كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ اثْنَا عَشْرَةَ آيَةً

❖ القراءة ❖

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر أصلاتك بغير واو على التوحيد والباقون أصلاتك بالواو على الجمع وفي الشواذ
قراءة السلمي بعدت ثمود بضم العين

❖ الحجة ❖

أما بعد فيكون في الخير والشر ومصدره البعد وبمعنى الشر خاصة ومصدره البعد ومنه أبده الله فإنه منقول
من بعد لأنه دعاء عليه وقراءة السلمي متفقة الفعل مع مصدره وإنما السؤال عن قراءة الجماعة إلا بعداً لمدين كما
بعدت ثمود وطريق ذلك أن يكون البعد بمعنى اللعنة فيكون أبده الله بمعنى لعنه الله ومنه قوله

ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين

أي المبعد فالإبعاد للشيء نقص له فقد التقى معنى بعد مع معنى بعد من هنا

= اللغة =

الوزن تعديلاً للشيء بغيره في الخفة والثقل بآلة التعديل وإذا قيل شعر موزون فمعناه معدل بالعروض والتوفيق
من الصواب إلا أنه اختص بهذا الاسم ما اتفق وقوع الصواب عنده وليس ذلك جنساً بعينه وإنما هو بحسب ما يعلم
الله تعالى وإنما لم يكن الموفق للطاعة إلا الله تعالى لأن أحداً لا يعلم ما يتفق عنده الطاعة من غير تعليم سواء
سبحانه والشقاق والمشاققة المباحدة بالعداوة إلى جانب المباشرة وشقها والفق فهم الكلام على ما تضمنه من المعنى وقد
صار علماً لضرب من علوم الدين وهو علم بمدلول الدلائل السمعية وأصول الدين علم بمدلول الدلائل العقلية
والرهط عشيرة الرجل وقومه وأصله الشد والترهيط شدة الأكل ومنه الرهاط جعر البريوع لشدته وتوسيعه
لينجس فيه ولده والرجم الرمي بالحجارة والأعز الأتقى الأمتنع والأعز تقيض الأذل والظهري جعل الشيء وراء
الظهر حتى ينسأه ويقال لكل من لا يعبأ باسمه قد جعل فلان هذا الأمر بظهره قال

تيم بن قيس لا تكون حاجتي بظهر فلا يعيا علي جوابها

✽ الإعراب ✽

أو ان فعل موضع ان نصب على معنى أو تأمرك ان تركوا ان فعل في اموالنا ما نشاء فهو معطوف على ما بعد أبونا والتقدير اصلتك تأمرك ان ترك عبادة آبائنا او فعل ما نشاء في اموالنا ولا يجوز أن يكون قوله ان فعل معطوفا على قوله ان ترك لأن المعنى بصير فاسداً وأوهنا بمنزلتها في قولك جالس الحسن او ابن سيرين وقوله ان يكن غنياً او فقيراً فالله اولى بها ولم يقل به وموضع من في قوله من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب له وجهان من الاعراب ﴿١﴾ احدهما ﴿٢﴾ أن يكون معلقاً بقوله تعلمون فيكون استفهاماً وتقديره فسوف تعلمون من المخزي ومن الكاذب ويجوز أن يكون من هو كاذب على هذا بمعنى الذي هو كاذب ويكون معطوفاً على الماء من يخزيه أي ويخزي الذي هو كاذب ﴿٣﴾ والثاني ﴿٤﴾ أن يكون من في قوله من يأتيه بمعنى الذي ويكون من هو كاذب عطفاً عليه وادخلوا هو في قوله من هو كاذب لأنهم لا يقولون من قائم ولا من قاعد وإنما يقولون من قام ومن يقوم ومن القائم ومن القاعد وقد ورد ذلك في الشعر قال الشاعر

من شارب مريح بالكأس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار

كأن لم يغنوا فيها يحتمل أن يكون كأن محققة من الثقبلة على أن يضم فيها كما يضم في ان من قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ويجوز أن يكون ان التي تنصب الفعل ويكون مع الفعل بمعنى المصدر

✽ المعنى ✽

ثم عطف سبحانه قصة شعيب على ما تقدمها من قصص الأنبياء عليهم السلام فقال (و إلى مدین) اي وارسلنا إلى اهل مدین (أخاهم شعيباً) فحذف اهل واقام مدین مقامه ومدین اسم القبيلة او المدينة التي كانوا فيها فلذلك لم ينصرف عن الزجاج وقيل مدین بن ابراهيم نسبوا اليه (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) قد سبق تفسيره (ولا تنقصوا المكيال والميزان) اي ولا تنقصوا حقوق الناس بالتطيف عند الكيل والوزن (إني أراكم يخير) اي برخص السعر والحطب عن ابن عباس والحسن والمعنى انه حذرهم الغلاء وهو زيادة السعر وزوال النعمة وحلول النعمة إن لم يتوب وقيل أراد بالخير المال وزينة الدنيا عن قتادة وابن زيد والضحاك والمعنى اني أراكم في كثرة الأموال وسعة الارزاق فلا حاجة بكم إلى نقصان الكيل والوزن (واني أخاف عليكم عذاب يوم محبط) وصف اليوم بالإحاطة بمعنى انه يحيط عذابه بجميع الكفار ولا يغفل منه احد منهم و اراد يوم القيامة عن الجبائي وهو من صفة العذاب على الحقيقة لأن اليوم محبط بعذابه بدلا من احاطته بنعمته وذلك اظهر في الوصف وأهول في النفس (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط) اي اوفوا حقوق الناس في المكيالات والموزونات بالمكيال والميزان بالعدل (ولا تبخسوا الناس) اي ولا تنقصوا الناس (اشياءهم) اي اموالهم في معاملاتهم (ولا تعسوا في الارض مفسدين) اي ولا تسعوا بالفساد ولا تضربوا في الارض (بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين) البقية بمعنى الباقي اي ما أبقى الله تعالى لكم من الحلال بعد اتمام الكيل والوزن خير من البخس والتطيف وشرط الايمان في كونه خيرا لهم لأنهم ان كانوا مؤمنين بالله عرفوا صحة هذا القول عن ابن عباس وقيل معناه ابقوا الله النعيم عليكم خير لكم مما يحصل من النفع بالتطيف عن ابن جبير وقيل معناه طاعة الله خير لكم من جميع الدنيا لأنها يبقى ثوابها أبداً والدنيا تفنى عن الحسن ومجاهد ويؤيده قوله والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا الاية وقيل بقية الله رزق الله عن الثوري (وما انا عليكم بحفيظ) اي وما انا بحافظ نعم الله تعالى عليكم ان يزيلها عنكم وإنما يحفظها الله عليكم فاطلبوا بقاء نعمه بطاعته وقيل معناه وما انا بحافظ لأعمالكم وإنما يحفظها الله فيجازيكم عليها وقيل معناه وما انا بحافظ عليكم كيحكم ووزنكم حتى توفوا

الناس حقوقهم ولا تظلموهم وانما علي ان انهاكم عنه (قالوا يا شعيب اصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آبائونا) انما
قالوا ذلك لأن شعيبا (ع) كان كثير الصلاة و كان يقول اذا صلى ان الصلاة رادعة عن الشرناهيبة عن الفحشاء والمنكر
فقالوا اصلاتك التي تزعم انها تأمر بالخير وتنهى عن الشر أمرتك بهذا عن ابن عباس وقيل معناه أدينك يا أمرك
بترك دين السلف عن الحسن وعطا وابي مسلم قالوا كنى عن الدين بالصلاة لأنها من أجل أمور الدين وإنما قالوا
ذلك على وجه الاستهزاء (أو أن تفعل في أموالنا ما نشاء) معناه اصلاتك تأمرك بترك عبادة ما يعبد آبائونا وبترك
فعل ما نشاء في أموالنا من البخس والتطيف (إنك لأنت الحلیم الرشید) قيل انهم قالوا ذلك على وجه المزور
والتهكم وأرادوا به ضد ذلك اي السفه الغاوي عن ابن عباس وقيل انهم قالوا ذلك على التحقيق اي انك أنت
الحليم في قومك فلا يليق بك ان تخالفهم والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة مستحقها والرشيد المرشد (قال)
شعيب (يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي) مر تفسيره (ورزقني منه رزقا حسنا) قيل ان الرزق الحسن
ههنا النبوة وقيل معناه هداني لدينه ووسع علي رزقه وكان كثير المال عن الحسن وقيل كل نعمة من الله سبحانه
فهو رزق حسن وفي الكلام حذف اي أفاضل مع ذلك عما انا عليه من عبادته وإنما حذف لدلالة ما ابقاه على ما القاه
(وما أريد ان أخالفكم الى ما انهاكم عنه) اي لست انهاكم عن شيء وادخل فيه وانما اختار لكم ما اختاره
لنفسى ومعنى ما أخالفكم اليه اي ما اقصد به بخلافكم الى ارتكابه عن الزجاج وهذا في معنى قول الشاعر

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقيل معناه وما أريد اجترار منفعة الى نفسي بما انهاكم عنه اي لا أمرك بترك التطيف في الكيل والوزن
لتكون منفعة ما يحصل بالتطيف لي (إن أريد إلا الإصلاح) اي لست اريد بما أمركم به وإنما لكم عنه إلا الإصلاح
أموركم في دينكم ودنياكم (ما استطعت) اي ما قدرت عليه وتمكنت منه (وما توفيقي إلا بالله) معناه
وليس توفيقي في امثال ما أمركم به والانتها عما أنهاكم عنه إلا بالله فلا يوفق غيره اي وليس ما افعله بحولي وقوتي بل
بعمرة الله ولطفه وتيسيره (عليه توكلت) والتوكل على الله الرضا بتدبيره مع تفويض الأمور اليه والتمسك بطاعته
(واليه أنيب) اي واليه ارجع في المعاد عن مجاهد وقيل اليه ارجع بعلمي ونيتي عن الحسن ومعناه اني اعمل اعمالى
كأها لوجه الله (ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي) اي لا يكسبنكم خلافي ومعاداتي (أن يصيبكم) عذاب العاجلة
عن الزجاج وقيل معناه لا تحملنكم عداوتي على مخالفة ربكم فيصيبكم من العذاب مثل ما اصاب من قبلكم
عن الحسن وكان سبب هذه العداوة دعاؤه لكم إلى مخالفة الآباء والأجداد في عبادة الأوثان وما يشغل عليهم من
الإيقاف في الكيل والميزان (مثل ما اصاب قوم نوح) من الهلاك بالغرق (او قوم هود) بالريح العقيم (او قوم
صالح) بالرجفة (وما قوم لوط منكم بعيد) اي هم قريب منكم في الزمان الذي بينه وبينكم عن قتادة
وقيل معناه ان دارهم قريبة من داركم فيجب أن تتعظوا بهم (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه) أي اطلبوا
المغفرة من الله ثم وصلوا اليها بالتوبة وقيل معناه استغفروا للماضي واعزموا في المستقبل وقيل استغفروا ثم دوموا
على التوبة وقيل استغفروا في العلانية ثم اضمروا الندامة في القلب عن الماضي (إن ربي رحيم) بعباده فيقبل
توبتهم ويعفو عن معاصيهم (ودود) اي محب لهم ومعناه يريد لمنافعهم وقيل معناه متودد الى عباده بكثرة
انعامه عليهم وقيل ودود بمعنى الواد أي يودهم إذا أطاعه وروي عن النبي ﷺ انه قال كان شعيب خطيب
الأنبياء (قالوا) اي قال قوم شعيب له حين سمعوا منه الوعظ والتخويف (يا شعيب ما نفقه كثيرا بما تقول)
اي ما نفهم عنك معنى كثير من كلامك وقيل معناه لا نقبل كثيرا منه ولا نعمل به وهذا كقولك إذا امرك إنسان
بشيء لا تريد ان تفعله لا اعلم ما تقول وانت تعلم ذلك اي لا افعله وإنما قالوا ذلك بعدما ألهمهم الحجة (وإنما
لذلك فينا ضعيفا) اي ضعيف البدن عن الجبائي وقيل ضعيف البصر عن سفيان وقيل اعنى وكان شعيب اعنى

عن قتادة وسعيد بن جبير قال الزجاج وحمير تسمي المكفوف ضعيفا وهذا كما قيل ضرير أي قد ضُر بذهاب بصره
وكذلك قد ضعف بذهاب بصره وكف عن التصرف وهذا القول ليس بسديد لأن قوله فينا يرد ألا ترى أنه لو
قيل إنا لتركنا فينا أعمى لم يكن كلاما لأن الأعمى قد يكون أعمى فيهم وفي غيرهم وقيل ضعيفا أي مهينا عن
الحسن واختلف في أن النبي ﷺ هل يجوز أن يكون أعمى فقيل لا يجوز لأن ذلك ينفر وقيل يجوز أن
لا يكون فيه تغيير ويكون بمنزلة سائر العلل والأمراض (ولو لا رهطك لرجمناك) أي لولا حرمة عشيرتك وقومك
لقتلناك بالحجارة وقيل معناه لستمنناك وسببناك (وما أنت علينا بعزير) أي لم ندع قتلك لعزيرتنا علينا ولكن لأجل
قومك قال الحسن وكان شعيب في عز من قومه وكان من أشرفهم وما بعث نبي بعد لوط إلا في عز من قومه
(قال) شعيب (يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله) أي أعشيرتي وقومي اعظم حرمة عندكم من الله فتتركون
أذي لأجل عشيرتي ولا تتركونه لله الذي بعثني إليكم (واتخذتموه وراءكم ظهريا) أي اتخذتم الله وراء
ظهوركم يعني نسيتموه فالهاء عائدة إلى الله عن ابن عباس والحسن وقيل الهاء عائدة إلى ما جاء به شعيب عن
مجاهد والمعنى ونبتتم ما أرسلت به إليكم وراء ظهوركم وقيل الهاء عائدة إلى أمر الله عن الزجاج أي نبتتم
أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه (إن ربي بما تعملون محيط) أي محص لا عمالكم لا يفوته شيء منها وقيل
معناه خبير بأعمالكم فيجازيكم بها عن الحسن (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) أي اعملوا على حالتكم هذه
والمكانة الحال التي يتمكن بها صاحبها مسن عمل وهذا تهديد في صورة الأمر وتقديره كأنكم إنما امرتم
بأن تكونوا على هذه الحال من الكفر والطغيان وفي هذا نهاية الخزي والهوان وقيل معناه اعملوا على ما يمكنكم
أي اعملوا انتم على ما تقولون واعمل أنا على ما أقول وقيل معناه اعملوا على ما انتم عليه من دينكم ونحوه قوله
لكم دينكم ولي دين وفي هذا دلالة على أنه آيس من قومه (إني عامل) على ما أمرني ربي وقيل اني عامل على
ما أنا عليه من الانذار (سوف تعلمون) أينا المخطئ الجاني على نفسه وقيل معناه سوف يتبين لكم وتعلمون في
عاقبة الأمر (من يأتيه عذاب يخزيه) أي يهينه ويفضحه ويظهر الكاذب من الصادق وتقديره ومن هو كاذب
يخزي بعذاب الله فحذف (وارتقبوا إني معكم رقيب) أي انتظروا ما وعدكم ربكم من العذاب إني معكم
منتظر جلول العذاب بكم وقيل معناه انتظروا العذاب واللعنة وأنا انتظر الرحمة والثواب والنصرة عن ابن عباس
وقيل معناه انتظروا مواعيد الشيطان وأنا انتظر مواعيد الرحمن وروي عن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه
قال ما أحسن الصبر وانتظار الفرج أما سمعت قول العبد الصالح ارتقبوا إني معكم رقيب (ولما جاء امرنا نجينا
شعبيا والذين آمنوا معه برحمة منا) مضى تفسيره (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح بهم جبرئيل صيحة فماتوا
(فأصبحوا في ديارهم جاهلين كأن لم بغنوا فيها) مضى تفسيره قبل (الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود) الا بعدوا من
رحمة الله بعدا كما بعدت ثمود وقيل الا هلا كما لهم كما هلكت ثمود وتقديره الا اهلكهم الله فبعدوا بعدا قال
البلخي يجوز أن تكون الصيحة صيحة على الحقيقة كما روي ويجوز أن تكون ضربا من العذاب اهلكهم الله به
واصلهم تقول العرب صاح الزمان بهم إذا هلكوا وقال امرؤ القيس

فدع عنك فهبا صيبح في حجراته ولكن حديث ما حديث الرواحل

ومعنى صيبح في حجراته اذهب واهلك قالوا وإنما شبه عالمهم بحال ثمود خاصة لأنهم أهلكوا بالصيحة كما
اهلكت ثمود بثل ذلك مع الرجفة

قوله تعالى (٩٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٨) بِقَدْمِ قَوْمِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا (٩٩) وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُنْسِ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (١٠٠)
 ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠١) أَوْ مَا ظَلَمْنَاكُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
 فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ
 (١٠٢) وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٣) إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ثماني آيات

✽ اللغة ✽

يقال قدمت القوم اقدمهم قدما إذا مشيت أمامهم واتبعوك الازهري قدم يقدم وتقدم وقدم واقدم واستقدم
 بمعنى والورد ورود الماء الذي يورد والإبل الواردة والجمع اوراد والإيراد إيجاب الورد في الماء. أو ما يقوم مقامه
 قال الشاعر

يرد المياه حضيرة ونفيضة ورد القطة إذا اسمال التبّع
 وقال لبيد

فوردنا قبل فرأط القطا إن من وردي تغليس النهل
 واصل الورد الاشراف على الدخول وليس بالدخول قال عنتر

فلما وردن الماء زرقا جامه وضعن عصي الحاضر المتخيم
 والرفد العون على الأمر يقال رفته يرفده رفدا ورفدا بفتح الراء وكسرهما قال الزجاج كل شيء جعلته عوناً
 لشيء أو اسندت به شيئاً فقد رفته به يقال عمدت الحائط واسندته وارفته بمعنى واحد ويقال رفته
 وارفته إذا اعطاه والاسم الرفدان العطاء. عون المعطي والحصيد بمعنى المحصود والحصد قطع الزرع من الأصل
 وهذا زمن الحصاد بفتح الحاء وكسرهما ويقال حصدهم بالسيف إذا قتلهم وتببب من تبت يده أي خبرت
 قال جرير

عرابة من بقية قوم لوط ألا تبا لما فعلوا تبابا
 والفرق بين العذاب والألم أن العذاب استمرار الألم قال عبيد

والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب

✽ المعنى ✽

ثم عطف بسبحانه قصة موسى (ع) على ما تقدم من قصص الأنبياء فقال (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) أي
 بجحبتنا ومعجزاتنا الدالة على نبوته (وسلطان مبین) أي وحجة ظاهرة مخصصة من تلييس وتوويه على أتم ما يمكن
 فيه والسلطان وإن كان في معنى الآيات فإنها عطفه عليها لأن الآيات حجج من وجه الاعتبار العظيم بها والسلطان
 حجة من جهة القوة العظيمة على المبطل وكل عالم له حجة يقهر بها شبهة من نازعه من أهل الباطل فله سلطان وقد
 قيل إن سلطان الحجة انفذ من سلطان المملكة والسلطان متى كان محققا حجة وجب اتباعه وإذا كان بخلافه لا يجب
 اتباعه قال الزجاج السلطان إنما سمي سلطاناً لأنه حجة الله في أرضه واشتقاقه من السليط الذي يستضاء به (إلى
 فرعون وملائه) أي قومه وقيل اشراف قومه الذين تلاء الصدور هيبتهم (فاتبعوا أمر فرعون) وتركوا أمر الله
 تعالى (وما أمر فرعون برشيد) أي مرشد ومعناه ما هو بهاد أهم إلى رشد ولا قائد إلى خير فأمر فرعون كان

على ضد هذه الحال لأنه داع إلى الشر وصاد عن الخير وفي هذا دلالة على أن لحظة الأمر مشتركة بين القول والفعل والمراد هاهنا وما فعل فرعون برشيد (يقدم قومه يوم القيامة) يعني ان فرعون يمشي بين يدي قومه يوم القيامة على قدميه حتى يهجم بهم على النار كما كان يقدمهم في الدنيا يدعوهم إلى طريق النار وإنما قال (فأوردهم) على لفظ الماضي والمراد به المستقبل لأن ما عطفه عليه من قوله يقدم قومه يوم القيامة يدل عليه عن الجبائي وقيل انه معطوف على قوله فاتبعوا امر فرعون (وبش الورد المورود) أي بش الماء الذي يردونه عطاشا لحياء نفوسهم (النار) وإنما اطلق سبحانه على النار اسم الورد المورود ليطابق ما يرد عليه اهل الجنة من الأنهار والعيون وقيل معناه بش المدخل المدخول فيه النار وقيل بش الشيء الذي يرد النار وقيل بش النصب المقسوم لهم النار وإنما اطلق لفظ بش وإن كان عدلا حسنا لما فيه من البؤس والشدة (واتبعوا في هذه) يعني الحقوا في الدنيا (لعنة) وهي الفرق (ويوم القيامة) يعني ولعنة يوم القيامة وهي عذاب الآخرة وقيل معناه اتبعهم الله في الدنيا لعنة بأوبعدهم من الرحمة واتبهم الأنبياء والمؤمنون بالدعاء عليهم باللعنة واتبهم الله اللعنة في القيامة حتى لا تفارقهم اللعنة حيث كانوا قال ابن عباس من ذكرهم لعنهم (بش الورد المرفود) أي بش العطاء المعطى النار واللعنة وإنما ساء رفا لأنه في مقابلة ما يعطى اهل الجنة من انواع النعيم وقال قتادة ترافدت عليهم لعنتان من الله لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن قوله بش الورد المرفود قال هو اللعنة بعد اللعنة وقال الضحاك اللعنتان اللتان أصابتهم رفدت احدها الأخرى (ذلك) أي ذلك النبا (من انباء القرى) أي من اخبار البلاد (نقصه عليك) أي تذكره لك ونخبرك به تذكرة وتسلية لك يا محمد (منها قائم وحصيد) أي من تلك الديار معمور وخراب قد أتى عليه الاهلاك ولم يعمر فيما بعد وقيل معناه قائم على بنائه لم يذهب اصلا وإن كان خاليا من اهله وحصيد قد خرب وذهب واندرس اثره كاشي المحصود عن قتادة وأبي مسلم وقيل منها قائم ينظرون اليها وحصيد قد هلك وباد اهله عن ابن عباس (وما ظلمناهم) باهلاكهم (والكن ظلموا انفسهم) بأن كفروا وارتكبوا ما استحقوا به الهلاك فكان ذلك ظلمهم لأنفسهم (فما اغنت عنهم آهتهم) أي أوتانهم (التي يدعون من دون الله من شيء) لما جاء امر ربك (أي عذاب ربك) وقيل امر ربك باهلاكهم (وما زادوهم غير تتيب) أي غير تخسير عن مجاهد وقاتدة والمعنى لم يزيدوهم شيئا غير الهلاك والخسار وإنما اضاف الإهلاك إلى الأصنام لأنها السبب في ذلك ولو لم يعبدوها لم يهلكوا وإنما قال يدعون من دون الله لأنهم كانوا يسمونها آلهة ويطلبون الحوائج منها كما يطلبها الموحدون من الله (وكذلك اخذ ربك) أي وكما ذكر من اهلاك الامم وأخذهم بالعذاب اخذ ربك (إذا اخذ القرى) أي اخذ اهلهما وهو ان ينقلهم إلى العقوبة والهلاك (وهي ظالمة) من صفة القرى وهو في الحقيقة لأهلها وسكانها ونحوه وكما قصصنا من قرية كانت ظالمة وفي الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال ان الله تعالى يهل الظالم حتى إذا اخذهم بقلته ثم قرأ هذه الآية (ان اخذه أليم شديد) معناه ان اخذ الله سبحانه الظالم مؤلما شديد الألم (إن في ذلك لآية) أي ان فيما قصصنا عليك من اهلاك من ذكرناه على وجه العقوبة لهم على كفرهم لعبادة وتبصرة وعلامة عظيمة (لمن خاف عذاب الآخرة) أي لمن خشى عقوبة الله يوم القيامة وخص الخائف بذلك لأنه هو الذي ينتفع به بالتدبر والتفكير فيه (ذلك يوم مجموع له الناس) أي يجمع فيه الناس كلهم الأولون والآخرين منهم للاجزاء والحساب والهاء في له راجعة إلى اليوم (وذلك يوم مشهود) أي يشهده الخلائق كلهم من الجن والانس وأهل السماء وأهل الأرض أي يحضره ولا يوصف بهذه الصفة يوم سواء وفي هذا دلالة على اثبات المعاد وحشر الخلق

قوله تعالى (١٠٤) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٥) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُنَّ نَفْسٌ إِلَّا بِذُنِّهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٦) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنْفَوْنَ إِلَى النَّارِ لِهَمَّ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ (١٠٧)

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٨) وَأَمَّا
الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ
مَجْدُودٍ خَمْسَ آيَاتٍ

(=) (القراءة) (=)

قرأ يعقوب وما يؤخره بالياء والباقون بالنون وقرأ يوم يأت بغير ياء ابن عامر وأهل الكوفة غير الكسائي
والباقون يأتي بإثبات الياء وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر سعدوا بضم السين والباقون سعدوا بالفتح

(=) (الحجة) (=)

من قرأ يؤخره بالياء فإنه رده إلى قوله اخذ ربك ومن قرأ بالنون فإنه ابتداء والياء في المعنى كالنون وقوله
يوم يأت قال الزجاج الذي يختاره النحويون يوم يأتي وهذيل ي حذف هذه الياءات كثيرا وقد حكى سيبويه والحليل
أن العرب تقول لا ادر فتحذف الياء وتجتزئ بالكسرة إلا أنهم يزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال قال ابو علي
من اثبت الياء في الوصل والوقف فهو القياس البين وأما من حذفها في الوقف إذا قال يوم يأت فلأنها وان لم تكن
في فاصلة امكن ان نشبهها بالفاصلة لأن هذه الياء تشبه الحركات المحذوفة في الوصل بدلالة انهم حذفوها كما
حذفوا الحركة فكما ان الحركة تحذف في الوقف فكذلك ما اشبهها من هذه الحروف كان في حكمها فأما من
حذفها في الوصل والوقف فلأنه جعلها في الوصل والوقف بمنزلة ما استعمل محذوفا مما لم يكن ينبغي في القياس
ان يحذف نحو لم يك ولا أدر ومثله قول الشاعر

كفالك كف لا تبقي درهما جوداً وأخرى تعط بالسيف الدما

حذف الياء من تعطي وايس هنا ما يوجب حذفها واما قوله سعدوا فقد قال ابو علي حكى سيبويه سعد
يسعد سعادة فهو سعيد وينبغي ان يكون غير متعد كما ان خلفه الذي هو شقي كذلك واذا كان كذلك كان
ضم السين مشكلا إلا ان يكون سماع فيه لغة خارجة عن القياس او يكون من باب فعل وفعلة نحو غاص الماء
وغصته وحزن وحزنته ولعلمهم استشهدوا على ذلك بقولهم مسعود وانه يدل على سعد ولا دلالة قاطعة في ذلك
لأنه يجوز ان يكون مثل اجنه الله فهو مجنون وأحبه فهو محبوب فالمفعول جاء في هذا على انه حذف الزيادة
عنه كما حذف من اسم الفاعل في نحو قوله وارسلنا الرياح لواقع يعني ملاتح فجاء على حذف الزيادة فعلى هذا
يكون اصله اسعد فحذف الزائد ومن الحذف قول الشاعر « يخرجن من اجواز ليل غاض » يريد مغض

✽ اللغة ✽

الشقا. والشقاوة والشقوة بمعنى والياء في شقي منقلبة عن وار والسعادة ضد الشقاوة والزفير اول نفاق الحمار
والشهيق آخر نفاقه قال روثه

حشرج في الجوف سهيلا او شهق حتى يقال ناهق وما نهق

والزفير ترديد النفس مع الصوت من الحزن حتى تنتفخ الضلوع وأصل الزفير الشدة من قولهم للشديد الخلق مزفور
والزفر الحمل على الظهر خاصة لشدة والزفر السيدلانه يطبق حمل الشدائد وزفرت النار إذا سمع لها صوت
من شدة توقدها والشهيق صوت فظيع يخرج من الجوف بمد النفس واصله الطول المفرط من قولهم جبل شاهق
والخلود الكون في الامر ابدا والدوام البقاء ابدا ولهذا يوصف سبحانه بأنه دائم ولا يوصف بأنه خالد والبعد
القطع يقال جده يجذّه وجذ الله دايرهم قال النابغة

يجذ السلوقي المضاعف نسجه ويقال جذها جذ العبير الصليانة وهي بنت

✽ الاعراب ✽

يوم يأتي لا يخالو ان يكون فاعل يأتي ضمير اليوم المضاف الى يأتي واليوم المتقدم ذكره فلا يجوز ان يكون فاعله ضمير اليوم الذي اضيف الى يأتي لأنك لا تقول جئتكم يوم يسرك سروره إياك ويكون الها . عائدة الى يوم فيصير اليوم مضافا الى الفعل المسند الى ضميره وانما تعرف الفعل فيه بالفاعل فيكون كأنك انما عرفت اليوم بنفسه ونظير ذلك قواك هذا يوم حره ويوم برده والها . لليوم وهذا غير جائز وكذلك لا يجوز ان تضيف الظرف الى جملة معرفة بضميره وان كانت من مبتدأ وخبر مثل ان تقول آتيك يوم ضحوته باردة وليلة اوها مطير فان نونت فقلت آتيك يوما ضحوته باردة او ليلة اوها مطير جاز لأنه خرج بالثنوين عن حد الإضافة وهذا قول ابي عثمان المازني واذا قد ثبت ذلك فقد ثبت ان في يأتي ضمير اليوم المتقدم ذكره في قوله ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود اي يوم يأتي هذا اليوم الذي تقدم ذكره لانكلم نفس فاليوم في قوله يوم يأتي يراد به الحين والبرهة وليس على وضع النهار وقوله لا تكلم نفس الا باذنه يجوز ان يكون هذه الجملة حالا من الضمير في يأتي ويجوز ان يكون صفة ليوم المضاف الى يأتي لأن يوم مضاف الى يأتي والفعل نكرة فلا تعرف يوم بالإضافة اليه فجاز ان يوصف بالجملة كما توصف النكرات بالجمل والمعنى لا تكلم فيه نفس فحذف فيه او حذف الحرف وأوصل الفعل الى المفعول ثم حذف الضمير من الفعل الذي هو صفة كما يحذف من الصلة ومثل ذلك قواهم الناس رجلان رجل اكرمت ورجل اهنت واذا جملة حالا من الضمير في يأتي وجب ان تقدر فيه ايضا ضميرا يعود الى ذي الحال وتقديره غير متكلم فيه هذا كله قول ابي علي وأقول ان الأظهر ان قوله يسوم يأتي ظرف لقوله لا تكلم نفس إلا باذنه ومعول له وهذا الوجه لا يحتاج فيه الى تقدير محذوف كما في الوجهين اللذين ذكرناهما فيكون اولي وإنما يضاف يوم الى الفعل لأنه اسم زمان والفعل يناسب الزمان من حيث انه لا يجاز منه وانما يتصرف بتصرفه وانه لا يكون حادثا الا وقتا كما ان الزمان لا يبقى وقوله لا تكلم اي لا تتكلم فحذف احدى التائين كما في قول الشاعر

والعين ساكنة على اطلالها عودا تأجل بالفضاء بهامها

اي تأجل وعطا منصوب بما دل الكلام عليه فكأنه قال اعطاهم النعيم عطا .

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن اليوم المشهود وهو يوم القيامة فقال (وما تؤخره) اي وما تؤخر هذا اليوم (إلا لأجل معدود) وهو أجل قد عده الله تعالى لعلمه ان صلاح الخلق في ادامة التكليف عليهم الى ذلك الوقت وفيه إشارة الى قربته لأن ما يدخل تحت العد فكأن قد نفذ وانما قال لأجل ولم يقل الى أجل لأن اللام يدل على الغرض وان الحكمة اقتضت تأخيره وإلى لا يدل على ذلك (يوم يأت) اي حين يأتي القيامة والجزاء (لا تكلم نفس إلا باذنه) اي لا يتكلم أحد فيه الا باذن الله تعالى وامره ومعناه انه لا يتكلم فيه الا بالكلام الحسن المأذون فيه لأن الخلق ملجأون هناك الى ترك القبائح فلا يقع منهم فعل القبيح وأما ما هو غير قبيح فلو أنه مأذون فيه عن الجبائي والظاهر ان يقال معناه انه لا يتكلم احد في الآخرة بكلام نافع من شفاعة ووسيلة الا باذنه فان قيل كيف يجمع بين هذه الآية وبين قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان على انه سبحانه قال في موضع آخر وقفروهم إنهم مسؤولون وهل هذا الا ظاهر التناقض فالجواب ان يوم القيامة يشتمل على مواقف قد أذن لهم في الكلام في بعض تلك المواقف ولم يؤذن لهم

في الكلام في بعضها عن الحسن وقيل ان معنى قوله لا ينطقون انهم لا ينطقون لحجة وإنما يتكلمون بالاقرار بذنوبهم ولوم بعضهم بعضا وطرح بعضهم الذنوب على بعض وهذا كما يقول القائل لمن تكلم بكلام كثير فارغ عن الحجة ما تكلمت بشي ولا نطقت بشي فسمي من يتكلم بما لا حجة فيه غير متكلم كما قال سبحانه صم بكم عمي وهم كانوا يسمعون ويتكلمون ويصرون الا انهم في انهم لا يقبلون الحق ولا يتاملون بمنزلة الصم البكم العمي وكلا الوجهين حسن وأما قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان فمعناه انهم لا يسألون عن ذنوبهم للتعرف من حيث ان الله سبحانه علم اعمالهم وإنما يسألون سؤال توبيخ وتقريع وتقرير لايجاب الحجة عليهم كما في قوله وقفوه انهم مسؤولون فأثبت سبحانه سؤال التقريع في آية ونفى سؤال التعرف والاستعلام في أخرى فلا تناقض وقوله (فمنهم شقي وسعيد) إخبار منه سبحانه بأنهم قسمان اشقياء وهم المستحقون للعقاب وسعداء وهم المستحقون للثواب والشقاء قوة اسباب البلاء والسعادة قوة اسباب النعمة والشقي من شقي بسوء عمله في معصية الله والسعيد من سعد بحسن عمله في طاعة الله والضمير في قوله فمنهم يعود الى الناس في قوله ذلك يوم مجموع له الناس وقيل انه يعود الى نفس في قوله لا تكلم نفس الا بإذنه لأن النفس اسم الجنس (فأما الذين شقوا ففي النار) يعني ان الذين شقوا باستحقاقهم العذاب جزاء على اعمالهم القبيحة داخلون في النار وإنما وصفوا بالشقاوة قبل دخولهم النار لأنهم على حال توديعهم الى دخولها وأما ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الشقي من شقي في بطن أمه فلن المراد بذلك ان المعلوم من حاله انه سيشتقي بارتكاب القبائح التي توديته الى عذاب النار كما يقال لابن الشيخ الهرم انه يتيم بمعنى انه سيتم (لهم فيها زفير وشهيق) قال الزجاج الزفير والشهيق من اصوات المكروبين المحزونين والزفير من شديد الأتني وقبيحه بمنزلة ابتداء صوت الجهار والشهيق الأتني الشديد المرتفع جدا بمنزلة آخر صوت الحمار وعن ابن عباس قال يريدندامة ونفسا عاليا وبكاء لا ينقطع (خالدن فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك) اختاف العلماء في تأويل هذا في الآيتين وهما من المواضع المشككة في القرآن والاشكال فيه من وجهين **أحدهما** تحديد الخلود بمدة دوام السماوات والأرض **والآخر** معنى الاستثناء بقوله إلا ما شاء ربك فالأول فيه اقوال **أحدها** ان المراد ما دامت السماوات والأرض مبدلتين اي ما دامت سماء الآخرة وارضها وهما لا يفنيان اذا أعيد ابعدا لافناء عن الضحك والجباني **وثانيها** ان المراد ما دامت سماوات الجنة والنار وارضها وكل ما علاك فأظلك فهو سماء وكل ما استقر عليه قدمك فهو أرض وهذا مثل الأول او قريب منه **وثالثها** ان المراد ما دامت الآخرة وهي دائمة أبدا كما ان دوام السماء والأرض في الدنيا قدر مدتها بنائها عن الحسن **ورابعها** انه لا يراد به السماء والأرض بعينها بل المراد التباعد فإن للعرب الفاظا للتباعد في معنى التأيد يقولون لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار وما دامت السماء والأرض وما نبت التبت وما اطت الأوبل وما اختلف الجرة والدرة وماذر شارق وفي اشباه ذلك كثرة ظنا منهم ان هذه الاشياء لا تتغير ويريدون بذلك التأيد لا التوقيت فيخاطبهم سبحانه بالمعارف من كلامهم على قدر عقولهم وما يعرفون قال عمرو بن معديكرب

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر ابيك الا الفرقدان

وقال زهير

الا لا أرى على الحوادث باقيا ولا خالدا الا الجبال الرواسيا

وإلا السماء والنجوم وربنا وأيامنا معدودة والليالي

لأنه توهم ان هذه الاشياء لا تفتنى وتخلد واما الكلام في الاستثناء فقد اختلفت فيه اقوال العلماء على

وجوه **أحدها** انه استثناء في الزيادة من العذاب لأهل النار والزيادة من النعيم لأهل الجنة والتقدير

إلا ما شاء ربك من الزيادة على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لي عليك الف دينار الا الالفين اللذين اقرضتكها وقت كذا فالالفان زيادة على الألف بغير شك لأن الكثير لا يستثنى من القليل عن الزجاج والفراء وعلي بن عيسى وجماعة وعلي هذا فيكون الا بمعنى سوى اي سوى ما شاء ربك كما يقال ما كان معنا رجل الا زيد اي سوى زيد **❦** وثانيها **❦** ان الاستثناء واقع على مقامهم في المحشر والحساب لأنهم حينئذ ليسوا في جنة ولا نار ومدة كونهم في البرزخ الذي هو ما بين الموت والحياة لأنه تعالى او قال خالدين فيها ابدا ولم يستثن لفظ الظان أنهم يكفون في النار والجنة من لدن نزول الآية او من بعد انقطاع التكليف فحصل للاستثناء فائدة عن المازني وغيره واختاره البلخي فإن قيل كيف يستثنى من الخلود في النار ما قبل الدخول فيها فالجواب ان ذلك جائز اذا كان الاخبار به قبل دخولهم فيها **❦** وثالثها **❦** ان الاستثناء الأول يتصل بقوله لهم فيها زفير وشهيق وتقديره إلا ما شاء ربك من اجناس العذاب الخارجة عن هذين الضربين ولا يتعلق الاستثناء بالخلود وفي اهل الجنة يتصل بما دل عليه الكلام فكأنه قال لهم فيها نعيم إلا ما شاء ربك من انواع النعيم وانما دل عليه قوله عطاء غير مجدوذ عن الزجاج **❦** ورابعها **❦** ان يكون الا بمعنى الواو اي وما شاء ربك من الزيادة عن الفراء واستشهد على ذلك بقول الشاعر

وأرى لها داراً باغدرة السية
دان لم يدرس لها رسم
الا رماداً هامدا رفعت
عنه الرياح خوالد سحيم

قال والمراد بالواو ههنا وإلا كان الكلام مثنى وقضا وهذا القول قد ضعفه محققو النحويين **❦** وخامسها **❦** ان المراد بالذين شقوا من ادخل النار من اهل التوحيد الذين ضموا الى إيمانهم وطاعتهم ارتكاب المعاصي فقال سبحانه انهم معاقبون في النار الا ما شاء ربك من اخراجهم الى الجنة وايصال ثواب طاعتهم اليهم ويجوز ان يريد بالذين شقوا جميع الداخلين الى جهنم ثم استثنى بقوله الا ما شاء ربك أهل الطاعات منهم بمن استحق الثواب ولا بد ان يوصل اليه وتقديره الا ما شاء ربك ان يخرج به بتوحيده من النار ويدخله الجنة وقد يكون ما يعني من قال سبحانه سبح لله ما في السماوات وقالت العرب عند سماع الرعد سبحان ما سبحت له وأما في اهل الجنة فهو استثناء من خلودهم ايضا لما ذكرناه لأن من ينقل الى الجنة من النار ويدخلها لا بد في الاخبار عنه بتأييد خلوده ايضا من استثناء ما تقدم فكأنه قال خالدين فيها إلا ما شاء ربك من الوقت الذي ادخلهم فيه النار قبل أن ينقلهم الى الجنة فما في قوله ما شاء ربك ههنا على بابه والاستثناء من الزمان والاستثناء في الأول من الأعيان والذين شقوا على هذا القول هم الذين سعدوا بأعيانهم وإنما أجرى عليهم كل لفظ في الحال الذي تليق به فإذا ادخلوا النار وعوقبوا فيها فهم من أهل الشقاء وإذا نقلوا منها الى الجنة فهم من أهل السعادة وهذا قول ابن عباس وجابر بن عبد الله وابي سعيد الخدري وقتادة والسدي والضحاك وجماعة من المفسرين وروى ابو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وإنما هم قوم من أهل التوحيد يدخلون النار بذنوبهم ثم يفضل الله عليهم فيخرجهم من النار الى الجنة فيكونون اشقياء في حال سعداء في حال أخرى وقال قتادة الله اعلم بمشيئته ذكر لنا ان ناسا بصيبيهم سفع من النار بذنوبهم ثم يدخلهم الله الجنة برحمته يسمون الجنة يمين وهم الذين أنقذ فيهم الوعيد ثم أخرجوا بالشفاعاة قال وحدثنا أنس بن مالك ان رسول الله **ﷺ** قال يخرج قوم من النار قال ولا تقول ما يقوله أهل حروراء وهذا القول هو المختار المعول عليه **❦** وسادسها **❦** ان تعليق ذلك بالمشيئة على سبيل التأكيد للخلود والتبديد للخروج لأن الله تعالى لا يشاء إلا تخليدهم على ما حكم به فكأنه تعليق لما لا يكون بما لا يكون لأنه لا يشاء أن يخرجهم منها **❦** وسابعها **❦** ما قاله الحسن ان الله سبحانه استثنى ثم عزم بقوله إن ربك فعال لما يريد انه أراد ان يدخلهم وقرب منه ما قاله الزجاج وغيره انه استثناء تستثنيه

العرب وتفعله كما تقول والله لا ضرر بن زيداً إلا ان أرى غير ذلك وانت عازم على ضربه والمعنى في الاستثناء على هذا اني لو شئت أنت لا اضربه لعلت ﴿ وتأمينها ﴾ قال يحيى بن سلام البصري انه يعنى بقوله الاماشاء ربك ما سبقهم به الذين دخلوا قبلمهم من الفريقين واحتج بقوله تعالى وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً قال ان الزمرة تدخل بعد الزمرة فلا بد ان يقع بينهما تفاوت في الدخول والاستثناء ان على هذا من الزمان ﴿ وتأمينها ﴾ ان المعنى خالدون في النار دائمون فيها مدة كونهم في القبور ما دامت السماوات والارض في الدنيا وإذا فنيتا وعدمنا انقطع عقابهم إلى أن يبعثهم الله للحساب وقوله إلا ما شاء ربك استثناء وقع على ما يكون في الآخرة اوردته الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه وقال ذكره قوم من اصحابنا في التفسير ﴿ وعامرها ﴾ ان المراد إلا ما شاء ربك أن يتجاوز عنهم فلا يدخلهم النار والاستثناء لأهل التوحيد عن ابي مجاز قال هي جزاؤهم وإن شاء سبحانه تجاوز عنهم والاستثناء يكون على هذا من الأعيان (واما الذين سعدوا) أي سعدوا بطاعة الله وانتهائهم عن المعاصي (ففي الجنة) يكونون في الجنة (خالدون) فيها ما دامت السماوات والارض) أي مدة دوام السماوات والارض (إلاماشاء ربك) يتأق في جميع ما ذكرناه في الاستثناء من الخلود في النار إلا ما مضى ذكره من جواز اخراج بعض الأشقياء من تناول الوعيد لهم وإخراجهم من النار بعد دخولهم فيها فإن ذلك لا يتأق ههنا لإجماع الأمة على ان من استحق الثواب فلا بد أن يدخل الجنة وانه لا يخرج منها بعد دخوله فيها (عطاء غير مجذوذ) أي غير مقطوع

قوله تعالى (١٠٩) فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُونَ نَصِيْبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ (١١٠) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَيْتُمْ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١١١) وَإِنَّ كَلِمًا لِيُوفِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١٢) فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ أَرْبَعُ آيَاتٍ

✽ القراءة ✽

قرأ ابو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص وان كلا لما بتشديد النون والميم وقرأ اهل البصرة والكسائي وخلف وان كلا بتشديد النون لما بتخفيف الميم وقرأ نافع وابن كثير وان كلا خفيفة النون لما خفيفة الميم وقرأ ابو بكر عن عاصم وان كلا خفيفة النون لما مشددة الميم وفي الشواذ قراءة الزهري وسليمان بن ارقم لما بالتثوين وقراءة بن مسعود وان كل بالرفع إلا ليوفينهم

-- (الوجه) --

قال ابو علي من قرأ وإن كلا لما بتشديد وتخفيف لما فوجهه بين وهو انه نصب كلا بأن وأن يقتضي ان يدخل على خبرها او اسمها لام فدخلت هذه اللام وهي لام الابتداء على الخبر في قوله لما وقد دخلت في الخبر لام الاخرى وهي التي تلقي بها القسم وبختم بالدخول على الفعل ويلزمها في اكثر الأمر احدى التوئين فلما اجتمعت اللامان وانفقتا في تلقي القسم وانفقتا في اللفظ فصل بينهما بما كما فصلوا بين إن واللام فدخلت ما لهذا المعنى وإن كانت زائدة لتفصل كما جلبت النون وإن كانت زائدة في نحو واما ترين من البشر احدا وكما صارت عوضاً من الفعل في قولهم امالا بالامالة وفي قوله

اباخراشة اما انت ذا نفر فان قومي لم يأكلهم الضبع

وبلي هذا الوجه في البيان قول من خفف إن ونصب كلا وخفف لما قال سيويه حدثنا من ثقف به انه سمع من العرب من يقول ان عمراً لمنطلق قال وأهل المدينة بقرأون كلا لما جميع لدبنا محضرون يخفقون وينصبون كما قالوا « كان ندييه حقان » ووجه النصب بها مع التخفيف من القياس ان ان مشبهة في نصبها بالفعل والفعل بعمل محذوف كما يعمل غير محذوف وذلك في نحو لم يك زيد منطلقاً فلا تك في مربية وكذلك لا ادر فأما من خفف ان ونصب كلا ونقل لما فقراءته مشكلة وذلك ان ان إذا نصب بها وإن كانت مخففة كانت بمنزلة مثقلة ولما إذا شددت كانت بمنزلة إلا وكذلك قراءة من شدد لما ونقل ان مشكلة وذلك ان ان إذا نقلت وإذا خففت ونصب بها فهي في معنى الثقيلة فكما لا يحسن تثقيب ان زيدا إلا منطلق كذلك لا يحسن تثقيب ان وتثقيب ان فأما محبي لما في قولهم نشدتك الله لما فعلت وإلا فعلت فقال الخليل الوجه لتفعلن كما تقول اقسمت عليك لتفعلن وأما دخول إلا ولما فلان المعنى الطلب فكأنه اراد ما سألك إلا فعل كذا ولم يذكر حرف النفي في اللفظ وإن كان مراداً كما جاء في قولهم شرا هر ذانا ب اي ما هره إلا شر وليس في الآية معنى نفي ولا طلب فإن قال قائل لمن ما فادغم التون في الميم بعد ما قلبها ميماً فإن ذلك لا يسوغ ألا ترى أن الحرف المدغم إذا كان قبله ساكن نحو قوم مالك لم يقو الا دغام فيه على ان تحرك الساكن الذي قبل الحرف المدغم فإذا لم يميز ذلك فيه وكان التغيير اسهل من الحذف فإن لا يجوز الحذف الذي هو اذهب في باب التغيير من تحريك الساكن اجدر على ان في هذه السورة ميمات اجتمعت في الادغام اكثر مما كان يجتمع في لمن ما ولم يحذف منها شيء وذلك قوله على امم بمن معك فإذا لم يحذف شيء من هذا فان لا يحذف ثم اجدر وقد روى انه قد قرأ وان كلا لما منونا كما قال وتأكلون التراث اكلا لما فوصف بالمصدر فإن قال ان لما فيعمر ثقل إنما هو لما هذه وقف عليها بالألف ثم اجري في الوصل مجرى الوقف فذلك ما يجوز في الشعر ووجه الاشكال فيه ابين من هذا الوجه وقد حكى عن الكسائي انه قال لا اعرف وجه التثقيب في لما ولم يبعد فيما قال ولو خفف مخفف ان ورفع كلا بعدها لجاز تثقيب لما مع ذلك على أن يكون المعنى ما كان ليوفينهم فيكون ذلك كقوله وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ولكن ذلك ابين من النصب في كل والتثقيب لما وينبغي أن يقدر المضاف اليه كل نكرة ليحسن وصفه بالنكرة ولا يقدر اضافته إلى معرفة فيمنع أن يكون لما وصفاً له ولا يجوز ان يكون حالاً لأنه لا شيء في الكلام عاملاً في الحال هذا كله كلام ابي علي وقال غيره في معنى لما بالتشديد اربعة اوجه * احدها * قول الفراء انها بمعنى لمن ما فحذفت احدى الميمات الثلاث على ما تقدم ذكره وانشد الفراء

وإني لما اصدر الأمر وجهه إذا هو اعياء بالسبيل مصادره

* والثاني * انها بمعنى إلا كقولهم سألتك لما فعلت بمعنى إلا فعلت عن الزجاج وقال الفراء هذا لا يجوز إلا في اليمين كما قاله ابو علي * والثالث * انها مخففة شددت للتأكيد عن المازني قال الزجاج هذا لا يجوز لأنه إنما يجوز تخفيف المشدد عند الضرورة فأما تشديد المخفف فلا يجوز بحال * والرابع * انها من لممت الشيء إذا جمعه إلا انها بنيت على فعلی فلم تصرف مثل تترى فكأنه قال وان كلا جميعاً ليوفينهم وبدل عليه قراءة الزهري لما بالتونين وقال ابن جنبي تقدير هذا وان كلا ليوفينهم ربك اعمالهم لما اي توفية جامعة لاعمالهم جميعاً ومحصولاً لاعمالهم تحصيلاً فهو كقولك قياماً لا قومين وذكر الشيخ علي ابن ابي الطيب رحمة الله عليه فيه وجه آخر فقال هاهنا محذوف وتقديره وان كلا لما عملوا ليوفينهم ربك اعمالهم والحذف في الكلام كثير قال الشاعر

إذا قلت سيروا إن ليلى لعلها جرى دون ليلى مائل القرن اعضب

والمراد لعلها تلقاني او تصلني او نحو هذا فهذا وجه خامس فأما إذا خففت ان فانتصاب كلا مع حمل ان على النفي مشكل وقد ذكر فيه أن يكون التقدير وإن هم إلا ليوفينهم كلا او وإن هم اعني كلا إلا ليوفينهم وهذا

الوجهان مرغوب عنهما وعلى الجملة فإن تشديد الميم من لما مع تشديد إن وتخفيفه مشكل عند المحققين اذ لا يتأتى
في لما هذه معنى لم ولا معنى الحين ولا معنى إلا ولا يعرف لها معنى سوى هذه ومن قرأ وان كل الا ليوفينهم فمعناه
ما كل الا والله ليوفينهم كقولك ما زيد الا لا ضربته أي ما زيد الا مستحق لأن يقال فيه هذا ويجوز ان يكون
مخففة من الثقيلة والا زائدة كما في قول الشاعر

أرى الدهر إلا منجنونا بأهله وما طالب الحاجات إلا معللا
أي ارى الدهر منجنونا بأهله وعلى ذلك تأولوا بيت ذي الرمة
حراجيج ما تنفك إلا مناخة
أي ما تنفك مناخة والا زائدة

✽ اللغة ✽

المربة بكسر الميم وضمها الشك مع ظهور الدلالة للتهمة وهي مأخوذة من مري صرع الناقة ليدر بعد دروزه
والنصيب الحظ وهو القسم المجمعول له ومنه انصاء الورثة والاختلاف ذهاب كل واحد الى جهة غير جهة الآخر
وهو على وجهين اختلاف النقيضين وهذا لا يجوز أن يصح ما فإن ✽ احدهما ✽ مبطل لصاحبه والآخر اختلاف
الجنسين كاختلاف المجتهدين في جهة القبلة فهذا لا يجوز أن يصح ما والاستقامة الاستمرار في جهة واحدة وأن
لا يعدل يمينا وشمالا والظفيان تجاوز المقدار في الفساد

— (الاعراب) —

ومن تاب موصول وصلته في موضع رفع بالعطف على الضمير المستكن في استقم بجوز أن يكون معطوفاً
على التاء من امرت ويكون التقدير في الأول استقم انت ومن تاب معك وفي الثاني كما امرت انت ومن تاب
معك ويجوز أن يكون من تاب منصوب الموضع بكونه مفعولاً معه

✽ المعنى ✽

(فلا تك في مربة) أي في شك (مما يعبد هو لاء) من دون الله تعالى انه باطل وانهم يصيرون بعبادتهم
إلى عذاب النار (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يعني ما يعبدون غير الله تعالى الا على جهة التقليد كما
كان آباؤهم كذلك (وإنا لموفوهم نصيبهم) أي إنا لمعطوهم جزاء أعمالهم وعقاب أعمالهم وافيا (غير منقوص)
عن مقدار ما استحقوه آبسهم سبحانه بهذا القول عن العفو وقيل معناه انا نعطيهم ما يستحقونه من العقاب بعد
ان نوفيهم ما حكمنا لهم به من الخير في الدنيا عن ابن زيد (ولقد آتينا) أي اعطينا (موسى الكتاب)
يعني التوراة (فاختلف فيه) يريد ان قومه اختلفوا فيه أي في صحة الكتاب الذي انزل عليه وأراد بذلك
تسليته النبي ﷺ عن تكذيب قومه اياه وجحدهم للقرآن المنزل عليه فيبين أن قوم موسى كذلك فعلوا بموسى
فلا تحزن لذلك ولا تنغم له (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي لولا خبر الله السابق بأنه يؤخر الجزاء إلى يوم
القيامة لما علم في ذلك من المصلحة (لقضي بينهم) أي لعجل الثواب والعقاب لأهله وقيل معناه لفصل الأمر
على التام بين المؤمنين والكافرين بنجاة هو لاء وهلاك أولئك (وإني لفي شك منه مريب) يعني إن الكافرين
لني شك من وعد الله ووعدته مريب والرب اقوى الشك وقيل معناه إن قوم موسى لني شك من نبوته (وإن
كلا) من الجاحدين والمخالفين وقيل لرب كلا من الفريقين المصدق والمكذب جميعاً (لما ليوفينهم ربك
أعمالهم) أي يعطيهم ربك جزاء أعمالهم وافيا تاماً إن خيراً فخير وإن شراً فشر (انه بما يعملون خبير) يعني انه
عليم بأعمالكم وبما استحققتهم من الجزاء عليها لا يخفى عليه شيء من ذلك (فاستقم) يا محمد (كما امرت) أي
استقم على الوعد والانذار والتمسك بالطاعة والأمر بها والدعاء عليها والاستقامة هو اداء الأمور به والاتعاض عن

المنهسي عنه كما أمرت في القرآن (ومن تاب معك) أي وليستقم من تاب معك من الشرك كما امروا عن ابن عباس وقيل معناه ومن رجع إلى الله وإلى نبيه فليستقم أيضا أي فليستقم المؤمنون وقيل استقم أنت على الأداء وليستقيموا على القبول (ولا تطغوا) أي لا تجاوزوا أمر الله بالزيادة والنقصان فتخرجوا عن حد الاستقامة وقيل معناه ولا تطغينكم النعمة فتخرجوا عن حد الاستقامة عن الجبائي وقيل معناه لا تعصوا الله ولا تخالفوه (أنه بما تعملون بصير) أي علم بأعمالكم لا تخفى عليه منها خافية وروى الواحدي بأسناده عن إبراهيم بن ادهم عن مالك بن دينار عن أبي مسلم الخولاني عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ لو صليتم حتى تكونوا كالخنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتاد ثم كان الاثنان احب اليكم من الواحد لم تبلغوا حد الاستقامة وقال ابن عباس ما نزل على رسول الله ﷺ آية كانت اشد عليه ولا اشق من هذه الآية ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له امرع اليك الشيب يا رسول الله شيبتي هود والواقعة

✽ النظم ✽

وجه اتصال الآية الاولى بما قبلها انه لما قص نأ الامم واهلها بهم بكفرهم اخبر عقيب ذلك عن بطلان ما كانوا عليه وانه يوفيههم جزاء اعمالهم وقيل انه سبحانه بين فيما قبل اختلاف الامم على انبيائهم تكذيباً لهم ثم بين في هذه الآية ان خلاف هؤلاء كخلاف اولئك كفر لا خلاف اجتهاد عن ابي مسلم وكذلك اتصال الآية الثانية فإنه بين فيها ان تكذيب هؤلاء الكفار بالذي آتيناك كتكذيب اولئك بالكتاب الذي آتينا موسى

قوله تعالى (١١٣) ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون (١١٤) وأقيم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين (١١٥) وأصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين (١١٦) فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم وأتبع الذين ظلموا ما أنترفوا فيه وكانوا مجرمين (١١٧) وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون خمس آيات

✽ القراءة ✽

قرأ ابو جعفر وزلفاً بضم اللام والباقون بفتح اللام

✽ الحجة ✽

من قرأ زلفاً بفتح اللام فإنه جمع زلفة وهي المنزلة قال العجاج

ناج طواه الاين مما رجفا طي الليالي زلفاً فزلفا

ومن قرأ بضم اللام فإنه واحد مثل الحلم وجائز ان يكون جمعاً على زليف من الليل فيكون مثل قروب وقرب قال الزجاج والزلف بالفتح اجود في الجمع وما علمت ان زليفاً يستعمل في الليل وهو منصوب على الظرف

✽ اللغة ✽

الركون إلى الشيء هو السكون اليه بالمحبة له والانصات اليه ونقبضه النفور عنه والصبر حبس النفس عن الخروج إلى ما لا يجوز من ترك الحق وضده الجزع قال

فان تصبرا فالصبر خير مغبة وإن تجزعا فالأمر ما تريان

وهو مأخوذ من الصبر المر لأنه يجرع مرارة الحق بحبس النفس عن الخروج إلى المشتى ومما يعين على الصبر شيثان عليه السلام أحدهما عليه السلام العلم بما يعقب من الخير في كل وجه وعادة النفس له عليه السلام والثاني عليه السلام استشعار ما في لزوم الحق من العز والأجر بطاعة الله والبقية ما بقي من الشيء بعد ذهابه وهو الاسم من الإبقاء ويقال في فلان بقية أي فضل مما يمدح به وخير كأنه قيل بقية خير من الخير الماضي واتفوا أي عودوا الترفه بالنعيم واللذة وذلك ان الترفه عادة النعمة قال

تهدى رؤوس المترفين الضداد إلى امير المؤمنين الممتاد

أي المسؤول وإنما قيل للمتعمم مترف لأنه مطلق له لا يتمتع من تنعمه

✽ الأعراب ✽

فتمسك منسوب لأنه جواب النهي بالفاء وتقديره لا يكن منكم ركون إلى الظالمين فمس النار إياكم ثم لاتنصرون ارتفع تنصرون على الاستئناف طر في النهار منسوب على الظرف وزلفاً معطوف عليه . إلا قليلاً استثناء منقطع بمعنى لكن عن الزجاج تقديره لكن قليلاً من أنجبنا منهم نهوا عن الفساد

✽ المعنى ✽

ثم نهى الله سبحانه عن المداينة في الدين والميل إلى الظالمين فقال (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) أي ولا تميلوا إلى المشركين في شيء من دينكم عن ابن عباس وقيل لا تداينوا الظلمة عن السدي وابن زيد وقيل ان الركون إلى الظالمين المنهي عنه هو الدخول معهم في ظلمهم وإظهار الرضا بفعالهم أو إظهار موالاتهم فأما الدخول عليهم أو مخالطتهم ومعاشرتهم دفعا لشرم فجاز عن القاضي وقريب منه ما روي عنهم «ع» ان الركون المودة والنصيحة والطاعة (فتمسك النار) أي فيصيبكم عذاب النار (وما لكم من دون الله من أولياء) أي ما لكم سواه من انصار يدفعون عنكم عذاب الله وفي هذا بيان انهم متى خالفوا هذا النهي وسكنوا إلى الظالمين نالهم النار ولم يكن لهم ناصر يدفع عنهم عقوبة لهم على ذلك (ثم لا تنصرون) أي لا تنصرون في الدنيا على اعدائكم لأن نصر الله نوع من الثواب فيكون للمطيعين (وأقم الصلاة) أي أدها وائت بأعمالها على وجه التمام في ركوعها وسجودها وسائر فروضها وقيل معناه أعملها على استواء وقيل آدم على فعلها (طر في النهار) وزلفاً من الليل (قيل أراد بطر في النهار صلاة الفجر والمغرب) وبزلف من الليل صلاة العشاء الآخرة والزلف اول ساعات الليل عن ابن عباس وابن زيد قالوا وترك ذكر الظهر والعصر لأحد امرين اما لظهورهما في انهما صلاتا النهار فكأنه قال « وأقم الصلاة طر في النهار مع المعروفة من صلاة النهار واما لأنها مذكورتان على التبع للظرف الأخير لأنها بعد الزوال فها أقرب إليه » وقد قال سبحانه « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل ودلوك الشمس زوالها وهذا القول هو المروي عن أبي جعفر «ع» وقيل صلاة طر في النهار الغداة والظهر والعصر وصلاة زلف الليل المغرب والعشاء الآخرة عن الزجاج وبه قال مجاهد والضحاك ومحمد بن كعب القرظي والحسن قالوا لأن طرف الشيء من الشيء وصلاة المغرب ليست من النهار قال الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المغرب والعشاء زلفتا الليل وقيل أراد بطر في النهار صلاة الفجر وصلاة العصر (إن الحسنات يذهبن السيئات) قيل في معناه ان الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب لأنه عرف الحسنات بالألف واللام وقد تقدم ذكر الصلاة عن ابن عباس وأكثر المفسرين وذكر الواحدي باسناده عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي عثمان قال كنت مع سلمان تحت شجرة فأخذ غصناً يابساً منها فبهز حتى تحات ورقه ثم قال يا ابا عثمان ألا تسألني لم افعل هذا قلت ولم تفعله قال هكذا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه تحت شجرة فأخذ منها غصناً يابساً فبهز حتى تحات ورقه ثم قال

ألا تسألني يا سلمان لم أفعل هذا قلت ولم فعلته قال ان المسلم إذا توجأ فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت خطاياهم كما يتحات هذا الورق ثم قرأ هذه الآية وأتم الصلاة إلى آخرها وبإسناده عن أبي امامة قال بينما رسول الله ﷺ في المسجد ونحن قعود معه إذ جاءه رجل فقال يا رسول الله اني اصببت حدا فأقمه علي فقال هل شهدت الصلاة معنا قال نعم يا رسول الله قال فإن الله قد غفر لك حدك او قال ذنبك وبإسناده عن الحارث عن علي بن أبي طالب «ع» قال كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد ننظر الصلاة فقام رجل فقال يا رسول الله اني اصببت ذنبا فأعرض عنه فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قام الرجل فأعاد القول فقال النبي ﷺ اليس قد صليت معنا هذه الصلاة وأحسن لها الظهور قال بلى قال فإنها كفارة ذنبك وروى اصحابنا عن ابن محبوب عن ابراهيم الكرخي قال كنت عند أبي عبد الله «ع» إذ دخل عليه رجل من اهل المدينة فقال له من أين جئت ثم قال له تقول جئتك من ههنا وههنا لغير معاش تطلبه ولا لعمل اجر تكسبه أنظر بماذا تقطع يومك وليلتك واعلم ان معك ملكا كريما موكلا بك يحفظ عليك ما نصنع ويطلع على سررك السذي تخفيه من الناس فاستحي لا تستحقرن سيئة فإنها ستسوءك يوما ولا تحقرن حسنة وإن صغرت عندك وقلت في عينك فإنها ستسرك يوما واعلم انه ليس شيء أضر عاقبة ولا اسرع ندامة من الخطيئة وانه ليس شيء أشد طلبا ولا اسرع دركا للخطيئة من الحسنة أما انها لتسدرك الذنب العظيم القديم المنسي عند عامله فتجذبه وتسقطه وتذهب به بعد اثباته وذلك قول الله سبحانه ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ورووا عن أبي حمزة الثمالي قال سمعت احدهما عليهما السلام يقول ان عليا عليه السلام اقبل على الناس فقال أي آية في كتاب الله أرجى عندهم فقال بعضهم إن الله لا يعقر أن يشرك به الآية فقال حسنة وليست إياها وقال بعضهم ومن يعمل سوءا ويظلم نفسه قال حسنة وليست إياها وقال بعضهم قل يا عبادي الذي اسرفوا لا تقنطوا من رحمة الله قال حسنة وليست إياها وقال بعضهم والذين إذا فعلوا فاحشة الآية قال حسنة وليست إياها قال ثم احجم الناس فقال ما لكم يا معشر المسلمين فقالوا لا والله ما عندنا شيء قال سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول أرجى آية في كتاب الله وأتم الصلاة طر في النهار وقرأ الآية كلها قال يا علي والذي بعثني في الحق بالحق بشيرا ونذيرا ان احدكم ليقوم من وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينقل عليه من ذنوبه شيء كما ولدته أمه فإن أصاب شيئا بين الصلاتين كان له مثل ذلك حتى عد الصلوات الخمس ثم قال يا علي إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهجر جار علي باب احدكم فما بطن احدكم لو كان في جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات أكان يبقى في جسده درن فكذلك والله الصلوات الخمس لأمتي وقيل ان الحسنات يذهبن السيئات معناه ان الدوام على فعل الحسنات يدعو إلى ترك السيئات فكأنها يذهبن بها وقيل ان المراد بالحسنات التوبة فإنها تذهب السيئات بأن تسقط عقابها لأنه لا خلاف في ان العقاب يسقط عند التوبة (ذلك ذكرى للذاكرين) يعني ان ما ذكره من ان الحسنات تذهب السيئات فيه تذكير وموعظة لمن تذكر به وفكر فيه (واصبر) قيل معناه واصبر على الصلاة كما قال وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) اي المصلين عن ابن عباس وقيل معناه اصبر يا محمد على أذى قومك وتكذيبهم إياك وعلى القيام بما افترضه عليك وعلى اداء الواجبات والامتناع عن المقيحات فإن الله لا يهمل جزاء المحسنين على إحسانهم ولا يبطله بل يكافئهم عليه اكل الثواب (فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية) اي هلا كان والا كان ومعناه النفي وتقديره لم يكن من القرون من قبلكم قوم باقون (ينهون عن الفساد في الارض) أي كان يجب أن يكون منهم قوم بهذه الصفة مع انعام الله تعالى عليهم بكامل العقل وبعثة الرسل اليهم واقامة الحجج لهم وهذا تعجيب وتوبيخ لهؤلاء الذين سلكوا سبيل من قبلهم في الفساد نحو عاد وثمود والقرون التي عدها

القرآن واخبر بهلاكها اية ان العجب منهم كيف لم تكن من جنسهم بقية في الارض بأمرهم فيها بالمعروف وينهون عن المنكر وكيف اجتمعوا على الكفر حتى استأصلهم الله بالعذاب وانواع العقوبات لكفرهم بالله ومعاصيهم له وقيل اولو بقية معناه ذوو دين وخير وقيل معناه ذوو بركة وقيل ذوو تمييز وطاعة (إلا قليلا من أنجينا منهم) المعنى ان قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد وهم الأنبياء والصالحون الذين آمنوا مع الرسل فأنجيناهم من العذاب الذي نزل بقومهم وإنما جعلوا هذا الاستثناء منقطعاً لأنه إيجاب لم يتقدم فيه صيغة النفي وإنما تقدم تهجين خرج مخرج السؤال ولو رفع لجاز في الكلام (واتبع الذي ظلموا ما أترفوا فيه) اية واتبع المشركون ما عودوا من النعم والتنعم وإيثار اللذات على أمور الآخرة واشتغلوا بذلك عن الطاعات (وكانوا) اي وكان هؤلاء المتنعمون البطرون (مجرمين) مصرين على الجرم وفي الآية دلالة على وجوب النهي عن المنكر لأنه سبحانه ذمهم بترك النهي عن الفساد واخبر بأنه أنجى القليل منهم لنهيهم عن ذلك ونبه على أنه لو نهى الكثير كما نهى القليل لما هلكوا ثم اخبر سبحانه أنه لم يهلك إلا بالكفر والفساد فقال (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم أهلها مصلحون) وذكر في تأويله وجوه * أحدها * ان المعنى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم منه لهم ولكن إنما يهلكهم بظلمهم لأنفسهم كما قال ان الله لا يظلم الناس شيئاً الآية * وثانيها * ان معناه لا يؤاخذهم بظلم واحد مع ان أكثرهم مصلحون ولكن إذا عم الفساد وظلم الأَكثَرُونَ عذبهم * وثالثها * انه لا يهلكهم بشرهم وظلمهم لأنفسهم وهم يتعاطون الحق بينهم اي ليس من سبيل الكفار إذا قصدوا الحق في المعاملة أن يهلكهم الله بالعذاب عن ابن عباس في رواية عطا والواو في قوله وأهلها واو الحال وروي عن النبي ﷺ انه قال وأهلها مصلحون ينصف بعضها بعضهم

* النظم *

وجه اتصال قوله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم الآية بما قبلها انه تعالى لما ذكر اهلاك الأمم الماضية والقرون الخالية عقب ذلك بأنهم أتوا في اهلاكم من قبل قوسهم ولو كان فيهم مؤمنون بأمرهم بالصلاح وينهون عن الفساد لما استأصلناهم رحمة منا ولكنهم لما عمهم الكفر استحقوا عذاب الاستئصال

قوله تعالى (١١٨) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٩) إِلَّا مِنْ رَحْمَةِ رَبِّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْخَنِيسَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٢٠) وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنشِئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢١) وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢٢) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٢٣) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون أربع آيات كوفي وبصري ست آيات عند غيرهم والخلاف في لا يزالون مختلفين وأنا عاملون

* القراءة *

قرأ بفتح الألف بضم الياء وفتح الجيم وكسرها نافع وحفص والباقون يرجع بفتح الياء وقرأ عما تعملون بالتاء هنا وفي آخر النمل أهل المدينة والشام وبعقوب وحفص والباقون بالياء

* الحجة *

من ضم الياء من يرجع فلقوله ثم ردوا إلى الله مولاهم الحسق والمعنى رد أمرهم إلى الله ومن فتح الياء فلقوله والأمر يومئذ لله والمعنيان متقاربان ومن قرأ بالتاء في تعملون جعل الخطاب للنبي ^{صلى الله عليه وآله وسلم} وأمه وهو أعم فائدة ومن قرأ بالياء وجهه إلى من تقدم ذكره من الكفار وفيه ضرب من التهديد

* اللفظة *

القصص الخبر عن الأمور بما يتلو بعضه بعضا لأنه من قصه يقصه إذا اتبع أثره لأنه يتبع أثر من يخبر عنه والنبأ الخبر بما فيه عظيم الشأن يقولون لهذا الأمر نبأ والتثنية تمكين إقامة الشيء من الثبوت يقال ثبتت بتسكينه وثبتت بتمكينه وثبتت بالدلالة على ثبوته وثبتت بالخبر عن وجوده والفؤاد القلب مأخوذ من الفتاد وهو المستوى قال كأنه خارجا من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مفتاد

والمكانة الطريقة التي يتمكن من العمل عليها وله مكانة عند السلطان أي جاء وقدر والانتظار طلب الإدراك لما يأتي من الأمر لأنه من النظر والفرق بين الانتظار والترجي ان الترجي للخير خاصة والانتظار في الخير والشر

* الاعراب *

إلا من رحم ربك قال الزجاج هو استثناء على معنى لكن وتقديره لكن من رحم ربك فإنه غير مختلف وقوله لأملأن جهنم جواب القسم وتقديره ميمنا لأملأن كما تقول حلفي لأضربك وبدا لي لأضربك وكل فعل كان تأويله كتأويل بلغني أو قيل لي أو انتهى إلي فإن اللام وان يصلحان فيه فنقول بدا لي لأضربك وبدا لي ان اضربك ولو قيل وتمت كلمة ربك ان يملا جهنم كان صوابا وكلا نقص عليك نصب على المصدر وتقديره وكل القصص نقص عليك وقيل انه نصب على الحال فقدم الحال قبل العامل كما تقول كلا ضربت القوم ويمجوز أن يكون نصبا على انه مفعول به وتقديره وكل الذي يحتاج إليه نقص عليك ويكون ما ثبت به فؤادك بدلا منه قاله الزجاج وقوله إنا عاملون إنا منتظرون لو دخلت الفاء فقال إنا لأننا أفاد ان الثاني لأجل الأول وحيث لم يدخل لم يفد ذلك

* المعنى *

ثم اخبر سبحانه عن كمال قدرته فقال (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) أي على ملة واحدة ودين واحد فيكونون مسلمين صالحين عن قتادة وذلك بأن بلجئهم إلى الإسلام بأن يخلق في قلوبهم العلم بأنهم لو راموا غير ذلك لمنعوا منه لكن ذلك ينافي التكليف ويبطل الغرض بالتكليف لأن الغرض به استحقاق الثواب والالغاء يمنع من استحقاق الثواب فلذلك لم يشأ الله ذلك ولكنه شاء أن يؤمنوا باختيارهم ليستحقوا الثواب وقيل معناه لو شاء ربك لجعلهم امة واحدة في الجنة على سبيل التفضل لكنه اختار لهم اعلى الدرجتين فكفهم ليستحقوا الثواب عن أبي مسلم وقيل معناه لو شاء لرفع الخلاف فيما بينهم (ولا يزالون مختلفين) في الأديان بين يهودي ونصراني ومجوسي وغير ذلك عن مجاهد وقاتادة وعطا والأعمش والحسن في احدي الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى عنه أنهم مختلفون في الأرزاق والأحوال ولتسخير بعضهم لبعض وقيل معناه يخلف بعضهم بعضا في الكفر تقليدا من غير نظر فإن قولك خلف بعضهم بعضا وقولك اختلفوا سواء كما ان قولك قتل بعضهم بعضا وقولك اقتتلوا سواء عن أبي مسلم (إلا من رحم ربك) من المؤمنين فإنهم لا يختلفون ويجمعون على الحق عن ابن عباس والمعنى لا يزالون مختلفين بالباطل إلا من رحمهم الله بفعل اللطف لهم الذي يؤمنون عنده ويستحقون به الثواب فإن من هذه صورته ناج من الاختلاف بالباطل (ولذلك خلقهم) اختلف في معناه فقيل يريد وللرحمة خلقهم عن ابن عباس ومجاهد وقاتادة والضحاك

وهذا هو الصحيح واعترض على ذلك بأن قيل لو أراد الله ذلك لقال ولتلك خلقهم لأن الرحمة مؤنثة وهذا باطل لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي فإذا ذكر فعلى معنى التفضل والانعام وقد قال سبحانه هذا رحمة من ربي وإن رحمة الله قريب ومثله قول امرئ القيس

برهرة رودة رخصة
كخر عوبة البانة المنظر
ولم يقل المنطرة لأنه ذهب إلى الغصن وقال
قامت تبكيه على قبره
من لي من بعدك يا عامر
تركتني في الدار ذاغربة
قد ذل من ليس له ناصر
ولم يقل ذات غربة لأنه أراد شخصا ذا غربة وقالت الخنساء

فذلك يا هند الرزية فاعلمي ونيران حرب حين شب وقودها

أراد الرزة وفي امثال ذلك كثرة على ان قوله إلا من رحم ربك كما يدل على الرحمة بدل أيضا على أن يرحم فلا يمتنع ان يكون المراد لأن يرحموا خلقهم وقيل ان المعنى ولاختلاف خلقهم واللام للعاقبة يريد أن الله خلقهم وعلم ان عاقبتهم توّل إلى الاختلاف المذموم كما قال ولقد ذرأنا لجنهم عن الحسن وعطا ومالك ولا يجوز على هذا أن يكون اللام للغرض لأنه تعالى لا يجوز ان يريد منهم الاختلاف المذموم إذ لو أراد ذلك منهم لكانوا مطيعين له في ذلك الاختلاف لأن الطاعة حقيقتها موافقة الإرادة والأمر ولو كانوا كذلك لما استحقوا عقابا وأما إذا حمل معنى الاختلاف على ما قاله ابو مسلم فيجوز أن تكون اللام للغرض وقيل إن ذلك إشارة إلى اجتماعهم على الإيمان وكونهم فيه امة واحدة ولا محالة ان الله سبحانه لهذا خلقهم ويؤيد هذا قوله تعالى وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون (وقال) المرتضى قدس الله روحه قد قال قوم أن معنى الآية ولو شاء ربك أن يدخل الناس بأجمعهم الجنة فيكونوا في رسول جميعهم إلى التعميم امة واحدة لفعل وأجروا هذه الآية مجرى قوله ولو شئت لآتينا كل نفس هداها في انه أراد هديها إلى طريق الجنة فعلى هذا التأويل يمكن أن يكون لفظه ذلك إشارة إلى ادخالهم اجمعين الجنة لأنه تعالى إنما خلقهم للمصير اليها والوصول إلى نعيمها (وتمت كلمة ربك) أي وصل وحيه ووعيده الذي لا خلف فيه بتمامه إلى عبادته وقيل تمت كلمة ربك (صدقا) بأن وقع مخبرها على ما أخبر به عن الجبائي وقيل معناه وجب قول ربك عن ابن عباس وقيل مضى حكم ربك عن الحسن (لأنهم من الجنة والناس اجمعين) بكفرهم (وكلا) أي وكل القصص (نقص عليك من انباء الرسل) أي من اخبارهم (ما ثبت به فؤادك) أي ما تقوي به قلبك ونظيب به نفسك وتزبدك به ثباتا على ما انت عليه من الإنذار والصبر على اذى قومك الكفار (وجاءك في هذه الحق) أي سيف هذه السورة عن ابن عباس والحسن وبجاهد وقيل في هذه الدنيا عن قتادة وقيل في هذه الأنبياء عن الجبائي والحق الصدق من الأنبياء والوعد والوعيد وقيل معناه وجاءك في ذكر هذه الآيات التي ذكرت قبل هذا الموضع الحق في أن الخلق يجازون بانصباتهم في قوله وإنما لمؤمهم نصيبهم وإن كلا لما ليو فينهم وقد جاء في القرآن كله الحق ولكنه ذكرها هنا تو كيدا وليس إذا قيل قد جاءك في هذا الحق وجب أن يكون لم يأتك الحق إلا فيه ولكن بعض الحق أو كد من بعض عن الزجاج (وموعظة) أي وجاءك موعظة تعظ الجاهلين بالله وتزجر الناس عن المعاصي (وذكرى للمؤمنين) تذكرهم الآخرة (وقل) يا محمد للذين لا يؤمنون (اعملوا على مكاتكم) هذا مثل قوله اعملوا ما شئتم (إنا عاملون) على ما امرنا الله تعالى به وقد مر تفسير هذه الآية فيما مضى (واتظروا) أي توقعوا ما بعدكم ربكم على الكفر من العقاب (إنا منتظرون) ما بعدنا على الإيمان من الثواب وقيل انتظروا ما بعدكم الشيطان من الغرور إنا منتظرون

ما بعدنا ربنا من النصر والعلو عن ابن جريج (والله غيب السماوات والأرض) معناه والله علم ما غاب في السماوات والأرض لا يخفى عليه شيء منه عن الضحاك وقيل معناه والله مالك ما غاب في السماوات والأرض وقيل معناه والله خزائن السماوات والأرض عن ابن عباس ووجدت بعض المشايخ من يتسم بالعدوان والتشنيع قد ظلم الشيعة الإمامية في هذا الموضع من تفسيره فقال هذا يدل على ان الله سبحانه يختص بعلم الغيب خلافا لما تقول الرافضة أن الأئمة يعلمون الغيب ولا شك انه عني بذلك من يقول بإمامة الإثني عشر ويدين بأنهم أفضل الأنام بعد النبي ﷺ فإن هذا دأبه وديبته فيهم يشتم في مواضع كثيرة من كتابه عليهم وينسب الفضائح والقبايح اليهم ولا تعلم احدا منهم استجاز الوصف بعلم الغيب لاحد من الخلق فانما يستحق الوصف بذلك من يعلم جميع المعلومات لا يعلم مستفاد وهذه صفة القديم سبحانه العالم لذاته لا بشر كغيرها فيها احد من المخوفين ومن اعتقد ان غير الله سبحانه يشارك في هذه الصفة فهو خارج عن ملة الإسلام فأما ما نقل عن امير المؤمنين عليه السلام ورواه عنه الخاص والعام من الاخبار بالغائبات في خطب الملاحم وغيرها مثل قوله يومئذ به إلى صاحب الزنج كما في به يا احنق وقد سار بالجيش الذي ليس له غبار ولا لخب ولا قعقة لجم ولا سهيل خيل يثيرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام وقوله يشير إلى مروان اما إن له إمرة كلعقة الكلب انه وهو ابو الأكبش الاربعة وستلقى الأئمة منه ومن ولده موتا احمر وما نقل من هذا الفن عن ائمة الهدى عليهم السلام من أولاده مثل مقاله ابو عبد الله «ع» لعبد الله بن الحسن وقد اجتمع هو وجماعة من العلوية والعباسية ليبايعوا ابته محمدا والله ما هي اليك ولا الى ابنيك ولكنهم وأشار الى العباسية وان ابنيك لمتقولان ثم نهض وتوكل على يد عبد العزيز بن عمران الزهري فقال له أرأيت صاحب الرداء الأصفر يعني ابا جعفر المنصور قال نعم فقال انا والله نجده يقتله فكان كما قال ومثل قول الرضا «ع» بورك قبر بطوس وقبران ببغداد فقيل له قد عرفنا واحدا فما الآخر فقال ستعرفونه ثم قال قبوري وقبر هارون هكذا وضم اصبعيه وقوله في القصة المشهورة لأبي حبيب النباحي وقد ناوله قبضة من التمر لو زادك رسول الله ﷺ لزدناك وقوله في حديث علي بن احمد الوشاحين قدم مرو من الكوفة معك حلة في السقط الفلاني دفعها اليك ابنتك وقالت اشتر لي بضمها فيروزجا والحديث مشهور إلى غير ذلك مما روي عنهم عليهم السلام فإن جميع ذلك متلقى عن النبي ﷺ مما اطلعه الله عليه فلا معنى لنسبة من روى عنهم هذه الاخبار المشهورة الى انه يعتقد كونهم عالمين للغيب وهل هذا الاسبب قبيح وتضليل لهم بل تكفير لا يرتضيه من هو بالمذاهب خبير والله يحكم بينه وبينهم واليه المصير (واليه يرجع الأمر كله) أي الى حكمه يرجع في المعاد كل الأمور لأن في الدنيا قد يملك غيره بعض الأمر والنهي والنفع والضرر (فاعبده وتوكل عليه) يريد أن من له ملك السماوات والأرض واليه يرجع جميع الأمور فحقيق أن يعبد ويتذلل له ويتوكل عليه ويوثق به (وما ربك بغافل) أي بساه (عما تعملون) أي عن أعمال عبادك بل هو عالم بها وبماز كلا منهم عليها ما يستحقه من ثواب وعقاب فلا يجوز لك يا محمد اعراضهم عنك وتركهم القبول منك وروي عن كعب الاخبار انه قال خاتمة التوراة خاتمة هود

سورة يوسف

مكية وقال المعدل عن ابن عباس غير اربع آيات نزلن بالمدينة ثلاث من اولها والرابعة لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين

عدد آياتها

مائة واحدى عشرة آية بالاجماع

فضلاها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال علموا ارقاءكم سورة يوسف فإنه أيا مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله تعالى عليه سكرات الموت واعطاء القوة ان لا يحسد مسلما وروى ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال من قرأ سورة يوسف في كل يوم او في كل ليلة بعثه الله يوم القيامة وجماله مثل جمال يوسف ولا يصيبه فزع يوم القيامة وكان من خيار عباد الله الصالحين وقال فيها انها كانت في التوراة مكتوبة وروى اسماعيل بن ابي زياد عن ابي عبد الله عن ابيه عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله ﷺ لا تنزلوا نساءكم الفرف ولا تعلموهن الكتابة ولا تعلموهن سورة يوسف وعلموهن الغزل وسورة النور

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة هود بذكر قصص انباء الرسل افتتح هذه السورة بأن من تلك القصص قصة يوسف (ع) واخوته وانها من احسن القصص فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) أَلَمْ تَرَ أَنَّ آيَاتَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ثلاث آيات

الاعراب -

قرآنا عربيا فيه وجهان * احدها * قرآنا انتصب بأنه بدل من الهاء في انزلناه فكانه قال انا انزلنا قرآنا * والثاني * انه توطئة للحال لأن عربيا حال وهذا كما تقول مررت بزيدا رجلا صالحا فتنصب صالحا على الحال وتجعل رجلا توطئة للحال وقوله بما اوحينا اليك هذا القرآن القرآن نصب وإنه وصف لمعمول اوحينا وهو هذا او بدل او عطف بيان قال الزجاج ويجوز الجر والرفع جميعا في الكلام وإن لم يقرأ بها أما الجر فعلى البدل بما اوحينا اليك اي بهذا القرآن وأما الرفع فعلى ترجمة ما اوحينا اليك كأن قائلنا قال ما هو قبل هذا القرآن

(المعنى) -

(الر) قد سبق الكلام فيه في أول البقرة وإنما لم يعد آية لأنه على حرفين ولا يشاكل رؤوس الآتي وعدته آية لأنه يشبه رؤوس الآتي (تلك آيات الكتاب) قيل في معنى الإشارة بتلك وجوه * احدها * انه إشارة الى ما سيأتي من ذكرها على وجه التوقع لها * الثاني * انه إشارة الى السورة اي سورة يوسف آيات الكتاب المبين * الثالث * ان معناه هذه الآيات تلك الآيات التي وعدتم بها في التوراة كما قال

الم ذلك الكتاب عن الزجاج و(المبين) المظهر لحلال الله وحرامه والمعاني المرادة فيه عن مجاهد وقناة
والمبين والمبين واحد والبيان هو الدلالة (أنا أنزلناه) يعني القرآن أي أنزلنا هذا الكتاب وقيل أنزلنا خبر
يوسف وقصته عن الزجاج قال لأن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من
الشام إلى مصر وعن قصة يوسف (ع) فقال أنا أنزلناه (قرآنا عربيا) على مجاري كلام العرب في محاوراتهم
وروى ابن عباس عن النبي ﷺ قال أحب العرب لثلاث لأنني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي
(لعلكم تعلمون) أي لتعلموا جميع معانيه وتفهموا ما فيه وقيل معناه لتعلموا أنه من عند الله إذ كان عربيا وعجزتم
عن الإتيان بمثله وفي هذه الآية دلالة على أن كلام الله سبحانه محدث وأنه غير الله لأنه وصفه بالإزوال وبأنه
عربي ولا يوصف بذلك القديم سبحانه (نحن نقص عليك أحسن القصص) أي نبين لك أحسن البيان عن
الزجاج وهذا كقولهم صمت أحسن الصيام وقمت أحسن القيام مما يكون انصابه على أنه قائم مقام المصدر
فالغنى نبين لك أحسن تبين وأحسن إيضاح (بما أوحينا إليك) أي بوحينا إليك (هذا القرآن) ودخلت
الباء لتبيين القصص إذ القصص تكون قرآنا وغير قرآن والقصص ههنا بوحى القرآن وقيل إنما سمي القرآن
أحسن القصص لأنه بلغ النهاية في الفصاحة وحسن المعاني وعذوبة الالفاظ مع التلاوم المنافي للتناظر والتشاكل
بين المقاطع والفواصل وقيل لأنه ذكر فيه أخبار الأمم الماضية وأخبار الكائنات الآتية وجميع ما يحتاج إليه
العباد إلى يوم القيامة بأعذب لفظ وتهذيب في أحسن نظم وترتيب وقيل أراد بأحسن القصص قصة يوسف
وحدها لأنها تتضمن من الفوائد والنكت والفرائب مالا يتضمنه غيرها ولأنها تمتد امتدادا لا يمتد غيرها
مثلا وقوله أحسن القصص يدل على أن الحسن ينفاضل وتعاظم لأن لفظه أفضل حقيقتها ذلك وإنما يتعاظم
بكثرة استحقاق المدح عليه ويسأل عن هذا فيقال هل يجوز أن يسمى الله سبحانه قاصا فيقال لا لأنه في
العرف إنما يستعمل فيمن تمسك بطريقة مخصوصة وهذا كما أنه سبحانه لا يسمى معلما ولا مفتيا وإن وصف
نفسه بأنه علم القرآن وبأنه يفتيكم في النساء وقوله (وإن كنت من قبله لمن الغافلين) معناه وما كنت من
قبل أن أوحينا إليك هذا القرآن أو من قبل نزول القرآن عليك إلا من الغافلين عن الحكم التي في القرآن
لا تعلم شيئا منها وقيل من الغافلين عن قصة يوسف وعن الحكم التي فيها

قوله تعالى (٤) إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر
رأيتهم لي ساجدين (٥) قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن
الشیطان للإنسان عدو مبين (٦) وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم
نعمة عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبوبك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليهم
حكيم ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر وابن عامر يا أبت بفتح التاء والباقون بكسرهما وابن كثير وقف على الهاء يا أبه والباقون
بالتاء وروي في الشواذ عن أبي جعفر ونافع وطلحة بن سليمان أحد عشر بسكون العين والقراءة بفتحها وقرأ

الكسائي الابا الحارث وقتيبة بإمالة رويك والرويا في جميع القرآن وروى ابو الحارث عنه فتح رويك وإمالة الباقي وقتيبة أمال للرويا تعبرون فقط وقرأ خلف في اختباره بإمالة ما فيه الفولام والباقون بالتفخيم وخفف الهمزة في جميع ذلك ابو جعفر وورش وشجاع والترمذي الا ان ابا جعفر يدغم الواو في الياء فيجعلها ياء مشددة
= (الحجة) =

قال الزجاج من قرأ يا أبت بكسر التاء فعلى الإضافة الى نفسه وحذف الياء لأن ياء الإضافة تحذف في النداء وأما ادخال تاء التأنيث في الأب فإنما دخلت في النداء خاصة والمذكر قد يسمى باسم فيه علامة التأنيث ويوصف بما فيه تاء التأنيث فالإسم نحو نفس وعين والصفة نحو غلام بفعلة ورجل ربعة فلزمت التاء في الأب عوضا من ياء الإضافة والوقف عاينها يا أبة بالهاء وان كانت في المصحف بالتاء وزعم الفراء انك اذا كسرت وفتت بالتاء لا غير واذا فتحت وفتت بالتاء والهاء ولا فرق بين الكسر والفتح وأما يا أبت بالفتح فعلى أنه ابدل من ياء الإضافة الفاء ثم حذف الألف كما يحذف ياء الإضافة وبقيت الفتحة قال ابو علي من فتح فله وجهان * احدهما * ان يكون مثل يا طلحة اقبل ووجه قول من قال يا طلحة ان هذا النحو من الاسماء التي فيها تاء التأنيث أكثر ما يدعى مورخا فلما كان كذلك رد التاء المحذوفة في الترخيم اليه وترك الآخر يجري على ما كان يجري عليه في الترخيم من الفتح فلم يعتد بالهاء واقحمها والوجه الآخر ان يكون أراد يا أبتا فحذف الألف كما يحذف التاء فتبقى الفتحة دالة على الألف كما ان الكسرة تبقى دالة على الياء والدليل على قوة هذا الوجه كثرة ما جاءت هذه الكلمة على هذا الوجه كقول الشاعر « وهمل جزع ان قلت وأبتاهما » وقول الاعشى

ويا ابتا لا تنزل عندنا فإننا نخاف بأن نخنوم

وقول روية «يا ابتاعلك او عساكا» فلما كثرت هذه الكلمة في كلامهم الزموا القلب والحذف على ان ابا عثمان قدر رأى ذلك مطردا في جميع هذا الباب وأما وقف ابن كثير على الهاء فلأن التاء التي للتأنيث يبدل منها الهاء في الوقف فيغير الحرف بذلك في الوقف كما غير التنوين اذا انفتح ما قبله بأن ابدل منه الألف ومن قرأ أحد عشر بسكون العين قال ابن جني سبب ذلك عندي ان الاسمين لما جعلوا كالاسم الواحد وبني الأول منها لأنه كصدر الاسم من عجزه جعل تسكين أول الثاني دليلا على انها قد صاروا كالاسم الواحد وكذلك بقية العدد الى تسعة عشر الاثني عشر واثنى عشر فإنه لا يسكن العين لسكون الألف والياء قبلها قال الزجاج الرويا فيها أربع لغات روييا بالهمزة ورويا بالواو من غير همز ورويا على الادغام ورويا بكسر الراء قال ابو علي الرويا مصدر كالبرى والسقيا والبقيا والشورى الا انه لما صار اسما لهذا التخيل في المنام جرى مجرى الاسماء كما ان درا لما كثر في كلامهم في قولهم لله درك جرى مجرى الاسماء وخرج من حكم الاعمال فلا يعمل واحد منها اعمال المصادر وبما يقوي خروجه عن احكام المصادر تكسيرهم لها روي فصار بمنزلة ظم المصادر في الاكثر لا تكسر الرويا على تحميق الهمز فإن خففت قلبتها في اللفظ واوا ولم تدغم الواو في الياء وان كانت قد تقدمتها ساكنة كما تقلب في نحو طي ولي لأن الواو في تقدير الهمزة فهي لذلك غير لازمة فلا يقع الاعتداد بها وقد كسروا ولها قوم فقالوا روييا فهو لا قلبوا الواو قلبا على غير وجه التخفيف ومن ثم كسروا الغاء كما كسروا من قولهم قرن الوى وقرن لي

— اللغة —

الرويا تصور المعنى في المنام على توهم الابصار وذلك ان العقل مغمور بالنوم فإذا تصور الإنسان المعنى توهم انه يراه والكيد طلب الحيلة واللام في يكيدوا لك لام التعديبة كما تقول قدمت لك طعاما وقدمت اليك طعاما وشكرت لك وشكرتك يقال كاده يكيد كيدا وكادله والاجتباء اختيار معالي الأمور للمعجب وأصله من جبيت الماء في الحوض اذا جمعه

— الإعراب —

تقدير العامل في اذ يجوز ان يكون اذ كراهه قال اذ كراهه قال اذ قال يوسف قال الزجاج ويجوز ان يكون على نقص عليك اذ قال وقد غلط في هذا لأن الله تعالى لم يقص على نبيه عليه السلام هذا القصاص في وقت قول يوسف (ع) و كوا كبا منصوب على التمييز وقوله رأيتهم كرر الروية توكيذا ولأن الكلام قد طال والمعنى رأيت أحد عشر كوكبا والقمر لي ساجدين ولم يقل ساجدان لأنه لما وصف هذه الاشياء بالسجود كما يوصف الآدميون بذلك اجري فعلها مجرى فعل العقلاء وكما قال يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وموضع الكاف من قوله وكذلك نصب والمعنى ومثل ما رأيت يجتبيك ربك ويعلمك

— (المعنى) —

ثم ابتداء سبحانه بقصة يوسف (ع) فقال (إذ قال يوسف لأبيه) يعقوب (ع) وهو اسرائيل الله ومعناه عبد الله الخالص ابن اسحاق نبي الله بن ابراهيم خليل الله وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم (يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) اي رأيت في منامي قال ابن عباس ان يوسف (ع) رأى في المنام ليلة الجمعة ليلة القدر أحد عشر كوكبا نزلن من السماء فسجدن له ورأى الشمس والقمر نزلا من السماء فسجدتا له قال فالشمس والقمر أبواه والكواكب إخوته الأحد عشر وقال السدي الشمس أبوه والقمر خالته وذلك أن أمه راحيل قد ماتت وقال ابن عباس الشمس أمه والقمر أبوه وقال وهب كان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طولا كانت مر كوزة في الأرض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة ثب عليها حتى اقلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه فقال له إياك ان تذكر هذا لإخوتك ثم رأى وهو ابن اثني عشرة سنة ان احد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدت لها فقصها على أبيه (فقال) له لا تقصص رؤياك على إخوتك الآية وقيل انه كان بين رؤياه وبين مصير أبيه وإخوته الى مصر اربعون سنة عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل ثمانون سنة عن الحسن ولما طال الكلام كرر رؤيتهم واعاده للتأكيد وقيل أراد بالرويا الأولى روية الأعيان والاشخاص وبالروية الثانية روية سجودهم واختلاف في معنى هذا السجود فقيل انه السجود المعروف على الحقيقة لنكرته لا لعبادته وقيل معناه الخضوع له عن الجبائي كما قال الشاعر « ترى الأكم فيه سجدا للحوافر » وهذا ترك الظاهر ويقال ان اخوته لما بلغهم رؤياه قالوا ما رضى أن يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه (قال) يعقوب يا بني (لا تقصص رؤياك على اخوتك) اي لا تخبرهم بذلك (فيكيدوا لك كيدا) اي فيحسدوك او يقابلوك بما فيه هلاكك وذلك ان رؤيا الانبياء وحي وعلم يعقوب ان اخوة يوسف يعرفون تأويلها ويخافون علو يوسف عليهم فيحسدونه ويغفونه الغوائل (ان الشيطان للإنسان عدو مبين) اي ظاهر

العداوة فيلقي بينهم العداوة ويحملهم على انزال المكروه بك (و كذلك) اي كما أريك هذه الرويا تكريمة لك وأبين ان اخوتك يخضعون لك او يسجدون لك (يحببتك ربك) اي يصطفيك ربك ويختاراك للنبوة عن الحسن وقيل الحسن الخلق والخلق (ويعلمك من تأويل الأحاديث) قيل معناه ويعلمك من تعبير الرويا لأن فيه أحاديث الناس عن رؤياهم وسماه تأويلا لأنه يوول أمره الى ما رأى في المنام عن قتادة وقال ابن زيد كان أعراب الناس للرويا وقيل معناه ويعلمك عواقب الأمور بالنبوة والوحي اليك فنعلم الاشياء قبل كونها معجزة لك لأنه أضاف التعليم الى الله وذلك لا يكون الا بالوحي عن ابي مسلم وقيل تأويل أحاديث الأنبياء والأمم يعني كتب الله ودلائله على توحيده والمشروع من شرائعه وأمر دينه عن الحسن والجبائي والتأويل في الأصل هو المنتهى الذي يوول اليه المعنى وتأويل الحديث فقهه الذي هو حكمه لأنه اظهار ما يوول اليه أمره مما يعتمد عليه وفائدته (ويتم نعمته عليك) بالنبوة لأنها منتهى نعيم الدنيا وقيل اتمام النعمة هو ان يحكم بدوامها على تخليصها من شائب بها فهذه النعمة التامة وخصوصها مما ينقصها ولا يطلب ذلك الا من الله تعالى لأنه لا يقدر عليها سواه وقيل معناه ويتم نعمته عليك بأن يحوج اخوتك اليك حتى تنعم عليهم بعد اساءتهم اليك (وعلى آل يعقوب) اي وعلى اخوتك بأن يثبتهم على الإسلام ويشرفهم بمكانك ويجعل فيهم النبوة وقيل يتم نعمته عليهم بإفقاذهم من المحن على يديك (كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحاق) اي كما أتم النعمة على ابراهيم بالخلة والنبوة والنجاة من النار وعلى اسحاق بأن فداه عن الذبيح بذبح عظيم عن عكرمة وقال انه الذبيح وقيل بإخراج يعقوب واولاده من صلبه عن أكثر المفسرين قالوا وليس هو الذبيح وانما الذبيح اسماعيل (ان ربك عليم) ين يصلح للرسالة (حكيم) في اختيار الرسل وقيل عليم بأحوال خلقه حكيم في قضاياه

قوله تعالى (٧) لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين (٨) إذ قالوا ليوسف واخوه أحب إلى آيينا منا ونحن عصبة إن آباءنا لفي ضلال مبين (٩) أقبلوا يوسف وأطر حوه أرضا يخل لكم وجه أئيككم وتكونوا من بعده قوما صالحين (١٠) قال قائل منهم لا تغفلوا يوسف وآلوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السبارة إن كنتم فاعلين أربع آيات

✽ القراءة ✽

قرأ ابن كثير آية للسائلين والباقون آيات وقرأ اهل المدينة غيابة الجب والباقون غيابة الجب وفي الشواذ قراءة الاعرج غيابة مشددة وقراءة الحسن غيبة الجب وقرأ اهل المدينة والكسائي مبين اقبلوا بضم التنوين والباقون بالكسر

✽ الحجة ✽

قال ابو علي من قرأ آية على الأفراد جعل شأنه كاه آية ويقويه قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية فكل واحد منها على انفراده يجوز أن يقال فيه آية فأفرد مع ذلك ومن جمع جعل كل حال من احواله آية على ان المفرد المنكر في الإيجاب يقع دالا على الكثرة كما يقع كذلك في غير الإيجاب قال الشاعر
فقتلا بتقتيل وضربا بضر بكم
جزاء العطاش لا ينام من الشار

واما الغيبة فكل شي غيب شيئا عن ابي عبدة وأشد

فإن انا يوما غيبتني غيبة فسيروا بسيري في العشيرة والأهل والجب الركية التي لم تطو فمن أفرد فالوجه فيه ان الجب لا يخلو من أن يكون له غيبة واحدة أو غيابات وغيابة المفرد يجوز أن يعني به الجمع كما يعني به الواحد ومن جمع فإنه يجوز أن يكون له غيبة واحدة فجعل كل جزء منها غيبة كقولهم شابت مفارقة وبثر ذو غيابتين ويجوز ان يكون للبئر عدة غيابات فجمع لذلك واما غيابات بالتشديد فيكون اسما جاء على فعالة كما جاء التيار للموج والقياد لليوم الذكر والفخار للخزف وغير ذلك واما غيبته فيجوز ان يكون حدثا على فعلة من غاب فيكون بمعنى الظلمة ويجوز أن يكون موضعا على فعلة واما من ضم التنوين فلا أنه التقى الساكنان التنوين والقاف في اقتلوا ولزم تحريك الأول منها فحر كه بالضم ليتبع الضمة الضم كما قيل سر ومد ومن كسر التنوين فإنه لم يتبع الضم كما ان من قال مد لم يتبع وكسر الساكن على ما يجري عليه أمر تحريك الساكن في الأمر الشائع

✽ اللغة ✽

الآية والعلامة والعبارة نظائر والعصبة الجماعة التي يتعصب بعضها لبعض ويقع على جماعة من عشرة الى خمس عشر وقيل ما بين العشرة الى الاربعين ولا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والنفر والفرق بين المحبة والشهوة ان الانسان يحب والده ولا يشتميه بأن يميل طبعه اليه وبرق عليه ويريد له الخير والشهوة منازعة النفس الى ما فيه اللذة وإنما سمي البئر جبا لأنه قطع عنها ترابها حتى بلغ الماء من غير طي ومنه الم محبوب قال الأعشى

وإن كنت في جب ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم وكل ما غيب شيئا عن الحس بكونه فيه فهو غيبة فغيابة البئر شبه لطف او طاق فوق ما البئر والسيارة الجماعة المسافرون لأنهم يسرون في البلاد وقيل هم مارة الطريق والالتقاط تناول الشيء من الطريق ومنه اللقطة واللقيط ومعناه أن يجده من غير ان يحسبه يقال وردت الماء التقاطا إذا وردته من غير أن تحسبه

✽ الإعراب ✽

العامل في قوله إذ قالوا اذكر وتقديره اذكر إذ قالوا ليوسف ويحتمل أن يكون العامل فيه ما في الآية التي قبله من قوله لقد كان في يوسف واخوته آيات إذ قالوا واللام في قوله ليوسف جواب القسم تقديره والله ليوسف وأخوه أحب الى أينا منا يخجل لكم جواب الأمر وتكونوا جزم لأنه معطوف عليه وروي عن الحسن تلنقطه بعض السيارة بالتاء وهذا كما يقال أذهبت بعض اصابعه وقال الشاعر

طول الليالي اسرعت في نقضي طوين طولي وطوين عرضي فقال اسرعت وطوين لتأنيث الليالي ولم يحمله على طول وهو مذكر

✽ المعنى ✽

ثم أنشأ سبحانه في ذكر قصة يوسف فقال (لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين) ومعناه لقد كان في حديث يوسف واخوته عبر للسائلين عنهم وأعاجيب فمنها انهم نالوه بالأذى ودبروا في قتله واجتمعوا على القائه في البئر للحسد مع انهم اولاد الانبياء فصفع عنهم عليه السلام لما مكثه الله منهم وأحسن إليهم

ولم يعيرهم بما كان منهم وهذا خارج عن العادة وفيه عبرة لمن اعتبر فيها في منافع الدين ومنها الفرج بعد الشدة والمنحة بعد المحنة ومنها الدلالة على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ لأنه «ع» لم يقرأ كتابا فعلم انه لم يأت به ذلك إلا من جهة الوحي فهو بصيرة للذهن سأوه أن يخبرهم بذلك ومعجزة دالة على صدقه واخوته هم أولاد يعقوب وكان ليعقوب اثنا عشر ولدا لصلبه وكانوا اولاد علة عن الجبائي وقيل اسماوهم روييل وهو اكبرهم وشمعون ولاوي ويهوذا وريالون ويشجر وأمه لبيا بنت ليلان وهي ابنة خالة يعقوب ثم توفيت لبيا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل ابن يامين وولد له من سرتين له اسم احدهما زلفة والاخرى بلهة اربعة بنين دان ونفتالي وحاد وآشر وكانوا اثني عشر ثم اخبر سبحانه عما قالت أخوة يوسف حين سمعوا منام يوسف وتأويل يعقوب إياه فقال (اذ قالوا) اي قال بعضهم لبعض (ليوسف وأخوه) لأبيه وأمه بنيامين (أحب الى أبينا) يعقوب (منا) وذلك أن يعقوب (ع) كان شديد الحب ليوسف وكان يوسف من أحسن الناس وجها وكان يعقوب يؤثره على اولاده فحسدوه ثم رأى الرويا فصار حسدهم له أشد وقيل انه «ع» كان يرجمه وأخاه ويقربها لصغرها فاستنقلوا ذلك وروى ابو حمزة الثمالي عن زين العابدين «ع» ان يعقوب كان يذبح كل يوم كبشا فيصدق به ويأكل هو وعياله منه وان سائلا موثنا صواما اعتر بيا به عشية جمعة عند أوان افطاره وكان مجتازا غريبا فهتف على بابه واستطعمهم وهم يسمعون فلم يصدقوا قوله فلما يشئ أن يطعموه وغشيه الليل استرجع واستعبر وشكا جوعه الى الله تعالى وبات طويلا واصبح صائما صابرا حامدا لله وبات يعقوب وآل يعقوب بطائنا واصبحوا وعندهم فضلة من طعامهم فابنلاه الله سبحانه بيوسف (ع) وأوحى اليه ان استعد لبائني وارض بقضائي واصبر للمصائب فرأى يوسف الرويا في تلك الليلة والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة وروى ذلك عن ابن عباس او قريب منه (ونحن عصبه) معناه ونحن جماعة يتعصب بعضهم ببعض ويعين بعضهم بعضا اي فنحن أنفع لأبينا وقيل يعني ونحن عصبه لا يعجزنا الاحتيال عليه (إن أبانا لفي ضلال مبين) اي في ذهاب عن طريق الصواب الذي هو التعديل بيننا في المحبة وقيل معناه انه في خطأ من الرأي في أمور الأولاد والتدبير الدنيوي ونحن أقوم بأمور مواشيه وامواله وسائر اعماله ولم يريدوا به الضلال عن الدين لأنهم لو أرادوا ذلك امكنوا كفارا وذلك خلاف الاجماع ولأنهم بالاتفاق كانوا على دينه وكانوا يعظمونه غاية التعظيم ولذلك طلبوا محبته وأصل الضلال العدول وكل من ذهب عن شيء وعدل عنه فقد ضل واكثر المفسرين على ان أخوة يوسف كانوا أنبياء وقال بعضهم لم يكونوا أنبياء لأن الأنبياء لا يقع منهم القبائح وقال المرتضى قدس الله روحه لم يقيم لنا الحجة بأن أخوة يوسف الذين فعلوا ما فعلوه كانوا أنبياء ولا يمنع ان يكون الاسباط الذين كانوا أنبياء غير هؤلاء الأخوة الذين فعلوا بيوسف ما قصه الله تعالى عنهم وليس في ظاهر الكتاب ان جميع أخوة يوسف وسائر الاسباط فعلوا بيوسف ما حكاها الله من الكيد وقيل يجوز أن يكون هؤلاء الأخوة في تلك الحال لم يكونوا بلغوا الحلم ولا توجه اليهم التكليف وقد يقع ممن قارب البلوغ من الغلمان مثل هذه الأفعال ويعاتب على ذلك ويضرب وهذا الوجه قول البلخي والجبائي ويدل عليه قوله نرتع ونلعب وروى ابو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوة باسناده عن محمد بن اسماعيل بن بزيع عن حنان بن سدير قال قلت لابي جعفر أكان اولاد يعقوب أنبياء فقال لا ولكنهم كانوا اسباطا اولادا لأنبياء ولم يفارقوا الدنيا إلا سعداء تباوا وتذكروا ما صنعوا وقال الحسن كانوا رجالا بالغين ووقعت ذلك منهم صغيرة ثم اخبر سبحانه عنهم انهم قال بعضهم لبعض (اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا) اي اطرحوه في ارض بعيدة عن أبيه فلا يهتدي اليه وقيل معناه في ارض تأكله السباع او يهاك بغير ذلك (يحلل لكم وجه ابيكم) عن يوسف

وتخلص لكم محبته والمعنى انكم متى قتلتموه او طرحتموه في ارض أخرى خلا لكم ابوكم وعن عليكم (وتكونوا من بعده قوما صالحين) اي وتكونوا من بعد قتل يوسف او غيبته قوما تابعين والمعنى انكم اذا فعلتم ذلك وبلغتم اغراضكم تبتم مما فعلتموه وكنتم من جملة الصالحين الذين يعملون الصالحات وهذا يدل على انهم رأوا ذلك ذنباً يصح التوبة منه عن جماعة من المفسرين وقيل معناه وتكونوا قوما صالحين في امر دنياكم اي يعود حالكم مع ابيكم إلى الصلاح عن الحسن ومتى يسأل ههنا على قول من جعلهم غير بالغين فقال أليس يدل هذا القول منهم على بلوغهم لعلمهم بالوعيد فالجواب ان المراهق قد يجوز أن يعلم ذلك خاصة إذا كان مربي في حجر الأنبياء ومن اولادهم واختلف فيمن قال ذلك من اخوته فقال وهب قاله شعرون وقال مقاتل قاله رويين ثم اخبر سبحانه عن واحد من جملة القوم بقوله (قال قائل منهم) اي من اخوة يوسف (لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة) اي القوه في قعر البئر يتناوله بعض مارة الطرق والمسافرين فيذهب به إلى ناحية أخرى والقائل لذلك رويين وهو ابن خالة يوسف عن قتادة وابن اسحاق وكان احسنهم رأياً فيه فنهاهم عن قتله وقيل هو يهوذا وكان اقدمهم في الرأي والفضل وأسنتهم عن الاصم والزجاج وقيل هو لاوي رواه علي بن ابراهيم في تفسيره واختلفوا في ذلك الجب فقيل هو بئر بيت المقدس عن قتادة وقيل بارض الاردن عن وهب وقيل بين مدين ومصر عن كعب وقيل على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب عن مقاتل (إن كنتم فاعلين) معناه إن كنتم فاعلين شيئاً مما تقولون في يوسف فليكن هذا فعلكم فإنه دون القتل الصريح وقال ابن عباس يريد إن أضرتكم ما تريدون وقيل للحسن أحمده المؤمن فقال ما أنساك حديث بني يعقوب

قوله تعالى (١١) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١٢) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ آيات

(= القراءة) =

قرأ ابو جعفر والحلواني عن قالون لا تأمنا مشددة النون بلاشمة وقرأ الباقون بالإشمام وهو الإشارة إلى النون المدغمة بالضمة وهو اختيار ابي عبيدة وقرأ ابو جعفر ونافع يرتع ويلعب بالياء فيها وكسر العين من يرتع وقرأ ابن كثير ترتع وتلعب بالنون فيهما وكسر العين وقرأ ابو عمرو وابن عامر ترتع وتلعب بالنون فيهما وجزم العين وقرأ اهل الكوفة ورويس عن يعقوب يرتع ويلعب بالياء فيهما وجزم العين وقرأ روح وزيد عن يعقوب ترتع بالنون وجزم العين ويلعب بالياء وقد روي ذلك عن ابي عمرو وهو قراءة الأعرج وابراهيم النخعي وفي الشواذ قراءة العلاء بن سبيبة يرتع بالياء وكسر العين ويلعب رفعا وقراءة ابي رجا يرتع ويلعب

(= الحجة) =

قال الزجاج يجوز في تأمنا أربعة أوجه اشمام النون مع الادغام . الضم وهو الذي حكاه ابن مجاهد عن الفراء والاشعار بالضمة والادغام من غير اشمام لأن الحرفين من جنس واحد وتأمننا بالظهار ورفع النون الاولى لأن النونين من كلمتين وتضمنتا بكسر التاء لأن ماضيه على فعل كما قالوا تعلم وتعلم وهي قراءة يحيى بن وثاب وهذه القراءة مخالفة للمصحف وإن كانت في العربية جائزة وأما قوله ترتع وتلعب فقد قال ابو علي قراءة من قرأ ترتع بالنون وكسر العين ويلعب بالياء حسن لانه جعل الارتعا والقيام على المال لمن بلغ وجاوز الصغر واستند الالعاب إلى يوسف لصغره ولا لوم على الصغير في اللعب والدليل على صغر يوسف قول اخوته وانا له لحافظون ولو كان كبيرا لم يحتاج إلى حفظهم ويدل على ذلك قول يعقوب وأخاف ان يأكله الذئب وإنما يخاف الذئب على من لا دفاع به من شيخ كبير او من صبي صغير قال

اصبحت لا احمل السلاح ولا
والذئب اخشاه ان مررت به
وأما الارتعاء فهو افتعال من رعيت مثل شويت واشتويت وكل واحد منهما متعد إلى مفعول به قال الأعشى
ترتعي السفح فالكثيب فذاقار
فروض القطا فذات الرمال
وقال آخر

رَعَتْ بَارِضَ الْبُهْمَى جَحِيماً وَبُسْرَةَ
وَصَمْعَاءَ حَتَّى آتَقْتَهَا نِصَالَهَا

وقد يستقيم أن يقال نرتع وإنما ترتع ابلهم فيما قال ابو عبيدة ووجه ذلك انه كان الأصل يرتع ابلنا ثم حذف
المضاف واستند الفعل إلى المتكلمين فصار ترتع وكذلك نرتعي على يرتعي ابلنا ثم حذف المضاف فيكون نرتع
وقال ابو عبيدة نرتع نلهو وقد يكون هذه الكلمة على غير معنى الملهو ولكن على معنى النيل من الشيء كقولهم في
المثل الصيد والرعة وكان على هذا النيل والذلول ما يحتاج اليه الحيوان وقد قال الأعشى (صدر النهار يراعي ثيرة
رتما) وعلى هذا القول قالوا رأيت مرتع ابلك لمرادها الذي فيه فهذا لا يكون على اللهلانه جمع ثور راعع اورتوع
فاما من قرأ نرتع ونلعب بالنون فيكون نرتع على يرتع ابلنا او على اننا نل ما يحتاج اليه وينال معنا وامانلعب
فحكى ان ابا عمرو قيل له كيف يقولون نلعب وهم انبياء فقال لهم يكونوا يومئذ انبياء فلو صحت هذه الحكاية
عنه وصح عنده هذا التاريخ وإلا فقد قال الشاعر

جدت جداد بلاعب وتقشعت
غمرات قالت ليتها حيران

فكان الللاعب هاهنا الذي لم يتشمر في اهله فدخله بعض الهوييناه فهذا اسهل من الوجه الذي قوبل به الحق
وقد روي عن النبي ^{صلى الله عليه وسلم} انه قال اجابر فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك فهذا كأنه يتشاكل بباح وبنفس وجام
من الجد وقد روي عن بعض السلف انه كان إذا اكثر النظر في مسائل الفقه قال احمضوا فليس هذا اللعب كاللعب
في قوله ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب وأما من قرأ بالياء فيها فإن كان يرتع من الملهو كما فسره ابو
عبيدة فلا يمتنع أن يخبر به عن يوسف اصغره كما لا يمتنع أن ينسب اليه اللعب اذ كان يرتع من النيل
من الشيء فذلك لا يمتنع عليه ايضا فوجهها بين وهذا ابين من قول من قال ونلعب بالنون لأنهم سألوا ارساله
ليتنفس بلعبه ولم يسألوا ارساله ليلعبوا هم وأما من قرأ ويلعب بالرفع فإنه جعله استثناء اي هو ممن يلعب كقولك
زرني احسن اليك اي انا ممن يحسن اليك وأما من قرأ ويرتعم فمعناه يرتع ابله فحذف المفعول كما قال الخطيب

منعمة تصون اليك منها
كصونك من رداء شرعي

اي تصون الحديث وقال الشنفرى

كأن لها في الأرض نسيا تقصه
أي تقطع حديثها خفرا وحياء

المعنى

ثم بين سبحانه انهم عند اتفاق آرائهم فيما قاموا فيه من امر يوسف كيف سألوا أباهم فقالوا يا أبانا مالك
لا تأمنا على يوسف (اي مالك لا تثق بنا ولا تعتمدنا في امر يوسف) وإنا له لناصجون (أي مخلصون في إرادة
الخير به وفي هذا دلالة على انه عليه السلام كان يأبى عليهم ان يرسله معهم) (ارسله معنا غدا) اي إلى الصحراء
(رتع ونلعب) العجزم على جواب الأمر والمعنى ان ترسله معنا رتعم ونلعب اي نذهب ونجبي وننشط ونلهو عن
الكلي والضحاك وقيل نتحافظ فيحفظ بعضنا بعضنا ونلهو عن مجاهد وقيل نرعى ونتصرف والرعم هو التردد

عينا وشالا عن ابن زيد وأرادوا به اللعب المباح مثل الرمي والاستباق بالأقدام وقد روي أن كل لعب حرام إلا ثلاثة لعب الرجل بقوسه وفرسه وأهله (وإنا له) اي ليوسف (حافظون) أي نحفظه لنرده اليك وقيل نحفظه في حال لعبه وقال مقاتل هاهنا تقديم وتأخير وذلك إن اخوة يوسف قالوا له ارسله فقال ابوهم إني ليحزني أن تذهبوا به الآية فحينئذ قالوا يا أبانا ما لك لاتأمننا على يوسف وإنا له لناصحون وإذا صح الكلام من غير تقديم وتأخير فلا معنى لحمله عليه قال الحسن جعل يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في البلاء إلى أن وصل اليه ابوه ثمانين سنة ولبث بعد الاجتماع ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل انه كان ليوسف يوم القي في الجب عشر سنين وقيل كان له اثنتا عشرة سنة وقيل كان ابن سبع سنين او تسع وجمع بينه وبين ابيه وهو ابن اربعين سنة عن ابن عباس وغيره وفي الايات دلالة على ظهور حسدهم ليوسف لأنه كان يحرسه منهم وينعه عن الخروج معهم ولا يأمنهم عليه

قوله تعالى (١٣) قَالَ إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٤) قَالُوا لَنْ نَأْكُلَهُ الذِّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (١٥) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٦) وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٧) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٨) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ست آيات

✽ اللغة ✽

الذئب أصله الهمز وإن خفت جاز وقراءة الكسائي وخلف وابو جعفر وورش والاعشى واليزيدي بتخفيف الهمزة في المواضع الثلاث والباقيون بالهمز وجمع الذئب اذوب وذئاب وذوئبان وتذابت الريح أتت من كل جهة وحزنت واحزنت لغتان والحزن ألم القلب بفراق المحبوب والشعور إدراك الشيء بمثل الشعرة في الدقة ومنه المشاعر في البدن والمجيء والمصير إلى الشيء واحد وقد يكون المصير بالانقلاب كمصير الطين خزفا وقد يكون بمعنى الانتقال والعشاء آخر النهار ومنه اشتق الاعشى لأنه يستضي ببصر ضئيف ويقال العشاء اول ظلام الليل ويقال العشى من زوال الشمس إلى الصباح والعشاء من صلاة المغرب إلى العتمة والاستباق افتعال من السبق واستبقا تبادرا حتى يظهر الاقوى ومنه المسابقة وهو على ثلاثة أوجه سباق بالرمي وذلك جائز بالاتفاق وسباق على الخيل والإبل وذلك جائز عندنا وسباق على الأقدام وذلك غير جائز بعوض وبه قال الشافعي وعند ابي حنيفة يجوز بعوض وبلا عوض وبه قال قوم من اصحابنا وكذلك القول في الصراع ودم كذب اي مكذوب فيه وهو مصدر وصف به وقيل ان تقديره بدم ذي كذب قال الفراء يجوز أن يقع المصدر موقع المفعول كما يقع المفعول موقع المصدر في مثل قول الشاعر

حتى إذا لم يتركو العظامه لحما ولا لفؤاده معقولا

ولم يجزه سيويه وقال المفعول لا يكون مصدرا ويتأول قولهم خذ ميسرة ودع معسرة وقال يعني به خذ ما يسر له ودع ما عسر عليه وكذلك ليس لفؤاده معقول اي ما يعقل به وروي عن عائشة انها قرأت بدم كذب بالبدال اي دم طري والنسويل تزيين النفس ما ليس بحسن وقيل هو تقدير معنى في النفس على الطمع في تمامه

* الاعراب *

اللام في قوله لئن هي الايام التي يتلقى بها القسم وانا اذا نحاسرون جواب القسم فلما ذهبوا به جواب لما
محذوف وتقديره عظمت فتنتهم او كبر ما قصدوا له والكوفيون يقولون الواو في واجمعوا مقحمة وتقديره
اجمعوا ولا يميز البصريون اقحام الواو وقالوا لم يثبت ذلك بحجة ولا قياس وبما أنشده الكوفيون في ذلك قول الشاعر

حتى إذا قملت بطونكم
ورأيتم ابناكم شجوا
وقلبتم ظهر المجن لنا
إن اللئيم العاجز الخب

وقول امرئ القيس

فلما أجزنا ساحة الحبي وانتحي بنا بطن خبت ذي حفاف عقنقل

قالوا أراد انتحي والبصريون يحملون الجميع على حذف الجواب وقوله ييكون في موضع نصب على الحال
وعشاء منصوب على الظرف وجائز أن يكون وهم لا يشعرون من صلة قوله لتنبئهم وجائز أن يكون من صلة
وأوحينا اي نبأناه بالوحي وهم لا يشعرون انه نبي قد أوحى اليه ونستبق في موضع نصب على الحال وصبر جميل
مرفوع على احد وجهين على انه خبر مبتدأ محذوف وتقديره فشأنني صبر جميل او فصبري صبر جميل وهو قول
قطرب او على انه مبتدأ محذوف الخبر والتقدير فصبر جميل امثل وانشد

شكا إلي جملي طول السرى يا جملي ليس إلي المشتكى

صبر جميل فكلانا مبتلى

ويجوز في غير القرآن فصبر جميل وروي ذلك عن ابي ويكون معناه فاصبري يا نفس صبرا جميلا قال ذو الرمة

ألا إنما مي فصبرا بلية وقد يبتلى الحر الكريم فيصبر

وقال الآخر

أبي الله أن يبقى لحي مجاشة فصبرا على ما شاءه الله لي صبرا

* المعنى *

ثم اخبر سبحانه انهم لما اظهروا النصح والشفقة على يوسف هم يعقوب ان يبعثه معهم وحثمهم على حفظه فقال
(اني ليعزني) اي يعفني (ان تذهبوا به) وتقديره عني وقيل معناه يعزني مفارقتي إياي (واخاف) عليه إذا ذهبتم
به إلى الصحراء (أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) فهذه جملة في موضع الحال وتقديره اخاف ان يأكله الذئب
في حال كونكم ساهين عنه مشغولين ببعض اشغالكم قالوا وكانت ارضهم مذابة وكانت الذئاب ضاربة في
ذلك الوقت وقيل ان يعقوب رأى في منامه كأن يوسف قد شد عليه عشرة اذون ليقتلوه وإذا ذئب منها يحمي
عنه فكان الارض انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها إلا بعد ثلاثة ايام فمن ثم قال هذا فلقتهم العلة وكانوا
لا يدرون وروي عن النبي ﷺ انه قال لا تلقوا الكذب فيكذبوا فإن بني يعقوب لم يعلموا ان الذئب
يأكل الانسان حتى لقتهم ابوهم وهذا يدل على ان الخضم لا ينبغي أن يلحق حجة وقيل انه خاف عليه أن يقتلوه
فكثرت عنهم بالذئب مساورة لهم قال ابن عباس ساهم ذئبا (قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة) اي جماعة
متعاضدون متناصرون نرى الذئب قد قصده ولا يئتمه منه (إننا إذا نحاسرون) أي نكون كالذين تذهب عنهم
رؤوس امثالهم على رغم منهم وقيل معناه إننا إذا عجزت ضعفة قال الحسن والله لقد كانوا اخوف عليه من الذئب
وقيل معناه إننا إذا لمضيعون بلغة قيس عيلان عن الموزج وهوننا حذف والتقدير انه ارسله معهم إجابة لما سأله
ليؤدي ذلك إلى اللفة والمجبة (فلما ذهبوا به واجمعوا) اي عزموا جميعا (أن يجعلوه في غيابة الجب) اي قعر

البشر واتفقت دواعيهم عليه فإن من دعاه داع واحد إلى الشيء لا يقال فيه انه اجمع عليه فكأنه مأخوذ من اجتماع الدواعي ويدل الألف واللام على انه كان بشرا معروفة معروفة عندهم تجميعها السيارة وقيل انهم طلبوا بشرا قليلة الماء تميمه ولا تفرقه فجعلوه فيها وقيل بل جعلوه في جانب منها وقيل ان يعقوب ارسله معهم فأخرجوه مكرما فلما وصلوا إلى الصحراء أظهروا له العداوة وجعلوا يضربونه وهو يستغيث بواحد واحد منهم فلا يقبضه وكان يقول يا أبتاه فحموا بقتله فمنهم يهودا منه وقيل منهم لاوي رواه بعض اصحابنا عنهم عليهم السلام فانطلقوا به إلى الحب فجعلوا يدأونه في البشر وهو يتعلق بشفير البشر ثم تزعوا قميصه عنه وهو يقول لا تفعلوا ردوا علي القميص أتواري به فيقولون ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا يونسك فدأوه في البشر حتى إذا بلغ نصفها القوه ارادة ان يموت وكان في البشر ماء فسقط فيه ثم آوى إلى صخرة فقام عليها وكان يهودا يأتيه بالطعام عن السدي وقيل ان الحب اضاء له وعذب ماؤه حتى أغناه عن الطعام والشراب وقيل كان الماء كدرا فصفا وعذب ووكل الله به ملكا يحرسه ويضعه عن مقاتل وقيل ان جبرائيل كان يونسه وقيل ان الله تعالى أمر بصخرة حتى ارتفعت من أسفل البشر فوقف يوسف عليها وهو عريان وكان ابراهيم الخليل (ع) حين القي في النار جرد من ثيابه وقذف في النار عريانا فأثته جبرائيل (ع) بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه وكان ذلك عند ابراهيم (ع) فلما مات ورثه اسحاق فلما مات اسحاق ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في تعويد وعلقه في عنقه فكان لا يفارقه فلما أتى في البشر عريانا جاءه جبرائيل وكان عليه ذلك التعويد فأخرج منه القميص فألبسه إياه وروى ذلك مفضل بن عمر عن الصادق (ع) قال وهو القميص الذي وجد يعقوب ريجمه ولما فصلت العير من مصر وكان يعقوب بفلسطين فقال إني لأجد ريج يوسف وفي كتاب النبوة عن الحسن بن محبوب عن محبوب بن الحسن بن عمار عن مسمع ابني سيار عن الصادق (ع) قال لما القي اخوة يوسف يوسف في الحب تزل عليه جبرائيل فقال له يا غلام من طرحك هنا فقال اخوتي لمزاتي من ابني حسدوني ولذلك في الحب طرحوني فقال أحب أن تخرج من هذا الحب قال ذلك إلى آل ابراهيم واسحاق ويعقوب فقال له جبرائيل فإن آل ابراهيم واسحاق ويعقوب يقول لك قل اللهم إني اسألك بأنك الحمد لا إله إلا انت بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام أن تصلي على محمد وآل محمد وان تجعل لي في امري فرجا ومخرجا وترزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا احتسب فجعل الله له من الحب يومئذ فرجا ومخرجا ومن كيد المرأة ومخرجا وآتاه ملك مصر من حيث لم يحتسب وروى علي بن ابراهيم ان يوسف (ع) قال في الحب يا آل ابراهيم واسحاق ويعقوب ارحم ضعفي وقلة حيلتي وصغري وقوله (وأوحينا إليه) يعني إلى يوسف (ع) قال الحسن اعطاه الله النبوة وهو في الحب والبشارة بالنجاة والملك (لتبئنههم بأمرهم هذا) أي لتخبرنهم بقبيح فعلهم بعد هذا الوقت يريد ما ذكره سبحانه في آخر السورة من قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه (وهم لا يشعرون) انك يوسف وكان الرحي اليه كالوحي الى سائر الأنبياء وقال مجاهد وقتادة اوحى الله اليه ونبأه وهو في الحب وكان فيا اوحى اليه ان اكنتم حالكم واصبر على ما اصابك فإنك ستخبر اخوتك بما فعلوا بك في وقت لا يعرفونك وقيل يريد وهم لا يشعرون بأنه اوحى اليه وقيل ان معنى قوله لتبئنههم لتجازينهم على فعلهم تقول العرب للرجل يتوعد مجازاة سوء فعله لا تبئنه ولا عرفنه اي لا تجوزينك وقيل أراد بذلك انهم لما دخلوا مصر عرفهم يوسف وهم له منكرون فأخذ الصاع ونقره فطن فقال ان هذا الجاه ليخبرني انه كان لكم أخ من أبيكم القيثموه في الحب وبعتموه بشحن نجس فهذا معنى قوله لتبئنههم بأمرهم هذا عن ابن عباس ثم بين سبحانه حالهم حين رجعوا الى أبيهم فقال (وجاؤا اباهم) يعني وانقلب اخوة يوسف الى أبيهم (عشاء) اي ليلا او في آخر النهار ليلسوا على أبيهم وليكونوا اجرا على الاعتذار (يبكون) وانما أظهر والبكاء ليومئذ انهم صادقون وفي هذا دلالة على ان البكاء لا يوجب صدق دعوى الباكي في دعواه قال السدي لما سمع

بكاؤهم فزع فقال ما بالكم (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) اي نشدد ونعدو على الاقدام لننظر ايننا اعدي واسبق لصاحبه عن الجبائي والسدي وقيل معناه نتصل وتترامى فننظر اي السهام اسبق الى الغرض عن الزجاج وفي قراءة عبد الله نتصل (وتركتنا يوسف عند متاعنا) اي تركناه عند الرجل ليحفظه (فأكله الذئب وما انت بمؤمن لنا) اي ما انت بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) جواب لو محذوف اي و لو كنا صادقين ما صدقتنا لاتهامك لنا في أمر يوسف ودل الكلام عليه ولم يصفوه بأنه لا يصدق الصادق لأن المعنى لا يصدقهم لاتهامهم لهم وسوء ظنه بهم لما ظهر له من امارات حسدهم ليوسف وشدة محبته ليوسف (وجاؤا على قميصه بدم كذب) معناه ان أخوة يوسف جاؤا بأباهم ومعههم قميص يوسف ملطخا بدم فقالوا له هذا دم يوسف حين أكله الذئب وقيل انهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمه على قميصه عن ابن عباس ومجاهد وقيل ظبيا ولم يمزقوا ثوبه ولم يخطربياهم ان الذئب اذا أكل إنسانا فإنه يمزق ثوبه وقيل ان يعقوب قال لهم اروي القميص فاروه إياه فقال لهم لما رأى القميص صحيحا بني والله ما عهدت كالיום ذنبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق قميصه عن الحسن وروي انه القي ثوبه على وجهه وقال يا يوسف لقد أكلت ذئب رحيم أكل لحمك ولم يشق قميصك ومعنى قوله بدم كذب مكذوب عليه او فيه كما يقال ماء سكب اي مسكوب وشراب صب اي مصبوب قال الشاعر

تظل جيادهم نوحا عليهم مقلدة اعنتها صفونا

اراد نأخه عليهم وقيل انه كان في قميص يوسف ثلاث آيات حين قدم من دبر وحين القي على وجه أبيه فارتد بصيرا وحين جاؤا عليه بدم كذب فتنبه يعقوب على ان الذئب لو أكله لمزق قميصه عن الشعبي وقيل انه لما قال لهم يعقوب ذلك قالوا بل قتله اللصوص فقال (ع) فكيف قتلوه وتركوا قميصه وهم الى قميصه أخرج منهم الى قتله (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) اي قال يعقوب لهم اذا اتهمهم في يوسف لم يأكله الذئب ولم يقتله اللصوص ولكن زينت لكم أنفسكم أمرا علمتموه عن قتادة وقيل سهل بعضكم لبعض أمرا في يوسف غير الذي فعلتموه حتى سهل عليكم فقتلتموه عن ابي مسلم والجبائي وانما رد يعقوب عليهم بوجي من الله عز اسمه وقيل كان ذلك حدثا بصائب رآه رصادق ذهذه (فصبر جميل) اي فصبري صبر جميل لاجزع فيه ولا شكوى إلى الناس وقيل فصبر جميل احسن واولى من الجزع الذي لا يعني شيئا وقيل انما يكون الصبر جميلا اذا قصد به وجه الله تعالى وفعل للوجه الذي وجب فلما كان الصبر في هذا الموضع واقعا على الوجه المحمود صح وصفه بذلك ذكره المرتضى قدس الله روحه وقيل ان البلاء تزل يعقوب على كبره ويوسف على صغره بلا ذنب كان منهما فأكب يعقوب على حزنه وانطلق يوسف في رقه وكل ذلك بعين الله يرى ويسمع حتى أتى بالخرج وكل ذلك امتحان (والله المستعان على ما تصفون) اي بالله استعين على دفع ما تصفون او به استعين على تحمل مرارة الصبر عليه ومكث يوسف في الجب ثلاثة أيام

قوله تعالى (١٩) ^{سيارة} وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ آياتان

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة يا بشرى بالف بغير ياء الان حمزة والكسائي وخلف يميلون الراء وعاصم لا يميل والباقون يا بشرى بفتح الياء واثبات الالف وفي الشواذ قراءة الجحدري وابن ابي اسحاق والحسن يا بشرى

✽ الحجة ✽

قال ابو علي من قرأ يا بشراي فأضاف الى الياء التي للمتكلم كان للالف التي هي حرف الاعراب عنده موضعان من وجهين ✽ احدهما ✽ ان الالف في موضع نصب من حيث كان نداء مضافا ✽ والاخر ✽ ان يكون في موضع كسر من حيث كان بمنزلة حرف الاعراب الذي في غلامي والدليل على استحقاقها لهذا الموضع قولهم كسرت في فلولا ان حرف الاعراب الذي ولي ياء الإضافة في موضع كسر ما كسرت الفاء من في فلما كسرت كما كسرت من قولهم بفيك وكما فتحت من قولهم رأيت فاك لما كانت في موضع الفتحة التي في قولك رأيت غلامك وانضمت في قولك هذا فوك لاتباعه الضمة المقدرة فيها كالتي في قولك هذا غلامك كذلك كسرت في قولهم كسرت في وهذا بذلك على انه ليس يعرب من مكانين الا ترى انها تبعت حركة غير الاعراب في قولك كسرت في يا هذا كما تبعت حركة الاعراب في رأيت فاك ومن قال يا بشري احتمل وجهين ✽ احدهما ✽ ان يكون في موضع ضم مثل يا رجل الاختصاصه بالنداء ✽ والاخر ✽ ان يكون في موضع نصب وذلك لانك اشبعت النداء ولم تختص به كما فعلت في الوجه الأول فصار كقوله يا حشرة على العباد الا ان التنوين لم يلحق بشري لانها لا تنصرف فأما من قرأ يا بشري فإن تلك لغة هذيل قال ابو ذؤيب

سبقوا هوي واعتقوا لسيلهم
فتخرموا ولكل جنب مهجع
وقال آخر

يطوف لي به عكب في سعد
ويطعن بالصملة في قفيا
فإن لم تتأرالي من عكب
فلا رويتما أبدا صديا

وامثاله كثيرة

= اللغة =

الوارد الذي يتقدم الرفقة الى الماء ليستقي وتقول ادليت الدلو اذا ارسلتها في البئر لتملأها ودلوتها اذا اخرجتها ملاء وبضاعة قطعة من المال تجعل للتجارة من بضعت الشيء اذا قطعته ومنه الموضع لأنه يبضع به العرق والشري البيع قال الشاعر « وشريت بردا ليثني * من بعد برد كنت هامه » والتمن بدل الشيء من العين او الورق ويقال في غيرهما ايضا مجازا والبخس النقص من الحق يقال يخسه في الكيل او الوزن اذا نقصه من حقه فيها

= (الاعراب) =

قال الزجاج معنى النداء في يا بشري وما في معناها مما لا يجب ولا يعقل فإنه على تنبيه المخاطبين وتوكيد القصة اذا قلت يا عجباه فكأنك قلت اعجبوا يا أيها العجب هذا من حينك وكذلك اذا قلت يا بشري فكأنك قلت ابشروا يا أيها البشري هذا من آياتك وبضاعة منصوب على الحال وتقديره وأسروه جاعليه بضاعة ودراهم في موضع جر بأنه بدل من ثمن ومعدودة صفة الدراهم وكانوا فيه من الزاهدين فيه ليست من صلة الزاهدين والمعنى وكانوا من الزاهدين ثم بين في أي شيء زهدوا فقال فيه فكأنه قال زهدوا فيه وهذا في الظروف جائز ولا يجوز ذلك في المفعولات لو قلت كنت زيدا من الضاربين لم يجوز لأن زيدا من صلة الضاربين ولا تتقدم الصلة على الموصول

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف بعد القائه في الجب فقال (وجاءت سيارة) اي جماعة مارة قالوا وانما جاءت من قبل مدين يريدون مصر فأخطأوا الطريق فانطلقوا بهيمون على غير الطريق حتى نزلوا قريبا من الجب

وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران وانما هو للرعاة والمجتازة وكان ماؤه ملحا فعذب وقيل كان الجب يظهر الطريق (فأرسلوا واردهم) اي فبعثوا من يطلب لهم الماء يقال بعثوا رجلا يقال له مالك بن زعر ليطلب لهم الماء (فأدلى دلوه) اي ارسل دلوه في البئر ليستقي فتعلق يوسف (ع) بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام أحسن ما يكون من الغلمان قال النبي ^{صلى الله عليه وسلم} اعطى يوسف شطر الحسن والنصف الآخر لسائر الناس وقال كعب الاحبار وكان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العين مستوى الخلق ابيض اللون غليظ الساقين والعضدين خميص البطن صغير السرة وكان اذا تبسم رأيت النور في ضواحه واذا تكلم رأيت في كلامه شعاع النور يلتهب عن ثناياه ولا يستطيع احد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم (ع) يوم خلقه الله عز وجل وصوره وقبح فيه من روحه قبل ان يصيب المعصية ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد اعطيت سدس الحسن فلما رآه المدلي (قال يا بشرى هذا غلام) عن قتادة والسدي وقيل انه نظر في البئر لما ثقل عليه الدلو فرأى يوسف (ع) فقال هذا غلام فأخرجوه عن الجبائي وقيل ان بشرى رجل من اصحابه ناداه عن السدي (وأسروه بضاعة) اي وأسروا يوسف الذين وجدوه من رفقاءهم من التجار مخافة ان يطلبوا منهم الشركة معهم في يوسف فقالوا هذا بضاعة لأهل الماء دفعوه اليها لتبيعه لهم عن مجاهد والسدي وقيل معناه وأسروا اخوته يكتمون انه اخوهم فقالوا هو عبد لنا قد ابق واخفى منا في هذا الموضع وقالوا له بالعبرانية لئن قلت انا اخوهم قتلناك فتابعهم على ذلك لئلا يقتلوه عن ابن عباس (والله عليم بما يعملون) اي بما يعمل اخوة يوسف (ومثروه بثمر بخس) اي باعوه بثمر ناقص قليل عن عكرمة والشعبي وقيل حرام لأن ثمن الحر حرام عن الضحاك ومقاتل والسدي وسمي الحرام بخسا لأنه لا بركة فيه فهو منقوص البركة (دراهم معدودة) اي قليلة وذكر العدد عبارة عن القلة وقيل انهم كانوا لا يزنون من الدراهم ما دون الاوقية و كانوا يزنون الاوقية وهي الاربعون فما زاد عليها وكانت الدراهم عشرين درهما عن ابن عباس وابن مسعود والسدي وهو المروي عن علي بن الحسين (ع) قال و كانوا عشرة فاقسموها درهمين درهمين وقيل كانت اثنى عشرين درهما عن مجاهد وقيل كانت اربعين درهما عن عكرمة وقيل ثمانية عشر درهما عن ابي عبد الله (ع) واختلف فيمن باعه فقيل ان اخوة يوسف باعوه وكان يهودا منتقيا بنظر الى يوسف فلما اخرجوه من البئر اخبر اخوته فأتوا مالك الكاهن وباعوه منه عن ابن عباس ومجاهد واكثر المفسرين وقيل باعه الواجدون بمصر عن قتادة وقيل ان الذين أخرجوه من الجب باعوه من السيارة عن الأصم والأصح الأول وذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره قال فلم يزل مالك بن زعر وأصحابه يتعرفون من الله الخبير في سفرهم ذلك حتى فارقوا يوسف فنقدوا ذلك قال وتحرك قلب مالك ليوسف فأتاه فقال اخبرني من انت فاتتبه له يوسف ولم يكن مالك يعرفه فقال انا يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم فالزمه مالك وبكى وكان مالك رجلا عاقرا لا يولد له فقال ليوسف لو دعوت ربك ان يهب لي ولدا فدعا يوسف ربه ان يجعل له ولدا ويجعلهم ذكورا فولد له اثنا عشر بطنا في كل بطن غلامان (و كانوا فيه من الزاهدين) قيل يعني به ان الذين اشتروه كانوا من الزاهدين في شرائه لأنهم وجدوا علامة الاحرار وأخلاق أهل البر والتبيل فلم يرغبوا فيه مخافة ان يلحقهم تبعه في استعباده وقيل معناه كانوا من الزاهدين في نفس يوسف لم يشروه للنجور وانما اشتروه للريح وقيل المراد به الذين باعوه من اخوته كانوا غير راغبين في يوسف ولا في ثمنه ولكنهم باعوه حتى لا يظهر ما فعلوا به وكان قصدهم تبيده وقيل كانوا من الزاهدين في يوسف لأنهم لم يعرفوا موضعه من الله سبحانه وكرامته عليه ولا تنافي بين هذه الاقوال فيجوز حمل الآية على جميعها وقيل ان الذين باعوه بمصر كانوا من الزاهدين في ثمنه لأنهم علموا انه لقطعة وليست ببضاعة

قوله تعالى (٢١) وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَامْرَأَتِهِ اَكْرَمِي مِشْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ

تَتَّخِذُهُ وِلْدَانًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٢) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ آيات

— (اللغة) —

التواء الإقامة والثوى موضع الإقامة والاكرام اعطاء المراد على جهة الاعظام وهو بتعاضد فاعلاه منزلة ما يستحق بالنبوة وادناه ما يستحق بخصلة من الطاعات وأشد جمع لا واحد له وقيل هو واحد وان كان على وزن الجمع فهو مثل الآتك وهو الرصاص وقيل انه جمع واحده شد كما ان واحدا لا شر شر قال الشاعر
هل غير أن كثر الاشر واهلكت حرب (?) الملوك اكثر الاموال

— (الاعراب) —

مصر لا ينصرف لأنه مؤنث معرفة وان ينفعنا في موضع رفع لكونه فاعل عسى وعسى هذه تامة لأنها تامة فاعلها واللام في قوله ولنعلمه محمولة على تقدير دبرنا ذلك لنمكنه ولنعلمه

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف بعد ان بيع فقال (وقال الذي اشتراه) اي اشترى يوسف (من مصر) اي من أهل مصر (لامراته اكرمي مثواه) اي مقام يوسف وموضع نزوله اي هيئ له موضعا كريما شريفا وتقدير الآية فحملوه الى مصر وباعوه وحذف ذلك للدلالة عليه وكان المشتري خازن فرعون مصر وخليفته وصاحب جنوده واسمه قطفير وكان لا بائي النساء وقيل ان اسمه اظفير وكان يلقب بالعزيز ومن كان بمكانه يسمى بالعزيز ومن يسمى بالعزيز ممن لم يكن بمكانه تزعم لسانه فلما عبر يوسف رؤيا الملك سمي العزيز وجعل مكان العزيز وكان باعه مالك بن زعر منه بأربعين دينارا وزوج نعل وثوبين ابيضين عن ابن عباس وقيل انه عرضه على البيع في سوق مصر فترابوا حتى بلغ ثمنه وزنه ورقا ومسكا وحريرا عن وهب فاشتراه العزيز بهذا الثمن وقال لامراته راعيل ولقبها زليخا اكرمي مثواه (عسى ان ينفعنا) اي عسى ان يبيعه فترى على ثمنه (او تتخذة ولدا) فإنه لا ولد لنا وإنما قال ذلك لما رأى على يوسف من الجمال والعقل والهداية في الأمور وعلى هذا فالعزيز هو خازن الملك وخليفته والملك هو الريان بن الوليد رجل من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه ثم مات ويوسف بعده حي فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى ان يقبل وقال ابن عباس العزيز ملك مصر وكذلك هو في حديث علي بن الحسين عليه السلام (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) أي كما أنعمنا على يوسف بالسلامة والخروج من الجب مكناه في الأرض بأن عطفنا عليه قلب الملك الذي اشتراه حتى صار بذلك متمكنا من الأمر والنهي في الأرض التي كانت يستولي عليها الملك وهي أرض مصر (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) وقد مضى معناه في أول السورة (والله غالب على أمره) أي على أمر يوسف يحفظه ويرزقه حتى يبلغه ما قدر له من الملك والنبوة ولا يكفه إلى غيره وقيل معناه والله غالب على أمر نفسه لا يعجزه شيء من تدبيره وأفعاله فهو الفاعل لما يشاء كيف يشاء (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان الله غالب على أمر نفسه او أمر يوسف وقيل معناه لا يعلمون ما يصنع الله بيوسف وما يؤول اليه حاله (ولما بلغ) يوسف (أشده) أي منتهى شبابه وقوته وكال عقله وقيل الأشد من ثمانين سنة إلى ثلاثين سنة عن ابن عباس وقيل ان أقصى الأشد أربعون سنة وقيل ستون سنة وهو قول الأكثرين ويؤيده الحديث من عمره الله ستين سنة فقد اعذر

اليه وقيل ان ابتداء الأشد من ثلاث وثلاثين سنة عن مجاهد و كثير من المفسرين وقيل من عشرين سنة عن الضحاك (آتيناه حكما) أي اعطيناه القول الفصل الذي يدعو إلى الحكمة (وعلمنا) وهو تبين الشيء على ما هو به بما يحل في القلب عن علي بن عيسى وقيل الحكم النبوة والعلم الشريعة عن ابن عباس وقيل الحكم الدعاء إلى دين الله والعلم علم الشرع وقيل أراد الحكم بين الناس والعلم بوجوه المصالح فإن الناس كانوا إذا تحاكموا على العزيز أمره بأن يحكم بينهم لما رأى من عقله واصابته في الرأي وقيل هو العلم والعمل به وهو الحكم (و كذلك نجزي المحسنين) أي مثل ما جزينا يوسف بصره نجزي كل من أحسن أي فعل الأفعال الحسنة من الطاعات وقيل ان المحسنين الصابرون على النوائب عن الضحاك وقيل هم المؤمنون عن ابن عباس وقيل أراد محمداً ﷺ أي كما فعلنا يوسف واعطيناه الملك بعد مقاساته البلاء والشدة كذلك فعل بك يا محمد عن ابن جريج

قوله تعالى (٢٣) وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ آية
 ﴿ القراءه ﴾

قرأ أهل المدينة والشام هيت لك بكسر الهاء وفتح التاء وقرأ ابن كثير هيت لك بفتح الهاء وضم التاء وقرأ الباقون هيت لك بفتح الهاء والتاء وروي عن علي (ع) وابي رجا و ابي وائل ويحيى بن وثاب هنت لك بالهمزة وضم التاء وروي ذلك على خلاف فيه عن ابن عباس وعن عكرمة ومجاهد وقتادة وروي عن ابن عباس أيضاً هيت لك بفتح الهاء وكسر التاء وروي ذلك عن ابي الاسود وابن ابي اسحق وابن محيصن وعيسى الثقفي وروي أيضاً عن ابن عباس هنت لك ايضاً

﴿ الحجية ﴾

قال الزجاج في هيت لك لغات أجودها هيت لك بفتح الهاء والتاء قال الشاعر

ابلق أمير المؤمنين أخا العراق إذا اتيتا

ان العراق واهله عنق اليك فهيت هيتا

أي فاقبل وتعال وحكى قطرب انه انشده بعض أهل الحجاز لطرفة

ليس قومي بالابعدين إذا ما قال داع من العشيرة هيت

هم يحييون ذا هلم سراعاً كالأبايل لا تغادر بيتا

فهذا شاهد لابن كثير وكلها اساء سمي بها الفعل بمنزلة صه ومه وابه والحر كات في أواخرها لالتقاء الساكنين وأما الفتح فلأن قبل التاء ياء فهو كما قبل أين وكيف والكسر لأن الأصل في التقاء الساكنين حركة الكسر وأما الضم فلأنها في معنى الغايات كأنها قالت دعائي لك فلما حذف الاضافة وتضمنت هيت معناها بنيت على الضم كما بنيت حيث ومنذ واما هنت بالهمزة وضم التاء ففعل تقول هنت أهى هينة أي تهيأت وقالوا أيضاً هنت أهاء كخفت أخاف وأما هيتت لك ففعل صريح كقولك اصلحت لك واللام تتعلق بنفس هيت وهيت وهيت وهنت كما يتعلق بنفس هلم في قولك هلم لك

﴿ اللغة ﴾

المراودة المطالبة بأمر بالرفق واللين ليعمل به ومنه المرود لأنه يعمل به ولا يقال في المطالبة بدين راوده وأصله من راد يرود إذا طلب المرعى وفي المثل الرائد لا يكذب أهله وهو في الآية كناية عما تريد النساء

من الرجال والتعليق إطباق الباب بما يعسر فتحه وإنما شدد ذلك لتكثير الاغلاق أو للمبالغة في الإطباق

✽ الاعراب ✽

معاذ الله نصب على المصدر على تقدير أعوذ بالله معاذاً تقول عدت بالله عوداً ومعاذاً وعياداً ومعاذة

✽ المعنى ✽

ثم أخبر سبحانه عن امرأة العزيز وما همت به فقال (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) أي وطالبت يوسف المرأة التي كان يوسف في بيتها عن نفسه وهي زليخا والمعنى طلبت منه ان يواقعها (وغالقت الأبواب) على نفسها وعليه بابا بعد باب قالوا وكانت سبعة ابواب وقيل أراد باب الدار وباب البيت (وقالت هيت لك) أي هلم لك عن ابن عباس والحسن ومعناه أقبل وبادر إلي ما هو مهيأ لك (قال) يوسف (معاذ الله) أي اعتصم بالله واستجبر به مما دعوتني اليه وتقديره عياداً بالله ان أجيب إلى هذا فكان (ع) أظهر الإباء وسأل الله سبحانه ان يعيده وبعضه من فعل ما دعته اليه (انه ربي أحسن مثوي) الهاء عائدة إلى زوجها عند أكثر المفسرين ومعناه ان العزيز زوجك مالكي أحسن تربيتي واكرامي وبسط يدي ورفع منزلتي فلا أخونه وإنما ساء رباً لما كان ثبت له عليه من الرق في الظاهر وقيل ان الهاء عائد إلى الله سبحانه والمعنى ان الله ربي رفع من محلي واحسن إلي وجعاني نبياً فلا اعصيه أبداً (انه لا يفلح الظالمون) دل بهذا على انه لو فعل ما دعته اليه لكان ظالماً وفي هذه الآية دلالة على ان يوسف لم يهجم بالفاحشة ولم يردها بقبیح لأن من همم بالقبیح لا يقول مثل ذلك

قوله تعالى (٢٤) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رءَا بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصَّرَفَ عَنْهُ
السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ آية

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة والكوفة المخلصين بفتح اللام والباقون بكسر اللام في جميع القرآن
- (الحجة) -

قال ابو علي حجة من كسر اللام قوله اخلصوا دينهم لله ومن فتح اللام فيكون بني الفعل للمفعول به ويكون معناه ومعنى من كسر اللام واحد فإذا اخلصوا دينهم فهم مخلصون وإذا اخلصوا فهم مخلصون

✽ اللفظة ✽

الهم في اللفظة على وجوه منها العزم على الفعل كقوله تعالى اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايدىهم أي أرادوا ذلك وعزموا عليه ومنه قول ضابئ البرجمي

هممت ولم أفعل وكدت وليتني
وقول حاتم طي

ولله صعلوك يشاور همه
وقول الخنساء

وفضل مرداسا على الناس جملة
وان كل هم همه فهو فاعله

ومنها خطور الشيء بالبال وان لم يقع العزم عليه كقوله اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليها يعني ان الفشل خطر بياهم ولو كان الهم ههنا عزمًا لما كان الله وليها لأن العزم على المعصية معصية ولا يجوز ان يكون الله ولي من عزم على الفرار عن نصرته نبيه عليه وآله السلام ويقوي ذلك قول كعب بن زهير

فكم فيهم من فارس متوسع
ومن فاعل للخير ان هم أو عزم
ففرق بين الهم والعزم ومنها ان يكون بمعنى المقاربة قالوا هم فلان ان يفعل كذا اي كاد بفعله قال ذوالرمة
أقول لمسعود بجرعاء مالك
وقد هم دمعى ان تلج اوائله
والدمع لا يجوز عليه العزم ومعناه كاد وقارب وقال ابو الاسود الدثلي
و كنت متى تهتم يمينك مرة
لتفعل خيرا تقتضيها شالكا
وعلى هذا جاء قوله جدرا يريد ان ينقض اي بكاد وقال الحارثي
يريد الرمح صدر ابي براء
ويرغب عن دماء بني عقيل
ومنها الشهوة ونيل الطباع بقول القائل فيما يشتهي ويميل طبعه اليه هذا أهم الاشياء الي وفي ضده ليس هذا
من همى واذا كانت معاني الهم في اللغة مختلفة يجب ان ينفي عن نبي الله يوسف (ع) ما لا يليق به وهو العزم على
القيح لأن الدليل قد دل على ان الأنبياء لا يجوز المعاصي والقبائح عليهم واجزنا عليهم ما سواه من معاني الهم
لأن كل واحد من ذلك يليق بحاله

✽ المعنى ✽

(ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه) اختلف العلماء فيه على قولين ﴿ احدهما ﴾ انه لم
يوجد من يوسف ذنب كبير ولا صغير ﴿ والآخر ﴾ انه وجد منه العزم على القبيح ثم انصرف عنه فأما الاولون
فإنهم اختلفوا في تأويل الآية على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان الهم في ظاهر الآية قد تعلق بما لا يصح تعلق العزم
به على الحقيقة لأنه قال ولقد همت به وهم بها فعلق الهم بهما وذاتهما لا يجوز ان يراد ويعزم عليهما لأن
الموجود الباقي لا يصح ان يراد ويعزم عليه فإذا حملنا الهم في الآية على العزم فلا بد من تقدير أمر محذوف يتعلق
العزم به وقد أمكن ان تعلق عزمه (ع) بغير القبيح وتجمله متناولا لضربها اودفعها عن نفسه فكأنه قال ولقد همت
بالفاحشة منه وأرادت ذلك وهم يوسف (ع) بضربها ودفعها عن نفسه كما يقال همت بفلان اي بضربه وابقاع
مكروه به وعلى هذا فيكون معنى رؤية البرهان ان الله سبحانه اراه برهانا على انه ان أقدم على ما هم به اهلكه أهلها
او قتلوه او ادعت عليه المرادة على القبيح وقذفته بأهله دعاه اليه وضربها لامتناعها منه فأخبر سبحانه انه صرف
عنه سوء والفحشاء اللذين هما القتل وظن اقرار الفاحشة به ويكون التقدير لولا ان رأى برهان ربه
لفعل ذلك ويكون جواب لولا محذوف كما حذف فيه قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف
رحيم وقوله كلا لو تعلمون علم اليقين اي لولا فضل الله لهلكتم ولو تعلمون علم اليقين لم يهلككم التكاثر ومثله
قول امرئ القيس

ولو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفسا

يريد فلو انها نفس تموت سوية لتقضت وفنيت فحذف الجواب تعويلا على ان الكلام يقتضيه وعلى هذا يكون
جواب لولا محذوفا يدل عليه قوله وهم بها ولا يجوز ان يكون قوله وهم بها جوابا بلولا لأن جواب لولا
لا يتقدم عليه ﴿ وثانيها ﴾ ان يحمل الكلام على التقديم والتأخير ويكون التقدير ولقد همت به ولولا ان
رأى برهان ربه لم يهلكها ولما رأى برهان ربه لم يهلكها ويجري ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا اني
تداركتك وقد كنت قلت لولا اني خلصتك والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا تخليصي إياك لقتلت وان كان
لم يقع هلاكه وقتله ومثله قول الشاعر

فلا يدعني قومي ليوم كريمة

لئن لم اعجل ضربة او اعجل

وقال آخر

فلا يدعني قومي صريحا لخرة

لئن كنت مقتولا ويسلم عامر

وفي القرآن ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها وهذا الوجه اختاره ابو مسلم وهو قريب من الأول
 * وثالثها * ان معنى قوله هم بها اشتهاها ومال طبعه الى مادعته اليه وقد يجوز ان تسمى الشهوة هما على سبيل
 التوسع والمجاز ولا قبح في الشهوة لأنها من فعل الله تعالى وانما يتعلق القبح بالمشتهي وقد روي هذا التأويل عن
 الحسن قال أما همها فكان اخبث الهم وأما همه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء وروى الضحاك عن ابن
 عباس انه قال همها القصد وهمه انه تمنها ان تكون زوجة له وعلى هذا الوجه فيجب ان يكون قوله لولا
 ان رأى برهان ربه متعلقا بحذف ايضا كما نه قال لولا ان رأى برهان ربه لعزم او فعل * سؤال * قالوا ان قوله ولقد همت
 به وهم بها خرجا مخرجا واحدا فلم جعلتم همها به متعلقا بالقبيح وهمه بها متعلقا بغير القبيح وجوابه ان الظاهر
 لا يدل على ما تعلق به الهم فيها جميعا وانما اثبتنا همها به متعلقا بالقبيح لشهادة القرآن والآثار به ولأنها من
 يجوز عليه فعل القبيح والشاهد لذلك من الكتاب قوله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وقوله وقال نسوة
 في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لئراها في ضلال مبين وقوله حكاية عنها الآن
 حصص الحق انا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ولقد راودته عن نفسه فاستعصم والشاهد من الآثار
 اجماع المفسرين على انها همت بالمعصية والفاحشة وأما يوسف عليه السلام فقد دلت الأدلة العقلية التي لا يتطرق
 اليها الاحتمال والمجاز على انه لا يجوز ان بفعل القبيح ولا يعزم عليه فأما الشاهد من القرآن على انه ما هم بالفاحشة
 فقوله سبحانه كذلك لتصرف عنه السوء والفحشاء وقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وغير ذلك من قوله قل
 حاش لله ما علمنا عليه من سوء والعزم على الفاحشة من اكبر السوء وأما الفرقة الأخرى فإنهم قالوا فيه ما لا
 يجوز نسبه الى الأنبياء فقال بعضهم انه قعد بين رجلها وحل تكمة سراويله وقال بعضهم حل السراويل حتى بلغ
 الثنين وجلس منها مجلس الرجل من امرأته وقد تزهه الله سبحانه عن ذلك كله بقوله كذلك لتصرف عنه السوء
 والفحشاء وأمثال ذلك مما عدناه فأما البرهان الذي رآه فقد اختلف فيه على وجوه * احدها * انه حجة الله
 سبحانه في تحريم الزنا والعلم بالعذاب الذي يستحقه الزاني عن محمد بن كعب والجبائي * وثانيها * انه ما
 آتاه الله سبحانه من آداب الأنبياء واخلاق الاصفياء في العفاف وصيانة النفس عن الادناس عن ابي مسلم
 * وثالثها * انه النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش والحكمة الصارفة عن القبائح روي ذلك عن الصادق عليه
 السلام * ورابعها * انه كان في البيت صنم فألقت المرأة عليه ثوبا فقال (ع) ان كنت تستحين من الصنم فأنا
 أحق ان استحي من الواحد القهار عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام * وخامسها انه اللطف الذي
 لطف الله تعالى به في تلك الحال او قبلها فاختر عنده الامتناع عن المعاصي وهو ما يقتضي كونه معصوما لأن العصمة
 هي اللطف الذي يختار عنده التنزه عن القبائح والامتناع من فعلها ويجوز ان يكون الرؤية ههنا بمعنى العلم كما
 يجوز ان يكون بمعنى الادراك فأما ما ذكر في البرهان من الأشياء البعيدة بأن قيل انه سمع قائلا يقول يا ابن
 يعقوب لا تكونن كالظير له ريش فأذا زنا ذهب ريشه وقيل انه رأى صورة يعقوب عاضا على أنامله وقيل
 انه رأى كفا بدت فيما بينهما مكتوبا عليها النهي عن ذلك فلم ينته فأرسل الله سبحانه جبريل (ع) وقال ادرك
 عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فراه عاضا على اصبعه فكل هذا سوء ثناء على الانبياء مع ان ذلك بنافي التكليف ويقتضي
 ان لا يستحق على الامتناع من القبيح مدحا ولا ثوابا وهذا من أقيح القول فيه (ع) (كذلك لتصرف عنه السوء)
 أي كذلك أربناه البرهان لتصرف عنه السوء أي الخيانة (والفحشاء) أي ركوب الفاحشة وقيل السوء الاوثم

والفحشاء الزنا (انه من عبادنا المخلصين) أي المصطفين المختارين للنبوة وبكسر اللام المخلصين في العبادة والتوحيد أي من عبادنا الذين أخلصوا الطاعة لله وخلصوا انفسهم له وهذا يدل على تنزيه يوسف وجلالة قدره عن ركوب القبيح والعزم عليه

قوله تعالى (٢٥) وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَالْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٦) قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٨) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كِبْدٍ كُنَّ إِنْ كِيدٌ كُنَّ عَظِيمٌ (٢٩) يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنْ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ خمس آيات

✽ القراءة ✽

في الشواذ قراءة ابن يعمر وابن ابي اسحق ونوح القاري من قبل ومن دير بثلاث ضمت من غير تنوين
= (الجملة) =

قال ابن جني ينبغي ان يكونا غائبتين كقوله تعالى الله الأمر من قبل ومن بعد كأنه يريد وقدت قميصه من دبره وإن كان قميصه قد من قبله فلما حذف المضاف اليه أعني الماء وهي مرادة صار المضاف غايبة بعد ما كان المضاف اليه غايبة له

✽ اللغة ✽

القد شق الشيء طولاً مثل قد الأديم يقال قدده بقده قدماً فهو مقدود إذا كان ذاهباً في الطول على استواء وفي الحديث كانت ضربات علي بن ابي طالب عليه السلام ابيكاراً كان إذا اعتلى قدوا إذا اعترض قطباً والقد بكسر القاف السير المقطوع طولاً والالفاء المصادفة قال ذو الرمة

ومطعم الصيد هبال لبغيته
التي أباه بذلك الكسب يكسب

أي وجد أباه والكيد طلب الشيء بما يكرهه كما طلبت المرأة يوسف بما يكرهه وبأباه والخطيئة العدول عما تدعو اليه الحكمة إلى ما تزجر عنه ويقال لصاحبه خطأ يخطأ فهو خاطئ إذا وقع ذلك منه عن قصد فإذا وقع من غير قصد قيل أخطأ المقصد فهو مخطئ فاصل الخطأ العدول عن الغرض الحكيم بقصد أو غير قصد قال امية
عبادك يخطؤون وأنت رب
بكفئك المنايا والحتوم

= الإعراب =

إنما عطف قوله عذاب اليم على الفعل لأن تقديره إلا السجن أو عذاب ومن في قوله قد من دبر ومن قبل لا ابتداء الغاية لأن ابتداء القد كان منها ومن في قوله من الكاذبين للتبويض لأنه بعض الكاذبين ولم يقل وشهد شاهد انه ان كان لأنه ذهب مذهب القول في الحكاية كما ان قوله بوصيكم الله في اولادكم كذلك والتقدير بوصيكم الله ان المال للذكر مثل حظ الانثيين وقوله ان كان قميصه قال ابو العباس المبرد معناه ان يكن وجاز ذلك في كان لأنها ام الباب كما جاز في التعجب ما كان احسن زبداً ولم يميز ما اصبح احسنه وقال ابو بكر السراج ان يكن بمعنى ان يصبح قد قميصه من دبر وقوله فلما رأى الرؤبة ههنا تحمل أمرين ✽ أحدهما ✽

ان تكون بمعنى رؤية العين فلا تكون رؤية العين رؤية للقد ويكون قوله قد من دير في موضع الحال وإنما يكون رؤية للقميص والآخر ان يكون بمعنى العلم وتكون رؤية للقد وإنما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لتغليب المذكر على المؤنث

المعنى

(واستبقا الباب) يعني تبادرا الباب أي طلب كل واحد من يوسف وامرأة العزيز السبق إلى الباب أما يوسف فإنه كان يقصد ان يهرب منها ومن ركوب الفاحشة وأما هي فلما كانت تطلب يوسف لتقضي حاجتها منه وتقصد أن تغلق الباب وتمنعه من الخروج وتراوده ثانياً عن نفسه (وقدت قميصه من دير) أي لجلت يوسف فجذبته قميصه وشقته طولاً من خلفه لأن يوسف كان هارباً وهي تعدو من خلفه وقيل ان يوسف رأى الأبواب قد اقتطحت فعلم ان الصواب هو الخروج فخرج هارباً وقيل بل اخذ بفتح الأبواب وادركته فتعلقت بقميصه من خلفه فشقته (والقيا سبدها لدى الباب) أي فلما خرجا وجدا زوجها عند الباب وسماه سيدها لأنه مالك أمرها (قالت ماجزاء من اراد بأهلك سوء إلا ان يسجن او عذاب اليم) يعني ان المرأة سبقت بالكلام لنورك الذنب على يوسف فقالت لزوجها ليس جزاء من اراد بأهلك خيانة إلا ان يسجن أو ان يضرب بالسياط ضرباً جليماً عن ابن عباس قالوا ولو صدق حبها لم تقل ذلك ولا ثرت على نفسها ولكن حبها إياه كان شهوة (قال هي راودتني عن قسي) لما ذكرت المرأة ذلك لم يجد يوسف بداً من تنزيه نفسه بالصدق ولو كفت عن الكذب عليه لكف عليه السلام عن الصدق عليها فقال هي التي طالبتني بالسوء الذي نسبتني اليه (وشهد شاهد من أهلها) قال ابن عباس وسعيد ابن جبير انه صبي في المهدي وقيل كان الصبي ابن اخت زليخا وهو ابن ثلاثة أشهر وروي عن ابن عباس أيضاً في رواية أخرى وعن الحسن وقتادة وعكرمة انه شهد رجل حكيم من أهلها بتبرئة يوسف واختاره الجبائي قال لو كان طفلاً لكان قوله معجزاً لا يحتاج معه إلى البيان وقيل كان الرجل ابن عم زليخا وكان جالساً مع زوجها عند الباب عن السدي (ان كان قميصه قد) اي شق (من قبل فصدقت) المرأة (وهو من الكاذبين) فيما قال يعني يوسف لأنه كان هو القاصد وهي الدافعة (وان كان قميصه قد من دير) أي من خلف (فكذبت) المرأة (وهو) أي يوسف (من الصادقين) لأنه الهارب وهي الطالبة وهذا امر ظاهر واستدلال صحيح (فلما رأى قميصه قد من دير) أي فلما رأى زوجها قميص يوسف شق من خلف عرف خيانة المرأة (فقال انه من كيد كن ان كيد كن عظيم) وقيل هو من قول الشاهد وإنما وصف كيدهن بالعظم لأنها حين فاجأت زوجها عند الباب لم يدخلها دهش ولم تنحير في امرها ووركت الذنب على يوسف (ع) ولأن قليل حيل النساء سبق إلى قلوب الرجال من كثير حيل الرجال (يوسف اعرض عن هذا) يعني ان الشاهد قال ليوسف يا يوسف امسك عن هذا الحديث اي عن ذكرها حتى لا يفسد في البلد عن ابن عباس وقيل إنما قاله زوجها وقيل معناه لا تلتفت يا يوسف إلى هذا الحديث ولا تذكره على سبيل طلب البراءة فقد ظهرت براءتك عن ابي مسلم والجبائي ثم اقبل على زليخا فقال (واستغفري لذنبك) اي سلي زوجك ان لا يعاقبك على ذنبك (انك كنت من الخاطئين) اي من المذنبين وقيل انه لم يكن غيوراً سلبه الله الغيرة لطفاً منه بيوسف حتى كفي شره ولذلك قال ليوسف اعرض عن هذا واقتصر على هذا القدر وقيل معناه استغفري الله من ذنبك وتوبني اليه فإن الذنب كان منك لا من يوسف فإنهم كانوا يعبدون الله تعالى مع عبادتهم الأصنام

قوله تعالى (٣٠) وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣١) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَنًا

وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرِجْ عَلَيْنَ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ
 وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣٢) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ
 رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرْتُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٣) قَالَ
 رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا نَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ
 الْجَاهِلِينَ (٣٤) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَّفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ
 مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا آلَايَاتٍ لِّيَسْجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ست آيات

﴿ القراءة ﴾

روي عن علي (ع) وعن علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام وعن الحسن بخلاف ويحيى بن يعمر
 وقتادة بخلاف ومجاهد بخلاف وابن محيصن قد شغفها بالعين وروي عن أبي جعفر متكماً بغير همز مشددة التاء والباقون
 متكماً بالهمز والتشديد وروي في الشواذ قراءة مجاهد متكاً خفيفة ساكنة التاء وروي ذلك عن ابن عباس وقرأ
 أبو عمر وحاشي الله والباقون حاش لله وروي عن ابن مسعود وأبي بن كعب حاش الله وعن الحسن حاش الأولة
 وفي رواية أخرى عنه حاش لله بسكون الشين وقرأ يعقوب وحده السجى أحب إلي بفتح السين والباقون بكسرهما

﴿ الحجة ﴾

قال الزجاج معنى شغفها بالعين ذهب بها كل مذهب مشتق من شغفات الجبال أي رؤوس الجبال يقال فلان
 مشغوف بكذا أي قد ذهب به الحب أقصى المذهب وقال ابن جنبي معناه وصل حبه إلى قلبها فكاد يجرقه
 لحدته وأصله من البعير بهناً بالقطران فتصل حرارة ذلك إلى قلبه قال امرؤ القيس

لتقتلني وقد شغفت فؤادها كما شغف المهووءة الرجل الطالي

وأما القراءة المشهورة شغفها بالعين فمعناه انه خرق شغاف قلبها وهو غلافه فوصل إلى قلبها وأما المتكماً فهو
 ما يتكأ عليه لطعام أو شراب أو حديث وأصله موتكاً مفتعل من وكات مثل مؤتزن من الوزن وأما من قرأ متكماً
 فيجوز ان يكون مفتعلاً من قوله

إذا شرب المرضة قال أو كي على ما في سقائك قد روينا

يقال أو كيت السقا إذا شددته وأما متكماً فلم ينهم قالوا المتك الاترج واحده منكة وقيل هو الزمورد واما حجة
 أبي عمرو في قوله حاشي الله فقول الشاعر

حاشي أبي ثوبان إن به ضنا عن الملحاة والشم

وقال أبو علي لا يخلو قولهم حاش لله من ان يكون الحرف الجار في الاستثناء كما ذكرناه في البيت أوفاعلا
 من قولهم حاش بحاشي ولا يجوز ان يكون حرف الجر لأن حرف الجر لا يدخل على مثله ولأن الحرف لا يحذف
 إذا لم يكن فيها تضييف فإذا بطل ذلك ثبت انها فاعل مأخوذ من الحشاء الذي هو الناحية والمعنى انه صار في
 حشاء أي سيفه ناحية مما قذف به وفاعله يوسف والمعنى بعد عن هذا الذي رمي به . لله أي خوفه من الله ومراقبته
 أمره ومن حذف الألف فكما حذف من لم يك ولا أدر وإذا أريد به حرف الجر يقال حاشا وحاش وحشا ثلاث
 لغات قال الشاعر

جشارهط النبي فإن فيهم بجوراً لا تقطعها الدلاء
وأما من قرأ حاش الله فعلى أصل اللغة يكون حرف جر كجاء في البيت «حاشي أبي ثوبان» وأما حاش الإله
فمحذوف من حاشا تخفيفاً وهو كقولك حاش المعبود ومنه قول الشاعر

لعن الإله وزوجها معها هند الهنود طويلة النعل

وأما حاش الله فضعيف لا لتقاء الساكنين فيه ولا إسكان الشين بعد حذف الألف ولا موجب لذلك وأما من
فتح السين من السجن فجعله مصدرًا ومعناه إن أسجن أحب إليّ ومن كسر فعلى اسم المكان والمعنى نزول
السجن أحب إليّ

✽ اللغة ✽

العزيز المنيع بقدرته عن أن يضام في أمره وسمي بذلك لأنه كان ملكاً ممتنعاً بملكه واتساع مقدرته
وقال أبو داود

درة غاص عليها تاجر جلبت عند عزيز يوم ظل

والفقى الغلام الشاب والمرأة فتاة قال أبو مسلم والزجاج وتسمي العرب العبدفتى والمكر القتل بالخيطة إلى
ما يراد من الطلبة وجارية ممكورة الساقين أي مفتولة الساقين وأعتدت مأخوذة من العتاد ومثله أعتدت والمنكأ
الوسادة وهو التمرق الذي يتكأ عليه وقيل هو الاترج وأنكر ذلك أبو عبيدة قال ولا يمتنع أن يقال قد
كان في ذلك المجلس فواكه واترج فأما إن يعرف ذلك من هذا القول فلا والا كبار الاعظام والاجلال وقال
قوم معنى أكبرنه انهن حضن حين رأينه وأنشدوا قول الشاعر

يأتي النساء على اطهارهن ولا يأتي النساء إذا أكبرن اكبارا

وأنكر ذلك أبو عبيدة وقال لا تعرف ذلك في اللغة ولكنه يجوز أن يكن قد حضن من شدة اعظامهن
إياه والبيت مصنوع لا يعرفه العلماء بالشعر والسجن المنع عن التصرف بالحبس سجن يسجن سجننا والاعتصام
الامتناع عن طلب المعصية والاستعصام طلب العصمة من الله تعالى والصاغرين من الصغار صغر بصغر صغاراً وهو
الذل والهوان والصابا رقة القلب يقال صبا يصبو صباً فهو صاب قال

إلى هند صبا قلبي وهند مثلها يصبي

وقال

صبا صبوة بل لج وهو لجوج وزالت له بالانعمين خدوج

✽ الاعراب ✽

وقال نسوة إنما حذف فيه حرف التانيث لأنه تانيث جمع وتانيث الجمع تانيث لفظ يبطل تانيث المعنى لانه
لا يجمع في اسم واحد تانيثان وكذلك يبطل تذكير المعنى في رجال وإذا صار كذلك جاز فيه الحمل على
اللفظ والحمل على المعنى فيؤنث ويذكر وقوله ما هذا بشراً نصب بشراً على مذهب أهل الحجاز في أعمال ما عمل
ليس في رفع الاسم ونصب الخبر فأما بنو تميم فلا يعملونها قال

لشتان ما أنوي وينوي بنو أبي جميعاً فما هذان مستويان

تمنوا لي الموت الذي يشعب الفتى وكل فتى والموت يلتقيان

وروي عن الحسن أنه قرأ ما هذا بشراي أي ليس هو بمملوك وهو شاذ وذلك من الخطاب للضمير فلا

موضع له من الاعراب والاسم ذا وهو في موضع رفع على الابتداء والذي لمتني فيه موصول وصلة في موضع خبره وليكونن من الصاغرين هذه النون الخفيفة التي يتلقى بها القسم وإذا وقتت عليها وقتت بالالف تقول وليكونوا وهي بمنزلة التنوين الذي يوقف عليه بالالف في نحو قولك رأيت رجلاً قال الاعشى

وصل على حين العشيات والمضحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

اي فاعبدن فأبدل في الوقف من النون الفأثم بدا لهم فاعله مصدر مضمر على تقدير بدا لهم بداء وقد اظهره الشاعر في قوله

لعلك والموعود حق لقاؤه بدالك من تلك القلوص بداء

ولا يجوز ان يكون ليسجنته في موضع الفاعل لأن الجملة لا تكون فاعلاً

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه شياع هذه القصة فقال (وقال نسوة في المدينة) اي جماعة من النساء في المصر الذي كان فيه الملك وزوجته ويوسف (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) اي امرأة العزيز تدعو مملوكها إلى نفسها ليفجر بها (قد شغفها حباً) أي أحبه حباً دخل شغاف قلبها (انا لنراها في ضلال مبين) أي في خطأ بين وذهب عن طريق الرشيد بدعائها مملوكها إلى الفجور بها قال الكلبى هن اربع نسوة امرأة ساقى الملك وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وقال مقاتل كن خمساً وزاد امرأة الحاجب (فلماسمعت بمكرهن) اي لما سمعت المرأة بتعبيرهن إياها وقصدن اشاعة امرها وسماه مكرراً لأن قصدهن من هذا القول كان ان تريهن يوسف لما وصف لمن من حسنه فخالف ظاهر الكلام باطنه فسمي ذلك مكرراً وقيل لأنها اظهرت لهن حبها إياه واستكتمتهن ذلك فأظهرنه فسمي ذلك مكرراً (ارسلت اليهن) فاستضافتهن قال وهب اتخذت مأدبة ودعت اربعين امرأة منهن (واعتدت لهن متكاً) اي واعدت لهن وسائد يتكبن عليها عن ابن عباس والاتكاء الميل إلى احد الشقين وقيل اراد بقوله متكاً الطعام من قول العرب اتكأنا عند فلان اي اطعمنا عنده واصله ان من دعي إلى طعام يعد له المتكاً فيسمى الطعام متكاً على الاستعارة وقال الضحاك كان ذلك الطعام الزماورد وقال عكرمة هو كل ما يجز بالسكين لانه يؤكل في الغالب على متكاً وقال سعيد بن جبير انه كل طعام وشراب على عمومه وبه قال الحسن واما المتك فقد قيل فيه انه الاترج على ما تقدم بيانه وقال السدي بل هو المجلس وكل شيء يجز بالسكين يقال له متك (وأتت كل واحدة منهن سكيناً) اي واعطت كل واحدة من تلك النسوة سكيناً لتقطع به الفواكه والاترج على ما هو العادة بين الناس (وقالت اخرج عليهن) اي وقالت امرأة الملك ليوسف (ع) وكانت قد اجلسته غير مجلسهن فأمرته بالخروج عليهن في حياته اما للخدمة واما للسلام او ليريته ولم يكن يتهيأ له ان لا يخرج لانه بمنزلة العبد لها عن الزجاج (فلما رأته اكبرنه) اي اعظمته وتخيرن في جماله إذ كان كالقمر ليلة البدر (وقطن ايديهن) بتلك السكاكين على جهة الخطأ بدل قطع الفواكه فما احسن الا بالدم ولم يجدن الم القطع لاشغال قلوبهن بيوسف (ع) عن مجاهد والمعنى جرحن ايديهن وهذا مستعمل في الكلام تقول للرجل قد قطعت يدي تريد قد خدشتها وقيل انهن ابن ايديهن حتى القيتها عن قتادة (وقلن حاش الله) وحاشي لله اي صار يوسف في حشا اي ناحية مما قذف به اي لم يلبسه والمعنى بعد يوسف عن هذا الذي رمي به الله اي خوفه ومراقبته امر الله هذا قول اكثر المفسرين قالوا هذا تنزيه ليوسف عما رمته به امرأة العزيز وقال آخرون هذا تنزيه له من شبه البشر لفرط جماله وبديل على هذا سياق الآية (ما هذا بشراً ان هذا الا ملك كريم) أي رفع الله منزلته عن منزلة البشر فتعوذ بالله ان تقول انه بشر ومعناه انه منزه ان يكون بشراً وليس صورته صورة البشر ولا خلقته خلقة البشر ولكنه ملك كريم لحسنه ولطافته وروي عن ابي سعيد الخدري قال

سمعت رسول الله ﷺ وهو يصف يوسف حين رآه في السماء الثانية رأيت رجلا صورته صورة القمر ليلة البدر قلت يا جبريل من هذا قال هذا اخوك يوسف وقيل معناه ليس هذا إلا ملك كريم في عفته قال الجبائي وهذا يدل على ان الملك افضل من بني آدم لأنهم ذكروا من هو في نهاية الفضل ولم ينكر الله تعالى ذلك عليهن وهذا من ركيك الاستدلال لأنه سبحانه انما حكى عن النساء اعظامهن ليوسف حين رأين جماله وبعده عن سوء فسيهته بالملك ولم يقصدن كثرة الثواب الذي هو حقيقة الفضل وانما لم ينكره سبحانه عليهن لأنه علم انهن لم يقصدن في كلامهن ما حمله عليه الجبائي على ان الظاهر يقتضي انهن تقين ان يكون يوسف من البشر وقطعن على انه ملك وهذا كذب ولم ينكره الله سبحانه عليهن لما علم من انهن يقصدن بذلك تشبيه حاله بحال الملائكة (قالت) امرأة العزيز للنسوة التي عدلنها على محبتها ليوسف (فذلكن الذي لمتني فيه) اي هذا هو ذلك الذي لمتني في امره وفي حبه وشغفي به جعلت اعظامهن اياه عذراً لها والمعنى هذا الذي اصابكن في رؤيته مرة واحدة ما اصابكن من ذهاب العقل فكيف عدلتنني في حبي اياه وأنا أنظر اليه آناً ليلى ونهارى ثم اعترفت ببراءة يوسف وأقرت على نفسها فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أي امتنع عنه وقيل معناه امتنع بالله وسأله العصمة من فعل القبيح وفي هذا دلالة على ان يوسف لم يقع منه قبيح ثم توعدته بايقاع المكر وبه ان لم يطعها فيما تدعوه اليه فقالت (ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) أي وان لم يجبيني إلى ما ادعوه اليه ليسجنن في السجن وليكون من الأذلاء فلما رأى يوسف اصرارها على ذلك وتهديدها له اختار السجن على المعصية (فقال رب السجن احب إلي مما يدعونني اليه) معناه يا رب ان السجن احب إلي واسهل علي مما يدعونني اليه من الفاحشة وفي هذا دلالة على ان النسوة دعونه إلى مثل ما دعته اليه امرأة العزيز وفي حديث ابي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام ان النسوة لما خرجن من عندها ارسلت كل واحدة منهن إلى يوسف مرآ من صاحبته تسأله الزيارة وقيل انهن قلن له اطع مولاتك واقض حاجتها فإنها المظلومة وانت ظالم وقيل انهن لما رأين يوسف استأذن امرأة العزيز بأن تخلو كل واحدة منهن به وتدعوه إلى ما ارادته منه إلى طاعتها فلما خلون به دعته كل واحدة منهن إلى نفسها فبذلك قال مما يدعونني اليه ويسأل فيقال كيف قال يوسف السجن احب إلي مما يدعونني اليه ولا يجوز ان يراد السجن الذي هو المكان وان عني به السجن الذي هو المصدر فإن السجن معصية كما ان مادعونه اليه معصية فلا يجوز ان يريد فالجواب انه لم يرد المحبة التي هي الارادة وانما اراد ان ذلك اخف علي واسهل ووجه آخر ان المعنى لو كان مما اریده لكان ارادتي له اشد وقيل ان معناه توطيئي النفس على السجن احب إلي من توطيئي النفس على الزنا عن ابي علي الجبائي (وإلا تصرف عني كيدهن) بالطفاف لأن كيدهن قد وقع وحصل (اصب اليهن) امل اليهن او إلى قولهن بهواي والصبوة لطافة الهوى (واكن من الجاهلين) اي المستحقين لصفة الذم بالجهل وقيل معناه اكن بمنزلة الجاهلين في فعلي (فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن) اي فأجاب له ربه فيما دعاه فعصمه من مكرهن فان قيل ما معنى سؤال يوسف اللطف من الله وهو عالم بأن الله يفعل له محالة فالجواب انه يجوز ان تتعلق المصلحة بالالطاف عند الدعاء المجدد ومتى قيل كيف علم انه لولا اللطف لركب الفاحشة وإذا وجد اللطف امتنع قلنا لما وجد في نفسه من الشهوة وعلم انه لولا لطف الله لارتكب القبيح وعلم ان الله سبحانه يعصم انبياءه بالالطاف وان من لا يكون له لطف لا يبعثه الله نبياً قال الجبائي في الآية دلالة على جواز الدعاء بما يعلم الله تعالى انه يكون لأن يوسف كان عالماً بأنه ان كان له لطف فلا بد ان يكون الله يفعل ذلك به ومع هذا سأله ذلك ولا تدل الآية على ما قاله لما قلناه من انه يجوز ان يكون سألته لتجويزه ان يكون له لطف عند الدعاء ولو لم يدع لم يكن ذلك لطفاً فما سأل إلا ما يجوز ان لا يكون لو لم يدع (انه هو السميع العليم) اي السميع لدعاء الداعي العليم بإخلاصه في دعائه وبما يصلحه من الاجابة او يفسده (ثم بدا لهم) اي ظهر لهم (من

بعد ما رأوا الآيات (وإنما لم يقل لمن مع تقدم ذكر النسوة لأنه أراد به الملك وقيل أراد به زليخا وعوانها فقلب المذكور وأراد بالآيات العلامات الدالة على براءة يوسف وهي قد القميص من دبره وجز الأيدي عن قتادة وغيره وقيل يريد بالآيات العلامات الدالة على الأياس منه وقوله بدا فاعله مضمر وتقديره ثم بدا لم بداء (ليسجنه حتى حين) ودل ليسجنه عليه فان السجن هو الذي بدا لهم قال السدي وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد قد فضحني في الناس من حيث انه يخبرهم اني راودته عن نفسه ولست اطيق ان اعتذر بعذري فأما ان تأذن لي فأخرج واعتذر وإما ان تحبسه كما حبستني فحبسه بعد علمه ببراءته وقيل ان الغرض من الحبس ان يظهر للناس ان الذنب كان له لأنه إنما يحبس المجرم وقيل كان الحبس قريبا منها فأرادت ان يكون بقربها حتى إذا امرت عليه رأته وقوله حتى حين قيل إلى سبع سنين عن عكرمة وقيل إلى خمس سنين عن الكبي وقيل إلى وقت ينسى حديث المرأة معه وينقطع فيه عن الناس خبره عن الجبائي

قوله تعالى (٣٦) وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَنَا كُلُّ الطَّيْرِ مِنْهُ نَبْتًا يَا وَيْلَةَ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٧) قَالَ لَا يَا تُبَيِّكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَاتُكُمَا يَتَّوْبِلُهُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٨) وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ثلاث آيات

✽ اللفظ ✽

قال الزجاج كانوا يسمون المملوك فتي فجاءت أن يكون الفتيان حديثين أو شيخين وقال غيره يقال للعبد فتي وللأمة فتاة وفي الحديث لا يقولن احدكم عبدي وامتي ولكن فتاي وفتاتي والتأويل الخبر عما حضر بما يؤول اليه امره فيما غاب ولذلك قال قبل ان يأتيكما تأويل القرآن ما يؤول اليه من المعنى اي يرجع اليه والتعليم تفهيم الدلالة المؤدية إلى العلم بالمعنى وقد يكون الاعلام بالمعنى في القلب والاتباع اقتفاء الاثر وهو طلب اللحاق بالأول

— الاعراب —

هم الثانية دخلت للتوكيد لأنه لما دخل بينهما قوله بالآخرة صارت الأولى كالمغاة وصار الاعتماد على الثانية كما قال وهم بالآخرة هم يوقنون وكما قال ابعدهم انكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف (ع) في الحبس فقال (ودخل معه السجن فتيان) والتقدير فسجن يوسف ودخل معه السجن فتيان أي شابان حدثان وقيل انهما مملوك كان ملك مصر الأكبر واسمه وليد بن ريان وكان احدهما صاحب شرابه والآخر صاحب طعامه فنعى اليه ان صاحب طعامه يريد ان يسمه وظن ان الآخر ساعده على ذلك ومالاه عليه عن قتادة والسدي (قال احدهما اني اراي اعصر خمرا) هو من رؤيا المنام كان يوسف (ع) لما دخل السجن قال لأهله اني اعبر الرؤيا فقال احد العبدین لصاحبه هلم فلنجربه فسألاه من غير ان يكون رأيا شيئاً عن ابن مسعود وقيل بل رؤياها على صحة وحقيقة ولكنها كذبا في الانكار عن مجاهد والجبائي وقيل ان

المصلوب منها كان كاذبا والآخر صادقا عن ابي مجلز ورواه علي بن ابراهيم أيضا في تفسيره عنهم (ع) والمعنى قال احدهما وهو الساقى رأيت اصل جيلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته اباهما وتقديره اعصر عنب خمر اي العنب الذي يكون عصيره خمرأ فحذف المضاف قال الزجاج وابن الانباري العرب تسمي الشيء باسم ما يؤول اليه إذا وضع المعنى ولم يلبس بقولون فلان يطبخ الأجر ويطبخ الدبس وإنما يطبخ اللبن والعصير وقال قوم ان بعض العرب يسمون العنب خمرأ حكى الاصمعي عن المعتز بن سليمان انه لقي اعرابيا معه عنب فقال له ما معك قال خمر وهو قول الضحاك فيكون معناه اني اعصر عنبا وروي في قراءة عبد الله والي جميعا اني رأيتني اعصر عنبا (وقال الآخر اني أراني احمق فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه) معناه وقال صاحب الطعام اني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وأوان الأطعمة وسباع الطير تنهش منه (نشنا بتأويله) أي أخبرنا بتعبيره وما يؤول اليه امره (انا نراك من المحسنين) أي تؤثر الاحسان والافعال الجميلة قال الضحاك كان إذا ضاق على رجل مكانه وسع له وان احتاج جمع له وان مرض قام عليه وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وقال الزجاج جاء في التفسير انه كان يعين المظلوم وينصر الضعيف ويعود العليل قال وقيل من المحسنين أي ممن يحسن تأويل الرويا قال وهذا دليل على ان امر الرويا صحيح وانها لم تنزل في الأمم السالفة وفي الحديث ان الرويا جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وتأويله ان الأنبياء يجبرون بما سيكونون والرويا تادل على ما سيكون فيكون المعنى في الآية انا نعلمك او نظنك ممن يعرف تعبیر الرويا ومن ذلك قول امير المؤمنين (ع) قيمة كل امرئ ما يحسنه وقال ابو مسلم نراك من المحسنين اليانا ان فرت لنا الرويا وهو قول ابن ابي اسحاق ثم ذكر لها يوسف (ع) ما يدل على انه عالم بتفسير الرويا (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه) في منامكما (إلا نباتكما بتأويله) في اليقظة (قبل ان يأتيكما) التأويل وذلك انه كره ان يجبرها بالتأويل لما على احدهما فيه من البلاء فأعرض عن سؤالهما واخذ في غيره عن السدي وابن اسحق وقيل انه لما قدم هذا ليعلم ما خصه الله تعالى به من النبوة وليقبلا عنه فقال لا يأتيكما طعام من منزلكما إلا أخبرتكما بصفة ذلك الطعام وكيفية قبل ان يأتيكما كما قال عيسى بن مريم (ع) وانبتنكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم عن الحسن والحسيني (ذلكما مما علمني ربي) كأنهما قالوا له كيف عرفت تأويل الرويا واست بكاهن ولا عراف فأخبرهما انه رسول الله وانه تعالى علمه ذلك وتعليمه تعالى قديكون بأن يفعل العلم في قلبه وقد يكون بالوحي وقد يكون بنصب الادلة التي يدرك بها العلم (اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) معناه انه لا يستحق هذه الرتبة الخطيرة إلا المؤمنون المخلصون وانني تركت طريقة قوم لا يؤمنون فلذلك خصني الله بهذه الكرامة (واتبع ملة آباي) اي شريعة آباي (ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء) اي لا ينبغي لنا ونحن معدن النبوة واهل بيت الرسالة ان ندين بغير التوحيد (ذلك) أي التمسك بالتوحيد والبراءة من الشرك وقيل النبوة والعلم (من فضل الله علينا) بأن خصنا بها وعلى الناس ايضا برسالنا اليهم واتباعهم ايانا واهتدائهم بنا (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) نعم الله تعالى وقد كان يوسف (ع) فيما بينهم زمانا ولم يحك الله سبحانه انه دعا إلى الدين وكانوا يعبدون الأصنام لأنه لم يطمع منهم في الاستماع والقبول فلما رأهم عارفين بالوحسانسه مقبلين عليه رجا منهم القبول منه فدعاهم إلى التوحيد على ما امر الله سبحانه له في قوله ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقد روي ان صاحبي السجن قال لا له لقد احببتك حين رأيتك فقال لا تحباني فوالله ما احبني احد الا دخل علي من حبه بلاء احببني عمتي فسببت إلى السرقة واحبني ابي فالتقت في الحب واحببني امرأة العزيز فالتقت في السجن

قوله تعالى (٣٩) يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤٠)

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ
إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ الْأَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤١)
يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ مَا فَيسَّقِي رَبُّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخِرُ فَيُصَلِّبُ فَنَأْكُلُ الطَّيْرَ مِنْ رَأْسِهِ
قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤٢) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهَا أُذْكَرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ
فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ أَرْبَعُ آيَاتٍ

اللغة

الصاحب الملازم لغيره على وجه الاختصاص وهو خلاف ملازمة الاتصال ومنه اصحاب الشافعي واصحاب ابي حنيفة واصحاب النبي ^{صلى الله عليه وسلم} للملازمة له وكونهم معه في حروبه وصاحب السجن هما الملازمان له بالكون فيه والقيم المستقيم واصله من قام يقوم والاستفتاء طلب الفتيا والبضع القطعة من الدهر واصله من القطع والبضعة القطعة من اللحم ومنه الحديث فاطمة بضعة مني يؤذيني من آذاها
(المعنى) -

(يا صاحبي السجن) هذا حكاية نداء يوسف للمستفتين له عن تأويل رؤياها اي ياملزمي السجن (ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار) اي املك متباينون من حجر وخشب لا تضر ولا تنفع خير لمن عبدها ام الله الواحد القهار الذي اليه الخير والشر والنفع والضر وهذا ظاهره الاستفهام والمراد به التقرير والزمام الحجة والقاهر هو القادر الذي لا يتنوع عليه شيء (ما تعبدون من دونه الا اسما سميتوها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان) ابتداء بخطاب اثنين ثم خاطب بلفظ الجمع لانه قصد جميع من هو في مثل حالها وقيل انه خطاب لجميع من في الحبس ومعناه ان هذه الاصنام التي تعبدونها من دون الله وسميتوها باسما يعني الارباب والالهة هي اسما فارغة عن المعاني لا حقيقة لها ما انزل الله من حجة بعبادتها (ان الحكم الا لله) اي ما الحكم والامر الا لله فلا يجوز العبادة والخضوع والتذلل الا لله (امران لا تعبدوا الا اياه) اي وقد أمركم ان لا تعبدوا غيره (ذلك) اي ذلك الذي بينت لكم من توحيدته وعبادته وترك عبادة غيره (الدين القيم) اي الدين المستقيم الذي لا عوج فيه (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) قال ابن عباس ما للمطيعين من الثواب وللعاصين من العقاب وقيل لا يعلمون صحة ما أقوله لعدوهم عن النظر والاستدلال ثم عبر (ع) رؤياها فقال (يا صاحبي السجن) اما احدكما فيسقي ربه خمرًا) بدأ بما هو الأهم وهو الدعاء الى توحيد الله وعبادته واطهار معجزته ثم بتعبير رؤيا الساقى فروي انه قال اما العناقيد الثلاثة فلانها ثلاثة أيام تبقى في السجن ثم يخرجك الملك اليوم الرابع وتعود الى ما كنت عليه واجرى على ما لكه صفة الرب لانه عبده فأضافه اليه كما يقال رب الدار ورب الضيعة (وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه) يريد بالآخر صاحب الطعام روي انه قال بش ما رأيت أما السلال الثلاث فلانها ثلاثة أيام تبقى في السجن ثم يخرجك الملك فيصلبك فتأكل الطير من رأسك فقال عند ذلك ما رأيت شيئًا وكنت العب فقال يوسف (قضي الامر الذي فيه تستفتيان) اي فرغ من الأمر الذي تسألان وتطلبان معرفته وما قلته لكم فانه نازل بكمما وهو كائن لا محالة وفي هذا دلالة على انه كان يقول ذلك على جهة الاخبار عن الغيب بما يوحى اليه لا كما يعبر احدنا الرويا على جهة التأويل (وقال) يوسف (للذي ظن انه ناج منها) معناه للذي علم من طريق الوحي انه ناج اي متخلص كما في قوله تعالى إني ظننت اني ملاق حسابه هذا قول الأكثرين واختيار الجبائي وقال قتادة للذي ظنه ناجيا لانه لم يحكم بصدقه فيما قصه من الرؤيا والأول اصح (اذ كرني عند ربك) اي اذ كرني عند سيدك يا نبي

محبوس ظلما (فأنساه الشيطان ذكر ربه) يعني انسى الشيطان يوسف ذكر الله تعالى في تلك الحال حتى استغاث بمخلوق فالتمس من الناجي منها ان يذكره عند سيده وكان من حقه ان يتوكل في ذلك على الله سبحانه (فلبث في السجن بضع سنين) اي سبع سنين عن ابن عباس وروي ذلك عن علي بن الحسين (ع) وابي عبد الله (ع) وقيل معناه فأنسى الشيطان الساقى ذكر يوسف عند الملك فلم يذكره حتى لبث في السجن عن الحسن ومحمد بن اسحاق والجبائي وابي مسلم وعلي هذا فتقديره فأنساه الشيطان ذكر يوسف عند ربه وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال عجبت من اخي يوسف (ع) كيف استغاث بالمخلوق دون الخالق وروي انه (ع) قال لولا كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال انا اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس وروي عن ابي عبد الله (ع) قال جاء جبرائيل (ع) فقال يا يوسف من جملك احسن الناس قال ربي قال فمن جبيك الى ابيك دون اخوانك قال ربي قال فمن ساق اليك السيارة قال ربي قال فمن صرف عنك الحجارة قال ربي قال فمن انقذك من الجب قال ربي قال فمن صرف عنك كيد النسوة قال ربي قال فاون ربك يقول ما دعاك الى ان تنزل حاجتك بمخلوق دوني البث في السجن بما قلت بضع سنين وعنه في رواية اخرى قال فبكى يوسف عند ذلك حتى بكى بكائه الحيوان فتأذى ببكائه اهل السجن فصالحهم على ان يبكي يوما ويسكت يوما فكان في اليوم الذي يسكت اسره حالا والقول في ذلك ان الاستعانة بالعباد في دفع المضار والتخلص من المكاره جائز غير منكر ولا قبيح بل ربما يجب ذلك وكان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم يستعين فيما ينوبه بالمهاجرين والانصار وغيرهم ولو كان قبيحا لم يفعله فلو صحت هذه الروايات فإنا عوتب يوسف عليه السلام في ترك عاداته الجميلة في الصبر والتوكل على الله سبحانه في كل أموره دون غيره وقتاما ابتلاه وتشديدا وانما كان يكون قبيحا لو ترك التوكل على الله سبحانه واقتصصر على غيره وفي هذا ترغيب في الاعتصام بالله تعالى والاستعانة به دون غيره عند نزول الشدائد وان جاز ايضا ان يستعان بغيره واختلف في البضع فقال بعضهم البضع ما بين الثلاث الى الخمس عن ابي عبيدة وقيل الى السبع عن قطرب وقيل الى التسع عن الاصمعي ذكره الزجاج وقول قطرب مروى عن مجاهد وقول الاصمعي مروى عن قتادة وقال ابن عباس هو ما دون العشرة واكثر المفسرين على ان البضع في الآية سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمسة التي كانت قبل ذلك وروي عن ابي عبد الله (ع) قال علم جبرائيل (ع) يوسف في حبسه فقال قل في دبر كل صلاة فريضة اللهم اجعل لي فرجا ومخرجا وارزقني من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب وروى شعيب المقرئ في عنه (ع) قال لما انقضت المدة واذن له في دعاء الفرج وضع خده على الارض ثم قال اللهم ان كانت ذنوبي قد اخلقت وجهي عندك فإني اتوجه اليك بوجوه آبائي الصالحين ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب فرجع الله عنه قال فقلت له جعلت فداك اندعو نحن بهذا الدعاء فقال ادعوا بمثله اللهم ان كانت ذنوبي قد اخلقت عندك وجهي فإني اتوجه اليك بوجه نبي الرحمة وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام

قوله تعالى (٤٣) وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَأْيِ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَىٰ يَا تَعْبُرُونَ (٤٤) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ (٤٥) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٦) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٧) قَالَ نَزِعُونَ سَبْعَ سَنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذُرُّهُ فِي سَنِيهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ

(٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَا كُنَّانَ مَا قَدَّمْتُمْ لِهِنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ (٤٩) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ سبع آيات

(=) (القراءة) (=)

قرأ حفص دأباً بفتح المعزة والباقون بسكونها وقرأ تعصرون بالتاء اهل الكوفة غير عاصم والباقون بالياء وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابن عمر بخلاف والضحاك وقتادة وزيد بن علي (ع) وادكر بعدامه بالهاء وقراءة الاشهب العقيلي بعد امة بكسر المعزة وقرأ جعفر بن محمد عليهما السلام وسبع سنابل وقرأ ايضاً ما قرأتم وقرأ هو والاعرج وعيسى بن عمر وفيه يعصرون بياء مضمومة وصاد مفتوحة

(=) (الحجة) (=)

قال ابو علي انتصب دأباً بادل عليه ترعون وفيه علاج ودروب فكأنه قال تدعون فانتصب دأباً به لا بالمضمر ولعل الفتح لغة فيه فيكون كشمع وشمع ونهر ونهر ويعصرون يمتل امرين احدهما ان يكون من العصر الذي يراد به الضفط الذي يلحق ما فيه دهن او ماء نحو الزيتون والسوسم والغنبل يخرج ذلك منه وهذا يمكن ان يكون تأويل الآية عليه لأن من المتأولين من يحكى انهم لم يعصروا اربع عشر سنة زيتاً ولا غنبا فيكون المعنى تعصرون لاخصب الذي اتاكم كما كنتم تعصرون ايام الخصب من قبل الجذب الذي دفعتم اليه ويكون يعصرون من العصر الذي هو الالتجاء الى ما يقدر به من النجاة قال ابن مقبل

وصاحبي قهوة مستوهل زعل
اي يحول بينه وبين الملجأ الذي يقدر به النجاة وقال ابو زيد الطائي

صاديا يستغيث غير مغاث
قال ابو عبيدة يعصرون ينحون وانشد للبيد

فبات واسرى القوم آخر ليلهم
وما كان وقافا بدار معصر

فأما من قال يعصرون بالياء فانه جعل الفاعلين الناس لأن ذكرهم قد تقدم ومن قرأ بالتاء وجه الخطاب الى المستفتين الذين قالوا افتنا ويجوز ان يريدهم وغيرهم الا انه غلب الخطاب على التيبة كما يغلب التذكير على التأنيث واما الامة فهو النسيان يقال امة يامة اذا نسي انشد ابو عبيده

امهت و كنت لا انسى حديثا
كذلك الدهر يوذى بالعقول

والامة النعمة فيكون المراد بعد ان انعم عليه بالنجاة واما يعصرون بضم الياء فيجوز ان يكون من العصرة والعصر للنجاة ويجوز ان يكون من عصرت السحابة ماها عليهم وفي كتاب علي بن ابراهيم عن ابي عبد الله (ع) قال قرأ رجل على امير المؤمنين علي (ع) هذه الآية فقال يعصرون بالياء وكسر الصاد فقال ويحك واي شي يعصرون ايعصرون الحمر فقال الرجل يا امير المؤمنين فكيف اقرأها قال عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون مضمومة الياء مفتوحة الصاد اي يطرون بعد سني المجاعة ويدل عليه قوله وانزلنا من المعصرات ماء شجايا

✽ اللغة ✽

الملك القادر الواسع المقدور الذي اليه السياسة والتدبير والرويا ما يراه النائم ويرجع الى الاعتقاد ثم يكون علي وجوه منها ما يكون من الله تعالى وملائكته وهو الذي له تعبير وتأويل ومنها ما يكون من الشيطان ولا تأويل له ومنها ما يكون من جهة النائم واعتقاداته او يكون بقية اعتقاد كان اعتقده والعجف ذهاب السمن

والذكر اعجف والانثى عجفاء وجمعها عجاف ولا يجمع افعال على فعال الا هذا والعبير والتعبير تفسير الرويا وهو من عبور النهر ونحوه والاضغاث الاحلام الملتبسة والاضغاث الخزمة من كل شيء وقال الترمذي الضغث مل اليدمن الحشيش ومنه وخذ بيدك ضغثاً اي قبضة والفعل منه اضغث وقيل الضغث خلط قش المد وهو غير متشاكل ولا متلائم فشبهموا به تخليط المنام والاحلام جميع حلم وهو الرويا في النوم ويقال حلم يحلم حلما واحتلم فهو حلم والحلم بكسر الحاء ضد الطيش وهو الاناءة وكان اصل حلم النوم مسن هذا لانه حال اناة وسكون وتأويل الرويا تفسير ما يؤول اليه معناه وتأويل كل شيء تفسير ما يؤول اليه معنى الكلام والادكار افتعال من الذكر واصله اذتكار لكن التاء ابدل منها الدال وادغمت الذال في الدال ويجوز اذكر بالذال ايضا الا ان الاجود الدال وهو طلب الذكر ونظيره الاستذكار والتذكر والامة الجماعة تؤم امرا والامة المدة وهي الجملة من الحين والصديق الكثير التصديق للحق وقيل هو الكثير الصدق وفعل بناء المبالغة والكثرة والفتيا الجواب عن حكم المعنى وقد يكون الجواب عن نفس المعنى فلا يكون فتيا والزرع القاء البذر في الارض للنبات ومنه المزارعة بالثك او الربع وتسمى المغاربة ايضا وهي مأخوذة من فعل اهل خيبر والدأب العادة يقال دأب يدأب دأبا ويقال دأب في عمله يدأب دؤبا اجتهد وادأبته انا ادأبا وذر ودع بمعنى لم يجي منها لفظة الماضي استغني عن ذلك بترك الشدة والصلابة والصعوبة نظائر وقيل الشدة تكون في سبعة اصناف في العقد والمد والزمان والغضب والام والشراب والبدن والاحصان مثل الاحراز احصنه احصانا جملة في حرز والغوث هو نفع يأتي على شدة حاجة ينفي المضرة ومنه الغيث المطر الذي يأتي في وقت الحاجة قال الازهري غاث الله البلاد يغيثها وقد غيثت الارض فهي مغيشة ومغيشة والغيث الكلال ينبت من ماء السماء وجمعه غيوث والغيث اصله الواو ومنه الغوث وغوث تغويثا اذا قال واغوثاه من يغيشني ويغاث يجتمل ان يكون من الواو ويجتمل ان يكون من الياء

✽ الاعراب ✽

ان كنتم للرويا تعبرون هذه اللام دخلت للتبيين المعنى ان كنتم تعبرون ثم بين باللام فقال للرويا عن الزجاج وهذه اللام تزداد في المفعول به اذا تقدم على الفعل تقول عبرت الرويا والرويا عبرت وقد جاء مثله في قوله الذين هم لربهم برهيون وقد جاء فيما ليس بمقدم من المفعول نحو قوله ردف لكم وآخر لا ينصرف لانه صرف عن جهة صوابها التي جاءت بالالف واللام وهذه جاءت خاصة بغير الف ولا م فكانها عدلت عن وجهها تقول هذه النسوة الوسط والكبر ولا تقول وسط وكبر وتقول نسوة اخر فلما خالفت اخواتها ترك صرفها وموضعها في الآية الرابعة جرت تقديره وفي آخر اضغاث احلام تقديره هي اضغاث احلام يوسف المراد به يابوسف ويجوز حذف حرف النداء في المنادى المفرد العلم تقول يازيد اقبل وزيد اقبل قال

محمد تفقد نفسك كل نفس

اذا ما خفت مسن امر وبالا

وبروى تبالا اراد يا محمد

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن سبب نجاته يوسف من السجن وهو انه لما قرب الفرج رأى الملك رويا هالته واشكل تعبها على قومه حتى عبرها يوسف فقال سبحانه (وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان) يعني وقال ملك مصر وهو الوليد بن ريان والعزير وزيره فيما رواه الاكثر اني ارى في منامي سبع بقرات سمان يا كلهن سبع اي سبع بقرات اخره (عجاف) اي مهازيل فدخلت السمان في بطون المهازيل حتى لم ار منهن شيئا

(وسبع سنبلات خضر) اي وارى في منامي سبع سنبلات قد انعقد حبها (واخر) أي وسبعاً اخر (يابسات) قد احتصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها (يا ايها الملأ) اي جمع الاشراف وقيل جمع السحرة والكهنة وقص رؤياه عليهم وقال يا ايها الاشراف او الجماعة (افتوني في رؤياي) اي عبروا ما رأيت في منامي وبينوا لي الفتوى فيه وهو حكم الحادثة (ان كنتم للرؤيا تعبرون) معناه ان كنتم عابرين للرؤيا وقيل ان اللام تفيد معنى الى اي ان كنتم توجهون العبارة الى الرؤيا (قالوا اضغاث احلام) اي هذه اباطيل احلام عن الكلبي وقيل تخاليط احلام عن قتادة والمعنى هذه منامات كاذبة لا يصح تأويلها (وما نحن بتأويل الاحلام) التي هذه صفتها (بالمين) وانا نعلم تأويل ما يصح وكان جهل الملأ بتأويل رؤيا الملك سبب نجاة يوسف لأن الساقى نذ كر حديث يوسف فجثا بين يديه وقال يا ايها الملك اني قصصت انا وصاحب الطعام على رجل في السجن منامين فخبير بتأويلها وصدق في جميع ما وصف فإن اذنت مضيت اليه واتيته من قبله بتفسير هذه الرؤيا فذلك قوله (وقال الذي نجا منها واد كر بعد أمة انا انبئكم بتأويله فأرسلون) عن الكلبي وقوله واذ كر بعد أمة معناه نذ كر شأن يوسف وما وصاه به بعد حين من الدهر وزمان طويل عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وههنا حذف بدل الكلام عليه وهو فأرسلون الى يوسف فأرسل فاتى يوسف في السجن وقال له (يوسف) اي يا يوسف (ايها الصديق) اي الكثير الصدق فيما تخبر به (افتنا في سبع بقرات سمان) الى قوله (يابسات) فإن الملك رأى هذه الرؤيا واشتبه تأويلها (لعلي ارجع الى الناس) يعني الملك واصحابه والعلماء الذين جمعهم لتعبير رؤياه (لعلهم يعلمون) فضلك وعلماك فيخرجوك من السجن وقيل لعلهم يعرفون تأويل رؤيا الملك قال يوسف في جوابه معبرا ومعلما اما البقرات السبع العجاف والسنبال السبع اليابسات فالسنون الجذبة واما السبع السمان والسنبال السبع الخضر فانهن سبع سنين مخصبات ذوات نعمة وانتم تزرعون فيها فذلك قوله (تزرعون سبع سنين دأبا) اي فازرعوا سبع سنين متواليه عن ابن عباس اي زراعة متواليه في هذه السنين على عادتكم في الزراعة سائر السنين وقيل دأبا اي يجد واجتهاد في الزراعة ويجوز ان يكون حالا فيكون معناه تزرعون دائبين (فما حصدم) من الزرع (فدروه) اتركوه (في سنبله) لا اذروه ولا تدوسوه (الا قليلا مما تأكلون) وانما امرهم بذلك ليكون ابقى وابعد من الفساد يعني ان ما اردتم اكله فدوسوه واتركوا الباقي في السنبل وقيل انما امرهم بذلك لأن السنبل لا يقع فيه سوس ولا يهلك وان بقي مدة من الزمان واذا صفي اسرع اليه الهلاك (ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد) اي سبع سنين مجدبات صعاب تشد على الناس (بأكلن ما قدمت لهن) معناه تأكلن فيها ما قدمت في السنين المخصبة لتلك السنين وانما اضاف الاكل الى السنين لأنه يقع فيها كما قال الشاعر

نهارك يا مغرور سهو وغفلة

وليلك نوم والردى لك لازم

ومعنيك فيما سوف تكره غبه

كذلك في الدنيا تعيش البهائم

وقيل اراد بالاكل الافناء والاهلاك كما يقال اكل السير لحم الناقة اي ذهب به قال زيد بن اسلم كان يوسف يصنع طعام اثنين فيقر به الى رجل فيأكل نصفه حتى كان ذات يوم قر به اليه فأكله كله فقال هذا اول يوم من السبع الشداد (الا قليلا مما تحصنون) معناه الا شيئا قليلا مما تحرزون وتدخرون (ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس) معناه ثم يأتي من بعد هذه السنين الشداد عام فيه يطر الناس من الغيث وقيل

يفاثون من العوث والغيث اية ينقذون وينجون من القحط (وفيه يعصرون) الثار التي تعصر في الخصب كالعنب والزيت والسوسم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل معناه ينجون من الجذب من العصرة والعصر والاعتصار الاتجاه قال عدي بن زيد

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري
وهذا القول من يوسف اخبار بلالم يسأله منه ولم يكن في رؤيا الملك بل هو مما اطعمه الله تعالى عليه من علم الغيب ليكون من آيات نبوته (ع) قال الباخي وهذا التأويل من يوسف يدل على بطلان قول من يقول ان الرؤيا على ما عبرت اولا لأنهم كانوا قالوا هي اضغاث احلام فلو كان ما قالوه صحيحا لكان يوسف لا يتأولها

قوله تعالى (٥٠) وَقَالَ الْمَلِكُ اتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥١) قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمَرْءُ قَالَ إِنِّي كنتُ مِنَ الَّذِينَ يَخْتَصِمُونَ فَأرسلني ربِّي بالإصصاء وكان ربِّي بالظالمين عليم (٥٢) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُءُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٣) وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ أربع آيات

﴿ القراءه ﴾

قرأ ما بال النسوة بضم النون الاعشى والبرجي عن ابي بكر عن عاصم والباقون بكسر النون وهما الفتان وقد تقدم ذكر قراءة ابي عمر رحاشا لله بالالف ومر بيانه

﴿ اللفه ﴾

الخطب الأمر الذي يعظم شأنه فيخاطب الانسان فيه صاحبه يقال هذا خطب جليل قال الزجاج حصص الحق اشتقاقه من الحصه اي بانته حصه الحق وجهته من حصه الباطل وقال غيره هو مكرر من قولهم حص شعره اذا استأصل قطعه وازاله عن الرأس فيكون معناه انقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه ومثله كبوا وكبكبوا وكف الدمع وكفكفه فهو زيادة تضعيف دل عليه الاشتقاق قال

قد حصت البيضة رأسي فما اطعم يوما غير تهجاع

وخصص البعير بثفناته في الارض اذا حرك حتى تستبين آثارها فيه قال حميد

وحصحص في صم الحصا ثفناته ورام القيام ساعة ثم صمما
والكهد الاحتيال سرا لا يصال الضرر الى الغير

﴿ الإعراب ﴾

ذلك مرفوع بالابتداء وان شئت على خبر الابتداء كأنه قال اصري ذلك وموضع ما رحم ربي نصب على الاستثناء

— المعنى —

ثم اخبر سبحانه عن اخراج يوسف من السجن فقال (وقال الملك ائتوني به) وفي الكلام حذف يدل ظاهره عليه وهو فلما رجع صاحب الشراب وهو رسول الملك الى الملك بجواب يوسف وتعبيره روثياه قال الملك ائتوني به اي بيوسف الذي عبر روثياي (فلما جاءه الرسول) اي لما جاء يوسف رسول الملك فقال له اجب الملك . اي يوسف ان يخرج مع الرسول حتى تبين براءته بما قذف به (وقال) للرسول (ارجع الى ربك) اي سيدك وهو الملك (فسئله ما بال النسوة) اي ما حالهن وما شأنهن والمعنى فاسأل الملك ان يتعرف حال النسوة (اللاتي قطعن ايديهن) ليعلم صحة براءتي ولم يفرد امرأة العزيز بالذكر حسن عشرة منه ورعاية ادب لكونها زوجة الملك او زوجة خليفته الملك فخلطها بالنسوة وقيل انه أرادهن دونها لانهن الشاهدات له عليها الا ترى انها قالت الآن حصحص الحق وهذا يدل على ان النسوة كن ادعين عليه نحو ما ادعته امرأة العزيز قال ابن عباس لو خرج يوسف يومئذ قبل ان يعلم الملك بشأنه مازالت في نفس العزيز منه حالة يقول هذا الذي راود امرأتي وقيل اشفق يوسف من ان يراه الملك بعين مشكوك في امره متمه بفاحشة فأحب ان يراه بعد ان يزول عن قلبه ما كان فيه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسبان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني من السجن ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لا سرعت الاجابة وبادرتهم الباب وما ابتغيت العذر انه كان حلما ذا اناة (ان ربي بكيدهن عليم) اي ان الله عالم بكيدهن قادر على اظهار براءتي وقال ان سيدي الذي هو العزيز عليم بكيدهن استشهده فيما علم من حاله عن ابي مسلم والاول هو الوجه (قال ماخطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه) معناه ان الرسول رجع الى الملك واخبره بما قاله يوسف (ع) فارسل الى النسوة ودعاهن وقال لهن ما شأنكن وما امركن اذا طلبتن يوسف عن نفسه ودعوته الى انفسكن (قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء) هذه كلمة تنزيه اي نزهة يوسف مما اتهم به قلن معاذ الله وعبادا بالله من هذا الأمر وما علمنا عليه من سوء وخيانته وما فعل شيئا مما نسب اليه واعترفن ببراءته وبأنه حبس مظلوما (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) اي ظهر وتبين وحصل على امكن وجوهه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وكان معناه انقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه (انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) في قوله هي راودتني عن نفسي اعترفت بالكذب على نفسها فيما اتهم يوسف به وانما حملها على الصدق انقطاع طمعا منه فجمع الله ليوسف في اظهار براءته ونزاهته عما قذف به بين الشهادة والاقرار حتى لا يبقى موضع شك (ذلك ليعلم) هذا من كلام يوسف اي ذلك الذي فعلت من ردي رسول الملك اليه في شأن النسوة ليعلم الملك او العزيز (اني لم اخنه بالغيب) في زوجته اي في حال غيبته عني عن الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك وابي مسلم وانصل كلام يوسف بكلام امرأة العزيز لظهور الدلالة على المعنى ونظيره قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وهو من كلام الملائم قال فماذا تأمرون وهو حكاية عن قول فرعون قال الفراء وهذا من اغمض ما يأتي في الكلام ان يحكي عن واحد ثم يعدل الى شي آخر من قول آخر لم يجز له ذكر وقيل بل هو من كلام امرأة العزيز اي ذلك

الاقرار ليعلم يوسف اني لم اخنه في غيبته بتوريك الذنب عليه وان خنته بحضرتة وعند مشاهدته عن الجبائي (وان الله لا يهدي كيد الخائنين) اي لا يهديهم في كيدهم ومكرهم (وما ابرى نفسي) هذا من كلام يوسف عند اكثر المفسرين وقيل بل هو من كلام امرأة العزيز عن الجبائي اي ما ابرى نفسي عن السوء والخيانة في امر يوسف (ان النفس لا مارة بالسوء) اي كثيرة الامر بالسوء والشهوة قد تدعو الانسان الى المعصية والالف واللام للجنس فيكون المعنى ان كل النفوس كذلك ويجوز ان يكون للمعنى ان نفسي بهذه الصفة (الا مارحم ربي) اي الا من رحمه الله تعالى فعصمه بأن لطف له فيكون ما بمعنى من كقوله ما طاب لكم ويجوز ان يكون معناه الامدة ما عصم ربي ومن قال انه من كلام يوسف قال انه اراد الدعاء والمنازعة والشهوة ولم يرد العزم على المعصية اي لا ابرى نفسي مما لا تعرى منه طباع البشر وانما امتنعت عن الفاحشة بحول الله ولطفه وهدايته لا بنفسي قال الحسن انما قال وما ابرى نفسي لانه كره ان يكون قد زكى نفسه (ان ربي غفور) بعباده (رحيم) بهم

قوله تعالى (٥٤) وَقَالَ الْمَلِكُ اَتُونِي بِهِ اَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ اِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ اَمِينٌ (٥٥) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْاَرْضِ اِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٦) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْاَرْضِ يَتَّبِعُوهُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ اَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٧) وَلَا اَجْرَ الْاٰخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اٰمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ اربع آيات

✽ القراءة ✽

قرأ ابن كثير حيث نشاء بالنون والباقون بالياء

= (الحجة) =

قال ابو علي من قرأ بالياء فيشاء مسند الى الغائب كما ان يتبوء كذلك ويقوي ذلك قوله واورثنا الجنة نتبوا منها حيث نشاء فكما ان قوله نشاء وفق لفعل المتبوعين كذلك قوله حيث يشاء وفق لقوله يتبوا ومن قرأ بالنون فإنه على احد وجهين اما ان يكون اسند المشيئة اليه وهو ليوسف في المعنى لأن مشيئته لما كانت بقوته واقداره عليها جاز ان ينسب الى الله وان كانت ليوسف في المعنى كما قال سبحانه وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاضيف الرمي الى الله لما كان بقوته وان كان الرمي للنبي ﷺ والآخر ان يكون الموضع المتبوع موضع نساك وقرب فالملك فيه قرينة الى الله تعالى فهو يشاؤه ويريد فاما اللام في قوله مكننا ليوسف وقوله انا مكننا له في الارض فيجوز ان يكون على حد التي في قوله ردف لكم وللروايا تعبرون بدل على ذلك قوله ولقد مكنناهم فيما ان مكنناكم فيه وقوله يتبوا في موضع نصب على الحال تقديره مكنناهم متبوا حيث يشاء واما قوله حيث يشاء فيجوز ان يكون في موضع نصب على الوجه قول الشاخب بأنه ظرف والآخر ان يكون في موضع نصب بأنه مفعول به وبدل على جواز هذا الوجه قول الشاخب

وخلاها عن ذي الراكعة عامر اخو الخضر يرضى حيث تكبو النواجز

= (المنة) =

الاستخلاص طلب خلوص الشيء من شائب الاشتراك كأنه يريد ان يكون خالصا له وفي حديث

سلمان الفارسي (رض) انه كاتبه أهله على أربعين اوقية خلاص اي ما اخلصته النار من الذهب وكذلك الخلاصة والمكين من المكانة واصله التمكن في الامر يقال مكن مكانة فهو مكين اذا كان له قدر وجاه يتمكن بهما يروم والتبوء اتخاذ منزل يرجع اليه واصله من باء ييؤه اذا رجع

✽ المعنى ✽

(وقال الملك ائتوني به) معناه ان الملك لما تبين له امانة يوسف وبراءته من سوء وعلمه أمر باحضاره فقال ائتوني به (استخلصه لنفسى) اي اجمله خالصا لنفسى ارجع اليه في تدبير مملكتي واعمل على اشارته في مهمات أموري (فلما كلمه) ههنا حذف معناه فلما جاء الرسول يوسف ودعاه خرج من السجن ودخل على الملك وكلمه وعرف فضله وأمانته وعقله لأنه استدل بكلامه على عقله وبمفاته على أمانته (قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) اي انك عندنا ذو مكانة متمكن في المنزلة والقدر نافذ القول والأمر ظاهر الأمانة مأمون ثقة قال ابن عباس يريد مكتتك من ملكي وجعات سلطانك فيه كسلطاني وأتممتك فيه قال الكلبي ان رسول الملك جاءه فقال له قم فإن الملك يدعوك والقي ثياب السجن عنك والبس ثيابا جددا فأقبل يوسف وتنظف من درن السجن ولبس ثيابه وأتى الملك وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة فلما رآه الملك شابا حدث السن قال يا غلام هذا تأويل رؤياي ولم يعلمه السحرة ولا الكهنة قال نعم فأقعدته قدامه وقص عليه رؤياه وروي ان يوسف لما خرج من السجن دعا لاهله وقال اللهم اعطف عليهم بقلوب الاخيار ولا تعمر عليهم الاخبار فذلك يكون أصحاب السجن اعرف الناس بالاخبار في كل بلدة وكتب على باب السجن هذا قبور الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشهادة الاعداء قال وهب ولما وقف بياب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا إله غيره ولما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره ولما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسماعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان آبائي قال وهب وكان الملك يشكك بسبعين لسانا فكلما كلم يوسف بلسان أجابه بذلك اللسان فأعجب الملك ما رأى منه فقال له اني أحب ان اسمع رؤياي منك شفاها فقال يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سان شهب غر حسان كشف لك عنهن النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا فينا تنظر اليهن ويعجبك حسنهن اذ نضب النيل فقار ماؤه وبدأ يبسه فخرج من حمله ووحله سبع بقرات عجاف شعث غير مقلصات البطون ليس هن ضرور ولا اخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسان فافترستن افتراس السبع فأكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن وتمششن مخن فينا انت تنظر وتتعجب اذا سبع سنابل خضر واخر سود في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فينا انت تقول في نفسك انى هذا وهو لاء خضر مشمرات وهو لاء سود يابسات والمنبت واحد واصولهن في الماء اذ هبت ريح فذرت الارفات من اليابسات السود على الثمرات الخضر فاشتعلت فيهن النار واحرقتهن وصرن سودا مشغيرات فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا ثم انتبهت من نومك مذعورا فقال الملك والله ماشان هذه الرؤيا وان كانت عجيبا أعجب مما سمعته منك فما ترى في رؤياي ايها الصديق فقال يوسف ارى ان تجمع الطعام وتزرع زراعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتبني الاهراء والخزائن فتجمع الطعام فيها بقصبه

وسنبله ليكون قصبه وسنبله علفا للدواب وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك من الطعام الذي جمعه لاهل مصر ومن حولها ويأتيك الخلق من النواحي فيمتارون منك بحكمك ويجتمع عندك من الكنوز ما لم يجمع لاحد ذلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه ويكفي الشغل فيه فعند ذلك (قال) يوسف (اجعلني على خزائن الأرض) الالف واللام في الأرض للعهد دون الجنس يعني اجعلني على خزائن ارضك حافظا وواليا واجعل تدبيرها الي (فإني حفيظ) اي حافظ لما استودعتني لحفظه عن ان تجري فيه خيانة (عليم) بن يستحق منها شيئا ومن لا يستحق فأضعها مواضعها عن قتادة وابن اسحاق والجبائي وقيل حفيظ عليم اي كاتب حاسب عن وهب وقيل حفيظ للتقدير في هذه السنين الجذبة عليم بوقت الجوع حين يقع عن الكليبي وقيل حفيظ للحساب عالم بالاسن وذلك ان الناس يفتنون من كل ناحية ويتكلمون بلغات مختلفة عن السدي وفي هذا دلالة على انه يجوز للانسان ان يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه فإنه عرف الملك حاله ليقيمه في الامور التي في اباؤها اصلاح العباد والبلاد ولم يدخل بذلك تحت قوله سبحانه فلا تزكوا انفسكم قالوا فقال الملك ومن احق به منك فولاه ذلك وقيل ان الملك الاكبر فوض اليه امر مصر ودخل بيته وعزل قطفير وجعل يوسف مكانه وقيل ان قطفير هلك في تلك الليالي فزوج الملك يوسف راعيل امرأة قطفير العزيز فدخل بها يوسف فوجدها عذراء ولما دخل عليها قال ليس هذا خيرا مما كنت تريدن وولدت له افرائيم وميشا واستوثق ليوسف ملك مصر وقيل انه لم يتزوجها يوسف وانها لما رآته في موكبه بكت وقالت الحمد لله الذي جعل الملوك بالمعصية عبيدا والعبيد بالطاعة ملوكا فضعها اليه وكانت من عياله حتى ماتت عنده ولم يتزوجها وفي تفسير علي بن ابراهيم بن هاشم قال لما مات العزيز وذلك في السنين الجذبة افتقرت امرأة العزيز واحتاجت حتى سألت الناس فقالوا لها ما يضرك لو قعدت للعزيز وكان يوسف يسمى العزيز وكل ملك كان لهم سموه بهذا الاسم فقالت استحي منه فلم يزالوا بها حتى قعدت له فأقبل يوسف في موكبه فقامت اليه زليخا وقالت سبحانه من جعل الملوك بالمعصية عبيدا والعبيد بالطاعة ملوكا فقال لها يوسف أنت تبهك قالت نعم وكان اسمها زليخا فقال لها هل لك في قالت دعني بعد ما بثت أتهزأ بي قال لا قالت نعم قال فأمر بها فحوالت الى منزله وكانت هرمة فقال لها يوسف الست فعلت بي كذا وكذا قالت يا نبي الله لا تمنني فأني بليت في بلاء لم يبل به احد قال وما هو قالت بليت بحبك ولم يخلق الله لك نظيرا في الدنيا وبليت بأنه لم تكن بمصر امرأة اجمل مني ولا اكثر مالا مني وبليت بزواج عنين فقال لها يوسف فما حاجتك قالت تسأل الله ان يرد علي شباي فسأل الله فرد عليها فتزوجها وهي بكر وروي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ انه قال رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لولاه من شاعته ولكنه أخر ذلك سنة قال ابن عباس فأقام في بيت الملك سنة فلما انصرفت السنة من يوم سأل الإمارة دعاه الأمير فتوجه ورداه بسيفه وأمر بأن يوضع له سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت ويضرب عليه كاة من استبرق ثم أمره ان يخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كاقمر يرى الناظر وجهه في صفاء لون وجهه فانطلق حتى جلس على السرير ودانت له الملوك فعدل بين الناس فأحبه الرجال والنساء وذلك قوله عز اسمه (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) اي ومثل ذلك الانعام الذي انعمنا عليه اقدرنا يوسف على ما يريد في الأرض يعني أرض مصر (يثبوا منها حيث يشاء) اي

يتصرف فيها حيث يشاء وينزل منها حيث يشاء (نصيب برحمتنا من نشاء) اي يخص بنعم الدين والدنيا من نشاء (ولا نضيع اجر المحسنين) اي المطيعين وقيل الصابرين عن ابن عباس وقيل انه دعا الملك الى الاسلام فاسلم عن مجاهد وغيره قالوا واسلم ايضاً كثير من الناس فهذا في الدنيا (ولاجر الآخرة) اي ثواب الآخرة (خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) بخلوصه عن الشوائب والاقذار وفيه هذه اشارة الى انه سبحانه يوتي يوسف في الآخرة من الثواب والدرجات ما هو خير مما آتاه الله في الدنيا من الملك والنعمة

سؤال * قالوا كيف جاز ليوسف ان يطلب الولاية من قبل الكفرة الظلمة وجوابه لانه علم انه يتمكن بذلك من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ووضع الحقوق مواضعها وقد جعل الله سبحانه جميع ذلك له من جهة كونه نبيا اماما وكان يفعل ذلك من قبل الله تعالى وانما سأل الولاية ليمكن من الأمور التي له ان يفعلها وايضاً فإنه علم انه سبب يتوصل به الى الدعاء الى الخير والى روية والديه واخوته وفي الآية دلالة على ان ذلك التمكين والملك والتدبير كان بلطف الله سبحانه وفضله وفيها دلالة ايضا على جواز تولي القضاء من جهة الباغي والظالم اذا يتمكن بذلك من إقامة احكام الدين وفي قوله يتبوءانها حيث يشاء دلالة على ان تصرفه كان باختياره من غير رجوع الى الملك وانه صار بحيث لا أمر عليه وفي كتاب النبوة بالاسناد عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي بن بنت الياس قال سمعت الرضا (ع) يقول وأقبل يوسف على جمع الطعام فجمع في السبع السنين المخصصة فكبسه في الخزائن فلما مضت تلك السنون وأقبلت المجدبة أقبل يوسف على بيع الطعام فباعهم في السنة الأولى بالدرهم والدنانير حتى لم يبق بمصر وما حولها دينار ولا درهم الا صار في مملكة يوسف وباعهم في السنة الثانية بالخلي والجواهر حتى لم يبق بمصر وما حولها حلي ولا جوهر الا صار في مملكته وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي حتى لم يبق بمصر وما حولها دابة ولا ماشية الا صار في مملكته وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق بمصر عبد ولا أمة الا صار في مملكته وباعهم في السنة الخامسة بالدور والعقار حتى لم يبق بمصر وما حولها دار ولا عقار الا صار في مملكته وباعهم في السنة السادسة بالمزارع والانهار حتى لم يبق بمصر وما حولها نهر ولا مزرعة الا صار في مملكته وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حر الا صار عبد يوسف فملك احرارهم وعبدهم وأموالهم وقال الناس ما رأينا ولا سمعنا بملك اعطاه الله من الملك ما اعطى هذا الملك حكما وعلما وتدبيراً ثم قال يوسف للملك أيها الملك ما ترى فيما خولني ربي من ملك مصر وأهلها أشد علينا برأيك فأرني لم اصلحهم لأفسدهم ولم انجحهم من البلاء لا يكون بلاء عليهم ولكن الله تعالى انجاهم على يدي قال له الملك الرأي رأيك قال يوسف اني اشهد الله واشهدك أيها الملك اني قد اعتقت أهل مصر كاهنهم ورددت عليهم أموالهم وعبدهم ورددت عليك أيها الملك خاتك وسريرك وتاجك على ان لا تسير الا بسيرتي ولا تحكم الا بحكمي قال له الملك ان ذلك لزييني وفخري ان لا أسير الا بسيرتك ولا احكمم الا بحكمك ولولاك ما قويت عليه ولا اهتديت له واقد جعلت سلطانا عزيزا لا يرام وأنا أشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنتك رسوله فأقم على ما وليتك فأرنيك لدينا مكين أمين وقيل ان يوسف (ع) كان لا يتلي شبيعا من الطعام في تلك الأيام المجدبة فقيل له تجوع ويبيدك خزائن الأرض فقال (ع) أخاف ان أشبع فأنسى الجيع

قوله تعالى (٥٨) وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون (٥٩) ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بائخ لكم من أبيكم ألا ترون اني اوفي الكيل وانا خير

الْمَنْزِلِينَ (٦٠) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونَ (٦١) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦٢) وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ خمس آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر الفتية والباقر الفتية

(- الحجة -)

قال ابو علي الفتية جمع فتى في العدد القليل والفتيان في الكثير ومثل فتية إخوة وولدة في جمع أخ وولد ونيرة وقيمة في جمع نار وقاع ومثل فتيان بركان وخربان في جمع برق وخرب وجيران وتيجان في جمع جارو تاج وقد يقوم البناء الذي للقليل مقام الذي للكثير وكذلك يقوم الكثير مقام القليل حيث لا قلب ولا اعلال وذلك نحو ارجل واقدام وارسان وفي الكثير قواهم ثلاثة شروع فإذا فعل ذلك فيا لا اعلال فيه فإن يرفض فيا يوذي الى الإعلال والقلب اولى

✽ اللغة ✽

جهاز البيت متاعه وجهزت فلانا هيأت جهاز سفره ومنه جهاز المرأة والرجال اراد به الاوعية ولحدها رحل وجمعهما التقليل ارحل قال ابن الانباري يقال للوعاء رحل والمسكن رحل وأصله الشي المعد للرحيل من وعاء المتاع ومركب البعير وحلس ورسن

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه انه لما تمكن يوسف بمصر واصاب الناس ما اصابهم من القحط وقصدوا مصر نزل بال يعقوب ما نزل بالناس فجمع يعقوب بنيه وقال لهم بلغني انه يباع الطعام بمصر وان صاحبه رجل صالح فاذهبوا اليه فإنه سيحسن اليكم ان شاء الله فتجهزوا وساروا حتى وردوا مصر فدخلوا على يوسف فذالك قوله (وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) اي جاؤوا ليمتاروا من مصر كما امتار غيرهم ودخلوا عليه وهم عشرة وامسك ابن يامين اخا يوسف لأنه فعرفهم يوسف وانكروه قال ابن عباس وكان بين ان قذفه في الحب وبين ان دخلوا عليه اربعين سنة فلذلك انكروه ولا أنهم رأوه ملكا جالسا على السرير عليه ثياب الملوك ولم يكن يحظر بباهم انه يصير الى تلك الحالة وكان يوسف ينتظر قدومهم عليه فكان اثبت لهم فلما نظر اليهم يوسف وكاموه بالبرانية قال لهم من انتم وما امركم فاني انكر شأنكم وفي تفسير علي بن ابراهيم فلما جهزهم واعطاهم واحسن اليهم في الكيل قال لهم من انتم قالوا نحن قوم من أرض الشام رعاة اصابتنا الجهد فجئنا ننتار فقال لعلمكم عيون جئتم تنظرون عودة بلادي فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس واننا نحن إخوة بنو أب واحد وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن ولو تعلم بايئنا لكرمنا عليك فإنه نبي الله وابن انبيائه وانسه لمحزون قال وما الذي احزنه فلعل حزنه انما كان من قبل سفهكم وجهلكم قالوا يا أيها الملك استنا بسفهاء ولا جهال ولا اتاه الحزن من قبلنا ولكنه كان له ابن كان اصغرنا سنا وانته خرج يوما معنا الى الصيد فأكله الذئب فلم يزل بعده حزينا كنييا باكيما فقال لهم يوسف كلكم من أب وأم قالوا أبونا واحد وأمها تاشتي قال فما حمل أبائكم على ان سرحكم كلكم ألا حبس واحدا منكم يستأنس به قالوا قد فعل حبس منا واحدا وهو اصغرنا سنا لأنه آخر الذي هلك من أمه فابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولونه حق قالوا يا أيها الملك إنا ببلاذ

لا يعرفنا أحد فقال يوسف فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم ان كنتم صادقين وأنا أرضى بذلك قالوا إن أبانا
يجز على فراقه وسنراوده عنه قال فدعوا عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم فاقتنعوا بينهم فأصابت القرعة
شعرون وقيل ان يوسف اختار شعرون لأنه كان احسنهم رأيا فيه فخلفوه عنده فذلك قوله (ولما جهزهم بجهازهم)
يعني حمل لكل رجل منهم بعير بعدتهم (قال أتوني بأخ لكم من أبيكم) يعني ابن يامين (الا ترون إني
أوف الكيل) اي لا انجس الناس شيئا وأتم لهم كيلهم (وانا خير المنزلين) اي المضيفين ما أخذ من المنزل وهو
الطعام وقيل خير المنزلين للأمر منازلها فتدخل فيه الضيافة وغيرها ما أخذ من المنزل وهو الدار (فإني لم تأتوني
به فلا كيل لكم عندي) اي ليس لكم عندي طعام اكيله عليكم والمراد بالكيل المكيل (ولا تقرين)
اي ولا تقرين داري وبلادي خلط عليه السلام الوعد بالوعد (قالوا سنراود عنه أباه) اي نطلبه ونسأله ان يرسله
معا قال ابن عباس معناه نستخذه عنه حتى يخرج به معنا (وإنا لفاعلون) ما أمرتنا به قال وكان يوسف أمر ترجانسا
يعرف العبرانية ان يكلمهم وكان لا يكلمهم بنفسه ليشبه عليهم فإني لو عرفوه ربما كانوا يهيمون في الارض
حيا من أبيهم فيتركون خدمته وكان في معرفتهم إياه مفسدة (وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) اي قال
يوسف لعيبيده وغلمايه الذين يكيلون الطعام عن قتادة وغيره وقيل لا عوانه اجعلوا ثمن طعامهم وما كانوا جاؤا به
في اوعيتهم وقيل كانت بضاعتهم النعال والأدم وقيل كانت الورق عن قتادة (اعلمهم يعرفونها إذا انقلبوا الى أهلهم)
اي اعلمهم يعرفون متاعهم اذا رجعوا الى أهلهم (اعلمهم يرجعون) بعد ذلك اطلب الميرة مرة أخرى وانما فعل ذلك
ليعرفوا ان يوسف انما فعل ذلك إكراما لهم ليرجعوا اليه وقيل انه خاف ان لا يكون عندهم من الورق مسا
يرجعون به مرة أخرى عن الكافي وقيل انه رأى انما أخذ ثمن الطعام من ابيه وإخوته مع حاجتهم اليه فرده عليهم
من حيث لا يعلمون تفضلا وكرما وقيل فعل ذلك لأنه علم ان ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد بضاعتهم إذا
وجدوها في رحالهم ولا يعرفون ان الملك أمر بذلك فيرجعون ليردوا ذلك عليه ومتى قيل كيف لم يعرفهم يوسف
نفسه مع علمه بشدة حزن أبيه وقلقه واحترقه على ألم فراقه فالجواب انه لم يؤذنه في التعريف استتماما للمحنة
عليه وعلى يعقوب ولما علم الله تعالى من الحكمة والصلاح في تشديد البلية تعريضا للمنزلة السنية وقيل انما لم

يعرفهم بنفسه لأنهم لو عرفوه ربما لم يرجعوا اليه ولم يحملوا أخاه اليه والأول هو الوجه الصحيح

قوله تعالى (٦٣) فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منيع منا الكيل فأرسل معنا أخانا

نكئل وإنا له لحافظون (٦٤) قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فأله

خير حافظا وهو أرحم الراحمين (٦٦) ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا

يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا وبمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كبل بعير ذلك كبل

يسير (٦٦) قال لن أرسله معكم حتى تؤثون مؤثقا من الله لتأنيبي به إلا أن يحاط بكم فلما

آتوه مؤثقتهم قال الله على ما نقول و كيل أربع آيات

القراءة

قرأ يكتل بالياء اهل الكوفة غير عاصم والباقون بالنون وقرأ خير حافظا بالألف اهل الكوفة غير ابي بكر

والباقون حفظا بغير الف وفي الشواذ قراءة علقمة ويحيى ردت الينا بكسر الراء

الحجة

قال ابو علي يدل على النون في نكتل قوله وغير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير الا ترى انهم انما يعرفون

اهلهم بما يكتبون فيكون نكتل مثل ندير وايضا فاذا قالوا نكتل جاز ان يكون اخوهم داخلا معهم واذا كان بالياء لم يدخلوهم فيه وزعموا ان في قراءة عبد الله نكتل بالنون وكان النون لقولهم منع منا الكيل لغيبة اخينا فارسه نكتل ما منعناه لغيبته ووجه الياء انه يكتب حمله كما نكتال نحن احمالنا ووجه من قرأ خير حفظا انه قد ثبت من قوله ونحفظ اخانا وقوله وانا له حافظون انهم قد اضافوا الى انفسهم حفظا فالمعنى على الحفظ الذي نسبوه الى انفسهم وان كان منهم تفریط في حفظهم ليوسف كما ان قوله ابن شركاني لم يثبت لله شريكا وانا المعنى على الشركاء الذين نسبتوهم الي فكذلك المعنى على الحفظ الذي نسبوه الى انفسهم وان كان منهم تفریط فيه فاذا كان كذلك كان المعنى فانه خير حفظا من حفظكم الذي نسبتوه الى انفسكم وان كان منكم فيه تفریط واطافة خير الى حفظ محال ولكن تقول حفظ الله خير من حفظكم ومن قرأ حافظا فيكون حافظا منتصبا على التمييز دون الحال كما كان حفظا كذلك ولا يستحيل الاضافة في فانه خير حافظ وخير الحافظين كما يستحيل في خير حفظا فون قلت فهل كان ثم حافظ كما ثبت انه كان حفظ لما قدمته فالقول انه قد ثبت انه كان ثم حافظ لقوله وانا له حافظون ولقوله يحفظونه من امر الله فتقول حافظ الله خير من حافظكم كما كان حفظ الله خير من حفظكم لأن الله سبحانه حافظه كما ان له حفظا فحافظه خير من حافظكم كما كان حفظه خيرا من حفظكم وتقول هو احفظ حافظ كما تقول هو ارحم راحم لأنه سبحانه من الحافظين كما كان من الراحين واما قوله ردت فون فعل من المضاعف والمعتل العين يمي على ثلاثة اوجه عندهم لغة فاشية واخرى تليها وثالثة قليلة فاقرى اللغات في المضاعف ضم اوله كشد وعد ورد ثم يليه الاشمام وهو بين ضم الاول وكسره ثم قولهم رشد ورد باخلاص الكسرة وهو الاقل واقرى اللغات في المعتل العين كسر اوله نحو قيل وبيع ثم يليه الاشمام بين الضمة والكسرة والثالثة اخلاص الضمة نحو قول ويوع وانشد الذي الرمة

دنا البين من مي فردت جمالها وهاج الهوى تقويضها واحتمالها

✽ اللغة ✽

يقال كلت فلانا اي اعطيته الشيء كعلا واكتلت عليه اخذت منه والامن اطمنان القلب الى سلامة الامر يقال آمنه يا آمنه امانة والميرة الاطعمة التي تحمل من بلد الى بلد ويقال مرتهم اميرهم ميرا اذا اتيتهم بالميرة ومثله امترتهم امتيارا قال

بعثتك مائرا فمكثت حولا متى يأتي غيائك من يغيث

✽ الاعراب ✽

قال الزجاج حفظا منصوب على التمييز وحافظا على الحال ويجوز ان يكون حافظا على التمييز وما في قوله ما نبغي استفهام موضعه نصب والمعنى اي شيء تريد ويكون المراد به الجحد ويجوز ان يكون ما ايضا نغيا كما أنهم قالوا ما نبع شيئا وموضع ان يحاط بكم نصب والمعنى الا الاحاطة بكم اي لا تمتنعوا من الاتيان به الا لهذا وهذا يسمى مفعولا له قال الزجاج والا هذه بمعنى تحقيق الجزء تقول ما تأتينا الا لاخذ الدرهم والا ان تاخذ الدرهم

✽ المعنى ✽

(فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل) قيل انهم لما دخلوا على يعقوب وسلموا عليه سلاما ضعيفا فقال لهم يا بني ما لكم تسلمون سلاما ضعيفا ومالي لا اسمع فيكم صوت شمعون فقالوا يا ابانا انا جئناك من عند اعظم الناس ملكا ولم ير الناس مثله حكما وعلم وخشوعا وسكينة ووقارا ولئن كان لك شبيهه فانه يشبهك ولكننا اهل بيت خلقنا للبلاد انه اتهمنا وزعم انه لا يصدقنا حتى ترسل معنا باين يامين برسالة منك اليه ليخبره من حزنك وما الذي احزنك وعن سرعة الشيب اليك وذهاب بصرك وقوله منع منا الكيل معناه منا فيما يستقبل ان لم تأتته

بأخينا لقوله فلا كيل لكم عندي (فأرسل معنا اخانا) ابن يامين (نكتل) اي نأخذ الطعام بالكيل ان ارسلته
 اكلتنا والا فمنعنا الكيل ومن قرأ بكتل بالياء فالمعنى يأخذ اخونا ابن يامين وقر بعير بكتال له (وانا له
 لحاظون) من ان يصيبه سوء ومكروه (قال) يعقوب (هل امنكم عليه الا كما امنتمكم على أخيه من قبل)
 اي لا آمنكم على ابن يامين في الذهاب به الا كما مني على يوسف ضمنتم لي حفظه ثم ضيعتموه او اهلكتموه او
 غيبتتموه عني وانما فرعهم بمحدث يوسف والا فقد كان يعلم انهم في هذه الحال لا يفعلون ما لا يجوز (فأله خير
 حافظا) اي حفظ الله خير من حفظكم (وهو أرحم الراحمين) يرحم ضعفي وكبر سني ويرده علي وورد في
 الخبر ان الله سبحانه قال فبعزتي لأردنهما اليك من بعد ما توكلت علي (ولما فتحوا متاعهم) يعني اوعية الطعام
 (وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي) اي ما نطلب في منع أخينا عنه وقيل معناه ما نطلب بما
 اخبرناك عن ملك مصر الكذب وقيل معناه اي شي نطلب وراء هذا أوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن عن قتادة
 وأراد ان تطيب نفس يعقوب فيبعث ابنه معهم وتم الكلام ثم قالوا ابتداء (هذه بضاعتنا ردت الينا) اي فلا ينبغي
 ان نخاف على أخينا من قد احسن الينا هذا الاحسان وقيل المراد ما يزيد منك دراهم تعطيناها نرجع بها اليه
 بل تكفيننا في الرجوع اليه بضاعتنا هذه فإن الملك إذا فعنا ما أمرنا به في أخينا يفي بما وعدنا وأرسله معنا
 (وغير أهلنا) اي نجلب اليهم الطعام (ونحفظ أخانا) في السفر حتى نرده اليك (وتزداد كيل بعير) لأجله لأنه
 كان يكال لكل رجل وقر بعير (ذلك كيل يسير) اي ذلك كيل سهل ايسر سهل على الذي يمضي اليه عن
 الزجاج والمعنى انه حين على الملك لا يصعب عليه ولا يظهر في ماله وقيل معناه ان الذي جئناك به كيل قليل
 لا يقتنعنا فنحتاج ان نضيف اليه كيل بعير أخينا عن الجبائي وقيل يسير على من بكتاله لا مؤنة فيه ولا مشقة عن
 الحسن وهذا كله تنبيه منهم على وجه الصواب في إرساله معهم فلما رأى يعقوب (ع) رده البضاعة وتحقق عنه
 اكرام الملك وإيام وعزم على ارسال ابن يامين معهم (قال لن أرسله معكم حتى توثقون موثقان الله) اي تعطوني
 ما يوثق به من يمين او عهد من الله (لتأنتني به) اي لتردنه الي قال ابن عباس يعني حتى تحلفوا الي بحق محمد خاتم
 النبيين ^{صلى الله عليه وآله وسلم} وسيد المرسلين اي لا تغدروا بأخيكم ولتأنتني به اللام فيه لجواب القسم (الا ان يحاط بكم)
 اي الا ان تهاكوا جميعاً عن مجاهد وقيل الا ان تغلبوا حتى لا تطبقوا ذلك عن قتادة والمعنى الا ان يحاط بكم
 وبينه حتى لا تقدروا على الاتيان به عن الزجاج (فلما أتوه موثقهم) ايسر اعطوه عهدهم وحلفوا له بحق محمد
 ومنزلته من ربه عن ابن عباس (قال) يعقوب (الله على ما تقول وكيل) اي شاهد حافظ ان اخلفتم انصف لي
 منكم وفيه هذا دلالة على وجوب التوكل على الله سبحانه في جميع المهمات والتفويض اليه في كل الأمور وفيها
 دلالة ايضاً على ان يعقوب (ع) انما ارسل ابن يامين معهم لأنه علم انهم لما كبروا ندموا على ما كان فرط منهم في
 أمر يوسف ولم يصرروا على ذلك ولهذا وثق بهم وانما غيرهم بمحدث يوسف حثا لهم على حفظ أخيه

قوله تعالى (٦٧) وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا
 أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَحْسَمْتُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ
 (٦٨) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ
 يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوْعٌ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ آيَاتُ

= اللغة =

الغنى الكفاية في المال لأنه اكتفى به وربما مد لضرورة الشعر والغناء بكسر الغين المد من الصوت يقال

منه غنى بغني غناء والغناء بالفتح والمد الكفاية وغني عن كذا فهو غان وغني القوم في دارهم أقاموا والمغاني المنازل
لأنهم اكتفوا بها والغاينة المرأة لأنها تكفي بزوجه عن غيره أو بجملها عن التزين

المعنى

(و) لما تجهزوا للمسير (قال) يعقوب (يا بني لا تدخلوا) مصر (من باب واحد) ادخلوا من ابواب متفرقة)
خاف عليهم العين لأنهم كانوا ذوي جمال وهيئة وكال وهم أخوة اولاد رجل واحد عن ابن عباس والحسن وقتادة
والضحاك والسدي وأبي مسلم وقيل خاف عليهم حسد الناس إياهم وإن يبلغ الملك قوتهم وبطشهم فيحبسهم
أو يقتلهم خوفا على ملكه عن الجبائي وانكر العين وذكر أنه لم يثبت بحجة وجوزة كثير من المحققين ورواؤه
الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن العين حق والعين تستنزل الخالق والخالق المكان المرتفع من الجبل وغيره فجعل (ع)
العين كأنها تحط ذروة الجبل من قوة أخذها وشدة بطشها وورد في الخبر أنه عليه وآله السلام كان يعوذ الحسن
والحسين عليهما السلام بأن يقول أعينك بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وروي أن
ابراهيم (ع) عوذ ابنه وان موسى عوذ ابني هارون بهذه العوذة وروي أن بني جعفر بن أبي طالب كانوا غلامانا
يضا فقالت اساء بنت عميس يا رسول الله ان العين اليهم سريعة افاسترقى لهم من العين فقال صلى الله عليه وسلم نعم وروي
أن جبرائيل (ع) رقى رسول الله وعلمه الرقية وهي بسم الله أريقك من كل عين حاسد الله بشفيك وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين ثم اختلفوا في وجه الإصابة بالعين فروي عن
عمرو بن بجر الجاحظ انه قال لا ينكر ان ينفصل من العين الصائبة الى الشيء المستحسن اجزاء لطيفة فتصل به
وتؤثر فيه فيكون هذا المعنى خاصة في بعض الاعين كالخواص في الاشياء وقد اعترض على ذلك بأنه لو كان
كذلك لما اقتص ذلك ببعض الاشياء دون بعض ولأن الاجزاء تكون جواهر والجواهر متائلة ولا يؤثر بعضها
في بعض وقال ابو هاشم انه فعل الله بالعادة لضرب من المصلحة وهو قول القاضي ورأيت في شرح هذا الشريف
الأجل الرضي الموسوي قدس الله روحه كلاما احببت ابراده في هذا الموضع قال ان الله تعالى يفعل المصالح
بعباده على حسب ما يعلمه من الصلاح لهم في تلك الافعال التي يفعلها فغير ممنوع ان يكون تغييره نعمة زيد مصالحة
لعمره واذا كان يعلم من حال عمره انه لو لم يسلب زيدا نعمته اقبل على الدنيا بوجهه ونأى عن الآخرة
بعطفه واذا سلب نعمة زيد للعلة التي ذكرناها عوضه فيها واعطاء بدلا منها عاجلا أو آجلا فيمكن ان يتأول قوله
(ع) العين حق على هذا الوجه على انه قد روي عنه (ع) ما يدل على ان الشيء اذا عظم في صدور العباد وضع الله
قدره وصغر أمره واذا كان الأمر على هذا فلا ينكر تغيير حال بعض الاشياء عند نظر بعض الناظرين اليه
واستحسانه له وعظمه في صدره وفخامته في عينه كما روي انه قال لما سبقت ناقته العضباء وكانت إذا سوبق بها
لم يسبق ما رفع العباد من شيء الا وضع الله منه ويجوز ان يكون ما أمر به المستحسن للشيء عند رؤيته من
تعويذه بالله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما في المصلحة مقام تغيير حالة الشيء المستحسن فلا يغير عند ذلك
لأن الرائي لذلك قد اظهر الرجوع إلى الله تعالى والاعاظة به فكأنه غير راكن الى الدنيا ولا معتربها انتهى كلامه
رضي الله عنه (وما أغني عنكم من الله من شيء) اي وما ادفع من قضاء الله من شيء ان كان قد قضى عليكم
الإصابة بالعين او غير ذلك (ان الحكم الا لله عليه توكلت) فهو القادر على ان يحفظكم من العين او من الحسد
ويردكم على سالمين (وعليه فيثوكل المتوكلون) اي وليفوضوا أمورهم اليه وليثقوا به (ولما دخلوا مصر من حيث
أمرهم أبوهم) اي من ابواب متفرقة كما أمرهم يعقوب وقيل كان لمصر اربعة ابواب فدخلوها من ابوابها
الاربعة متفرقين (ما كان يعني عنهم من الله من شيء) الاحاجة في نفس يعقوب قضاها اي لم يكن دخولهم مصر
كذلك يعني عنهم او يدفع عنهم شيئا اراد الله تعالى بإقاعه بهم من حسد او إصابة عين وهو (ع) كان عالما

انه لا ينفذ حذر من قدر ولكن كان ما قاله لبيته حاجة في قلبه ففرض يعقوب تلك الحاجة اي ازال به اضطراب قلبه لان
لا يحال على العين مكروه بصيبيهم وقيل معناه ان العين لو قدر ان تصيبيهم لاصابتهم وهم متفرقون كما تصيبيهم
مجتمعين عن الزجاج قال وحاجة استثناء ليس من الأول بمعنى لكن حاجة (وانه لذو علم) اي ذو يقين
ومعرفة بالله (لما علمناه) اي لأجل تعليمنا اياه عن مجاهد مدحه الله سبحانه بالعلم والمعنى انه حصل له العلم
بتعليمنا اياه وقيل وانه لذو علم لما علمناه اي يعلم ما علمناه فيعمل به لان من علم شيئاً ولا يعمل به كان كمن
لا يعلم فعلى هذا يكون اللام في قوله لما علمناه كاللام في قوله للروايا تعبرون (ولكن اكثر الناس لا يعلمون)
مرتبة يعقوب في العلم عن الجبائي وقيل لا يعلم المرشكون ما اللهم الله اولياءه عن ابن عباس

قوله تعالى (٦٩) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧٠) فَلَمَّا جَهَّزْتُمْ بِهِمْ مَجَارِمَهُمْ فَجَعَلَ الْقَائِلُ لِيُوسُفَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَيْتُمَا الْعَيْرَ
إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧١) قَالُوا وَآوَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ (٧٢) قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلَمَّا
جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٣) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا
سَارِقِينَ (٧٤) قَالُوا فَمَا جزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٥) قَالُوا جزَاؤُهُ مِنْ وَجْدٍ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ
جزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجهما من وعاء
أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع
درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم ثماني آيات

✽ القراءة ✽

في الشواذ قراءة أبي رجاء صواع الملك بفتح الصاد وقراءة أبي عبد الله بن عوف صوع بضم الصاد بغير الف وقراءة
يحيى بن يعمر صوغ بفتح الصاد والغين معجمة وقراءة أبي هريرة ومجاهد بخلاف صاع الملك والقراءة المشهورة
صواع الملك وقراءة الحسن من وعاء أخيه بضم الواو وقراءة سعيد بن جبيرة وعاء أخيه بالهمزة وقرأ يعقوب وسهل
يرفع ويشاء بالياء والباقون بالتون وقرأ اهل الكوفة درجات بالتون والباقون بغير تنوين وفي الشواذ قراءة ابن
مسعود فوق كل ذي علم عليم

✽ الحجة ✽

الصواع والصاع والصوع والصوع واحد وهو مكيال واما الصوع فمصدر وضع موضع اسم المفعول اي المصوع
وهو مثل الخلق والصيد بمعنى المخلوق والمصيد ومن قرأ أعاء فاصله وعاء ابدلت الواو المكسورة همزة كما قالوا في وسادة
اسادة وفي رجاح للستر اجاح ومن قرأ وعاء بالضم فإنه يكون لغة والهمزة فيه اقيس كما قالوا اعدي في وعدوا جوه
في وجوه ومن قرأ درجات بالتون فإن من يكون في موضع نصب على معنى نرفع من نشاء درجات ومن قرأها بغير
تنوين فإن من يكون في موضع جر بالاضافة وقال ابن جني ان قراءة من قرأ وفوق كل ذي علم عليم يحتمل
ثلاثة أوجه احدها ان يكون من باب اضافة المسمى الى الاسم اي وفوق كل شخص يسمى عالماً او يقال له عالم
عليه مثل قول الكهيت

نوازع من قلبي ظلماء واليب

اليكم ذوي آل النبي تطلعت

اي اليك يا آل النبي اي يا اصحاب هذا الاسم الذي هو آل النبي وعليه قول الاعشى
فكذبوها بما قالت فصبحهم
اي صبحهم الجيش الذي يقال له آل حسان والوجه الثاني ان يكون عالم مصدرآ كالباطل وغيره والثالث ان
يكون على مذهب من اعتقد زيادة ذي فكأنه قال وفوق كل عالم عليهم
— (اللغة) —

يقال آوى الى منزله يأوي اوي اوا اذا صار اليه واوتيه انا ابواء والابتئاس الاغتنام واجتلاب البؤس والحزن والسقاية
الإيواء التي يسقى منها وهو من السقي وقيل السقاية والصواع واحد والإذائن والتأذين واحد وهو النداء بسمع
بالاذن ويقال اذنته بالشيء اي اعلمته واذنته اكثرت اعلامه والعيبر القافلة من الحمير وقيل هو القافلة التي فيها
الاجمال والأصل للحمير ثم كثر فسمي كل قافلة عيبرآ وقيل العيبر الايبل السائرة المركوبة والجمع عيبران والحمل
بالكسر لا انفصل وبالفتح لا اتصل وجمعه احمال وحمول والزعيم والكفيل والضمين نظائر والزعيم ايضاً القائم بأمر
القوم وهو الرئيس قالت ليلي الاخيلية

حتى اذا رفع اللواء رأيته تحت اللواء على الخميس زعيما
— (الاعراب) —

تالله معناه والله الا ان التاء تختص باسم الله لا يجوز تالرحمن وتربي وهو بدل من الواو كما ابدل من الواو في
تراث وتجاه وتضمة قالوا جزاؤه من وجد في رحله ذكر في اعرابه وجهان احدهما ان يكون جزاؤه
مبتدأ ومن وجد في رحله الخبر ويكون المعنى جزاء السرقة الانسان الموجود في رحله السرقة ويكون قوله فهو
جزاؤه جملة أخرى ذكرت زيادة في الإيابة كما يقال لجزء السارق القطع فهو جزاؤه وهذا جزاؤه زيادة في البيان
وعلى هذا تكون من موصولة ويكون تقديره استترق الذي وجد في رحله السرقة فحذف المضاف والآخر
ان يكون جزاؤه مبتدأ ومن وجد في رحله فهو جزاؤه جملة شرطية في موضع الخبر والعائد على المبتدأ الأول
من الجملة الأولى جزاؤه من قوله فهو جزاؤه فكأنه قال فهو هو اي فهو الجزاء والاظهار ههنا احسن لثلاث يقع في
الكلام لبس قال الزجاج ان العرب اذا فحمت أمر الشيء جعلت العائدة اليه اعادة اللفظ بعينه وانشد

لا أرى الموت يسبق الموت شي
نقص الموت ذا الغني والفقير

وعلى هذا فيكون المعنى قالوا جزاء السرقة ان وجد في رحله من فلو موجود في رحله السرقة جزاؤه
استترق وقال صاحب الكشف تقديره جزاء المسروق من وجد في رحله اي انسان وجد الصاع في رحله فمن
نكرة وهو مبتدأ ثان وقوله وجد في رحله صفة لمن وقوله فهو جزاؤه خبر لمن والجملة خبر قوله جزاؤه والتقدير
جزاؤه انسان وجد في رحله الصاع فهو هو الا انه وضع الظاهر موضع المضمرة قال وليس في التنزيل من نكرة
الا في هذا الموضع وموضع الكاف من كذلك كدنا نصب بأنه صفة مصدر محذوف وموضع ان بشاء الله نصب
لما سقطت الباء افضى الفعل اليها فنصب والتقدير الا بمشيئة الله

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن دخولهم عليه فقال (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) اي لما دخل اولاد يعقوب
على يوسف ضم اليه أخاه من أبيه وأمه ابن يامين وانزله معه عن الحسن وقتادة وقيل انهم لما دخلوا عليه قالوا هذا
أخونا الذي امرتنا ان نأتيك به فقال أحسنتم ثم أنزلهم واكرمهم ثم أضافهم وقال ليجلس كل بني أم على مائدة
فجلسوا فبقي ابن يامين قائماً فردا فقال له يوسف مالك لا تجلس قال انك قلت ليجلس كل بني أم على مائدة

وليس لي فيهم ابن أم فقال يوسف افما كان لك ابن أم قال بلى قال يوسف فما فعل قال زعم هو لاء ان الذئب أكله قال فما بلغ من حزنك عليه قال ولد لي احد عشر ابنا كلهم اشتقت له اسما من اسمه فقال له يوسف أراك قد عانت النساء وشجمت الولد من بعده قال ابن يامين ان لي ابا صالحا وقد قال لي تزوج لعل الله يخرج منك ذرية تثقل الأرض بالتسييح فقال له يوسف تعال فاجلس معي على مائدتي فقال اخوة يوسف لقد فضل الله يوسف وأخاه حتى ان الملك قد اجلسه معه على مائدته روي ذلك عن الصادق (ع) (قال اني انا أخوك) اي اطلعه على انه أخوه وقيل انه قال انا أخوك مكان أخيك الهالك ولم يعترف له بالنسبة ولم يطلعه على انه أخوه ولكنه أراد ان يطيب نفسه (فلا تبتئس بما كانوا يعملون) اي فلا تسكن ولا تحزن لشيء ساف من اخوتك اليك عن وهب والشعبي (فلما جهزهم بجهازهم) اي فلما اعطاهم ما جاؤا لطلبه من الميرة وكال لهم الطعام الذي جاؤا لأجله وجعل لكل منهم حمل يعبر ويسمى حمل التاجر جهازا (جعل السقاية في رحل أخيه) معناه أمر حتى جعل الصاع في متاع أخيه وانما أضاف الله تعالى ذلك اليه لوقوعه بأسره وقيل إن السقاية هي المشربة التي كان يشرب منها الملك ثم جعل صاعا في السنين الشداد القحاط يكال به الطعام وقيل كان من ذهب عن ابن زيد وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقيل كان من فضة وذهب عن ابن عباس والحسن وقيل كان من فضة مرصعة بالجواهر عن عكرمة ثم ارتحلوا وانطلقوا (ثم أذن مؤذن) اي نادى مناد مسمعا معلما (أيتها العير) اي القافلة والتقدير يا أهل العير وقيل كانت القافلة من الحمير عن مجاهد (انكم لسارقون) قيل انما قال ذلك بعض من فقد الصاع من قوم يوسف من غير امره ولم يعلم بما أمره يوسف من جعل الصاع في رحلهم عن الجياني وقيل ان يوسف أمر المنادي بأن ينادي به ولم يرد به سرقة الصاع وانما عنى به انكم سرقتم يوسف عن أبيه والقيتموه في الجب عن ابي مسلم وقيل ان الكلام بجوز ان يكون خارجا مخرج الاستفهام كأنه قال أنتم لسارقون فأسقط همزة الاستفهام كما في قول الشاعر

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا

ويؤيده ماروي هشام بن الحكم عن ابي عبد الله (ع) انه قال ما سرقوا ولا كذب ومتى قيل كيف جاز ليوسف (ع) ان يجزن والده وأخوته بهذا الصنيع ويجعلهم متهمين بالسرقة فالجواب ان الغرض فيه التسيب الى احتباس أخيه عنده ويجوز ان يكون ذلك بأمر الله تعالى وروي انه اعلم اخاه بذلك ليحمله طريقا الى التمسك به واذا كان ادخال هذا الخزن سببا مؤديا الى إزالة غموم كثيرة عن الجميع ولا شك انه يتعلق به المصلحة فقد ثبت جوازه فأما التعرض للتهمة بالسرقة فغير صحيح لأن وجود السقاية في رحله يحتمل أمورا كثيرة غير السرقة فعلى هذا من حمله على السرقة مع نلهم بأنهم اولاد لنبيا توجهت الائمة عليه (قالوا) اي قال اصحاب العير (وأقبلوا عليهم) اي على اصحاب يوسف (ماذا تفقدون) اي ما الذي فقدتموه من متاعكم (قالوا فقد صواع الملك) اي صاعه وسقايته (ولمن جاء به حمل يعير) اي وقال المنادي من جاء بالصاع فله حمل يعير من الطعام (وانا به زعيم) اي كفيل ضامن (قالوا) اي قال اخوة يوسف (تالله لقد علمتم) أيها القوم (ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين) قط وانما أضافوا العلم اليهم بذلك مع انهم لم يعلموه لأن معنى هذا القول انكم قد ظهر لكم من حسن سيرتنا ومعاملتنا معكم مرة بعد أخرى ما تعلمون به انه ليس من شأننا السرقة وقيل انهم قالوا ذلك لأنهم ردوا البضاعة التي وجدوها في رحلهم مخافة ان يكون قد وضع ذلك بغير إذن يوسف اي فإذا كنا تخرجنا عن هذا فقد علمتم اننا لا نسرق لأن من رد ما وجد لا يكون سارقا عن الكلبي وقيل انهم لما دخلوا مصر وجدوهم قد أشدوا أفواه دوابهم كي لا تتناول الحرت والزرع وفي هذا دلالة على ان ما فعله أخوة يوسف به انما كان في حال الصقر وعدم كمال العقل لنفيهم عن اقسهم الفساد الذي هو ضد الصلاح (قالوا فما جزاؤه)

اي قال الذين نادوهم فما جزاء السرق (ان كنتم كاذبين) في قولكم انا لم نسرق وظهرت السرقة وقيل معناه
 فما جزاء من سرق (قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه) اي قال اخوة يوسف جزاء السرق السارق
 وهو الانسان الذي وجد المسروق في رحله وقد بينا تقديره فيما قبل ومعناه ان السنة في بني اسرائيل وعند الملك
 كان استرقاق السارق عن الحسن والسدي وابن اسحاق والجبائي وكان يسترق سنة وقيل كان حكم السارق في
 آل يعقوب ان يستخدم ويسترق على قدر سرقته وفي دين الملك الضرب والضمان عن الضحاك وقيل ان يوسف
 سألهم ما جزاء السارق عندكم فقالوا ان يؤخذ بسرقته (كذلك نجزي الظالمين) اي مثل ما ذكرنا من الجزاء
 نجزي السارقين يعني اذا سرق استرق وقيل ان ذلك جواب يوسف (ع) لقول اخوته ان جزاء السارق استرقاقه
 (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) اي بدأ يوسف في التفتيش بأوعيتهم لإزالة التهمة (ثم استخرجها) يعني
 السقاية (من وعاء أخيه) وإنما بدأ بأوعيتهم لأنه لو بدأ بوعاء أخيه لعلوا انه هو الذي جعلها فيه وإنما قال استخرجها
 لأنه أراد به السقاية وحيث قال ولمن جاء به اراد به الصاع وقيل ان الصاع يذكر وبوئث قالوا فأقبلوا على ابن يامين
 وقالوا له فضحتنا وسودت وجوهنا متى أخذت هذا الصاع فقال وضع هذا الصاع في رحلي الذي وضع الدرهم في
 رحلكم (كذلك كدنا ليوسف) اي مثل ذلك الكيد أمرنا يوسف ليكيدنا بثبنا له ان يجبس أخاه ليكون
 ذلك سببا لوصول خبره الى أبيه اي الهمنا يوسف هذا الكيد والحيلة فجازيناهم على كيدهم بيوسف اي كما فعلوا
 في الابتداء فعلنا بهم وقيل ان معنى كدنا صنعنا ليوسف عن ابن عباس وقيل الهمنا عن الربيع وقيل دبرنا بيوسف
 بدلالة قوله وفوق كل ذي علم عليم على انه سبحانه علم من صلاح هذا التدبير ما لم يعلمه غيره عن التقيي (ما كان
 ليأخذ أخاه في دين الملك الا ان يشاء الله) اي ما كان يمكنه ان يأخذ أخاه في حكم الملك وقضائه وان
 يجبسه اذ لم يكن ذلك من حكم ملك مصر وأهله عن قتادة وقيل في دين الملك في سلطانه عن ابن عباس وقيل
 في عادته في جزاء من سرق ان يستعبد وقيل انه كان عادلا ولولا هذه الحيلة لما كان يمكنه ان يأخذ أخيه الا ان
 يشاء الله ان يجعل ليوسف عذرا فيما فعل وقيل الا ان يشاء الله ان يأمره بذلك لأنه كان لا يمكنه ان يقول
 هذا أخي وكان لا يمكنه حبسه من غير حيلة لأنه كان يكون فعله ظلما وكان من سنة آل يعقوب ان يسترق
 وفي حكم الملك وأهل مصر ان يضرب ويغرم وحبسه يوسف على قولهم والتزم حكمهم الذي جرى على
 لسانهم مبالغة في نفي السرقة عن أنفسهم وكان ذلك مراده وقد شاء الله لأنه بأمره عن الحسن وإنما سماه كيدا
 لأنه لولا هذا السبب لم يتهيأ له أخذه والكيد ما يفعله فاعله ليوصل به الى غيره ضررا من حيث لا يعلمه او لينال
 منه شيئا من غير ان يعلمه (نرفع درجات من نشاء) بالعلم والنبوة كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وقيل
 بالتقوى والتوفيق والعصمة والالطاف الجميلة (وفوق كل ذي علم عليم) يعني ان كل عالم فإن فوقه عالما اعلم
 منه حتى ينتهي الى الله تعالى العالم بجميع المعلومات لذاته فيقف عليه ولا يتعداه وفي هذا دلالة على بطلان قول
 من يقول ان الله سبحانه عالم بعلم قديم لأنه لو كان كذلك لكان فوقه عليم على ما يقتضيه الظاهر

قوله تعالى (٧٧) قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبديها
 لهم قال انتم شر مكالنا والله أعلم بما تصفون (٧٨) قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا
 فخذنا مكانه إنا نراك من المحسنين (٧٩) قال معاد الله ان نأخذ إلا من وجدنا متاعنا
 عنده إنا إذا لظالمون (٨٠) فلما استبشروا منه خلصوا نجييا قال كبيرهم ألم تعلموا ان أباكم
 قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن

لِي أَبِي أَوْ يَحْكَمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ أَرْبَع آيَات

اللغة *

اليأس قطع الطمع من الأمر يقال يئس يئس ويئس وأيس بأيس لغة واستفعل مثل استيأس واستأيس وروى ابو ربيعة عن البرقي عن ابن كثير استيأسوا منه واستيأس الرسل ويئس واستيأس بمعنى مثل سخر واستسخر وعجب واستعجب والنجوى القوم يتناجون الواحد والجمع فيه سواء قال سبحانه وقربناه نجياً وانما جاز ذلك لأنه مصدر وصف به والمنجاة المسارة وأصله من النجوة وهو المرتفع من الأرض فإنه رفع السر من كل واحد الى صاحبه في خفية والنجوى يكون اسماً ومصدراً قال سبحانه واذا هم نجوى اي يتناجون وقال في المصدر إنما النجوى من الشيطان وجمع النجى انجية قال «اني اذا ما القوم كانوا انجيه» وريح الرجل براحا اذا تنجى عن موضعه

الاعراب -

قوله فأمرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال الزجاج هذا اضمار على شريطة التفسير لأن قوله تعالى اتم شراً مكاناً بدل من ما في اسرها والمعنى فأمرها يوسف في نفسه قوله اتم شراً مكاناً قال ابو علي ان الاضمار على شريطة التفسير يكون على ضربين * واحدهما * ان يفسر بفرد نحو نعم رجلاً زيد فقولك رجلاً تفسير للرجل الذي هو فاعل نعم وقد اصغر * والآخر * ان يفسر بجمله وأصل هذا يقع في الابتداء كقوله فإذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وقل هو الله أحد المعنى القصة ابصار الذين كفروا شاخصة والامر الله أحد ثم تدخل عوامل المبتدأ عليه نحو كان واخواتها وان واخواتها فينتقل هذا الضمير من الابتداء بها كما ينتقل سائر المبتدآت كقوله انه من أت ربه مجرماً فإنه لا تعنى الابصار وقول الشاعر «وليس منها شفاء الداء مبدول» والذي ذهب أبو اسحاق فيه الى انه مضمرة على شريطة التفسير ليس بمبتدأ فيلزمه التفسير بالجمله الا ترى انها فضلة مذكورة بعد فعل وفاعل وهو قوله اسر فإذا كان مابينا لما اصله المبتدأ لم يجز ان يفسر تفسيره وايضا فإن المضمرة على شريطة التفسير لا يكون الا متعلقا بالجمله التي يفسرها ولا يكون منقطعاً عنها ولا متعلقاً بجمله غيرها وما ذكره ابو اسحاق فالتفسير فيه منفصل عن الجمله التي فيها الضمير الذي زعم انه اضمار على شريطة التفسير فخرج بذلك عما يكون عليه الاضمار قبل التفسير فإن قلت فعلى م تحمل الضمير في اسرها قلنا يحتمل ان يكون اضمار اللام جابة كأنهم لما قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل اسر يوسف اجابتهم في نفسه ولم يبدها لهم في الحال وجاز اضمار ذلك لأنه دل ما تقدم من مقالته عليه وجاز ان يكون اضماراً للمقالة كأنه اسر يوسف مقاتلته لأن القول والمقالة واحد ويكون معنى المقالة المقول كما ان الخلق عبارة عن المخلوق اي آكفها في نفسه وواعاها ولم يطرحها ارادة للتوبيخ عليها والمجازاة بها انتهى تلخيص كلام ابي علي وقوله شيخاً صفة الأب والكبير صفة الشيخ ومعاذ الله منصوب على المصدر والعرب تقول معاذ الله ومعادة الله وعودنا الله وعوده الله وعباد الله ويقولون اللهم عائذا بك اي ادعوك عائذا بك وان تأخذ في موضع نصب والمعنى اعوذ بالله من اخذ احد الامن وجدنا متاعنا عنده فلما سقطت من افضى الفعل فنصب عن الزجاج وقوله انا إذا لظالمون فيه معنى الجزاء أي ان اخذنا غيره فنحن ظالمون ونجياً نصب على الحال وما في قوله ما فرطتم لغواي ومن قبل فرطتم ويجوز أن تكون مصدرية في موضع رفع بمعنى تفريطكم واقع من قبل فيكون ما فرطتم في يوسف في موضع رفع بالابتداء ومن قبل خبره ويجوز أن يكون في موضع نصب عطفاً على ان فيكون المعنى لم تعلموا ان اباكم قد أخذ عليكم موثقاً وتفريطكم في يوسف ويحكم عطف على يأذن ويجوز ان يكون بمعنى الا ان اي لن ابرح الأرض الا ان يحكم الله لي

المعنى *

ثم اخبر سبحانه عن اخوة يوسف انهم (قالوا) ليوسف (ان يسرق) ابن يامين (فقد سرق اخ له) من امه

(من قبل) فليست سرقة بأمر بديع فإنه اقتدى بأخيه يوسف واختلف فيما وصفوه به من السرقة على اقوال فقيل ان عمه يوسف كانت تحضنه بعد وفاة امه وتجه حبا شديدا فلما ترعرع اراد يعقوب ان يسترده منها وكانت اكبر ولد اسحاق وكانت عندها منطقة اسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر فاحتالت وجاءت بالمنطقة وشدتها على وسط يوسف وادعت انه سرقتها وكان من سنتهم استرقاق السارق فحبسته بذلك السبب عندها عن ابن عباس والضحاك والجبائي وقد روي ذلك عن ائمتنا عليهم السلام وقيل إنه سرق صنبا لجدته من قبل امه فكسره والقاه على الطريق عن سعيد بن جبير وقتادة وابن زيد وقيل إنه سرق دجاجة كانت في بيت يعقوب او بيضة فأعطاهم اسائلا فعيروه بها عن سفيان بن عيينة ومجاهد (فأسرها يوسف في نفسه) أي فأخفى يوسف تلك الكلمة التي قالوها (ولم يبدها لهم) أي لم يظهرها (قال انتم شر مكانا) في السرقة لأنكم سرقتهم اخاكم من آبيكم (والله أعلم بما تصفون) أي والله أعلم اسرق اخ له ام لا عن الزجاج ويكون المعنى انتم اسروا حالا من يوسف فإنه لم يكن له صنيع في المنطقة وكان يتصدق باذن ابيه ولم تكونوا براء مما عاملتموه به وقيل معناه انتم شر صنيعا بما اقدمتم عليه من ظلم اخيكم وعقوق آبيكم فأنتم شر مكانا عند الله منه أي اسر هذه المقالة في نفسه ثم جهر بقوله والله أعلم بما تصفون قال الحسن لم يكونوا انبياء في ذلك الوقت وانما اعطوا النبوة بعد ذلك والصحيح عندنا انهم لم يكونوا انبياء لأن النبي عندنا لا يجوز ان يقع منه فعل القبيح اصلا وقال البلخي انهم كذبوا في هذا القول ولم يصح أنهم كانوا انبياء وجوز أن يكون الاسباط غيرهم أو أن يكونوا من اولادهم (قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه) أي بدلا عنه انما قالوا هذا لما علموا انه استحقه فسألوه ان يأخذ عنه بدلا شفقة على والدهم ورقوا في القول على وجه الاسترحام ومعناه كبيرا في السن وقيل كبيرا في القدر لا يحبس ابن مثله (ان انارك من المحسنين) إلى الناس وقيل من المحسنين اليانا في الكيل ورد البضاعة وفي الضيافة ونحن نأمل هذا منك لإحسانك اليانا وقيل ان فعلت هذا فقد احسنت اليانا فأجابهم يوسف بأن (قال معاذ الله ان نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) أي اعوذ بالله ان آخذ البري بجرم السقيم وقال من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق تحرزنا من الكذب (انا إذا لظالمون) أي لو فعلنا ذلك لكننا ظالمين وفي هذا دلالة على ان اخذ البري بالمجرم ظلم ومن فعله كان ظلما والله يتعالى ويجل عن ذلك علوا كبيرا (فلما استأسوا منه) أي فلما يش اخوة يوسف من يوسف ان يجيبهم إلى ما سألوه من تخلية سبيل ابن يامين معهم (خلصوا نجيا) أي انقردوا عن الناس من غير أن يكون معهم من ليس منهم يتناجون فيما يعملون في ذهابهم إلى ابيهم من غير اخيهم ويتسديرون في أنهم يرجعون ام يقيمون وتلخيصه اعتزلوا عن الناس متناجين وهذا من الفاظ القرآن التي هي في الغاية القصوى من الفصاحة والابجاز في اللفظ مع كثرة المعنى (قال كبيرهم) وهو روبين وكان اسمهم وهو ابن خالة يوسف وهو الذي نهى اخوته عن قتله عن قتادة والسدي والضحاك وكعب وقيل شمعون وهو كبيرهم في العقل والعلم لا في السن وكان رئيسهم عن مجاهد وقيل يهوذا وكان اعقلهم عن وهب والكبي وقيل لاوي عن محمد بن اسحاق وعن علي بن ابراهيم بن هاشم (لم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله) اراد به الوثيقة التي طلبها منهم يعقوب حين قال لن ارسله معكم حتى تؤتوني موثقا من الله لتأتيني به فذكرهم ذلك (ومن قبل ما فرطتم في يوسف) أي قصرتم في أمره وكنتم قد عاهدتم اباكم ان تردوه اليه سالما فنقضتم العهد (فلن ابرح الأرض) أي لا ازال بهذه الأرض ولا ازول عنها وهي ارض مصر (حتى بأذن لي ابي) في البراح والرجوع اليه (او يحكم الله لي) بالخروج وترك اخي هاهنا وقيل بالموت وقيل بما يكون عذرا لنا عند ابينا عن ابي مسلم وقيل بالسيف حتى احارب من حبس اخي عن الجبائي (وهو خير الحاكمين) لا يحكم إلا بالحق قالوا انه قال لم انا اكون هاهنا واحملوا انتم الطعام اليهم فأخبروهم بالواقعة قوله تعالى (٨١) ارجعوا إلى آبيكم فقولوا يا ابا نانا ان ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا

وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨٢) وَسئِلُ الْقَرْيَةِ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٣) قَالَ بَلْ سَوَّيْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٤) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَأَيُّضًا عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٥) قَالُوا تَأَلَّوْنَا لِلَّهِ تَفْتُوًا نَذْكَرُ يَوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٦) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٧) يَا بَنِي إِدْرِسَ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَبْتَئِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْتَئِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ

سبع آيات

✽ القراءة ✽

في الشواذ قراءة ابن عباس مرق بضم السين وتشديد الراء وكسرهما وقراءة الحسن وقتادة وعمر بن عبد العزيز من روح الله بضم الراء

= (الحجة) =

معنى مرق بضم السين نسب إلى السرقة فيكون من باب فسقه وفجره وشجعه إذا نسيه إلى هذه الخلال وأما روح الله فيمكن أن يكون من الروح الذي هو من عند الله وبلطفه وهدايته ونعمته

✽ اللغة ✽

القرية الأرض الجامعة لمساكن كثيرة وأصله من القرى وهو الجمع يقال قرية المساء في الحوض ونظيره البلدة والمدينة والعرير قد مضى ذكر معناه والكظم اجتراع الحزن وهو أن يمسه في قلبه ولا يبش به إلى غيره ويقال ما زلت أعمل كذا وما فتئت أفعله افتاء فتأ قال أوس بن حجر يصف حرباً

فما فتأت خيل تنوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع

والحرض المشرف على الهلاك يقال رجل حرض وحارص أي فاسد في جسمه وعقله ومنه حرضته على كذا أمرته به لأنه إذا خالف الأمر فكأنه هلك واحرضه أي أفسده قال العرجي

إني امرء لرج بي حب فأحرضني حتى بليت وحتى شفني السقم

والحرض لا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر والشكوى صفة ما عنده من البلوى يقال شكوته إلى فلان شكوى وشكابة وشكواء فأشكاني أي اعتبني من شكواي وأشكاني أيضاً أخرجني إلى الشكوى والبث الهم الذي لا يقدر صاحبه على كتمانها فيبشها أي يفرقه وكل شيء فرقه فقد بثته ومنه قوله وبث فيها من كل دابة والتجسس طلب الشيء بالحاسة والتجسس نظيره وفي الحديث لا تجسسوا ولا تجسسوا وقيل إن معنهما واحد ونسق أحدهما على الآخر لاختلاف اللفظين كقول الشاعر «متى أدن منه بنا عني ويبعد» وقيل التجسس بالجمع البحث عن عورات الناس وبالهاء الاستماع لحديث قوم وسئل ابن عباس عن الفرق بينها قال لا يبعد أحدهما عن الآخر التجسس في الخير والتجسس في الشر والروح الراحة والروح الرحمة وأصل الباب من الريح النقي تأتي بالرحمة

= الإعراب =

اسأل القرية أي أهل القرية وأهل العير فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه يا أسفى معناه يا حسرتي والأصل يا أسفى إلا أن باء الإضافة يجوز أن يبدل الفاء خلفه الألف والفتحة ويجوز أن يكون الف التندبة

ويكون معناه البيان ان الحال حال حزن فكأنه قال يا اسف هذا من اوانك وقوله على يوسف من صلة المصدر
تفتأ معناه لا تفتأ حذف حرف النفي لعلم السامع به كما في قول امرئ القيس

فقلت يمين الله ابرح قاعدا
ولو ضربوا رأسي لديك واوصالي

وإنما جاز ذلك لأنه لا يجوز في القسم تالله تفعل حتى تقول تالله لتفعلن او تقول لا تفعل

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه انه قال لهم كبيرهم في السن او في العلم (ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا اباانا ان ابنك سرق)
في الظاهر (وما شهدنا) عندك بهذا (إلا بما علمنا) أي بما شهدنا من ان الصاع استخرج من رحله في الظاهر
وبين بهذا انهم لم يكونوا قاطعين على انه سرق وقيل معناه ما شهدنا عند يوسف ان السارق يسترق إلا بما علمنا
ان الحكم ذلك ولم نعلم ان ابنك سرق أم لا إلا انه وجد الصاع عنده فحكم بأنه السارق في الظاهر وإنما
قالوا ذلك حين قال يعقوب «ع» لهم ما يدري الرجل ان السارق يؤخذ بسرقة ويسترق وإنما علم ذلك بقولكم
(وما كنا للغيب حافظين) أي انا لم نعلم الغيب حين سألتك ان تبعث ابن يامين معنا ولم ندر ان امره يؤول
إلى هذا وإنما قصدنا به الخير ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به عن مجاهد وقتادة والحسن وقال علي بن عيسى علم الغيب
هو علم من لو شاهد الشيء لشاهده بنفسه لا بأمر يستفيده والعالم بهذا المعنى هو الله وحده جل اسمه وقيل معناه
ما كنا لسر هذا الأمر حافظين وبه عالمين فلا ندري انه سرق أم كذبوا عليه وإنما اخبرناك بما شاهدنا عن
عكرمة وقيل معناه ما كنا لغيب ابنك حافظين أي انا كنا نحفظه في محضره وإذا غاب عنا ذهب عن حفظنا
يعنون انه سرق ليلا وهم نيام والغيب هو الليل بلغة حمير عن ابن عباس قال أي انا لم نعلم ما كان يصنع في
ليله ونهاره ومجيئه وذهابه (واسئل القرية) أي أهل القرية (التي كنا فيها) والقرية مصر عن ابن عباس والحسن
وقتادة ومعناه سل من شئت من أهل مصر عن هذا الأمر فإن هذا أمر شائع فيهم يخبرك به من سألته وإنما
قالوا ذلك لأن بعض أهلها كانوا قد صاروا إلى الناحية التي كان فيها أبوههم والعرب تسمى الامصار والمدائن قرى
(والعير التي اقبلنا فيها) أي وسل أهل القافلة التي قدمنا فيها وكانوا من ارض كنعان من جبران يعقوب وإنما
حذف المضاف للإيجاز ولأن المعنى مفهوم وقيل انه ليس في الكلام حذف لأن يعقوب «ع» نبي صاحب
معجز يجوز أن تكلمه القرية والعير على وجه خرق العادة وإنما قالوا ذلك لأنهم كانوا أهل تهمة عند يعقوب
(وإنما لصادقون) فيما اخبرناك به (قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً) ههنا حذف كثير بدل الحال عليه تقديره
فلما رجعوا إلى آيهم وقصوا عليه القصة بطولها قال لهم ما عندي ان الأمر على ما تقولونه بل سولت لكم أنفسكم
أمراً فيما أظن (فصبر جميل) أي فأمرني صبر جميل لا جزع معه (عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً) أي عسى الله
أن يأتيني يوسف وابن يامين وروويل او شمعون او لاوي او يهوذا (انه هو العليم) بعباده (الحكيم) في تدبير
الخلق (وتولى عنهم) أي انصرف واعرض عنهم بشدة الحزن لما بلغه خبر حبس ابن يامين وهاج ذلك وجدده
يوسف لأنه كان ينسلي به (وقال يا أسنى على يوسف) أي باطول حزني على يوسف عن ابن عباس وروي
عن سعيد بن جبير انه قال لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم يعط لا نبياء قبلهم إن الله وإنما اليه راجعون
ولو اعطيها الا نبياء لا اعطيها يعقوب إذ يقول يا أسنى على يوسف (وايضت عيناه من الحزن) والبكاء ولما كان
البكاء من أجل الحزن أضاف بياض البصر اليه وسئل الصادق «ع» ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف قال
حزن سبعين حري تكلي قيل كيف وقد اخبر انه يرد عليه فقال أنسي ذلك وقيل انه عمي ست سنين عن مقاتل
وقيل انه اشرف على العمى فكان لا يرى إلا شيئاً يسيراً (فهو كظيم) والكظيم ههنا بمعنى الكاظم وهو المملوء
من إلم والحزن الممسك للغيظ لا يشكوه لأهل زمانه ولا يظهره بلسانه ولذلك لقب موسى بن جعفر عليهما السلام

الكاذم لكثرة ما كان يتجرع من الغيظ والغم طول ايام خلافته لأبيه في ذات الله تعالى وقال ابن عباس هو المغموم المكروب (قالوا) اي قال ولد يعقوب لأبيهم (تالله تفتؤن ذكر يوسف) اي لا تزال تذكر يوسف (حتى تكون حرضا) اي دنفا فاسد العقل عن ابن عباس وابن اسحاق وقيل قريبا من الموت عن مجاهد وقيل هرما باليا عن قتادة والضحاك (او تكون من الهالكين) أي الميتين وإنما قالوا ذلك اشفاقا عليه وتعطفوا ورحمة له وقيل انهم قالوا ذلك تبرما بيكائه إذ تنغص عيشهم بذلك (قال) يعقوب في جوابهم (إنما اشكو بشي) أي همي عن ابن عباس وقيل حاجتي عن الحسن (وحزني إلى الله) المعنى إنما اشكو حزني وحاجتي واختلال حالي وانتشارها إلى الله في ظلم الليالي واوقات خلواتي لا اليكم وقيل البث ما أبداه والحزن ما أخفاه وروي عن النبي ^{صلى الله عليه وسلم} ان جبرائيل أتاه فقال يا يعقوب ان الله يقرأ عليك السلام ويقول اشرك قلبك فوعزتي لو كنا ميتين لنشرتها لك اصنع طعاما للمساكين فإن أحب عبادي إلى المساكين او تدري لم أذهب بصرك وقومت ظهرك لأنكم ذبحتم شاة وانا كم مسكين وهو صائم فلم تطعموه شيئا فكان يعقوب بعد ذلك إذا أراد الغذاء امر مناديا بنادي ألا من اراد الغذاء من المساكين فليثغد مع يعقوب وإذا كان صائما امر مناديا فنادي ألا من كان صائما فليفطر مع يعقوب رواه الحاكم ابو عبدالله الحافظ في صحيحه (واعلم من الله ما لا تعلمون) اي واعلم صدق رؤيا يوسف واعلم انه حي وانكم تسجدون له كما اقتضاه رؤياه عن ابن عباس وقيل واعلم من رحمة الله وقدرته (ما لا تعلمون) عن عطاء وفي كتاب النبوة بالاسناد عن سدير الصيرفي عن ابي جعفر الباقر «ع» قال ان يعقوب دعا الله سبحانه في ان يهبط عليه ملك الموت فأجابه فقال ما حاجتك قال اخبرني هل مر بك روح يوسف في الأرواح فقال لا فعلم انه حي فقال (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) ابن يامين وقيل انهم لما اخبروه بسيرة الملك قال لعله يوسف عن السدي فلذلك قال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ابن يامين اي استخبروا من شأنها واطلبوا خبرهما وانظروا ان ملك مصر ما اسمه وعلى أي دين هو فإنه القى في روعي ان الذي حبس ابن يامين هو يوسف وإنما طلبه منكم وجعل الصاع في رحله احتيالا في حبس اخيه عند نفسه (ولا تياسوا من روح الله) اي لا تقنطوا من رحمته عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل من الفرج من قبل الله عن ابن زيد والمعنى لا تياسوا من الروح الذي يأتي به الله (انه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون) قال ابن عباس يريد ان المؤمن من الله على خير يرجوه في الشدائد والبلاء ويشكره ويحمده في الرخاء والكافر ليس كذلك وفي هذا دلالة على ان الفاسق الملي لا يأس عليه من رحمة الله بخلاف ما يقوله اهل الوعيد

سؤال * كيف خفي اخبار يوسف على يعقوب في المدة الطويلة مع قرب المسافة وكيف لم يعلمه

يوسف بخبره لتسكن نفسه ويزول وجده

الجواب * قال الجبائي العلة في ذلك انه حمل إلى مصر فيبيع من عزيز فألزمه داره ثم لبث في السجن

بضع سنين فانقطعت اخبار الناس عنه فلما تمكن احتال في إيصال خبره بأبيه على الوجه الذي امكنه وكان لا يأمن لو بث رسولا اليه ان لا يمكنه اخوته من الوصول اليه وقال المرتضى قدس الله روحه يجوز ان يكون ذلك له ممكنا وكان عليه قادرا لكن الله سبحانه أوحى اليه بأن يعدل عن اطلاعه على خبره تشديدا للمحنة عليه والله سبحانه ان يصعب التكليف وان يسهله

قوله تعالى (٨٨) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْتَأْوَاهَلْنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٩) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٩٠) قَالُوا أَعْنُكَ لَأَنْتَ يُّوسُفُ قَالَ أَنَا يُّوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ

مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩١) قَالُوا نَدَّ اللَّهُ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩٢) قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٣) أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقَوْهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ

ست آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر وابن كثير أنك لأنت يوسف بكسر الهمزة وقرأ نافع ويعقوب غير زيد وسهل أنك بفتح الهمزة غير ممدود وقرأ أبو عمرو وقالون عن نافع وزيد عن يعقوب أنك بالمد وقرأ الباقون أنك بهمزتين وفي الشواذ قراءة أبي أنك أو أنت يوسف وقرأ ابن كثير وحده من يتقي ياء في الوصل والوقف والباقيون بغير ياء فيهما

-(الحجة)-

يدل على الاستفهام قوله أنا يوسف وإنما أجابهم عما استفهموا عنه قال أبو الحسن في قوله وتلك نعمة تمنها علي أنه على الاستفهام كأنه قال أو تلك نعمة فيجوز أن يكون من قرأ أنك على هذا فيكون القراءتان متفقتين وقيل يحذف حرف الاستفهام فأما في القراءات فإنه يجري على مذهبهم في اجتماع الهمزتين وقد تقدم القول في ذلك وأما قراءة أبي فيكون على حذف خبر أن كأنه قال أنك لغير يوسف أو أنت يوسف قال ابن جني فكأنه قال بل أنت يوسف فلما خرج مخرج التوقف قال أنا يوسف وقد جاء عنهم حذف خبر أن قال الاعشى

ان حلا وان مرتحلا وان في السفر إذ مضوا مهلا

أراد أن لنا محلا وان لنا مرتحلا قال أبو علي قوله من يتقي لا يحمل على نحو قول الشاعر « ألم بأتيك والأبناء تنمي » لأن هذا ونحوه إنما يجيء في الشعر ولكن تجعل من موصولة فيكون بمنزلة الذي يتقي ويحمل المعطوف على المعنى لأن من يتقي إذا كان من منزلة الذي بمنزلة الجزء الجازم بدلالة أن كل واحد منها يصلح دخول الفاء في جوابه فإذا اجتمعا في ذلك جاز أن يعطف عليه كما يعطف على الشرط المجزوم لكونه بمنزلة فيما ذكرناه ومثل ذلك قوله فأصدق واكن حملت واكن على موضع الفاء ومثله قول من قرأ ويذرهم في طغيانهم جزموا ويجوز أن تقدر الضمة في قوله ويصبر وتحذفها للاستخفاف كما يخفف نحو عضد وسبع وجاز هذا في حركة الاعراب كجوازه في حركة البناء وزعم أبو الحسن أنه سمع رسلنا لديهم يكتبون بأسكان اللام من رسلنا ويقوي ذلك قراءة من قرأ وبتقه ألا ترى أنه جعل تقه بمنزلة كثف وعلم فأسكن فكذلك بسكن على هذا ويصبر

﴿ اللغة ﴾

الاجزاء في اللغة السوق والدفع قليلا قليلا ومنه قوله يزجي سحابا قال النابغة

وهبت الريح من تلقاء ذي أرك تزجي مع الليل من صرادها صرما

وفلان يزجي العيش أي يدفع بالقليل ويكتفي به قال الاعشى

الواهب المائة الهجان وعبدها عودا يزجي خلفها اطفالها

أي يدفع وقال آخر « وحاجة غير مزجاة من الحاج » وإنما قيل بيضاعة مزجاة لأنها بسيرة ناقصة وإنما يجوز ذلك على دفع من أخذها والمن النعمة وأصله القطع لأنها تقطع المنعم عليه من حال بؤسه والإيثار تفضيل أحد الشئيين على الآخر ونظيره الاختيار والاجتهاد وتقيضه الإيثار عليه وأصله من الأثر فإنه يؤثر من له أثر جميل والأثر الإخبار يقال أثر يَأْتِرُ والمأثرة المكرومة لأنها تؤثر والخطأ ضد الثواب يقال خطأ الرجل يخطأ

خطأ وخطا فهو خاطئ واخطى بخطأ اخطاه فهو مخطئ قال امرؤ القيس

يا لهف هند إذ خطئين كاهلا القاتلين الملك الخلا حلا

التثريب التويخ يقال ثرب وأثرب وثرّب عن ابن الأعرابي وقيل التثريب اللوم والافساد والتقريب بالذنب قال ابو عبيدة وأصله الافساد وأشد

فعموت عنهم عفو غير مثرب وتركتهم لعقاب يوم سرمد

وقال ثعلب ثرب وأثرب فلان على فلان أي عدد عليه ذنوبه وقال ابو مسلم هو مأخوذ من الثرب وهو شحم الجوف فكأنه موضوع للمبالغة في اللوم والتعنيف والبلوغ بذلك إلى اقصى غايته

✽ الاعراب ✽

هل علمتم استقهام والمراد به التقرير ما فعلتم بيوسف تقديره أي شيء فعلتم بيوسف فكان ما في موضع نصب والجملة معلقة بعلمتم وقوله فإن الله لا يضيع أجر المحسنين في موضع الجزم بأنه جواب الشرط وذكر المحسنين ناب عن الضمير العائد إلى من لأن الاتقاء والصبر في معنى الإحسان فكأنه قال لا يضيع جزاءه لأن يوسف هذه لام الابتداء وأنت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبره ان ويجوز ان يكون انت فصلا كما علمت فيما تقدم وقوله لا تثريب عليكم نكرة مفردة مبنية مع لا على الفتح ولا يجوز أن يتعلق عليكم به إذ لو كان كذلك لكان مشتبهاً بالمضاف من حيث يكون عاملاً فيما بعده ويكون عليكم من تمامه وكان يجب أن يكون منصوباً بمنونا كما تقول لا مرورا يزيد عندك وإذا عرفت هذا فإن عليكم ههنا فيه وجهان أحدهما ان يكون في موضع الخبر على تقدير لا تثريب بثبت عليكم او ثابت عليكم ثم حذف ذلك وانتقل الضمير منه إلى عليكم حيث سد مسده والآخرة أن يتعلق بمضمر ذلك المضمر وصف لتثريب وعلى هذا فيجوز فيه وجهان أحدهما أن يكون في محل رفع تقديره لا تثريب ثابت عليكم كما تقول لا رجل ظريف والآخرة أن يكون في محل نصب تقديره لا تثريب ثابتاً عليكم كما تقول لا رجل ظريفاً ثم حذف الصفة وقام الظرف مقامه ويكون اليوم على هذا الوجه خبر لا وعلى الوجه الأول يجوز أن يكون خبراً بعد خبر ويجوز أن يكون متعلقاً بالضمير الذي في الخبر ويجوز ان يكون قد تم الكلام عند قوله عليكم وتعلق اليوم بما بعده فيكون تقديره اليوم يعقر الله لكم وهذا اختيار الأخفش وهكذا الكلام في قوله لا رب في

(المعنى) -

ولما قال يعقوب لبنيه اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه خرجوا إلى مصر (فلما دخلوا عليه) أي على يوسف (قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر) أي اصابنا ومن يختص بنا الجوع والحاجة والشدة من السنين الشداد القحاط وقيل انهم شكروا ما نالهم من هلاك مواشيهم والبلاء الذي اصابهم (وجئنا بيضاء مزجاة) أي ندافع بها الأيام ونتقوتها وليست ما يتسع به وقيل رديئة لا تؤخذ إلا بوكس عن ابن عباس والجبائي وقيل قليلة عن الحسن ومجاهد وقاتدة وابن زيد والبيهقي واختلف في تلك البضاعة فقيل كانت دراهم رديئة زيوفا لا تنفق في ثمن الطعام عن عكرمة عن ابن عباس وقيل كانت خلق الغرارة والجل ورت المتاع عين ابن ابي مليكة عنه وقيل كانت متاع الاعراب الصوف والسنن عن عبد الله بن الحرث وقيل الصنوبر والحبة الخضراء عن الكلبي ومقاتل وقيل دراهم فسول عن سعيد بن جبير وقيل كانت اقطا عن الحسن وقيل النعال والأدم عن الضحاك وعنه ايضاً انها سويق المقل (فأوف لنا الكيل) كما كنت توفي في السنين الماضية ولا تنظر إلى قلة بضاعتنا في هذه السنة (وتصدق علينا) أي ساحتنا بما بين النقيدين وسمر لنا باردي كما تسمر بالجد وقيل معناه تصدق علينا برد اخينا عن ابن جريج والضحاك (إن الله يجزي المتصدقين) أي يشبههم على صدقاتهم بأفضل منها وفي كتاب النبوة

عنكم ما تقدم من ذنبكم وقيل في ضيعه بي حتى جعلني ملكا وقيل اراد باليوم الزمان فتدخل فيه الاوقات كلها كما قال الشاعر

فاليوم يرحمنا من كان يغبطنا واليوم نتبع من كانوا لنا تبعنا

وقيل ان الكلام قد تم عند قوله لا تثريب عليكم ثم ابتداء بقوله اليوم يغفر الله لكم وهو دعاء لهم (اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه ابني بصرى) قيل انه «ع» لما عرفهم نفسه سألهم عن ابيه فقال ما فعل ابني بعدي قالوا ذهبت عيناه فقال اذهبوا بقميصي هذا واطرحوه على وجهه يمد مبصرا كما كان مسن قبل قال ابن عباس يأت بصيرا يرتد بصيرا ويذهب البياض الذي على عينيه (واتوني بأهلكم أجمعين) إذا عاد بصيرا وهذا كان معجزا منه إذ لا يعرف انه يعود بصيرا بل لقاء القميص على وجهه إلا بالرحي وقيل ان يوسف قال إنا يذهب بقميصي من ذهب به اولا فقال يهوذا انا ذهبت به وهو ملطخ بالدم فأخبرته انه أكله الذئب قال فاذهب بهذا ايضا واخبره انه حي وافرحه كما حزنه فحمل القميص وخرج حافيا حاسرا حتى اتاه وكان معه سبعة ارغفة وكانت مسافة بينهما ثمانين فرسخا فلم يستوف الأربعة في الطريق وقد ذكرنا شأن القميص من قبل وروى ايضا الواحدي باسناده يرفعه إلى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال ان نمرود الجبار لما التقى ابراهيم في النار تزل اليه جبرائيل بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فألبسه القميص واقعدته على الطنفسة وقعد معه يحذته فكسا ابراهيم ذلك القميص اسحاق وكساه اسحاق يعقوب وكساه يعقوب يوسف فجعله في قبة من فضة وعلقها في عنقه فألقي في الحب والقميص في عنقه فذلك قوله اذهبوا بقميصي هذا وقال ابن عباس اخرج لهم قبة من فضة كانت في عنقه لم يعلم بها اخوته فيها قميص وهو الذي تزل به جبرائيل على ابراهيم وذكر القصة وقال مجاهد امره جبرائيل ان ارسل اليه قميصك فلن فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا صح وعوفي

قوله تعالى (٩٤) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعَيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُنذِرُونَا (٩٥)
 قَالُوا نَأْتِيهِ اللَّهُ إِنْكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٦) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ الْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بِصِيرًا
 قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٧) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا
 خَاطِئِينَ (٩٨) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ خمس آيات

✽ اللغة ✽

الفصل أصله القطع ومنه قيل للحاكم فيصل لأنه يقطع الأمور والتفنيذ تضعيف الرأي قال
 يا صاحبي دعا لومي وتفنيدي فليس ما فات من أمر برودود
 والفند ضعف الرأي وقيل ان أصله الفساد قال النابغة
 إلا سليمان إذ قال المليك له قم في البرية فأحددها عن الفند
 أي امنعها عن الفساد

✽ المعنى ✽

(ولما فصلت العير) اي لما خرجت القافلة وانفصلت من مصر متوجهة نحو الشام (قال ابوهم) يعقوب لا وولاد اولاده الذين كانوا عنده (إني لأجد ريح يوسف) روي عن ابني عبد الله (ع) قال وجد يعقوب ريح قميص يوسف حين فصلت العير من مصر وهو بفسطين من مسيرة عشر ايام وقيل من مسيرة ثمانين ايام عن ابن عباس وقيل من ثمانين فرسخا عن الحسن وقيل مسيرة شهر عن الأصم قال ابن عباس هاجت ريح فحملت بريح قميص يوسف

بالاسناد عن الحسن بن محبوب عن ابي اساميل الفراء عن طربال عن ابي عبد الله (ع) في خبر طويل أن يعقوب كتب إلى يوسف بسم الله الرحمن الرحيم إلى عزيز مصر ومظهر العدل وموفي الكيل من يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن صاحب نمرود الذي جمع له النار ليحرقه بها فجعلها الله عليه برداً وسلاماً والنجاه منها اخبرك ايها العزيز انا اهل بيت لم يزل البلاء الينا سريعاً من الله ليلبونا عند السراء والضراء وأن المصائب تتابعت علي عشرون سنة اولها أنه كان لي ابن سميت به يوسف وكان سروري من بين ولدي وقرّة عيني وثمرة فؤادي وأن اخوته من غير امه سألوني أن ابعثه معهم يرتع ويلعب فبعثته معهم بكرة فجازني عشاءً يبكون وجاءوا على قميصه بدم كذب وزعموا أن الذئب اكله فاشتد افقده حزني وكثر عن فراقه بكائي حتى ابيضت عيني من الحزن وأنه كان له اخ وكنت به معجباً وكان لي انيسا وكنت إذا ذكرت يوسف ضمته إلى صدري فسكن بعض ما اجد في صدري وأن اخوته ذكروا لي انك سألتهم عنه وأمرتهم ان يأتوك به فإن لم يأتوك به منهتهم الميرة فبعثته معهم ليمتاروا لنا قمحاً فرجعوا الي و ليس هو معهم وذكروا انه سرق مكيبال الملك ونحن اهل بيت لا نسرق وقد حبسته عني وفجعني به وقد اشتد لفراقه حزني حتى تقوس لذلك ظهري وعظمت به مصيبي مع مصائب تتابعت علي فعن علي بتخليه سبيله واطلاقه من حبسك وطيب لنا القمح واسمح لنا في السعر وافر لنا الكيل وعجل سراح آل ابراهيم قال فمضوا بكتابه حتى دخلوا على يوسف في دار الملك وقالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر إلى آخر الآية وتصدق علينا بأخيها ابن يامين وهذا كتاب ابينا يعقوب اليك في امره يسألك تخليه سبيله فمن به علينا فأخذ يوسف كتاب يعقوب وقبله ووضع على عينيه وبكى وانتهج حتى بلت دموعه القميص الذي عليه ثم اقبل عليهم (وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه) ومعناه انه قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف من اذلاله وابعادته عن ابيه والقائه في البثر والاجتماع على قتله وبيعه بثمن وكس وما فعلتم بأخيه من افراذه عن يوسف والتفريق بينهما حتى صار ذليلاً فيما بينكم لا يكلمكمم إلا كما يكلم الذليل العزيز وإنما لم يذكر اياه يعقوب مع عظم ما دخل عليه من الغم لفراقه تعظيماً له ورفعاً من قدره وعلماً ان ذلك كان بلاه له ليزداد به علو الدرجة ورفعة المنزلة عند الله تعالى قال ابن الانباري هذا استفهام يعني به تعظيم القصة ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم وما اقبح ما اتيتم من قطيعة الرحم وتضييع حقه كما يقول الرجل هل تدري من عصيت وفي هذه الآية مصداق قوله لتنبئتهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وقوله (إذ انتم جاهلون) اي صبيان عن ابن عباس وقيل شبان عن الحسن ومعناه فعلتم ذلك حين كنتم جاهلين جاهلية الصبي في عفوان الشباب حين يغلب على الانسان الجهل ولم ينسبهم إلى الجهل في حال الخطاب لانهم كانوا تائبين ناديين في تلك الحال وكان هذا تلقيناً لهم لما يعتذرون به اليه وهذا هو الغاية في الكرم إذ صفح عنهم ولقنهم وجه العذر وقالوا أنك لأنت يوسف قيل ان يوسف لما قال لهم هل علمتم الآية تبسم فلما ابصروا ثنياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم شبعوه بيوسف (وقالوا) له (إنك لأنت يوسف) عن ابن عباس وقيل رفع التاج عن رأسه ففرّقه (قال أنا يوسف) اظهر الاسم ولم يقل انا هو تعظيماً لما وقع به من ظلم اخوته فكأنه قال انا المظلوم المستحل منه المحرم المراد قتله فكفى ظهور الاسم من هذه المعاني عن ابن الانباري قال واهذا قال (وهذا اخي) لأن قصده وهذا المظلوم كظلمي (قد من الله علينا) بالاجتماع بعد طول الفرقة وقيل من الله علينا بكل خير في الدنيا والاخرة (انه من يتق) اي يتق الله (ويصبر) على المصائب وعن المعاصي (فإن الله لا يضيع اجر المحسنين) اي اجر من كان هذا حاله والضياع ذهاب الشيء من غير عوض (قالوا تالله) اي اقسموا بالله سبحانه (لقد آتاك الله علينا) اي فضلك واختارك الله علينا بالحلم والعلم والعقل والحسن والملك (وإن كنا لحاطئين) اي ما كنا إلا مخطئين آتئين فيما فعلنا وهذا يدل على انهم ندموا على ما فعلوا ولم يصروا عليه (قال) يوسف (لا تثريب عليكم اليوم) اي لا تعبير ولا توبيخ ولا تفرغ عليكم الآن فيما فعلتم (يغفر الله لكم) ذنوبكم فإني استغفر الله لكم (وهو ارحم الراحمين) في غفوه

إلى يعقوب وذكر في القصة ان الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فأتته بها ولذلك يستروح كل محزون بريح الصبا وقد أكثر الشعراء من ذكرها فمن ذلك قولهم

فإن الصبا ريح إذا ما تنسجت
على نفس مهجوم تجلت هومها
وقول أبي الصخر الهذلي

إذا قلت هذا حين اسلو يهيجني
نسيم الصبا من حيث أن يطلع الفجر

وقوله (لولا أن تفندون) معناه لولا أن تفندوني عن ابن عباس ومجاهد وقيل لولا أن تضعفوني في الرأي عن ابن اسحاق وقيل لولا أن تكذبوني والفند الكذب عن سعيد بن جبير والسدي والضحاك وروي ذلك أيضا عن ابن عباس وقيل لولا ان تهرموني عن الحسن وقتادة أي تقوان انه شيخ قد هرم وخرف وذهب عقله وتقديره اني اقطع انها ريح يوسف لولا أن تفندون (قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم) أي قالوا له اشفاقا عليه وترحما انك لفي ذهابك القديم عن الصواب في حب يوسف (ع) وانه كان عندهم ان يوسف قد مات منذ سنين ولم يريدوا بذلك الضلال عن الدين وانما ارادوا به المباغة في حب يوسف والأمانى الفاسدة فيما كان يروج من عوده بعد موته عن قتادة والحسن وقيل معناه انك لفي شقائك القديم عن مقاتل وفي هذا دلالة على ان لفظ القديم قد يطلق في اللغة على المتقدم في الوجود (فلما ان جاء البشير) وهو يهوذا عن ابن عباس وفي رواية أخرى عنه انه مالك بن ذعر (القاء على وجهه فارتد بصيرا) أي القى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب فعاد بصيرا قال الضحاك عاد إليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن فقال للبشير ما أدري ما أتيتك به هون الله عليك سكرات الموت (قال) يعقوب لهم (ألم أقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون) أي اني كنت اعلم ان الله يصدق رؤيا يوسف ويكشف الشدائد عن أنبيائه بالصبر وكنتم لا تعلمون ذلك قال الحسن كان الله سبحانه أعلمه بحياته ولم يعلمه بمكانه (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين) فيما فعلنا (قال) يعقوب (سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم) إنما لم يستغفر لهم في الحال لأنه أخرهم إلى سحر ليلة الجمعة عن ابن عباس وطاوس وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) وقيل أخرهم إلى وقت السحر لأنه اقرب إلى إجابة الدعاء عن ابن مسعود وابراهيم التيمي وابن جريج وروي أيضا عن أبي عبد الله (ع) وقيل انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة عن وهب وقيل انه كان يقوم ويصلي اولاده خلفه عشرين سنة يدعو ويؤمنون على دعائه واستغفاره لهم حتى نزل قبول توبتهم وروي ان إبراهيم (ع) علم يعقوب هذا الدعاء يارجاه المؤمنون لا تخيب رجائي ويا غوث المؤمنين أغثني ويا عون المؤمنين اعني ويا حبيب التوابين تب علي واستجب لهم

قوله تعالى (٩٩) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ

آمِنِينَ (١٠٠) وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجْدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا لِرَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠١) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ (١٠٢) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ أربع آيات

* الأعراب *

دخول من في قوله من الملك ومن تأويل الأحاديث جائز أن يكون للتبويض فيكون المراد آتيتني بعض الملك وعلمتني بعض تأويل الأحاديث وجائز أن يكون للتيين هذا الجنس من سائر الاجناس فيكون المعنى آتيتني الملك وعلمتني التأويل عن الزجاج قال وقوله توّتي الملك من تشاء وتزع الملك ممن تشاء ويدل على ان من هاهنا لتبيين الجنس ومثله قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان اي الرجس الذي هو وثن فاطر السماوات والأرض منصوب على وجهين * أحدهما * ان يكون على الصفة لقوله رب لأن المعنى ياربي فهو ندا. مضاف في موضع نصب فيكون فاطر السماوات صفة له وجائز أن ينتصب على انه ندا ثان على تقدير يافطر السماوات وذلك في موضع رفع بالابتداء. ويكون خبره من انباء الغيب ويكون نوحيه اليك خبرا ثانيا وإن شئت جعلت نوحيه هو الخبر وجعلت ذلك في معنى الذي وقوله من انباء الغيب صلته

— المعنى —

(فلما دخلوا على يوسف) هاهنا حذف تقديره فلما خرج يعقوب وأهله من ارضهم واتوا مصر دخلوا على يوسف وفي حديث ابن محبوب باسناده عن ابي جعفر (ع) أن يعقوب قال لولده تحملوا إلى يوسف من يومكم هذا بأهلكم اجمعين فساروا اليه ويعقوب معهم وخالة يوسف ام يامين فحشوا السير فرحا وسرورا تسعة أيام إلى مصر فلما دخلوا على يوسف في دار الملك اعتنق اباه وقبله وبكى ورفع خالته على سرير الملك ثم دخل منزله واكتحل وادهن ولبس ثياب العز والملك فلما رآه سجدوا جميعا اعظاما له وشكراً لله عند ذلك ولم يكن يوسف في تلك العشرين سنة يدهن ولا يكتحل ولا يتطيب حتى جمع الله بينه وبين ابيه واخوته وقيل ان يوسف بهت مع البشير مائتي راحلة مع ما يحتاج اليه في السفر وسألهم أن يأتوه بأهلهم اجمعين فلما دنا يعقوب من مصر تلقاه يوسف في الجند وأهل مصر فقال يعقوب يا بهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك ثم تلاقيا قال الكلبى على يوم من مصر فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه بدأ يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الأحران وفي كتاب النبوة بالاسناد عن محمد بن ابي عمير عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال لما أقبل يعقوب إلى مصر خرج يوسف ليستقبله فلما رآه يوسف همّ بأن يترجل له ثم نظر إلى ما هو فيه من الملك فلم يفعل فلما سلم على يعقوب نزل عليه جبرائيل فقال له يا يوسف إن الله جل جلاله يقول منعك ان تنزل إلى عبدى الصالح ما انت فيه ابسط يدك فبسطها فخرج من بين اصابه نور فقال ما هذا يا جبرائيل قال هذا انه لا يخرج من صلبك نبي ابداً عقوبة بما صنعت ببعقوب إذ لم تنزل اليه وقوله (آوى اليه ابويه) اي ضمها اليه وأنزلها عنده وقال اكثر المفسرين انه يعني بأبويه اباه وخالته فسمى الخالة أما كما سمي العم ابا في قوله وإله آبائك ابراهيم واسماعيل وذلك ان أمه كانت قد ماتت في نفاسها بابن يامين فتزوجها ابوه وقيل يريد اباه وأمه وكنا حين عن ابن اسحاق والجبائي وقيل ان راحيل أمه نشرت من قبرها حتى سجدت له تحقيقاً للرواية عن الحسن (وقال) لهم قبل دخولهم مصر (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) والاستثناء يعود الى الأمن وإنما قال آمنين لأنهم كانوا فيما خلا يخافون ملوك مصر ولا يدخلونها إلا ببجوازم قال وهب انهم دخلوا مصر وهم ثلاثة وسبعون إنساناً وخرجوا مع موسى وهم ستائة الف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلاً (ورفع ابويه على العرش) أي رفعهما على سرير ملكه اعظاماً لها والعرش السرير الرفيع عن ابن عباس والحسن وقنادة (وخروا له سجداً)

اي انحطوا على وجوههم وكان تحية الناس بعضهم لبعض يومئذ السجود والانحناء والتكفير عن قتادة ولم يكونوا نهوا عن السجود لغير الله في شريعتهم فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام وهي تحية أهل الجنة عجلها لهم قال اعشى بن ثعلبة

فلما أتانا بعيد الكرى سجدنا له ورفعنا العمارا

وكان من سنة التعميم يومئذ ان يسجد للمعظم من الزجاج وقيل كان سجدتهم كهيئة الركوع كما يفعل الأعاجم عن الكلبى وقيل ان السجود كان لله تعالى شكرانه كما يفعله الصالحون عند تجدد النعم والهبة في قوله له عائدة الى الله تعالى اي سجدوا لله تعالى على هذه النعمة وتوجهوا في السجود اليه كما يقال صلى للقبلة ويراد به استقبالها عن ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) قال علي بن ابراهيم وحدثني محمد بن عيسى بن عبيد ابن يقطين ان يحيى بن اكرم سأل موسى بن محمد بن علي بن موسى مسائل فعرضها على ابي الحسن علي بن محمد (ع) فكان احداها ان قال اخبرني اسجد يعقوب وولده يوسف وهم انبياء فأجاب ابو الحسن عليه السلام اما سجد يعقوب وولده فإنه لم يكن ليوسف وانما كان ذلك منهم طاعة لله وتحية يوسف كما ان السجود من الملائكة لآدم كان منهم طاعة لله وتحية لآدم فسجد يعقوب وولده ويوسف معهم شكرا لله تعالى لاجتماع شملهم لم تر انه يقول في شكره في ذلك الوقت رب قد آتيتني من الملك الآية الخبر بتمامه (وقال) يوسف (يا أبت هذا تأويل رؤياي) اي هذا تفسير رؤياي وتصديق رؤياي التي رأيتها (من قبل قد جعلها ربي حقا) اي صدقا في اليقظة وقيل كان بين الرؤيا وتأويلها ثمانون سنة عن الحسن وقيل سبعون سنة عن عبد الله بن شاذب وقيل اربعون سنة عن سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد وقيل اثنتان وعشرون سنة عن الكلبي وقيل ثمانى عشرة سنة عن ابن اسحق قال ابن اسحق وولد ليوسف من امرأة العزيز افرام وميشا ورحمة امرأة ايوب وكان بين يوسف وبين موسى اربعمائة سنة (وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن) اي وقد احسن ربي الي حيث اخرجني من السجن وانعم علي به (وجاء بكم من البدو) اي من البادية فإنهم كانوا يسكنون البادية ويرعون اغنامهم فيها فكانت مواشيهم قد هلكت في تلك السنين بالقطيع فأغنام الله تعالى بصيرهم الي يوسف وانا بدأ (ع) بالسجن في تعداد نعم الله دون اخراجهم من الحب كرمنا لئلا يبدأ بصنيع اخوته به وقيل لأن نعم الله تعالى في اخراجهم من السجن كانت اكثر ولأن السجن طالت مدته وكثرت محنته (من بعد ان نزع الشيطان بيني وبين اخوتي) اي من بعد ان افسد الشيطان بيني وبين اخوتي وحرش بيني وبينهم وقال ابن عباس معناه دخل بيننا بالحسد (ان ربي لطيف لما يشاء) اي لطيف في تدبير عبادته يدبر امرهم على ما يشاء ويسهل لهم العسير وبلطفه حصت هذه النعم علينا من الاجتماع وغيره قال الازهري اللطيف من اسماؤه سبحانه معناه الرفيق بعباده يقال لطف فلان بفلان لطفًا اذا رفق وقال غيره اللطيف الذي يوصل اليك اربك في رفق وقيل اللطيف العالم بدقائق الأمور انه هو العليم (بجميع الاشياء) الحكيم (في كل التدابير وفي كتاب النبوة بالاسناد عن ابي عبد الله (ع) قال قال يعقوب ليوسف يا بني حدثني كيف صنع بك اخوتك قال يا أبة دعني فقال اقسمت عليك الا اخبرتني فقال له اخذوني واقعدوني على رأس الجب ثم قالوا لي اتزع قميصك فقلت لهم إني اسألكم بوجه ابي يعقوب ان لا تنزعوا قميصي ولا تبدوا عورتني فرفع فلان السكين علي وقال انزع فصاح يعقوب فسقط مغشيا عليه ثم افاق فقال له يا بني كيف صنعوا بك فقال يوسف إني اسألك باله ابراهيم واسماعيل واسحق الا اعفيتني قال فتركه وروي ايضا ان يوسف قال ليعقوب (ع) يا أبة لا تسأني عن صنيع اخوتي بي وسل عن صنع الله بي قال ابو حمزة بلغنا ان يعقوب عاش مائة وسبعا واربعين سنة ودخل مصر على يوسف وهو ابن مائة وثلاثين سنة وكان عند يوسف

بمصر سبع عشرة سنة وقال ابن اسحق أقام يعقوب بمصر اربعا وعشرين سنة ثم توفي ودفن بالشام وقال سعيد بن جبير نقل يعقوب الى بيت المقدس في تابوت من ساج ووافق ذلك يوم مات عيصو فدفنا في قبر واحد فمن ثم ينقل اليهود موتاهم الى بيت المقدس وولد يعقوب وعيصو في بطن واحد ودفنا في قبر واحد وكان عمرهما جميعا مائة وسبعا واربعين سنة ثم رجع يوسف الى مصر بعد ان دفن اباه في بيت المقدس عن وصية منه اليه وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة وكان اول رسول في بني اسرائيل ثم مات واوصى ان يدفن عند قبور آباءه وقيل دفن بمصر ثم اخرج موسى عظامه فعمله حتى دفنه عند أبيه وقيل افضت النبوة بعده الى روبيل ثم الى يهوذا وفي كتاب النبوة بالاسناد عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) قال قلت له كم عاش يعقوب مع يوسف بمصر قال عاش حواليين قلت فمن كان الحجة لله في الأرض يعقوب أم يوسف قال كان يعقوب الحجة وكان الملك ليوسف فلما مات يعقوب حمله يوسف في تابوت الى ارض الشام فدفنه في بيت المقدس فكان يوسف بعد يعقوب الحجة قلت وكان يوسف رسولا نبيا قال نعم اما تسمع قوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وبالاسناد عن ابي خالد عن ابي عبد الله (ع) قال دخل يوسف السجن وهو ابن اثني عشرة سنة ومكث فيها ثلثي عشرة سنة وبقي بعد خروجه ثمانين سنة فذلك مائة سنة وعشر سنين قالوا ولما جمع الله سبحانه ليوسف شمله وأقر له عينه وأتم له روثاه ووسع عليه في ملك الدنيا ونعيمها علم ان ذلك لا يبقى له ولا يدوم فطلب من الله سبحانه نعيما لا يفنى وتاقت نفسه الى الجنة فتحنى الموت ودعا به ولم يتمن ذلك نبي قبله ولا بعده حتى أحد فقال (رب قد آتيتني من الملك) اي اعطيتني ملك النبوة وملك مصر (وعلمتني من تأويل الأحاديث) اي تأويل الرويا (فاطر السماوات والارض) اي خالق السماوات والارض ومنشئها لا على مثال سبق (انت وليي) اي ناصرني ومدبري وحافظي (في الدنيا والآخرة) تتولى فيها اصلاح معاشي ومعادي (توفني مسلما) قال ابن عباس ما تمنى نبي تعجيل المات الا يوسف لما انتظمت اسباب مملكته اشتاق الى ربه وقيل معناه ثبتني على الايمان الى وقت المات وأمتني مسلما (والحقني بالصالحين) اي بأهل الجنة من الانبياء والاولياء والصديقين وقيل لما جمع الله سبحانه بينه وبين ابيه واخوته احب ان يجتمع مع آباءه في الجنة فدعا بهذا الدعاء والمعنى الحقني بهم في ثوابهم ودرجاتهم قيل فتوفاه الله تعالى بمصر وهو نبي فدفن في النيل في صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب ان يدفن في محله لما كانوا يرجون من بر كته فرأوا ان يدفنه في النيل فيمير الماء عليه ثم يصل الى جميع مصر فيكون كلهم فيه شركاء وفي بر كته شرعا سواء فكان قبره في النيل الى ان حمله موسى (ع) حين خرج من مصر ثم عاد سبحانه بعد تمام القصة الى خطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (ذلك) اي الذي قصصت عليك من قصة يوسف يا محمد (من انباء الغيب) اي من جملة اخبار الغيب (نوحيه اليك) على السنة الملائكة لتخبر به قومك ويكون دلالة على اثبات نبوتك ومعجزة دالة على صدقك (وما كنت لديهم) اي وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب (اذ اجمعوا امرهم) اذ عزموا على القائه في البئر واجتمعت آراؤهم عليه (وهم يكفرون) اي يمتسلون في أمر يوسف حتى القوه في البئر عن الجبائي وقيل يكفرون بيوسف عن ابن عباس والحسن وقتادة

قوله تعالى (١٠٣) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (١٠٥) وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٦) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٧) أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ خمس آيات

* القراءة *

في الشواذ قراءة عكرمة وعمرو بن فائد والارض يرون عليها بالرفع وقراءة السدي والارض نصبا والقراءة المشهورة بالجر

(= الحجة =)

من رفع او نصب وقف على السهوات ثم ابتدأ والارض فالرفع على الابتداء والجملة بعدها خبره والعائد الى المبتدأ الهاء من عليها والضمير في عنها عائد الى الآية وأما النصب فبفعل مضمر تقديره ويطأون الأرض ويؤيد ذلك قراءة ابن مسعود يشون عليها فلما اضمر الفعل الناصب فصره بقوله يرون عليها ومن جر الأرض على قراءة القراء فإن شاء وقف على الأرض وإن شاء وقف آخر الآية

* اللغة *

الحرص طلب الشيء باجتهاد في إصابته والعالم الجماعة من الحيوان التي من شأنها ان تعلم ماخوذ من العلم وقيل لما حواه الفلك عالم على سبيل التبع للحيوان الذي ينتفع به وهو مخلوق لأجله والفاشية المجلبة للشيء بانبساطها عليه وغشيه يغشاه إذا غطاه والغشاء الغطاء والبغته الفجأة وهو مجيئ الشيء من غير توقع

* الاعراب *

وكان في معنى كم واصلها اي دخلت عليها الكاف وبغته مصدر وضع موضع الحال تقول لقيته بغته وفجأة

* المعنى *

لما تقدم ذكر الآيات والمعجزات التي لو تفكروا فيها عرفوا الحق من جهتها فلم يتفكروا بين عقبيها ان التقصير من جهتهم حيث رضوا بالجهل وليس من جهته سبحانه لأنه نصب الأدلة والبيئات ولا من جهتك لأنك دعوتهم فقال (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) اي وليس أكثر الناس بمصدقين ولو حرصت على ايمانهم وتصديقهم واجتهدت في دعائهم اليه وارشادهم اليه لأن حرص الدلي لا يغني شيئا اذا كان المدعو لا يجيب (وما تسألهم عليه من أجر) اي ولا تسألهم على تبليغ الرسالة وبيان الشريعة اجر افيصد هم ذلك عن القبول ويمنعهم من الايمان ويشغل عليهم ما يلزمهم من الغرامة فأعذارهم منقطعة (ان هو الا ذكر للعالمين) اي ما القران الا موعظة وعبرة وتذكير للخلق لجمعين فلست بنذير لهؤلاء خاصة (وكان من آية) اي كم من حجة ودلالة (في السهوات والأرض) تدل على وحدانية الله تعالى من الشمس والقمر والنجوم في السماء ومن الجبال والشجر والوان النبات واحوال المتقدمين واثار الأمم السالفة في الأرض (يرون عليها) ويبصرونها ويشاهدونها (وهم عنها معرضون) اي هم عن التفكير فيها والاعتبار بها معرضون لا يتفكرون فيها يعني الكفار (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) اختلف في معناه على أقوال * احدها * انهم مشركو قريش كانوا يقرون بالله خالقا ومحييا ومميتا ويعبدون الاصنام ويدعونها آلهة مع انهم كانوا يقولون الله ربنا ولو لهنا يرزقنا فكانوا مشركين بذلك عن ابن عباس والجبائي * وثانيها * انها نزلت في مشركي العرب اذ سألوا من خلق السماوات والأرض وينزل المطر قالوا الله ثم هم يشركون وكانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك عن الضحاك * وثالثها * انهم اهل الكتاب آمنوا بالله واليوم الآخر والتوراة والإنجيل ثم اشركوا بانكار القران وانكار نبوة نبينا محمد ^{صلى الله عليه وسلم} عن الحسن وهذا القول مع ما تقدمه رواه دارم بن قبيصة عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جده عن ابي عبد الله (ع) ورابعها * انهم المنافقون يظهرون الايمان ويشركون في السر عن البلخي * وخامسها * انهم المشبهة آمنوا في الجملة واشركوا في التفصيل وروي ذلك عن ابن عباس * وسادسها *

ان المراد بالاشراك شرك الطاعة لا شرك العبادة أطاعوا الشيطان في المعاصي التي يرتكبونها مما اوجب الله عليها النار فأشركوا بالله في طاعته ولم يشركوا بالله شرك عبادة فيعبدون معه غيره عن ابي جعفر (ع) وروي عن ابي عبد الله انه قول الرجل اولاً فلان اهلكت واولاً فلان اضاع عيالي جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه فقيل له او قال اولاً أن من الله علي بفلان اهلكت فقال لا بأس بهذا وفي رواية زرارة ومحمد بن مسلم وحران عنهما (ع) انه شرك النعم وروي محمد بن الفضيل عن ابي الحسن الرضا (ع) قال انه شرك لا يبلغ به الكفر (أفلمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله) اي أفامن هؤلاء الكفار ان يأتيهم عذاب من الله سبحانه معهم ويمحيط بهم وهي من غاشية السرج لأنها تغممه بالسر وانما تأتي بلفظة التأنيث على تقدير العقوبة اي عقوبة مجللة لجميهم عن ابن عباس وقيل هو عذاب الاستئصال عن مجاهد وابي مسلم وقيل هي الصواعق والقوارع عن الضحاك (او تأتيهم الساعة) يعني القيامة (بنمة) اي فجأة على غفلة منهم (وهم لا يشعرون) بقيامها قال ابن عباس تهجم الصيحة بالناس وهم في اسواقهم

قوله تعالى (١٠٨) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٩) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ آيات

✽ القراءة ✽

قرأ حفص عن عاصم إلا رجلاً نوحى اليهم بالنون حيث كان قرأ الباقر بن يحيى بالياء وفتح الحاء أفلا تعقلون ذكرنا الخلاف فيه في سورة الأنعام

✽ الحجة ✽

قال ابو علي الوجه في النون قوله إنا اوحينا اليك كما اوحينا إلى نوح والوجه في الياء قوله وأوحى إلى نوح وقل اوحى إلى

— (اللغة) —

السبيل الطريق وهو المكان المهيأ للسلوك ودين الإسلام طريق يؤدي إلى الجنة والسبيل يذكر وبوئذ قال فلا تبعد فكل بني اناس سيصبح سالكا تلك السبيل والبصرة ما يبصر به الشيء أي يعرف والسير المرور الممتد في جهة ومنه السير واحد السور لامتداده في جهة

✽ المعنى ✽

ثم امر سبحانه نبيه ﷺ ان يبين للمشركين ما يدعو اليه فقال (قل) يا محمد لم (هذه سبيلي) اي طريقى وسنتي ومنهاجى عن ابن زيد وقيل معناه هذه الدعوة التي ادعو اليها ديني وطريقتي عن مقاتل والجبائي ثم فسر ذلك بقوله (ادعو إلى الله على بصيرة) أي ادعو إلى توحيد الله وعدله ودينه على يقين ومعرفة وحجة فاطعة لاعلى وجه التقليد (انا ومن اتبعني) اي ادعوكم انا وبدعوكم ايضا اليه من آمن بي ويذكر بالقرآن والمعظة وينهى عن معاصي الله قال ابن الانباري ويجوز أن يشتم الكلام عند قوله ادعو إلى الله ثم ابتداء وقال على بصيرة انا ومن اتبعني وهذا معنى قول ابن عباس انه يعني اصحاب محمد كانوا على احسن طريقة (وسبحان الله) معناه تنزيها

لله عما اشر كوا وتقديره قل هذه سبيلي وقل سبحان الله وقيل انه اعتراض بين الكلامين والواو فيه مثل قولك قال الله وهو منزه عن الشركاء سبحان الله (وما انا من المشركين) الذين اتخذوا مع الله ندا وكفوا وولدا وفي هذه الآية دلالة على فضل الدعاء إلى الله سبحانه وإلى توحيدِه وعدله وبعض ذلك الحديث عنه رواه الشيخان انه قال العلماء انما الرسل على عباده وفيها دلالة ايضا على انه (ع) كان يدعو إلى الله في كل اوقاته وإن كان بين الشرائع في اوقات ما وفيها دلالة ايضا على أن الواجب في الداعي أن يكون على ثقة وبصيرة ودلالة قاطعة وذلك يوجب فساد التقليد (وما ارسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى اليهم من اهل القرى) بين سبحانه انه إنما ارسل الرسل من أهل الأمصار لأنهم ارجح عقلا وعلمًا من أهل البوادي لبعدها عن العلم وأهلها عن فتادة وقال الحسن لم يبعث الله نبيًا قط من أهل البادية ولا من الجن ولا من النساء وذلك أن أهل البادية يغلب عليهم القسوة والجفاء وأهل الأمصار أحد فطنًا (افل يسبوا في الأرض) اي افلم يسر هؤلاء المشركون المنكرون لنبوتك يا محمد في الأرض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم المكذبين لرسولهم وكيف اهلكهم الله بعد ان الاستئصال فيعتبروا بهم ويحذروا مثل ما اصابهم (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) يقول هذا صنيعنا بأهل الايمان والطاعة في دار الدنيا اذ اهلكنا عدوم ونجيتناهم من شرهم ودار الآخرة خير لهم من دار الدنيا ونعيمها وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لشبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها قال الزجاج قال الله سبحانه في غير هذا الموضع والدار الآخرة. فالآخرة نعت للدار لأن لجميع الخلق دارين الدار التي خلقوا فيها وهي الدنيا والدار الآخرة هي التي يعادون فيها خلقا جسدًا فاذا قال دار الآخرة فكأنه قال دار الحال الآخرة لأن للناس حالين حال الدنيا وحال الآخرة ومثل هذا في الكلام الصلاة الاولى وصلاة الاولى فمن قال الصلاة الاولى جعل الاولى نعتا للصلاة ومن قال صلاة الاولى أراد صلاة الفريضة الاولى والساعة الاولى (أفلا تعقلون) اي أفلا يفهمون ما قبل لهم فيعلمون

قوله تعالى (١١٠) حتى إذا استنيس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نساء ولا يرؤا بأسنا عن القوم المجرمين (١١١) لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون آيات

(=) (القراءة) (=)

قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر كذبوا بالتخفيف وهي قراءة علي وزين العابدين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وزيد بن علي وابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك والأعمش وغيرهم وقرأ الباقر كذبوا بالشدة وهي قراءة عائشة والحسن وعطا والزهري وفتادة وروي عن ابن عباس بخلاف ومجاهد بخلاف كذبوا بالتخفيف وفتح الذال والكاف وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب وسهل فنجي من نساء بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء وقرأ الباقر فنجي من نساء بنونين وتخفيف الجيم وسكون الياء وفي الشواذ عن ابن محيصن فنجي بفتح النون والجيم والتخفيف وعن عيسى الثقفي ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة برفع الاحرف الثلاثة والقراءة بنصبها

(=) (الحجة) (=)

قال أبو علي الضمير في ظنوا في قول من شدد كذبوا للرسل تقديره ظن الرسل اي تيقنوا او ظنوا الظن

الذي هو حسان ومعنى كذبوا تلقوا بالكذب كقولهم جبنته خطاته وتكذبيهم اياهم بان يلقوا بذلك كقولهم له وان نظنك لمن الكاذبين او بما يدل عليه وان خالفه في اللفظ ومن حجة التثقيل قوله فقد كذبت رسل من قبلك وقوله كذبوا رسلي وقوله الا كذب الرسل واما من خفف فقال كذبوا فهو من قولهم كذبتك الحديث اي لم اصدقك وفي التنزيل وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وقياسه إذا اعتبر بالخلاف ان يتعدى إلى مفعولين كما تعدى صدق في قوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الأعشى (فصدته وكذبه* والمرء ينفعه كذابه) قال سيبويه كذب يكذب كذبا وقالوا كذبا فجاءوا به على فعال وقد خففه الأعشى وقال ذو الرمة

وقد حلفت بالله مية ما الذي
اقول لها إلا الذي انا كاذبه

والضمير الذي في قوله وظنوا انهم كذبوا للمرسل اليهم وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من انهم ان لم يؤمنوا انزل بهم العذاب وإنما ظنوا ذلك لما شاهدوه من امهال الله اياهم وامالته لهم فإن قلت كيف يجوز أن يحمل الضمير في ظنوا على انه للمرسل اليهم الرسل والذين قد تقدم ذكرهم الرسل دون المرسل اليهم قيل إن ذلك لا يمتنع لأن ذكر الرسل يدل على المرسل اليهم لمقاربة احدى الاسمين الآخر ولما في لفظ الرسل من الدلالة على المرسل اليهم وقد قال الشاعر

امنك البرق ارقبه فهاجا
فبت اخاله دهما خلاجا

اي بت اخال الرعد صوت دم فاضر الرعد ولم يجر له ذكر لدلالة البرق عليه لمقاربة لفظ كل واحد منها للآخر وفي التنزيل سراويل تقيكم الحر واستغنى عن ذكر البرد لدلالة الحر عليه وان شئت قلت أن ذكرهم قد جرى في قوله فلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم فيكون الضمير للذين من قبلهم من مكذبي رسل الله فإن ذهب ذهب إلى ان المعنى ظن الرسل أن الذي وعد الله سبحانه امهم على لسانهم قد كذبوا به فقد اتى عظيما لا يجوز أن ينسب مثله إلى الانبياء ولا إلى صالحى عباد الله تعالى وكذلك من زعم ان ابن عباس ذهب إلى أن الرسل قد ضعفوا فظنوا انهم قد اخفقوا لأن الله تعالى لا يخلف الميعاد حدثنا احمد بن محمد قال حدثنا المومل قال حدثنا اسماعيل بن علية عن ابي المعلى عن سعيد بن جبير في قوله حتى إذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا قال ان الرسل يشوا من قومهم ان يؤمنوا وأن قومهم ظنوا أن الرسل قد كذبوا فيما قالوا لم اتاهم نصر الله عند ذلك وأما قوله فنجي من نشاء فإن نجي حكاية للحال لأن القصة مما قد مضى وإنما حكى فعل الحال كما كانت عليه كما ان قوله وان ربك ليحكم بينهم حكاية للحال الكائنة وكما أن قوله ربما يؤد الذين كفروا لو كانوا مسلمين جاء على الحكاية للحال الكائنة ومن ذلك قوله وكبهم باسط ذراعيه بالصيد فلولا حكاية الحال لم يعمل اسم الفاعل لانه إذا مضى اختص وصار معهودا فخرج بذلك من شبه الفعل الأترى أن الفعل لا يكون معهودا فكما أن اسم الفاعل إذا وصف أو حقر لم يعمل عمل الفعل لزوال شبه الفعل عنه بالاختصاص الذي يحدثه فيه التحقير والوصف كذلك إذا كان ماضيا واما النون الثانية من نجي فهي مخفاة مع الجيم وكذلك النون مع سائر حروف الفم لا تكون إلا مخفاة قال ابو عثمان تبينها معها لحن وللنون مع الحروف ثلاث احوال الادغام والاختفاء والبيان وإنما تدغم إذا كانت مع مقاربا كما يدغم سائر المقاربة فيما يقاربه والاختفاء فيها مع حروف الفم التي لا تقاربا والبيان فيها مع حروف الخلق فأما حذف النون الثانية من الخط فيشبه أن يكون لكرامة اجتماع المثليين فيه ألا ترى انهم كتبوا مثل العليا والسديا ويحيا ونحو ذلك بالألف فلولا اجتماعها مع الياء لكتبت بالياء كما كتبت حبلى ويخشى وما لم يكن فيه ياء من هذا النحو بالياء فكأنهم لما كرهوا اجتماع المثليين في الخط حذفوا النون وقوى ذلك انه لا يجوز فيها إلا الاختفاء ولا يجوز فيها البيان

فأشبه بذلك الإدغام لأن الاخفاء لا يبين فيه الحرف المخفي كما أن الادغام لا يبين فيه الحرف المدغم بيانه في غير الادغام فلما وافق النون المدغم في هذا الوجه استجيز حذفه من الخط ومن ذهب إلى أن النون الثانية مدغمة في الجيم فقد غلط لأنها ليست مثل الجيم ولا مقاربة لها وإذا خلا الحرف من هذين الوجهين لم يدغم فيما اجتمع معه ومن قرأ فنجي فإنه أتى على لفظ الماضي لأن القصة ماضية ويقوي ذلك أنه عطف عليه فعل مسند إلى المفعول به وهو قوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ولو كان تنجي مسندا إلى الفاعل كقول من خالفه لكان لا يرد بأسنا أشبه ليكون مثل المعطوف عليه ومن قرأ تصديق الذي بين يديه وما بعده بالرفع فيكون التقدير لكن هو تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء فحذف المبتدأ وبقي الخبر

= (اللغة) =

استيأس بمعنى يئس كأنه طلب اليأس لعلمه بامتناع الأمر والبأس الشدة وهو شدة الأمر على النفس ومنه البؤس الفقر ومنه لا بأس عليك والقصص الخبر يتلو بعضه بعضاً من اخبار من تقدم والعبارة الدلالة التي تعبر إلى البغية والالباب العقول واحداً لب وإنما سمي بذلك لأنه أقس شيء في الإنسان ولب كل شيء خياره

✽ المعنى ✽

ثم أخبر سبحانه وتعالى عن حال الرسل مع أممهم تسلياً للنبي ﷺ فقال (حتى إذا استيأس الرسل) وهاهنا حذف بدل الكلام عليه وتقديره إنا أخرنا العقاب عن الأمم السالفة المكذبة لرسنا كما أخرناه عن امتك يا محمد حتى إذا بلغوا إلى حالة يأس الرسل عن إيمانهم وتحقق بأسهم بأخبار الله تعالى إياهم (وظنوا أنهم قد كذبوا) أي تيقن الرسل أن قومهم كذبوهم تكذيباً عاماً حتى أنه لا يصلح واحد منهم عن عائشة والحسن وقائدة وأبي علي الجبائي ومن خفف فعناه ظن الأمم أن الرسل كذبوهم فيما أخبروهم من نصر الله إياهم واهلاك أعدائهم عن ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد والضحاك وأبي مسلم وقيل يجوز أن يكون الضمير في ظنوا راجعاً إلى الرسل أيضاً ويكون معناه وعلم الرسل أن الذين وعدوهم الإيمان من قومهم اخلفوهم أو كذبوا فيما اظهروه من الإيمان وروي أن سعيد بن جبير والضحاك اجتمعا في دعوة فئس سعيد بن جبير في هذه الآية كيف يقرأها فقال وظنوا أنهم قد كذبوا بالتخفيف بمعنى وظن المرسل اليهم أن الرسل كذبوهم فقال الضحاك ما رأيت كالיום قط لو رحلت في هذه إلى اليمن لكان قليلاً وروي ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال كانوا بشراً فضعفوا ويئسوا وظنوا أنهم قد اخلفوا ثم تلا قوله تعالى حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه من نصر الله الآية وهذا بعيد وقد بينا ما فيه (جاءهم) أي جاء الرسل (نصرنا) حين بأسوا برسالة العذاب على الكفار (فنجي من نشاء) أي نخلص من نشاء من العذاب عند نزوله وهم المؤمنون (ولا يرد بأسنا) أي عذابنا (عن القوم المجرمين) أي المشركين (لقد كان في قصصهم) أي في قصص يوسف وأخوته (عبرة) أي فكرة وبصيرة من الجهل وموعظة وهو ما أصابه (ع) من ملك مصر والجمع بينه وبين أبويه وأخوته بعد قائمه في الجب ويئسه وحسه وقيل في قصصهم عبرة لأن نبينا ﷺ لم يقرأ كتاباً ولا سمع حديثاً ولا خالط أهله ثم حدثهم به في حسن معانيه وبراعة الفاظه ومبانيه بحيث لم يرد عليه أحد من ذلك شيئاً فهذا من أدل الدلائل على صدقه وصحة نبوته (لا ولي الالباب) أي لذوي العقول (ما كان حديثاً يفترى) أي ما كان ما آداه محمد أو أتزل عليه حديثاً بخلق كذباً (ولكن تصديق الذي بين يديه) أي ولكن كان تصديق الكتب الذي بين يديه لأنه جاء كما بشر به في الكتب عن الحسن وقائدة (وتفصيل كل شيء) أي وبيان كل شيء يحتاج إليه من الحلال والحرام وشرائع الإسلام (وهدي) أي ودلالة (ورحمة) أي ونعمة ينتفع بها المؤمنون علماء وعملاً (لقوم يؤمنون) وإنما خصهم بذلك لأنهم المنتفعون به دون غيرهم وبالله التوفيق والعصمة وهو حسبنا ونعم الوكيل

تم الجزء الخامس من كتاب

مجمع البيان في علوم القرآن

﴿ الجزء السادس ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
(سورة الرعد)

مكية كلها عن ابن عباس وعطاء وقال الكوفي ومقاتل مكية إلا آخر آية منها نزلت في عبد الله بن سلام وقال سعيد بن جبير كيف تكون هذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام والسورة كلها مكية وقال الحسن وعكرمة وقتادة انها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة ولو ان قرآنا سيرت به الجبال وما بعدها

﴿ عدد آياتها ﴾

اربعون وسبع آيات شامي وخمس بصري اربع حجازي ثلاث كوفي

﴿ اختلافها ﴾

خمس آيات لفي خلق جديد الظلمات والنور غير الكوفي الأعمى والبصير وسوء الحساب شامي من كل باب عراقي شامي

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة وكان يوم القيامة من المؤمنين بعهد الله تعالى وقال ابو عبد الله (ع) من أكثر قراءة الرعد لم يصبه الله بصاعقة ابدا وإن كان مؤمنا أدخل الجنة بغير حساب وشفع في جميع من يعرفه من أهل بيته واخوانه

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة يوسف بذكر قصص الأنبياء افتتح هذه السورة بأن جميع ذلك آيات الكتاب وأن الذي أنزله هو الحق تعالى فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) أَلَمْ تَرَ أَنَّ آيَاتِ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٢) اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأُمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ آياتان

ولم يعد أحد الر آية وعد الكوفيين طه وحم آية لأن طه مشاكلة لرؤس الآي التي بعدها بالالف مع انه لا يشبه الاسم المفرد كما اشبه صاد وقاف ونون لأنها بمنزلة باب ونوح

﴿ اللمة ﴾

العمد والعمد جميعا بمعنى واحد وهما جمع عمود وعماد إلا ان عمدا جمع عمود وعماد وعمدا اسم للجمع ومثله اديم وادم مثل هاب وأهب وافيق وأفق

* الاعراب *

الذي أنزل بجوز أن يكون موضعه رفعا على الإبتداء ويجوز أن يكون موضعه بالعطف على آيات الكتاب ويكون الحق مرفوعا على اضرار هو ويجوز أن يكون في موضع جر بالعطف على الكتاب وتقديره تلك آيات الكتاب وآيات الذي أنزل اليك من ربك ويكون الحق مرفوعا على الاضرار ويجوز أن يكون الحق مجرورا صفة للذي إذا جعلته عطفا على الكتاب ولكنه لم يقرأ به أحد من القراء

* المعنى *

الآمر قد فسرناه في اول البقرة وبيننا ما قيل فيه وروي ان معناه انا الله اعلم وأرى (تلك آيات الكتاب) أي هذه السورة هي آيات الكتاب التي تقدم الوعد بها ليست بمفتريات ولا بسحر والكتاب القرآن عن ابن عباس والحسن وقيل ان الكتاب عبارة عن التوراة والانجيل والكتب المتقدمة والآيات الدلالات العجيبة المؤدية إلى المعرفة بالله سبحانه وان لا يشبه الأشياء ولا تشبهه (والذي أنزل اليك من ربك الحق) يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك من ربك هو الحق فاعتصم بالله واعمل بما فيه وعلى القول الأول فإنه وصف القرآن بصفتين احدها بأنه كتاب والأخرى بأنه منزل (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) اي لا يصدقون بأنه منزل وأنه حق مع وضوحه (الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها) لما ذكر الله سبحانه انهم لا يؤمنون عرف الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق ويريد بالعمد السواري والدعائم وقيل فيه قولان * احدهما * ان المراد رفع السماوات بغير عمد وانتم ترونها كذلك عن ابن عباس والحسن وقتادة والجبائي وابي مسلم وهو الأصح قال ابن عباس يعني ليس من دونها دعامة يدعما ولا فوقها علاقة تمسكها قال الزجاج وفي ذلك من القدرة والدلالة ما لا شيء أوضح منه لأن السماء محيطة بالارض مثيرة منها بغير عمد * والآخر * ان يكون ترونها من نعت العمدة فيكون المعنى بغير عمد مرئية فعلى هذا تعمدتها قدرة الله عز وجل وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد (ثم استوى على العرش) قد مضى تفسيره وإذا حملنا الاستواء على معنى الملك والاعتدال فالوجه في ادخال ثم فيه ولم يزل سبحانه كذلك ان المراد اقتداره على تصريفه وتقليبه وإذا كان كذلك فلا يكاد القديم سبحانه يوصف به إلا وقد وجد نفس العرش (وسخر الشمس والقمر) أي ذللهما لمنافع خلقه ومصالح عباده (كل يجري لأجل مسمى) أي كل واحد منهما يجري إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا وقيام الساعة التي تكور عندها الشمس ويخسف القمر وتنكدر النجوم عن الحسن وقال ابن عباس أراد بالأجل المسمى درجاتهما ومنازلهما التي ينتهيان اليها ولا يجاوزانها وللشمس مائة وثمانون منزلا تنزل كل يوم منزلا حتى تنتهي إلى آخر المنازل فلا تجاوزه وترجع إلى اول المنازل وينزل القمر كل ليلة منزلا حتى ينتهي إلى آخر منازلها (بدير الأمر) أي بدير الله كل أمر من أمور السماوات والارض وأمور الخلق على وجه توجه الحكمة وتقتضيه المصلحة (بفصل الآيات) اي يأتي بآية في أثر آية فصلا مميزا بعضها عن بعض ليكون أمكن للاعتبار والتفكير وقيل معناه يبين الدلائل بما يحده في السماوات والارض (لعلكم تلقوا ربكم توفقون) اي لكي توفقوا بالبعث والشور وتعلموا أن القادر على هذه الأشياء قادر على البعث بعد الموت وفي هذا دلالة على وجوب النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى وعلى بطلان التقليد ولولا ذلك لم يكن لتفصيل الآيات معنى

قوله تعالى (٣) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤) وَفِي الْأَرْضِ

قَطَعُ مُتَجَاوِرَاتٍ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٍ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْضِلُ
بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ آيَاتٍ

✽ القراءة ✽

قد ذكرنا الاختلاف في قوله بغشي الليل النهار في سورة الاعراف وقرأ ابن كثير وابو عمر ويعقوب وحفص
وزرع ونخيل صنوان أو غير صنوان جميعها بالرفع والباقون بالجر في الجميع وقرأ حفص صنوان بضم الصاد وكذلك
رواية الحلواني عن القواس وقرأ الباقون بكسر الصاد وفي الشواذ قراءة الحسن وقتادة صنوان وقرأ يسقي بالياء
ابن عامر وزيد ورويس عن يعقوب وقرأ الباقون تسقي بالتاء وقرأ اهل الكوفة غير عاصم وروح عن يعقوب
وبفضل بالياء والباقون بالنون

✽ الحجة ✽

قال ابو علي من رفع قوله وزرع فتقديره وفي الأرض زرع ونخيل صنوان فجعله محمولا على قوله وفي الأرض
قطع ولم يجعله محمولا على ما في الجنات من الأعتاب والجنة على هذا تقع على الأرض التي فيها الأعتاب دون
غيرها كما تقع على الأرض التي فيها الأعتاب والنخيل دون غيرها ويقوي ذلك قول زهير

كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا

فالمعنى تسقي نخيل جنة فأما من قرأ بالجر فإنه حمل النخيل والزرع على الأعتاب فكأنه قال جنات من
اعتاب من زرع ونخيل والدليل على ان الأرض إذا كان فيها النخل والكرم والزرع سميت جنة قوله جعلنا لأحدهما
جنتين من اعتاب وحفناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً فكما سميت الأرض ذات العنب والنخل والزرع جنة كذلك
يكون النخيل والزرع محمولين على الأعتاب فتكون الجنة من هذه الأشياء ويقوي ذلك قوله

أقبل سيل جاء من امر الله مجرد حرد الجنة المغلقة

والغلة إنما هي ما يكال بالقفيز في أكثر الأمر قال والصنوان فيما يذهب اليه ابو عبيدة صفة للنخيل والمعنى أن
يكون من أصل واحد ثم يتشعب من الرؤوس فيصير نخلاً ونخلين قال وقال يسقي بماء واحد لأنها تشرب من
أصل واحد وتفضل بعضها على بعض في الأكل وهي التمر وأجاز غيره أن يكون الصنوان من صفة الجنات وكأنه يكون
يراد به في المعنى ما في الجنات وإن جرى على لفظ الجنات وعلى هذا يجوز أن ترفع وإن جررت النخيل لأن الجنات
مرفوعة ولم يحك هذا في قراءة السبعة وأما الكسرة التي في صنوان فليست التي كانت في صنو كما ان الكسرة التي
في قنوة ليست التي في قنوان لأن تلك قد حذفت في التكسير وعاقبتها الكسرة التي يجتلبها التكسير وكذلك
الكسرة التي في هجان وانت تريد الجمع ليست الكسرة التي كانت في الواحد ولكنه مثل الكسرة التي
في ظراف إذا جمعت عليه ظرفاً وأما من ضم الصاد من صنوان فإنه جعله مثل ذئب وذؤبان وربما تعاقب فعلان
وفعالان على البناء الواحد نحو حش وحشان وحشان وأما صنوان فبفتح الصاد فليست من أمثلة الجمع المكسر فإن
صح ذلك فإنه يكون اسماً للجمع لا مثلاً له من أمثلة التكسير فيكون بمنزلة الجامل والسامر ومثله قولهم السعدان
والضمران في الجمع ومن قرأ تسقي بالتاء فالمراد تسقي هذه الأشياء ومن قرأ بالياء حملة على الزرع وحده

✽ المعنى ✽

لما ذكر سبحانه وتعالى في الآية من نعمائه وآلائه على عباده في رفع السماوات وتسخير الشمس والقمر ودل
بذلك على وحدانيته عقبه بذكر الأرض وما فيها من الآيات فقال (وهو الذي مدّ الأرض) أي بسطها طولاً

وعرضا ليمكن الحيوانات من الثبات فيها والاستقرار عليها (وجعل فيها رواسي) اي جبالا ثوابت لتمسك الارض ولو أراد أن يمسكها من غير جبال لفعل إلا انه أمسكها بالرواسي لأن ذلك اقرب إلى افهام الناس وادعى لهم إلى الاستدلال والنظر (وانهارا) اي وشق فيها انهارا تجري فيها المياه ولولا الانهار لضاع أكثر المياه ولما امكن الشرب والسقي (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) اي وجعل في الارض من كل الثمرات لما كوتهم ومطعمهم صنفين اسود وأبيض وحلوا وحامضا وصيفيا وشتويا ورطبا وبابسا عن ابن عباس وقيل الزوج قد يكون واحداً وقد يكون اثنين يقال زوج نعل وزوج نعلين عن ابي عبيدة وإنما قال اثنين للتأكيد والزوج في الحيوانات عبارة عن الذكر والانثى وفي الثمار عبارة عن لونين وقال الماوردي واحد الزوجين ذكر وانثى كفحول النخل وانثاها وكذلك كل جنس من الثبات وإن خفي الزوج الآخر حلو وحامض او عذب ومالح أو أبيض واسود او احمر واصفر فإن كل جنس من الثبات ذو نوعين فصارت كل ثمرة زوجين هما اربعة انواع (بغشي الليل النهار) اي يلبس ظلمة الليل ضياء النهار عن الحسن وقيل يدخل الليل في النهار والنهار في الليل عن ابن عباس وقيل معناه يأتي بالليل ليذهب بضياء النهار ويستتره ليسكن الحيوانات فيه ويأتي بضياء النهار ليمحو ظلام الليل وينصرف الناس فيه لمعايشهم (إن في ذلك) اي فيما سبق ذكره (آيات) اي لدلالات واضحات على وحدانية الله تعالى (لقوم يتفكرون) فيها فيستدلون منها على ان لهم صناعا (وفي الارض قطع متجاورات) أي ابعاض متقاربات مختلفات في التفاضل منها جبل صلب لا ينبث شيئا ومنها سهل حر ينبت منها سبخة لا تنبت عن ابن عباس ومجاهد والضحاك بين الله سبحانه باختلاف هذه الارضين مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض في الهيئة والمنظر انه قادر على كل شيء من الأصناف المختلفة والموتلفة «وقيل» انها متجاورات بعضها عامر وبعضها غير عامر عن الزجاج (وجنات) اي بساتين (من اعناب وزرع ونخيل صنوان) اي نخلات من أصل واحد (وغير صنوان) اي نخلات من أصول شتى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والصنو الأصل يقال هذا صنوه أي أصله عن ابن الانباري وقيل ان الصنوان النخلة تكون حولها النخلات وغير صنوان النخل المتفرق عن البراء بن عازب وسعيد بن جبير وقيل الصنو المثل والصنوان الامثال ومنها قوله ^{صلى الله عليه وسلم} عم الرجل صنو أبيه عن الجبائي (يسقى بماء واحد) اي يسقى ما ذكرناه من القطع المتجاورة والجنات والنخيل المختلفة بماء النهار او بماء السماء (ويفضل بعضها على بعض في الأكل) اي ويفضل الله ومن قرأ بالتون فالمعنى تفضل نحن بعضها على بعض في الطعم واللون والطبع مع أن البئر واحدة والشرب واحد والجنس واحد حتى يكون بعضها حامضا وبعضها حلوا وبعضها مراً فلو كانت بالطبع لما اختلف الوانها وطعموها مع كون الارض والماء والهواء واحدا وفي هذا أوضح دلالة على ان لهذه الأشياء صناعا قادرا أحدثها وأبدعها ودبرها على ما تقتضيه حكمته والأكل الثمر الذي يؤكل (إن في ذلك) اي في اختلاف الوانها وطعموها عن ابن عباس وقيل ان فيما تقدم ذكره (آيات) اي حججا ودلالات (لقوم يعقلون) دلائل الله تعالى ويتفكرون فيها ويستدلون بها وروي عن جابر قال سمعت النبي ^{صلى الله عليه وسلم} يقول لعلي (ع) الناس من شجر شتى وانا وانت من شجرة واحدة ثم قرأ في الأرض قطع متجاورات وكنات من اعناب الآية قوله تعالى (٥) وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَا لِقَى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٦) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ثلاث آيات عند الكوفي اربع آيات عند غيرهم

عدوا لفي خلق جديد آية

* القراءة *

قرأ أبو جعفر إذا كنا بغير استفهام انا بهمزة واحدة مطولة وكذلك يفعل بكل استفهامين يجتمعان في القرآن يستفهم بالثاني ولا يستفهم بالأول الا في سورة الصافات والواقعة واما نافع ويعقوب وسهل فالهم يستفهمون بالأول بهمزة واحدة غير مطولة ولا يستفهمون بالثاني الا في سورة النمل والعنكبوت إلا ان قالون عن نافع وزيدا عن يعقوب يمدان الهمزة مثل ابي جعفر والكسائي ايضا يستفهم بالأول ولا يستفهم بالثاني الا في سورة النمل غير انه يهمز بهمزين وابن عامر مثل ابي جعفر لا يستفهم في إذا كل القرآن إلا في سورة الواقعة فإنه يستفهم في أمدا وأثنا جميعا بهمزين همزتين بينهما مد أنا يهمز ثم يمد ثم يهمز على وزن عاعنا ولا يجمع بين استفهامين إلا هاهنا وفي سورة النمل يستفهم إذا بهمزين أثنا بنونين والكسائي مثله في هذا الموضع وابو عمرو يستفهم فيها جميعا وفي جميع اشباهها همزة واحدة مطولة وابن كثير يستفهم فيهما جميعا بهمزة واحدة غير مطولة وعاصم وحمزة وخلف يستفهمون فيها بهمزين همزتين كل القرآن وخالف ابن كثير وحفص عن عاصم في حرف واحد في العنكبوت وسنذكره هناك إن شاء الله

= (الحجة) =

قال ابو علي من استفهم في الجملتين فوضع إذا نصب بفعل مضمرب يدل عليه قوله أنا لفي خلق جديد لأن هذا الكلام يدل على نبعث ونحشر فكأنه قال انبعث إذا كنا ترابا ومن لم يدخل الاستفهام في الجملة الثانية كان موضع إذا ايضا نصبا بما دل عليه قوله أنا لفي خلق جديد فكأنه قال انبعث إذا كنا ترابا وما بعد أن في انه لا يجوز أن يعمل فيما قبله بمنزلة الاستفهام فكما قدرت هذا الناصب لا إذا مع الاستفهام لأن الاستفهام لا يعمل فيما قبله كذلك تقدره في ان لأن ما بعدها ايضا لا يعمل فيما قبلها ومن قرأ إذا كنا من غير استفهام أثنا ينبغي ان يكون على مضمرب كما حمل من تقدم على ذلك لأن ما بعد الاستفهام منقطع ما قبله

= الةة =

العجب والتعجب هجوم ما لا يعرف سببه على النفس والغل طوق تشد به اليد الى العنق والاستعجال طلب التعجيل بالأمر والتعجيل تقديم الأمر قبل وقته والسيئة خصلة تسوء النفس وتقيضها الحسنة وهي خصلة تسر النفس والمثلثات العقوبات واحدها مثلة بفتح الميم وضم الناء ومن قال في الواحد مثلة بضم الميم وسكون الناء قال في الجمع مثلثات بضم الميم نحو غرفة وغرفات وقيل في جمعها مثلثات ومثلثات ايضا قال الشاعر

ولما رأونا باديا ركبنا
على موطن لا يخلط الجد بالهزل
رووه بفتح الكاف في ركبنا

* المعنى *

لما تقدم ذكر الأدلة على انه سبحانه قادر على الانشاء والاعادة عقبه بالتعجب من تكذيبهم بالبعث والنشور فقال (وان تعجب) يا محمد من قول هؤلاء الكفار في انكارهم البعث مع اقرارهم بابتداء خلق الخلق فقد وضعت التعجب موضعه لأن هذا قول عجب ومعناه عجب للمخلوقين فإن معنى العجب في صفات الله لا يجوز لأن العجب ابن يشبهه عليه سير امره فيستطرفه (فعجب قولهم) اي فقولهم عجب (إذا كنا ترابا أثنا لفي خلق جديد) أي انبعث ونعاد بعد ما صرنا ترابا هذا مما لا يمكن وهذا منهم نهاية في الاعجوبة فإن الماء إذا حصل في الرحم استحالة علقته ثم مضغه ثم لحما فإذا مات ودفن استحالة ترابا فإذا جاز أن يتعلق الإنشاء بالاستحالة الاولى فلم لا يجوز تعلقه بالاستحالة الثانية وسمى الله تعالى الاعادة خلقا جديدا واختلف المتكلمون فيما يصح

عليه الاعادة فقال بعضهم كما يكون مقدورا للقديم سبحانه خاصة ويصح عليه البقاء يصح عليه الاعادة ولا يصح الاعادة على ما لا يقدر على جنسه غيره تعالى وهذا قول ابي علي الجبائي وقال آخرون كلما كان مقدورا له وهو ما يبقى يصح عليه الاعادة وهو قول ابي هاشم ومن تابعه فعلى هذا يصح اعادة اجزاء الحياة ثم اختلفوا فيما يجب اعادته من الحي فقال ابو القسم البلخي يعاد جميع اجزاء الشخص وقال ابو هاشم يعاد الاجزاء التي بها يتميز الحي من غيره ويعاد التأليف ثم رجع عن ذلك وقال تعاد الحياة مع البنية وقال القاضي ابو الحسن تعاد البنية وما عدا ذلك يجوز فيه التبديل وهذا هو الاصح (او لك) المنكرون للبعث (الذين كفروا بربهم) اي جحدوا قدرة الله تعالى على البعث (واو لك) الاغلال في اعناقهم) في الآخرة وقيل اراد به اغلال الكفر اي كفرهم اغلال في اعناقهم (واو لك) اصحاب النار هم فيها خالدون) مضى تفسيره (ويستعجلونك) اي يستعجلك يا محمد هؤلاء المشركون (بالسيئة قبل الحسنة) اسيء بالعذاب قبل الرحمة عن ابن عباس ومجاهد أي بالعقاب الذي توعدوا به على التكذيب قبل الثواب الذي وعدوا به على الإيمان وذلك حين قالوا فأمطر علينا حجارة من السماء وقيل يستعجلونك بالعذاب الذي توعدهم به قبل الإحسان بالانظار فإن انظار من وجب عليه العقاب احسان اليه كاذنار من وجب عليه الدين وسماها سيئة لأنها جزء السيئة (وقد خلت من قبلهم) اي مضت من قبلهم (المثلاث) اي العقوبات التي يقع بها الاعتبار وهو ما حل بهم من المسخ والحسف والفرق وقد سلك هؤلاء طريقهم فكيف يتجاسرون على استعجالها وقيل هي العقوبة الفاضحة التي تسير بها الامثال وتقديره وقد خلت المثلاث باقوام او خلا اصحاب المثلاث فحذف المضاف (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) قال المرتضى (ره) في هذه الآية دلالة على جواز المغفرة للمذنبين من اهل القبلة لانه سبحانه دلنا على انه يغفر لهم مع كونهم ظالمين لأن قوله على ظلمهم اشارة إلى الحال التي يكونون عليها ظالمين ويجري ذلك مجرى قول القائل أنا اود فلانا على غدره وأصله على هجره (وان ربك لشديد العقاب) لمن استحقه وروي عن سعيد بن المسيب قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا احداً العيش ولولا وعيد الله وعقابه لانتكل كل واحد وتلا مطرف يوماً هذه الآية فقال لو يعلم الناس قدر رحمة الله وعفو الله وتجاوز الله لقرت اعينهم ولو يعلم الناس قدر عذاب الله وبأس الله ونكال الله ونقمة الله ما رقأ لهم دمع ولا قررت اعينهم بشيء (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه) مثل الناقة والعصا عن ابن عباس وقال الزجاج طلبوا غير الآيات التي اتى بها فالتمسوا مثل آيات موسى وعيسى فاعلم الله أن لكل قوم هاد والمعنى انه سبحانه بين سوء طريقته في اقتراح الآيات كما في قوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً إلى قوله أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً وكما قالوا اجعل الصفا لنا ذهباً حتى نأخذ منه ما نشاء وإنما لم يظهر الله تعالى تلك الآيات لأنه لو اجاب أو لك لا ترح قوم آخرون آية اخرى وكذلك كل كافر فكان يؤدي إلى غير نهاية (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) فيه أقوال **أحدها** ان معناه إنما أنت منذر اي مخوف وهاد لكل قوم وليس إليك انزال الآيات عن الحسن وابي الضحى وعكرمة والجبائي وعلى هذا فيكون أنت مبتدأ ومنذر خبره وهاد عطف على منذر وفصل بين الواو والمعطوف بالظرف **والثاني** ان المنذر هو محمد والهادي هو الله تعالى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك **والثالث** **والرابع** ان المراد بالهادي كل داع إلى الحق وفي رواية اخرى عن ابن عباس قال لما نزلت الآية قال رسول الله انا المنذر وعلي الهادي من بعدي باعلي بك بهتدي المهتدون وروي الحاكم ابو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل بالاسناد عن ابراهيم بن الحكم بن ظهير عن ابيه عن حكيم بن جبير عن ابي بردة الأسلمي قال دعا رسول الله ﷺ بالطهور وعندده علي بن ابي طالب فأخذ رسول الله ﷺ بيد علي بعد ما تطهر فألزمها بصدرة ثم قال إنما أنت منذر ثم ردها إلى صدر علي ثم قال ولكل قوم هاد ثم قال انك منارة

الأنام وغاية الهدى وامير القرى واشهد على ذلك أنك كذلك وعلى هذه الأقوال الثلاثة يكون هاد مبتدأ ولكل قوم خبره على قول سيبويه ويكون مرتفعاً بالظرف على قول الأخفش

قوله تعالى (٨) اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٩) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (١٠) سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَعَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١١) لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِنْ يَمِينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ اربع آيات

(= القراءة =)

في الشواذ قراءة ابي ابراهيم (١) له معاقب من بين يديه ورقباء من خلفه يحفظونه بأمر الله وروي عن ابي عبد الله (ع) له معقبات من خلفه ورقب من بين يديه يحفظونه بأمر الله وروي عن علي (ع) وابن عباس وعكرمة وزيد بن علي يحفظونه بأمر الله

— الحجة —

يجب أن يكون معاقب تكسير معقبة غير انه لما حذف احد القافين عوض منها الياء وقوله يحفظونه بأمر الله فعناه يحفظونه مما يحاذره بأمر الله والمفعول هنا محذوف قال ابن جني وأما قراءة الجماعة يحفظونه من امر الله فتقديره له معقبات من امر الله يحفظونه مما يخافه فمن على هذا مرفوعة الموضع لأنها صفة للمرفوع الذي هو معقبات وليس هذا على معنى يحفظونه من امر الله ان ينزل به لأنه لو كان كذلك لكانت منصوبة الموضع كقولك حفظت زيدا من الاسد والذي ذكرته رأي ابي الحسن فإن قلت فهلا كان تقديره على يحفظونه من امر الله بأمر الله ويستدل على ارادة الياء هنا بقراءة علي (ع) يحفظونه بأمر الله وجاز أن يكون يحفظونه بأمر الله لأن هذه المصائب كلها في علم الله وبقدره فاعليها عليها فيكون هذا كقولك هربت من قضاء الله بقضاء الله قيل تأويل ابي الحسن اذهب في الاعتداد عليهم وذلك لأنه سبحانه وكل بهم من يحفظهم من حوادث الدهر ومخاوفه التي لا يعتد عليهم بتسليطها عليهم فهذا اسهل طريقاً وارسخ في الاعتداد بالنعمة عليهم عرفاً

✽ اللغة ✽

الغيض ذهاب المائع في جهة العمق وغاضت المياه نقصت وغيضته نقصته قال

غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

المتعالي والعالي واحد وتعالى اي جل عن كل ثناء وقيل المتعالي المقتدر على وجه يستحيل ان يساويه غيره

والسارب الساري الجاري بسرعة والسرب بفتح السين والراء الماء السائل من الزيادة قال ذو الرمة

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلي مفرية سرب

وقيل السارب الذهاب في الأرض ومنه قول قيس بن الحطيم (اني سربت وكنت غير سروب) ويقال خل

سربه اي طريقه والمعقبات المتناوبات التي يخلف كل واحد منها صاحبه ويكون بدلانته وأصل العقيب أن يكون

الشيء عقيب آخر والمعقب الطالب دينه مرة بعد مرة قال الشاعر

حتى تهجر في الرواح وهاجه طلب المعقب حقه المظلوم

ومنه العقاب لأنه يستحق عقيب الجرم والعقاب لأنها تعقب الصيد تطلبه مرة بعد مرة وقيل إن واحد المعقبات معقب والجمع معقبة ومعقبات جمع الجمع كما قالوا رجالات عن القراء
= الإعراب =

ما في قوله ما تحمل وما تغيض وما تزداد استفهامية وموضعها نصب بالفعل الذي بعدها معناه أي شيء تحمل والجملة معلقة يعلم قال الزجاج سواء منكم من أسر القول ومن جهر به موضع من رفع بسواء وكذلك من الثانية يرتفعان جميعاً بسواء لأن سواء يطلب اثنين تقول سواء زيد وعمرو في معنى ذو سواء لأن سواء مصدر فلا يجوز أن يرتفع ما بعده إلا على الحذف تقول عدل زيد وعمرو والمعنى ذو عدل زيد وعمرو لأن المصادر ليست بأسماء الفاعلين وإنما ترفع الأسماء أو صافها فإذا رفعتها المصادر فهي على الحذف كما قالت الخنساء

ترتع ما رتعت حتى إذا أدكرت فإنيما هي اقبال وادبار

أي ذات اقبال وادبار وكذلك زيد اقبال وادبار وهذا مما كثر استعماله أعني سواء فجري مجرى أسماء الفاعلين ويجوز إن يرتفع على أن يكون في موضع مستوى إلا أن سببويه يستقبح ذلك لا يجيز مستو زيد وعمرو لأن أسماء الفاعلين عنده إذا كانت نكرة لا يبتدأ بها لضعفها عن الفعل فلا يبتدأ بها ويجريها مجرى الفعل

✽ المعنى ✽

(الله يعلم ما تحمل كل أنثى) أي يعلم ما في بطن كل حامل من ذكر أو أنثى تام أو غير تام ويعلم لونه وصفاته (وما تغيض الأرحام) أي يعلم الوقت الذي تنقصه الأرحام من المدة التي هي تسعة أشهر (وما تزداد) على ذلك عن أكثر المفسرين وقال الضحاك الغيض النقصان من الأجل والزيادة ما يزداد على الأجل وذلك إن النساء لا يلدن لأجل واحد وقيل يعني بقوله ما تغيض الأرحام الولد الذي تأتي به المرأة لأقل من ستة أشهر وما تزداد الولد الذي تأتي به المرأة لأقصى مدة الحمل عن الحسن وقيل معناه ما تنقص الأرحام من دم الحيض وهو انقطاع الحيض وما تزداد بدم النفاس بعد الوضع عن ابن عباس بخلاف وابن زيد (وكل شيء) أي وكل شيء من الرزق أو الأجل أو ما سبق ذكره من الحمل (عنده بمقدار) أي بقدر واحد لا يجاوزه ولا يقصر عنه على ما توجه الحكمة (عالم الغيب والشهادة) أي عالم بما غاب عن حس العباد وبما يشاهده العباد لا يغيب عنه شيء وقيل عالم بالمعدوم والموجود والغيب هو المعدوم وقيل عالم السر والعلانية عن الحسن والأولى أن يحمل على المموم ويدخل في هاتين الكلمتين كل معلوم به سبحانه بذلك على أنه عالم بجميع المعلومات الموجودات منها والمعدومات منها (الكبير) وهو السيد الملك القادر على جميع الأشياء وقيل هو الذي كل شيء دونه لكمال صفاته ولكونه عالماً لذاته قادراً لذاته حياً لذاته وقيل هو الذي كبر عن شبه المخلوقين (المتعال) وهو الذي علا كل شيء بقدرته فلا يساويه قادر وقيل هو المنزه عما لا يجوز عليه في ذاته وفعله وعما يقوله المشركون (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) معناه سواء عند الله وفي علمه من أسر القول في نفسه وأخفاه ومن أعلنه وأبداه ولم يضره في نفسه (ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) أي ومن هو مستتر منوار بالليل ومن هو سالك في سره أي في مذهبه ماض في حوائجه بالنهار معناه أنه يرى ما أخفته ظلمة الليل كما يرى ما أظهره ضوء النهار بخلاف المخلوقين الذين يخفي عليهم الليل أهوال أهله وقال الحسن معناه ومن هو مستتر بالليل ومن هو مستتر بالنهار وضحح الزجاج هذا القول لأن العرب تقول انسرب الوحش إذا دخل في كناسه (له معقبات) اختلف في الضمير الذي في له على وجوه ✽ أحدها ✽ أنه يعود إلى من في قوله من أسر القول ومن جهر به ✽ والآخر ✽ أنه يعود إلى اسم الله تعالى وهو عالم الغيب والشهادة ✽ وثالثها ✽ أنه يعود إلى النبي ﷺ في قوله إنما أنت منذر عن ابن زيد واختلف في المعقبات على أقوال ✽ أحدها ✽ أنها الملائكة يتعاقبون تعقب ملائكة الليل ملائكة النهار وملائكة النهار

ملائكة الليل وهم الحفظة يحفظون على العبد عمله عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والجبائي وقال الحسن هم اربعة املاك يجتمعون عند صلاة الفجر وهو معنى قوله إن قرآن الفجر كان مشهودا وقد روي ذلك عن أئمتنا «ع» ايضا * والثاني * انهم ملائكة يحفظونه من الممالك حتى ينتهوا به إلى المقادير فيحيلون بينه وبين المقادير عن علي «ع» وابن عباس وقيل هم عشرة املاك على كل آدمي يحفظونه * والثالث * انهم الأمراء والملوك في الدنيا الذين يمنعون الناس عن المظالم وتكون لهم الاحراس والشرط والمواكب يحفظونه عن عكرمة والضحاك وروي ايضا عن ابن عباس وتقديره ومن هو سارب بالنهار له احراس وأعوان قدر انهم يجرسونه ولم يتجه احراسه من الله (من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله) اي يطوفون به كما يطوف الموكل بالحفظة وقيل يحفظون ما تقدم من عمله وما تأخر إلى أن يموت فيكتبونه عن الحسن وقيل يحفظونه من وجوه الممالك والمعاطب ومن الجن والانس والحوام وقال ابن عباس يحفظونه مما لم يقدر نزوله فإذا جاء المقدر بطل الحفظ وقيل من امر الله أي بأمر الله عن الحسن ومجاهد والجبائي وروي ذلك عن ابن عباس وهذا كما يقال هذا الامر بتدبير فلان ومن تدبير فلان وقيل معناه يحفظونه عن خلق الله فتكون من بمعنى عن كما في قوله وآمنهم من خوف أي عن خوف قال كعب : لولا ان الله وكل بكم ملائكة يذوبون عنكم في مطعمكم ومشرابكم وعوراتكم لخطفتكم الجن (إن الله لا يغير ما بقوم) من النعمة والحال الجميلة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الطاعة فيعصون ربهم ويظلم بعضهم بعضاً قال ابن عباس إذا انعم الله على قوم فشكروها زادهم وإذا كفرها سلبهم اياها وإلى هذا المعنى اشار امير المؤمنين (ع) بقوله إذا اقبلت عليكم اطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر (وإذا أراد الله بقوم سوء) أي عذابا وإنما ساء سوءاً لأنه بسوء (فلا مرد له) أي لا مدفع له وقيل معناه إذا أراد الله بقوم بلاء من مرض وسقم فلا مرد لبلائه (وما لهم من دونه من وال) يلي امرهم ويمنع العذاب عنهم

* النظم *

اتصلت الآية الاولى بقوله وإن تعجب الآية فإنه احتجاج للبعث والمعنى أن من كان بهذه الصفة في القدرة والعلم فإنه يقدر على البعث وقيل انها اتصلت بقوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقوله لولا انزل عليه آية من ربه يعني ان من يعلم غوامض الامور فهو اعلم بالمصالح ولو علم الصلاح في انزال العذاب أو الآية لفعل عن البلخي وأبي مسلم وقوله له معقبات يتصل بقوله وسارب بالنهار عن الجبائي وقيل يتصل بقوله عالم الغيب والشهادة ويعلم ما تحمل كل انثى أي كما يعلمهم جعل عليهم حفظة يحفظونهم وقيل يتصل بقوله إنما انت منذر يعني انه (ع) محفوظ بالملائكة واتصل قوله إن الله لا يغير ما بقوم إلى آخره بقوله ويستعجلونك بالعذاب يعني انه لا ينزل العذاب إلا لمن يعلم من جهتهم التغير حتى لو علم أن فيهم من يؤمن في المستقبل او يعقب مؤمناً لا ينزل العذاب وقيل بل اتصلت بالسارب بمعنى انه إذا اتى بالمعصية بطل به حفظه وحاق به عقابه وقيل بل هو على الاطلاق والعموم قوله تعالى (١٢) هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال (١٣) ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خفيته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد العقاب (١٤) له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال (١٥) والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والآصال اربع آيات

* القراءة *

في الشواذ قراءة الأعرج شديد المحال بفتح الميم وقراءة ابي مجلز بالغدو والايصال

* الحجة *

قال ابن جني المحال مفعول من الحيلة قال ابو زيد يقال ما له حيلة ولا محالة فيكون تقديره شديد الحيلة وتفسيره قوله سبحانه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقوله ومكروا ومكر الله والايصال مصدر اصلنا أي دخلنا في وقت الأصيل ونحن موصلون

* اللغة *

يقال اراه يريه اراءة وهو أن يجعله على صفة الرؤية باظهار المرئي له او يجعله على صفة يرى والسحاب جمع سحابة ولذلك قال الثقال ولو قيل الثقل لجاز والصواعق جمع صاعقة وهي نار تسقط من السماء والرعد والبرق ذكرنا معناها في اول البقرة والمحال الأخذ بالعقاب هاهنا فقال ما حله مما حلة ومحالا إذا قاواه حتى يتبين ابهما اشد ومحلت به محلا قال الاعشى

فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال

والاستجابة والإجابة بمعنى غير ان في الاستجابة معنى الطلب قال (فلم يسئبه عند ذلك مجيب) والظلال جمع الظل وهو ستر الشخص ما بازائه والظل الظليل وهو ستر الشمس اللازم واما التي فهو الذي يرجع بعد ذهاب ضوئه ومنه الظلة لسترها والآصال جمع اصل واصل جمع اصيل فهو جمع الجمع مأخوذ من الأصل فكأنه اصل الليل الذي ينشأ منه وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس وقد يقال في جمعه اصائل قال ابو ذؤبية

لعمري لأنت البيت اكرم اهله واقعد في افئائه بالأصائل

— (الاعراب) —

خوفاً وطمعاً لا ينتصيان على الغرض لأن ما ينتصب لذلك يجب أن يكون فاعله وفاعل الفعل الأول واحداً وهاتان الخائف والطامع ليسا بالذي يرى البرق وهما في قوله بدعوت ربه خوفاً وطمعاً ينتصيان على الغرض لأن الخائف والطامع هناك هو الداعي فاعلمه فإنه جيد مفيد والمعنى هاهنا يخوفكم بما يريكم خوفاً ويطمعكم طمعاً فالمصدر وقع موقع الحال وهم يجادلون في الله جاز أن تكون هذه الواو والحال أي يصيب بها من يشاء في حال جداهم في الله لأنه جاء في التفسير أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فجادله فقال يا محمد مم ربك أم من نحاس أم من حديد أم من لؤلؤ أم من باقوت أم من ذهب أم من فضة فأرسل الله عليه صاعقة ذهبت بقحفه وهو قول انس بن مالك ومجاهد ويجوز أن يكون لما تمم الله اوصاف ما يدل على توحيده وقدرته قال بعد ذلك وهم يجادلون والكاف من قوله كيباسط كفيه بتعلق بصفة مصدر تقديره إلا استجابة كائنة كاستجابة باسط كفيه إلى الماء هذا إذا كان الكاف حرقاً وإذا كان اسماً محضاً فالتقدير إلا استجابة مثل استجابة باسط كفيه إلى الماء فلا يكون في الكاف ضمير أي كما يستجيب الماء باسط كفيه إليه واللام في قوله ليبلغ فاه بتعلق بياسط كفيه وما هو ببالغه أي ما الماء ببالغ فاه وقيل ما فوه ببالغ الماء وقيل ما باسط كفيه إلى الماء ببالغ الماء وطوعاً وكرهاً مصدران وضعا موضع الحال

— المعنى —

ثم اخبر سبحانه عن كمال قدرته فقال (هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً) أي تخويفاً واطمعاً فأقام الخوف والطمع مقام التخويف والاطمع وذكر فيه وجوه **أحدها** أن المعنى خوفاً من الصواعق التي يكون معها وطمعاً في الغيث الذي يزيل القحط عن الحسن و**إبي مسلم** **والثاني** خوفاً للمسافر من

ابن بضل الطريق فلا يمكنه المسير وطمعا للمقيم في نمو الزرع والخير الكثير عن قتادة والضحاك والجبائي
 الثالث ع خوفا لمن يخاف ضر المطر لا نه ليس كل بلد ينشف فيه بالمطر وطمعا لمن يرجو الارتفاع به
 عن الزجاج (وينشئ السحاب الثقيل) أي ويخلق السحاب الثقيل بالماء يرفعها من الأرض فيجرها في الجو
 (ويسبح الرعد بحمده) تسبيح الرعد دلالة على تنزيه الله تعالى ووجوب حمده فكأنه هو المسيح وقيل إن الرعد
 هو الملك الذي يسوق السحاب ويزجره بصوته وهو يسبح الله تعالى ويحمده وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إن
 ربكم سبحانه يقول لو أن عبادي اطاعوني لاسقيتهم المطر بالليل واطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم اسمعهم صوت
 الرعد وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا سمع صوت الرعد قال سبحان من يسبح الرعد بحمده وكان ابن عباس يقول
 سبحان الذي سبحت له وروى سالم بن عبدالله عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سمع الرعد والصواعق
 قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وقال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال
 سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابته صاعقة فعلي دينه
 (والملائكة من خيفته) أي ويسبح الملائكة من خيفة الله تعالى وخشيته قال ابن عباس إنهم خائفون من الله
 تعالى ليس كخوف ابن آدم لا يعرف احدهم من على يمينه ومن على يساره ولا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب
 ولا شيء (و يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) وبصرفها عن من يشاء إلا انه حذف وروي عن ابي جعفر الباقر
 عليه السلام أن الصواعق تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب ذا كرا (وهم يجادلون في الله) يعني ان هؤلاء
 الجهال مع مشاهدتهم لهذه الآيات يخاصمون اهل التوحيد ويحاولون قتلهم عن مذاهبهم يمداهم لأن معنى
 الجدل قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج روى الكلبى عن ابي صالح عن ابن عباس انه عنى بذلك ان زيد بن
 قيس اخا ليلى بن ربيعة العامري لاه وعمار بن طفيل وذلك انهما اتيا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجادلانه ويريدان القتك
 به وكان عامر اوصى الى زيد إذا رأيتني اكله فدر من خلقه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم ويراجعه الكلام فدار زيد خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم حسبه الله
 عنه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأى زيدا وما يصنع بسيفه فقال اللهم
 اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على زيد صاعقة في يوم صاح صائف فاحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت
 ربك فقتل زيدا والله لا ملأنا عليك خيلا جردا وفتيانا مردا ولا ربطن بكل نخلة فوسا فقال صلى الله عليه وآله وسلم الله يسمعك
 من ذلك فنزل بيت امرأة من سلول وخرج على ركبته في الوقت غدة عظيمة فكان يقول غدة كغدة البعير
 وموت في بيت سلولة حتى قتلته وفي ذلك يقول ليلى بن ربيعة يرثي اخاه زيدا

اخشي على زيد الختوف ولا
 ارهب نوء السالك والاسد
 فجعني البرق والصواعق بال
 فارس يوم الكريهة النجد

(وهو شديد الحال) أي شديد الأخذ عن علي (ع) وقيل شديد القوة عن قتادة ومجاهد وقيل شديد
 النعمة عن الحسن وقيل شديد القدرة والعذاب عن الزجاج وقيل شديد الكيد للكفار عن الجبائي (له دعوة
 الحق) أي الله سبحانه دعوة الحق واختلف في معنى دعوة الحق على أقوال ع احدها ع انها كلمة الإخلاص
 شهادة أن لا إله إلا الله عن ابن عباس وقتادة وابن زيد ع والثاني ع أن الله تعالى هو الحق فدعاؤه دعوة الحق
 ومن دعاه دعا الحق عن الحسن ع والثالث ع انها الدعوة التي يدعى بها الله على اخلاص التوحيد عن
 الجبائي والمعنى أن من دعاه على جهة الاخلاص فهو يجيبه فله سبحانه من خلقه دعوة الحق (والذين يدعون من
 دونه) أي والذين يدعوه المشركون من دون الله حاجاتهم من الاوثان وغيرها (لا يستجيبون لهم بشيء إلا
 كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو بباله) هذا مثل ضربه الله لكل من عبد غير الله ودعاه رجاء أن ينقعه

يقول ان مثله كمثل رجل بسط كفيه إلى الماء من مكان بعيد ليتناوله ويسكن به غلته وذلك الماء لا يبلغ فاه بعد المسافة بينهما فكذلك ما كان يعبد المشركون من الاصنام لا يصل نفعها اليهم ولا يستجيب دعاءهم عن ابن عباس وقيل كباسط كفيه إلى الماء أي كالذي يدعو الماء بلسانه ويشير اليه بيده فلا يأتيه الماء عن مجاهد وقيل كالذي يبسط كفيه إلى الماء ليلبغ فمات قبل أن يبلغ المساء فاه عن الحسن وقيل انه تمثيل العرب لمن يسمى فيما لا يدركه فيقول هو كالقابض على الماء عن ابى عبيدة والبلخي وابي مسلم قال الشاعر

فاصبحت مما كان بيني وبينها من الود مثل القابض الماء باليد

وقال الآخر

فإني وإياكم وشوقا اليكم كقابض ماء لم تسعه اذامله

(ومادعاء الكافرين إلا في ضلال) أي ليس دعاءهم الاصنام من دون الله إلا في ذهاب عن الحق والصواب وقيل في ضلال عن طريق الإجابة والنفع ثم بين سبحانه كمال قدرته وسعة مملكته فقال (ولله يسجد من في السموات والأرض) يعني الملائكة وسائر المكلفين (طوعا وكرها) اختلف في معناه على قولين ﴿احدهما﴾ ان معناه انه يجب السجود لله تعالى إلا ان المؤمن يسجد له طوعا والكافر يسجد له كرها بالسيف عن الحسن وقتادة وابن زيد ﴿والثاني﴾ ان المعنى والله يخضع من في السموات والأرض إلا أن المؤمن يخضع له طوعا والكافر يخضع له كرها لأنه لا يمكنه ان يمتنع من الخضوع لله لما يجعل به من الآلام والاسقام عن الجبائي (وظلالهم) أي ويسجد ظلالمهم لله (بالغدو والآصال) أي العشيات قيل ان المراد بالظل الشخص فإذن من يسجد يسجد ظله معه قال الحسن يسجد ظل الكافر ولا يسجد الكافر ومعناه عند اهل التحقيق انه يسجد شخصه دون قلبه لأنه لا يريد بسجوده عبادة ربه من حيث انه يسجد للخوف وقيل إن الظلال على ظاهرها والمعنى في سجودها تمايلها من جانب إلى جانب وانقيادها بالتسخير بالطول والقصر

قوله تعالى (١٦) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ نَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ آية في الكوفي آيتان مدني وبصري ثلاث آيات شامي لم يعد الكوفي الظلمات والنور وعد الشامي وحده لاعمي والبصير

﴿القرائة﴾

قرأ أهل الكوفة غير حفص أم هل يستوي الظلمات بالياء والباقون بالياء.

-(الحجة)-

من قرأ بالياء فإنه مسند إلى موث لم يفصل بينه وبين فاعله بشي كقوله وقالت اليهود وقالت الاعراب وقد جاء في مثل ذلك التذكير كقوله وقال نسوة ومن قرأ بالياء فإنه موث غير حقيقي

-(المعنى)-

لما بين سبحانه في الآية الأولى انه المستحق للعبادة وان له من في السموات والارض عقبه بما يجري مجرى الحجة على ذلك فقال (قل) يا محمد هو لا الكفار (من رب السموات والارض) أي من مدبرها وصرفها على

ما فيها من البدائع فإذا استعجم عليهم الجواب ولا يمكنهم أن يقولوا الأصنام (فقل) أنت لهم رب السماوات والارض وما بينها من انواع الحيوان والنباتات والجماد (الله) فإذا أقروا بذلك (قل) لهم على وجه التبيكيت والتوبيخ لعلهم (أفتأخذتم من دونه اولياء) توجهون عبادتكم اليهم فالصورة صورة الاستفهام والمراد به التقرير ثم بين ان هؤلاء الذين اتخذوهم من دونه اولياء (لا يملكون لا نفهم نفعا ولا ضرا) ومن لا يملك لنفسه ذلك فالأولى والأحرى أن لا يملك غيره ومن كان كذلك فكيف يستحق العبادة وإذا قيل كيف يكون هو السائل والمجيب والملمزم بقوله قل أفتأخذتم من دونه اولياء فالجواب انه إذا كان القصد بالحجاج ما ينبيه من بعدهم بعد لم يتنع ذلك فكأنه قال الله الخالق فلماذا اتخذتم من دون الله اولياء لأن الأمر الظاهر الذي لا يجب الحصر إلا به لا يتنع أن يبادر السائل إلى ذكره ثم يورد الكلام عليه تفاديا من التطويل ويكون تقدير الكلام أليس الله رب السماوات والارض فلم اتخذتم من دونه اولياء ثم ضرب لهم سبحانه مثلا بعد الزام الحجة فقال (قل هل يستوي الأعمى والبصير) أي كما لا يستوي الأعمى والبصير كذلك لا يستوي المؤمن والكافر لأن المؤمن يعمل على بصيرة ويعبد الله الذي يملك النفع والضرر والكافر يعمل على عى ويعبد من لا يملك النفع والضرر ثم زاد في الايضاح فقال (أم هل تستوي الظلمات والنور) أي هل يستوي الكفر والإيمان أو الضلالة والهدى والجهل والعلم (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه) أي هل جعل هؤلاء الكفار لله شركاء في العبادة خلقوا افعا لا مثل خلق الله تعالى من الأجسام والأوان والطعوم والأرباب والقدرة والحياة وغير ذلك من الأفعال التي يختص سبحانه بالقدرة عليها (فتشابه الخلق عليهم) أي فاشبهه لذلك عليهم ما الذي خلق الله وما الذي خلق الأوثان فظنوا ان الأوثان تستحق العبادة لأن أفعالها مثل أفعال الله فإذا لم يكن ذلك مشتبهها إذ كان ذلك كله الله تعالى لم يبق شبهة انه الإله لا يستحق العبادة سواء (فقل) لهم (الله خالق كل شيء) يستحق به العبادة من أصول النعم وفروعها (وهو الواحد) ومعناه انه يستحق من الصفات ما لا يستحقه غيره فهو قديم لذاته قادر لذاته عالم لذاته حي لذاته غني لا مثل له ولا شبه وقيل الواحد وهو الذي لا يتجزأ ولا يتبعض وقيل هو الواحد في الإلهية لا ثاني له في القدم (القهار) الذي يقهر كل قادر سواء ولا يتنع عليه شيء واستدل المجبرة بقوله الله تعالى خالق كل شيء على ان أفعال العباد مخلوقة لله لأن ظاهر العموم يقتضي دخول أفعال العباد فيه وبقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه قالوا لأنه أنكر أن يكون خالق خالق كخلقه وأجيب عن ذلك بأن الآية وردت حجة على الكفار إذ لو كان المراد ما قالوا لكان فيها حجة لهم على الله لأنه إذا كان الخالق لعبادتهم الأصنام هو الله فلا يتوجه التوبيخ إلى الكفار ولا يلحقهم اللوم بذلك بل يكون لهم أن يقولوا انك خلقت فينا ذلك فلم توجننا على فعل فعلته فينا فيبطل حينئذ فائدة الآية وايضا فإن أكثر اصحابنا لا يطلقون على غيره سبحانه انه يخلق أصلا فضلا عن أن يقولوا انه يخلق كخلق الله ولكن يقولون ان العباد يفعلون ويحدثون ومعنى الخلق عندهم الاختراع ولا يقدر العباد عليه ومن جوز منهم إطلاق لفظ الخلق في أفعال العباد فإنه يقول انه سبحانه إنما نفى أن يكون احد يخلق مثل خلقه ونحن لا نقول ذلك لأن خلق الله اختراع وابداع وأفعال غيره مفعولة في محل القدرة عليها مباشرة او متولدا في الغير بسبب حال في محل القدرة ولا يقدر على اختراع الأفعال في الغير على وجه من الوجوه إلا الله سبحانه الذي ابداع السماوات والارض وما فيها وينشئ الأجناس من الاعراض التي لا يقدر عليها غيره فكيف يشبه الخالق مع هذا التمييز الظاهر على ان عندهم كل حركة هي كسب للعبد وفعل لله تعالى ولا يتميز فقد حصل التشابه هنا ونحن نقول ان احدنا يفعل بقدرة محدثة يفعلها الله تعالى فيه والله يفعل لكونه قادرا لذاته فالفرق والتمييز ظاهر فعلمنا ان المراد بقوله خالق كل شيء ما قدمناه من انه خالق كل شيء يستحق خلقه العبادة

قوله تعالى (١٧) أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا

وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ
فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
(١٨) لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ آيَاتَان

✽ القراءة ✽

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر يوقدون بالياء والباقون بالتاء.

✽ الحجة ✽

قال أبو علي من قرأ بالتاء فلما قبله من الخطاب وهو قوله قل أفأخذتم ويجوز أن يكون خطاباً عاماً يراد به الكافة كأن المعنى وبما توقدون عليه أيها الموقدون زبد مثل زبد الماء الذي يحمله السيل ومن قرأ بالياء فلأن ذكر الغيبة قد تقدم في قوله أم جعلوا لله شركاء ويجوز أن يراد به جميع الناس ويقوي ذلك قوله وأما ما ينفع الناس فكما أن الناس يعم المؤمنين والكافرين كذلك الضمير في يوقدون وقال وما يوقدون عليه في النار فجعل الظرف متعلقاً بوقدون لأنه قد يوقد على ما ليس في النار كقوله فأوقد لي يا هامان على الطين فهذا ايقاد يقال على ما ليس في النار وإن كان يلحقه وهجها وهبها

✽ اللغة ✽

الوادي سفح الجبل العظيم المنخفض الذي يجتمع فيه ماء المطر ومنه اشتقاق الدية لأنه جمع المال العظيم الذي يؤدى عن القتل والقدر اقتران الشيء بغيره من غير زيادة ولا نقصان والوزن يزيد وينقص فإذا كان مساوياً فهو القدر وقرأ الحسن بقدرها بسكون الدال وهما لغتان يقال أعطى قدر شبر وقدر شبر والمصدر بالتخفيف لا غير وهم يختصمون في القدر معاً بالسكون والحركة قال

ألا يا لقوم للنوائب والقدر وللأمر يأتي المرء من حيث لا يدري

والاحتمال رفع الشيء على الظهر بقوة الحامل له ويقال علا صوته على فلان فاحتمله ولم يفضه والزبد وضر الغليان وهو خبث الغليان ومنه زبد القدر وزبد السيل والجباف ممدود مثل الغشاء وأصله الهمز يقال جبفا الوادي جبفاً قال أبو زيد يقال جبفت الرجل إذا صرعت وأجفت القدر بزبدها إذا القيت زبدها عنها قال الفراء كل شيء ينضم بعضه إلى بعض فإنه يجي على فعال مثل الحطام والقماش والغشاء والجباف والإيقاد القاء الحطب في النار واستوقدت النار واتقدت وتوقدت والمتاع ما تمتع به والمكث الكون في المكان على مرور الزمان يقال مكث ومكثت وتمكث أي تلبث

✽ الإعراب ✽

قال جامع العلوم البصير قوله في النار متعلق بمحذوف في موضع الحال من الضمير المجرور بقوله عليه أي وبما توقدون عليه ثابتاً في النار ابتغاء حلية أي مبتغين حلية فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في يوقدون ولا يجوز أن يكون قوله في النار من صلة يوقدون لأن المعنى ليس على ذلك فالمعنى أنهم يوقدون على الذهب في حال كونه في النار فافهمه من كلام أبي علي ولم يهتد إليه غيره وقوله زبد مبتدأ ومثله نعمته والظرف الذي هو قوله بما توقدون خبره على قول سيبويه وهو مرتفع بالظرف على قول الاخفش وموضع جبفاء نصب على الحال أي يذهب على هذه الحالة قال الشاعر

إذا أكلت سمكا وفرضا ذهب طولا وذهبت عرضا
أي ذهب على هذه الحالة والفرض نوع من التمر

« المعنى »

ثم ضرب سبحانه مثلين للحق والباطل ﴿ احدهما ﴾ الماء وما يعلوه من الزبد ﴿ والآخر ﴾ ما توقد عليه النار من الذهب والفضة وغيرها وما يعلوه من الزبد على ما رتبته فقال (أنزل من السماء ماء) أي مطرا (فسالت أودية بقدرها) يعني فاحتمل الأنهار الماء كل نهر بقدره الصغير على قدر صغره والكبير على قدر كبره فسالت كل نهر بقدره عن الحسن وقناعة والجبائي وقيل بقدرها بما قدر لها من مائها عن الزجاج (فاحتمل السيل زبدا رابيا) أي طافيا عاليا فوق الماء شبه سبحانه الحق والإسلام بالماء الصافي النافع للخلق والباطل بالزبد الذاهب باطلا وقيل انه مثل القرآن النازل من السماء ثم تحتمل القلوب حظها من اليقين والشك على قدرها فالما مثل اليقين والزبد مثل الشك عن ابن عباس ثم ذكر المثل الآخر فقال (وما توقدون عليه في النار) وهو الذهب والفضة والرصاص وغيره ما يذاب (ابتغاء حلية) أي طلب زينة يتخذ منه كالذهب والفضة (أو متاع) معناه أو ابتغاء متاع ينتفع به وهو مثل جواهر الأرض يتخذ منها الأواني وغيرها (زبدها) أي مثل زبد الماء فإن هذه الأشياء التي تستخرج من المعادن وتوقد عليها النار ليميز الخاص من الخبيث لها أيضا زبد وهو خبيثها (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أي مثل الحق والباطل وضرب المثل تسييره في البلاد حتى يتمثل به في الناس (فأما الزبد فيذهب جفاء) أي باطلا متفرقا بحيث لا ينتفع به (وأما ما ينفع الناس) وهو الماء الصافي والاعيان التي ينتفع بها (فيمسك في الأرض) فينتفع به الناس فمثل المؤمن واعتقاده كمثل هذا الماء المنتفع به في نبات الأرض وحياة كل شيء به وكمثل نفع الذهب والفضة وسائر الاعيان المنتفع بها ومثل الكافر وكفره كمثل هذا الزبد الذي يذهب جفاء وكمثل خبث الحديد وما تخرجه النار من وسخ الذهب والفضة الذي لا ينتفع به (كذلك يضرب الله الامثال للناس) في امر دينهم قال قتادة هذه ثلاثة امثال ضربها الله تعالى في مثل واحد شبه نزول القرآن بالماء الذي ينزل من السماء وشبه القلوب بالأودية والأنهار فمن استقصى في تدبره وتفكر في معانيه اخذ حظا عظيما منه كانه نهر الكبير الذي يأخذ الماء الكثير ومن رضي بها اذاه إلى التصديق بالحق على الجملة كان اقل خطأ منه كانه نهر الصغير فهذا مثل من شبه الحطرات وسوس الشيطان بالزبد يعلو على الماء وذلك من خبث التربة لا عين الماء كذلك ما يقم في النفس من الشكوك فمن ذاتها لا من ذات الحق يقول فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى صفوة الماء كذلك يذهب مخايل الشك هباء باطلا ويبقى الحق فهذا مثل ثان والمثل الثالث قوله وما توقدون عليه في النار إلى آخره فالكفر مثل هذا الخبث الذي لا ينتفع به والإيمان مثل الماء الصافي الذي ينتفع به وتم الكلام عند قوله يضرب الله الامثال ثم استأنف بقوله (للذين استجابوا اربهم الحسنی) عن الحسن والبليخي وقيل بل يتصل بما قبله لأن معناه ان الذي يبقى مثل الذين استجابوا اربهم والذي يذهب جفاء مثل الذي لا يستجيب والمراد به للذين استجابوا دعوة الله وآمنوا به وأطاعوه الحسنی وهي الجنة عن الحسن والجبائي وقيل معناه الغصلة الحسنی والحالة الحسنی وهي صفة الثواب والجنة ايضا عن ابي مسلم (والذين لم يستجيبوا له) أي لله فلم يؤمنوا به (او أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لا فقدوا به) أي جعلوا ذلك فدية أنفسهم من العذاب لم يقبل ذلك منهم (او لك لهم سوء الحساب) قيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان سوء الحساب أخذهم بذنوبهم كلها من دون ان يغفر لهم شيء منها عن ابراهيم النخعي ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث ومن نوقش الحساب عذب فيكون سوء الحساب المناقشة ﴿ والثاني ﴾ هو ان يحاسبوا للتقريب والتوبيخ فالنكافر يحاسب على هذا الوجه والمؤمن يحاسب ليسر بما اعد الله تعالى له عن الجبائي ﴿ والثالث ﴾ هو ان لا يقبل لهم حسنة ولا يغفر لهم سيئة عن الزجاج

الى صانع غير مصنوع والا ادى الى ما لا يتناهى وان للعالم مدبرا لا يشبهه والعهد الشرعي ما أخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المؤمنين من الميثاق الموكد باليمين ان يطيعوه ولا يعصوه ولا يرجعوا عما التزموه من اوامر شرعه ونواهيه وانما كرر ذكر الميثاق وان دخل جميع الأوامر والنواهي في لفظ العهد لئلا يظن ظان أن ذلك خاص فيما بين العبد وربّه فأخبر ان ما بينه وبين العباد من الموثيق كذلك في الوجوب واللزوم وقيل انه كرهه تأكيدا (والذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل) قيل المراد به الايمان بجميع الرسل والكتب كما في قوله لا نفرق بين أحد من رسله وقيل هو صلة محمد وموارثه ومعاونته والجهاد معه عن الحسن وقيل هو صلة الرحم عن ابن عباس وروى اصحابنا ان ابا عبد الله (ع) لما حضرته الوفاة قال اعطوا الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين وهو الافطس سبعين دينارا فقالت له أم ولد له أتعطي رجلا حمل عليك بالشفرة فقال لها ويحك أما تقرئين قوله تعالى والذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل الآية وقيل هو ما يلزم من صلة المؤمنين بأن يتواوهم وينصروهم ويذوابعنهم ويدخل فيه صلة الرحم وغير ذلك عن الجبائي وابي مسلم وروى جابر عن ابي جعفر (ع) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بر الوالدين صلة الرحم يهونان الحساب ثم تلا هذه الآية روى محمد بن الفضيل عن موسى بن جعفر الكاظم (ع) في هذه الآية قال صلة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم معلقة بالعرش تقول اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني وهي تجري في كل رحم وروى الوليد بن ابان عن ابي الحسن الرضا (ع) قال قلت له هل على الرجل في مساله سوى الزكاة قال نعم ان ما قال الله والذين يصلون الآية (ويخشون ربهم) اي ويخافون عقاب ربهم في قطعها (ويخافون سوء الحساب) قد بينا ما قيل فيه وروى هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال سوء الحساب ان يحسب عليهم السيئات ولا يحسب لهم الحسنات وهو الاستعصاء وروى حماد بن عثمان عن ابي عبد الله (ع) انه قال لرجل يا فلان مالك ولا أخيك قلت جعلت فداك لي عليه شي فاستقصيت حقي عنه قال ابو عبد الله (ع) اخبرني عن قول الله سبحانه ويخافون سوء الحساب أترأهم خافوا ان يجور عليهم او يظلمهم لا والله ولكن خافوا الاستقصاء والمداقاة (والذين صبروا ابتغاء وجهه ربهم) اي الذين صبروا على القيام بما اوجبه الله عليهم وعلى بلاء الله من الامراض والعقوبة وغير ذلك وعن معاصي الله سبحانه لطلب ثواب الله تعالى لأن ابتغاء وجه الله هو ابتغاء الله ويكون ابتغاء ثوابه تقول العرب في تعظيم الشيء هذا وجه الرأي وهذا نفس الرأي للرأي المعظم فكذلك وجه ربهم هو نفسه المعظم فلا شيء اعظم منه ولا شيء يساويه في العظم وقيل ان ذكر الوجه هنا عبارة عن الاخلاص وترك الرياء (وأقاموا الصلاة) اي أؤدوا بحدودها وقيل داموا على فعلها (وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) اي ظاهرا وباطنا (ويدرون بالحسنة السيئة) اي يدفعون بفعل الطاعة المعصية قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح السيئ من العمل كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لمعاذ بن جبل اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها وقيل معناه يدفعون اساءة من أساء اليهم بالاحسان والغفر ولا يكافئون كقوله سبحانه ادفع بالتي هي احسن السيئة عن قتادة وابن زيد والقتبي قال الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وقيل معناه يدفعون بالتوبة معرة الذنب عن ابن كيسان (أو لئلا) يعني ان هؤلاء الذين هذه صفاتهم (لهم عقبي الدار) اي ثواب الجنة فالدار الجنة وثوابها عقبا التي هي العاقبة المحمودة عن ابن عباس والحسن ثم وصف الدار فقال (جنات عدن) اي بساتين إقامة تدوم ولا تفتى وقيل هي الدرجة العليا وسكانها الشهداء والصديقون عن ابن عباس وقيل هي مدينة في الجنة فيها الأنبياء والأئمة والشهداء عن الضحاك وقيل قصر من ذهب لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد او حاكم عدل عن الحسن وعبدالله ابن عمر ثم بين سبحانه ما يتكامل به سرورهم من اجتماع قلوبهم معهم فقال (يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) اي اولادهم يعني من آمن منهم وصدق بما صدقوا به وذلك ان الله سبحانه جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في أهل من اخاقهم به في الجنة كرامة له كما قال الحقنا بهم ذريتهم عن ابن عباس وبجاهد

(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من ابواب الجنة الثانية وقيل من كل باب من ابواب البر كالصلاة والزكاة والصوم وقيل من ابواب قصورهم وبساتينهم بالتحية من الله سبحانه والتحف والهدايا عن ابن عباس ويقولون (سلام عليكم يا صبرتم) والقول محذوف لدلالة الكلام عليه والسلام والتحية والبخارة منهم بالسلامة والكرامة وانتفاء كل امر تشويه مضره اي سلمكم الله من الاهوال والمكاره بصبركم على شدائد الدنيا ومحنها في طاعة الله تعالى (فنعهم عقبي الدار) اي نعم عاقبة الدار ما انتم فيه من الكرامة

قوله تعالى (٢٥) وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٦) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (٢٧) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا يُبَيِّنُ خَمْسَ آيَاتِ

اللغة

الانابة الرجوع الى الحق بالتوبة انتاب فلان القوم اتاهم مرة بعد مرة ويقال ناب ينوب نوبة اذا رجع مرة بعد مرة وطوبى فعلى من الطيب وهو تأنيث الاطيب ولم يغيروا طوبى بأن يقولوا طيبى كما قالوا ضيزى فقلبوا الواو ياء والضمة كسرة لأن طوبى اسم وضيزى صفة فرقوا بين الاسم والصفة

الاعراب

الذين آمنوا في موضع نصب ردا على من . المعنى يهدي اليه الذين آمنوا والاحرف تنبيهه وابتداء وحسن مآب عطف على طوبى لأن طوبى في موضع رفع

المعنى

لما ذكر سبحانه الذين يوفون بعهد الله ووصفهم بالصفات التي يستحقون بها الجنة عقبه بذكر من هو على خلاف حالهم فقال (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) قد ذكرنا معنى عهد الله وميثاقه وصلة ما أمر الله به أن يوصل (ويفسدون في الأرض) بالدعاء الى غير الله عن ابن عباس وقيل بقتال النبي ^{صلى الله عليه وسلم} والمؤمنين عن الحسن وقيل بالعمل فيها بمعاصي الله والظلم لعباده واخلاب بلاده وهذا مع (أولئك لهم اللعنة) وهي الابعاد من رحمة الله والتباعد من جنته (ولهم سوء الدار) اي عذاب النار والخلود فيها (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) اي يوسع الرزق على من يشاء من عباده بحسب ما يعلم من المصاحبة ويضيقه على آخرين إذا كانت المصاحبة في التضيق (وفرحوا بالحياة الدنيا) اي فرحوا بما أوتوا من حطام الدنيا فرح البطر ونسوا فناءه وبقاء امر الآخرة وتقديره وفرح الذين بسط لهم في الرزق في الحياة الدنيا (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) اي ليست هذه الحياة الدنيا بالاضافة الى الحياة الآخرة الا قليل ذاهب لأن هذه فانية وتلك دائمة باقية عن مجاهد وقيل انه مذكور على وجه التعجب اي عجباً لهم ان فرحوا بالدنيا الفانية وتركوا النعيم الدائم والدنيا في جنب الآخرة متاع لا خطر له ولا بقاء له مثل القدح والقصعة والقدر يتمتع به زماناً ثم ينكسر عن ابن عباس (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه) اي هلا انزل على محمد معجزة من ربه يقترحها ويمجوزانهم لم يتفكروا في الآيات المنزلة فاعتقدوا انه لم ينزل عليه آية ولم يعتدوا بتلك الآيات فقالوا هذا

القول جهلا منهم بها (قل) يا محمد (ان الله يضل من يشاء) عن طريق الجنة بسوء افعاله وعظم معاصيه
 وقدمضى القول في وجوه الاضلال والهدى فلا معنى لاوعادته (ويهدي اليه من ائاب) أي رجع اليه بالطاعة (الذين
 آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) معناه الذين اعترفوا بتوحيد الله على جميع صفاته ونبوة نبيه وقبول ما جاء به
 من عند الله وتسكن قلوبهم بذكر الله وتأنس اليه والذكر حصول المعنى للنفس وقديسمى العلم ذكر او القول
 الذي فيه المعنى الحاضر للنفس ايضا يسمى ذكراً وقد وصف الله المؤمن ههنا بأنه يطمئن قلبه الى ذكر الله ووصفه
 في موضع آخر بأنه اذا ذكر الله وجل قلبه لأن المراد بالأول انه يذكر ثوابه وانعامه وآلاءه التي لا تحصى
 واياديه التي لا تجازى فيسكن اليه وبالتالي انه يذكر عقابه واتقامه فيخافه ويوجل قلبه (الا بذكر الله تطمئن
 القلوب) وهذا حث للعباد على تسكين القلب الى ما وعد الله به من النعيم والثواب والطمأنينة اليه فإن وعده
 سبحانه صادق ولاشيء تطمئن النفس اليه ابلغ من الوعد الصادق وهو اعتراض وقع بين الكلامين اذا كان قوله
 الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله في موضع رفع بالابتداء ويكون قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدلا
 منه وقوله طوبى لهم وحسن مآب جملة في موضع الرفع بانه خبر المبتدأ واذا كان الذين آمنوا الاول في موضع
 نصب على ما تقدم ذكره فيكون الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ مستأنفا وطوبى لهم خبره ومعناه ان الذين
 يؤمنون بالله ويعملون ما يجب عليهم من الطاعات (طوبى لهم) وفيه اقوال **▶▶▶** احدها **▶▶▶** ان معناه فرح
 لهم وقرّة عين عن ابن عباس **▶▶▶** والثاني **▶▶▶** غبطة لهم عن الضحاك **▶▶▶** والثالث **▶▶▶** خير لهم وكرامة
 عن ابراهيم النخعي **▶▶▶** والرابع **▶▶▶** الجنة لهم عن مجاهد **▶▶▶** والخامس **▶▶▶** معناه العيش المطيب لهم
 عن الزجاج والحال المستطابة لهم عن ابن الانباري لأنه فعلى من الطيب وقيل اطيب الاشياء لهم وهو الجنة عن
 الجبائي **▶▶▶** والسادس **▶▶▶** هنيئا بطيب العيش لهم **▶▶▶** السابع **▶▶▶** حسنى لهم عن قتادة **▶▶▶** الثامن **▶▶▶**
 نعم ما لهم عن عكرمة **▶▶▶** التاسع **▶▶▶** طوبى لهم دوام الخير لهم **▶▶▶** العاشر **▶▶▶** ان طوبى شجرة في الجنة
 اصلها في دار النبي **ﷺ** وفي دار كل مؤمن منها غضن عن عبيد بن عمير ووهب وابي هريرة وشهر بن حوشب
 ورواه عن ابي سعيد الخدري مرفوعا وهو المروي عن ابي جعفر (ع) قال لو ان راكبا مجدا سار في ظلها مائة
 عام ما خرج منها ولو ان غرابا طار من اصلها ما بلغ اعلاها حتى يبيض هرما الا في هذا فارغبوا ان المؤمن نفسه
 منه في شغل والناس منه في راحة اذا جن عليه الليل فرش وجهه وسجد لله يناجي الذي خلقه في فكك رقبته
 الا فهكذا فكونوا وروى علي بن ابراهيم عن ابيه عن الحسن بن محبوب عن علي بن رئاب عن ابي عبيدة
 الخذاء عن ابي عبد الله (ع) كان رسول الله **ﷺ** يكثر تقبيل فاطمة (ع) فأنكرت عليه بعض نساء ذلك
 فقال **ﷺ** إنه لما اسري بي الى السماء دخلت الجنة وأدناني جبرائيل (ع) من شجرة طوبى وناولني منها تفاحة
 فأكلتها فحول الله ذلك في ظهري ماء فهبطت الى الأرض وواقعت خديجة فحملت بفاطمة فكلما اشتقت الى
 الجنة قبلتها وما قبلتها الا وجدت رائحة شجرة طوبى فهي حوراء انسية وروى الثعلبي باسناده عن الكلبي عن ابي
 صالح عن ابن عباس قال طوبى شجرة اصلها في دار علي (ع) في الجنة وفي دار كل مؤمن منها غضن ورواه
 ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده عن موسى بن جعفر (ع) عن ابيه
 عن آبائه (ع) قال سئل رسول الله **ﷺ** عن طوبى قال شجرة اصلها في داري وفرعها على اهل الجنة ثم
 سئل عنها مرة أخرى فقال في دار علي (ع) فقيل في ذلك فقال ان داري ودار علي في الجنة بمكان واحد
 (وحسن مآب) اي لهم حسن مآب اي مرجع

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر الآية بما قبله انه بين ان نقضهم للعهد انما كان لحب الرئاسة

والمناصفة في الدنيا وزهدهم في المناصفة وأخبر بأنه يبسط الرزق لمن يرى صلاحه فيه ويرزق مقدار الكفاية من علم ان صلاحه فيه ثم لما ذكر سبحانه سوء عاقبة الكفار عقب ذلك بذكر ما اقترحوه من الآيات وترك تفكيرهم فيما أنزل من الآيات الخارقة للعادات فقال ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ولما استعجلوا العذاب بين سبحانه أنه يضل من يشاء أي يهلك من يشاء معجلا ويؤخر عذاب من يشاء عن أبي مسلم قال والمراد بقوله آية آيات العذاب وقيل انهم لما اقترحوها الآيات بين انهم انما لم يجابوا الى ذلك لأن في المعلوم انهم لا يؤمنون وأنه يهلكهم

قوله تعالى (٣٠) كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ (٣١) وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمَوْتَى بَلِ اللَّهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِشِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا نُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ آيَاتُ

✽ القراءة ✽

قرأ علي وابن عباس وعلي بن الحسين (ع) وزيد بن علي وجعفر بن محمد وابن أبي مليكة وعكرمة والجدري وابو يزيد المزني فلم يتبين والقراءة المشهورة بياأس

-(الحجة) -

قال ابن جني هذه القراءة فيها تفسير قوله أفلم يباأس الذين آمنوا وروي عن علي بن عياش انها لغة فخذ من النخع قال

ألم يباأس الأقسام اني انا ابنه
وان كنت عن أرض العشييرة نائبا
وقال سحيم بن وثيل

أقول لأهل الشعب اذ يأسروني
ألم يباأسوا اني ابن فارس زهدم

وروي اذ ييسروني اي بقسموني اي ألم يعلموا قال وبشبه عندي ان يكون هذا ايضا راجعا الى معنى الباس وذلك ان التأمل للشي المتطلب لعلمه ذاهب بفكره في جهات تعرفه إياه فإذا ثبت نفسه على شيء اعتقده واضرب عما سواه فلم ينصرف اليه كما ينصرف اليأس عن الشيء عنه ولا يلتفت اليه هذا طريق الصنعة فيها

✽ اللغة ✽

المتاب التوبة تاب بنوب توبا و. تابا والتوبة الفعل الواحدة والسيير تصيير الشيء بحيث يسير يقال سار يسير سيرا وسيره غيره والتقطيع تكثير القطع والقطع تفصيل المتصل والحلول حصول الشيء في الشيء كحصول العرض في الجوهر وحصول الجوهر في الوعاء والأصل الأول والثاني مشبه به والقارة الشديدة من شدائد الدهر ومنه سميت القيامة قارعة واصله من القرع وهو الضرب ومقارعة الابطال ضرب بعضهم بعضا وقوارع القرآن الآيات التي من قرأها أمن من الشيطان كأنها تضرب الشياطين اذا قرئت

✽ النزول ✽

نزلت الآية الأولى في صلح الحديبية حين أرادوا كتاب الصلح فقال رسول الله ﷺ لعلي (ع) اكتب

بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو والمشر كون ما نعرف الرحمن الا صاحب البعثة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا كان أهل الجاهلية يكتبون ثم قال رسول الله ﷺ اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال مشر كو قريش لئن كنت رسول الله ثم قاتلتك وصددناك لقد ظلمناك ولكن اكتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله فقال اصحاب رسول الله ﷺ دعنا نقاتلهم قال لا ولكن اكتبوا كما يريدون فأنزل الله عز وجل كذلك أرسلناك في أمة الآفة عن قتادة ومقاتل وابن جريج وقيل نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن عن الضحاك عن ابن عباس ونزلت الآية الأخرى في نفر من مشركي مكة منهم ابو جهل بن هشام وعبد الله بن ابي أمية المخزومي جلسوا خلف الكعبة ثم ارسلوا الى النبي ﷺ فأتاهم فقال له عبد الله بن أمية إن شرك ان تبك فسير لنا جبال مكة بالقرآن فأذهبها عنا حتى تنفسخ فإنها ارض ضيقة واجعل لنا فيها عيونا وانهارا حتى نفرس ونزرع فلست كما زعمت اهون على ربك من داود (ع) حيث سخر له الجبال تسبح معه او سخر لنا الريح فتركبها الى الشام فنقضي عليها مسيرتنا وحوالجنا ثم نرجع من يومنا فقد كان سليمان سخرت له الريح فكما زعمت لنا فلست اهون على ربك من سليمان واحي لنا جدك قصيا او من شئت من موتانا لنسأله أحق ما تقول أم باطل فإن عيسى (ع) كان يمحي الموتى ولست بأهون على الله منه فأنزل الله سبحانه ولو ان قرآنا الآية

✽ المعنى ✽

لما ذكر سبحانه النعمة على من تقدم ذكره بالثواب وحسن المآب عقبه بذكر النعمة على من أرسل اليه النبي ﷺ فقال (كذلك أرسلناك) اي كما انعمنا على المذكورين بالثواب في الجنة انعمنا على المرسل اليهم بأرسالك وقيل ان معنى التشبيه انا كما أرسلنا الانبياء في الأمم قبلك أرسلناك (في أمة قد خلت من قبلها أمة) اي في جماعة قد مضت من قبلها قرون وجماعات (لنتلوا عليهم الذي اوحينا اليك) بين الغرض في ارساله وهو ان يقرأ عليهم القرآن ليتدبروا آياته ويتعظوا بها (وهم يكفرون بالرحمن) اي وقريش يكفرون بالرحمن اي ويقولون قد عرفنا الله ولا ندري ما الرحمن كما اخبر عنهم بأنهم قالوا وما الرحمن انسجدلما تأمرنا عن الحسن وقتادة وقيل معناه انهم يتحدثون بالوحداينة (قل) يا محمد (هو ربي) اي الرحمن الذي انكروتموه ربي اي خالقي ومدبري (لا إله إلا هو عليه توكلت) اي اليه فوضت امري متمسكا بطاعته راضيا بحكمه (واليه متاب) اي مرجعي وقيل معناه الى الرحمن توبي (ولو ان قرآنا سيرت به الجبال) اي تجعل به الجبال سائرة فأذهبت من مواضعها وقلعت من أماكنها (او قطعت به الأرض) او شقت فجعلت انهارا وعيونا (او كلم به الموتى) او احيي به الموتى حتى يعيشوا ويتكلموا وحذف جواب لولأن في الكلام دليلا عليه والتقدير لكان هذا القرآن لعظم محله وعلو امره وجلالة قدره قال الزجاج والذي اتوهم وقد قاله بعضهم ان المعنى لو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الأرض او كلم به الموتى لما آمنوا ودليله قوله ولو انزلنا اليهم الملائكة الى قوله ما كانوا ليؤمنوا وحذف جواب لو يكثُر في الكلام قال امرؤ القيس

فلو انها نفس تموت سوية

ولكنها نفس تساقط انفسا

وهو آخر القصيدة وقال

وجدك لو شيء أانا رسوله

سواك ولكن لم نجدك مدفعا

(بل لله الأمر جميعا) معناه ان جميع ما ذكر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض واحياء الموتى وكل تدبير يجري هذا المجرى لله لأنه لا يملكه سواه ولا يقدر عليه غيره ولكنه لا يفعل لأن فيما أنزل من الآيات مقننا وكفاية للمنصفين والأمر ما يصح ان يؤمر به وينهى عنه وهو عام وأصله الأمر تقيض النهي (أفلم يئأس الذين

آمنوا) أي أفلم يعلموا ويتبينوا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وإبي مسلم وقيل معناه أفلم يعلم الذين آمنوا علماً يباسوا معه من أن يكون غير ما علموه عن الفراء وقيل معناه أفلم يباس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله عز وجل بأنهم لا يؤمنون عن الزجاج قال لأنه قال (ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً) أي ان الله لو أراد ان يهدي الخلق كلهم الى جنته لهداهم لكنه كفهم لينالوا الثواب بطاعتهم على وجه الاستحقاق وقيل أراد به مشيئة الاجراء أي لو أراد ان يبلجهم إلى الاهتداء لقدرة على ذلك لكنه بنافي التكليف ويبطل الغرض به (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم واعمالهم الخبيثة (قارعة) أي نازلة وداهية تقرعهم ومصيبة شديدة من الحرب والجذب والقتل والامر عليهم على جهة العقوبة للتنبيه والزجر وقيل أراد بالقارعة سرايا النبي ﷺ كانت يبعثها اليهم وقيل أراد بذلك ما مر ذكره من حديث زيد وعامر (أو تحل قريباً) من دارهم وقيل ان التاء في تحل للتأنيث والمعنى أو تحل تلك القارعة قريباً من دارهم فتجاوزهم حتى يحصل لهم المخافة منه عن الحسن وقتادة وإبي مسلم والجبائي وقيل ان التاء للخطاب والمعنى أو تحل انت يا محمد بنفسك قريباً من دارهم (حتى يأتي وعد الله) أي ما وعد الله من فتح مكة عن ابن عباس قال وهذه الآية مدنية وقيل حتى يأتي يوم القيامة عن الحسن (ان الله لا يخلف الميعاد) ظاهر المعنى

﴿ النظم ﴾

اتصلت الآية الأخيرة بقوله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه والتقدير ان مثل هذا القرآن أنزل عليهم وهم يطلبون آيات اخر عن الجبائي وقيل اتصلت بقوله كذلك أرسلناك الآية لأن المفهوم من قوله لتتلو عليهم انه قرأ عليهم القرآن وانهم كفروا به

قوله تعالى (٣٢) وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَاَمَلَتْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ اخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٣) اَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبُ سَمُومٌ اَمْ تَنْبِئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْاَرْضِ اَمْ بِيْظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٤) لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْاٰخِرَةِ اَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ اَللّٰهِ مِنْ وَاْقٍ

ثلاث آيات

= (القراءة) =

قرأ أهل الكوفة ويعقوب وصدوا بضم الصاد وكذلك في حم المؤمن والباقون وصدوا بفتح الصاد

— الحجة —

قال ابو الحسن صد وصدته مثل رجع ورجعته قال

صدت كما صد عمالا يحل له ساقى نصارى قبيل الفصح صوام

قال عمرو بن كلثوم

صدت الكأس عنا ام عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا

وحجة من اسند الفعل إلى الفاعل قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وفي موضع آخر وصدون عن سبيل الله وصدوكم عن المسجد الحرام فلما اسند الفعل إلى الفاعل في هذه الآية فكذلك في هذه الآية أي صدوا الناس عن النبي ﷺ ومن بنى الفعل للمفعول به جعل فاعل الصد غواتهم والعناة منهم في كفرهم وقد يكون على نحو ما يقال صد

فلان عن الخير وصد عنه بمعنى انه لم يفعل خيراً ولا يراد به ان مانعاً منه

✽ اللغة ✽

الاستهزاء طلب المزو والمزو اظهار خلاف الاضمار للاستصغار والاملاء التأخير وهو من الملاوة والملاوان الليل والنهار قال ابن مقبل

ألا يا ديار الحي بالسبعان الح عليها باليلي الملوان
وقال في التهينة البس جديداً وتمل حبيباً أي لتطل أيامك معه والواقي المانع فاعل من الوقاية وهو الحجر بما يدفع الأذى والمكروه

✽ المعنى ✽

ثم عزى سبحانه نبيه ^{صلى الله عليه وسلم} فقال (ولقد استهزى برسل من قبلك) كما استهزأ هؤلاء بك (فألميت للذين كفروا) أي فأمهلتهم وأطلت مدتهم ليتوبوا ولتم عليهم الحجة (ثم أخذتهم) أي أهلكتهم وأنزلت عليهم عذابي (فكيف كان عقاب) أي فكيف حل عقابي بهم وهو إشارة إلى تفخيم ذلك العقاب وتعظيمه ثم عاد سبحانه إلى الحجاج مع الكفار (أمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) معناه أمن هو قائم بالتدبير على كل قس وحافظ على كل قس اعمالها يجازيها وقيل أمن هو قائم عليها يرزقها وحفظها والدفع عنها كمن ليس بهذه الصفات من الأصنام التي لا تنفع ولا تضر وبدل على هذا المحذوف قوله (وجعلوا لله شركاء) يعني ان هؤلاء الكفار جعلوا لله شركاء في العبادة من الأصنام التي لا تقدر على شيء مما ذكرنا (قل) يا محمد (سموم) أي سموم بما يستحقون من الصفات وازافة الأفعال اليهم ان كانوا شركاء لله كما يوصف الله بالخالق والرازق والمحيي والمميت ويعود المعنى إلى ان الضم لو كان إلهاً لتصور منه ان يخلق الرزق فيحسن حينئذ أن يسمي بالخالق والرازق وقيل سموم بالأسماء التي هي صفاتهم ثم انظروا هل تدل صفاتهم على جواز عباداتهم واتخاذهم آلهة وقيل معناه انه ليس لهم اسم له مدخل في استحقاق الإلهية وذلك استحقاق لهم وقيل سموم ماذا خلقوا وهمل ضرروا أو قعوا وهو مثل قوله أروني ماذا خلقوا من الأرض عن الحسن (أم تنبتونه بما لا يعلم في الأرض) هذا استفهام منقطع بما قبله أي بل أتخبرون الله بشريك له في الأرض وهو لا يعلمه على معنى انه ليس ولو كان لعلم (أم بظاهر من القول) أي أم تقولون مجازاً من القول وباطلاً لا حقيقة له عن مجاهد وقتادة والضحاك وعلى هذا فالمعنى انه كلام ظاهر ليس له في الحقيقة باطن ومعنى فهو كلام فقط وقيل أم بظاهر كتاب انزل الله تعالى سميتم الأصنام آلهة فبين انه ليس هاهنا دليل عقلي ولا سمعي بوجوب استحقاق الأصنام الإلهية عن الجبائي ثم بين سبحانه بطلان قولهم فقال (بل زين للذين كفروا مكرهم) أي دع ذكر ما كنا فيه زين الشيطان لهم الكفر لأن مكرهم بالرسول كفر منهم عن ابن عباس وقيل بل زين لهم الرؤساء والنواة كذبهم وزورهم (وصدوا عن السبيل) أي وصدوا الناس عن الحق أو صدوا بأنفسهم عن الحق وعن دين الله (ومن يضل الله فما له من هاد) سبق معناه في مواضع (لهم عذاب في الحياة الدنيا) بالقتل والسبي والأمر وقيل بالمصائب والأمراض (ولعذاب الآخرة أشق) أي أغلظ وأبلغ في الشدة على النفس لدوامه وخلوصه وكثرته (وما لهم من الله من واق) أي ما لهم من دافع يدفع عنهم عذاب الله تعالى

قوله تعالى (٣٥) مثل الجنة التي وعد المتقون تجرّية من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار (٣٦) والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به

إِلَيْهِ أَذْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٍ (٣٧) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَنْ يُتَّبِعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ
مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وِيٍّ وَلَا وَاقٍ ثلاث آيات

= اللغة =

الأنهار جمع نهر ونهر كفرد وافراد وجمل واجمال والنهر المجري الواسع من مجاري الماء على وجه الأرض
واصله الاتساع ومنه النهار لاتساع الضياء فيه وانهرت الدماء وسعت مجراها وقال « ملكت بها كفي فانهرت فنتقها »
أي وسعته والأكل بضم الهمزة المأكول والأحزاب جمع الحزب وهم الجماعة التي تقوم بالنائبه يقال تحزب القوم
إذا صاروا حزبا وحزبهم الأسماء يحزبهم أي نالهم بمكروه

* الاعراب *

مثل الجنة التي فيه اقوال * أحدها * انه بمعنى الشبه وخبره محذوف وتقديره مثل الجنة التي هي كذا اجل
مثل * والثاني * ان تقديره فيما نقص عليكم مثل الجنة أو مثل الجنة فيما نقص عليكم فهو مرفوع أيضا على الابتداء
وخبره محذوف وهو قول سيبويه واختاره ابو علي الفارسي * والثالث * ان معناه صفة الجنة التي وعد المتقون
تجري من تحتها الأنهار فتجري من تحتها الأنهار مع ما بعده خبر المبتدأ الذي هو مثل الجنة قالوا وقوله سبحانه
ولله المثل الأعلى معناه الصفة العليا ولم يرتض ابو علي هذا القول

* المعنى *

لما تقدم ذكر ما اعد الله للكافرين عقبه سبحانه بذكر ما اعد للمؤمنين فقال (مثل الجنة التي وعد المتقون)
أي شبهها عن مقاتل وقيل صفتها وصورتها عن الحسن قال ابن قتيبة المثل الشبه في أصل اللغة ثم قد بصير بمعنى
صورة الشيء وصفته يقال مثلت لك كذا أي صورته ووصفته وقيل ان مثل مقحم والتقدير الجنة التي وعد
المتقون (تجري من تحتها الأنهار) أي كذا دائما (يعني ان ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا وظلها لا يزول ولا تنسخه
الشمس عن الحسن وقيل معناه نعيمها لا ينقطع بموت ولا آفة عن ابن عباس وقيل لذتها في الافواه باقية عن
ابراهيم التيمي (وظلها) ايضا دائما لا يكون مرة شمسا ومرة ظلا كما يكون في الدنيا (تلك عيسى الذين
اتقوا) أي تلك الجنة عاقبة المتقين فالطريق اليها التقوى (وعيسى الكافرين النار) أي وعاقبة أمر الكفار
النار ولما تقدم ذكر الوعد والوعيد اخبر سبحانه عن المتقين والكافرين فقال (والذين آتيناهم الكتاب بفرحون
بما أنزل اليك) يريد اصحاب النبي ﷺ الذين آمنوا به وصدقوه اعطوا القرآن وفرحوا بانزاله (ومن الأحزاب
من ينكر بعضه) يعني اليهود والنصارى والمجوس انكروا بعض معانيه وما يخالف احكامهم عن الحسن وفتادة
ومجاهد وقيل الذين آتيناهم الكتاب هم الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه فرحوا بالقرآن
لأنهم يصدقون به والاحزاب بقية أهل الكتاب وسائر المشركين عن ابن عباس قال لأن عبد الله بن سلام
واصحابه أساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فأنزل الله قبل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن فرحوا بذلك وكفر المشركون بالرحمن وقالوا ما نعرف الرحمن إلا الرحمن بالجماعة ويريد بالأحزاب الذين
تحزبوا على رسول الله ﷺ بالمعاداة ومن ينكر بعضه يعني ذكر الرحمن وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن
(قل) يا محمد (إنما أمرت ان اعبد الله ولا اشرك به) أي أسرت ان اوجه عبادتي إلى الله ولا اشرك به في عبادته
أحدًا (اليه ادعوا) يعني إلى الله أو إلى الاقرار بتوحيده وصفاته وتوجيه العبادة اليه وحده ادعوا (واليه متاب)
أي اليه مرجعي ومصيري أي أرجع واصير إلى حيث لا يملك الضر والنفع إلا هو وحده فإنه لا يملك يوم القيامة
الأمر أحدًا من عباده كما ملكهم في الدنيا (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) أي كما أنزلنا الكتاب إلى من تقدم

من الأنبياء بلسانهم انزلنا اليك حكمة عربية اي جارية على مذاهب العرب في كلامهم يعني القرآن فالحكم هاهنا بمعنى الحكمة كما في قوله وآتيناه الحكم والنبوة وقيل إنما ساء حكماً لما فيه من الأحكام في بيان الحلال والحرام وساء عربياً لأنه أتى به نبي عربي (ولئن اتبعت أهواءهم) خطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة اي لئن وافقت وطلبت أهواء الذين كفروا والأهواء جمع الهوى وهو ميل الطباع إلى شيء بالشهوة (بعد ما جاءك من العلم بالله تعالى لأن ما آتيناك من الدلالات والمعجزات موجب للعلم الذي يزول معه الشبهات) (مالك من الله من ولي) أي ناصر بعينك عليه ويمنعك من عذابه (ولا واق) بقيق منه من ولي في موضع رفع ومن مزيدة

قوله تعالى (٣٨) ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذريةً وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب (٣٩) يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب (٤٠) وإن مانر ينك بعض الذي نعدهم أو توفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب

ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أهل البصرة وابن كثير وعاصم يثبت بالتخفيف وقرأ الباقون يثبت بالشديد

✽ الحجة ✽

قال ابو علي المعنى يمحو ما يشاء ويثبت فاستغني بتعدية الأول من الفعلين عن تعدية الثاني ومثل ذلك والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات وزعم سيبويه ان العرب من يعمل الأول من الفعلين ولا يعمل الثاني في شيء من كلامهم كقولهم متى رأيت أو قلت زيداً منطلقاً قال الكهيت

بأي كتاب أم بأية سنة ترى حبهام عاراً علي وتحسب

فلم يعمل الثاني وهذا والله اعلم فيما يحتمل النسخ والتبديل من الشرائع الموقوفة على المصالح على حسب الاوقات فأما غير ذلك فلا يمحو ولا يبدل وحجة من قال يثبت قوله واشد تثبيتاً وحجة من قرأ يثبت ما روي عن عائشة كان رسول الله ﷺ إذا صلى صلاة اثبتها وقوله ثابت لأن ثبت مطاوع اثبت

= النزول =

قال ابن عباس عيروا رسول الله ﷺ بكثرة تزويج النساء وقالوا لو كان نبياً لشغلته النبوة عن تزويج النساء فنزلت الآية ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك

✽ المعنى ✽

(ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك) يا محمد (وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) أي نساء وأولاداً أكثر من نساءك وأولادك وكان لسليمان (ع) ثلاث مائة امرأة مهيبة وسبع مائة مربية ولدواود (ع) مائة امرأة عن ابن عباس أي فلا ينبغي أي يستنكر منك ان تزوج ويولد لك وروي ان ابا عبد الله (ع) قرأ هذه الآية ثم اومى إلى صدره فقال نحن والله ذرية رسول الله ﷺ (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) أي لم يكن لرسول يرسله الله ان يجيء بآية ودلالة إلا بعد ان يأذن الله في ذلك ويطلق له فيه (لكل أجل كتاب) ذكر فيه وجوه ✽ احدها ✽ ان معناه لكل اجل مقدر كتاب اثبت فيه ولا تكون آية إلا بأجل قد قضاء الله في كتابه على وجه ما يوجبه التدبير فالآية التي اقترحوها لها وقت اجله الله لا على شهواتهم واقتراحتهم عن البلخي ✽ والثاني ✽ لكل أمر قضاء الله كتاب كتبه فيه فهو عنده كأجل الحياة والموت وغير ذلك عن ابي علي الجبائي ✽ والثالث ✽

انه من المقلوب والمعنى لكل كتاب ينزل من السماء أجل ينزل فيه عن ابن عباس والضحاك ومعناه لكل كتاب وقت يعمل به فالتوراة وقت وللانجيل وقت وكذلك القرآن (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب) قيل في المحو والاثبات أقوال **١** احدها **٢** ان ذلك في الاحكام من الناسخ والمنسوخ عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وابن جريج وهو اختيار ابي علي الفارسي **٣** والثاني **٤** انه يمحو من كتاب الحفظ المباحات وما لا جزاء فيه ويثبت ما فيه الجزاء من الطاعات والمعاصي عن الحسن والكلبسي والضحاك عن ابن عباس والجبائي **٥** والثالث **٦** انه يمحو ما يشاء من ذنوب المؤمنين فضلا فيسقط عقابها ويثبت ذنوب من يريد عقابه عدلا عن سعيد بن جبير **٧** الرابع **٨** انه عام في كل شيء فيمحو من الرزق ويزيد فيه ومن الاجل ويمحو السعادة والشقاوة ويثبتها عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وابي وائل وقتادة وأم الكتاب أصل الكتاب الذي اثبت فيه الحادثات والكائنات وروى ابو قلابة عن ابن مسعود أنه كان يقول اللهم ان كنت كتبتني في الأشقياء فامحني من الأشقياء واثبتني في السعداء فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب وروى مثل ذلك عن أئمتنا (ع) في دعواتهم الماثورة وروى عكرمة عن ابن عباس قال هما كتابان كتاب سوى أم الكتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت وأم الكتاب لا يغير منه شيء ورواه عمران بن حصين عن النبي **٩** وروى محمد بن مسلم عن ابي جعفر قال سألته عن ليلة القدر فقال ينزل الله فيها الملائكة والكتب إلى السماء الدنيا فيكتبون ما يكون من أمر السنة وما يصيب العباد وأمر ما عنده موقوف له فيه المشيئة فيقدم منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويمحو ويثبت وعنده أم الكتاب وروى الفضيل قال سمعت ابا جعفر (ع) يقول العلم علمان علم علمه ملائكته ورسله وانبياءه وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحد يحدث فيه ما يشاء وروى زرارة عن حمران عن ابي عبد الله (ع) قال هما امران موقوف ومحتوم فما كان من محتوم امضاء وما كان من موقوف فله فيه المشيئة يقضي فيه ما يشاء **١٠** والخامس **١١** انه في مثل تقدير الارزاق والمحن والمصائب يثبت في أم الكتاب ثم يزيله بالدعاء والصدقة وفيه حث على الانقطاع اليه سبحانه **١٢** والسادس **١٣** انه يمحو بالتوبة جميع الذنوب ويثبت بدل الذنوب حسنات يبيته قوله إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات عن عكرمة **١٤** والسابع **١٥** انه يمحو ما يشاء من القرون ويثبت ما يشاء منها كقوله ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين وقوله كم اهلكنا قبلهم من القرون وروى ذلك عن علي (ع) **١٦** والثامن **١٧** انه يمحو ما يشاء يعني القمر ويثبت يعني الشمس ويأنه فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة عن السدي وأم الكتاب هو اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل لأن الكتب المنزلة اتسخت منه فالمحو والاثبات إنما يقع في الكتب المنتسخة لا في أصل الكتاب عن أكثر المفسرين وقيل ان ابن عباس سأل كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون فقال لعلمه كن كتابا فكان كتابا وقيل هما سني أم الكتاب لأنه الأصل الذي كتب فيه أولا سيكون كذا وكذا لكل ما يكون فإذا وقع كتب انه قد كان ما قيل انه سيكون والوجه في ذلك ما فيه من المصلحة والاعتبار لمن تفكر فيه من الملائكة الذين يشاهدونه اذا قابلوا ما يكون بما هو مكتوب فيه وعلموا ان ما يحدث على كثرته قد احصاه الله تعالى وعلمه قبل ان يكون مع ان ذلك اهل في الصدور وأعظم في النفوس حتى كان من تصور وفكر فيه شاهدا له (واما نريك) يا محمد (بعض الذي نعدم) اي نعد هو الكفار من نصر المؤمنين عليهم بتمكينك منهم بالقتل والأسر واغتنام الأموال (وتوفيتك) اي وتقبضتك البنا قبل ان نريك ذلك وبين بهذا انه يكون بعض ذلك في حياته وبعضه بعد وفاته اي فلا تنتظر ان يكون جميع ذلك في أيام حياتك وان يكون مما لا بد ان تراه (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) اي عليك ان تبلغهم ما ارسلناك به اليهم وتقول بما أمرناك بالقيام به وعلينا حسابهم ومجازاتهم والانتقام منهم إما عاجلا وإما آجلا وفي هذه دلالة على ان الاسلام سيظهر على سائر

الادبان ويبطل الشرك في أيامه وبعد وفاته وقد وقع المخبر به على وفق الخبر

✽ النظم ✽

اتصلت الآية الأولى بما تقدمها من قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه فيبين سبحانه أنه بشر كما أن الرسل الذين كانوا قبله كانوا بشرا والبشر لا يقدر على الآيات بل إنما يأتي الله سبحانه بها إذا اقتضت المصلحة ذلك عن أبي مسلم وقيل أنه لما تقدم ذكر إرساله بين سبحانه أنه أرسل قبله بشرا كما أرسله فحالته مثل حالهم عن القاضي وإنما اتصلت الآية الثانية بقوله لكل أجل كتاب لأن الظاهر اقتضى أن يكون كل مكتوب لا يجوز محوه فيبين سبحانه أنه يحوم ما يشاء وثبت لثلاث يتوهم أن المعصية مثبتة مع التوبة كما أنها كذلك قبل التوبة عن علي ابن عيسى وقيل لما نزلت وما كانت لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله قالت قريش ما نراك يا محمد تملك شيئا فلقد فرغ من الأمر فانزل هذه الآية تخويفاً ووعيدا لهم أن لو شئنا أحدثنا من أمرنا ما شئنا ونمحو ونثبت في ليلة القدر ما نشاء من أرزاق الناس ومصائبهم عن مجاهد وإنما اتصل قوله وأما نرينك الآية بما قبله من وعيد الله بالعذاب فيبين سبحانه أنه يفعل ذلك لا محالة أما في حياته أو بعد وفاته بشارته له وقيل أنه لما تقدم أن لكل أجل كتابا بين أن لعذابهم وقتا سيفعله فيه لا محالة أما في حياته أو بعد وفاته

قوله تعالى (٤١) أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سرير الحساب (٤٢) وقد مكر الذين من قبلهم فليله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار (٤٣) ويقول الذين كفروا لست مرسلًا قُل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ثلاث آيات = (القراءة) =

قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وسيعلم الكافر على لفظ الواحد والباقون الكفار على الجمع وفي الشواذ قراءة النبي ﷺ وعلي وابن عباس وسعيد بن جبيرة وعكرمة وابن أبي إسحاق والضحاك والحكم بن عتيبة ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والبدال وقراءة علي والحسن وابن السميع ومن عنده علم الكتاب

✽ الحجة ✽

قال أبو علي العلم في قوله وسيعلم الكافر هو المتعدي إلى مفعولين بدلالة تعليقه ووقوع الاستفهام بعده تقول علمت لمن الغلام فتعلقه مع الجار كما تعلقه مع غيره في نحو نسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار وموضع الجار مع المجرور نصب من حيث سد الكلام الذي هو فيه مسد المفعولين لا من حيث حكمت في نحو مررت بزيدبان موضعه نصب ولكن اللام الجارة كانت متعلقة في الأصل بفعل فكان مثل علمت بمن تمر في أن الجار يتعلق بالمرور والجملة التي هي منها في موضع نصب وقد علق الفعل عنها فاما من قرأ الكافر فإنه جعل الكافر اسما شائعا كالإنسان في قوله أن الإنسان لفي خسر وزعموا أن لا الف فيه وهذا الحذف إنما يقع في كل فاعل نحو خالد وصالح ولا يكاد الحذف في فعال وزعموا أن في بعض الحروف وسيعلم الذين كفروا فهذا بقوي الجمع قد جاء فاعل يراد به اسم الجنس أشد أبو زيد

ان تبخلى يا جمل او تعتلى وتصبحي في الظاعن المولى

فهذا إنما يكون في الكسرة وليس المراد على كل كافر واحد والجمع الذي هو الكفار المراد في الآية لا اشكال فيه فأما من قرأ ومن عنده علم الكتاب فمعناه ومن فضله ولطفه أم الكتاب ومن قرأ من عنده علم الكتاب

فالغنى مثل ذلك الا ان الجار ههنا بتعلق بعلم وفي الاول بمحذوف وعلم الكتاب مبتدأ ومرفوع بالظرف على ما تقدم ذكره في قوله ومنهم اميون

✽ اللغة ✽

النقص اخذ الشيء من الجملة ثم يستعمل في نقصان المنزلة والطرف منتهى الشيء وهو موضع من الشيء ليس وراءه ما هو منه واطراف الارض نواحيها والتعقيب رد الشيء بعد فصله ومنه عقب العقاب على صيده اذا رد الكرور عليه بعد فصله عنه ومنه قول لبيد «طلب المعقب حقه المظلوم» والمكر الفتل عن البغية بطريق الخيلة والشهيد والشاهد واحد الا ان في شهيد مبالغة والشهادة البينة على صحة المعنى من طريق المشاهدة

✽ الاعراب ✽

نقصها من اطرافها جملة منصوبة والموضع على الحال وكذلك قوله لا معقب لحكمه والباء في قوله كفى بالله زائدة قال علي بن عيسى دخلت لتحقيق الاضافة من وجهين جهة الفاعل وجهة حرف الاضافة وذلك ان الفعل لما جاز ان يضاف الى غير فاعله بمعنى انه امر به ازيل هذا الاحتمال بهذا التأكيد ونظيره في تأكيد الاضافة قوله لما خلقت بيدي

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه ما يكون الكفار كاليثينة على الاعتبار فقال (اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها) اي ننقصها (من اطرافها) واختلف في معناه على اقوال ✽ احدها ✽ اولم ير هؤلاء الكفار انا ننقص اطراف الارض بايمامة اهلها ومجاوزه نقص اهلها من اطرافها كقوله واسأل القرية اي افلا يخافون ان تفعل مثل ذلك بهم عن ابن عباس وقنادة وعكرمة ✽ وثانيها ✽ ننقصها بذهاب علمائها وفقهائها وخيار اهلها عن عطاء ومجاهد والبخاري وروي نحو ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعن ابي عبد الله (ع) قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلثة في الاسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار ✽ وثالثها ✽ ان المراد تقصد الارض ننقصها من اطرافها بالفتوح على المسلمين معناه فننقص من اهل الكفر ونزيد في المسلمين يعني ما دخل في الاسلام من بلاد الشرك عن الحسن والضحاك ومقاتل قال الضحاك اولم ير اهل مكة انا نفتح لمحمد ﷺ ما حولها من القرى وقال الزجاج علم الله تعالى ان بيان ما وعد المشركون من قهرهم قد ظهر اي افلا يخافون ان تفتح لمحمد ارضهم كما فتحنا له غيرها وقد روي ذلك ايضا عن ابن عباس قال القاضي وهذا القول اصح لانه يتصل بما وعده من اظهار دينه ونصرته ✽ ورابعها ✽ ان معناه اولم يروا ما يحدث في الدنيا من الخراب بعد العمارة والموت بعد الحياة والنقصان بعد الزيادة عن الجبائي (والله يحكم) اي يفصل الامر لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه عن ابن عباس ومعناه لا يعقب احد حكمه بالرد والنقض (وهو سريع الحساب) اي سريع المجازاة على افعال العباد على الطاعات بالثواب وعلى المعاصي بالعقاب ثم بين سبحانه ان مكرهم بضمحل عند نزول العذاب بهم فقال (وقد مكر الذين من قبلهم) يريد ان الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء قد مكروا بالمؤمنين واحتالوا في كفرهم ودبروا في تكذيب الرسل بما في وسعهم فابطل الله مكرهم كذلك يبطل مكر هؤلاء (فله المكر جميعا) اي له الامر والتدبير جميعا فبرد عليهم مكرهم بنصب الحجج لعباده وقيل معناه فانه يملك الجزاء على المكر عن ابي مسلم وقيل يريد بالمكر ما يفعل الله تعالى بهم من المكروه عن الجبائي (يعلم ما تكسب كل نفس) فلا يخفى عليه ما يكسبه الانسان من خير وشر لانه عالم بجميع المعلومات وقيل يعلم ما يمكرونه في امر الرسول فيبطل امرهم ويظهر امره ودينه (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) هذا تهديد لهم بانهم سوف يعلمون من تكون له عاقبة الجنة حين يدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار وقيل معناه وسيعلمون لمن العاقبة المحمودة لكم ام لهم

اذا اظهر الله دينه (ويقول الذين كفروا) لك يا محمد (لست مرسلًا) من جهة الله تعالى اليانا (قل) لهم
 (كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) اي كفى الله شاهداً بيني وبينكم بما اظهر من الآيات وابان من الدلالات على
 نبوتي (ومن عنده علم الكتاب) قيل فيه اقوال * احدها * ان من عنده علم الكتاب هو الله عن الحسن
 والضحاك وسعيد بن جبير واختاره الزجاج قال وبدل عليه قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب * والثاني *
 ان المراد به مؤمنو اهل الكتاب منهم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وقيم الداري عن ابن عباس وقتادة ومجاهد
 واختاره الجبائي وانكر الأولون هذا القول بأن قالوا السورة مكية وهو لاء اسلموا بعد الهجرة * والثالث *
 ان المراد به علي بن ابي طالب وأئمة الهدى (ع) عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وروي عن برهد بن معاوية عن
 ابي عبد الله انه قال ايانا عني وعلي اولنا وافضلنا وخيرنا بعد النبي ^{صلى الله عليه وسلم} وروي عنه عبد الله بن كثير انه وضع
 يده على صدره ثم قال عندنا والله علم الكتاب كعلا ويؤيد ذلك ما روي عن الشعبي انه قال ما احد اعلم
 بكتاب الله بعد النبي من علي بن ابي طالب (ع) ومن الصالحين من اولاده وروي عاصم بن ابي النجود عن ابي
 عبد الرحمن السلمي قال ما رأيت احداً قرأ من علي بن ابي طالب (ع) للقرآن وروي ابو عبد الرحمن ايضاً
 عن عبد الله بن مسعود قال لو كنت اعلم أن احداً اعلم بكتاب الله مني لأتيته قال فقلت له فعلي قال اولم آتته

(سورة ابراهيم)

قال ابن عباس وقتادة والحسن هي مكية إلا آيتان نزلتا في قتلى بدر من المشركين الم ترالى الذين يدلوا
 نعمة الله كفوراً الى قوله فينس القرار

* عدد آياتها *

خمس وخمسون آية شامي اربع حجازي آيتان كوفي آية بصري
 * اختلافها * سبع آيات الى النور في الموضعين حجازي شامي وعاد وثمود حجازي بصري وخلق جديد
 كوفي شامي والمدني الاول وفرعها في السماء غير المدني الاول والليل والنهار غير البصري عما يعمل الظالمون شامي

* فضلها *

ابي ابن كعب قال قال رسول الله ^{صلى الله عليه وسلم} من قرأ سورة ابراهيم (ع) والحجر اعطي من الأجر عشر حسنات
 بعدد من عبد الاصنام وبعدد من لم يعبدها وروي عيينة بن مصعب عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة ابراهيم
 والحجر في ركعتين جميعاً في كل جمعة لم يصبه فقر ولا جنون ولا بلوى

* تفسيرها *

لما ختم الله سورة الرعد بآيات الرسالة وانزال الكتاب افتتح هذه السورة ببيان الغرض في الرسالة
 والكتاب فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى (١) آركتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد (٢) الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد (٣) الذين يستحيون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويغفونها عوجاً أو تلك في ضلال بعيد ثلاث آيات عراقي واربع آيات حجازي شامي

القراءة

الله الذي بالرفع مدني شامي والباقون بالجر

الحجة

قال ابو علي من قرأ بالجر جعله بدلا من الحميد ولم يكن صفة لأن الاسم وان كان مصدرا في الأصل والمصادر يوصف بها كما يوصف باسماء الفاعلين فكذلك كان هذا الاسم في الاصل الإله ومعناه ذو العبادة اية العبادة تجب له قال ابو زيد التأله التنسك وانشد لروبة « سبحن واسترجعن عن تألهي » فهذا في انه في الاصل مصدر قد وصف به مثل السلام والعدل الا ان هذا الاسم غلب حتى صار في الغلبة لكثرة استعمال هذا الاسم كالعلم وقد يغلب ما اصله الصفة فيصير بمنزلة العلم قال

ونابغة الجعدي بالرملي بيته عليه صفيح من تراب وجندل

والأصل النابغة ولما غلب نزع منه الألف واللام كما ينزع من الاعلام نحو زيد وجعفر وربما استعمل في هذا النحو الوجهان قال

تقعدهم اعراق حذيم بعدما رجا المهتم ادراك العلي والمكارم

وقال « وجلت عن وجوه الأهاتم » ومن قرأ بالرفع قطعه من الأول وجعل الذي الخبر او جعله صفة واضمر الخبر ومثل ذلك في القطع قل لي وربني لتأينكم عالم الغيب من قطع ورفع جعل قوله لا يعزب عنه خبرا لقوله عالم الغيب والشهادة ومن جر اجري عالم الغيب صفة على الاول وعلى هذا يجوز من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن اي ان شئت جعلت هذا صفة لقوله من مرقدنا واضمرت خبرا لقوله ما وعد الرحمن وان شئت جعلت قوله هذا ابتداء وما وعد الرحمن خبرا

— (اللفظة) —

العزيز القادر على الاشياء الممتنع بقدرته من ان يضام والحميد المحمود على كل حال والاستحباب طلب محبة الشيء بالتعرض لها والمحبة ارادة منافع المحبوب وقد يستعمل بمعنى ميل الطباع والشهوة والبغية والابتغاء الطلب

— المعنى —

(آركتاب) قد ذكرنا معاني الحروف المقطعة في اوائل السور وذكرنا اختلاف الاقوابل فيه في اول البقرة (كتاب انزلناه اليك) يعني القرآن نزل به جبرئيل (ع) من عند الله تعالى اي هذا كتاب منزل اليك يا محمد ^{صلى الله عليه وسلم} ليس بسحر ولا بشعر (لتخرج الناس) اي جميع الخلق (من الظلمات الى النور) اي من الضلالة الى الهدى ومن الكفر الى الايمان (بإذن ربهم) اي باطلاق الله ذلك وامره به وفي هذا دلالة على انه سبحانه

يريد الايمان من جميع المكلفين لأن اللام لام الغرض ولا يجوز ان يكون لام العاقبة لأنه لو كان ذلك لكان الناس كلهم مؤمنين والمعلوم خلافه ثم بين سبحانه ما النور فقال (الى صراط العزيز الحميد) اي يخرجهم من ظلمات الكفر الى طريق الله المؤدي الى معرفة الله المنيع في سلطانه المحمود في فعاله ونعمه التي انعم بها على عباده (الله الذي له ما في السماوات وما في الارض) اي له التصرف فيهما على وجه الاعتراض عليه (وويل للكافرين من عذاب شديد) اخبر ان الويل للكافرين الذين يجحدون نعم الله ولا يعترفون بوحدايته من عذاب تنضاعف الأمة ثم وصف الكافرين بقوله (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) اي يختارون المقام في هذه الدنيا العاجلة على الكون في الآخرة وإنما دخلت على لهذا المعنى وذمهم سبحانه بذلك لأن الدنيا دار انتقال وفناء والآخرة دار مقام وبقاء (ويصدون عن سبيل الله) اي يمنعون غيرهم من اتباع الطريق المؤدي الى معرفة الله ويجوز ان يريد انهم يعرضون بنفوسهم عن اتباعها (ويغوونها عوجاً) اي يطلبون للطريق عوجاً اي عدولاً عن الاستقامة والسبيل يذكر ويؤث وقيل معناه يلتمسون الدنيا من غير وجهها لأن نعمة الله لا تستمد الا بطاعته دون معصيته (اولئك في ضلال بعيد) اي في عدول عن الحق بعيد عن الاستقامة والصواب

قوله تعالى (٤) وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم (٥) ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكروهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (٦) وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبجون أبناءكم ويستنجيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ثلاث آيات عراقية وأربع في غيرهم

اللغة

التذكير التعريض للذكر الذي هو خلاف السهو والصار كثير الصبر

الأعراب

ان اخرج يحتمل ان تكون ان بمعنى اي على وجه التفسير ويصلح ان تكون ان التي توصل بالافعال الا انها وصلت ههنا بالأمر والتأويل الخبر كما تقول انت الذي فعلت والمعنى انت الذي فعل يسومونكم سوء العذاب جملة في موضع الحال

المعنى

ثم بين سبحانه انه إنما يرسل الرسل الى قومهم بلغتهم ليكون اقرب الى الفهم واقطع للعدو فقال (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) اي لم يرسل فيما مضى من الازمان رسولا الا بلغة قومه حتى اذا بين لهم فهموا عنه ولا يحتاجون الى من يترجمه عنه وقد ارسل الله تعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم الى الخلق كافة بلسان قومه وهم العرب بدلالة قوله وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً قال الحسن امثن الله على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه لم يبعث رسولا الا الى قومه وبعثه خاصة الى جميع الخلق وبه قال مجاهد وقيل ان معناه انا كما أرسلناك الى العرب بلغتهم لتبين لهم الدين ثم انهم يبينونه للناس كذلك أرسلنا كل رسول بلغة قومه ليظهر لهم الدين ثم استأنف فقال (فيضل الله من يشاء) عن طريق الجنة اذا كانوا مستحقين للعقاب (ويهدي من يشاء) الى طريق الجنة وقيل يلطف لمن يشاء ممن له لطف ويضل عن ذلك من لا لطف فمن تفكر وتدبر اهتدى وثبتته

الله ومن اعرض عنه خذله الله (وهو العزيز الحكيم) ظاهر المعنى ثم ذكر سبحانه ارساله موسى فقال (ولقد ارسلنا موسى (ع) فقال (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) اي بالمعجزات والدلالات (ان اخرج قومك) اي بان اخرج قومك (من الظلمات الى النور) مر معناه اي امرناه بذلك وانما اضاف الاخراج اليه لانهم بسبب دعائه خرجوا من الكفر الى الايمان (وذكروهم بايام الله) قيل فيه اقوال **احدها** ان معناه وامرناه بان يذكر قومهم وقائع الله في الأمم الخالية واهلاك من اهلك منهم ليحذروا ذلك عن ابن زيد والبلخي وبعضه قول عمرو بن كلثوم

وايام لنا غر طوال
عصينا الملك فيها ندينا

فيكون المعنى الايام التي انتقم الله فيها من القرون الاولى **والثاني** ان المعنى ذكرهم بنعم الله سبحانه في سائر ايامه عن ابن عباس وابي بن كعب والحسن ومجاهد وقتادة وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) **والثالث** انه يريد بايام الله سنته وافعاله في عبادته من انعام وانتقام وكنى بالأيام عنهما لانها ظرف لهما جامعة لكل منهما عن ابي مسلم وهذا جمع بين القولين المتقدمين (ان في ذلك) التذكير (لايات لكل صبار شكور) اي دلالات لكل من كان عادته الصبر على بلاء الله والشكر على نعمائه وانما جمع بينهما لان حال المؤمن لا يخلو من نعمة يجب شكرها او محنة يجب الصبر عليها فالشكر والصبر من خصال المؤمنين فكأنه قال لكل مؤمن ولأن التكليف لا يخلو من الصبر والشكر (واذا قال موسى لقومه) والتقدير واذا ذكر يا محمد اذ قال موسى لهم (اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيتكم) اي في الوقت الذي انجاكم (من آل فرعون يسومونكم) اي يذبحونكم سوء العذاب (ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم) اي يستيقونهن احياء للاسترقاق (وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم) والآية مفسرة في سورة البقرة قال الفراء وانما دخلت الواو هنا للعطف لانهم كانوا يعذبون انواعاً من العذاب سوى الذبح فجاز العطف فاذا سدلت الواو كان يذبحون تفسيراً للعذاب

قوله تعالى (٧) **وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** (٨) **وَقَالَ مُوسَى إِنَّ نَكَفَرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ** (٩) **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ** (١٠) **قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَهُوَ خَيْرٌ كُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَنَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ** اربع آيات في الكوفي خمس آيات في غيرهم لم يعد الكوفي ثمود آية

❖ اللفظة ❖

التأذن الاعلام يقال أذن وتأذن ومثله اوعد وتوعد قال الحرث بن حلزة

أذنتنا بينها أسماء ربنا ويل منه الثواء

والنبا الخبر عما يعظم شأنه يقال لهذا الأمر نبأ عظيم اي شأن نبأ الله محمداً أو نبأ مسيلمة الكذاب ادعى

النبوة والرب أخصب الشك والمريب المتهم وهو الذي يأتي بما فيه التهمة يقال أراب يريب إذا أتى بما يوجب الريبة

— (الاعراب) —

قوم نوح وما بعده مجرور بأنه بدل من قوله الذين من قبلكم وفاطر مجرور بأنه صفة لله في قوله أفي الله شك ومن في قوله من ذنوبكم للتبويض وقيل ان من زائدة عن ابي عبيدة وانكر سبويه زيادتها في الإيجاب

« المعنى » —

لما تقدم ذكر النعمة اتبعه سبحانه بذكر ما يلزم عليها من الشكر فقال (واذا تأذن ربكم) التقديروا وذكر إذ أعلم ربكم عن الحسن والبلخي وقيل معناه وإذا قال لكم ربكم عن ابن عباس وقيل اخبر ربكم عن الجبائي (لئن شكرتم لأزيدنكم) أي لئن شكرتم لي على نعمي لأزيدنكم في النعم (ولئن كفرتم) أي جحدتم نعمتي (ان عذابي لشديد) لمن كفر نعمتي وقال ابو عبد الله (ع) في هذه الآية ايما عبد انعمت عليه نعمة فأقر بها بقلبه وحمد الله عليها بلسانه لم ينفذ كلامه حتى يأمر الله له بالزيادة (وقال موسى ان تكفروا) أي تجحدوا نعم الله سبحانه (انتم ومن في الأرض جميعاً) من الخلق لم تضروا الله شيئاً وإنما يضركم ذلك بان تستحقوا عليه العقاب (فإن الله سبحانه) لغني (عن شكركم) (حميد) في افعاله وقد يكون كفر النعمة بأن يشبه الله بخلقه أو يجور في حكمه أو يرد على نبي من انبيائه فإن الله سبحانه قد انعم على خلقه في جميع ذلك بأن أقام الحجج الواضحة والبراهين الساطعة على صحته وعرض بالنظر فيها للثواب الجزيل (ألم يأتكم) قيل ان هذا الخطاب متوجه إلى أمة نبينا ﷺ فذكرت باخبار من تقدمها من الأمم وقيل انه من قول موسى «ع» لأنه متصل به في الآية المتقدمة والمعنى ألم يحكمكم (بأ الذين من قبلكم) أي اخبار من تقدمكم (قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله أي لا يعلم تفاصيل أحوالهم وعددهم وما فعلوه وفعل بهم من العقوبات إلا الله قال ابن الانباري ان الله تعالى أهلك أمماً من العرب وغيرها فانقطعت اخبارهم وغفت آثارهم فليس يعرفهم احد إلا الله وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون وقيل ان النبي ﷺ كان لا يجاوز في انتسابه معدن عدنان فعلى هذا يكون قوله والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله مبتدأ وخبراً (جاءتهم رسالهم بالبينات) أي بالأدلة والحجج والأحكام والحلال والحرام (فردوا أيديهم في أفواههم) اختلغوا في معناه على أقوال **أحدها** ان معناه عضوا على اصابهم من شدة الغيظ لأنه ثقل عليهم مكان الرسل عن ابن مسعود وابن عباس والجبائي **وثانيها** ان معناه جعلوا أيديهم في أفواه الأنبياء تكذيباً لهم وردوا لما جاؤوا به فالضمير في أيديهم للكفار وفي أفواههم للأنبياء فكانهم لماسمعوها وعظ الأنبياء وكلامهم أشاروا بأيديهم إلى أفواه الرسل تسكيتاً لهم عن الحسن ومقاتل **وثالثها** ان معناه وضعوا أيديهم على أفواههم مومنين بذلك إلى الرسل ان اسكتوا عما تدعوننا اليه كما يفعل الواحد منا مع غيره إذا أراد تسكيتة عن الكلبي فيكون على هذا القول الضميران للكفار **ورابعها** ان كلا الضميرين للرسل أي أخذوا أيدي الرسل فوضعوها على أفواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم فيسكتوا عنهم لما يشعرون منهم هذا كله إذا حمل معنى الأيدي والأفواه على الحقيقة ومن حملها على التوسع والمجاز فاختلغوا في معناه فقيل المراد باليد ما نطقت به الرسل من الحجج والمعنى فردوا حججهم من حيث جاءت لأن الحجج تخرج من الأفواه عن ابي مسلم وقيل ان المعنى ردوا ما جاءت به الرسل وكذبوهم عن مجاهد وقتادة وقيل معناه تركوا ما امروا به وكفروا عن قبول الحق عن ابي عبيدة والأخفش قال القتيبي ولم يسمع احد ان العرب تقول رد يده في فيه بمعنى ترك ما امر به وإنما المعنى انهم عضوا على الأيدي حنقا وغیظا كقول الشاعر « يردون في فيه عشر الحسود » يعني انهم يغیظون الحسود حتى

يعض على اصابه العشر وقال آخر

قد افنى انامله ازومه فأضحى يعرض على الوظيفا

وقيل المعنى ردوا بأفواههم نعم الرسل أي وعظهم وبيانهم فوقع في موقع الباء عن مجاهد قال الفراء

انشدني بعضهم

وارغب فيها عن لقيط ورهظه ولكنني عن سنبس لست اذغب

قال أراد ارجب بها يعني بتأله يقول ارجب بها عن لقيط وقبيلته (وقالوا إنا كفرنا) أي جعلنا (بما أرسلنا به) أي برسالاتكم (وانا لفي شك ما تدعوننا اليه) من الدين (مريب) متهم أي يوقننا في الريب بكم انكم تطلبون الرئاسة وتفترون الكذب (قالت رسلهم) حينئذ لهم (أي الله شك) مع قيام الأدلة على وحدانيته وصفاته (فاطر السموات والأرض) أي خالقها ومنشئها لا يقدر على ذلك غيره فوجب ان يعبد وحده ولا يشرك به من لا يقدر على اختراع الأجسام (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) أي يدعوكم إلى الايمان به لينفمكم لا يضركم وقال من ذنوبكم بمعنى ليغفر لكم بعض ذنوبكم لأنه يغفر ما دون الشرك ولا يغفر الشرك وقال الجبائي دخلت من التبويض ووضع البعض موضع الجميع توسعا (ويؤخركم إلى أجل مسمى) أي يؤخركم إلى الوقت الذي ضربه الله لكم أن يميتكم فيه ولا يؤاخذكم بما جل العقاب (قالوا) أي قال لهم قومهم (ان انتم) أي ما انتم (إلا بشر مثلنا) أي خلق مثلنا (تريدون أن تصدونا) أي تمنعونا (عما كان يعبد آباؤنا) من الأصنام والاولئان (فأتونا بسلطان مبين) أي بحجة واضحة على صحة ما تدعونه وبطلان ما نحن فيه وانا قالوا ذلك لأنهم اعتقدوا ان جميع ما جاءت به الرسل من المعجزات ليست بمعجزة ولا دلالة وقيل انهم طلبوا معجزات مقترحات سوى ما ظهرت فيايبينهم وفي هذه الآية دلالة على انه سبحانه لا يريد الكفر والشرك وانا يريد الخير والايمان وانه انما بعث الرسل إلى الكفار رحمة وفضلا وانعاما عليهم ليؤمنوا فإنه قال يدعوكم ليغفر لكم

قوله تعالى (١١) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ آيات

(المعنى) -

ثم حكى سبحانه جواب الرسل للكفار فقال (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم) في الصورة والهيئة ولنا ملائكة (ولكن الله ين علي من يشاء من عباده) أي ينعم عليهم بالنبوة وينبئهم بالمعجزة فلقد من الله علينا واصطفانا وبعثنا أنبياء (وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان) أي بحجة على صحة دعوانا (إلا بإذن الله) أي بأمره واطلاقه لنا في ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) المصدقون به وبأنبيائه (وما لنا الا نتوكل على الله) معناه واي شيء لنا إذا لم نتوكل على الله ولم نفرض أمورنا اليه وعلى هذا تكون ما للاستفهام وقيل ان معناه ولا وجه لنا ولا عذر لنا في ان لا نتوكل على الله ولا نشق به فتكون ما للنفي وإذا كانت للاستفهام فمعناه النفي أيضا (وقد هداانا سبلنا) أي عرفنا طريق التوكل وقيل معناه هداانا إلى سبيل الايمان ودلنا على معرفته ووفقنا لتوجيه العبادة اليه وان لا نشرك به شيئا وضمن لنا على ذلك جزيل الثواب والمراد انا إذا كنا مهتدين فلا ينبغي لنا ان لا نتوكل على الله (ولنصبرن على ما آذيتمونا) فانه تعالى يكفيننا امركم وينصرنا عليكم (وعلى الله

فليتوكل المتوكلون) وانما قص هذا وأمثاله في القرآن على نبينا ليقتدي بمن كان قبله من المرسلين في تحمل اذى المشركين والصبر على ذلك والتوكل وروى الواقدي باسناده عن ابي مريم عن ابي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ إذا اذك البراغيث فخذ قدحا من الماء فاقرأ عليه سبع مرات وما لنا ألا نتوكل على الله الآية وقيل فإن كنتم آمنتم بالله فكفوا شركم وأذاكم عناء ثم ترش الماء حول فراشك فلذلك تبيت تلك الليلة آمنا من شرها

قوله تعالى (١٣) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٤) وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٥) وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٦) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٧) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٨) مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البعيدُ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة ابن عباس ومجاهد وابن محيصن واستفتحوا وقراءة ابن ابي اسحاق في يوم عاصف بالاضافة

﴿ الحجة ﴾

قوله واستفتحوا معطوف على ما سبق من قوله فأوحى إليهم ربهم أي وقال لهم استفتحوا أي استنصروا الله عليهم واستقضوه بينكم وفي الحديث كان (ص) يستفتح بصالحك المهاجرين أي يستنصر بهم وقيل معناه انه يقدمهم ويبدأ امره بهم وكأنهم انما سماوا القاضي فتاحا لأنه يفتح باب الحق الذي هو منسند فيعمل عليه واما قوله في يوم عاصف فمعناه في يوم ربيع عاصف فحذف الموصوف واقامت الصفة مقامه وكذلك في قراءة الجماعة في يوم عاصف العاصف هو الريح لا اليوم

(= اللغة =)

الاستفتاح طلب الفتحة بالنصر والحياة اخلاف ما قدره المنفعة وضده النجاح وهو ادراك الطلبة والجزيرة طلب علو المنزلة بما ليس له غاية في الوصف وإذا وصف العبد بأنه جبار كان ذما وإذا وصف الله سبحانه به كان مدحا لأن له علو المنزلة بما ليس وراءه غاية في الصفة والعنيد مبالغة العائد والعناد الامتناع من الحق مع العلم به كبراً وبغياً قال

إذا نزلت فاجعلاني وسطا اني كبير لا اطيق العنيدا

والوراء والخلف واحد وهو الجهة المقابلة لجهة القدام وقد يكون وراء بمعنى قدام قال

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة وراثيا

قال الزجاج الوراء ما يورى عنك وليس من الاضداد قال النابغة

حلفت ولم اترك لنفسي ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

والصديد القبيح يسيل من الجرح أخذ من انه يصد عنه تكرها له والقبيح دم مختلط بدمه وقوله صديديان الماء الذي يسقون فلذلك اعرب باعرابه والتجرع تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار والاسفاغة اجراء الشراب

في الخلق يقال ساغ الشيء واسفته انا والاشتداد الاسراع بالحركة على عظم القوة يقال اشتد به الوجد من هذا
لانه اسرع اليه على قوة ألمه ويوم عاصف شديد الريح والعصف شدة الريح وانها جعل العصف صفة لليوم لانه
يقع فيه كما يقال ليل نائم ويوم ماطر ويجوز ان يكون المراد يوم عاصف ريجه ومثله ججر ضب خرب
أي خرب ججره

✽ الاعراب ✽

أو في قوله اولتعودن بمعنى إلا ان كما يقال لا اكلمك اوتدعوني وقال الفراء لا يكاد يستعمل فيما يقع
وفما لا يقع فما يقع مثل قوله ولا يكاد يسيغه وما لم يقع مثل قوله لم يكذبها لان المعنى لم يرها . مثل الذين
كفروا تقديره فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا بربهم فيكون رفعا بالابتداء ويجوز أن يكون مثل مقعها
كأنك قلت الذين كفروا بربهم فيكون رفعا بالابتداء واعمالهم رفع على البدل وهو بدل الاشتغال وكرما الحظير

✽ المعنى ✽

(وقال الذين كفروا لرسلكم من ارضنا) أي من بلادنا (اولتعودن في ملتنا) أي الا ان ترجعوا
إلى ادياننا ومذاهبنا التي نحن عليها (فأوحى اليهم ربهم انهلكن الظالمين) أي فأوحى الله إلى رسله لما ضاقت
صدورهم بما لقوا من قومهم انا نهلك هؤلاء الظالمين الكافرين (ولنسكننكم الأرض من بعدهم) أي
نسكننكم ارضهم من بعدهم يريد اصبروا فاني اهلك عدوكم واورثكم ارضهم وفي معناه ماجاء في الحديث
من آذى جاره ورثه الله داره (ذلك لمن خاف مقامي) أي ذلك الفوز لمن خاف وقوفه للحساب والجزاء بين يدي
في الموضع الذي اقيم فيه واطاف المقام إلى نفسه لأنهم يقومون بأمره (وخاف وعيد) أي عقابي وانما قالوا أو
تعودن في ملتنا وهم لم يكونوا على ملتهم قط اما لأنهم توهوا على غير حقيقة انهم كانوا على ملتهم واما لانهم
ظنوا بالشو انهم كانوا عليها (واستفتحوا) أي طلبت الرسل الفتح والنصر من قبل الله تعالى على الكفار عن
مجاهد وقتادة وقيل هو سؤالهم ان يحكمهم الله بينهم وبين اممهم لأن الفتح الحكم والفتح الحاكم عن الجبائي
(وخاب كل جبار عنيد) أي خسر كل متكبر معاند مجانب للحق دافع له وقيل معناه واستفتح الكفار العذاب
الذي توعدهم به الانبياء على جهة التكذيب لهم (من ورائه جهنم) أي جهنم بين يدي هذا الجبار عن الزجاج
أي له مع الحية نار جهنم بين يديه وقيل معناه من خلفه وانما جاز في الزمان ان يسمى الأمام وراء وان لم يميز في
غيره لأن الزمان المستقبل كأنه خلفهم لأنه يأتي فيلحقهم كما يلحق الإنسان من خلفه (ويسقى من ماء صديد)
أي ويسقى مما يسيل من الدم والقيح من فروج الزواني في النار عن ابي عبد الله (ع) واكثر المفسرين أولونه
لون الماء وطعمه طعم الصديد وروى ابو امامة عن النبي ﷺ في قوله ويسقى من ماء صديد قال يقرب اليه
فيكرهه فإذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شرب قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله
عز وجل وسقوا ماء حميا فقطع أمعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه وقال رسول الله
الله ﷺ من شرب الحمر لم تقبل له صلاة اربعين يوما فإن مات وفي بطنه شيء من ذلك كان حقا على الله ان
يسقيه من طينة خبال وهو صديد اهل النار وما يخرج من فروج الزناة فيجتمع ذلك في قدور جهنم فيشربه أهل
النار فيصهر به ما في بطونهم والجلود رواه شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصادق (ع) عن أبيه (ع) عنه
الله ﷺ (يتجرعه) أي يشرب ذلك الصديد جرعة جرعة (ولا يكاد يسيغه) أي لا يقارب أن يشربه تكرها
له وهو يشربه والمعنى ان نفسه لا تقبل لحرارته وندته ولكن يكره عليه (ويأتيه الموت من كل مكان) أي
تأتيه شذائد الموت وسكراته من كل موضع من جسده ظاهره وباطنه حتى تأتيه من اطراف شعره عن ابراهيم
التيمي وابن جريج وقيل يحضره الموت من كل موضع يأخذه من كل جانب من فوقه ومن تحته وعن يمينه

وشالته ومن قدماه وخلفه عن ابن عباس والجباثي (وما هو بيت) أي ومع اثنين أسباب الموت والشدائد التي يكون معها الموت من كل جهة وأنواع العذاب التي كان يموت بدونها في الدنيا لا يموت فيستريح وهذا كقوله لا يقضى عليهم فيموتوا (ومن ورائه) أي وراء هذا الكافر (عذاب غليظ) وهو الخلود في النار وقيل معناه ومن بعد هذا العذاب الذي سبق ذكره عذاب أشد وأوجع مما تقدم عن الكلبي ثم أخبر سبحانه عما ينال الكفار من الحسرة فيما تكلفوه من الأعمال فقال (مثل الذين كفروا بربهم) وقيل إن معناه مثل أعمال الذين كفروا بربهم فحذف المضاف اعتماداً على ذكره بعد المضاف إليه عن الفراء وقيل معناه مما نقص عليك مثل الذين كفروا عن سيئوبه (أعمالهم) في قلة انتفاعهم بها (كرما اشتدت به الريح) أي ذرته ونسفته (في يوم عاصف) أي شديد الريح فكما لا يقدر أحد على جمع ذلك الرماد المتفرق والانتفاع به فكذلك هؤلاء الكفار لا يقدرون مما كسبوا على شيء) أي لا يقدرون على الانتفاع بأعمالهم ومثل قوله وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً (ذلك هو الضلال البعيد) يعني أن عملهم ذلك هو الذهاب البعيد عن النفع وقيل الخطأ البعيد عن الصواب عن ابن عباس وفي هذه الآية دلالة واضحة على بطلان قول المجبرة لأنه أضاف العمل إليهم ولو كان مخلوقاً له سبحانه لما صح إضافته إليهم

قوله تعالى (١٩) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (٢٠) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢١) وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَنَّا أَمْ صَبْرٌ نَا مَا لَنَا مِنْ مَحْصٍ ثلاث آيات في الكوفي والمدني الاول آيتان عند غيرهم

✽ القراءة ✽

قرأ خالق السموات ههنا وفي النون أهل الكوفة غير عاصم والباقر خلق

✽ الحجة ✽

قال ابو علي من قرأ خلق فلأن ذلك فعل ماض فأخبر عنه بلفظ الماضي ومن قرأ خالق على اسم الفاعل جعله مثل فاطر السموات لأن فاطر بمعنى خالق

✽ اللغة ✽

البروز خروج الشيء عما كان ملتصقاً به إلى حيث يقع عليه الحس يقال برز للقتال إذا ظهر له . الضعفاء جمع ضعيف والضعف نقصان القوة يقال اضعفه فضعف والاستكبار والتكبر والتعجب واحد وهو رفع النفس فوق مقدارها في الوصف والتبع جمع تابع كالغيب جمع غائب قال الزجاج ويجوز أن يكون مصدراً وصف به فيكون بمعنى ذوي تبع واغنى عنه أي دفع عنه فأغناه أي نفى الحاجة عنه بما فيه كفايته وحاص يحيص حيصاً وحيوصاً مثل حاد والحيد الزوال عن المكروه والجزع انزعاج النفس بورود ما يغم وتقيضه الصبر قال

فإن تصبراً فالصبر خير مقبلة وإن تجزعا فالأمر ما تريان

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه أنه إنما خلق الخلق ليعبده وليؤمنوا به لا ليكفروا فقال (ألم تر) أي ألم تعلم لأن الرواية قد تكون بمعنى العلم كما تكون بمعنى الإدراك للبصر وههنا لا يمكن أن يكون بمعنى الرواية بالبصر والخطاب

للنبي ﷺ والمراد به الأمة (ان الله خلق السموات والارض) على ما تقتضيه الحكمة والخلق فعل الشي على تقدير وترتيب (بالحق) أي بقوله الحق وقيل اراد للحق اي للفرض الصحيح والامر الحق وهو الدين والعبادة أي ليعبدوه فيستحقوا به الثواب عن ابن عباس والجبائي (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) أي ان يشأ يهلككم ويفنكم ويخلق قوما آخرين مكانكم لأن من قدر على بناء الشي كان على هدمه اقدر إذالم يخرج عن كونه قادرا (وما ذلك على الله بعزيز) أي وما اهلاككم والاتيان بخلق جديد بممنوع ولا متعذر على الله تعالى (وبرزوا لله جميعا) أخبر سبحانه ان الخلق يبرزون يوم القيامة لله أي يظهرون من قبورهم ويخرجون منها لحكم الله فاللفظ للماضي والمراد به الاستقبال للتحقيق وصحة الوقوع وقيل معناه سيبرزون لله جميعا القادة والاتباع عن ابن عباس وهو يتصل بقوله ولا يكاد يسيغه . لما تقدم ذلك الوعيد بين صفة ذلك اليوم وما يجري بين الاتباع والمتبوعين من المجادلة وقال (فقال الضعفاء للذين استكبروا) أي تكبروا عن الايمان فلم يؤمنوا وهم القادة في الدنيا الذين هم الأكابر والروساء والقادة في الدين الذين هم علماء السوء (انا كنا لكم تبعاً) في الكفر على وجه التقليد (فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء) أي هل انتم دافعون عنا شيئاً من عذاب الله الذي قد نزل بنا ان لم تقدروا على دفع الكل ومن للتبويض (قالوا او هدينا الله اهديناكم) أي قال المتبوعون للاتباع لو هدانا الله الى طريق الخلاص من العقاب والوصول الى النعيم والثواب اهديناكم الى ذلك والمعنى لو خلاصنا لخلصناكم ايضاً لكن لا مطمع فيه لنا ولكم عن الجبائي وابي مسلم وقيل معناه لو هدانا الله الى الرجعة الى الدنيا فنصلح ما افسدناه اهديناكم وقيل او هدانا الله بلجابتنا الى الطلب اهديناكم بالمسألة له سبحانه ذكر هذين الوجهين القاضي عبد الجبار في تفسيره (سواء علينا اجزعا ام صبرنا ما لنا من محيص) يعني ان الصبر والجزع سيان مثلاً انيس لنا محيص ولا مهرب من عذاب الله اي انقطعت حيلتنا ويشتنا من النجاة . حث الله سبحانه في هذه الآية على النظر وحذر من التقليد والى هذا اشار امير المؤمنين علي (ع) في قوله للعرث الممداني يا حار الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله

قوله تعالى (٢٢) وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَ قَضَيْتُ الْأَمْرَ إِنْ أَلَّهِ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة وحده بمصرخي بكسر الياء والباقون بفتحها

== (الحجة) ==

قال ابو علي قال الفراء في كتابه في التصريف هو قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب قال وزعم القاسم بن معن انه صواب قال وكان ثقة بصيرا وزعم قطرب انه لغة من بني يربوع يزيدون على ياء الاضافة ياء وانشد ماض اذا ما هم بالمضي قال لها هل لك يا ناقي قالت له ما انت بالمرضي وانشد الفراء ذلك ايضاً ووجه ذلك من القياس ان الياء ليست تخلو من ان تكون في موضع النصب او الجر فالياء في النصب والجر كالألف فيهما وكالكاف في اكرمته وهذا لك فكما ان الألف قد اجتمعت الزيادة في هذا كهو والحق ايضاً الكاف الزيادة في قول من قال اعطيتكاه واعطيتكاه فيما حكاه سيويه وهما اختالياء

كذلك الصقوا الياء الزيادة في المدفقاوا فيني ثم حذف الياء الزائدة على الياء كما حذف الزيادة من الهاء في قول من قال له ارقان وزعم ابو الحسن انها لغة فكما حذف الزيادة من الكاف في قول من قال اعطيتك و اعطيتك كما كذلك حذف الياء اللاحقة للياء وبالجملة حذف الزيادة من الياء كما حذف من اختيها واقرت الكسرة التي كانت تلي الياء المحذوفة بقيت الياء على ما كانت عليها من الكسرة وكما لحقت الكاف والهاء والياء الزيادة كذلك لحقت التاء الزيادة نحو «رमितيه فاصميتيه وما اخطأت رमितيه» فإذا كانت هذه الكسرة في الياء على هذه اللغة وإن كان غير ما افشى منها وعضده من القياس ما ذكرناه لم يجوز لقائل ان يقول ان القراءة بذلك لحن لاستفاضة ذلك في السماع والقياس قال البصير كسر الياء ليكون طبقا لكسرة همزة قوله اني كفرت لأنه اراد الوصل دون الوقف والابتداء بانني كفرت لأن الابتداء بانني كفرت محال فلما اراد هذا المعنى كان كسر الياء أدل على هذا من فتحها

✽ اللغة ✽

الاصراخ الاغاثة باجابة الصارخ ويقال استصرخني فلان فاصرخته أي استغاث بي فأغثته

— المعنى —

لما تقدم وعيد الكافر وصفة يوم الحشر وما يجري فيه من الجدال بين الاتباع والمتبوعين عقب ذلك سبحانه بكلام الشيطان في ذلك اليوم فقال (وقال الشيطان) وهو ابليس باتفاق المفسرين يقول لأوليائه الذين اتبعوه (لما قضي الأمر) أي فرغ من الحكم بين الخلائق ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار عن ابن عباس والحسن وقال انه لم يخاطبهم بذلك قال الحسن وهو احقر واذل من ان يخاطب لولا ان الله اذن فيه توبيخا لأهل النار وقيل انه يوضع له منبر في النار فيرقاه ويجتمع الكفار عليه باللائمة عن مقاتل (ان الله وعدكم وعدالحق) من البعث والنشور والحساب والثواب والعقاب (ووعدتكم) ان لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار وقيل ووعدتكم الخلاص من العقاب بارتكاب المعاصي (فأخلفتكم) أي كذبتكم وقيل لم اوف لكم بما وعدتكم (وما كان لي عليكم من سلطان إلا ان دعوتكم) اي وما كان لي عليكم سلطان بالاكراه والاجبار على الكفر والمعاصي وانما كان لي سبيل الوسوسة والدعوة (فاستجبتم لي) بسوء اختياركم وقيل معناه ما اظهرت لكم حجة احتج بها عليكم إلا ان دعوتكم فيكون هذا من الاستثناء المنقطع ومعناه لكن دعوتكم إلى الضلال واغويتكم فصدقتموني واجبتموني وقبلتم مقالتي بسوء اختياركم لأنفسكم فلا تلوموني على ما حل بكم من العقاب بسوء اختياركم (ولوموا أنفسكم) حيث عدتكم عن امر الله إلى اتباعي من غير دليل وبرهان (ما انا بصرخكم وما انتم بصرخي) اي ما انا بمفشيكم ولا معينكم وما انتم بمفشي ولا معيني (اني كفرت بما اشركتكم من قبل) أي كفرت الان بما كان من اشراككم اياي مع الله في الطاعة اي جحدت ان اكون شريكا لله تعالى فيما اشركتكموني فيه من قبل هذا اليوم وقال الفراء وجماعة تقديره اني كفرت بما اشركتكموني به اي ابائته ويعني بقوله من قبل في وقت آدم (ع) حين امر بالسجود فأبى واستكبر (ان الظالمين لهم عذاب اليم) قيل انه من تمام قول الشيطان لأهل النار وقيل انه ابتداء وعيد من الله تعالى لهم وهو الأظهر وفي هذه الآية دلالة على ان الشيطان لا يقدر على اكثر من الدعاء والاغواء وان ليس عليه إلا عقاب الدعوة فصعب

قوله تعالى (٢٣) وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام (٢٤) ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء (٢٥) تؤتي أكلها كل حين بإذن

رَبِّهَا وَهَضَبُ اللَّهِ الْأَمْثَالُ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٦) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ اربع آيات في الكوفي والبصري وثلاث آيات عند الباقرين ونمام الثانية في السماء

== (القراءة) ==

في الشواذ قراءة الحسن وادخل الذين آمنوا برفع اللام

— الحجة —

قال ابن جنى هذه القراءة على ان ادخل من كلام الله كأنه قطع الكلام واستوتف فقال الله وانا ادخل المؤمنين جنات وعلى هذا فقواه باذن ربهم أي باذني إلا انه اعاد ذكر الرب ليضيفه اليهم فيكون اذهب في الاكرام والتقريب منه لهم

== اللفظة ==

التحية التلقي بالكرامة في المخاطبة واما قواه التحيات لله فإن في ذلك ثلاثة أقوال ﴿ اولها ﴾ المعنى ان الملك لله يقال حيالك الله أي ملكك ﴿ وثانيها ﴾ البقاء. لله يقال حيالك الله أي ابقاك الله فيكون بمعنى احيالك الله كما يقال وصى واوصى ومهل وامهل ﴿ وثالثها ﴾ ان ذلك بمعنى السلام قال القتيبي وانا جمع لأنه كان في الارض ملوك يجيرون بتحيات مختلفة فيقال لبعضهم أبيت اللعن وبعضهم اسلم وانعم وبعضهم عش الف سنة فقيل لنا قولوا التحيات لله أي كل الالفاظ التي يجيها بها الملوك هي لله والاجتثاث اقتلاع الشيء من اصله يقال جثه واجثته والحجة اخذت منه

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم وعيد الكافرين عقبه سبحانه بالوعد للمؤمنين فقال (وادخل الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله (وعماروا الصالحات) أي الطاعات (جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها) قد سبق معناه (باذن ربهم) أي بأمر ربهم واطلاقه (تحيتهم فيها سلام) مر تفسيره في سورة يونس ثم ضرب الله سبحانه مثلا يقرب من افهام السامعين ترغيبا للخلاق في اتباع الحق فقال (ألم تر) أي ألم تعلم يا محمد (كيف ضرب الله مثلا) أي بين الله شها ثم فسر ذلك المثل فقال (كلمة طيبة) وهي كلمة التوحيد شهادة ان لا إله إلا الله عن ابن عباس وقيل هي كل كلام امر الله تعالى به من الطاعات عن ابي علي قال وانا سهاها طيبة لأنها زاكية نامية اصاحبها بالخيرات والبركات (كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء) أي شجرة زاكية نامية راسخة اصولها في الأرض عالية أغصانها وثمارها في السماء واراد به المباشرة في الرفعة والاصل سافل والفرع عال الا انه يتوصل من الاصل إلى الفرع وروى انس عن النبي ﷺ ان هذه الشجرة الطيبة هي النخلة وقيل انها شجرة في الجنة عن ابن عباس وروى ابن عقدة عن ابي جعفر (ع) ان الشجرة رسول الله ﷺ وفرعها علي (ع) وعنصر الشجرة فاطمة وثمرتها اولادها واغصانها واوراقها شيعتنا ثم قال (ع) ان الرجل من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجرة ورقة وان المولود من شيعتنا ليولد فيورق مكان تلك الورقة ورقة وروى عن ابن عباس قال قال جبريل (ع) للنبي ﷺ انت الشجرة وعلي غصنها وفاطمة ورقها والحسن والحسين ثمارها وقيل اراد بتلك شجرة هذه صفتها وان لم يكن لها وجود في الدنيا لكن الصفة معلومة وقيل ان المراد بالكلمة الطيبة الايمان وبالشجرة الطيبة المؤمن (توثي اكلها) أي تخرج هذه الشجرة ما يؤكل منها (كل حين) أي في كل ستة اشهر عن ابن عباس وابي جعفر (ع) وقال الحسن وسعيد بن جبير اراد بذلك انه يؤكل ثمرها في الصيف وطلوها في الشتاء وما بين صرام النخلة إلى حملها

سنة اشهر وقال مجاهد وعكرمة كل حين اي كل سنة لأنها تحمل في كل سنة مرة وقال سعيد بن المسيب في كل شهرين لأن من وقت ما يطعم النخل إلى صرامه يكون شهرين وقيل لأن من وقت ان يصرم النخل إلى حين يطعم يكون شهرين وقال الربيع عن انس كل حين اي كل غدوة وعشية وروي ذلك عن ابن عباس ايضاً وقيل معناه في جميع الأوقات لأن ثمر النخل يكون اولاً طلعاً ثم يصير بلعاً ثم يسرا ثم رطباً ثم ثمرافيسكون ثمرة موجوداً في كل الاوقات ويدل على ان الحين بمثالة الوقت قول النابغة في صفة الحية والمددوع

يبادرها الراقون من سوء سمها تطلقه حيناً وحيناً تراجع

يعني ان السم يخف ألمه وقتاً ويورد وقتاً وقيل انه سبحانه شبه الايمان بالنخلة لثبات الايمان في قلب المؤمن كشبات النخلة في منبتها وشبه ارتفاع علمه إلى السماء بارتفاع فروع النخلة وشبه ما يكسبه المؤمنون من بركة الايمان وثوابه في كل وقت وحين بما ينال من ثمره النخلة في اوقات السنة كلها من الرطب والتمر وقيل ان معنى قوله توثق اكلها كل حين (باذن ربها) ما يفتي به الأئمة من آل محمد عليهم السلام وشيعتهم في الحلال والحرام (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) أي لكي يتدبروا فيعرفوا الغرض بالمثل (ومثل كلمة خبيثة) وهي كلمة الكفر والشرك عن ابن عباس وغيره وقيل هو كل كلام في معصية الله تعالى عن اي علي (كشجرة خبيثة) غير زاكية وهي شجرة الحنظل عن ابن عباس وانس ومجاهد وقيل انها شجرة هذه صفتها وهو انه لا قرار لها في الارض عن الحسن وقيل انها الكشوث عن الضحاك وروي ابو الجارود عن ابي جعفر (ع) ان هذا مثل بني امية (اجتث من فوق الأرض) اي اقتطعت واستوصلت واقتلمت جثته من الارض (ما لها من قرار) اي ما تلك الشجرة من ثبات فان الريح تنسفها وتذهب بها فكما ان هذه الشجرة لا ثبات لها ولا بقاء ولا ينتفع بها احد فكذلك الكلمة الخبيثة لا ينتفع بها صاحبها ولا يثبت له منها نفع ولا ثواب وروي عن ابن عباس ايضاً انها شجرة لم يخلقها الله بعد وانما هو مثل ضربه بهذا وهذا القول حسن لأن الحنظل وغيره قد ينتفع بذلك في الأدوية

قوله تعالى (٢٧) يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضلل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء (٢٨) ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار (٢٩) جهنم يصلونها وبئس القرار (٣٠) وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار أربع آيات

✽ اللغة ✽

الاحلال وضع الشيء في محل اما بجواررة ان كان من قبيل الاجسام أو بمداخلة ان كان من قبيل الاعراض والبوار الملاك يقال بار الشيء يبور بوراً إذا هلك ورجل بور أي هالك وقوم بور ايضاً قال ابن الزبير يا رسول الملك إن لساني راتق ما فتقت إذ أنا بور والانداد الامثال المنادون قال

تهدى رؤوس المترفين الانداد إلى امير المؤمنين الممتاد

✽ الإعراب ✽

جهنم انتصب على البدل من قوله دار البوار ويصلونها في موضع نصب على الحال من قومهم وان شئت كان حالاً من جهنم وان شئت فمتها كقوله تحملها بعد قوله فأتت به قومها

* المعنى *

لما قدم سبحانه ذكر الكلمة الطيبة عقبه بذكر ما يحصل لصاحبها من المثوبة والكرامة فقال (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) أي يثبتهم في كرامته وثوابه بالقول الثابت الذي وجد منهم وهو كلمة الإيمان لأنه ثابت بالحجج والأدلة وقيل معناه يثبت الله المؤمنين بسبب كلمة التوحيد وحرمتها في الحياة الدنيا حتى لا يزلوا ولا يضلوا عن طريق الحق ويثبتهم بها حتى لا يزلوا ولا يضلوا عن طريق الجنة وقيل معناه يثبتهم بالتمسك في الأرض والنصرة والفتح في الدنيا وبأسكانهم الجنة في الآخرة عن أبي مسلم وقال أكثر المفسرين إن المراد بقوله في الآخرة في القبر والآية وردت في سؤال القبر وهو قول ابن عباس وابن مسعود وهو المروي عن أئمتنا (ع) وروى محمد بن يعقوب الكوفي في كتاب الكافي بإسناده عن سويد بن غفلة عن أمير المؤمنين علي (ع) قال إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة مثل له ماله وولده وعمله فيلتمت إلى ماله فيقول والله أني كنت عليك حرباً شحيحاً فإني عندك فيقول خذني كفنك فيلتمت إلى ولده فيقول والله أني كنت لك لمحباً وعليكم لمحامياً فإذا لي عندكم فيقولون نوؤدك إلى حفرتك نوأريك فيها قال فيلتمت إلى عمله فيقول والله أني كنت فيك لزاهداً وإن كنت علي لثقيلاً فإذا لي عندك فيقول أنا قربك في قبرك ويوم نشرك حتى اعرض أنا وأنت على ربك قال فإن كان لله ولياً أتاه أطيب الناس ريحاً وأحسنهم منظرأً وأحسنهم ريشاً فقال أبشر بروح وريحان وجنة نعيم ومقدمك خير مقدم فيقول له من أنت فيقول أنا عمك الصالح أرتحل من الدنيا إلى الجنة وأنه ليعرف غاسله ويناشد حامله إن يعجله فإذا ادخل قبره أتاه ملكا القبر يجران أشعارهما ويخدان الأرض بأنباها أصواتها كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له من ربك وما دنك ومن نبيك فيقول الله ربي وديني الإسلام ونبي محمد ﷺ فيقولان ثبتك الله فيما تحب وترضى وهو قوله سبحانه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم يسبحان له في قبره مد بصره ثم يفتحان له باباً إلى الجنة ثم يقولان له نعم قرير العين نوم الشاب الناعم فإن الله يقول أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً قال وإذا كان لربه عدواً فإنه يأتيه أقيح خلق الله زياً وأنته ريحاً فيقول أبشر بنزل من حميم وتصلية جحيم وأنه ليعرف غاسله ويناشد حملته أن يحبسوه فإذا ادخل القبر أتاه ملكا القبر فألقيا أكفانه ثم يقولان له من ربك وما دنك ومن نبيك فيقول لا أدري فيقولان له لا دريت ولا هدبت فيضربان نأفوخه بمرزبة معها ضربة ما خلق الله من دابة إلا تذعر لها ما خلا الثقلين ثم يفتحان له باباً إلى النار ثم يقولان له نعم بشر حال فيه من الضيق مثل ما فيه القناة من الزج حتى إن دماغه ليخرج من بين ظفريه ولحمه ويسلط الله عليه حيات الأرض وعقاربها وهوامها فتنبشه حتى يبعثه الله من قبره وأنه ليتمنى قيام الساعة مما هو فيه من الشر نعوذ بالله من عذاب القبر (ويضل الله الظالمين) أي ويضلهم عن هذا التثبيت في الدنيا وفي الآخرة (وبفعل الله ما يشاء) من الإمهال والانتقام وضغطة القبر ومساءلة منكر ونكير لا اعتراض عليه في ذلك ولا قدرة لأحد على منعه وهذا من تمام الترغيب والترهيب ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) يحتمل أن يكون المراد ألم تر إلى هؤلاء الكفار عرفوا نعمة الله بمحمد ﷺ أي عرفوا محمداً ثم كفروا به فبدلوا مكان الشكر كفرأ وروي عن الصادق (ع) أنه قال نحن والله نعمة الله التي نعمها أنعم بها على عباده وبتنا يفوز من فاز. ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره ويحتمل أن يكون المراد جميع نعم الله على العموم بدلوا أقيح التبديل إذ جعلوا مكان شكرها الكفر بها واختلاف في المعنى بالآية فروي عن أمير المؤمنين علي (ع) وابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ومجاهد أنهم كفار قريش كذبوا نبيهم ونصبوا له الحرب والعداوة وسأل رجل أمير المؤمنين علياً (ع) عن هذه الآية فقال هم الأفجرا من قريش بنو أمية وبنو المغيرة فأما بنو أمية فتعومهم إلى حين وأما بنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر وقيل إنهم جيلة بن الإيهام ومن اتبعوه من

العرب تنصروا ولحقوا بالروم (واحلوا قومهم دار البوار) أي أنزلوا قومهم دار الهلاك بأن أخرجوهم إلى بدر وقيل معناه أنزلوهم دار الهلاك وهي النار بدعائهم إياهم إلى الكفر بالنبي واغوائهم إياهم (جهنم يصلونها وبئس القرار) وهذا تفسير لدار البوار يعني أن تلك الدار هي جهنم يدخلونها وبئس القرار قرار من قراره النار (وجعلوا لله أنداداً) أي وجعل هؤلاء الكفار الذين بدلوا نعمة الله كفرًا لله نظراء وامثالاً في العبادة زيادة على كفرهم وجحدهم (ليضلوا عن سبيله) أي ليكون عاقبة أمرهم إلى الضلال الذي هو الهلاك وليست هذه اللام لام الغرض لأنهم لم يعبدوا إلا وثان من دون الله وغرضهم أن يهلكوا ومن قرأ ليضلوا بضم الياء فمعناه ليضل الناس عن سبيل الله ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (قل) هؤلاء الكفار الذين وصفناهم (تمتعوا) وانتفعوا بما تهوون من عاجل هذه الدنيا والمراد به التهديد وإن كان بصورة الأمر (فإن مصيركم) أي مرجعكم ومآلكم (إلى النار) والكون فيها وكان قد يكون

قوله تعالى (٣١) قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (٣٢) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ (٣٣) وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِمِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٤) وَأَنَا كُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ نَعُدُّوهُ نِعْمَةً اللَّهُ لَا تُحْصِيهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ

أربع آيات في الكوفي والمدني ثلاث في غيرهم

✽ القراءة ✽

قرأ زيد عن يعقوب من كل ما سألتموه بالتنوين وهو قراءة ابن عباس والحسن ومحمد بن علي الباقر (ع) وجعفر ابن محمد الصادق (ع) والضحاك وعمرو بن قائد وقرأ سائر القراء من كل ما سألتموه بالإضافة

(- الحجة -)

أما القراءة بالتنوين فإن المفعول فيها ملفوظ به أي وأتاكم ما سألتموه من كل شيء سألتموه أن يؤتيكم منه وقال الضحاك إن ما للنفى معناه وأتاكم من كل شيء لم تسألوه إياه أما القراءة على الإضافة فالمفعول فيها محذوف أي وأتاكم سؤلكم من كل شيء سألتموه

✽ اللغة ✽

الخلال مصدر خالته محالة وخاللاً أي صادفته قال امرؤ القيس

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ولست بمقلي الخلال ولا قال وقد يكون الخلال جمع خلة ويكون مثل قلة وقلال والدؤوب مرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه يقال دأب بدأب دأباً ودؤوبا فهو دأب

✽ الاعراب ✽

يقيموا جزم من ثلاثة أوجه ✽ أحدها ✽ أنه جواب الأمر الذي هو قل لأن المعنى في قل إن نقل لهم يقيموا الصلاة ✽ والثاني ✽ أنه جواب امر محذوف وتقديره قل لعبادي أقيموا الصلاة يقيموا الصلاة ✽ والثالث ✽ أنه على حذف لام الأمر كأنه قال قل لعبادي ليقموا الصلاة وإنما جاز حذف اللام هنا لأن في الكلام دليلاً

على المحذوف ألا ترى ان لفظ الأمر بقل قد دل على الغائب تقول قل لزيد ليضرب عمراً وان شئت قلت قل لزيد يضرب عمراً ولا يجوز ان تقول يضرب زيد عمراً بالجزم حتى تقول ليضرب لأن لام الغائب ليس هنا عوض منها إذا حذفها وقوله لا يبيع فيه ولا خلال ان شئت رفعت البيع والخلال جميعاً وان شئت فتحتها وان شئت فتحت احدهما ورفعت الآخر وقد شرحنا ذلك فيما مضى

✽ المعنى ✽

(قل) يا محمد (لعبادى الذين آمنوا) اي اعترفوا بتوحيد الله وعدله عنى به اصحاب النبي ﷺ عن ابن عباس وقيل اراد به جميع المؤمنين عن الجبائي (بقيمو الصلاة) أي هودوا الصلوات الخمس لمواقيتها فإن الصلاة لا تصير قائمة إلا باقامتهم (وبنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) أي وقل لم ينفقوا من اموالهم سرياً وجوه البر من الفرائض والنوافل ينفقون في النوافل سراً ليدفعوا عن انفسهم تهمة الرياء وفي الفرائض علانية ليدفعوا تهمة المنع (من قبل ان يأتي يوم لا يبيع فيه) يعني يوم القيامة والمراد بالبيع اعطاء البدل ليتخلص به من النار لا ان هناك مباحة (ولا خلال) أي ولا مصادقة وهذا مثل قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ثم بين سبحانه انه المستحق للاية فقال (الله الذي خلق السموات والأرض) أي انشأهما من غير شيء وبدأ بذكرهما لعظم شأنها في القدرة والنعمة (وأنزله من السماء ماء) أي غيثاً ومطراً (فأخرج به) أي بذلك الماء (من الثمرات رزقاً لكم) يعني ان الغرض في ذلك ان يؤتيكم أرزاقكم (وسخر لكم الفلك) أي السفن والمراكب (لتجري في البحر بأمره) أي بأمر الله لأنها تسير بالرياح والله هو المنشئ للرياح (وسخر لكم الأنهار) التي تجري بالياه التي ينزلها من السماء ويجريها في الأودية وينصب منها في الانهار (وسخر لكم الشمس والقمر) أي ذلل لمنافعكم الشمس والقمر في سيرهما لتنتفعوا بضوء الشمس نهاراً وبضوء القمر ليلاً وليبلغ بها الثمار والنبات في النضج الحد الذي عليه تتم النعمة فيها (دائبين) أي دائمين لا يفتران في صلاح الخلق والنباتات ومنافعهم (وسخر لكم الليل والنهار) أي ذلها لكم ومهدما لمنافعكم لتسكنوا في الليل ولتبتغوا في النهار من فضله (وأتاكم من كل ما سألتموه) معناه ان الإنسان قد يسأل الله العافية فيعطى ويسأله النجاة فيعطى ويسأله القنى فيعطى ويسأله الولد والعز فيعطى ويسأله تسير الأمور وشرح الصدور فيعطى فهذا في الجملة حاصل في الدعاء لله تعالى ما لم يكن فيه مفسدة في الدين أو على غيره فأين يذهب به مع هذه النعم التي لا تحصى كثرة عن الله الذي هو في كل حال محتاج اليه وهو مظاهره بالنعم عليه ودخلت من التبعية لأنه لو قال وأتاكم كل ما سألتموه لاقتضى ان جميع ما يسأله العبد بعطيه الله تعالى والأمر بخلافه لأن ما فيه مفسدة لا يعطيه الله اياه وتقديره وأتاكم من كل ما سألتم شيئاً وقيل معناه وأتاكم من كل ما بكم اليه حاجة فما من شيء يحتاج اليه العباد الا وهو موجود في ايديهم وهو كقوله خلق لكم ما في الارض جميعاً ولم يخص كل واحد من الخلق بإيتاء كل ما سأله وقيل معناه وأتاكم من كل شيء سألتموه ولم تسألوه فما ههنا نكرة موصوفة والجملة صفة له وحذف الجملة المعطوفة وهي لم تسألوه كقوله سراويل تقيكم الحر والمعنى وتقيكم البرد وان فيها أبقى دليلاً على ما القى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) اي لا تقدروا على احصائها لكثرتها والنعمة هنا اسم اقيم مقام المصدر ولذلك لم يجمع فبين سبحانه انه هو المنعم على الحقيقة وانه المستحق للعبادة ويروى عن طليق بن حبيب انه قال ان حق الله تعالى اثقل من ان يقوم به العباد فإن نعم الله أكثر من ان تحصيها العباد ولكن اصحو آتائين وامسوا آتائين (ان الانسان لظالم) اي كثير الظلم لنفسه (كفار) أي كثير الكفران لنعم ربه وقيل معناه ظلم في الشدة بشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع ولم يرد بالإنسان هاهنا العموم بل هو مثل ما في قوله والعصر ان الإنسان لفي خسر

✽ النظم ✽

اتصل قوله سبحانه قل لعبادي الذين آمنوا بقيموا الصلاة بما تقدم من قوله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى

النار فإنه عقب ذلك بالأمر للمؤمنين بما يوجب النعيم المقيم ومرافقة الأبرار ليكون قد عقب الوعيد بالوعد والعقاب بالثواب واتصل الآية الثانية بقوله وجعلوا لله أنداداً فإنه سبحانه لما ذكر ما هم عليه من اتخاذ الأنداد لله سبحانه بين بعده أن واجب الوجود المستحق للإلهية الذي يحق له العبادة هو الله الذي خلق السموات والأرض الآية

قوله تعالى (٣٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ
 (٣٦) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّنِي كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
 (٣٧) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا
 الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٨)
 رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٩)
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٤٠) رَبِّ
 اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ (٤١) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
 يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ سبع آيات

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة الجحدري والثقفي وأبي الجحجاج وأجنيبي بقطع الهزمة وقرأ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «ع»
 وأبو جعفر الباقر (ع) وجعفر بن محمد «ع» ومجاهد تهوى إليهم بفتح الواو وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحزمة وهبيرة عن
 حفص وتقبل دعائي ربنا بأوثان البياء في الوصل وفي رواية البرقي عن ابن كثير أنه يصل ويقف بياء وقال قبيل
 أنه بسم البياء في الوصل ولا يثبتها ويقف عليها بالألف والباقون دعاء بغير بياء وقرأ الحسن بن علي «ع» وأبو جعفر
 محمد بن علي «ع» والزهري وإبراهيم النخعي ولولدي وقرأ يحيى بن يعمر وكوفي وقرأ سعيد بن جبيرة ولوالدي

(- الحجة -)

يقال جنبت الشيء اجنبه جنوباً ومن العرب من يقول اجنبته اجنبه أي تجنبته عن الشيء وكان معنى قوله
 اجنبني وبني أن نعبد الأصنام أصرفني وإياهم عن عبادة الأصنام ومعنى اجنبني اجنبني كالجنب عن ذلك وأما قوله
 تهوى إليهم بفتح الواو فهو من هويت الشيء أهواه إذا احببته وإنما جاز تعديته بإلى لأن معنى هويت الشيء ملت
 إليه فكأنه قال تميل إليهم فهو محمول على المعنى ومثله قوله سبحانه أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم
 فعدى الرفث بإلى وانت لا تقول رفثت إلى فلانة وإنما تقول رفثت بها أو معها ولكنه لما كان معنى الرفث هنا معنى
 الإفضاء عداه بإلى فكأنه قال أحل لكم الإفضاء إلى نسائكم قال ابن جنبي المعنى في قراءة الجماعة تهوى إليهم
 تميل إليهم أي تحببهم فهذا في المعنى كقولهم هو ينحط في هواك أي يخلد إليه ويقوم عليه وذلك أن الإنسان إذا
 أحب الشيء أكثر من ذكره وأقام عليه وإذا كرهه خف إلى سواه وقولهم هويت فلاناً من لفظ هوى إلى الشيء
 يهوي إلا أنهم خالفوا بين المثاليين لاختلاف ظاهر الأمرين وإن كانا على معنى واحد متلاقيين وأما من وصل
 دعائي بياء فهو القياس من شم البياء في الوصل ولا يثبتها فلدلالة الكسرة على البياء قال أبو علي حذف البياء في
 الوقف أقيس من حذفها في الوصل لأن الوقف موضع تغيير بغير فيه الحرف الموقوف عليه كثيراً قال الاعشى

فهل يمتني ارتيادي البلاد من حذر الموت أن يأتين

وقال

ومن شائئ كاسف وجهه إذا ما اتسبت له انكرن
ومن قرأ لولدي فإنه يعني اسماعيل واسحاق ومن قرأ لولدي فإن الولد قد يكون واحداً وجمعاً تقول العرب
ولدك من دمي عقيبك ومعناه ولدك من ولدته فسأل دمك على عقيبك عند ولادته لا من اتخذته ولداً وإذا كان
جمعاً فيجوز ان يكون جمع ولد فهو كأسد وأسد ويجوز ان يكون جمع ولد أيضاً فيكون مثل الفلك في
انه جمع الفلك

اللغة

الوادي سفح الجبل العظيم ومنها قيل للأ نهار العظام أودية لأن حافاتهما كالجبال لها ومنه الدية لأنه مال
عظيم يحتمل في امر عظيم

المعنى

(واذا قال ابراهيم) معناه واذا ذكر يا محمد إذا قال ابراهيم (رب اجعل هذا البلد آمناً) يعني مكة وما حولها
من الحرم وقيل ان ابراهيم (ع) لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء وقد تقدم تفسيره في سورة البقرة وإنما
قال هناك بلداً آمناً وقال هنا هذا البلد آمناً معرفاً لأن النكرة إذا تكررت وأعيدت صارت معرفة ومثله في
التنزيل فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجه كأنها كوكب فاستجاب الله دعاء ابراهيم (ع) حتى كان الانسان
يرى قاتل أبيه فيها فلا يتعرض له ويدنو الوحش فيها من الناس فيأمن منهم (واجتنبني وبني ان نعبد الأصنام)
أي والطف لي ولبني لطفاً تنجنب به عن عبادة الأصنام ودعاء الأنبياء لا يكون إلا مستجاباً فعلى هذا يكون
سؤاله ذلك مخصوصاً بمن علم الله من حاله ان يكون مؤمناً لا يعبد إلا الله ويكون الله سبحانه قد أذن له في الدعاء
لم واستجاب دعاءه فيهم (رب انهن أضللن كثيراً من الناس) معناه ضل بسببهن وعبادتهن كثير من الناس كما يقال
فتنتني فلانة يعني افتنتت بجبها لا لأنها عملت شيئاً وكما في قول الشاعر

هبوني امرأ منكم اضل بعيره له ذمة ان الذمام كبير

وإنما اراد ضل بعيره لأن احداً لا يضل بعيره قاصداً الى اضلاله (فمن تبعني فإنه مني) يريد فمن تبعني من
ذريتي الذين اسكنتهم هذا البلد على ديني في عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام فإنه من جملي وحاله كحالي
(ومن عصاني فإنه غفور رحيم) أي سائر على العباد معاصيهم رحيم بهم في جميع احوالهم منعم عليهم ثم حكى
سبحانه تمام دعاء ابراهيم (ع) وأنه قال (ربنا اني اسكنت من ذريتي) أي اسكنت بعض اولادي ولاخلاف
انه يريد اسماعيل (ع) مع امه هاجر وهو أكبر ولده وروي عن الباقر (ع) انه قال نحن بقية تلك العترة وقال
كانت دعوة ابراهيم (ع) لنا خاصة (بواد غير ذي زرع) يريد وادي مكة وهو الابطح وإنما قال غير ذي
زرع لأنه لم يكن بها يومئذ ماء ولا زرع ولا ضرع ولم يذكر مفعول اسكنت لأن من يفيد بعض القوم كما
يقال قتلنا من بني فلان واكلنا من الطعام وكما قال سبحانه افيضوا علينا من الماء وما رزقكم الله وتقديره
اسكنت من ذريتي اناساً أو ولداً عن البلخي (عند بيتك المحرم) إنما اضاف البيت اليه سبحانه لأنه مالكه
لا يملكه احد سواه وما عداه من البيوت قد ملكه غيره من العباد ويسأل فيقال كيف ساء بيتاً ولم يبنه ابراهيم
(ع) بعد والجواب من وجبين أحدهما أنه لما كان من المعلوم انه يبنيه سماء بيتاً والمراد عند بيتك الذي
مضى في سابق علمك كونه والثاني أن البيت قد كان قبل ذلك وإنما خربه طسم وجدبس وقيل انه رفعه الله
إلى السماء أيام الطوفان وإنما سماه المحرم لأنه لا يستطيع أحد الوصول اليه إلا بالاحرام وقيل لأنه حرم فيه
ما أحل في غيره من البيوت من الجماع والملاسة بشي من الاقدار والدماء وقيل معناه العظيم الحرمه (ربنا

ليقيموا الصلاة) أي اسكنتهم هذا الوادي ليدوموا على الصلاة ويقوموا بشرائها واللام تتعلق بقوله اسكنت وفصل بينه وبين ما يتعلق بقوله ربنا لأن الفصل بالنداء مستحب في هذا وإذا جاء نحو قوله

على حين ألهي الناس جل أمورهم فبدلاً زريق المال ندل الثعالب

أي اندل المال يا زريق فصل بالنداء بين المصدر وما يتعلق به كان هذا أولى (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم) هذا سؤال من ابراهيم «ع» ان يجعل الله قلوب الخلق تمن إلى ذلك الموضع ليكون في ذلك انس لذريته من يرد عليهم من الوفود وليدر أرزاقهم على مرور الأوقات ولولا لطفه سبحانه بأمانة قلوب الناس إليه اما للدين كالحج والعمرة واما للتجارة لما صح ان يعيش ساكنوه قال سعيد بن جبير لو قال أفئدة الناس لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال من الناس فهم المسلمون وروى مجاهد انه قال ان ابراهيم «ع» لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم وروى الفضل بن يسار وغيره عن الباقر «ع» انه قال إنما امر الناس ان يطوفوا بهذه الاحجار ثم ينفروا اليها فيعلمونها ولا يتهم ويعرضوا علينا نصرهم ثم قرأ هذه الآية وقيل ان معنى تهوي اليهم ينزع اليهم ويميل عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه وينزل ويهبط اليهم لأن مكة في غور عن ابي مسلم (وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) أي لكي يشكروا لك ويعبدوك (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن) هذا اعتراف من ابراهيم «ع» لله سبحانه بأنه يعلم ما يبطن الخلق وما يظهره وانه لا يخفي عليه شيء في الارض والسما وقيل ان قوله (وما يخفي على الله من شيء في الأرض ولا في السماء) إنما هو اخبار منه سبحانه بذلك وابتداء كلام من جهته لا على سبيل الحكاية عن ابراهيم «ع» بل هو اعتراض عن الجبائي قال ثم عاد إلى حكاية كلام ابراهيم «ع» فقال (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق) وهذا اعتراف منه بنعم الله سبحانه وحمد له على احسانه بأن وهب له على الكبر كبر سنه ولدين قال ابن عباس ولد له اسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقال سعيد بن جبير لم يولد لابراهيم «ع» إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة (ان ربي لسميع الدعاء) أي قابله ومجيبه عن ابن عباس ويؤيده قوله سمع الله لمن حمده (رب اجعني مقيم الصلاة ومن ذريتي) تقديره واجعل من ذريتي مقيم الصلاة فحذف الفعل لأن ما قبله يدل عليه وهذا سؤال من ابراهيم «ع» من الله تعالى بأن يلطف له اللطف الذي عنده بقيم الصلاة ويتمسك بالدين وان يفعل مثل ذلك بمجاعة من ذريته وهم الذين اسلموا منهم فسأل لهم مثل ما سأل لنفسه (ربنا) وتقبل دعاء) أي واجب دعائي فإن قبول الدعاء إنما هو الاجابة وقبول الطاعة الاثابة (ربنا اغفر لي ولوالدي) واستدل اصحابنا بهذا على ما ذهبوا اليه من ان ابوي ابراهيم «ع» لم يكونا كافرين لأنه إنما يسأل المغفرة لهما يوم القيامة فلو كانا كافرين لما سأل ذلك لأنه قال فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه فصح ان أباه الذي كان كافراً إنما هو جده لأنه او عمه على الخلاف فيه ومن قال انما دعا لأبيه لأنه كان وعده ان يسلم فلما مات على الكفر تبرأ منه على ما روى الحسن فقوله فاسد لأن ابراهيم «ع» انما دعا بهذا الدعاء بعد الكبر وبعد ان وهب له اسماعيل واسحاق وقد تبين له في هذا الوقت عداوة أبيه الكافر لله فلا يجوز ان يقصده بدعائه (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) أي واغفر للمؤمنين ايضاً يوم يقوم الخلق للحساب وقيل معناه يوم يظهر وقت الحساب كما يقال قامت السوق

﴿ النظم ﴾

اتصلت الآيات بما قبلها لأن النهي عن عبادة الأصنام والأمر بعبادة الله سبحانه قد تقدم فبين الله سبحانه عقيب ذلك ما كان عليه ابراهيم «ع» من التشدد في انكار عبادة الأصنام والدعاء بما دعا به وقيل إنه معطوف على ما تقدم من قوله ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وقيل إنه لما قال وآنا كم من كل ما سألتموه بين

عقبيه ما دعا به ابراهيم (ع) وسأله اياه واجابته لدعائه وسؤاله
قوله تعالى (٤٢) وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ
فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٣) مَهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٤)
وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَا بُنَيَّهِمْ الْعَذَابُ الَّذِي قَالُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ مُّجِيبٍ
دَعْوَانِكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ أُولَٰئِكَ زَكَوٰنٌ أُولَٰئِكَ سَمِعُوا مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (٤٥) وَسَكَنْتُمْ
فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ
أربع آيات

✽ اللغة ✽

الاهطاع الاسراع قال

في مهطع سرع كأن زمامه في رأس جذع من أراك مشذب

وقال آخر

بدجلة أهلها ولقد أراهم بدجلة مهطعين الى السماع
اي مسرعين وقيل ان الاهطاع مد العنق والهطع طول العنق قال احمد بن يحيى المهطع الذي
ينظر في ذل وخشوع لا يقلع بصره والاقناع رفع الرأس وقال الزجاج المقنع الرافع والمقنع المرتفع قال الشاخر
يباكرن العضاه بمقنعات نواجذهن كالحدا الوقيع
اي كالغوثوس المحدبة يصف ابلا ترعى الشجر والطرف مصدر طرفت عين فلان اذا نظرت وهو ان
ينظر ثم يغمض والطرف العين ايضا وأفئدتهم هواء اي متجوفة لا تعي شيئا للخوف والفرع شبهها بهواء الجو
قال حسان

الا ابلغ ابا سفيان عني فأنت مجوف ثخب هواء

وقال زهير

كأن الرجل منها فوق صعل من الظلمان جو جو هواء
والأجل الوقت المضروب لانقضاء الأمد

✽ الاعراب ✽

يوم يأتيهم نصب على انه مفعول به والعامل فيه أنذرهم ولا يكون على الطرف لأنه لم يؤمر بالانذار
في ذلك اليوم . فيقول عطف على يأتيهم وليس جواب الأمر لأنه لو كان جوابا له لجاز فيه النصب والرفع
فالنصب مثل قول الشاعر

يا ناق سيرى عنقا فسيحها الى سليمان فستريحا

والرفع على الاستئناف وتبين لكم كيف فعلنا بهم فاعل تبين محذوف اي تبين لكم فعلنا بهم ولا يكون الفاعل
كيف لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ولأن كيف لا يخبر عنه وإنما يخبر به وكيف هنا منصوب بقوله فعلنا

* المعنى *

لما ذكر سبحانه يوم الحساب وصفه وبين انه لا يجهل الظالمين عن غفلة لكن لتأكيد الحجية قال (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) وفي هذا وعيد للظالم وتعزية للمظلوم ومعناه ولا تظنن الله ساهيا عن مجازاة الظالمين على اعمالهم وقيل ان تقديره ولا تحسبن الله لا يعاقب الظالمين على افعالهم ولا ينتصف للمظلومين منهم (انما يؤخرهم ايوم تشخص فيه الابصار) ومعناه انما يؤخر عقابهم ومجازاتهم الى يوم القيامة وهو اليوم الذي تكون فيه الابصار شاخصة عن مواضعها لا تغمض لهول ما ترى في ذلك اليوم ولا تطرف عن الجبائي وقيل تشخص ابصارهم الى اجابة الداعي حين يدعوهم عن الحسن وقيل تبقى ابصارهم مفتوحة لا تنطبق للتحير والرعب (مهطمين) اي مسرعين عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة وقيل يريد دائمي النظر الى ما يرون لا يطفون عن ابن عباس ومجاهد (مقني رؤوسهم) اي رافعي رؤوسهم الى السماء حتى لا يرى الرجل مكان قدمه من شدة رفع الرأس وذلك من هول يوم القيامة وقال مؤرج معناه ناكسي رؤوسهم بلغة قريش (لا يرتد اليهم طرفهم) اي لا ترجع اليهم اعينهم ولا يطبقونها ولا يغمضونها وانما هو نظر دائم (وأفئدتهم هواء) اي قلوبهم خالية من كل شيء فزعا وخوفا عن ابن عباس وقيل خالية من كل سرور وطمع في الخير لشدة ما يرون من الاهوال كالهواء الذي بين السماء والارض وقيل معناه وأفئدتهم زائلة عن مواضعها قد ارتفعت الى خلوقهم لا تخرج ولا تعود الى اماكنها بمنزلة الشيء الذاهب في جهات مختلفة المتردد في الهواء عن سعيد بن جبير وقتادة وقيل معناه خالية عن عقولهم عن الأخفش (وانذر الناس) معناه ودم يا محمد على انذارك الناس وهو عام في كل مكلف عن الجبائي وابي مسلم وقيل معناه وخوف أهل مكة بالقرآن عن ابن عباس والحسن (يوم يأتيهم العذاب) وهو يوم القيامة أو يأتيهم العذاب الاستئصال في الدنيا وقيل هو يوم المعابرة عند الموت والأول اظهر (فيقول الذين ظلموا) نفوسهم بارتكاب المعاصي (ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك) اي ردنا الى الدنيا واجعل ذلك مدة قريبة نجب دعوتك فيها (وتبع الرسل) اي تتبع رسلك فيما يدعوننا اليه فيقول الله تعالى مخاطبا لهم او يقول الملائكة بامرهم (او لم تكونوا اقسمتم) اي حلفتكم (من قبل) في دار الدنيا (ما لكم من زوال) اي ليس لكم من انتقال من الدنيا الى الآخرة عن مجاهد وقيل معناه من زوال من الراحة الى العذاب عن الحسن وفي هذه دلالة على ان أهل الآخرة غير مكلفين خلافا لما يقول النجار وجماعة لانهم لو كانوا مكلفين لما كان لقولهم اخرنا الى اجل قريب وجه ولكن ينبغي لهم أن يؤمنوا فيتخلصوا من العقاب اذا كانوا مكلفين (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم) هذا زيادة توبيخ لهم وتعنيف اي وسكنتم ديار من كذب الرسل قبلكم فاهلكهم الله وعرفتم ما نزل بهم من البلاء والهلاك والعذاب المعجل عن ابن عباس والحسن ومساكنهم دورهم وقراهم وقيل انهم عاد وثمود وقيل هم المقتولون بيد (و ضربنا لكم الامثال) وبيننا لكم الاشياء واخبرناكم باحوال الماضين قبلكم لتعتبروا بهافلتم تعتبروا ولم تنعظوا وقيل الامثال ما ذكر في القرآن مما يدل على انه تعالى قادر على الاعداد كما هو قادر على الانشاء والابتداء وقيل هي الامثال المنبهة على الطاعة الزاجرة عن المعصية عن الجبائي وفي هذه الآيات دلالة على ان الايمان من فعل العبد اذ لو كان من فعل الله تعالى لم يكن لتعني العود الى الدنيا معنى

قوله تعالى (٤٦) وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرُهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٧) فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ مَخْلُوفًا وَعَدِيهِ رَسُولُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤٨) يَوْمَ نَبْدَلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٩) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٥٠) سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قِطْرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهُهُمْ النَّارُ (٥١) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥٢) هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ سبع آيات
* القراءة *

قرأ الكسائي وحده لتزول بفتح اللام الاولى ورفع الثانية والباقون لتزول بكسر اللام الاولى ونصب الثانية وفي الشواذ عن علي (ع) وعمر بن مسعود وابي بن كعب وان كاد مكروهم لتزول وقرأ زيد عن يعقوب من قطر ان على كلمتين منونتين وهو قراءة ابي هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير والكلبي وقتادة وعيسى الهمداني والربيع وقرأ سائر القراء قطران

(= الحجة =)

قال ابو علي من قرأ لتزول بالنصب فان ان هي النافية فيكون مثل قوله وما كان الله ليطلمعكم على الغيب فعناه وما كان مكروهم لتزول منه الجبال والجبال كأنه أمر النبي ^{صلى الله عليه وسلم} واعلامه ودلائله اي ما كان مكروهم لتزول منه ما هو مثل الجبال في امتناعه ممن أراد ازالته ومن قرأ لتزول كانت ان هي المخففة من الثقيلة على تعظيم امر مكروهم بخلاف القراءة الاولى فيكون كقوله ومكروا مكرا كبارا اي قد كان مكروهم لعظمه وكبره يكاد يزيل ما هو مثل الجبال في الامتناع على من أراد ازالتها وثباتها ومثل هذا في التعظيم للأمر قول الشاعر

ألم تر صدعا في السماء مبينا على ابن لبيبي الحارث بن هشام

وقال

بكي الحارث الجولان من خوف ربه وحوران منه خاشع متضائل

وقال اوس

ألم تكسف الشمس شمس النهار مع النجم والقمر الواجب

وبدل على ان الجبال يعني بها أمر النبي ^{صلى الله عليه وسلم} قوله بعد فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله اي فقد وعد الظهور عليهم والغلبة لهم في قوله ليظهره على الدين كله وقوله للذين كفروا ستغلبون وقد استعمل لفظ الجبال في غير هذا الموضع في تعظيم الشيء وتفخيمه قال ابن مقبل

إذا مت عن ذكر القوافي فان ترى لها شاعرا مثلي اطب واشعرا

واكثر بيتا شاعرا ضربت به بطون جبال الشعر حتى تيسرا

ومن قرأ وإن كاد مكروهم لتزول فهي مخففة من الثقيلة ايضا فتقديره وانه كاد مكروهم لتزول منه الجبال قال ابن جني القطر الصفر والنحاس وهو ايضا الفلز رويناه عن قطرب وهو ايضا الصاد ومنه قدور

الصاد أي قدور الصفر والآتي الذي قد أنى وأدرك أنى الشيء يأتي أنياً وأنا مقصور ومنه قوله عز سبحانه
غير ناظرين إنا أي بلوغه وإدراكه قال أبو علي ومنه الإناء لأنه الظرف الذي قد بلغ غايته المرادة منه من
حرز وصياغة ونحو ذلك قال أمية

وسليمان إذ يسيل له القطر
ر على ملكه ثلاث ليال

وأما القطران ففيه ثلاث لغات قطران على فعلان وقطران بفتح القاف واسكان الطاء وقطران بكسر
القاف واسكان الطاء والأصل فيها قطران فاسكنا على ما يقال في كلمة كلمة وكلمة لغة تميمية قال أبو النجم

جون كأن العرق المنتوحا
أبسسه القطران! والمسوحا
وقال!

كأن قطران إذا تلاها
ترمي به الريح إلى مجراها

❖ اللغة ❖

البروز الظهور والأصفاد جمع الصفد وهو الغل الذي يقرب به اليد إلى العنق ويجوز أن يكون السلسلة
التي يقع بها التقرين والتقرين جمع الشيء إلى نظيره والقران الجبل يقرب به شيئان يقال صفدته بالحديد
واصفدته وصفدته قال عمرو بن كلثوم

فأبوا بالنهاب وبالسبايا
وأبنا بالملوك مصفدينا

ومنه اصفدته اصفادا إذا أعطيته مالا والصفد العطية وهو من الأول لأن العطية تصفد المودة وتقيدها
والى هذا المعنى أشار المتنبي بقوله «ومن وجد الاحسان قيذا تقيدا» والاختيار في الحديد صفدته وفي العطية
اصفدته قال الأعشى

تضيفته يوما فقرب مجلسي
واصفدني على الزمانه قائدا
ومعناه واعطاني قيادا وقال النابغة في الصفد الذي هو العطية

هذا الشناء فإن تسمع لقائله
فما عرضت إبيت اللعن للصفد
والسربال التميمي قال امرؤ القيس

ومثلك بيضاء العوارض طفلة
لعوب تُنسىني إذا قت سربالي
والبلاغ الكفاية ومنه البلاغة وهو البيان الكافي والبلغ هو الذي يبلغ بلسانه كنه ما في ضميره

❖ الإعراب ❖

مخلف وعده رسله اضافة مخلف إلى وعده اضافة غير محضة لأنها في تقدير الانفصال ووعدته وإن كان
مجروراً في اللفظ فإنه منصوب في المعنى لأنه مفعول في المعنى فإن الإعراب يقتضي مفعولين يقال اخلفت
زيدا وعده فعلى هذا يكون تقديره مخلفا وعده رسله وقيل انه قرأ في الشواذ مخلف وعده بالنصب رسله
بالجر وهي رديئة للفصل بين المضاف والمضاف إليه وأنشدوا في ذلك «فزججتها بجزجة زج القلوص أبي مراده»
ومعناه فزججتها زج أبي مرادة القلوص والعامل في قوله يوم تبدل الأرض قوله مخلف وعده او انتقام أي
يتنقم ذلك اليوم او يكون محذوفا على تقدير واذا كر يوم تبدل الأرض وإن شئت جعلته نعتا لقوله يوم يقوم

الحساب والارض مرفوعة على ما لم يسم فاعله وغير منصوب على انه مفعول ما لم يسم فاعله تقول بدل الخاتم
خاتماً آخر إذا كسر وصيغ صيغة أخرى وقد تقول بدل زيد إذا تغير حاله

✽ المعنى ✽

ثم ابان سبحانه عن مكر الكفار ودفعه ذلك عن رسله «ع» تسلياً لنبينا ﷺ فقال (وقد مكروا
مكروهم) أي وقد مكروا بالأنبياء قبلك ما أمكنهم من المكر كما مكروا بك فعصمهم الله من مكروهم كما
عصمك وقيل عنى به كفار قرهش الذين دبروا في أمر النبي ﷺ واحتالوا عليه ومكروا بالمؤمنين
وخذعوه (وعند الله مكروهم) أي جزاء مكروهم فحذف المضاف كما حذف من قوله ترى الظالمين مشفقين مما
كسبوا وهو واقع بهم أي جزاؤه يريد وقد عرف الله مكروهم فهو يجازيهم عليه (وإن كان مكروهم لتزول منه
الجبال) أي ولم يكن مكروهم ليبطل حجج القرآن وما معك من دلائل النبوات فإن ذلك ثابت بالدليل
والبرهان والمعنى لا تزول منه الجبال فكيف يزول منه الدين الذي هو أثبت من الجبال وعلى القراءة الأخرى
فالمعنى ان مكروهم وإن بلغ كل مبلغ فلا يزال دين الله تعالى على ما تقدم بيانه ولا يضر ذلك أنبياءه ولا
يزيل امرهم ولا سيما امر محمد ﷺ فإنه أثبت من الجبال وقد قيل ان المراد به غرود بن كوش بن كنعان
حين أخذ التابوت وأخذ أربعة من النسور فأجاعها اياماً وعلق فوقها لحماً وربط التابوت اليها وطارت النسور
بالتابوت وهو ووزيره فيه الى أن بلغت حيث شاء الله تعالى وظن انه بلغ السماء ففتح باب التابوت من اعلاه
فرأى بعد السماء منه كبعدها حين كان في الارض وفتح باباً من اسفل التابوت فرأى الارض قد غابت
عنه فهاله الأمر فصوب النسور وسقط التابوت وكانت له وجبة عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة (فلا
تحسب الله مخلف وعده رسله) أي فلا تظنن الله عز اسمه مخلفاً رسله ما وعدهم به من النصر والظفر
بالكفار والظهور عليهم (إن الله عزيز) أي متمنع بقدرته من ان ينال باهتضام وهو من الكفار (ذوانتقام
يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) قيل فيه قولان ✽ احدهما ✽ ان المعنى تبدل صورة الارض
وهيئتها عن ابن عباس فقد روي عنه انه قال تبدل آكامها وآجامها وجبالها واشجارها والارض على حالتها وتبقى
ارضا بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة وتبدل السماوات فيذهب بشمسها وقمرها ونجومها
وكان ينشد

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت اعرف

وبعضه ما رواه ابو هريرة عن النبي ﷺ قال يبديل الله الارض غير الارض والسموات فيسطها
ويدها مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجاً ولا اماناً ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم في هذه المبدلة مثل مواضعهم
من الأولى ما كان في بطنها كان في بطنها وما كان على ظهرها كان على ظهرها ✽ والاخر ✽ ان المعنى تبدل
الارض وتنشأ ارض غيرها والسموات كذلك تبدل بغيرها وتفنى هذه عن الجبائي وجماعة من المفسرين
وفي تفسير أهل البيت «ع» بالاسناد عن زرارة ومحمد بن مسلم وجران بن أعين عن ابي جعفر وابي عبد الله
عليهما السلام قال تبدل الارض خبزة نقيه يأكل الناس منها حتى يفرغ من الحساب قال الله تعالى وما جعلناهم
جسداً لا يأكلون الطعام وهو قول سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وروى سهل بن سعد الساعدي عن
النبي ﷺ انه قال يحشر الناس يوم القيامة على ارض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد

وروي عن ابن مسعود انه قال تبدل الارض بنار فتصير الارض كلها يوم القيامة نارا والجنة من ورائها يرى كواعبها واكوابها ويلجم الناس العرق ولم يبلغ الحساب بعد وقال كهب تصير السماوات جنانا وبصير مكان البحر النار وتبدل الارض غيرها وروي عن ابي ايوب الانصار قال أتى النبي ﷺ خبر من اليهود فقال رأيت إذ يقول الله تعالى في كتابه يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات فأين الخلق عند ذلك فقال اضياف الله فان يعجزهم ما لديه وقيل تبدل الارض لقوم بأرض الجنة ولقوم بأرض النار وقال الحسن يحشرون على الارض الساهرة وهي ارض غير هذه وهي ارض الآخرة وفيها تكون جهنم وتقدير الكلام وتبدل السماوات غير السماوات إلا انه حذف للدلالة الظاهر عليه (وبرزوا لله) اي يظهر من ارض قبورهم للمحاسبة لا يسترهم شي* وجعل ذلك بروزا لله لأن حسابهم معه وإن كانت الأشياء كلها بارزة له لا يسترها عنه شي* (الواحد) الذي لا شبه له ولا نظير (القهار) المالك الذي لا يضام يقهر عباده بالموت الزوام (وثرى المجرمين) يعني الكفار عن ابن عباس والحسن وهو الظاهر لأنه تقدم ذكرهم (يومئذ) أي يوم القيامة (مقرنين في الأصفاد) اي مجمعين في الاغلال قرنت ايديهم بها الى اعناقهم وقيل يقرب بعضهم الى بعض عن الجبائي وقيل مشدودين في قرن اي جبل من الأصفاد والقيود عن ابي مسلم وقيل يقرب كل كافر مع شيطان كان يضل في غل من حديد عن ابن عباس والحسن ويبينه قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم اي قرناءهم من الشياطين وقوله وإذا النفوس زوجت (سرايلهم) اي قبصهم (من قطران) وهو ما يطلى به الابل شي* اسود لزج منتن يطلون به فيصير كالقميص عليهم ثم يرسل النار فيهم لتكون اسرع اليهم وابلغ في الاشتعال وأشد في العذاب عن الحسن والزجاج وقيل نحاس او صفر مذاب قد انتهى حره عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وجوز الجبائي على القراءتين ان يسربلوا سربالين احدهما من القطران والآخر من القطر الآتي (ونفسي وجوهم النار) اي وتصيب وجوهم النار لا قطران عليها (ليجزى الله كل نفس بما كسبت) اللام تعلقت بما تقدم اخبر سبحانه انه إنما فعل ذلك بهم لتجزى كل نفس بما كسبت ان كسبت خيرا بأن آمنت وأطاعت أثابها الله بالنعيم المقيم وان كسبت شرا بأن كفرت وجحدت عاقبها بالعذاب الآليم في نار الجحيم (إن الله سريع الحساب) اي سريع المجازاة وقد سبق بيانه (هذا بلاغ للناس) هو اشارة الى القرآن عن ابن عباس والحسن وابن زيد وغيرهم أي هذا القرآن عظة للناس بالغة كافية وقيل هو اشارة الى ما تقدم ذكره اي هذا الوعيد كفاية لمن تدبره من الناس والاول هو الصحيح (ولينذروا به) اي أنزل ليبلغوا وينذروا به وليخوفوا بما فيه من الوعيد (وليعلموا انما هو إله واحد) لاشريك له بالنظر في أدلة التوحيد التي بينها الله في القرآن (وليدركوا الأبواب) اي وليتعظ به أهل العقول وذوو النهي وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن كاف في جميع ما يحتاج الناس اليه في أمور الدين لأن جميع أمور الدين جملها وتفصيلها يعلم بالقرآن اما بنفسه واما بواسطة فيجب على المؤمن المجتهد المهتم بأمور الدين أن يشمر عن ساق الجد في طلب أمور القرآن ويصدق عنايته بمعرفة ما فيه من بدائع الحكمة ومواضع البيان مكنتها به عما سواه لينال السعادة في دنياه وعقباه وفي قوله وليعلموا انما هو إله واحد دلالة على انه سبحانه أراد من الناس علم التوحيد خلافا لأهل الجبر في قولهم انه سبحانه أراد من النصارى اثبات التثليث ومن الزنادقة القول بالتثنية تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وفي قوله ليدركوا دلالة على انه أراد من

الجميع التدبر والتذكر وعلى ان العقل حجة لأن غير ذوي العقول لا يمكنهم الفكر والاعتبار

✽ النظم ✽

اتصلت الآية الثانية بقوله وعند الله مكرهم اي فلا تحسبوا ان الله يخلف وعده بل يجازيهم وينصر
رسله وقيل اتصلت بقوله إنما يؤخرهم اي فلا تحسبوه مخلف وعده في العقوبة للكفار بل ان شاء آخر وإن شاء
عجل واتصل قوله يوم تبدل الارض غير الارض بقوله ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله اي لا يخلفهم
وعده لا في الدنيا ولا في الآخرة عن ابي مسلم وقيل المراد به انه ذو انتقام من الكفار ذلك اليوم واتصل
قوله ليجزي الله كل نفس بما كسبت بقوله يوم تبدل الارض

(سورة الحجر)

مكية في قول قتادة ومجاهد وقال الحسن إلا قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وقوله
كما أنزلنا على المتكسبين الذين جعلوا القرآن عظيما وهي تسع وتسعون آية بالاجماع

✽ فضلها ✽

أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأها أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين
والأنصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم

✽ تفسيرها ✽

لما ختم الله سبحانه سورة ابراهيم «ع» بذكر القرآن وانه بلاغ وكفاية لأهل الإسلام افتتح هذه
السورة بذكر القرآن وانه مبين للأحكام فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ (٢) رَبُّمَا يُودُّ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٣) ذُرِّيَّتُكُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِيهِمْ الْأَمَلُ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ (٤) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٥) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا
يَسْتَأْخِرُونَ خمس آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة وعاصم ربما يود خفيفة الباء والباقون بالشديد وروى محمد بن حبيب الشموني عن
الاعشى عن ابي بكر ربتما بالتاء

✽ الحجة ✽

قال ابو علي انشد ابو زيد

ماوي بل ربتما غارة شعوا كاللذعة بالميسم

وانشد ايضا

لها لأنها لما كانت كالأسماء المبهمة في إبهامها وصفت بأسماء الأجناس كأنه قال رب شيء فتي لم يكن كذا فهذه الأوجه كلها ممكنة ويجوز في الآية أن يكون ما ينزله شيء ويود صفة له لأن ما اعمومها يقع على كل شيء فيجوز أن يعني بها الود كأنه قال رب وديوده الذين كفروا ويسكون يود في هذا الوجه أيضاً حكاية حال ألا ترى أنه لم يكن بعد وهذه الآية في المعنى كقوله ارجعنا نعمل صالحا وكقوله حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون وكنتمنهم الرد في قوله يا ليتنا زد ولا نكذب واما قول من قال ربما بالتخفيف فلأنه حرف مضاف والحروف المضافة قد تحذف وإن لم يحذف غير المضاف فمن المضاف الذي حذف أن وإن والكن وليس كل المضاف يحذف لم اعلم الحذف في ثم واما دخول التاء في ربنا فإن من الحروف ما يدخل عليه حرف التأنيث نحو ثم وثمت ولا ولات قال

ثمت لا يحزوني عند ذاكم ولكن سيجزيني المليك فيعقبا
فكذلك ألحقت التاء في قولهم ربنا وأنشد الزجاج في تخفيف رب قول الخادرة
أَسْمِيَّ مَا يَدْرِيكَ أَنَّ رُبَّ فِتْيَةٍ بَاكَرَتْ لَذَّتَهُمْ بِأَدَاكِنِ مَتْرَعٍ

قال وقد يسكنون في التخفيف يقولون رب رجل جاءني وأنشدوا بيت الهذلي
أزهير إن شب القدال فإني رب هيضل مرس لففت بهيضل
ويقولون رب رب رجل وربت رجل بفتح الراء ورب رجل وربنا رجل جاءني وربنا رجل فيفتحون حكي
ذلك قطرب

— (الاعراب) —

قرآن عطف على الكتاب وإنما عطفه عليه وإن كان الكتاب هو القرآن لاختلاف اللفظين وما فيها من الفائدةين وإن كانا لموصوف واحد لأن وصفه بالكتاب يفيدانه مما يكتب ويدون ووصفه بالقرآن يفيدانه مما يؤلف ويجمع بعض حرروفه إلى بعض كما قال الشاعر

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدهم
وذو الرأي حين تغم الأمور بذات الصليل وذات اللجم

ويقال لم جاز ربنا يود الذين كفروا ورب للتقليل وجوابه على وجهين أحدهما أنه ابغ في التهديد كما تقول ربنا ندمت على هذا وانت تعلم أنه يندم ندما طويلا أي يكفيك قليل الندم فكيف كثيره والثاني أنه يشغلهم العذاب عن تمني ذلك إلا في اوقات قليلة

— المعنى —

(الر) قد تقدم الكلام في هذه الحروف واقوال العلماء فيها (تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) أي هذه آيات الكتاب وآيات قرآن ميمز بين الحق والباطل وقيل المبين البين الواضح عن أي مسلم وقيل هو المبين للحلال والحرام والأوامر والنواهي والأدلة وغير ذلك وقيل المراد بالكتاب التوراة والانجيل عن مجاهد وقيل المراد به الكتب المنزلة قبل القرآن عن قتادة (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) أي ربما يتمنى الكفار الإسلام في الآخرة إذا صار المسلمون إلى الجنة والكفار إلى النار ويجوز أن يتمنوا ذلك وقت اليأس رروي مجاهد عن ابن عباس قال ما يزال الله يدخل الجنة ويوحم ويشفع حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الصادق (ع) ينادي مناد يوم القيامة يسمع الخلائق أنه لا يدخل الجنة إلا مسلم فتم يود سائر الخلائق أنهم كانوا مسلمين وروي مرفوعا عن النبي ^{صلى الله عليه وسلم} قال إذا اجتمع أهل النار في النار

ومعهم من يشاء الله من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فأمر من كان في النار من أهل الإسلام فأخرجوا منها فحينئذ يقول الكفار يا ليتنا كنا مسلمين (ذرهم يأكوا ويتمتعوا) معناه دعهم يأكوا في دنياهم أكل الأنعام ويتمتعوا فيها بما يريدون والتمتع التلذذ وهو طلب اللذة حالا بعد حال (ويلهم الأمل) أي وتشغلهم آمالهم الكاذبة عن اتباع النبي ^{صلى الله عليه وآله وسلم} والقرآن يقال الماه الشيء أي شغله وانساه (فسوف يعلمون) وبال ذلك فيما بعد حين يحل بهم العذاب يوم القيامة وصاروا إلى ما يجحدون به وفي هذه الآية إشارة إلى ان الانسان يجب أن يكون مقصور الهمة على أمور الآخرة مستعدا للموت مسارعا إلى التوبة ولا يأمل الآمال المؤدية إلى الصدعنها وقد روي عن امير المؤمنين (ع) انه قال ان اخوف ما أخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الأمل فإن اتباع الهوى يصد عن الحق وطول الأمل ينسي الآخرة (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) معناه ولم نهلك أهل قرية فيما مضى على وجه العقوبة إلا وكان لهم أجل مكتوب لا بد ان سيبلغونه يريد فلا يغرن هؤلاء الكفار امهالي إياهم إنما ينزل العذاب بهم في الوقت المكتوب المقدر لذلك (ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) أي لم تكن أمة فيما مضى تسبق أجلها فتهلك قبل ذلك ولا تتأخر عن أجلها الذي قدر لها بل إذا استوفت أجلها اهلكها الله

قوله تعالى (٦) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٧) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٨) مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ (٩) إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٠) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ (١١) وَمَا بِأَنْبِيئِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١٢) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٣) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (١٤) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٥) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ مُسْحُورُونَ (١٦) وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٧) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (١٨) إِلَّا مَنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ثلاث عشرة آية

(= القراءة =)

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر ما نزل بنونين الملائكة بالنصب وقرأ أبو بكر عن عاصم ما تنزل بضم التاء الملائكة بالرفع وقرأ الباقر ما تنزل بفتح التاء والزاي الملائكة بالرفع وقرأ ابن كثير سكرت بالتخفيف والباقر بالتشديد وفي الشواذ قراءة الزهري سكرت

— الحجية —

قال ابو علي حجة من قرأ تنزل قوله تنزل الملائكة والروح فيها وحجة من قرأ تنزل قوله وتنزل الملائكة تنزيلا وحجة من قرأ تنزل قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة ووجه التثقيب في سكرت ان الفعل مسند إلى جماعة فهو مثل مفتحة لهم الأبواب ووجه التخفيف ان هذا النحو من الفعل المسند إلى جماعة قد يخفف قال «ما زلت افتتح ابوابا وانقمتها»

= اللغة =

الشيعة الفرق عن الزجاج وكل فرقة شيعة واصله من المشايعة وهي المتابعة يقال شايع فلان فلانا على امره اي تابعه عليه ومنه شيعة علي (ع) وهم الذين تابعوه على امره ودانوا بايمامته وفي حديث أم سلمة عن النبي ﷺ شيعة علي هم الفائزون يوم القيامة وسلك واسلك بمعنى المصدر السالك والسالك قال عدي بن زيد
 و كنت لزاز خصمك لم اعد
 وقد سلكوك في يوم عصيب
 وقال آخر

حتى إذا أسلكوهم في قتائده ثلاً كما تطرد الجمالة الشردا

والعروج الصعود في الدرج والمضارع يعرج ويعرج ابو عبيدة سكرت ابصارنا غشيت قال ابو علي فكأن معناه لا ينفذ نورها ولا يدرك الأشياء على حقيقتها ومعنى الكلمة انقطاع الشيء عن سننه الجاري فمن ذلك سكر الماء وهو رده عن سننه في الجري وقالوا التسكير في الرأي قبل ان يعزم على الشيء وإذا عزم على امر ذهب التسكير ومنه السكر في الشراب إنما هو ان ينقطع عما هو عليه من المصافي حال الصحو فلا ينفذ رأيه ونظيره على حد نفاذه في صحوه وقالوا سكران لا يثبت فمزوا عن هذا المعنى فيه قال الزجاج فسروا سكرت أغشيت وسكرت تحيرت وسكرت عن ان تنظر والعرب تقول سكرت الريح سكرت وكذلك سكر الحر قال الشاعر
 جاء الشتاء واجثال القبر وجعلت عين الحرور تسكر

والبرج اصله الظهور ومنه البرج من بروج السماء وبرج الحصن ويقال تبرجت المرأة إذا اظهرت زينتها والرجيم المرجوم والرجم الرمي بالشيء بالاعتقاد من غير آلة مهيأة للاصابة فإذن القوس يرمى عنها ولا يرمم بها ورجمته شتمته والشهاب القطعة من النار قال الزجاج والشهب المنقضة من آيات النبي ﷺ والدليل على انها كانت بعد مولد النبي ﷺ ان شعراء العرب الذين كانوا يمثلون في السرعة بالبرق وبالسيل وبالأشياء المسرعة لم يوجد في اشعارهم بيت واحد فيه ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولد النبي ﷺ استعملت الشعراء ذكرها قال ذوالرمة

كأنه كوكب في اثر عفرية مسوم في سواد الليل منقضب

✽ الاعراب ✽

او ما دعاه إلى الفعل وتحريض عليه وهو بمعنى اولا وهلا وقد جاءت او ما في معنى اولا التي لها جواب قال ابن مقبل
 لو ما الحياء ولو لا الدين عبتكما بيمض ما فيكما إذ عبتا عوري
 الا من استرق السمع استثناء منقطع والمعنى لكن من استرق السمع يتبعه شهاب وقال الفراء هو استثناء صحيح لأن الله تعالى لم يحفظ السماء ممن يصعد اليها ليسترق السمع لكن إذا سمعه واداه إلى الكهنة اتبعه شهاب

✽ المعنى ✽

(وقالوا) أي قال المشركون للنبي ﷺ (يا ايها الذي نزل عليه الذكر) أي القرآن في زعمه ودعواه (إنك لمجنون) في دعواك انه نزل عليك وفي توهمك انا نتبعك ونؤمن بك (لوما تأتينا بالملائكة) يشهدون لك على صدق قولك (إن كنت من الصادقين) فيما تدعيه عن ابن عباس والحسن ثم أجابهم سبحانه بالجواب المقنع فقال (ما ننزل الملائكة إلا بالحق) اي لا ننزل الملائكة الا بالحق الذي هو الموت لا يقع فيه تقديم وتأخير فيقبض أرواحهم عن ابن عباس وقيل لا ينزلون إلا بعدذاب الاستئصال ان لم يؤمنوا عن الحسن ومجاهد والجبائي وقيل ما ينزلون في الدنيا إلا بالرسالة عن مجاهد (وما كانوا إذا) اي حين ننزل الملائكة (منظرين) مؤخرين مهلين اي لا يهلون ساعة ثم زاد سبحانه في البيان فقال (إنا نحن نزلنا الذكر) اي القرآن (وإننا له لحافظون)

عن الزيادة والنقصان والتجريف والتغيير عن قتادة وابن عباس ومثله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقيل معناه متكفل بحفظه إلى آخر الدهر على ما هو عليه فتقبله الأمة وتحفظه عصرا بعد عصر إلى يوم القيامة لقيام الحججة به على الجماعة من كل من لزمته دعوة النبي ﷺ عن الحسن وقيل يحفظه من كيد المشركين ولا يمكنهم ابطاله ولا يندرس ولا ينسى عن الجبائي وقال الفراء يجوز ان يكون الها في له كناية عن النبي ﷺ فكانه قال إنا نزلنا القرآن وإنا لمحمد ﷺ حافظون وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن محدث اذ المنزل والمحفوظ لا يكون إلا محدثا (ولقد أرسلنا من قبلك) يا محمد رسلا عن ابن عباس فحذف المفعول لدلالة الإرسال عليه (في شيع الاولين) اي في فرق الاولين عن الحسن والكلبي وقيل في الأمم الأواين عن عطاء عن ابن عباس (وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن) وهذا تسلية للنبي ﷺ اذا خبره ان كل رسول كان مبتلى بقومه واستهزؤهم بالرسول انما حملهم على ذلك استبعادهم ما دعوه اليه واستيحاشهم منه واستنكارهم له حتى توهموا انه مما لا يكون ولا يصح مع مخالفته لما وجدوا عليه اسلافهم (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) فيه قولان أحدهما ان معناه إنا نسلك الذكر الذي هو القرآن في قلوب الكفار باخطاره عليها والقائه فيها وبأن نفهم إياه وانهم مع ذلك (لا يؤمنون به) ماضين على سنة من تقدمهم في تكذيب الرسل كما سلكنا دعوة الرسل في قلوب من سلف من الأمم عن الليثي والجبائي والمراد ان اعراضهم عن القرآن لا يمنعنا من ان ندخله في قلوبهم تأكيذا للحجة عليهم والآخرة ان المعنى نسلك الاستهزاء في قلوبهم عقوبة لهم على كفرهم والأول هو الصحيح وقد روي عن جماعة من المفسرين ان المراد نسلك الشرك في قلوب الكفار وذلك لا يصح لأنه لم يجز للشرك ذكر وقد جرى ذكر الذكر وهو القرآن ولأنه قال لا يؤمنون به ولو عاد الضمير في قوله به إلى الشرك لكان الكفار محمودين إذا كانوا لا يؤمنون بالشرك ولا خلاف ان الآية وردت على سبيل الذم لهم ولو كان الله سبحانه قد سلك الكفر في قلوبهم لسقط عنهم الذم ولما جاز ان يقول لهم كيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله لقد جنتم شيئا ادا تكاد السوات يتفطرون منه وكيف ينكر عليهم هذا الانكار وهو الواضح اذلك في قلوبهم وكيف يأمرهم باخراجه من حيث وضعه فيه تعالى وتقدس عن ذلك (وقد خلت سنة الاولين) أي مضت طريقة الأمم المتقدمة بأن كانت رسلمهم تدعوهم إلى كتب الله المنزلة ثم لا يؤمنون وقيل مضت سنة الاولين بأن عجزوا بعذاب الاستئصال عند الاتيان بالآيات المقترحة مع اصرارهم على الكفر عن ابي مسلم وقيل مضت سنتهم في التكذيب كما أن قومك كذوبك عن ابن عباس ثم قال بعد ما تقدم ذكر اقتراحهم الآيات (واو فتحنا عليهم) اي على هؤلاء المشركين (بابا من السماء) ينظرون اليه (فظلوا فيه يعرجون) اي فضلت الملائكة تصعد وتترل في ذلك الباب عن ابن عباس وقاتدة وقيل فضل هؤلاء المشركون يعرجون إلى السماء من ذلك الباب وشاهدوا ملكوت السموات عن الحسن والجبائي وابي مسلم (لقاوا اناسكرت ابصارنا) اي سدت وغطيت عن مجاهد وقيل اغشيت وعميت عن ابن عباس والكلبي وابي عمرو والكسائي وقيل تحيرت وسكنت عن ان تنظر (بل نحن قوم مسحورون) سحرنا محمد ﷺ فلا ننظر ببصر ويخيل الاشياء البنا على خلاف حقيقتها ثم ذكر سبحانه دلالات التوحيد فقال سبحانه (ولقد جعلنا) اي خلقنا وهبانا (في السماء بروجاً) اي منازل الشمس والقمر (وزيناها لناظرين) بالكواكب النيرة عن ابي عبد الله (ع) وهي اثنا عشر برجا وقيل البروج النجوم عن ابن عباس والحسن وقاتدة (وحفظناها) أي وحفظنا السماء (من كل شيطان رجيم) اي سرجوم مرمرى بالشهب عن ابي علي الجبائي وابي مسلم وقيل رجيم ملعون مشرؤم عن ابن عباس وحفظ الشيء جعله على ما ينفي عنه الضياع فمن ذلك حفظ القرآن بدرسه حتى لا ينسى وحفظ المال باحرازه حتى لا يضيع وحفظ السماء من الشيطان بالمنع حتى لا يدخلها ولا يبلغ إلى موضع يتمكن فيه من استراق السمع بما اعد له من الشهاب (الا من استرق السمع) والسرقة عند العرب ان يأتي الإنسان إلى حرز خفية فيأخذ ما ليس له والمراد بالسمع هنا المسموع والمعنى

الا من حاول أخذ المسموع من السماء في خفية (فأقبه) أي لحقه (شهاب مبین) أي شعلة نار ظاهر لأهل الأرض بين
لمن رآه ونحن في رأي العين زى كأنهم يرمون بالنجوم والشهاب عمود من نور يضيء ضياء النار لشدة ضيائه
وروي عن ابن عباس انه قال كان في الجاهلية كهنة ومع كل واحد شيطان فكان يقعد من السماء مقاعد للسمع
فيستمع من الملائكة ما هو كائن في الأرض فينزل ويخبر به الكاهن فيفشيته الكاهن الى الناس فلما بعث الله
عيسى (ع) منعوا من ثلاث سموات ولما بعث محمد صلى الله عليه وآله منعوا من السموات كلها وحرست السماء بالنجوم
فالشهاب من معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وآله لأنه لم يرق قبل زمانه وقيل ان الشهاب يحرق الشياطين ويقتلهم عن
الحسن وقيل انه يجبل ويجرق ولا يقتل عن ابن عباس

قوله تعالى (١٩) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
مَوْزُونٍ (٢٠) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢١) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ
إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا يَقْدَرُ مَعْلُومٍ (٢٢) وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَسْقَيْنَا كُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِمِغَازِينَ (٢٣) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ السَّوَّارِثُونَ
(٢٤) وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٥) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِمُحْسَرَاتِكُمْ
إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ سبع آيات

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة وحده الريح لواقح والباقون الرياح لواقح

= (الحجة) =

قال ابو عبيدة لا اعرف اذ كان بريدا ان الريح تأتي مختلفة من كل وجه فكانت تنزل الريح وحكي
الكسائي ارض اغفال وارض سباب قال المبرد يجوز ذلك على أن يجعل الريح جنسا وليس يجيد لأن الريح
ينفصل بعضها عن بعض ومعروفة كل واحدة منها والارض ليست كذلك لأنها بساط واحد

✽ اللفظة ✽

الرواسي الثوابت واحدها راسية والمراسي ما يثبت به والوزن وضع احد الشئين بازاء الآخر على ما يظهر
به مساواته في المقدار وزيادته والمعاش جمع معيشة وهي طلب اسباب الرزق مدة الحياة وقد يطلبها الانسان لنفسه
باتصرف والتكسب وقد يطلب له فان أتاه اسباب الرزق من غير طلب فذلك العيش المهني والواقح الرياح التي
تلقي السحاب حتى يحمل الماء أي يلقي اليه ما يحمل به الماء يقال لفتحت الناقة إذا حملت والقحها الفحل فالواقح في
معنى الملقحات وقيل في علة ذلك قولان **احدهما** انه في معنى ذات لقاح ومثله هم ناصب أي ذو نصب قال النابغة

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطي الكواكب

أي منصب وقال نهشل بن جري

ليبك يزيد ضارع لخصومة وختبب مما تطيح الطوائح

أي المطاوح **والآخر** ان الرياح لاقحة بحملها الماء ملقحة بالقاتها إياه إلى السحاب ويقال سقيته فبها
يشربه بشفته واسقيته بالأف فبها تشربه ارضه قال علي بن عيسى وقد يجي **احدهما** بمعنى الآخر كقوله نسقيكم
مما في بطونه وقال ذو الرمة

وقفت على ربع لمة ناقتي
وأسقيه حتى كاد مما أبته
فما زلت أبكي عنده وأخاطبه
تكلمني احجاره وملاعبه
اي ادعو له بالسقيا

✽ الإعراب ✽

والارض منصوب بفعل مضمر تقديره ومددنا الارض مددناها كقوله والقمر قدرناه اي وقدرنا القمر قدرناه ومن استم له برازقين من في موضع نصب عطفا على معايش والمراد به العبيد والاماء والانعام والدواب عن مجاهد وقال الفراء العرب لا تكاد تجمل من إلا في الناس خاصة فإن كان مع الدواب العبيد حسن حينئذ قال وقد يجوز ان يكون من في موضع جر عطفا على الكاف والميم في لكم وقال المبرد والظاهر المخفوض لا يعطف على المضمر المخفوض نحو مررت بك وزيد إلا أن يضطر شاعر وأنشد الفراء.

تعلق في مثل السواري سيوفنا
فرد الكعب على الهاء في بينها وقال
وما بينها والكعب غوط نفافه

هـ لا سألت بذى الجماجم عنهم
وأني نعيم ذي اللواء المحقق

فرد ابا نعيم على هم في عنهم قال ويجوز أن يكون من في موضع رفع لأن الكلام قد تم ويكون التقدير على قوله ولكم فيها من استم له برازقين قال الزجاج والأجود من الأقوال الاول وجاز أن يكون عطفا على تأويل لكم لأن معنى قوله ولكم فيها معايش اعشناكم ومن استم له برازقين اي رزقناكم ومن استم له برازقين وان من شي من مزيدة وشي مبتدأ وعندنا خبر له وخزائنه مرفوع بالظرف لأن الظرف جرى مجرى خبرا على المبتدأ لاختلاف في هذا بين سيويه والاعفش

« المعنى »

لما تقدم ذكر السماء وما فيها من الأدلة والنعم اتبعه بذكر الارض فقال (والارض مددناها) اي بسطانها وجعلنا لها طولا وعرضا (والقينا فيها رواسي) اي طرحنا فيها جبالا ثابتة (وأنبتنا فيها) اي في الارض (مسن كل شي موزون) اي مقدر معلوم عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقيل مسن كل شي يوزن في العادة كالذهب والفضة والصفرة والنحاس ونحوها عن الحسن وقيل يعني بذلك كل ما تخرجه الارض عن ابي مسلم قال وإنما خص الموزون بالذكر دون المكييل لوجهين أحدهما أن غاية المكييل تنتهي إلى الوزن لأن جميع المكييلات إذا صار طعاما دخل في الوزن فالوزن أهم والآخر أن في الوزن معنى الكييل لأن الوزن هو طلب المساواة وهذا المعنى ثابت في الكييل فخص الوزن بالذكر لاستثاله على معنى الكييل ورد عليه السيد الأجل المرتضى قدس الله روحه فقال ظاهر لفظ الآية يشهد بغير ما قاله فإن المراد بالموزون المقدار الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصا عنها ولا زائدا عليها زيادة مضرة داخلية في باب العبث ونظير ذلك قواهم كلام فلان موزون وفعاله موزونة والمراد ما ذكرناه وعلى هذا المعنى تأول المفسرون ذكر الموازين في القرآن على احد التأويلين وانها التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب (وجعلنا لكم فيها معايش) اي خلقنا لكم في الارض معايش من زرع او نبات عن ابن عباس والحسن وقيل معايش اي مطاعم ومشارب تعيشون بهما وقيل هي التصرف في اسباب الرزق مدة الحياة (ومن استم له برازقين) يعني العبيد والدواب يرزقهم الله ولا ترزقونهم ومعناه يدور على ما تقدم ذكره في الاعراب وأتى بلفظة من دون لفظة ما لأنه غلب العقلاء على غيرهم (وان من شي) اي وليس من شي ينزل من السماء وينبت من الارض (إلا عندنا خزائنه) معناه إلا ونحن مالكوه والقادرون عليه

وخزائن الله سبحانه مقدوراته لأنه تعالى يقدر أن يوجد ما شاء من جميع الأجناس ويقدر من كل جنس على ما لا نهاية له وقيل المراد به الماء الذي منه النبات وهو مخزون عنده إلى أن ينزله ونبات الأرض وثمارها إنما تنبت بماء السماء وقال الحسن المطر خزائن كل شيء (وما ننزله) أي وما ننزل المطر (إلا بقدر معلوم) تقتضيه الحكمة وقيل أنه سبحانه استعار الخزائن للقدرة على إيجاد الأشياء وعبء عن الإيجاد بالانزال لأن الانزال في معنى الاعطاء والرزق والمعنى أن الخير كله من عند الله لا يوجد ولا يعطى إلا بحسب المصلحة والحاجة ثم بين سبحانه كيفية الانزال فقال (وارسلنا الرياح لواقح) أي اجرينا الرياح لواقح أي ملقحة للسحاب محملة بالمطر (فأنزلنا من السماء ماء) أي مطرا (فأسقيناهم) أي فأسقيناهم ذلك الماء ومكناهم منه (وما أنتم له بحازنين) أي وما أنتم أيها الناس له بحافظين ولا محزين بل الله يحفظه ثم يرسله من السماء ثم يحفظه في الأرض ثم يخرج من العيون بقدر الحاجة ولا يقدر احد على احراز ما يحتاج اليه من الماء في موضع (وانا لنحن نجيب ونفيت) اخبر سبحانه انه يصيب الخلق إذا شاء ويميتهم إذا أراد (ونحن الوارثون) الأرض ومن عليها اخبر انه يرث الأرض لأنه إذا أفنى الخلق ولم يبق احد كانت الاشياء كلها راجعة اليه يتقرد بالتصرف فيها (ولقد علمنا المتقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين) قيل فيه اقوال **➤** احدها **➤** ان معناه ولقد علمنا الماضين منكم ولقد علمنا الباقين عن مجاهد والضحاك وقتادة **➤** وثانيها **➤** علمنا الأولين منكم والآخريين عن الشعبي **➤** وثالثها **➤** علمنا المتقدمين في صفوف الحرب والمتأخرين عنها عن سعيد بن المسيب **➤** ورابعها **➤** علمنا المتقدمين في الخير والمبطلين عنه عن الحسن **➤** وخامسها **➤** علمنا المتقدمين إلى الصف الأول في الصلاة والمتأخرين عنه فإنه كان يتقدم بعضهم إلى الصف الاول ليدركوا فضيلته وكان يتأخر بعضهم لينظروا إلى اعجاز النساء فنزلت الآية فيهم عن ابن عباس **➤** وسادسها **➤** ان النبي **ﷺ** حث الناس على الصف الأول في الصلاة وقال خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها وقال **ﷺ** ان الله وملائكته يصلون على الصف المتقدم فازدحم الناس وكانت دور بني عذرة بعيدة عن المسجد فقالوا لنبيين دورنا ولنشتري دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الآية عن الربيع بن أنس فعلى هذا يكون المعنى انا نجازي الناس على نياتهم (وان ربك هو يحشرهم) معناه ان ربك يا محمد او ايها السامع هو الذي يجمعهم يوم القيامة ويبعثهم بعد إمامتهم للمجازاة والمحاسبة (انه حكيم) في افعاله (عليهم) بما استحق كل منهم

✽ النظم ✽

إنما اتصل قوله وانا لنحن نجيب ونميت وما بعده بما ذكره فيما قبل من انواع النعم فبين سبحانه انه يرثهم كل ما خولهم من ذلك ترهيدا في الدنيا وترغيبا في الآخرة عن ابي مسلم وقيل انه لما بين انواع نعمه عرفهم بعد انه لم يخلق ذلك للبقاء وإنما أنعم به عليهم ليكون طريقا إلى نعم الآخرة عن القاضي وقيل انه لما ذكرهم نعم الدنيا نبه بالاحياء والاماتة وعلمه بجميع الأشياء وحشر الخلق على وجوب الانقطاع اليه والعبادة والطاعة له

قوله تعالى (٢٦) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَاءٍ مَسْنُونٍ (٢٧) وَالْجَبَانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٨) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَاءٍ مَسْنُونٍ (٢٩) فَإِذْ أَسْوَيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٣٠) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣١) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٣) قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ

مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَاءٍ مَسْنُونٍ (٣٤) قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَأَنْتَ رَجِيمٌ (٣٥) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ عشر آيات

✽ اللغة ✽

الصلصال الطين اليابس اخذ من الصلصلة وهي القعقة ويقال لصوت الحديد ولصوت الرعد صلصلة وهي صوت شديد متردد في الهواء وصل يصل اذا صوت قال

رجعت إلى صوت كجرة حنتم اذا قرعت صفرا من الماء صلت

ويقال الصلصال المنتن اخذ من صل اللحم واصل اذا اتنت والحما جمع حماة وهو الطين المتغير الى السواد يقال حمت البثر واحماتها انا والمسنون المصبوب من سنتت الماء على وجهه اي صببته ويقال سنتت بالسين غير معجمة ارسلت الماء وسنتت بالسين معجمة صببت وقيل انه المتغير من قولهم سنتت الحديد على المسن اذا غيرتها بالتعدد واصلها الاستمرار في جهة من قواهم هو على سنن واحد والسنة الطريقة وسنة الوجه صورته قال ذو الرمة

يريك سنة وجهه غير مقرفة ملساء ليس بها خال ولا ندب

قال سيبويه جمع الجان جنان فهو مثل حائط وحيطان وراع ورعيان والسموم الريح الحارة اخذ من دخولها بلطفها في مسام البدن ومنه السم القاتل يقال سم يومنايسم اذا هبت فيه ريح السموم

-- « الاعراب » --

من جعل الجان جمعا قال ولم يقل خلقناها كما قال مما في بطونه ومما في بطونها وقوله مالك ان لا تكون مع الساجدين ما مبتدأ ولك خبره والتقدير اي شي ثابت لك والا تكون تقديره في ان لا تكون فحذف في وهي متعلقة بالخبر ايضا فلما حذف في انتصب موضع ان لا تكون على قول سيبويه وبقي على الجر على قول الخليل وابو الحسن حمل ان على الزيادة ولا تكون في موضع الحال قال وتقديره مالك خارجا عن الساجدين

✽ المعنى ✽

لما ذكر سبحانه الاحياء والامامة والنشأة الثانية عقبه ببيان النشأة الاولى فقال (ولقد خلقنا الانسان) يعني آدم (من صلصال) اي من طين يابس يسمع له عند النقر صلصلة اي صوت عن ابن عباس والحسن وقتادة واكثر المفسرين وقيل طين صلب يخالطه الكثيب عن الضحاك وقيل منتن عن مجاهد واختاره الكسائي (من حما) اي من طين متغير (مسنون) اي مصبوب كأنه افرغ حتى صار صورة كما يصب الذهب والفضة وقيل انه الرطب عن ابن عباس وقيل مسنون مصور عن سيبويه قال اخذ من سنة الوجه (والجان) وهو ابليس عن الحسن وقتادة وقيل هو ابو الجن كما ان آدم ابو البشر عن ابن عباس وقيل هم الجن نسل ابليس وهو منصوب بفعل مضمرة معناه وخلقنا الجان (خلقناه من قبل) اي من قبل خلق آدم (من نار السموم) اي من نار لها ريح حارة تقتل وقيل هي نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وروى ابو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حي من احياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من نار و قيل السموم النار الملتببة عن ابي مسلم وفي هذا اشارة الى أن الانسان لا يفضل باصله وانما يفضل بدنه وعلمه وصالح عمله واصل آدم (ع) كان من تراب وذلك قوله خلقه من تراب ثم جعل التراب طينا وذلك قوله وخلقته من طين ثم ترك ذلك الطين حتى تغير واسترخى وذلك قوله من حما مسنون ثم ترك حتى جف وذلك قوله من صلصال فهذه الاقوال لا تناقض فيها اذ هي اخبار عن حالاته المختلفة (واذا قال ربك للملائكة) تقديره واذا ذكر يا محمد اذا قال ربك للملائكة (اني خالق) اي سأخلق (بشرا) اي آدم وسمي

بشرأ لأنه ظاهر الجلد لا يواريه شعر ولا صوفاً (من صلصال من حمأ مسنون) مر معناه (فاذا سويته) بإتمام خلقته واكمال خلقه وقيل معناه عدلت صورته (وقضت فيه من روحي) والنفض اجراء الريح في الشيء باعتقاد فلما اجري الله سبحانه الروح في آدم على هذه الصفة كان قد نفخ الروح فيه وانما اضاف روح آدم الى نفسه تكريماً له وتشريفاً وهي اضافة الملك (فقعوا له ساجدين) اي اسجدوا له قال الكلبي اية فخره له ساجدين (فسجد الملائكة اجمعون) هذا تو كيد بعد تو كيد عند سيبويه وقال المبرد وبذلك قوله اجمعون على اجتماعهم في السجود اي فسجدوا كلهم في حالة واحدة قال الزجاج وقول سيبويه اجود لأن اجمعون معرفة فلا يكون حالاً (إلا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين) اي امتنع ان يكون معهم فلم يسجد معهم وقد سبق القول في ان ابليس هل كان من الملائكة او لم يكن واختلاف العلماء فيه وما لكل واحد من الفريقين من الحجج وذكرنا ما يتعلق بذلك من الكلام في سورة البقرة فلا معنى للاعادة وان يكون في محل نصب اي ابى الكون مع الساجدين (قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين) قال الزجاج معناه اي شيء يقع لك في ان لا تكون مع الساجدين فموضع ان نصب باسقاط في وافضاء الناصب الى ان وهذا خطاب من الله سبحانه لابليس ومعناه لم لا تكون مع الساجدين فتسجد كما سجدوا وانما قال سبحانه نفسه على جهة الالهانة له كما يقول لأهل النار اخسأوا فيها ولا تكلمون وقال الجبائي انما قال سبحانه ذلك على لسان بعض رسله لأنه لا يصح ان يكلمه الله بلا واسطة في زمان التكليف (قال) اي قال ابليس مجيباً لهذا الكلام (لم اكن لأسجد) اي ما كنت لاسجد وقيل معناه ما كان ينبغي ان اسجد (لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) لأنني اشرف اصلاً منه ولم يعلم ان التفاضل بالدين والاعمال لا بالأصل (قال فاخرج منها) اي من الجنة (فاإنك رجيم) اي مشؤوم مطرود ملعون وقيل معناه اخرج من السماء عن ابى مسلم وقيل من الارض فألقه بالبحار لا يدخل الارض إلا كالسارق وقيل رجيم مرجوم أي إن رجعت إلى السماء رحمت بمثل الشهب التي يرحم به الشياطين عن الجبائي (وان عليك اللعنة) وان عليك مع ذلك اللعنة أي الابعاد من رحمة الله ولذلك لا يجوز أن يلعن بهيمة (إلى يوم الدين) أي يوم الجزاء وهو يوم القيامة والمراد ان الله سبحانه قد لعنك وأهل السماء والارض بلعنونك لعنة لازمة لك إلى يوم القيامة ثم يحصل بعد ذلك على الجزاء بعذاب النار وفيه بيان انه لا يوم من قط وقال بعض المحققين إنما قال سبحانه هنا وان عليك اللعنة بالألف واللام وقال في سورة ص لعنتي بالاضافة لأن هناك يقول لما خلقت بيدي مضافاً فقال وان عليك لعنتي على المطابقة وقال هنا مالك ألا تكون مع الساجدين وساق الآية على اللام في قوله ولقد خلقنا الانسان وقوله والجان فأتي باللام ايضاً في قولهم وان عليك اللعنة

قوله تعالى (٣٦) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْني إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٧) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٨) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٩) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤١) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤٢) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٣) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٤) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ تسع آيات

✽ القراءة ✽

قرأ يعقوب صراط علي بالرفع وهي قراءة ابى رجاء وابن سيرين وقناة والضحاك ومجاهد وقيس بن عباد وعمرو بن ميمون وروي ذلك عن ابى عبد الله (ع) والباقيون من القراء قرأوا علي

* الحجة *

قال ابن جنى علي هنا كقولهم كريم شريف وليس المراد به علو الشخص والنسبة وقال ابو الحسن في قراءة الجماعة هذا صراط علي مستقيم هو كقولك الدلالة اليوم علي اي هذا صراط في ذمتي وتحت ضاني كقولك صحة هذا المال علي وتوفية عدته علي وليس معناه عنده مستقيم علي كقولنا قد استقام على الطريق واستقر على كذا وما أحسن ما ذهب اليه ابو الحسن فيه

* اللغة *

الاغواء الدعاء إلى الغي والاغواء خلاف الارشاد وهذا أصله وقد يكون بمعنى الحكم بالغي على وجه الذم والتزيين جعل الشيء متقبلا في النفس من جهة الطبع او العقل يحق او يبطل واغواء الشيطان تزينه الباطل حتى يدخل صاحبه فيه

* المعنى *

ثم بين سبحانه ما سأله إبليس عند اباسه من الآخرة فقال عز اسمه (قال رب فانظرني) أي فامهلني وأخرفني (إلى يوم يبعثون) أي يحشرون للجزاء استنظره إبليس إلى يوم القيامة لئلا يموت إذ يوم القيامة لا يموت فيه احد فلم يجبه الله تعالى الى ذلك بل (قال) له (فانك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) الذي هو آخر ايام التكليف وهو النفخة الأولى حين يموت الخلائق عن ابن عباس وقيل الوقت المعلوم يوم القيامة انظره الله سبحانه في رفع العذاب عنه إلى يوم القيامة عن الحسن والجبائي وابي مسلم وقيل هو الوقت الذي قدر الله أجله فيه وهو معلوم لله سبحانه غير معلوم لا لإبليس فأبهم ولم يبين لأن في بيانه اغراء بالمعصية عن البلخي واختلف في تجويز اجابة دعاء الكافر وقال الجبائي لا يجوز لأن في اجابة الدعاء تعظيما له وقال ابن الاخشيد يجوز ذلك لأن الاجابة كالنعمة في احتمالها ان يكون ثوابا وتعظيما وان يكون اسنصلاحا ولطفا (قال) إبليس (رب بما أغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم اجمعين) قيل فيه اقوال * احدها * ان الاغواء الأول والثاني بمعنى الاضلال اي كما أضلتني لأضلنهم وهذا لا يجوز لأن الله سبحانه لا يضل عن الدين إلا ان يحمل على أن إبليس كان معتقدا للخير * وثانيها * ان الاغواء الاول والثاني بمعنى التخييب اي بما خيبتني من رحمتك لا خيبتهم بالدعاء إلى معصيتك عن الجبائي * وثالثها * ان معناه بما أضلتني عن طريق جنتك لأضلنهم بالدعاء إلى معصيتك * ورابعها * بما كلفني السجود لآدم الذي غويت عنده فسمي ذلك غواية كما قال فزادتهم رجسا إلى رجسهم لما ازدادوا عندها عن البلخي والباي في قوله بما أغويتني قيل ان معناها القسم هنا عن ابي عبيدة وقيل هي بمعنى السبب اي يكو في غاويا لأزينن كما يقال بطاعته لندخلن الجنة وبمعصيته لندخلن النار وفعل التزيين محذوف وتقديره لأزينن الباطل لهم اي لأولاد آدم حتى بقعوا فيه ثم استثنى من جملتهم فقال (إلا عبادك منهم المخلصين) وهم الذين اخلصوا عبادتهم لله وامتنعوا عن عبادة الشيطان وانتهوا عما نهاهم الله عنه ومن قرأ المخلصين بفتح اللام فهم الذين اخلصهم الله بأن وفقهم لذلك ولطف لهم فيه ليس للشيطان عليهم سبيل (قال) الله سبحانه (هذا صراط علي مستقيم) قيل فيه وجوه * احدها * انه على وجه التهديد له كما تقول لغيرك افعل ما شئت وطريقك علي اي لا تفوتني عن مجاهد وقتادة ومثله قوله إن ربك لبالمرصاد * وثانيها * معناه ان ما نذره من امر المخلصين والغاوين طريق مسره علي أي مسر من مسلكه علي مستقيم لا عدول فيه عني وأجازي كلاً من الفريقين بما عمل * وثالثها * ان معناه هذا دين مستقيم علي بيانه والهداية اليه (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) هذا اخبار منه تعالى بأن عباده الذين بطيعونه وبتنهون إلى أوامره لا سلطان للشيطان عليهم ولا قدرة له على ان يكرهم على المعصية ويحملهم عليها ولكن من يتبعه فإنما يتبعه باختياره قال الجبائي وذلك يدل على ان

الجن لا يقدر على الاضرار ببني آدم لأنه على عمومه ثم استثنى سبحانه من جملة العباد من يتبع إبليس على اغوائه وينقاد له ويقبل منه فقال (إلا من اتبعك من الغاوين) لأنه إذا قبل منه صار له عليه سلطان بعدوله عن الهدى إلى ما يدعو إليه من اتباع الهوى وقيل ان الاستثناء منقطع والمراد لكن من اتبعك من الغاوين جعل لك على نفسه سلطانا (وان جهنم لو عدتهم اجمعين) أي موعد إبليس ومن تبعه (لها سبعة ابواب) فيه قولان ﴿أحدها﴾ ما روي عن امير المؤمنين «ع» ان جهنم لها سبعة ابواب اطباق بعضها فوق بعض ووضع احدى يديه على الأخرى فقال هكذا وان الله وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض فأسفلها جهنم وفوقها لظى وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها السعير وفوقها الهاوية وفي رواية الكبي أسفلها الهاوية وأعلىها جهنم وعن ابن عباس ان الباب الأول جهنم والثاني سعير والثالث سقر والرابع جحيم والخامس لظى والسادس الحطمة والسابع الهاوية اختلفت الروايات في ذلك كما ترى وهو قول مجاهد وعكرمة والجبائي قالوا ان ابواب النيران كطباق اليد على اليد ﴿والآخر﴾ ما روي عن الضحاك قال للنار سبعة ابواب وهي سبعة ادراك بعضها فوق بعض فأعلىها فيه أهل التوحيد يعذبون على قدر اعمالهم واعمارهم في الدنيا ثم يخرجون والثاني فيه اليهود والثالث فيه النصارى والرابع فيه الصابئون والخامس فيه المجوس والسادس فيه مشركو العرب والسابع فيه المنافقون وذلك قوله ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار وهو قول الحسن وابي مسلم والقولان متقاربان (لكل باب منهم) أي من الغاوين (جزء مقسوم) أي نصيب مفروض عن ابن عباس

قوله تعالى (٤٥) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٦) أَدْخُلُوها بِسَلَامٍ آمَنِينَ (٤٧)
وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٨) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نَجْوًا وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٩) نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٠) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ

ست آيات

﴿ اللغة ﴾

الغل الحقد الذي ينغل في القلب ومنه الغل الذي يجعل في العنق والغلول الخيانة التي يطوق عارها صاحبها والسرير المجلس الرفيع موطأ للسرور وجمعه الأسرة والسرر والنصب التعب والوهن الذي يلحق من العمل مشتق من الانتصاب لأن صاحبه ينتصب بالانقطاع عن العمل للوهن الذي يلحقه

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه عباده المخلصين عقبه بذكر حالهم في الآخرة فقال (ان المتقين) الذين يتقون عقاب الله باجتنب معاصيه (في جنات) أي في بساتين خلقت لهم (وعيون) من ماء وخمر وعسل يفور من الفوارة ثم يجري في مجاريها (ادخلوها بسلام) أي يقال لهم ادخلوا الجنات بسلامة من الآفات وبراءة من المكروه والمضرات (آمنين) من الاخراج منها ساكني النفس إلى انتفاء الضرر فيها (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أي وأزلنا عن صدور أهل الجنة ما فيها من اسباب العداوة من الغل أي الحقد والحسد والتنافس والتباغض (اخوانا) منصوب على الحال أي وهم يكونون اخوانا متوادين يريد مثل الاخوان فيصفو لذلك عيشهم (على سرر) أي كائنين على مجالس السرور (متقابلين) متواجهين ينظر بعضهم إلى وجه بعض قال مجاهد لا يرى الرجل في الجنة قفا زوجته ولا ترى زوجته قفاه لأن الأسرة تدور بهم كيف ما شاءوا حتى يكونوا متقابلين في عموم احوالهم وقيل متقابلين في الزيارة إذا تزاوروا استوت مجالسهم ومنازلهم وإذا افترقوا كانت منازل بعضهم ارفع من بعض (لا يسمعون فيها) أي في الجنة (نصب) أي عناء وتعب لأنهم لا يحتاجون إلى إلتعاب أنفسهم لتحصيل مقاصدهم

إذ جميع النعم حاصله لهم (وما هم منها بخارجين) أي يقون فيها مؤبدين ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يخبر عباده بكثرة عفوه ومقرته ورحمته لأوليائه وشدة عذابه لأعدائه فقال (نبي) يا محمد (عبادي أي انا العفور) أي كثير الستر لذنوب المؤمنين (الرحيم) كثير الرحمة لهم (وان عذابي هو العذاب الأليم) فلا تعولوا على محض غفرائي ورحمتي وخافوا عقابي وتقمي

قوله تعالى (٥١) وَنَبَتْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥٢) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ (٥٣) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٤) قَالَ أَبَشَّرْتُمُوني عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ (٥٥) قَالُوا بَشْرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَسْكُنُ مِنَ الْقَانِطِينَ (٥٦) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٧) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٨) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٩) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ (٦٠) إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ عشر آيات

القراءة

قرأ نافع وحده فم تبشرون خفيفة النون مكسورة وقرأ ابن كثير وحده فم تبشرون مشددة النون مكسورة وقرأ الباقون تبشرون مفتوحة النون خفيفة وروى ابو علي الضمير عن روح وغيره عن يعقوب فم تبشروني بإثبات الياء وقرأ ابو عمرو والكسائي بقنط ويقنطوا بكسر النون حيث كان والباقون بفتح النون وقرأ المنجوهوم خفيفة اهل الكوفة غير عاصم ويعقوب والباقون بالتشديد وقرأ قدرنا بالتخفيف ابو بكر عن عاصم وكذلك في النمل والباقون بالتشديد

الحجة

قال ابو علي الوجه في قراءة نافع انه أراد تبشروني إلا انه حذف النون الثانية استئقالا لأن التكرير بها وقع ولم يحذف النون الأولى التي هي علامة الرفع وقد حذفوا هذه النون في كلامهم لأنها زائدة ولأن علامة الضمير الياء من دونها قال

أبالموت الذي لا بداني ملاق لا ابالك تخوفيني

وقال

تراه كالثغام يعل مسكا يسوء الفاليات إذا فليني

والوجه في تشديد ابن كثير النون انه أدغم النون الأولى التي هي علامة الرفع في الثانية المتصلة بالياء التي هي المضمرة المنصوب المتكلم ومن فتح النون فلا نه لم يعد الفعل إلى المفعول به كما عدى غيره وحذف المفعول به كثير والنون علامة الرفع وقنط يقنط وقنط بقنط لقنطان وكان قنط بقنط اعلى وبدل على ذلك اجماعهم في قوله قنطوا وحكى ان يقنط لغة وهذا يدل على ان يقنط اكثر لأن مضارع فعل يجي على يفعل ويفعل وحجة من قرأ المنجوهوم قوله ونجينا الذين آمنوا وحجة من قرأ بالتخفيف قوله فأنجاه الله من النار وقدرت بالتخفيف لغة في قدرت يدل على ذلك قول العذلي

ومفرهة عنس قدرت لساقها فخرت كما تتابع الريح بالقفل

والمعنى قدرت ضربني لساقها فخرتها فحذف لدلالة الكلام عليه فمن قرأ قدرنا محققا كان في معنى التشديد

* اللغة *

الضيف هو المنصوب إلى غيره لطلب القرى وهو يقع على الواحد والاثنين والجمع لأنه في الأصل مصدر وصف به وقد يجمع بالأضياف والضيوف والضيفان والوجل الحرف يقال وجل يوجل ويأجل وييجل وييجل إذا خاف والخطب الأمر الجليل ومنه الخطبة والخطبة والمجرم المنقطع عن الحق إلى الباطل وهو القاطع لنفسه عن المحاسن إلى القبائح والعاير الباقي فيمن يهلك قال الشاعر

فما وني محمد مذان غفر له إلا له ما مضى وما غير

- (الاعراب) -

سلاماً منصوب على المصدر كأنهم قالوا سلمنا إلا آل لوط قال الزجاج هو استثناء ليس من الأول وقوله إلا امرأته استثناء من الهاء والميم في قوله إنا لمنجوعهم وقوله قدرنا أنها لمن الغابرين في معنى علمنا أنها لمن الغابرين قال ابو عبيدة في الآية معنى فقهي كان ابو يوسف يتأوله فيها وهو ان الله استثنى آل لوط من المجرمين ثم استثنى امرأة لوط من آل لوط فرجعت امرأته في التأويل إلى القوم المجرمين وكذلك كل استثناء في الكلام إذا جاء بعد استثناء آخر دعا المعنى إلى اول الكلام كقول الرجل فلان علي عشرة دراهم إلا أربعة إلا درهما فإنه يكون اقرارا بسبعة وكذلك لو قال له علي خمسة إلا درهما إلا ثلثا كان اقرارا بأربعة وثلاث

* المعنى *

لما ذكر سبحانه الوعد والوعيد عقبه بذكر قصة ابراهيم (ع) وقوم لوط مصداقاً لما ذكره وارشاداً إلى الدلالة بالاجل على الآجل فقال (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) اي وأخبرهم عن اضياف ابراهيم (إذ دخلوا عليه) يعني الملائكة وإنما ساهم ضيفا لأنهم جاءوه في صورة الاضياف (فقالوا سلاماً) اي سلموا عليه سلاماً على وجه الدعاء والتحية وبشروه بالولد وباهلاك قوم لوط (قال) ابراهيم (إنا منكم ورجلون) أي خائفون (قالوا لا توجل) أي لا تخف (إنا نبشرك) أي نبخبرك بما يسرك (بسلام عليم) اي بولد يكون غلاماً إذا ولد ويكون عليماً إذا بلغ (قال) ابراهيم (بشرتموني) بالمولود (على أن مسني الكبر) أي في حال الكبر الذي يوجب اليأس عن الولد (فبم تبشرون) بأمر الله تعالى فأثق به ام من جهة انفسكم ومعنى مسني الكبر غير في الكبر عن حال الشباب الذي بطمع في الولد إلى حال الهرم وقيل معناه عن رأس الكبر (قالوا بشرناك بالحق) أي قالت الملائكة لابراهيم إنا بشرناك بذلك على وجه الحقيقة بأمر الله (فلا تكن من القانطين) اي اليائسين فأجابهم ابراهيم (ع) بأن (قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) أي ومن الذي ييأس من رحمة الله وحسن انعامه إلا العادلون عن الحق الضالون عن طريق الهدى الجاهلون بقدرته على خلق الولد من الشيخ الكبير وهذا القول من ابراهيم (ع) يدل على انه لم يكن قانطاً ولكنه استبعد ذلك فظنت الملائكة فتوطأ فنفي ذلك عن نفسه (قال) ابراهيم (ع) بعد ذلك للملائكة (فما خطبكم ايها المرسلون) أي ما الأمر الجليل الذي بعثتم له وما شأنكم وساهم مرسلين لما علم انهم ملائكة (قالوا إنا ارسلنا إلى قوم مجرمين) أي مذنبين وقيل كافرين اخبروه بهلاكهم واقتصروا على هذا لأن من المعلوم ان الملائكة إنما يرسلون إلى المجرمين للهلاك (إلا آل لوط) استثنى منهم آل لوط وهم خاصته وعشيرته وإنما استثناهم منهم وإن لم يكونوا مجرمين من حيث كانوا من قوم لوط ومن بعث اليهم وقيل إن معناه لكن آل لوط (إنا لمنجوعهم اجمعين) أي نخلصهم اجمعين من العذاب (إلا امرأته) استثنى امرأة لوط من آل لوط لأنها كانت كافرة (قدرنا أنها لمن الغابرين) اي من الباقين في المدينة مع المهلكين اي قضينا انها تهلك كما يهلكون

قوله تعالى (٦١) فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦٢) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٦٣) قَالُوا بَلْ جِنَّاتِكُمْ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٤) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٥) فَأَسْرِبْ أَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٦) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هُوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٧) وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٨) قَالَ إِنَّ هُوْلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٩) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ (٧٠) قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧١) قَالَ هُوْلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧٢) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ اثنتا عشرة آية

اللغة

الاسراء سير الليل يقال سري بسري سري وأمري إسراء لغتان قال امرؤ القيس
سريت بهم حتى تكمل مطيهم وحتى الجياد ما يقدن بأرسان
والقطع كأنه جمع قطعة مثل بسرة ويسر وتمره وتمر والاتباع اقتفاء الأثر والاتباع في المذهب والافتداء
بمعنى وخلافه الابتداء والادبار جمع دبر وهو جهة الخلف والقبل جهة القدام وقد بكنى بهما عن الفرج والدابر
الاصل وقيل ان الدابر الآخر وعقب الرجل دابره والعمر والعمر واحد غير انه لا يجوز في القسم إلا بالفتح
لأن الفتح اخف عليهم وهم يكثرون القسم بلعمري ولعمرك فلزموا الأخف

الاعراب

ان دابر هولاة مقطوع موضع ان نصب بأنه بدل من ذلك الأمر لأنه تفسيره ويجوز أن يكون نصبا على
حذف الجار فكأنه قال وقضينا اليه بأن دابرهم مقطوع وقوله مصبحين نصب على الحال ويستبشرون أيضا في
موضع نصب على الحال . لعمرك مرفوع على الابتداء وخبره محذوف والتقدير لعمرك قسي او لعمرك ما قسم به
ولا يستعمل اظهار هذا الخبر قال الزجاج ان باب القسم يحذف معه الفعل تقول والله لأفعلن والله لأفعلن
والمعنى احلف بالله فحذف الفعل للعلم به فكذلك حذف خبر الابتداء لدلالة الكلام عليه

المعنى

ثم اخبر سبحانه ان الملائكة لما خرجوا من عند ابراهيم «ع» اتوا لوطاً «ع» يبشرونه بهلاك قومه فقال
(فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون) وإنما قال لهم لوط ذلك لأنهم جاءوه على صفة المرء على
هيئة وجمال لم ير مثلهم قط فأنكر شأنهم وهياتهم وقيل انه اراد اني انكركم فعر فوني انفسكم ليطمئن قلبي (قالوا
بل جنتك بما كانوا فيه يمترون) أي بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه إذا خوفتهم به (وأتيناك بالحق) أي
بالعذاب المستيقن به (وإنا لصادقون) فيما اخبرناك به وقيل معناه وأتيناك بأمر الله تعالى ولا شك ان امره سبحانه
حق (فأسر بأهلك بقطع من الليل) ومعناه سر بأهلك بدر ما يمضي اكثر الليل ويبقى قطعة منه (واتبع ادبارهم)
أي اقتف أثرهم وكن وراءهم لتكون عيننا عليهم فلا يتخلف احد منهم (ولا يلتفت منكم احد) أي
لا يلتفت احد منكم إلى ما خلف وراءه في المدينة وهذا كما يقول القائل امض لشأنك ولا تعرج على شيء وقيل
لا ينظر احد منكم وراءه لئلا يروا العذاب فيفزعوا ولا يحتمل قلبهم ذلك عن الحسن وابي مسلم (وامضوا حيث
تؤمرون) أي اذهبوا إلى الموضع الذي امركم الله بالذهاب اليه وهو الشام عن السدي (وقضينا اليه ذلك الامر)

اي أعلمنا لوطا وأخبرناه واوحينا اليه ما تنزل به من العذاب (أن دابر هؤلاء مقطوع) يعني أن آخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح وهو قوله مصبحين أي داخلين في وقت الصبح والمراد انهم مسأطلون بالعذاب وقت الصباح على وجه لا يبقى منهم اثر ولا نسل ولا عقب (وجاء اهل المدينة يستبشرون) يبشر بعضهم بعضاً بنزول من هو في صورة الاضياف بلوط وإنما فرحوا ظمعا في ان بنالوا الفجور منهم (قال) لوط لهم (إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون) فيهم والفضيحة الزام العار والشنار بالإنسان ومعناه لا تلموني فيهم عازراً بقصدكم اياهم بالسوء (واتقوا الله) باجتنب معاصيه (ولا تخزون) في ضيفي والخزي الانتقاع بالعيب الذي يستحي منه (قالوا اولم نهك عن العالمين) معناه اولم نهك ان تجبر احداً او تضيف احداً قال الجبائي وهذا القول إنما كان من لوط لقومه قبل أن يعلم انهم ملائكة بعثوا لإهلاك قومه وإنما ذكر مؤخرأ وهو في المعنى مقدم كما ذكر في غير هذه السورة (قال) لوط لهم وأشار إلى بناته لصلبه (هؤلاء بناتي) فتزوجهن إن كان لكم رغبة في التزويج عن ابن عباس والحسن وقتادة وقوله (إن كنتم فاعلين) كناية عن النكاح إن كنتم متزوجين قيل وإنما قال ذلك للروساء الذين يكفون الاتباع وقد كان يجوز تزويج المؤمنة من الكافر يومئذ وقد كان ذلك ايضا جائزا في صدر شريعتنا ثم حرم عن الحسن والجبائي وقيل انهن كن بنات قومه عرضهن عليهم بالتزويج والاستغناء بهن عن الذكران والأول اوضح (لعمرك) أي وحياتك يا محمد ومدة بقائك حيا وقال المبرد هو دعاء ومعناه أسأل الله عمرك قال ابن عباس ما خلق الله عز وجل ولا ذرا ولا برا نفسا اكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله اقس بجياة احد إلا بجياته فقال لعمرك (إنهم لفي سكرتهم يعمهون) ومعناه انهم لفي غفلتهم يتحجرون ويترددون فلا يبصرون طريق الرشد

قوله تعالى (٧٣) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ (٧٤) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٦) وَإِنَّهَا لَلْبَيْسِطِ الْمَقِيمِ (٧٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٨) وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ (٧٩) فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مَّيْمِينَ (٨٠) وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ (٨١) وَأَتَيْنَاهُم آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨٢) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (٨٣) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ (٨٤) فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ اثنتا عشرة آية

(= القراءة) =

قرأ جميع القراء الأيكة هاهنا لأنها مكتوبة بالألف الا ورشا عن نافع فإنه يترك الهمزة ويرد حركتها إلى اللام

✽ الحجة ✽

إذا خفت الهمزة في الأيكة وقد ألحقتها الألف واللام حذفها وألقت حركتها على اللام ويجوز فيه إذا استأنف لغتان فمن قال الحمر قال الأيكة ومن قال احمر قال ايكة

(- اللغة) =

الايكة الشجر الملتف وجمعها ايك مثل شجرة وشجر قال امية

كبكا الحمام على فرو ع الأيكة في الطير الجوانح

وقيل الأيكة الغيضة والمتوسم الناظر في السمة الدالقهوي العلامة ويقال وسمت الشيء وسما إذا أثرت فيه بسمة

ومنه الوسعي اول المطر لأنه بسم الارض بالنبات وتوسم الرجل طلب كلاً الوسعي قال
وأصبحن كاللذوم النواعم غدوة على وجهة من طاعن متوسم
وتوسم فيه الخير إذا عرف سمة ذلك فيه والأمام الطريق والإمام المبين الوح المحفوظ والإمام في اللغة هو
المتقدم الذي يتبعه من بعده الحجر اخذ من الحجر الذي هو المنع ومنه سمي العقل حجراً لأنه يمنع من القبائح

✽ الاعراب ✽

انتصب قوله مشرقين ومصبحين على الحال يقال اشرقوا وهم مشرقون اذا صادفوا شروق الشمس وهو
طلوعها كما يقال اصبحوا اذا صادفوا الصبح فمعنى مشرقين مصادفين لطلوع الشمس وان قوله وان كان
اصحاب الايكة مخففة من الثقيلة آمنين منصوب على الحال

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن كيفية عذاب قوم لوط فقال (فأخذتهم الصيحة مشرقين) اي اخذهم الصوت
المائل في حال شروق الشمس (فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) مضى تفسيره في سورة
هود (ان في ذلك لآيات للمتوسمين) معناه ان فيما سبق ذكره من اهلاك قوم لوط لدلالات للمتفكرين
المعتبرين عن قتادة وابن زيد وقيل للمتفرسين عن مجاهد وقد صح عن النبي ﷺ انه قال اتقوا فراسة
المؤمن فإنه ينظر بنور الله وقال إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم ثم قرأ هذه الآية وروي عن ابي عبد الله (ع)
انه قال نحن المتوسمون والسبيل فينا مقيم والسبيل طريق الجنة ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره (وانها
لسبيل مقيم) معناه ان مدينة لوط لطريق مسلوكة يسلكها الناس في حوائجهم فينظرون إلى آثارها ويعتبرون بها
لأن الأثار التي يستدل بها مقيمة ثابتة بها وهي مدينة سدوم وقال قتادة ان قرى قوم لوط بين المدينة والشام
(إن في ذلك لآيات) أي عبرة ودلالة (للمؤمنين) وخص المؤمنين لأنهم هم الذين انتفعوا بها (وإن كان
اصحاب الايكة لظالمين) واصحاب الايكة هم اهل الشجر الذين ارسل اليهم شعيب (ع) وارسل الى أهل
مدينة فأهلكوا بالصيحة واما اصحاب الايكة فأهلكوا بالظلة التي احترقوا بناها عن قتادة وجماعة من المفسرين
ومعنى الآية انه كان اصحاب الايكة لظالمين في تكذيب رسولهم وكانوا اصحاب غياض فعاقبهم الله تعالى
بالحر سبعة ايام ثم أنشأ سبحانه سحابة فاستظلوا بها يلتمسون الروح فيها فلما اجتمعوا تحتمها ارسل منها صاعقة
فأحرقتهم جميعا (فانتقمنا منهم) أي من قوم شعيب ومن قوم لوط أي عذبنام بما انتقمنا منهم والانتقام هو
المجازاة على جنابة سابقة وفرق علي بن عيسى بين الانتقام والعقاب بأن الانتقام هو تقيض الانعام والعقاب هو
تقيض الثواب (وانها لبإمام مبین) معناه وان مدينتي قوم لوط واصحاب الايكة بطريق يوم وتبع وبتدى به
عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقاتادة وسمي الطريق إماماً لأن الإنسان يومه وقيل معناه وان حديث مدينتيها
لمكتوب مذكور في الوح المحفوظ او حديث لوط وحديث شعيب عن الجبائي فيكون نظير قوله وكل شيء
أحصيناه في إمام مبین والمبين الظاهر ثم اخبر سبحانه عن اهلاك قوم صالح فقال (ولقد كذب اصحاب الحجر
المرسلين) والحجر اسم البلد الذي كان فيه ثمود وإنما سماوا اصحاب الحجر لأنهم كانوا يسكنونها وقيل ان الحجر اسم لواد كان يسكنها هؤلاء
الذين يسكنون البوادي اصحاب الصحارى لأنهم كانوا يسكنونها وقيل ان الحجر اسم لواد كان يسكنها هؤلاء
عن قتادة وإنما قال تعالى المرسلين لأن في تكذيب صالح تكذيب المرسلين لأنه كان يدعوهم الى ما دعا اليه
المرسلون والى الايمان بالمرسلين فكان في تكذيب احدهم تكذيب الجميع وقيل بعث الله اليهم رسلاً منهم صالح
عن الجبائي (وآتيناهم آياتنا) اي آتينا اصحاب الحجر الحجج والمعجزات والدلالات الدالة على صدق الانبياء
وقيل آتينا الرسل الايات عن الحسن (فكانوا عنها) اي عن الآيات (معرضين) اعرضوا عن التفكير فيها

والاستدلال بها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) اي وكان قسوم صالح في القوة بحيث ينحتون من الجبال بيوتا يسكنونها وكانوا آمنين من خرابها وسقوطها عليهم وقيل كانوا آمنين من عذاب الله وقيل آمنين من الموت لطول اعمارهم (فأخذتهم الصيحة مصبحين) أي فأهلكوا بالصيحة في وقت دخولهم في الصباح (فما اغنى عنهم) اي فما دفع عنهم العذاب ولم يغنهم (ما كانوا يكسبون) اي يجمعون من المال والاولاد وانواع الملاذ
 قوله تعالى (٨٥) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨٧) وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٨) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٩) وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٩٠) كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩١) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ سَبْعَ آيَاتِ

اللغة

عضين جمع عضة واصله عضوة فنقصت الواو ولذلك جمعت عضين بالنون كقَالَ عِزَّةٌ وَعِزُونَ وَالْأَصْلُ عِزْوَةٌ وَالتَّعْضِيَةُ التَّفْرِيقُ مَا خُوِذَ مِنَ الْأَعْضَاءِ بِقَالَ عَضِيْتُ الشَّيْءَ أَي فَرَّقْتَهُ وَبَعْضُهُ قَالَ رُوَيْبَةُ «وَلَيْسَ دِينُ اللَّهِ بِالْمَعْضِيِّ» وَقَالَ آخَرُ

تلك ديار تآزم المآزما وعضوات تقطع اللهازما

وقيل أصل عضة عضبة فحذفت الهاء كما حذفت من شفة وشاة وأصلها شفهة وشاهة بدلالة ان الجمع شفاء وشياه بالهاء والتصغير شفيبة وشوبية

المعنى

(وما خلقنا السهوات والأرض وما بينهما إلا بالحق) معناه وما خلقناها عبثا بل لما اقتضته الحكمة وهي انا قد تعبدنا اهلهما ثم نجازيهم بما عملوا (وإن الساعة) وهي يوم القيامة (لا تية) اي جائية بلا شك بعدابهم وقيل بمجازاة الخلائق كلهم وقيل هو تفسير قوله الا بالحق (فاصفح الصفح الجميل) اي فأعرض يا محمد عن مجازاة المشركين وعن مجاوبتهم واعف عنهم عفوا جميلا واختلف في الآية فقيل انها منسوخة بآية القتال عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك وقيل لا نسخ فيه بل هو فيما بين النبي ﷺ وبينهم لا فيما أمر به من جهة جهادهم. أمره بالصفح عنهم في موضع الصفح لقوله فأعرض عنهم وعظهم عن الحسن قال القاضي والصفح ممدوح في سائر الحالات وهو كالحلم والتواضع وقد يلزمنا الصفح الجميل مع لزوم التشدد في أمر الجهاد وحكي عن علي بن ابي طالب (ع) إن الصفح الجميل هو العفو من غير عتاب وقيل هو العفو بغير تعنيف وتوبيخ (ان ربك هو الخلاق) للاشياء (العليم) بتدبير خلقه فلا يخفى عليه ما يجري بينكم ويجوز ان يريد ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اصلح الآن إلى أن يؤمر بالسيف ثم ذكر سبحانه ما خص به نبيه ﷺ والاشياء من النعم فقال (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) وقد تقدم الكلام فيه وإن السبع المثاني هي فاتحة الكتاب وهو قول علي (ع) وابن عباس والحسن وابي العالية وسعيد بن جبير وابراهيم ومجاهد وقتادة وروي ذلك عن ابي عبد الله وايي جعفر عليها السلام وقيل هي السبع الطوال وهي السور السبع من أول القرآن وانما سميت مثاني لأنه يثني فيها الاخبار والعبر عن ابن عباس في رواية أخرى وابن مسعود وابن عمر والضحاك وقيل المثاني القرآن كله لقوله كتابا متشابها مثاني عن ابي مالك وطاوس وروي نحو ذلك عن عباس ومجاهد ومن قال هي فاتحة الكتاب

اختلفوا في سبب تسميتها مثاني فقيل لأنها تثنى قراءتها في الصلاة عن الحسن وإبي عبد الله (ع) وقيل لأنها تثنى بها مع ما يقرأ من القرآن عن الزجاج وقيل لأن فيها التثنية مرتين وهو الرحمن الرحيم وقيل لأنها مقسومة بين الله وعبدته على ما روي في الخبر وقيل لأن نصفها ثناء ونصفها دعاء وقيل لأنها نزلت مرتين تعظيما وتشريفا لها وقيل لأن حروفها كلها مشناة نحو الرحمن الرحيم إياك وإياك والصراط وصراط وقيل لأنها تثنى أهل الفسق عن الفسق ومن قال المراد بالثاني القرآن كله فإن من في قوله من الثاني يكون للتبويض ومن قال انها الحمد كان من للتبيين وقال الرازي

نشدتكم بمنزل القرآن أم الكتاب السبع من مثاني

ثنتين من آي من القرآن والسبع سبع الطول الدواني

(والقرآن العظيم) تقديره وأتيناك القرآن العظيم وصفه بالعظيم لأنه يتضمن جميع ما يحتاج إليه من أمور الدين بأوجز لفظ واحسن نظم وأتم معنى (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به ازواجا منهم) أي لا ترفعن عينيك من هؤلاء الكفار إلى ما متعناهم وانعمنا عليهم بهامثالا في النعم من الاموال والاولاد وغير ذلك من زهرات الدنيا فإنها في معرض الزوال والفناء مع ما يتبعها من الحساب والجزاء وعلى هذا فيكون ازواجا منصوبا على الحال والمراد به الاشياء والامثال وقيل ان معناه لا تنظرن إلى ما في أيديهم من النعم التي هي اشباه بشبه بعضها بعضا فإن ما انعمنا عليك وعلى من اتبعك من انواع النعم وهي النبوة والقرآن والاسلام والفتوح وغيرها أكثر وأوفر مما أتيناهم وقيل ان معناه ولا تنظرن ولا تعظمن في عينيك ولا تمدما إلى ما متعنا به اصنافا من المشركين والأزواج الاصناف ويكون على هذا مفعولا به نهي الله رسوله عن الرغبة في الدنيا فحظر عليه أن يمد عينيه إليها وكان رسول الله لا ينظر إلى ما يستحسن من الدنيا (ولا تحزن عليهم) أي على كفار قريش إن لم يؤمنوا ونزل بهم العذاب عن الكافي وقيل لا تحزن عليهم بما بصيرون اليه من عذاب النار بكفرهم عن الحسن وقيل لا تحزن لما أنعمت عليهم دونك عن الجبائي (واخفض جناحك للمؤمنين) أي ألن لهم جانبك وارفق بهم عن ابن عباس والعرب تقول فلان خافض الجناح إذا كان قورا حليما وأصله ان الطائر إذا ضم فرخه إلى نفسه بسط جناحه ثم خفضه فالمعنى تواضع للمؤمنين لكي يتبعك الناس في دينك (وقل اني انا النذير المبين) معناه وقل اني انا المعلم بموضع المخافة ليتقى المبين لكم ما تحتاجون اليه وما ارسات به اليكم (كما أنزلنا على المقتسمين) قيل فيه قولان * أحدهما * ان معناه أنزلنا القرآن عليك كما أنزلنا على المقتسمين وهم اليهود والنصارى (الذين جعلوا القرآن عضين) أي فرقوه وجعلوه اعضاء كأعضاء الجوزور فأمنوا ببعضه وكفروا ببعضه عن قتادة قال آمنوا بما وافق دينهم وكفروا بما خالف دينهم وقيل ساهم مقتسمين لأنهم اقتسموا كتب الله تعالى فأمنوا ببعضها وكفروا ببعضها عن ابن عباس * والآخر * ان معناه اني انذركم عذابا كما أنزلنا على المقتسمين الذين اقتسموا طرق مكة يصدون عن رسول الله ﷺ والإيمان به قال مقاتل وكانوا ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة ايام الموسم يقولون لمن أتى مكة لا تغتروا بالخارج منا والمدعي النبوة فأنزل الله بهم عذابا فماتوا شرمية ثم وصفهم فقال الذين جعلوا القرآن عضين أي جزأوهم اجزاء فقالوا سحر وقالوا اساطير الأولين وقالوا مقترى عن ابن عباس

﴿النظم﴾

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها هو ان الأمم لما خالفوا الحق أهلكوا لأن الله تعالى ما خلق السماوات والارض إلا بالحق وان الساعة آتية للجزاء وان جميع ما خلق الله يرجع إلى عالم يديره واتصل قوله ولقد أتيناك سبعا من المثاني بقوله فاصفح الصفح الجميل فإنه سبحانه لما أمره بالصفح عن آذاهم بين ما خصه الله به من النعم وما له من الحجة عليهم واتصل قوله كما أنزلنا على القول الأول بهذا أي كما أنزلنا عليهم أنزلنا اليك القرآن وعلى

القول الثاني يتصل بقوله انا النذير

قوله تعالى (٩٢) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٤) فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٥) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٦) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٨) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٩) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ثماني آيات

❖ اللغة ❖

الصدع والفرق والفصل نظائر وصدع بالحق إذا تكلم به جهارا قال ابو ذؤيب
 كأنهن ربابة وكأته
 نسريفيض على القداح ويصدع
 والصديع الصبح قال « كان يياض غرته الصديع »

❖ الإعراب ❖

فاصدع بما تؤمر ان جعلت ما بمعنى الذي كان العائد من الصلة إلى الموصول محذوفا ويكون تقديره على استعمال الصيغة فيه فاصدع بما تؤمر بالصدع به ثم تحذف الباء التي في به فيصير بالصدعه ولا يجوز الاضافة مع لام المعرفة فتحذف لام المعرفة توصلا بحذفه إلى الاضافة فيصير بما تؤمر بصدعه ثم يحذف المضاف وبقية المضاف اليه مقامه فيبقى بما تؤمر به ثم يحذف حرف الجر على حد قولك امرتك الخير في امرتك بالخير فيصير بما تؤمره ثم يحذف العائد المنصوب من الصلة على ما قد تكرر بيانه في مواضع فيصير بما تؤمر وهذا من لطائف امرار النحو وإن جعلت ما مصدرية كان على تقدير فاصدع بالأمر كما تقول عجبت مما فعلت والتقدير عجبت من فعلك ولا يحتاج هنا إلى عائد يعود إلى ما لأنه حرف وحكى يونس النحوي عن رؤبة انه قال في هذه اللفظة افصح ما في القرآن

❖ المعنى ❖

لما بين سبحانه كفرهم بالقرآن وتعضيتهم له بين عقيب ذلك لئيبه ^{صلى الله عليه وسلم} انه يسألهم عما فعلوه ويجازيهم عليه فقال (فوردك) يا محمد (لنسألنهم اجمعين) اقسام بنفسه وأضاف نفسه إلى نبيه ^{صلى الله عليه وسلم} تشريفا له وتنبها للخلق على عظيم منزلته عنده لنسألن هؤلاء الكفار سؤال توبيخ وتقريع بأن تقول لهم لم عصيتم وما حجتكم في ذلك فيظهر عند ذلك خزيبهم وفضيحتهم عند تعذر الجواب (عما كانوا يعملون) معناه عما عملوا فيما عملوا عن سفيان بن عيينة وقيل عن لا إله إلا الله والإيمان برسله عن الكبي وقيل عما كانوا يعبدون وبماذا أجابوا المرسلين عن ابي العالية (فاصدع بما تؤمر) أي اظهر واعلن وصرح بما أمرت به غير خائف عن ابن عباس وابن جريج ومجاهد وابن زيد وقيل معناه فافرق بين الحق والباطل بما أمرت به عن الجبائي والأخفش وقيل ابن ماتوؤمر به وأظهره عن الزجاج قال وتأويل الصدع في الزجاج وفي الحائطان تبين بعض الشيء عن بعض (واعرض عن المشركين) أي لا تخصمهم إلى أن تؤمر بقتالهم وقيل معناه لا تلتفت اليهم ولا تحف عنهم عن ابي مسلم وقيل واعرض عن مجاوبتهم إذا أدوك عن الجبائي (إنا كفيناك المستهزين) أي كفيناك شر المستهزين واستهزاءهم بأن اهلكناهم وكانوا خمسة قر من قريش العاص بن وائل والوليد بن المغيرة وابو زمعة وهو الاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحارث بن قيس عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل كانوا ستة رهط عن محمد بن ثور وسادسهم الحارث بن الطلائع وأمه عيطلة قالوا وأتى جبائيل النبي ^{صلى الله عليه وسلم} والمستهزون يطوفون بالبيت فقام جبائيل ورسول الله إلى

جنبه فمر به الوليد بن المغيرة المخزومي فأومى بيده إلى ساقه فمر الوليد على قين لخزاعة وهو يجير ثيابه فتعلقت بثوبه شوكة فمنعه الكبر أن يخفض رأسه فينزعهها وجعلت تضرب ساقه فخدشته فلم يزل مريضاً حتى مات ومر به العاص بن وائل السهمي فأشار جبرائيل إلى رجله فوطئ العاص على شوكة فدخلت في اخصص رجله فقال لدغت فلم يزل يحكمها حتى مات ومر به الاسود بن المطلب بن عبد مناف فأشار إلى عينه فعمي وقيل رماه بورقة خضراء فعمي وجعل يضرب رأسه على الجدار حتى هلك ومر به الاسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستقى فمات وقيل اصابه السموم فصار اسود فأتى اهله فلم يعرفوه فمات وهو يقول قتلتني رب محمد ومر به الحارث بن السلاطمة فأومى إلى رأسه فامتخط قيجاً فمات وقيل ان الحرث بن قيس أكل حوتاً ملخاً فأصابه العطش فما زال يشرب حتى اتقد بطنه فمات ثم وصفهم سبحانه بالشرك فقال (الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر) أي اتخذوا معه إلهاً يعبدونه (فسوف يعلمون) هذا وعيد لهم وتهديد (ولقد نعلم انك) يا محمد (بضيق صدرك) أي قلبك (بما يقولون) من تكذيبك والاستهزاء بك وهذا تعزية من الله تعالى لتبنيه وتطيب لقلبه (فسبح بحمد ربك) أي قل سبحانه الله وبحمده (وكن من الساجدين) أي المصلين عن الضحاك وابن عباس قال وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وقيل معناه احمد ربك على نعمه اليك وكن من الذين يسجدون لله ويوجهون بعبادتهم اليه (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أي إلى أن يأتيك الموت عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل حتى يأتيك اليقين من الخير والشر عند الموت عن قتادة وسمي الموت يقيناً لأنه موقن به ويحتمل أن يكون أراد حتى يأتيك العلم الضروري بالموت والخروج من الدنيا الذي يزول معه التكليف قال الزجاج المعنى اعبد ربك ابد الأبدين ولو قال اعبد ربك بغير توقيت لجاز أن يكون الانسان مطيعاً إذا عبد الله مرة فإذ قال حتى يأتيك اليقين فقد أمر بالإقامة على العبادة ابدًا ما دام حياً

(سورة النحل)

اربعون آية من أولها مكية والباقي من قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوتهم إلى آخر السورة مدنية عن الحسن وقاتدة وقيل مكية كلها غير ثلاث آيات نزلت في انصراف النبي ﷺ من أحد وإن عاقبتهم فعاقبوا إلى آخر السورة نزلت بين مكة والمدينة عن ابن عباس وعطا والشعبي وفي إحدى الروايات عن ابن عباس بعضها مكى وبعضها مدني فالمكي من أولها إلى قوله ولكم عذاب عظيم والمدني قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا إلى قوله بأحسن ما كانوا يعملون

✽ عدد آياتها ✽

مائة وثمان وعشرون آية ليس فيها اختلاف

✽ فضلها ✽

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها لم يمسسه الله تعالى بالنعم التي أنعمها عليه في دار الدنيا وأعطى من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية وإت مات في يوم تلاها أو ليلة كان له من الأجر كالذي مات فأحسن الوصية وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر «ع» قال من قرأ سورة النحل في كل شهر كفي المغرم في الدنيا وسبعين نوعاً من أنواع البلاء أهونه الجنون والجذام والبرص وكان مسكنه في جنة عدن وهي وسط الجنان

✽ تفسيرها ✽

لما ختم الله سبحانه سورة الحجر بوعيد الكفار كان افتتاح هذه السورة بوعيدهم أيضا فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) أَنَّى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ
(٢) يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاتَّقُوا آيَاتِنَا

✽ القراءة ✽

تشر كون بالتاء كوفي غير عاصم والباقون بالياء تنزل الملائكة بفتح التاء والزاي والتشديد ورفع الملائكة
روح وزيد عن يعقوب وسهل وهي قراءة الحسن والباقون ينزل بالياء بكسر الزاي ونصب الملائكة وابن كثير
وابو عمرو يخففان ينزل على أصلها وكذلك رويس عن يعقوب والباقون بشددون

✽ اللغة ✽

قيل ان التسبيح بالتشديد في اللغة على اربعة اقسام ✽ الاول ✽ التنزيه كقوله سبحانه الذي أمرى ✽ والثاني ✽
بمعنى الاستثناء كقوله لولا تسبحون أي تستنون بقولكم إن شاء الله ✽ والثالث ✽ بمعنى الصلاة كقوله
فلولا انه كان من المسبحين ✽ والرابع ✽ بمعنى النور كما جاء في الحديث فلولا سبحات وجهه أي نوره والروح
يأتي على عشرة اقسام الروح حياة النفوس بالارشاد والروح الرحمة كما ورد في القراءة فروح وريحان والروح
النبوة كقوله بلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده والروح عيسى روح الله لأنه خلق من غير بشر وقيل
من غير فحل وقيل لكونه رحمة على عباده بما بدعوم إلى الله والروح جبرائيل (ع) والروح النفخ يقال أحييت
النار بروحي أي بنفخي قال ذو الرمة يصف الزند والزندة

فلما بدت كفيتها وهي طفلة بطلساء لم تكمل ذراعاً ولا شبرا
وقلت له ارفعها اليك وأحيها بروحك واقنته لها قيته قدرا

والروح الوحي في قوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وقيل انه جبرائيل والروح ملك في السماء من
اعظم من خلق الله فإذا كان يوم القيامة وقف صفاً والملائكة كلهم صفا والروح روح الانسان وقال ابن عباس
في الانسان روح وتفس فالنفس هي التي يكون فيها التمييز والكلام والروح هو الذي يكون به الغطيظ والنفس
فإذا نام العبد خرجت نفسه وبقي روحه وإذا مات خرجت نفسه وروحه معا

✽ المعنى ✽

(أنى أمر الله) فيه اقوال ✽ احدها ✽ ان معناه قرب أمر الله تعالى بعقاب هؤلاء المشركين
المقيمين على الكفر والتكذيب عن الحسن وابن جريج قال الحسن ان المشركين قالوا للنبي ﷺ ائتنا بعذاب الله
فقال سبحانه ان أمر الله آت وكل ما هو آت قريب دان ✽ وثانيها ✽ ان امر الله احكامه وفرائضه عن
الضحاك ✽ وثالثها ✽ ان امر الله هو يوم القيامة عن الجبائي وروي نحوه عن ابن عباس وعلى هذا الوجه
فيكون أتى بمعنى يأتي وجاء وقوع الماضي ههنا لصدق المخبر بما اخبر به فصار بمنزلة ما قد مضى ولأن سبحانه قريب
أمر الساعة فجعله اقرب من لمح البصر وقال اقرب الساعة (فلا تستعجلوه) خطاب للمشركين المكذبين بيوم
القيامة ولعذاب الله المستهزئين به وكانوا يستعجلونه كما حكى الله سبحانه عنهم قولهم فأمطر علينا حجارة من
السماء وتقديره قل هؤلاء الكفار لا تستعجلوا القيامة والعذاب فإن الله سيأتي بكل واحد منها في وقته وحينه

كما تقتضيه حكمته (سبحانه وتعالى عما يشركون) هذه كلمة تنزيه لله تعالى عما لا يليق به وبصفاته وتنزيه له من أن يكون له شريك في عبادته أي جل وتقدس وتنزه من أن يكون له شريك تعالى وتعظم وارفع من جميع صفات النقص (ينزل الملائكة) أي ينزل الله الملائكة أو تنزل الملائكة (بالروح من أمره) أي بالوحي عن ابن عباس وقيل بالقرآن عن ابن زيد وهما واحد ومسمى روحاً لأنه حياة القلوب والنفوس بالارشاد إلى الدين وقيل بالنبوة عن الحسن وقوله من أمره أي بأمره ونظيره قوله يحفظونه من أمر الله أي بأمر الله لأن أحداً لا يحفظه عن أمره (على من يشاء من عباده) ممن يصلح للنبوة والسفارة بينه وبين خلقه (ان انذروا انه لا إله إلا أنا فاتقون) هذا تفسير للروح المنزل وبدل منه فإن المعنى تنزل الملائكة بأن انذروا أهل الكفر والمعاصي بأنه لا إله إلا أنا أي مروهم بتوحيدني وبأن لا بشر كوا بي شيئاً ومعنى فاتقون فاتقوا مخالفتي وفي هذا دلالة على ان الغرض من بعثة الأنبياء الانذار والدعاء إلى الدين

✽ النظم ✽

وجه اتصال قوله سبحانه وتعالى بما تقدم ان الكفار كانوا يستعجلون العذاب على وجه التكذيب به ويكذبون البعث والقيامة فبين سبحانه انه منزه عما يصفون به فإن الحكيم إذا كلف وجب أن يجازي المكلف فترك المجازاة قبيح وقيل انهم كانوا ينكرون قدرة الله تعالى سبحانه على إعادة الخلق فنزه نفسه عن قولهم واتصل قوله ينزل الملائكة بما تقدم فإنه سبحانه لما أوعدهم بالعذاب بين انه ينزل الملائكة للتخويف وانه لا يأخذ أحداً من المشركين حتى يحتج عليه بالندر وقيل انه سبحانه بين ان الحال حال التكليف لا حال نزول العذاب وان الصلاح الآن انزال الملائكة إلى النبي ﷺ بالوحي والكتاب للانذار وبيان الأدلة ولذلك اتبعه بذكر الأدلة

قوله تعالى (٣) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٥) وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٦) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٧) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَنِيِّ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ خمس آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أبو جعفر بشق الأنفس بفتح الشين والباقون بكسرها

✽ الحجة ✽

الشق والشق بكسر الشين وفتحها بمعنى وكلاهما المشقة قال عمرو بن ملقط وهو جاهلي « واخيل قد تجشم اربابها الشق » وقد تعسف الراوية والرواية بفتح الشين

= (اللغة) =

الانعام جمع نعم وهي الاوبل والبقر والغنم مميت بذلك لنعمة مشيها بخلاف الخافر الذي يصلب مشيها والدف ما استفادت به ودفو بومنا دفأ فهو دفي والاراحة رد المشية بالمشي من مراعيها إلى مباركها والمكان الذي يراح فيه مراح والسروح خروج المشية إلى المرعى بالغدادة يقال مرحت المشية مراحا ومسروحا ومرحها أهلها قال

مدب الدبا فوق النقا وهو سارح

كأن بقايا الاثر فوق متونه

والانقال جمع النقل وهو المتاع الذي يتقل حمله

✽ الاعراب ✽

والانعام منصوب بفعل مقدر يفسره ما بعده والتقدير وخلق الانعام خلقها وقوله لكم فيها دفء جملة منصوبة
الموضع على الحال من الانعام والتقدير كائنة بهذه الصفة

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر بعث الملائكة للانذار وبيان التوحيد وشرائع الاسلام اتبعه سبحانه بالاحتجاج على الخلق
بالخلق وتعداد صنوف الانعام فقال (خلق السماوات والارض بالحق) ومعناه انه خلقهم ما يستدل بهما على معرفته ويتوصل
بالنظر فيهما إلى العلم بكمال قدرته وحكمته وقيل خلقهما لينتفع بهما في الدين والدنيا وليعمل بالحق (تعالى عايش كون) اي تقدس
عن ان يكون له شريك ثم بين سبحانه دلالة اخرى فقال (خلق الانسان من نطفة) والنطفة الماء القليل غير انه بالاعتراف صار
اسماء الفحل (فان ذاهو خصم مبین) اختصرها هنا ذكر قلب احوال الانسان لذكره ذلك في امكنة كثيرة من القرآن
فالمعنى انه خلق الانسان من نطفة سيالة ضعيفة مهينة دبرها وصورها بعد ان قلبها حالا بعد حال حتى صارت
انسانا يخاصم عن نفسه ويبين عما في ضميره فيبين سبحانه انقص احوال الانسان واكلها منها على كمال قدرته وعلمه
وقيل خصيم مجادل بالباطل مبین ظاهر الخصومة عن ابن عباس والحسن فعلى هذا يكون المعنى انه خلقه ومكنه
فأخذ يخاصم في نفسه وفيه تعريض لفاش ما ارتكبه الانسان من تضييع حق نعمة الله عليه ثم بين سبحانه نعمته
في خلق الانعام فقال (والانعام خلقها) معناه وخلق الانعام من الماء كما خلقكم منه يدل عليه قوله والله خلق كل
دابة من ماء واكثر ما يتناول الانعام الابل ويتناول البقر والغنم ايضا وفي اللغة هي ذوات الاخفاف والأظلاف
دون ذوات الحوافر (لكم فيها دفء) اي لباس عن ابن عباس ومجاهد وقيل ما يستدفأ به ما يعمل من صوفها
ووبرها وشعرها عن الحسن فيدخل فيه الاكسية واللحف والملبوسات وغيرها قال الزجاج اخبر سبحانه أن في
الانعام ما يدفئنا ولم يقل ولكم فيها ما يكتنكم من البرد لأن ما ستر من الحر ستر من البرد وقال في موضع
آخر سراويل تقيكم الحر فعلم انها تقي البرد ايضا فكذلك هاهنا وقيل ان معناه وخلق الانعام لكم اي لمنافعكم
ثم ابتداء وأخبر وقال فيها دفء عن الحسن وجماعة (ومنافع) معناه ولكم فيها منافع اخر من الحمل والركوب
وانارة الارض والزرع والنسل (ومنها تأكلون) اي ومن لحومها تأكلون (ولكم فيها جمال) اي حسن منظر
وزينة (حين تربون) اي حين تردونها إلى مراعيها وهي حيث تأوى اليه ليلا (وحين تسرحون) اي حين ترسلونها
بالغداة إلى مراعيها واحسن ما يكون النعم إذا راحت عظاما ضروعها ممثلة بطونها منتصبه اسنمتها وكذلك
إذا سرحت إلى المراعي رافعة رؤوسها فيقول الناس هذه جمال فلان ومواسيه فيكون له فيها جمال (وتحمل
انقالكم) اي امتعتكم (إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس) أي وتحمل الابل وبعض البقر احوالكم
الثقيلة إلى بلد بعيدة لا يمكنكم أن تبلغوه من دون الأجمال إلا بكلفة ومشقة تلحق انفسكم فكيف تبلغونه
مع الاحمال لولا أن الله تعالى سخر هذه الانعام لكم حتى حملت انقالكم إلى اين شئتم وقيل إن الشق معناه
الشطرن والنصف فيكون المراد الا بأن يذهب شطر قوتكم اي نصف قوة الأنفس وقيل معناه تحمل انقالكم
إلى مكة لأنها من بلاد الفلوات عن ابن عباس وعكرمة (إن ربكم لرؤوف) أي ذو رأفة (رحيم) أي ذو
رحمة ولذلك انعم عليكم بخلق هذه الانعام ابتداء منه بهذه الانعام

قوله تعالى (٨) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩)

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٠) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجْرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١١) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ

وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٣) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ست آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ حماد ويحيى عن ابي بكر عن عاصم نبت بالنون والباقون بالياء وقرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها بالرفع وقرأ حفص عن عاصم والشمس والقمر بالنصب والنجوم مسخرات بالرفع وقرأ الباقر كل ذلك بالنصب

-(الحجة)-

من قرأ ينبت بالياء فلما تقدم من قواه هو الذي ازل فالياء اشكل بما تقدم من الافراد والنون لا يمتنع ايضا ويقال نبت البقل وأنبت الله قال ابو علي والنصب في قوله والشمس والقمر احسن ليكون معطوفا على ما قبله وداخلا في اعرابه ألا ترى أن ما في التنزيل من نحو قوله وكلا ضربنا له الامثال والظالمين اعد لهم عذابا اليا يختار فيه النصب ليكون مثل ما يعطف عليه ومشاكلا له فكذلك هنا إذا حمل ذلك على التسخير كان اشبه فإن قلت فقد جاء مسخرات بعد هذه الاشياء المنصوبة المحمولة على سخر فإن ذلك لا يمتنع لان الحال تكون مؤكدة ومجيبى الحال مؤكدة في التنزيل وغيره كثير كقوله وهو الحق مصدقا وانا ابن دارة معروف « وكفى بالنأي من اسماء كاف » ويقوي النصب قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين فكما حمل هنا على التسخير كذلك في الاخرى وكذلك النجوم قد حملت على التسخير في قوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وكان ابن عامر قطعه عن سخر لثلا يجعل الحال مؤكدة فابتدأ الشمس والقمر والنجوم وجعل مسخرات خبرا عنها ويدل على جواز ذلك انه إذا جاء سخر لكم الشمس والقمر والنجوم علم من هذا انها مسخرات فجاز الاخبار بالتسخير عنها لذلك وأما حفص فإننا رفع والنجوم مسخرات لانه لا يصح أن يقال وسخر النجوم مسخرات فقطعا مما قبلها فعلى هذا يكون حجة من نصب أن يقدر فعلا آخر وتقديره وجعل النجوم مسخرات

﴿ اللفظة ﴾

القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد إذا قصد إلى ما يريد والجائر المائل عن الحق والشجر ما ينبت من الأرض وقام على ساق وله ورق وجمعه اشجار ومنه المشجرة لتداخل بعض الكلام في بعض كتداخل ورق الشجر وقال الازهري الشجر ما ينبت من الأرض قام على ساق أو لم يقم تسمون من الاسامة يقال اسمت الإبل إذا رعيتها واطلقتها فترعى متصرفة حيث شاءت وسامت هي إذارعت وهي تسوم وإبل سائمة ويقال سميتها إذا قصرتها على مرعى بعينه وسمتها الحسف إذا تركتها على غير مرعى ومنه قيل سيم فلان خسفا إذا ذل واهتضم قال الكمي في الاسامة

واعيا كان مسجى ففقدناه وفقد المسيم هلك السوام

وقال آخر

وأسكن ما سكنت ببطن واد وأظعن إن ظعنن فلا اسيم

وذهب قوم إلى أن السوم في البيع من هذا لأن كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن او نقصانه إلى ما يهواه كما تذهب السائمة حيث شاءت وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس فحمله قوم على أن

المواشي لا تسام قبل طلوع الشمس لثلاث تنشر وحمله آخرون على أن البيع في ذلك الوقت مكروه لأن البيع لا تنتشر عيوبه فيدخل في بيع النمر المنهي عنه والذرا اظهر الشيء باو يجاده يقال ذراه يذراه وذراه وفطره وانشاء نظائر وملح ذر. اني ظاهر اليباض

✽ الاعراب ✽

نصب الخيل والبغال والحمير على انها مفعول في المعنى أي وخلق الخيل والبغال والحمير ونصب زينة لأنها مفعول لها. المعنى وخلقها زينة وما ذرا ما بمعنى الذي وموضعه نصب على تقدير وخلق ما ذرا لكم وقيل هو في موضع الجر بالعطف على ذلك أي أن في ذلك وفي ما ذرا لكم. مختلفا نصب على الحال والواو فاعله

✽ المعنى ✽

ثم عطف سبحانه على ما عدده من صنوف انعامه فقال (والخيل) اي وخلق لكم الخيل (والبغال والحمير لتركبوها) في حوائجكم وتصرفاتكم (وزينة) أي ولتزينوا بها من الله تعالى على خلقه بأن خلق لهم من الحيوان ما يركبونه ويتجملون به وليس في هذا ما يدل على تحريم اكل لحومها وقد روى البخاري في الصحيح مرفوعا إلى اساء بنت ابي بكر قالت اكلنا لحم فرس على عهد رسول الله ﷺ (ويخلق ما لا تعلمون) من انواع الحيوان والنبات والجماد لمنافعكم (وعلى الله قصد السبيل) اي بيان قصد السبيل عن ابن عباس ومعناه واجب على الله في عدله بيان الطريق المستقيم وهو بيان الهدى من الضلالة والحلال من الحرام لاتباع الهدى والحلال ويجتنب الضلالة والحرام وهذا مثل قوله إن علينا للهدى (ومنها جائر) معناه من السبيل ما هو جائر أي عادل عن الحق (ولوشاء لهداكم اجمعين) إلى قصد السبيل بالاجلاء والقهر فإنه قادر على ذلك وقيل معناه لهداكم إلى الجنة والثواب تفضلا عن الجبائي وأبي مسلم وقيل إن معنى الآية وعلى الله المرء ومن الطريق التي المر فيها على الله جائر وكلاهما على الله لا يخرج احدا عن قبضته وحكمه كقوله إن ربك لبالمرصاد وقيل على الله ممر ذية السبيل القصد والسبيل الجائر واليه مرجع كل واحد منها لا يخرج واحد عن سلطانه ولو أراد ان يحمل الجميع على الحق لفعل ومن عدل عن الطريق المستقيم فليس ذلك لعجز من الله تعالى ثم عد سبحانه نعمة اخرى دالة على وحدانيته فقال (هو الذي انزل من السماء ماء) اي مطرا (لكم منه شراب) اي لكم من ذلك الماء شراب تشربونه (ومنه شجر) فيه وجهان ✽ احدهما ✽ ان يكون المراد ومنه شرب شجر أوسقي شجر فحذف المضاف والآخر أن يكون المراد ومن جهة الماء شجر ومن سقيه وانباته شجر فحذف المضاف إلى الماء في منه كما قال زهير

بجوامانة الدراج فالمشام

أمن ام اوفى دمنة لم تكلم

أي امن ناحية ام اوفى وقال ابو ذؤيب

فبت اخاله دهما خلجا

امنك البرق ارقبه فهاجا

اي أمن جهتك وقال الجمدي

بقيت على حجج خلون طوال

لمن السديار عفون بالتهطال

أي على مر حجج والمعنى وينبت منه شجر ونبات (فيه تسيمون) أي ترعون انعامكم من غير كلفة والتزام مؤنثة لعلفها (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات) أي ينبت الله لكم بذلك المطر هذه الأشياء التي غدها لتنتفعوا بها (ان في ذلك لآية) اي دلالة وحجة واضحة (لقوم

يتفكرون) فيه فيعرفون الله تعالى به وخص المتفكرين فيه لأنهم المنتفعون به (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر) قد مضى بيانه والتسخير في الحقيقة للشمس والقمر لأن النهار هو حركات الشمس من وقت طلوع الفجر الى وقت غروب الشمس والليل حركات الشمس تحت الأرض من وقت غروب الشمس الى وقت طلوع الفجر الا انه سبحانه اجرى التسخير على الليل والنهار على سبيل التجوز والاتساع (والنجوم مسخرات بأمره) مضى بيانه (إن في ذلك) التسخير (آيات) أي دلالات (لقوم يعقلون) عن الله وينبئون ان المسخر لذلك على هذا تقدير الذي لا يختلف لأجل منافع خلقه ومصالحهم والمدبر لذلك قادر عالم حكيم (وما ذره لكم في الأرض) أي سخر لكم ما خلقه لكم في الأرض أي لقوام ابدانكم من الملابس والمطاعم والمناكح من انواع الحيوان والنبات والمعادن وسائر النعم (مختلفا الوانه) لا يشبه بعضها بعضا (ان في ذلك لآية) أي دلالة (لقوم يذكرون) أي يتفكرون في الادلة فينظرون فيها ويعتظون ويعتبرون بها

قوله تعالى (١٤) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَكُمْ لَكُمْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَنَسَخَرَ الْجِبَالَ مِنْكُمْ حَبُوبًا وَجَعَلَ مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا مِثْلَ النُّجُومِ وَمَا يُدْرِكُهُ إِلَّا السَّيِّدُ الْقَوْمِ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا كَانُوا أَكْثَرًا كَذِبًا (١٥) وَالْقِيَامَةِ فِيهَا يُصْرَفُونَ (١٦) وَاللَّهُ يَخْتَارُ مَا يُؤْتِيهِ لَاحِقًا لِمُؤْتَاهِ الْفَيْدِ وَمَا يُضِلُّهُ إِلَّا الضَّلَالَةَ وَمَا يُجِزُّ إِلَّا السَّيِّدُ الْقَوْمِ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا كَانُوا أَكْثَرًا كَذِبًا (١٧) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٨) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ خمس آيات

✽ القراءة ✽

في الشواذ قراءة الحسن وبالنجم بضم النون

✽ الحجة ✽

هو جمع نجم مثل سقف وسقف ورهن ورهن

✽ اللفظة ✽

المخر شق الماء من عن يمين وشمال مخرت السفينة الماء تمخر مخرا فهي ماخرة والمخر ايضا صوت هبوب الريح اذا اشتد هبوبها ومخر الأرض شقها للزراعة ومخرها بالماء اذا ارسل عليها الماء لتطيب والمبد الميل يمينا وشمالا وهو الاضطراب ماد يميد ميذا والعلامة صورة يعلم بها المعنى من خط او لفظ او اشارة او هيئة وقد تكون وضعية وقد تكون برهانية

✽ الاعراب ✽

قوله أن تميد بكم في موضع نصب بأنه مفعول له وتقديره كراهة ان تميد بكم وانتصب قوله وانهارا وسبلا بحذوف تقديره وجعل لكم انهارا لدلالة قوله القى عليه لأنه لا يجوز ان يكون عطف على القى ومثله قوله «علقتها تبنا وما باردا» وقول الآخر

تسمع في اجوافهن صردا وفي اليدين جسأة ويردا

أي وترى في اليدين يبسا وتفرقا وعلامات منصوب عطف على قوله وانهارا وسبلا وقيل وخلق لكم علامات

﴿ المعنى ﴾

ثم عدد سبحانه نوعا آخر من انواع نعمه فقال (وهو الذي سخّر البحر) اي ذلله لكم وسهل لكم الطريق الى ركوبه واستخراج ما فيه من المنافع (لتأكلوا منه لحما) اي تصطادوا منه انواع السمك وتأكلوا لحمه (طريا) ولا يجوز ان يهز طريا لأنه من الطراوة (وتستخرجوا منه حلية) يعني اللآلئ التي تخرج من البحر بالفوس (تلبسونها) وتزينون بها وتلبسونها نساءكم واولادكم تسخيرها سبحانه ذلك لكم لما قدرتم على الدنو منه والفوس فيه (وترى الفلك وماخر فيه) اي وترى أيها الإنسان السفن شواق في البحر وقواطع مائه عن عكرمة وقيل جوارى عن ابن عباس (وتبتغوا من فضله) اي ولتركبوه للتجارة وتطلبوا من فضل الله تعالى (ولعلكم تشكرون) اي ولكي تشكروا الله على نعمه ليزيدكم منها ويثيبكم والواو انما دخلت في ذلك للدلالة على ان الله سبحانه أراد جميع ما ذكره إنعاما منه على عباده (والقي في الأرض رواسي) اي جبالا عالية ثابتة واحدا راسية (ان تميد بكم) الأرض اي كراهة ان تميد بكم اولئلا تميد بكم اي تتحرك وتضطرب (وانهارا) اي وجعل فيها انهارا (وسبلا) اي طرقا لكي تجروا الماء في الانهار الى مساكنكم وحيث تريدون وتهتدوا بالطرق الى حيث شئتم من البلاد وقيل اراد بالأ نهار النيل والفرات ودجلة وسيحان وجيحان وأمثالها (لعلكم تهتدون) قد ذكرنا معناه وقيل لتهتدوا بها الى توحيد الله (وعلامات) وجعل لكم علامات اي معالم تعلم بها الطرق وقيل العلامات الجبال يهتدى بها نهارا (وبالنجم هم يهتدون) ليلا عن ابن عباس والمراد بالنجم الجنس اي جميع النجوم الثابتة وقيل تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدأ وبالنجم هم يهتدون وقيل ان العلامات هي النجوم ايضا لأن من النجوم ما يهتدى بها ومنها ما يكون علامات لا يهتدى بها عن قتادة ومجاهد وقيل أراد به الاهتداء في القبلة قال ابن عباس سألت رسول الله ﷺ عنه فقال الجدي علامة قبلكم وبه تهتدون في يوم كويجركم وقال ابو عبد الله (ع) نحن العلامات والنجم رسول الله ﷺ وقال ان الله جعل النجوم أمانا لأهل السماء وجعل أهل بيتي أمانا لأهل الأرض (أفمن يخلق كمن لا يخلق) معناه أفمن يخلق هذه الأشياء في استحقاق العبادة والإلهية كالاصنام التي لا تخلق شيئا حتى يسوى بينها في العبادة وبين خالق جميع ذلك (أفلا تذكرون) اي أفلا تذكرون أيها المشركون فتعتبرون وتعرفون ان ذلك من الخطأ الفاحش وجعل من في الابل يقل لما اتصل بذكر الخلق ثم عطف سبحانه على ذلك تذكرا كثره نعمه فقال (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) معناه وان أردتم ترداد نعم الله سبحانه عليكم ومعرفة تفاصيلها لم يمكنكم احصاؤها ولا تعديدها وإنما يمكنكم ان تعرفوا جملها بين سبحانه ان من وراء النعم التي ذكرها نعماء لا تحصى (ان الله لغفور) لما حصل منكم من تقصير في شكر نعمه (رحيم) بكم حيث لم يقطعها عنكم بتقصيركم في شكرها

قوله تعالى (١٩) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢١) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢٢) إِيَّاكُمْ إِلهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّكْرَمَةٌ وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ (٢٣) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُغِيبُ الْمُسْتَكْبِرِينَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

والذين يدعون بالياء عاصم غير الاعشى والبرجمي عن ابي بكر ويعقوب وسهل والباقون بالتاء.

— الحجة —

من قرأ بالتاء فلأن ما بعده وما قبله خطاب ومن قرأ بالياء وجه الخطاب الى النبي ﷺ ويكون الخبر عن المشركين

المعنى *

لما قدم سبحانه الدعاء إلى عبادته بذكر نعمه وكآل قدرته عقبه ببيان علمه بسريرة كل أحد وعلى نيته ثم ذكر بطلان الإشراك في عبادته فقال (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) أخبر سبحانه انه يعلم ما يسرونه وما يظهره فيجازيهم على افعالهم إذ لا يخفى عليه الخفي والحفي من أحرارهم (والذين يدعون من دون الله) إلهها (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) يعني الاصنام لا يمكنها خلق شيء بل هي مخلوقة مربية منحوتة من الحجر والحشب ونحوهما مما هو مخلوق لله تعالى ثم قال (اموات) اي هي اموات (غير احياء) اكد كونها امواتا بقوله غير احياء لتفي الحياة عنها على الاطلاق فإن من الاموات من سبقت له حالة في الحياة وله حالة منتظرة في الحياة بخلاف الاصنام فإنه ليس لها حياة سابقة ولا منتظرة وقال موات ولم يقل اموات وان كان الاموات جمع الميت الذي كان فيه حياة فزال لأنهم صور والاصنام على صور العقلاء وهيئاتهم وعاملوها معاملة العقلاء تسمية واعتقادا ولذلك قال لا يخلقون شيئا وهم يخلقون (وما يشعرون أيا نبيعشرون) معناه وما تشعر هذه الاصنام متى تبعث عن الفراء وقيل في الآية ان معناه هم اموات يعني ان الكفار في حكم الاموات اذ هابهم عن الحق والدين ولا يدرون متى يبعثون وقيل ان المعنى ولا تدري الاصنام متى يبعث الخلق عن الجبائي وأيان في موضع نصب يبعثون وقرئ في الشواذ ايان بكسر الهمزة والفتح افصح واصح ثم خاطب سبحانه عباده فقال (إلهكم إله واحد) لا يقدر على ما يستحق به العبادة من خلق أصول النعم سواء فابتوا على عبادته (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) اي جاعدة للحق تستبعد ما يرد عليها من المرائع (وهم متكبرون) عن الانقياد للحق ذاهبون عنه دافعون له من غير حجة والاستكبار طلب الترفع بترك الإذعان للحق ثم قال سبحانه (لا جرم) اي حقا وهو بتزلة اليمين قال الخليل وهو كلمة تحقيق ولا يكون إلا جوابا لقول فعلوا كذا فيقول السامع لا جرم يندمون وقال الزجاج معناه حق ان الله ووجب ان الله ولا رد لفعلهم قال الشاعر

ولقد طعننت ابا عيينة طعنة جرمت فزاره بعدها ان يفضبوا

المعنى احقت فزاره بالفضب وقال ابو مسلم اصله من الكسب فكانه قال لا يحتاج في معرفة هذا الامر الى اكتساب علم بل هو معلوم (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) وهذا تهديد لهم بأنه عالم بجميع احوالهم فيجازيهم على اقوالهم وافعالهم (انه لا يجب المتكبرين) اي المتعظمين الذين يأنفون ان يكونوا اتباعا للانبيا اي لا يريد ثوابهم وتنظيمهم

قوله تعالى (٢٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ بُضِلُوا بِهِمْ بغير علم إلا ساء ما يزرؤن (٣٦) قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَنَّهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٧) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٨) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فلبس مشوي المتكبرين

ست آيات

== (القراءة) ==

قرأ نافع وحده تشاقون بكسر النون والباقون بفتحها وقرأ حمزة وخلف في الموضعين يتوفاهم بالياء. والباقون بالتاء. وفي الشواذ قراءة مجاهد عليهم السقف بضم السين وروي عن أهل البيت (ع) فأتى بنيتهم من القواعد

== (الحجة) ==

قد تقدم الوجه في قراءة نافع في سورة الحجر عند قوله فبهم تبشرون فأما قراءة حمزة يتوفاهم بالياء فلأن الفعل مقدم والامالة حسنة في هذا النحو من الفعل ومن قرأ بالتاء فلأن الجماعة مؤنثة كما جاء. وإذ قالت الملائكة

✽ اللغة ✽

قد مضى معنى الأساطير والاوزار في سورة الانعام والقواعد الاساس والواحدة القاعدة وقواعد المردج خشبات اربع معترضات في اسفله والشقاق الخلاف في المعنى وتشاقون تكونون في جانب والمسلمون في جانب ومن ثم قيل لمن خرج عن طاعة الامام وعن جماعة المسلمين شق عصا المسلمين اي صار في جانب عنهم فلم يكن مجتمعا معهم في كلمتهم وهو مأخوذ من الشق الذي هو النصف كأنه صار في شق غير شقهم

-- « الاعراب » --

ما أنزل ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والمعنى ما الذي أنزل ربكم وأساطير مرفوعة على الجواب كأنهم قالوا الذي أنزل اساطير الأولين وتقديره واذا قيل لهم هذا القول فالذي قام مقام فاعل قيل هو المصدر لا الجملة لأن الجملة نكرة والفاعل يجوز اضراره والمضمر لا يكون قط نكرة بل هو أعرف المعارف وقوله ومن اوزار الذين يضلونهم من زيادة على قول الاخفش اي واوزار الذين يضلونهم وعلى قول سيبويه هو صفة مصدر محذوف وتقديره واوزارا من اوزار الذين يضلونهم وما يزررون في موضع رفع كما يرفع بعد بش ونعم وتقديره وبش الشيء وزرهم فا حرف موصول ويزرون صلته وظالمى انفسهم نصب على الحال اي في حال ظلمهم انفسهم

== « المعنى » ==

ثم ابان سبحانه عن احوال المشركين واقوالهم فقال (واذا قيل لهم) اي لشركي قريش (ماذا انزل ربكم) على محمد ﷺ (قالوا اساطير الأولين) اي أجابوا فقالوا هذا المنزل في زعمكم هو عندنا احاديث الأولين السكاذبة عن ابن عباس وغيره ويروي انها نزلت في المقتسمين وهم ستة عشر رجلا خرجوا إلى عقاب مكة ايام الحج على طريق الناس على كل عقبة اربعة منهم ليصدوا الناس عن النبي ﷺ وإذا سألهم الناس عما انزل على رسول الله ﷺ قالوا احاديث الأولين وابطالهم عن الكافي وغيره (ليحملوا اوزارهم كالملة يوم القيامة) اللام للماقبة والمعنى كان عاقبة امرهم حين فعلوا ذلك ان حملوا اوزار كفرهم تامة يوم القيامة (ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم) أي ويحملون مع اوزارهم بعض اوزار الذين أضلوه عن سبيل الله واغروهم عن اتباع الحق وهو وزر الاضلال والاعواء ولم يحملوا وزر غوايتهم وضلالهم وقوله بغير علم معناه من غير علم منهم بذلك بل جاهلين به وعلى هذا ما روي عن النبي ﷺ انه قال ايا داع دعا إلى الهدى فاتبع فله مثل اجرهم من غير ان ينقص من اجرهم شيئا واما داع دعا إلى ضلالة فاتبع عليه فان عليه مثل اوزار من اتبعه من غير ان ينقص من اوزارهم شيئا (ألا ساء ما يزررون) أي بنس الحمل حملهم وهو ما يحملونه من الاثم لأنه إذا تحمل اثمه ودخل النار كان سببا فكيف إذا تحمله بسبب فعل غيره (قد مكر الذين من قبلهم) أي من قبل هؤلاء المشركين بأنبيائهم من جهة التكذيب وغيره وهذا على سبيل التسمية لثبينا ﷺ والوعيد لقومه (فأتى الله بنيانهم من القواعد) أي أتى امر الله بنيانهم التي بنوها من جوانب قواعدها فهدمها عن ابن عباس قال يعني نرود بن كنعان بنى صرحا طويلا ورام منه الصعود إلى السماء ليقاتل اهلها بزعمه فأرسل الله ريحا فألقت رأس

الصرح في البحر وخر عليهم الباقي وقال الزجاج من القواعد يريد من اساطين البناء التي تعمده وقيل هو بخت نصر وقيل ان هذا مثل ضربه الله سبحانه لاستنصاهم ولا قاعدة هناك ولا سقف والمعنى فأتى الله مكرهم من أصله أي عاد ضرر المكر عليهم وبهم عن الزجاج وابن الانباري وهذا الوجه أليق بكلام العرب كما قالوا أتني فلان من أمته أي أتاه الهلاك من جهة أمته وإنما أسند سبحانه الإتيان إلى نفسه من حيث كان تحريب قواعدهم من جهته (فخر عليهم السقف من فوقهم) إنما قال من فوقهم مع حصول العلم بان السقف لا يكون إلا من فوق لأحد وجوه منها ﴿ انه للتوكيد كما تقول لمن خاطبته قلت أنت كذا وكذا وكما يقال مشيت برجلي وتكلمت بلساني ﴾ ومنها ﴿ انما قال ذلك ليدل على انهم كانوا تحته فإن الإنسان قد يقول بيبي قد تهدم علي وان لم يكن هو تحته ﴾ ومنها ﴿ ان يكون على في قوله فخر عليهم بمعنى عن فيكون المعنى فخر عنهم السقف من فوقهم أي خر عن كفرهم وجحدهم بالله وآياته والمراد من اجل كفرهم كما يقال اشتكى فلان عن دواء شربه وعلى دواء شربه أي من اجل الدواء قال الشاعر « ارمى عليها وهي فرع اجمع » اراد ارمى عنها ولو قال على هذا المعنى فخر عليهم السقف ولم يقل من فوقهم لجاز ان يتوهم متوهم ان السقف خرو ليس هم تحته والعرب لا تستعمل لفظه على في مثل هذا الموضع إلا في الشر والأمر المكروه (واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) أي جاءهم عذاب الاستئصال من حيث لا يعلمون لأنهم ظنوا انهم على حق فكانوا لا يتوقعون العذاب وهذا مثل قوله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا (ثم يوم القيامة يخزيهم) معناه ثم انه تعالى مع ذلك يذاهم ويفضحهم يوم القيامة على رؤوس الخلائق ويهينهم بالعذاب أي لا يقتصر بهم على عذاب الدنيا (ويقول) على سبيل التوبيخ لهم والتهجين (أين شركائي) الذين كنتم تشركونهم معي في العبادة على زعمكم (الذين كنتم تشاقون فيهم) أي تعادون المؤمنين على قراءة فتح النون وعلى الكسر تعادوني فيهم (قال الذين أوتوا العلم) بالله تعالى وبدينه وشرائعه من المؤمنين وقيل هم الملائكة عن ابن عباس (ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين) أي ان الهوان اليوم والعذاب الذي يسوء على الجاحدين نعم الله المنكرين لتوحيدهم وصدق رسله (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) الذين في موضع جر بأنه بدل من الكافرين أو صفة لهم ومعناه الذين يقبض ملك الموت واعوانه ارواحهم ففارقوا الدنيا وهم ظالمون لأنفسهم بإصرارهم على الكفر (فألقوا السلم) أي استسلموا للحق وانقادوا حين لا ينفعهم الانقياد والاذعان (ما كنا نعمل من سوء) أي يقولون ما كنا نعمل عند انفسنا من سوء أي من معصية فكذبهم الله تعالى وقال بلى قد فعلتم (ان الله عليهم بما كنتم تعملون) في الدنيا من المعاصي وغيرها وقيل انه يقول لهم ذلك المؤمنون الذين أوتوا العلم والملائكة (فادخلوا أبواب جهنم) أي طبقات جهنم ودرجاتها (خالدين فيها فلبس مشوى المتكبرين) أي بئس منزل المتعظمين عن قبول الحق واللام للتوكيد

قوله تعالى (٣٠) وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا

فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣١) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣٢) الَّذِينَ نَلَّوْا فَاھُمُ الْمَلَائِكَةُ

طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٣) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ

تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ

كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٤) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ

* الإعراب *

ماذا انزل ربكم ما وذا هنا كالشيء الواحد وتقديره أي شيء أنزل ربكم وخيرا منصوب على أنه جواب
ماذا أي انزل خيرا وقوله للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة يجوز أن يكون تفسيرا لقوله خيرا ويجوز أن يكون
ابتداء كلام ولنعم دار المتقين المخصوص بالمدح محذوف المعنى ولنعم دار المتقين دار الآخرة والمبين لقوله دار
المتقين جنات عدن وتقديره هي جنات عدن فيكون خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون جنات عدن مرتفعة
بالابتداء وتكون المخصوصة بالمدح والتقدير جنات عدن نعم دار المتقين
— (المعنى) —

لما قدم سبحانه ذكر أقوال الكافرين فيما أنزله على نبيه ^{صلى الله عليه وآله وسلم} عقبه بذكر أقوال المؤمنين في ذلك فقال
(وقيل للذين اتقوا) الشرك والمعاصي وهم المؤمنون (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) أي انزل الله خيرا لأن
القرآن كله هدى وشفاء وخير (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) ويجوز أن يكون هذا ابتداء كلام من الله
تعالى معناه للمحسنين في هذه الدنيا حسنة مكافأة لهم وهي الثناء والمدح على السنة المؤمنين والهدى والتوفيق
للإحسان (ولدار الآخرة خير) أي وما يصل إليهم من الثواب في الآخرة خيرا مما يصل إليهم في الدنيا ويجوز
أن يكون الجمع من كلام المتقين وإجاز الحسن والزجاج كلا الوجهين وقوله (ولنعم دار المتقين) أي والآخرة
نعم دار المتقين الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه وقيل معناه ولنعم دار المتقين الدنيا لأنهم
نالوا بالعمل فيها الثواب والجزاء عن الحسن وقيل معناه ولنعم دار المتقين (جنات عدن يدخلونها) كما يقال نعم
الدار دار ينزلها (تجري من تحتها الأنهار) سبق معناه (لهم فيها ما يشاؤون) أي يشتهون من النعم (كذلك
يجزي الله المتقين) أي كذلك يجازي الله الذين اتقوا معاصيه (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) أي طيب
الأعمال طاهري القلوب من دنس الشرك وقيل معناه طيبة نفوسهم بالمصير إليه لعلمهم بما لهم عنده من الثواب
وقيل طيبين أي صالحين بأعمالهم الجميلة وقيل بطيب وفاتهم فلا يكون صعوبة فيها (يقولون سلام عليكم)
أي تقول الملائكة سلام عليكم أي سلامة لكم من كل سوء (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) قيل انهم لما
بشروهم بالسلامة صارت الجنة كأنها دارهم وهم فيها فقروهم ادخلوا الجنة بمعنى حصلت لكم الجنة وقيل
انما يقولون ذلك عند خروجهم من قبورهم (هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك) قد مضى
تفسيره في سورتي البقرة والانعام (كذلك فعل الذين من قبلهم) أخبر سبحانه ان الذين مضوا من الكفار فعلوا
مثل ما فعل هؤلاء من تكذيب الرسل وجحد التوحيد فأهلكهم الله فإله الذي يؤمن هؤلاء من ان يهلكهم الله
(وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بالمعاصي التي استحقوا بها الهلاك (فأصابهم سيئات
ما عملوا) أي عقاب سيئاتهم فسمى العقاب سيئة كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحق بهم) أي وحل بهم
جزاء (ما كانوا يستهزؤون)

قوله تعالى (٣٥) وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا
آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَبَلَغُوا أَلْبَابَ
الْمُبِينِ (٣٦) وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ
هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ
(٣٧) إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة لا يهدي بفتح اليا. والباقون بضم اليا. وفتح الدال ولم يختلفوا في يضل انها مضمومة اليا مكسورة الضاد
= (الحجة) =

قال ابو علي الراجع على اسم ان هو الذكر الذي في قوله يضل في قراءة من قرأ يهدي ومن قرأ يهدي فمن جعل يهدي من هديته جاز ان يعود الذكر الفاعل الذي فيه إلى اسم ان ومن جعل يهدي في معنى يهتدي وجعل مسن يضل مرتفعاً به فالراجع إلى اسم ان الذكر الذي في يضل كما كان كذلك في قول من قال يهدي والراجع إلى الموصول الذي هو من اليا المحذوفة من الصلة تقديره يضله والمعنى ان من حكمه باضلاله اكفره وتكذيبه فلا يهدي ومثل هذا المعنى قوله فمن يهديه من بعد الله تقديره من بعد اضلال الله إياه والمفعول محذوف أي من بعد حكمه باضلاله ومن قرأ لا يهدي فهو في المعنى كقوله من يضل الله فلا هادي له وهذا كقوله والله لا يهدي القوم الظالمين وقوله وما يضل به إلا الفاسقين فموضع من نصب بيهدي وقد قيل ان يهدي في معنى يهتدي بدلالة قوله لا يهدي الا ان يهدي فموضع من على هذا رفع كما انه لو قال يهتدي كان كذلك وقوله لا يضل من قولك ضل الرجل واضله الله أي حكمه باضلاله كقولك كفر زيد وكفره الناس أي نسبوه إلى الكفر فقالوا انه كافر كما ان اسقيته قلت له سقاك الله قال ذو الرمة

واسقيه حتى كاد مما ابشه تكلمني احجاره وملاعبه

= اللغة =

البلاغ والابلاغ ايصال المعنى إلى الغير والحرص طلب الشيء بجهد واجتهاد يقال حرص يحرص حرصاً واحرص بحرص يحرص بكسر الراء في الماضي وفتحها في المستقبل لغة وقد روي في الشواذ عن الحسن وابراهيم ان تحرص بفتح الراء والأول لغة أهل الحجاز والأصل من السحابة الحارصة وهي التي تقشر وجه الأرض وشجعة حارصة التي تقشر جلدة الرأس وكذلك الحرص كان صاحبه ينال من نفسه لشدة اهتمامه بما هو حريص فيه

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد سبحانه إلى حكاية قول المشركين فقال (وقال الذين اشر كوا) مع الله إلهما آخر (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شي) أي لو أراد الله ما عبدنا من دونه شيئاً من الأصنام والأوثان (نحن ولا آباؤنا) الذين اقتدبنا بهم (ولا حرمنا من دونه من شي) من البحيرة والسائبة وغيرهما بل شاء ذلك منا وأراد بذلك فعلنا فأنكر الله سبحانه هذا القول عليهم وقال (كذلك) أي مثل ذلك (فعل الذين من قبلهم) من الكفار والضلال كذبوا رسل الله وجحدوا آياته قالوا مثل قولهم وفعلوا مثل فعلهم (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) أي ليس عليهم إلا إبلاغ الرسالة وقد سبق بيان مثل هذه الآية في سورة الانعام (ولقد بعثنا في كل أمة) أي في كل جماعة وقرن (رسولا) كما بعثناك يا محمد رسولا إلى امتك (ان اعبدوا الله) أي ليقول لهم اعبدوا الله (واجتنبوا الطاغوت) أي عبادة الطاغوت وأن هذه هي المفسرة ويعني بالطاغوت الشيطان وكل داع يدعو إلى الضلالة (فمنهم من هدى الله) معناه فمنهم من هداه الله بأن لطف له بما علم انه يؤمن عنده فآمن فسمى ذلك اللطف هداية ويجوز ان يريد فمنهم من هداه الله إلى الجنة بإيمانه ولا يجوز ان يريد بالهداية هنا نصب الأدلة كما في قوله فأما ثمود فهديناهم لأنه سبحانه سوى سيفه ذلك بين المؤمن والكافر (ومنهم من حق عليه الضلالة) معناه ومنهم من اعرض عما دعاه إليه الرسول فخذله الله فثبتت عليه الضلالة ولزمته فلا يؤمن قط وقيل معناه وجبت عليه الضلالة وهي العذاب والهلاك وقيل معناه ومنهم من حق عليه عقوبة الضلالة عن الحسن وقد سمي الله سبحانه العقاب ضلالاً بقوله ان المجرمين في ضلال وسعر (فسيروا في الأرض) أي ارض المكذبين الذين

عاقبهم الله ان لم تصدقوني (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) اية فانظروا كيف حقت عليهم العقوبة وحلت بهم فلا تسلكوا طريقهم فينزل بكم مثل ما نزل بهم (ان تحرص على هدام) أي على ان يؤمنوا بك فإن الله لا يهدي من يضل (هذا تسلية للنبي ﷺ في دعائه لمن لا يفلح بالإجابة لأنها كه في الكفر وإشارة الى ان ذلك ليس لتقصير وقع من جهته ﷺ وإعلام له انهم لا يؤمنون أبداً وإذا كانوا هكذا فإن الله لا يهديهم بل يضلهم على المعنى الذي فسرناه قبل (وما لهم من ناصرين) أي ليس لهم من ناصر ينصرهم ويخلصهم من العقاب وفي هذا بيان ان الاضلال في الآية ليس المراد به ما ذكره اهل الجبر

قوله تعالى (٣٨) واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا
ولكن اكثر الناس لا يعلمون (٣٩) ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا
انهم كانوا كاذبين (٤٠) إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر والكسائي فيكون بالنصب وفيه بس مثله والباقون بالرفع

✽ الحجة ✽

من نصب فإنه يحمله على ان قال الزجاج الرفع على فهو يكون على معنى ان ما أراد الله فهو يكون بالنصب على ضربين ✽ احدهما ✽ ان يكون عطفا على ان تقول ✽ والآخر ✽ ان يكون نصبا على جواب كن قال ابو علي اعلم ان الذي أجاز من النصب على ان يكون جواب كن لم يميزه أحد من اصحابنا غيره لأن كن وان كان على لفظ الأمر فليس القصد به هنا الأمر انما هو والله اعلم الإخبار عن كون الشيء وحدوثه

✽ الاعراب ✽

جهد ايمانهم مصدر وضع موضع الحال والتقدير يجتهدون اجتهادا في ايمانهم وهذا مثل قولهم طلبته جهدا أي تجهد جهدا وعدا منصوب لتوكيد المعنى فإن المعنى بلى يبعثهم الله وعدا الله ذلك وعدا وقوله ليبين اللام فيه يتعلق بالبعث أيضا أي يبعثهم ليبين لهم وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين ويتجوز أن يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أي ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ليبين لهم اختلافهم وقولنا مرفوع بالابتداء وخبره ان تقول والمعنى انما قولنا لكل مراد قولنا له كن

= النزول =

قالوا كان لرجل من المسلمين على مشرك دين فنقاضه فوقع في كلامه والذي ارجوه بعد الموت انه لكذا فقال المشرك وانك لتزعم انك تبعث بعد الموت واقسم بالله لا يبعث الله من يموت فأنزل الله الآية عن ابي العالية

- المعنى -

ثم حكى سبحانه عن المشركين نوعا آخر من كفرهم فقال (واقسموا بالله جهد ايمانهم) أي حلفوا بالله يجتهدين في ايمانهم والمعنى انهم قد بلغوا في القسم كل مبلغ (لا يبعث الله من يموت) أي لا يمشر الله أحدا يوم القيامة ولا يحيي من يموت بعد موته ثم كذبهم الله تعالى في ذلك فقال (بلى) يحشرهم الله ويبعثهم (وعدا) وعدهم به (عليه) المجازة وتحقيقه من حيث الحكمة (حقا) ذلك الوعد ليس له خلف إذ لو لا البعث لما حسن التكليف لأن التكليف انما يحسن لإثابة من عوض به (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) صحة ذلك لكفرهم بالله وجحدهم بنو أنبيائه وقيل لا يعلمون وجه الحكمة في البعث فلا يؤمنون به (ليبين لهم الذي يختلفون فيه) هذا بيان من الله تعالى انه انما يحشر الخلائق يوم القيامة ليبين لهم الحق فيما كانوا فيه يختلفون فيه في دار الدنيا

لأنه يخلق فيهم العلم الضروري يوم القيامة الذي يزول معه التكليف (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) في الدنيا في قولهم ان الله لا يبعث احدا بعد موته واذا تعلق اللام بقوله ولقد بعثنا فالمعنى بعثنا الى كل أمة رسولا ليبين لهم ذلك الرسول ما يختلفون فيه ويهديهم الى طريق الحق وبنبيهم عليه (انما قولنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون) قد ذكرنا تفسيره في سورة البقرة والمراد به هاجروا بيان انه قادر على البعث لا يتعذر عليه ذلك فإنه اذا أراد شيئا كونه

قوله تعالى (٤١) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ لَآخِرَةٍ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤٢) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٤) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ أربع آيات

✽ القراءة ✽

قرأ حفص نوحى بالنون وقد تقدم ذكره في سورة يوسف وروى عن علي (ع) لثوبينهم بالثاء والقراءة لنبوونهم بالباء

— (الحجية) —

قال ابن جني نصب حسنة ههنا اي تحسن اليهم احسانا ووضع حسنة موضع الاحسان كأنه واحد من الحسن دال عليه ودل قوله لنبوونهم على ذلك الفعل لأنه اذا اقرهم على الفعل بإطالة مدتهم فقد احسن اليهم كما قال ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وذلك ضد ما يعمل بالعاصين الذين يظلمهم بذنوبهم وجرائم أفعالهم

✽ النزول ✽

الآية الأولى نزلت في المعذنين بمكة مثل صهيب وعمار وبلال وخباب وغيرهم مكنتهم الله بالمدينة وذكروا ان صهيبا قال لاهل مكة انا رجل كبير ان كنت معكم لم ينفعكم وان كنت عليكم لم يضركم فخذوا مالي ودعوني فأعطاهم ماله وهاجر إلى رسول الله ﷺ فقال له أبو بكر ربح البيع يا صهيب ويروى ان عمر بن الخطاب كان إذا اعطى احداً من المهاجرين عطاء قال له خذ هذا ما وعدك الله في الدنيا وما آخرك لك أفضل ثم تلا هذه الآية

✽ المعنى ✽

(والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) معناه والذين فارقوا أوطانهم وديارهم واهليهم فراراً بدينهم واتباعاً لنبيهم في الله أي في سبيله لا ابتغاء مرضاته من بعد ما ظلمهم المشركون وعذبوهم بمكة وبخسواهم حقوقهم (لنبوونهم في الدنيا حسنة) أي بلدة حسنة بدل أوطانهم وهي المدينة عن ابن عباس وقيل لتعطينهم حالة حسنة وهي النصر والفتح وقيل هي ما استولوا عليه من البلاد وفتح لهم من الولايات (ولأجر الآخرة أكبر) مما اعطيناهم في الدنيا (لو كانوا يعلمون) أي لو كان الكفار يعلمون ذلك وقيل معناه لو علم المؤمنون تفاصيل ما أعد الله لهم في الجنة لآزادوا سروراً وحرصاً على التمسك بالدين (الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) هذا وصف لهؤلاء المهاجرين أي صبروا في طاعة الله على اذى المشركين وفوضوا امورهم إلى الله تعالى ثقة به ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (وما أرسلنا من قبلك) إلى الأمم الماضية (إلا رجالاً) من البشر (نوحى إليهم) أي

أوحينا إليهم كما أوحينا إليك وأرسلناهم إلى أمهم كما أرسلناك إلى أمتك وذلك ان مشركي مكة كانوا ينكرون أن يرسل إليهم بشر مثلهم فبين سبحانه انه لا يصلح ان يكون الرسل إلى الناس إلا من يشاهدونه ويخاطبونه ويفهمون عنه وانه لا وجه لاقتراحهم ارسال الملك (فاسألوا أهل الذكر) فيه أقوال * أحدها * ان المعنى بذلك أهل العلم باخبار من مضى من الأمم سواء كانوا مؤمنين أو كفاراً وسمي العلم ذكراً لأن الذكر متعقد بالعلم فإن الذكر هو ضد السهو فهو بمنزلة السبب المؤدي إلى العلم في ذكر الدليل فحسن ان يقع موقعه وبنبي عن معناه إذا تعلق به هذا التعلق عن الرماني والزجاج والأزهري * وثانيها * ان المراد بأهل الذكر أهل الكتاب عن ابن عباس ومجاهد أي فاسألوا أهل التوراة والانجيل (ان كنتم لا تعلمون) يخاطب مشركي مكة وذلك انهم كانوا يصدقون اليهود والنصارى فيما كانوا يخبرون به من كتبهم لأنهم كانوا يكذبون النبي * لشدّة عداوتهم له * وثالثها * ان المراد بهم أهل القرآن لأن الذكر هو القرآن عن ابن زيد ويقرب منه ما رواه جابر ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) انه قال نحن أهل الذكر وقد سمي الله رسوله ذكراً في قوله ذكراً رسولاً على احد الوجهين وقوله (باليينات والزير) العامل فيه قوله أرسلنا والتقدير وما أرسلنا بالبينات والزير أي بالبراهين والكتب الا رجلاً نوحى اليهم وقيل ان في الكلام اضاراً وحذفاً والتقدير أرسلناهم بالبينات كما قال الأعشى

وليس مجيراً ان أتي الخي خائف
اي اعني المتعبيا ونظير الأول قول الشاعر
ولا قائل الا هو المتعبيا
نبأتهم عذبوا بالنار جارتهم
وهل يعذب الا الله بالنار

(وانزلنا إليك الذكر) يعني القرآن (لتبين للناس ما نزل إليهم) فيه من الاحكام والشرائع والدلائل على توحيد الله (ولعلمهم يتفكرون) في ذلك فيعلموا انه حق وفي هذا دلالة على ان الله تعالى أراد من جميعهم التفكير والنظر المؤدي الى المعرفة بخلاف ما يقوله أهل الجبر

* النظم *

قيل في اتصال الآية الأولى بما قبلها وجوه * أحدها * انها اتصلت بقوله ليبين لهم الذي يختلفون فيه فيكون المعنى ليبين لهم وليعلم الكافرين كونهم كاذبين وليجزى المؤمنين المهاجرين على ما فعلوه من الهجرة وقيل لما تقدم ذكر الكفار وما أعد لهم من الدمار ودخول النار عقبه بذكر المؤمنين المهاجرين والانصار تحريضاً لغيرهم في الاقتداء بهم فاتصل به اتصال النقيض بالنقيض وقيل انه لما تقدم ذكر البعث بين بعده حكم يوم البعث وانه ينتصف فيه للمظلوم من الظالم

قوله تعالى (٤٥) أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتهم العذاب من حيث لا يشعرون (٤٦) أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين (٤٧) أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم (٤٨) أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفوهوا ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داحرون (٤٩) والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة وألملائكة وهم لا يستكبرون (٥٠) يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ست آيات

(القراءة) =

قرأ أولم تروا بالناء أهل الكوفة غير عاصم والباقون بالياء وكذلك في العنكبوت وقرأ أهل البصرة تنفيؤ بالناء والباقون بالياء

✽ الحجة ✽

حجة الياء ان ما قبله غيبة وهو قوله ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم اوبأخذهم اولم يروا ومن قرأ بالناء أراد جميع الناس والتأنيث والتذكير في قوله بتقيؤ ظلالة حستان وقد تقدم ذكر ذلك في عدة مواضع

✽ اللغة ✽

التخوف التنقص وهو ان يأخذ الأول فالأول حتى لا يبقى منهم أحد وتلك حالة يخاف معها الفناء ويتخوف الهلاك يقال تخوفه الدهر قال الشاعر

تخوف السير منها تامكا قردا
أي ينقص السير سنامها بعد تموكه وقال آخر

تخوف عدوهم مالي واهدى

قال الفراء تخوفته وتخوفته بالخاء والحاء اذا تنقصته من حافاته قال المبرد لا يقال تخوفته وانما يقال تحيفته بالياء والتفيؤ التفعال من الفيء يقال فاء الفيء يفيء اذا رجع وعاد بعد ما كان ضياء الشمس نسخه ومنه في المسلمين لما يعود عليهم وقتا بعد وقت من الخراج والغنائم ويعدى فاء بزيادة همزة نحو افاء وبالتضعيف نحو فاء الظل وفياء الله فتبياً والفيء ما نسخه ضوء الشمس والظل ما كان قائماً لم تنسخه الشمس قال الشاعر

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه
ولا الفيء من بعد العشي تذوق

فجعل الظل وقت الضحى لأن الشمس لم تنسخه في ذلك الوقت وجمع الفيء افياء وفيؤ قال

ارى المال افياء الظلال فتارة

وقال النابغة الجعدي

فسلام الآله يغدو عليهم

وانما قال عن اليمين على التوحيد والشائتل على الجمع لأنه أراد باليمين الايمان كما قال الشاعر

بفي الشامتين الصخر ان كان هديني

رزية شبلي مخدر في الضراغم

والمعنى بأفواه وقال آخر

الواردون ويتم في ذرى سبأ

قدعض اعناقهم جلد الجواميس

والداخر الخاضع الصاغر قال

فلم يبق إلا داخر في مخيس

ومن جحر في غير أرضك في جحر

✽ المعنى ✽

ثم اوعد سبحانه المشركين فقال (أفمن الذين مكروا السيئات) فاللفظ لفظ الاستفهام والمراد به الانكار ومعناه اي شيء آمن هو لاء القوم الذين دبروا التدابير السيئة في توهين امر النبي ﷺ واطفاء نور الدين وابداء المؤمنين من (ان يخسف الله بهم الارض) من تحتهم عقوبة لهم كما خسف بقارون (او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) قال ابن عباس يعني يوم بدر وذلك انهم اهلكوا يوم بدر وما كانوا يقدرون ذلك ولا يتوقعونه

(او يأخذهم في تقلبهم) يعني او ان يأخذهم العذاب في تصرفهم في اسفارهم وتجاراتهم وقيل يريد في تقلبهم في كل الاحوال ليلا ونهارا فيدخل في هذا تقلبهم على الفرش يمينا وشمالا عن مقاتل (فمأهم بمعجزين) اي فليسوا بفاتنين وما يريد الله بهم من الهلاك لا يمتنع عليه (او يأخذهم على تخوف) قال اكثر المفسرين معناه على تنقص اما بقتل او بموت اي ينقص من اطرافهم ونواحيهم فيأخذ منهم الاول فالأول حتى يأتي على جميعهم وقيل معناه في حال تخوفهم من العذاب اي يعذب اهل قرية ويخوف به اهل قرية اخرى فيتخوفون ان ينزل بهم من العذاب ما نزل بالاولى عن الحسن وقيل معناه على تنقص من الاموال والاقس بالبلايا والاسقام ان لم يعذبهم بعذاب الاستئصال لينبه غيرهم وبزجرهم عن الجبائي (فان ربكم لرووف رحيم) بكم ومن رافته ورحمته بكم انه امهلكم لتوبوا وترجعوا ولم يعاجلكم بالعقوبة ثم بين سبحانه دلائل قدرته فقال (اولم يروا الى ما خلق الله من شيء) معناه لم ينظروا هؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانية الله تعالى وكذبوا نبيه صلى الله عليه وسلم الى ما خلق الله من شيء له ظل من شجر وجبل وبناء وجسم قائم (يتفيؤ ظلالة عن اليمين والشمال سجدا لله) اي يشمى ظلالة عن جانب اليمين وجانب الشمال واذف الظلال الى مفرد ومعناه الاضافة الى ذوي الظلال لأن الذي يعود اليه الضمير واحد يدل على الكثرة وهو قوله ما خلق الله ومعنى تفيؤ الظلال يمينا وشمالا ان الشمس اذا طلعت وانت متوجه الى القبلة كان الظلال قدامك واذا ارتفعت كان عن يمينك فاذا كان بعد ذلك كان خلفك فاذا كان قبل ان تغرب الشمس كان عن يسارك فهذا تفيؤ عن اليمين والشمال عن الكلي ومعنى سجود الظل لله دورانه من جانب الى جانب لأنه مستسلم منقاد مطيع للتسخير وهذه الآية كقوله وظلالهم بالغدو والآصال وقد مر تفسيره وقيل ان المراد بالظل هو الشخص بعينه وبدل على ذلك قول علقمة

لما نزلنا رفعنا ظل اخية
 ألتري انهم لا ينصبون الظل وانما ينصبون الأخية ويقوي ذلك قول عماره
 كأنهن الفتيات للعس
 كأن في اظلالهن الشمس
 اي في اشخاصهن وقول الآخر

يتبع افياء الظلال عشية
 على طرق كأنهن سبوب

اي افياء الشخص فلي هذا يكون تأويل الظلال في الآية تأويل الاجسام التي عنها الظلال (وهم داخرون) اي اذلة صاغرون قد نه الله بهذا على ان جميع الاشياء تخضع له بما فيها من الدلالة على الحاجة الى واضعها ومدبرها بما لولاه لبطلت ولم يكن لها قوام طرفة عين فهي في ذلك كالساجد من العباد بفعله الخاضع بذله ثم قال سبحانه (والله بسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة) اي بسجد الله جميع ما في السماوات وجميع ما في الأرض ومعنى من سيفه قوله من دابة تبيين الصفة اي الذي هو دابة تدب على وجه الأرض (والملائكة) اي وتسجد له الملائكة وتخضع له بالعبادة وانما خص الملائكة بالذكر تشريفا لهم ولأن اسم الدابة يقع على ما يدب ويمشي وهم اولو الأجنحة فصفة الطيران اغلب عليهم (وهم لا يستكبرون) عن عبادة الله تعالى وهذا من صفة الملائكة لأنه قال (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) وإنما قال من فوقهم لوجهين صلى الله عليه وسلم احدهما ان المراد يخافون عقاب ربهم واكثر ما يأتي العقاب المهلك إنما يأتي من فوق الآخر ان الله سبحانه لما كان موصوفا بأنه عال متعال بمعنى انه قادر على الكمال حسن ان يقال من فوقهم ليدل على انه في اعلى مراتب القادرين وعلى هذا معنى قول ابن عباس في رواية مجاهد قال ذاك مخافة الاجلال واختاره الزجاج فقال يخافون ربهم خوف معظمين مجلبين ومثله في المعنى قوله وهو القاهر فوق عباده وقوله اخبارا عن فرعون وانا فوقهم قاهرون وذهب بعضهم الى ان قوله من فوقهم من صفة الملائكة والمعنى ان الملائكة من فوق نبي آدم وفوق ما في الأرض من

دابة يخافون الله مع علو رتبتهم فلا ز يخافه من دونهم اولى وقد صح عن النبي ﷺ انه قال ان الله تعالى ملائكة في السماء السابعة سجدوا منذ خلقهم الى يوم القيامة ترعد فرائضهم من مخافة الله تعالى لا تقطر من دموعهم قطرة الا صارت ملكاً فاذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم وقالوا ما عبدناك حق عبادتك اورده الكلبي في تفسيره قوله تعالى (٥١) وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِذَا زُهِبَ الْبُحْبُوحُ (٥٢) وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٣) وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ (٥٤) ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٥) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

خمس آيات

✽ اللغة ✽

وصب الشيء وصباً إذا دام ووصب الدين وجب وقال ابو الاسود لا تبغى الحمد القليل بقاؤه يوماً يذم الدهن اجمع واصبا والوصب الألم الذي يكون عن الاعياء بدوام العمل مدة قال لا يعمز الساق من أين ومن وصب ولا يعرض على شرسوفه الصفر والجوار الاستغانة يرفع الصوت ويقال جار الثور يجار جواراً إذا رفع صوته من جوع أو غيره قال الاعشى وما ايبلي على هيكل بناء وصلب فيه وصارا يراوح من صلوات الملك طوراً سجوداً وطوراً جواراً وبناء الأصوات على فعال وفعل نحو الصراخ والبكاء والعبول والصفير والفعال أكثر

✽ الاعراب ✽

ذكر اثنين تو كيداً لقوله إلهين كما ذكر الواحد في قوله إله واحد واصباً نصب على الحال وما بكم موصول وصله في موضع الرفع بالبثداء ودخلت الفاء في خبره وهو قوله فمن الله تقديره فهو من الله ولا فعل هاهنا لأن قوله بكم قد تضمن معنى الفعل فإنه بمعنى وما حل بكم من نعمة

— المعنى —

لما بين سبحانه دلائل قدرته وإلهيته عقبه بالتنبيه على وحدانيته فقال (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين) أي لا تعبدوا مع الله إلهاً آخر فتشركوا بينها في العبادة لأنه لا يستحق العبادة سواه وذكر اثنين كما يقال فعلت ذلك لأمرين اثنين وقيل ان تقديره لا تتخذوا اثنين إلهين يريد به نفسه وغيره (إنما هو إله واحد) وإنما لا إثبات المذكور وتفي ما عدها فكأنه قال هو إله واحد لا إله غيره (فأياي فارهبون) أي ارهبوا عقابي وسطواتي ولا تخشوا غيري وورد عن بعض الحكماء انه قال هناك ربك أن تتخذ إلهين فاتخذت آلهة عبدت نفسك وهواك وديناك وطبعك ومرادك وعبدت الخلق فأنى تكون موحداً (وله ما في السموات والأرض) ملكاً وملكاً وخلقاً (وله الدين واصباً) أي وله الطاعة دائمة واجبة على الدوام عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ومعناه انه سبحانه الذي يعبد دائماً وغيره إنما يعبد في وقت دون وقت وقيل معناه وله الدين خالصاً عن الفراء أي يجب على العبد ان يطيعه مخلصاً وقيل معناه وله الملك دائماً لا يزول (أفغير الله تتقون) أي أفغير الله تخشون

وهو استفهام فيه معنى التوبيخ أي فكيف تعبدون غيره ولا تتقونه (وما بكم من نعمة فمن الله) معناه ان جميع ما بكم وما لكم من النعم مثل الصحة في الجسم والسعة في الرزق ونحوهما فكل ذلك من عند الله ومن جهته (ثم إذا مسكم الضر) مثل المرض والشدة والبلاء وسوء الحال (فإليه تجترون) أي فإليه تتضرعون في كشفه وإليه ترفعون أصواتكم بالدعاء والاستغاثة لصرفه (ثم إذا كشف الضر عنكم) معناه ثم إذا دفع ما حل بكم من الضر ودفع ما مسكم من المرض والفقر (إذا فربق منكم بربهم بشر كون) أي دعا طائفة منكم إلى الشرك بربهم في العبادة جهلاً منهم بربهم ومقابلة لنعمه بالكفران والعصيان وهذا عجب من فعل العاقل المميز (ليكفروا بما آتيناكم) معنى اللام هاهنا هو البيان عن العلة التي لأجلها وقع الفعل والمعنى انهم بمنزلة من اشرك في عبادة ربه ليكفر بما آتاه من النعمة كأنه كان لا غرض له في شركه إلا هذا والمعنى لأن يكفروا بانعامنا عليهم ورزقنا إياهم وقيل ان اللام للأمر على وجه التهديد أي ليفعلوا ما شاؤوا فانه ينزل الله بهم عاقبة كفرهم ويوافق هذا القول ما رواه مكحول عن ابي رافع قال حفظت عن رسول الله ﷺ فيمنعوا فسوف يعلمون بالياء فيها فإن يمتعوا يكون معطوفاً مجزوماً ويجوز أيضاً ان يكون معطوفاً منصوباً والمعنى لأن يكفروا فيمتعوا فقوله (فتمتعوا فسوف تعلمون) يكون ابتداء خطاب لهم على التهديد والوعيد يقول فتمتعوا ايها الكفار في الدنيا قليلاً فسوف تعلمون ما يحل بكم في العاقبة من العقاب واليم العذاب وحذف لدلالة الكلام عليه

قوله تعالى ((٥٦)) وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَأَلَّفُ لَلَّسَلْنُ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ
 (٥٧) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٨) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ
 وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٩) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيَسْكُتُ عَلَىٰ هُونٍ
 أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٦٠) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السُّوءِ وَلِلَّهِ
 الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ خمس آيات

✽ اللغة ✽

يقال ظل بفعل كذا إذا فعله في صدر النهار ويقال ظلت اظل ظلولا ومثله اضحى غير انه كثير حتى صار بمنزلة أخذ يفعل والكظيم المعنوم الذي يطبق فاه لا يتكلم للغم الذي به مأخوذ من الكظامة وهي اسم لما يشد به ثم القربة والكظامة ايضاً العقب على رؤوس القنذ والكظامة ايضاً البثر ومنه الحديث ان النبي ﷺ اتى كظامة فتوضأ ومسح على قدميه وجمعها كظائم والهون الهوان والمشقة وهي لغة قريش قال الخطيبه فلما خشيت الهون والعين ممسك على رغمه ما اثبت الخيل حافره ودستت الشيء في التراب أدسه دساً إذا أخفته والدساسة حية صاه تندس تحت التراب

✽ الإعراب ✽

ولهم ما يشتهون ان شئت جعلت ما في موضع نصب بمعنى يجعلون لهم البنين الذين يشتهون هم ويكون قوله سبحانه اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه وان شئت جعلته في موضع رفع على الاستئناف فيكون مرفوعاً على الابتداء ولهم خبره أو مرفوعاً على ان الظرف عمل فيه على ما ذكرنا من الاختلاف فيه فيما مضى والهاء في يسكه يعود إلى قوله ما بشر به فلذلك ذكر وقيل معناه ويجعلون للأصنام الذين لا يعلمون ولا يجعلون نصيباً من الانعام والزرع فكأن عن لفظة ما في قوله لما لا يعلمون بالواو لأنهم جعلوا الأصنام هنا بمنزلة العقلاء عن ابي علي الفارسي وقال ايضاً يجوز ان يكون تقديره ويجعلون لما لا يعلمونه وإلها نصيباً ويكون الضمير ان

في يجعلون ويعلمون للمشركين وحذف المفعولان

المعنى

ثم ذكر سبحانه فعلاً آخر من أفعال المشركين دالاً على جهلهم فقال (ويجعلون لما لا يعلمون) والواو في يعلمون تعود إلى المشركين أي لما لا يعلمون انه بضر وينفع (نصيباً مما رزقناهم) بتقربون بذلك إليه كما يجب ان يتقرب إلى الله تعالى وهو ما حكى الله عنهم في سورة الأنعام من الحرث وغير ذلك وقولهم هذا الله يزعمهم وهذا لشركائنا عن مجاهد وقتادة وابن زيد ثم أقسم تعالى فقال (تالله لتسألن) في الآخرة (عما كنتم تكفرون) أي تكذبون به في دار الدنيا لتلزموا به الحجة وتعاقبوا بعد اعترافكم على انفسكم ثم ذكر سبحانه نوعاً آخر من جهالاتهم فقال (ويجعلون الله البنات) أي ويشبتون الله البنات ويضيفون اليه البنات وهو قولهم الملائكة بنات الله كما قال سبحانه وجعلوا الملائكة الذبيح هم عباد الرحمن انا انما ثم نزه سبحانه نفسه عما قالوا فقال (سبحانه) أي تنزيها له عن اتخاذ البنات (ولهم ما يشتهون) أي ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون ويحبونه من البنين دون البنات وعلى الوجه الآخر ولهم ما يحبونه يعني البنين (واذا بشر أحدهم بالانثى) أي واذا بشر واحد منهم بأنه ولد له بنت (ظل وجهه مسوداً) أي صار لون وجهه متغيراً إلى السواد لما يظهر فيه من اثر الحزن والكراهة فقد جعلوا لله ما يكرهونه لأنفسهم وهذا غاية الجهل (وهو كظيم) أي عمتل غيظاً وحزناً (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) يعني ان هذا الذي بشر بالبنات يستخفي من القوم الذين يستخبرونه عما ولد له استنكاكاً منه وخجلاً وحياء من سوء ما بشر به من الانثى وقبحه عنده (أيمسكه على هون أم يدسه في التراب) يعني يميل نفسه ويدبر في امر البنت المولودة له أيمسكه على ذل وهوان أم يخفيه في التراب ويدفنه حياً وهو الواو الذي كان من عادة العرب وهو ان احدهم كان يحفر حفرة صغيرة وإذا ولد له انثى جعلها فيها وحشا عليها التراب حتى تموت تحتها وكانوا يفعلون ذلك مخافة الفقر عليهن فيطعم غير الاكفاء فيهن (ألا ساء ما يحكمون) أي بشس الحكم ما يحكمونه وهو ان يجعلوا لنفوسهم ما يشتهون والله ما يكرهون وقيل معناه ساء ما يحكمونه في قتل البنات مع مساواتهن للبنين في حرمة الولادة ولعل الجارية خير من الغلام وروي عن ابن عباس انه قال لو عطاء الله الناس في الناس لما كان الناس لأنه ليس احد الا ويحب ان يولد ذكر ولو كان الجميع ذكورا لما كان لهم اولاد فيفتي الناس ثم قال سبحانه (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الاعلى) أي لهؤلاء الكفار الذين وصف الله بالولد صفة السوء أي الصفة القبيحة التي هي سواد الوجه والحزن والله الصفة العليا من السلطان والقدرة وقيل له صفات النقص من الجهل والكفر والضلال والعمى وصفة الحوادث والضعف والعجز والحاجة إلى الابناء وقتل البنات خوف الفقر والله صفات الإلهية والاستغناء عن الصاحبة والولد والربوبية واخلاص التوحيد ويسأل فيقال كيف يمكن الجمع بين قوله سبحانه وتعالى والله المثل الاعلى وقوله فلا تضربوا الله الامثال والجواب ان المراد بالامثال هناك الاشياء أي لا تشبهوا الله بشيء والمراد بالمثل الاعلى هنا الوصف الاعلى الذي هو كونه قديماً قادراً عالماً حياً ليس كمثل شيء وقيل ان المراد بقوله المثل الاعلى المثل المضروب بالحسق وقوله فلا تضربوا الله الامثال الامثال المضروبة بالباطل (وهو العزيز) أي القادر الذي لا يمتنع عليه شيء (الحكيم) الذي يضع الاشياء مواضعها على ما هو حكمه وصواب وفي الآية دلالة على انه لا يضاف لله تعالى الأودون فإن الله سبحانه قد عاب المشركين باضافتهم اليه ما لا يرضونه لأنفسهم فاذا كره الانسان اضافة القبيح الى نفسه للنقص الذي فيه فكيف يجوز ان يضيفه الى الله تعالى

قوله تعالى (٦١) وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦٢) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ

مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَسِنَّتَهُمُ الْمَكْدِيبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ
 (٦٣) تَأْتِيهِمْ لَقْدَأُرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٤) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً
 لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٥) وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً
 لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ خمس آيات

﴿ القراءه ﴾

قرأ نافع وقتيبة عن الكسائي مفرطون سا كنة الفاء مكسورة الراء خفيفة وقرأ ابو جعفر «ع» مفرطون
 مفتوحة الفاء مكسورة الراء مشددة والباقون مفرطون سا كنة الفاء مفتوحة الراء خفيفة وروي عن الأعرج
 بفتح الراء وتشديده

-(الحجة)-

قال الزجاج اما تفسير مفرطون فجاء عن ابن عباس مترو كون وقيل معجلون ومعنى الفرط في اللغة
 التقدم وقد فرط مني قول أي تقدم فعنى مفرطون مقدمون إلى النار وكذلك مفرطون بالتشديد ومن فسر مترو كون
 فهو كذلك أي قد جعلوا مقدمين في العذاب أبداً مترو كين فيه ومن قرأ مفرطون فالمعنى انه وصفهم الله بأنهم
 فرطوا في الدنيا ولم يعملوا فيها للآخرة وتصديقه قوله يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ومن قرأ مفرطون
 فالمراد انهم أفرطوا في معصية الله كما تقول أفرط فلان في مكروهه وتأويله انه آثر العجز وقدمه قال ابو
 علي وكأنه من أفرط أي صار ذا فرط مثل أقطف وأجرب فهو مقطف ومجرب فمعناه انهم ذوو فرط إلى
 النار وسبق اليها

﴿ الاعراب ﴾

الكذب مفعول تصف وان لم الحسنى بدل من الكذب وتقديره وتصف ألسنتهم ان لم الحسنى أي تصفون
 ان لم مع هذا الفعل القبيح الجزاء الحسن وان لهم النار في موضع نصب مجرم والمعنى جرم فعلهم هذا أي كسبان
 لم النار وقيل ان ان في موضع رفع عن قطرب قال معناه انه وجب ان لهم النار وانهم مفرطون فيها لتبين لهم أي
 لان تبين لهم الجار والمجرور في محل النصب بأنه مفعول له وكذلك قوله وهدى ورحمة وكلاهما معطوف على
 ما قبله بأنه مفعول له ايضاً أي أنزلنا عليك الكتاب بياناً وهدى ورحمة قال الزجاج ويجوز في هذا الموضع وهدى
 ورحمة بالرفع فيكون المعنى وما أنزلنا عليك الكتاب إلا للبيان وهو مع ذلك هدى ورحمة

﴿ المعنى ﴾

(ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة) أخبر سبحانه انه لو كان ممن يؤاخذ الكفار والعصاة
 بذنوبهم ويعاجلهم بالعقوبة لما ترك على وجه الأرض أحداً ممن يستحق ذلك من الظالمين وإنما قال عليها ولم يجز
 ذكر للأرض في الظاهر لأن الكلام يدل عليه فإن العلم حاصل بأن الناس يكتفون على ظهر الأرض ومثله
 كثير في محاورات العرب يقولون ما بين لابتيها مثل فلان يعنون المدينة واصبحت باردة يريدون الغداة إذ اللابتان
 بالمدينة والاصباح لا يكون إلا غدوة وقوله (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) أي يهلهم إلى وقت معلوم مسمى
 وهو يوم القيامة وقيل إلى وقت يعلمه الله تعالى انه لا يكون في بقائهم فيه مصلحة لأنهم لا يؤمنون ولا يخرج
 من نسلهم مؤمن وإنما يؤخرهم تفضلاً منه سبحانه ليراجعوا التوبة أو لما في ذلك من المصلحة واختلف أهل العدل

في من المعلوم من حاله انه لا يؤمن فيما بعد هل يجوز احترامه فقال بعضهم يجوز لأن التكليف تفضل فلا تجب
التبعية وهو قول ابي هاشم واليه ذهب المرتضى قدس الله روحه وقال آخرون لا يجوز احترامه ويجب تبعيته
وهو قول البلخي والبي علي الجبائي وان اختلفا في علته فقال الجبائي لأنه مفسدة وقال البلخي لأنه الأصلح واليه
ذهب الشيخ المفيد ابو عبد الله وقيل ان معنى الآية لو يؤخذهم بذنوبهم لحبس المطر عنهم حتى تهلك كل دابة
عن السدي وعكرمة «سؤال» متى قيل ان المكلف الظالم يستحق العقوبة بظلمه فما بال الحيوانات تؤخذ
بغير جرم «فجوابه» ان العذاب للظالم عقوبة ولغير الظالم عبرة ومحنة فيكون كالأمرض النازلة بالأولياء وغير
المكففين فيعوضون عنها وقيل معناه لو هلك الآباء يكفرهم لم يوجد الأبناء وقيل انه إذا هلك الظلمة ولم يبق
مكلف لا يبقى غيرهم من الحيوانات لأنها إنما خلقت للمكففين فلا فائدة في بقائها بعدهم (فإذا جاء أجلهم لا ينأخرون
ساعة ولا يستقدمون) قد سبق معناه فيما مضى ثم حكى سبحانه عن الكفار فقال (ويجعلون لله ما يكفرون)
يعني البنات أي يحكمون لله بما يكفرونه لأنفسهم (وتصف السنتهم الكذب) أي وتخبّر ألسنتهم بالكذب
وهو ما يقولون (ان لهم الحسنى) وهي البنون عن مجاهد وقيل معناه تصفون ان لهم مع قبيح قولهم من الله الجزاء
الحسن والثوبة الحسنى وهي الجنة عن الزجاج وغيره فان المشركين كانوا يقولون ان كان ما يقوله محمد من امر البعث
والآخرة حقاً فنحن من أهل الجنة وروي عن معاذ انه قرأ وتصف السنتهم الكذب بضم الذال والياء فعلى هذا
يكون الكذب وصفاً للألسنة جمع كاذب او كذوب ثم رد سبحانه قولهم فقال (لا جرم ان لهم النار) أي
ليس الأمر على ما وصفوا جرم فعلهم وقولهم أي كسب ان لهم النار والمفسرون يقولون معناه حقاً ان لهم النار او
لا بد ان لهم النار (وانهم مفرطون) أي مقدمون إلى النار ثم اقسام سبحانه فقال (تالله لقد أرسلنا إلى
امم من قبلك) يا محمد (فزين لهم الشيطان اعمالهم) أي كفرهم وضلالهم وتكذيبهم الرسل (فهو وليهم اليوم)
معناه ان الشيطان وليهم اليوم في الدنيا يتولونه ويتبعون اغواءه فأما يوم القيامة فيتبرأ بعضهم من بعض عن ابي
مسلم وقيل معناه فهو وليهم يوم القيامة أي يكفهم الله تعالى إلى الشيطان اباساً لهم من رحمته (ولهم عذاب اليم)
أي وللنايع والمتبوع عذاب مؤلم وجميع ثم بين سبحانه انه قد أقام الحجة وازاح العلة ووضح المحجة فقال (وما انزلنا
عليك) يا محمد (الكتاب) أي القرآن (إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) معناه إلا وقد اردنا منك ان تكشف
لهم ما اختلفوا فيه من دلالة التوحيد والعدل وتبين لهم الحلال والحرام (وهدى) أي وانزلناه دلالة على الحق
(ورحمة لقوم يؤمنون) ثم اخبر سبحانه عن نعمته على خلقه فقال (والله انزل من السماء ماء) أي غيثاً ومطراً
(فأحيا به) أي بذلك الماء (الأرض بعد موتها) أحيائها بالنبات بعد جدوبها وقحطها (ان في ذلك لآية) أي
حجة ودلالة (لقوم يسمعون) أي يستصفون أدلة الله ويتفكرون فيها ويعتبرون بها

قوله تعالى (٦٦) وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نُسَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ
وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٧) وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا
وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٨) وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ
الْجِبَالِ يَاقُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٩) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سَبِيلَ
رَبِّكَ ذَلَّلَا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ (٧٠) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ
لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ قَدِيرٌ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وسهل نسقيكم بفتح النون هاهنا وفي المؤمنين والباقون نسقيكم بضمها في الموضعين وقرأ ابو جعفر في المؤمنين تسقيكم بالثاء

﴿ الحجة ﴾

قيل بين سقيت واسقيت فرق وهو ان سقيته معناه ناولته ليشرب واسقيته معناه جعلت له ماء يشربه وقيل سقيته ماء واسقيته سألت الله ان يسقيه وعليه بيت ذي الرمة

واسقيه حتى كاد مما أثبه تكلمني ايجاراه وملاعبه

وقيل إذا سقاه مرة يقول سقيته وإذا سقاه دائماً يقال أسقيته عن ابي عبيدة وقيل هما بمعنى واحد واسندل بيت لبيد

سقى قومي بني مجد واسقى نيرا والقبائل من هلال

فانه اتى بالفتين

﴿ اللغة ﴾

البرة والعظة من النظائر وهو ما يعتبر به والفرث الثفل الذي ينزل إلى الكرش وساغ الطعام في الخلق وسوغته واسغته السكر في اللغة على اربعة اوجه ﴿ الاول ﴾ ما اسكر من الشراب ﴿ والثاني ﴾ ما طعم من الطعام قال الشاعر « جعلت عيب الاكرمين سكرا » أي جعلت ذمهم طعماً لك ﴿ والثالث ﴾ السكون ومنه ليلة ساكرة أي ساكنة قال الشاعر « وليست بطلق ولا ساكره » ويقال سكرت الريح سكنت قال « وجعلت عين الحرور تسكر » ﴿ والرابع ﴾ المصدر من قولك سكر سكرًا ومنه التسكير التحيير في قوله سكرت ابصارنا والذلل جمع الذلول يقال دابة ذلول بين الذل ورجل ذلول بين الذل والذلة والردل الدون الردي وكذلك الرذال يقال رذل الشيء يرذل رذالة وارذلته انا

﴿ الاعراب ﴾

الهاء في بطونه إلى ماذا يعود اختلف فيه فقيل ان الانعام جمع والجمع يذكرو ويؤنث فجاء هاهنا على لغة من يذكرو وجاء في سورة المؤمنين على لغة من يؤنث وقيل انه رد على واحد الانعام وانشد للراجز « وطاب الباب اللقاح فبرد » رده إلى اللين عن الفراء وقيل ان الانعام والنعمة سواء فحمل على المعنى كما قال الصلتان العبدي

ان الساحة والمروءة ضمنا قبرا بمر على الطريق الواضح

فكأنه قال شيطان ضمنا وقال الاعشى

فان تعهديني ولي لمة فان الحوادث اودى بها

حملة على الحدثنان ويجوز ان يكون التقدير نسقيكم مما في بطون المذكور وقيل ان من بدل على التبويض فكأنه قال نسقيكم مما في بطون بعض الانعام لأنه ليس لجمعها لين وقوله تتخذون منه الضمير في منه إلى ماذا يعود فيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ انه يعود إلى المذكور ﴿ والثاني ﴾ انه يعود إلى معنى الثمرات لأن الثمرات والثمر سواء وكذا الهاء في قوله فيه شفاء للناس قيل يعود إلى الشراب وهو العسل وقيل يعود إلى القرآن فإذا عاد الضمير إلى الشراب ارتفع شفاء بالظرف على المذهبين وتقديره شراب ثابت فيه شفاء وإذا عاد الضمير إلى القرآن ففي رفع شفاء خلاف فإن الظرف لم يجر على مذكور قبله لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ان نصبت شيئاً يعلم وهو مذهب سيبويه كنت قد عملت الثاني واضمرت المفعول في يعلم على شريطة التفسير وان عملت يعلم وهو مذهب الفراء

اضمرت لعلم مفعولا وفصلت بين المعمول والعامل فجمعت بين مجازين بخلاف مذهب سيبويه

المعنى *

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من دلائل التوحيد وعجائب الصنعة وبدائع الحكمة بقوله (وان لكم في الانعام) يعني الابل والبقر والغنم (لعبرة) اي لعظة واعتبار أو دلالة على قدرة الله تعالى (نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً) وروى الكلبي عن ابن عباس قال إذا استقر العلف في الكرش صار اسقله فرثاً واعلاه دماً ووسطه لبناً فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو فذلك قوله من بين فرث ودم لبناً خالصاً لا يشوبه الدم ولا الفرث (سائغاً للشاربين) أي جائزاً في حلوقهم والكبد مسلطة على هذه الأصناف فيقسمها على الوجه الذي اقتضاه التدبير الإلهي يبين سبحانه لمن ينكر البعث ان من قدر على إخراج لبن أبيض سائغ من بين الفرث والدم من غير ان يختلط بها قادر على إخراج الموتي من الأرض من غير ان يختلط شيء من أبدانهم بأبدان غيرهم ثم قال (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً) قيل معناه ولكم عبرة فيما أخرج الله لكم من ثمرات النخيل والاعناب عن الحسن وقيل معناه من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه سكراً والعرب تضمير ما الموصولة كثيراً قال سبحانه وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً أي ما ثم وقيل ان تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب شيء تتخذون منه سكراً (ورزقاً حسناً) فحذف الموصوف لدلالة الصفة عليه والاعناب عطف على الثمرات أي ومن الاعناب شيء تتخذون سكراً وهو كل ما يسكر من الشراب كالخمر . والرزق الحسن ما أحل منها كالحل والزبيب والرب والرطب والتمر عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم وروى الحاكم في صحيحه بالاسناد عن ابن عباس انه سئل عن هذه الآية فقال السكر ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما أحل من ثمرها قال قتادة نزلت الآية قبل تحريم الخمر ونزل تحريمها بعد ذلك في سورة المائدة قال ابو مسلم ولا حاجة إلى ذلك سواء كان الخمر حراماً أم لم يكن لأنه تعالى خاطب المشركين وعدد انعامه عليهم بهذه الثمرات والخمر من أشربتهم فكانت نعمة عليهم وقيل ان المراد بالسكر ما يشرب من أنواع الأشرطة مما يحل والرزق الحسن ما يؤكل والحسن اللذيذ عن الشعبي والجبائي فالمعنى تتخذون منه اصنافاً من الأشرطة والأطعمة وقد أخطأ من تعلق بهذه الآية في تحليل النبيذ لأنه سبحانه إنما أخبر عن فعل كانوا يتعاطونه فأى رخصة في هذا اللفظ والوجه فيه انه سبحانه أخبر انه خلق هذه الثمار لينتفعوا بها فاتخذوا منها ما هو محرم عليهم ولا فرق بين قوله هذا وبين قوله تتخذون أيانكم دخلاً بينكم (إن في ذلك لآية) أي دلالة ظاهرة (لقوم يعقلون) عن الله تعالى ذلك ويتفكرون فيه يبين الله سبحانه بذلك انكم تستخرجون من الثمرات عصيراً يخرج من قشر قد اختلط به فكذلك الله يستخلص ما تبدد من الميت مما هو مختلط به من التراب (وأوحى ربك إلى النحل) أي ألهماً إلهاماً عن الحسن وابن عباس ومجاهد وقيل جعل ذلك في غرائزها بما يخفى مثله عن غيرها عن الحسن قال ابو عبيدة الوحي في كلام العرب على وجوه منها وحي النبوة ومنها الإلهام ومنها الإشارة ومنها الكتاب ومنها الاسرار فوحي النبوة في قوله أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه والإلهام في قوله وأوحى ربك إلى النحل وأوحينا إلى ام موسى والإشارة في قوله فأوحى إليهم أن سبحوا قال مجاهد معناه أشار إليهم وقال الضحاك كتب لهم والاسرار في قوله يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً وأصل الوحي عند العرب ان يلقي الإنسان إلى صاحبه شيئاً بالاستتار والاختفاء وأما ما روي عن ابن عباس انه قال لا وحي إلا القرآن فإن المراد به ان القرآن هو الوحي الذي نزل به جبرائيل على محمد صلى الله عليه وسلم دون ان يكون أنكر ما قلناه ويقال أوحى له وأوحى إليه قال العجاج «أوحى لها القرار فاستقرت» والمعنى ان الله تعالى ألهم النحل اتخاذ المنازل والمسكن والاكوار والبيوت في الجبال والشجر وغير ذلك وتقديره (أن اتخذني من الجبال بيوتا) للعسل ولا يقدر على مثلها أحد (ومن الشجر وما يعرشون) أي ومن الكرم لأنه

الذي يعرش ويتخذ منه العرش وفيه لغتان بعرشون وبعرشون بضم الراء وكسرهما وقد قرئ بها وقيل معنى بعرشون بينون والعرش سقف البيت عن الكبي والمعنى ما يبني الناس لها من خلاياها التي تعسل فيها ولولا إلهام الله إياها ما كانت تأتي إلى ما يبني لها من بيوتها وإنما أتى بلفظ الأمر وإن كانت النحل لاتعقل الأمر ولا تكون مأمورة لأنه لما أتى بلفظ الوحي أجرى عليه لفظ الأمر اتساعاً (ثم كلي من كل الثمرات) أي من أنواع الثمرات من أي ثمرة شئت (فاسلكي سبل ربك) أي فادخلي سبل ربك التي جعلها الله لك (ذلاً) أي مذلة موطأة للسلوك واسعة يمكن سلوكها فيكون قوله ذلاً صفة للسبل وهي منصوبة على الحال وهو قول مجاهد وقيل ذلاً أي مطيعة لله متقادة مسخرة ويكون من صفة النحل عن قتادة (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه) وهو العسل فإن ألوانه مختلفة لأن منه ما هو شديد البياض ومنه ما هو أصفر ومنه ما يضرب إلى الحمرة وذلك ان النحل تتناول ألواناً مختلفة من النبات والزهر فيجعلها الله تعالى عسلاً على ألوان مختلفة يخرج من بطونها إلا أنها تلقيه من أفواهها كالريق الذي يخرج من فم ابن آدم وإنما قال سبحانه من بطونها ولم يقل من فيها لثلاث بظن أنها تلقيه من فيها ولم يخرج من بطنها (فيه شفاء للناس) من الأدوية عن قتادة وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال عليكم بالشفاء بين القرآن والعسل وقيل معناه فيه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه عن السدي والحسن وروى عن مجاهد ان الهاء في فيه راجعة إلى القرآن أي القرآن فيه شفاء للناس يعني ما فيه من الخلال والحرام والفتيا والاحكام والأول قول أكثر المفسرين وهو الأقوى إذ لم يسبق للقرآن ذكر وفي النحل والعسل وجوه من الاعتبار منها اختصاصه بخروج العسل من فيه ومنها جعل الشفاء من موضع السم فإن النحل يلسع ومنها ما ركب الله من البدائع والعجائب فيه وفي طباعه ومن أعجبها ان جعل سبحانه لكل فئة بعسوباً هو أميرها بقدمها ويحامي عنها ويدبر أمرها ويسوسها وهي تتبعه وتقتفي أثره ومتى فقدته انحل نظامها وزال قوامها وتفرقت شذر مذر وإلى هذا المعنى فيما قال أشار امير المؤمنين (ع) في قوله أنا بعسوب المؤمنين (ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) معناه ان فيما ذكرناه من بدائع صنع الله تعالى دلالة بينة لمن تفكر فيه ثم بين نعمته علينا في خلقنا واخراجنا من العدم إلى الوجود فقال (والله خلقكم) أي أوجدكم وانعم عليكم بضراب النعم الدينية والدنيوية (ثم يتوفاكم) ويقبضكم أي يميتكم (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) أي أدون العمر وأوضعه أي يبقيه حتى يصير إلى حال الهرم والخرف فيظهر النقصان في جوارحه وحواسه وعقله ورووا عن علي (ع) ان أرذل العمر خمس وسبعون سنة وروى مثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن قتادة تسعون سنة (لكيلا يعلم بعد علم شيئاً) أي ليرجع إلى حال الطفولية بنسيان ما كان علمه لأجل الكبر فكأنه لا يعلم شيئاً مما كان علمه وقيل ليقل علمه بخلاف ما كان عليه في حال شبابه (إن الله عليم) بمصالح عباده (قدير) على ما يشاء من تدبيرهم وتقدير احوالهم

قوله تعالى (٧١) وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّيهِ رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِنْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٧٢) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدةً وَرِزْقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِنْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٣) وَبِعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٧٤) فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو بكر عن عاصم يتحدثون بالتاء والباقون بالياء

﴿ الحجة ﴾

الوجه في القراءة بالياء انه يراد به غير المسلمين لأنه لا يخاطب المسلم ببحود نعم الله والوجه في القراءة بالتاء قل لهم أفبعملة الله التي تقدم اقتصاصها يتحدثون ويقوي الياء قوله وبنعمة الله هم يكفرون
- (اللغة) -

الحفدة جمع حافد واصل الحفد الاسراع في العمل ومنه ما جاء في الدعاء واليك نسعى ونحفد ومر البعير يحفد حفداً أنا إذا مس يسرع في سيره قال الراعي

كلفت مجهولها نوقاً يمانية إذ الحداة على اكسائها حفدوا

ومنه قيل للاعوان حفدة لإسراعهم في الطاعة قال جميل

حفد الولائد حولها واستسلمت بأكفهن أزيمة الاجمال

- (الاعراب) -

فهم فيه سواء جملة اسمية وقعت موقع جملة فعلية في موضع النصب لأنه جواب النفي بالقاء والتقدير فيستووا شيئاً انتصب على احد وجوبين اما ان يكون بدلاً من رزقاً بمعنى انه لا يملك لهم رزقاً قليلاً ولا كثيراً وهو قول الاخفش واما ان يكون مفعولاً لقوله رزقاً فكأنه قال ما لا يملك لهم ان يرزق شيئاً وهو مما اعلم من المصادر المتنونة

﴿ المعنى ﴾

ثم عدد سبحانه نعمة منه أخرى فقال (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) فوسع على واحد وقتر على آخر على ما توجبه الحكمة (فما الذين فضلوا يرادي رزقهم على ما ملكتم أيانهم فهم فيه سواء) اختلف في معناه على قولين ﴿ احدهما ﴾ انهم لا بشر كون عبيدهم في اموالهم وأزواجهم حتى يكونوا فيه سواء ويرون ذلك نقصاً فلا يرضون لأنفسهم به وهم بشر كون عبيدي في ملكي وسلطاني ويوجهون العبادة والقرب اليهم كما يوجهونها إلي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قال ابن عباس بقول إذا لم ترضوا ان تجعلوا عبيدكم شركاءكم فكيف جعلتم عيسى آلها معه وهو عبده ونزلت في نصارى نجران ﴿ والثاني ﴾ ان معناه هؤلاء الذين فضلهم الله في الرزق من الأحرار لا يرزقون بماليتهم بل الله تعالى رازق الملاك والماليك فإن الذي ينفقه المولى على مملوكه إنما ينفقه مما رزقه الله تعالى فالله تعالى رازقهم جميعاً فهم سواء في ذلك (أفبعملة الله يتحدثون) أي أفبعملة النعمة التي عددها واقتصاصها يجحد هؤلاء الكفار ثم عدد سبحانه نعمة أخرى فقال (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي جعل لكم من جنسكم ومن الذين تلدونهم نساء جعلهن أزواجا لكم لتسكنوا اليهن وتأنسوا بهن (وجعل لكم من أزواجكم) يعني من هؤلاء الأزواج (بنين) تسرون بهم وتزبنون بهم (وحفدة) اختلف في معناه فقيل هم الخدم والأعوان عن ابن عباس والحسن وعكرمة وفي رواية الوابي هم اختان الرجل على بناته وهو المروي عن ابي عبد الله وعن ابن مسعود وابراهيم وسعيد بن جبير وقيل هم البنون وبنو البنين عن ابن عباس في رواية أخرى ونصه عنه ايضاً انهم بنو امرأة الرجل من غيره في رواية الضحاك وقيل البنون الصغار من الاولاد والحفدة الكبار منهم يسعون معه عن مقاتل (ورزقكم من الطيبات) أي الأشياء التي تستطيبونها قد أباحها لكم وإنما دخلت من لأنه ليس كل ما يستطيعه الإنسان رزقاً له وإنما يكون رزقه ماله التصرف فيه وليس لأحد منعه

منه (أفبالباطل يؤمنون) يرهد بالباطل الأوثان والأصنام وما حرم عليهم وزينه الشيطان من البحائر وغيرها أي
أفبذلك يصدقون (وبنعمة الله) التي عددها (هم يكفرون) أي يجحدون ويريد بنعمة الله التوحيد والقرآن
ورسول الله ﷺ عن ابن عباس (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً) أي لا يملك ان يرزقهم (من
السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون) شيئاً مما ذكرناه وقيل ان رزق السماء الغيث الذي يأتي من جهتها ورزق
الأرض النبات والثمار وغير ذلك من انواع النعم التي تخرج من الأرض (فلا تضربوا الله الأمثال) أي لا تجعلوا
الله الأنشاه والأمثال في العبادة فإنه لا شبه له ولا مثل ولا أحد يستحق العبادة سواه وإنما قال ذلك في
اتخاذهم الأصنام آلهة عن ابن عباس وقتادة (ان الله يعلم) ان من كانت آلهة فإنه منزّه عن الشركاء (وانتم
لا تعلمون) ذلك بل تجهلون ولو تفكرتم لعلمتم وقيل معناه والله يعلم ما عليكم من المضرة في عبادة غيره
وانتم لا تعلمون ولو علمتم لتركتم عبادتها

قوله تعالى (٧٥) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا
حَسَنًا فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٦) وَضَرَبَ
اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَأَبَاتٍ
يَخِيرُهُمْ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٧) وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

في الشواذ قراءة ابن مسعود وعلقمة والحسن ومجاهد ابنا بوجه وروي عن علقمة بوجه بفتح الجيم

(= الحجة =)

قال ابن جنبي اما بوجه بكسر الجيم فعلى حذف المفعول أي ابنا بوجه وجهه فحذف للعلم به وأقول ان نظيره
ما جاء في المثل «أبنا اوجه الق سعداً» ومعناه أبنا اوجه وجوه ركابي وسعد قبيلته أي كل الناس مثل قبيلتي في
التحاسد وأما بوجه بفتح الجيم فمعناه ابنا يرسل أو يبعث لا يبعث بخير

✽ اللغة ✽

الابكم الذي يولد اخرس لا يفهم ولا يفهم وقيل الابكم الذي لا يمكنه أن يتكلم والكل الثقل يقال
كل عن الأمر بكل كلا إذا ثقل عليه فلم يبعث فيه وكلت السكين كلولا إذا غلظت شفتها وكل لسانه إذا لم
يبعث في القول لغلظه وذهاب حده فالاصل فيه الغلظ المانع من النفوذ والتوجيه الارسال في وجه من الطريق
يقال وجهته إلى موضع كذا فتوجه اليه

✽ الاعراب ✽

ومن رزقناه منا رزقاً حسناً رزقاً مفعول ثانٍ لوزقناه وفي هذا دليل على ان رزق يتعدى إلى مفعولين ألا ترى
ان قوله رزقاً حسناً لو كان مصدرًا لما جاز ان يقول فهو ينفق منه لأن الاتفاق إنما يكون من المال لا من
الحدث الذي هو المصدر

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه للمشركين أمر ضلاتهم فقال (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) أي بين الله مثلا فيه بيان المقصود تقريبا للخطاب إلى أفهامهم ثم ذكر ذلك المثل فقال عبدا مملوكا لا يقدر من أمره على شيء (ومن رزقناه منا رزقا حسنا) يريد وحرا رزقناه ومملكناه مالا ونعمة (فهو ينفق منه سرا وجهرا) لا يخاف من احد (هل يستون) ولم يقل يستويان لأنه أراد بقوله ومن رزقناه وقوله عبدا مملوكا الشيع في الجنس لا التخصيص يريد ان الاثنين المتساويين في الخلق إذا كان احدهما مالكا قادرا على الانفاق والاخر عاجزا عن الانفاق لا يستويان فكيف يستوي بين الحجارة التي لا تعقل ولا تتحرك وبين الله عز اسمه القادر على كل شيء الخالق الرازق لجميع خلقه وهذا معنى قول المجاهد والحسن وقيل ان هذا المثل للكافر والمؤمن فإن الكافر لا خير عنده والمؤمن يكسب الخير عن ابن عباس وقتادة زه الله سبحانه بذلك على اختلاف حالها ودعا إلى حال المؤمن وصرف عن حال الكافر (الحمد لله) أي الشكر لله على نعمه وفيه اشارة إلى ان النعم كلها منه وقيل معناه قولوا الحمد لله الذي دلنا على توحيده ومعرفة وهدانا إلى شكر نعمته واوضح لنا السبيل إلى جنته (بل اكثرهم لا يعلمون) يعني ان اكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ان الحمد لله وان جميع النعمة مني ثم ضرب سبحانه مثلا آخر فقال (وضرب الله مثلا رجلين احدهما أبكم لا يقدر على شيء) من الكلام لأنه لا يفهم ولا يفهم عنه وقيل معناه لا يقدر ان يدبر امر نفسه (وهو كل على مولاه) أي ثقل ووبال على وليه الذي يتولى أمره (أينا يوجهه لا يأت بخير) معناه انه لا منفعة لمولاه فيه أي يرسله في حاجة لا يرجع بخير ولا يهتدي إلى منفعة (هل يستوي هو) أي هذا الأبكم الموصوف بهذه الصفة (ومن يأمر بالعدل) أي ومن هو فصيح يأمر بالعدل والحق ويدعو إلى الثواب والبر (وهو على صراط مستقيم) أي على دين قويم وطريق واضح فيما يأتي به ويذر والمراد انها لا يستويان قط لأنه لا جواب لهذا الكلام إلا النفي وهذا كما قال أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون وقيل في معنى هذا المثل أيضا قولان ﴿احدهما﴾ انه مثل ضربه الله تعالى فيمن يؤمل الخير من جهته ومن لا يؤمل منه واصل الخير كله من الله تعالى فكيف يستوي بينه وبين شيء سواه في العبادة ﴿والآخر﴾ انه مثل للكافر والمؤمن فالأبكم الكافر والذي يأمر بالعدل المؤمن عن ابن عباس وقيل ان الأبكم الي بن خلف ومن يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن مظعون عن عطاء وقيل ان الأبكم هاشم بن عمر بن الحارث القرشي وكان قليل الخير يعادي رسول الله ﷺ عن مقاتل ثم وصف سبحانه نفسه مؤكدا لما قدم ذكره من اوصاف الكمال فقال (ولله غيب السموات والأرض) ومعناه انه المختص بعلم الغيب وهو ما غاب عن جميع الخلائق ما يصح ان يكون معلوما قال الحيائي ويمكن ان يكون المعنى والله ما غاب عنكم مما في السموات والأرض ثم قال (وما امر الساعة) في قدرته (إلا كلمح البصر) أي كطرف العين وقيل كرد البصر قال الزجاج وما امر اقامة الساعة في قدرته إلا كلمح البصر أي لا يتعذر عليه شيء (او هو أقرب) من ذلك وهو مبالغة في ضرب المثل به في السرعة ودخول أو هنالاحد امرين اما للابانة على انه على إحدى هاتين المنزلتين واما الشك المخاطب وقيل معناه بل هو أقرب (ان الله على كل شيء قدير) فهو قادر على اقامة الساعة وعلى كل شيء يريد ان القدير مبالغة في صفة القادر

✽ النظم ✽

وجه اتصاله بما قبله ان امر القيامة من الأمور الغائبة ومن اعظمها واهمها لما فيه من الثواب والعقاب والانصاف والاتصاف والساعة اسم لإماتة الخلق وحياتهم

قوله تعالى (٧٨) وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ

السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٩) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ
السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٠) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ
مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ
إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ثلاث آيات

(= القراءة =)

قد ذكرنا القراءة في امهاتكم في سورة النساء وقرأ ابن عامر وحزمة ويعقوب وسهل وخلف ألم تروا بالثاء
والباقون بالياء وقرأ اهل الكوفة وابن عامر ظعنكم ساكنة العين والباقون بفتح العين
(= الحجة =)

من قرأ ألم تروا بالثاء فإنه يدل عليه ما قبله من قوله وجعل لكم السمع واماكم تشكرون ومن قرأ
بالياء فإنه على وجه التنبيه لمن تقدم ذكرهم من الكفار والظعن والظعن بفتح العين وسكونها لثان ومثله النهر
والنهر والسمع والسمع قال الاعشى

فقد اشرب الراح قد تعلمين يوم المقام ويوم الظعن

قال ابو علي ولا يجوز ان يكون الظعن مخففا عن الظعن كما ان عضدا مخفف عن عضد وكتفا مخففا عن كتف
الا ترى ان من قال ذلك لم يخفف نحو جعل ورسن كما ان الذي يقول والليل إذا يسر وذلك ما كنا نبع لا يقول
والليل إذا يغش وحرف الحلق وغيره في ذلك سواء

✽ اللغة ✽

الامهات اصله الامات ولكن الهاء زيدت مؤكدة كما زادوها في اهرقت الماء والاصل ارقت والافسدة
جمع فواد كما يقال غراب واغربة ولم يجمع الفواد على اكثر العدد لم يقل فيه فندان كما قالوا غرابان الجو الهوا
البعيد من الأرض وابتعد منه السكاك والملاح وواحد السكاك سكاكة عن الزجاج قال الشاعر

ويلمها في هوا الجو طالبة ولا كهذا الذي في الارض مطلوب

والسكن كل ما يسكن اليه والسكن ايضا المسكن قال الفراء السكن بفتح الكاف الدار وبسكونها
أهل الدار ومنه الحديث ان الرمانة تشبع السكن واصله من السكن الذي هو ضد الحركة وهما من جنس
الاكوان التي يكون الجسم بها كائنا في الجهات ومنه السكنين لأنه يسكن حركة المذبح والآثام متاع البيت
الكثير من قولهم شعر أنيث أي كثير او اث البنت يأنث اذا كثرت والتف وكذلك الشعر ولا واحد الآثام
كما انه لا واحد للمتاع قال الشاعر

أهاجتك الطعائن يوم بانوا بذوي الزبي الجميل من الآثام

-- « الاعراب » --

قوله لا تعلمون شيئا في موضع نصب على الحال من الكاف والميم وقوله شيئا يجوز ان يكون منتصبا على
المصدر أي لا تعلمون علما ويجوز ان يكون مفعولا ويكون تعلمون بمعنى تعرفون لاقتصاره على مفعول واحد واثا
ومتاعا نصب بجعل اي يجعل لكم اثا ومتاعا

(= المعنى =)

ثم عدد سبحانه نعماءه له آخر فقال (والله اخرجكم من بطون امهاتكم) منعما عليكم بذلك وانتم لا تعلمون

شيئا) من منافعكم ومضاركم في تلك الحال (وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة) أي تفضل عليكم بالحراس الصحيحة التي هي طرق إلى العلم بالمدرجات وتفضل عليكم بالقلوب التي تفقهون بها الأشياء اذ هي محل المعارف (لعلكم تشكرون) أي لكي تشكروه على ذلك وتحمدوه ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الدلائل بدلالة أخرى فقال (ألم تروا) أي ألم تفكروا وتنظروا (إلى الطير مسخرات في جو السماء) أي كيف خلقها الله خلقة يمكنها معها التصرف في جو السماء صاعدة ومنجذرة وذاهبة وجائية مذلات للطيران في الهواء بأجنحتهم تطير من غير ان تعتمد على شيء (ما يسكنن الا الله) أي ما يسكنن من السقوط على الارض من الهواء إلا الله فيمسك الهواء تحت الطير حتى لا ينزل فيه كما مسك الماء تحت السائح في الماء حتى لا ينزل فيه فجعل امساك الهواء تحتها امساكا لها على التوسع فان سكنها في الجو إنما هو فعلها فالمعنى ألم تنظروا في ذلك فتعلموا ان لها مسخرا ومدبرا لا يعجزه شيء ولا يتعذر عليه شيء وانه إنما خلق ذلك ليعتبروا به فيصلوا إلى الثواب الذي عرضهم له ولو كان فعل ذلك لمجرد الانعام على العبيد لكان حسنا لكنه سبحانه وتعالى ضم إلى ذلك التعريض للثواب (ان في ذلك لآيات) أي دلالات على وحدانية الله تعالى وقدرته (لقوم يؤمنون) لأنهم الذين انتفعوا به ثم عدد سبحانه نعمه آخر في الآية الأخرى فقال (والله جعل لكم من بيوتكم سكننا) أي موصفا تسكنون فيه مما يتخذ من الحجر والمدر وذلك انه سبحانه خلق الخشب والمدر والآلة التي يمكن بها تسقيف البيوت وبناءها (وجعل لكم من جلود الأنعام) يعني الانطاع والادم (بيوتا تستخفونها) أي قبابا وخياما يحف عليكم حملها في اسفاركم (يوم ظننكم) أي ارتحالكم من مكان إلى مكان وقيل معنى الظن سير اهل البوادي لنجعة أو حضور ماء أو طلب مرتع (ويوم اقامتكم) أي اليوم الذي تتزاورن موصفا تقيمون فيه أي لا يشغل عليكم في الخالتين (ومن اوصافها) وهي للضأن (وأوبارها) وهي للابل (وأشعارها) وهي للمعز (اثنا) أي مالا عن ابن عباس وقيل نوعا من متاع البيت من الفراش والاكسية وقيل طنافس وبسطا وثيابا وكسوة والكل متقارب (ومتاعا) تمتعون به ومعاشا تتجرون فيه (إلى حين) أي إلى يوم القيامة عن الحسن وقيل إلى وقت الموت عن الكلبي ويحتمل ان يكون أراد به موت المالك أو موت الأنعام وقيل إلى وقت البلى والفناء وفيه إشارة إلى انها فانية فلا ينبغي للعاقل ان يجتارها على نعيم الآخرة

قوله تعالى (٨١) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨٢) فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٨٣) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٤) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٥) وَإِذَارَةٌ الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ خمس آيات

✽ اللغة ✽

الأكنان جمع كن وهو الموضع الذي يستتر صاحبه فيه ويقال كنتت الشيء في كنه أي صنته واكننته أي أخفيتهم وكل ما لبسته من قيص أو درع أو جوشن أو غيره فهو كن قال الزجاج والعتب الموجدة يقال عتب عليه عتب إذا وجد عليه فإذا فاضه ما عتب عليه قالوا عاتبه وإذا رجع إلى مسرته قيل عتب والاسم العتبي وهو رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب واستعته طلب منه ان يعتب قال ابو مسلم الاستعتاب مأخوذ من العتاب

والعنب واصله دبغ الاديم وهو عتابه وفي المثل إنما يعاتب الاديم ذو البشرة يقال عتبت على فلان واستعتبته إذا أنكرت منه فعلا واستنزته عنه وارتد اصلاحه واعتبك فلان إذا صار الك إلى ما تحب وزال عما تكره

✽ الإعراب ✽

فإن تولوا شرط وتقديره فإن تولوا لم يلزمك تقصير من أجل توليهم فإن الذي عليك هو البلاغ إلا أنه حذف الجزء لدلالة الكلام عليه . للذين كفروا في محل الرفع لوقوع الاذن عليه

(- المعنى -)

ثم عدد سبحانه نعماً أخر أضافها إلى ما عدده قبل من نعمه فقال (والله جعل لكم مما خلق) من الاشجار والابنية (ظلالات) أي أشياء تستظلون بها في الحر والبرد (وجعل لكم من الجبال اكنا) أي مواضع تسكنون بها من كهوف وثقوب وتآوون اليها (وجعل لكم سرايل) أي قميصا من القطن والكتان والصوف عن ابن عباس وقتادة (تقيكم الحر) ولم يقل وتقيكم البر لأن ما وقى الحر وقى البرد وإنما خص الحر بذلك مع ان وقايتها للبرد أكثر لأن الذين خوطبوا بذلك أهل حر في بلادهم فحاجتهم إلى ما يقي الحر أكثر عن عطاء على ان العرب تكتفي بذكر احد الشيتين عن الآخر للعلم به كما قال الشاعر

وما ادري إذا يممت أرضا أريد الخير أيها يليني

فكفى عن الشر ولم يذكره لأنه مدلول عليه ذكره القراء . (وسرايل تقيكم بأسكم) يعني دروع الحديد تقيكم شدة الطعن والضرب وتدفع عنكم سلاح اعدائكم (كذلك) أي مثل ما جعل لكم هذه الاشياء وانعم بها عليكم (يتم نعمته عليكم) يريد نعمة الدنيا ويدل عليه قوله (لعلمكم تسلمون) قال ابن عباس معناه لعلمكم يا أهل مكة تعلمون انه لا يقدر على هذا غيره فتوحده وتصدقوا رسوله (فإن تولوا فانما عليك البلاغ المبين) هذا تسلية للنبي ﷺ ومعناه فان عرضوا عن الإيمان بك يا محمد والقبول عنك وعن التدبير لما عدده في هذه السورة من النعم وبنيت فيها من الدلالات فلا عتب عليك ولا لوم فانما عليك البلاغ الظاهر وقد بلغت كما امرت والبلاغ الاسم والتبليغ المصدر مثل الكلام والتكليم ثم اخبر سبحانه عن الكفار فقال (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) أي يعرفون نعم الله تعالى عليهم بما يجدونه من خلق نفوسهم واكمال عقولهم وخلق انواع المنافع التي ينتفعون بها لهم ثم انهم مع ذلك ينكرون تلك النعم ان تكون من جهة الله تعالى خاصة بل يضيفونها إلى الأوثان ويشكرون الأوثان عليها يقولون رزقنا ذلك بشفاعه آهتنا فيشركونهم معه فيها وقيل ان معناه يعرفون محمدا ﷺ وهو من نعم الله سبحانه ثم يكذبونه ويحذونه عن السدي (واكثرهم الكافرون) وإنما قال اكثرهم لأن منهم من لم تقم الحجة عليه إذ لم يبلغ حد التكليف لضعفه أو كان ناقص العقل أو فاقولم تبلغه الدعوة فلا يقع عليه اسم الكفر وقيل انها ذكر الأكثر لأنه علم سبحانه ان فيهم من يؤمن وقيل انه من الخاص في الصيغة العام في المعنى عن الجبائي وقريب منه قول الحسن أراد جميعهم الكافرون واناعدل عن البعض احتقار له ان يذكره وفي هذه الآية دلالة على فساد قول المجبرة انه ليس لله تعالى على الكافر نعمة وان جميع ما فعله بهم وإنما هو خذلان ونقمة لأنه سبحانه نص في هذه الآية على خلاف قولهم (ويوم نبعث من كل امة شهيدا) يعني يوم القيامة بين سبحانه انه يبعث فيه من كل امة شهيدا وهم الأنبياء والعدول من كل عصر يشهدون على الناس بأعمالهم وقال الصادق (ع) لكل زمان وأمة إمام تبعث كل امة مع إمامها وفائدة بعث الشهداء مع علم الله سبحانه بذلك ان ذلك أهول في النفس واعظم في تصور الحال وأشد في الفضيحة إذا قامت الشهادة بحضرة الملائكة مع جلالة الشهود وعدالتهم عند الله تعالى ولأنهم إذا علموا ان العدول عند الله يشهدون عليهم بين يدي الخلائق فإن ذلك يكون زجرا لهم عن المعاصي وتقديره واذكر يوم نبعث (ثم لا يؤذن للذين كفروا) أي لا يؤذن لهم

في الكلام والاعتذار عن ابن عباس كما قال ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقيل معناه لا يؤذن لهم في الرجوع إلى الدنيا وقيل معناه لا يسمع منهم العذر يقال أذنت له أي استمعت كما قال عدي بن زيد

في سماع يأذن الشيخ له وحديث مثل ما ذي مشار

عن ابي مسلم (ولا هم يستعجبون) أي لا يسترضون ولا يستصلحون كما كان يفعل بهم في دار الدنيا لأن الآخرة ليست بدار تكليف ومعناه لا يسألون ان يرضوا الله بالكف عن معصية يرتكبونها (وإذا رأى الذين ظلموا العذاب) معناه إذا رأى الذين اشرکوا بالله تعالى النار (فلا يخفف عنهم) العذاب (ولا هم ينظرون) أي لا يهلون ولا يؤخرون بل عذابهم دائم في جميع الأوقات فإن وقت التوبة والندم قد فات

✽ النظم ✽

وجه اتصال قوله فان تولوا بما قبله انه سبحانه امر نبيه ^{صلى الله عليه وسلم} ان يذكرهم بهذه النعم ويحثج عليهم بهذه الحجج فان اسلموا فذاك وان اعرضوا فلاشيء على الرسول فانما عليه البلاغ المبين فقط ووجه اتصال الآية الأخيرة بما قبلها وهي قوله ويوم نبعث من كل امة شهيدا انها تتصل بقوله فاننا عليك البلاغ لأن المعنى انا نجازيهم على اعمالهم يوم نبعث من كل امة شهيدا وقال ابو مسلم انه عطف على قوله والله خلقكم ثم يتوفاكم يريد ثم يبعثكم يوم يبعث من كل امة شهيدا

قوله تعالى (٨٦) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٧) وَالْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ أَلْسَلَمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٨) الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٨٩) وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٩٠) إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَنَهْيِ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ بِعِظِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ خمس آيات

✽ اللغة ✽

تقول القيت الشيء إذا طرحته واللقى الشيء الملقى والقيت إليه مقالة أي قلتها له وتلقاها إذا قبلها والسلم الاستسلام والانقياد والتبيان والبيان واحد. الأزهرى قال العرب تقول بينت الشيء تبيننا وتبيننا

✽ المعنى ✽

ثم ابان سبحانه عن حال المشركين يوم القيامة فقال (وإذا رأى الذين اشرکوا شرکاءهم) يعني الاصنام والشياطين الذين اشرکوا مع الله في العبادة وقيل ساهم شرکاءهم لأنهم جعلوا لهم نصيبا من الزرع والانعام فهم إذا شرکواهم على زعمهم (قالوا ربنا هؤلا) شرکائنا الذين كنا ندعوا من دونك أي يقولون هؤلا شرکائنا التي اشرکناها معك في الإلهية والعبادة واضلونا عن دينك فحملهم بعض عذابنا (فألخوا إليهم القول انکم لکاذبون) معناه فقالت الأصنام وسائر ما كانوا يعبدونه من دون الله بانطاق الله تعالى إياهم لهؤلا انکم لکاذبون في انا امرناکم بعبادتنا واکتفیکم اختتم الضلال بسوء اختيارکم لا نفسکم وقيل انکم لکاذبون في قولکم انا آلهة والقاء المعنى إلى النفس اظهارها لها حتى تدركه متميزا عن غيره (والقوا إلى الله يومئذ السلم) معناه

واستسلم المشركون وما عبدوهم من دون الله لأمر الله وانقادوا لحكمه يومئذ عن قتادة وقيل معناه ان المشركين
 زال عنهم نخوة الجاهلية وانقادوا قسراً لا اختياراً واعترفوا بما كانوا ينكرونه من توحيد الله تعالى (وضل عنهم
 ما كانوا يفترون) أي بطل ما كانوا يأملونه ويتمنونونه من الأمان الكاذبة من ان آلهتهم تشفع لهم وتنفع (الذين
 كفروا وصدوا عن سبيل الله) أي عرضوا عن دين الله وقيل صدوا غيرهم عن اتباع الحق الذي هو سبيل الله وقيل
 صد المسلمين عن البيت الحرام عن أبي مسلم (زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون) أي عذبناهم على
 صددهم عن دين الله زيادة على عذاب الكفر وقيل زدناهم الأفاعي والعقارب في النار لما انياب كالنخل الطوال
 عن ابن مسعود وقيل هي انهار من صفر مذاب كالنار يعذبون بها عن ابن عباس ومقاتل وقيل زيدوا حيات
 كأمثال الفيلة والبخت وعقارب كالبغال الدم عن سعيد بن جبير (ويوم نبعث في كل امة شهيداً عليهم من انفسهم)
 أي من امثالهم من البشر ويجوز ان يكون ذلك الشهيد نبهم الذي ارسل اليهم ويجوز ان يكون المؤمنون العارفون
 يشهدون عليهم بما فعلوه من المعاصي وفي هذا دلالة على ان كل عصر لا يجوز ان يخلو من يكون قوله حجة على
 أهل عصره وهو عدل عند الله تعالى وهو قول الجبائي واكثر اهل العدل وهذا يوافق ما ذهب اليه اصحابنا وان
 خالفوهم في ان ذلك العدل والحجة منه هو (وجثنا بك) يا محمد (شهيداً على هؤلاء) يريد على قومك وامتك
 وانما افردته بالذكر تشريفاً له وتم الكلام هاهنا ثم قال سبحانه (وتزلنا عليك الكتاب) يعني القرآن (تبياناً لكل
 شيء) أي بياناً لكل امر مشكل ومعناه ليبين كل شيء يحتاج اليه من امور الشرع فإنه ما من شيء يحتاج الخلق
 اليه في امر من امور دينهم إلا وهو مبين في الكتاب اما بالتنصيص عليه او بالحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي ﷺ
 والحجج القائمين مقامه أو اجماع الأمة فيكون حكم الجميع في الحاصل مستفاداً من القرآن (وهدي ورحمة)
 أي ونزلنا عليك القرآن دلالة إلى الرشد ونعمة على الخلق لما فيه من الشرائع والاحكام ولأنه يؤدي إلى نعم
 الآخرة (وبشرى للمسلمين) أي بشارة لهم بالثواب الدائم والنعيم المقيم (ان الله يأمر بالعدل) وهو الانصاف
 بين الخلق والتعامل بالاعتدال الذي ليس فيه ميل ولا عوج (والاحسان) إلى الناس وهو التفضل ولفظ الاحسان
 جامع لكل خير والاغلب عليه استعماله في التبرع بايتاء المال وبذل السعي الجميل وقيل العدل التوحيد والاحسان
 أداء الفرائض عن ابن عباس وعطاء وقيل العدل في الأفعال والاحسان في الأقوال فلا يفعل إلا ما هو عدل ولا يقول
 إلا ما هو حسن وقيل العدل ان ينصف وينتصف والاحسان ان ينصف ولا ينتصف (وإيتاء ذي القربى) أي
 ويأمرهم باعطاء الأقارب حقهم بصلتهم وهذا عام وقيل المراد بذوي القربى قرابة النبي ﷺ والذين ارادهم
 الله بقوله فإن الله خمسهم وللرسول ولذوي القربى على ما مر تفسيره وهو المروي عن أبي جعفر (ع) قال نحن هم
 (وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) انما جمع بين الأوصاف الثلاثة في النهي مع ان الكل منكر فاحش
 ليبين بذلك تفصيل ما نهى عنه لأن الفحشاء قد يكون ما يفعله الإنسان في نفسه من القبيح مما لا يظهره والمنكر
 ما يظهره للناس مما يجب عليهم انكاره والبغى ما يتناول به من الظلم لغيره وقيل ان الفحشاء الزنا والمنكر
 ما ينكره الشرع والبغى الظلم والكبر عن ابن عباس وقيل ان العدل استواء السريرة والعلانية والاحسان ان
 تكون السريرة أحسن من العلانية والفحشاء والمنكر ان تكون العلانية أحسن من السريرة عن سفيان بن عيينة
 (يعظكم لعلكم تذكرون) معناه يعظكم بما تضمنت هذه الآية من مكارم الأخلاق لكي تتذكروا
 وتذكروا وترجعوا إلى الحق قال عبد الله بن مسعود عنده الآية أجمع آية في كتاب الله للخير والشر قال قتادة
 أمر الله سبحانه بمكارم الأخلاق ونهاهم عن سفاسف الاخلاق وجاءت الرواية ان عثمان بن مظعون قال كنت
 اسلمت استحياء من رسول الله ﷺ لكثرة ما كان يعرض علي الإسلام ولم يقر الإسلام في قلبي فكنت ذات
 يوم عنده حال تأمله فشخص بصره نحو السماء كأنه يستفهم شيئاً فلما سري عنه سأته عن حاله فقال نعم بينا أنا
 أحدثك إذ رأيت جبرائيل في الهواء فأتاني بهذه الآية ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقرأها علي إلى آخرها ففر

الإسلام في قايي واتيت عمه ابا طالب فأخبرته فقال يا آل قريش اتبعوا محمدا ^{صلى الله عليه وسلم} ترشدوا فإنه لا يأمركم إلا بمكارم الأخلاق وأتيت الوليد بن المغيرة وقرأت عليه هذه الآية فقال ان كان محمد قاله فنعم ما قال وان قاله ربه فنعم ما قال قال فأترز الله أنفريت الذي تولى واعطى قليلا واكدي يعني قوله فنعم ما قال ومعنى قوله واكدي انه لم يقم على ما قاله وقطعه وعن عكرمة قال ان النبي ^{صلى الله عليه وسلم} قرأ هذه الآية على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن اخي اعد فأعاد فقال ان له خلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمشر وان اسفله لمعقد وما هو قول البشر

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله وتزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء بما قبله انه سبحانه لما بين ان الانبياء تشهد على أممهم يوم القيامة بين عقبيه انه سبحانه قد كاف الجميع وازاح عنهم في التكليف بأن أنزل القرآن بما فيه من البيان والهداية والرحمة والبشارة لأهل الإيمان وانهم إذا عوقبوا فانما اتوا في ذلك من قبل نفوسهم وهذا كله مما يدخل في الشهادة ووجه اتصال قوله ان الله يأمر بالعدل الآية بما قبله انه سبحانه لما ذكر القرآن بين عقبيه ما يأمر به وينهى عنه فيه وقيل انه يتصل بقوله ويوم نبث كأنه قال بعد ذكر القيامة والشهود انه يأمر بالعدل وينهى عن الظلم فاعلموا انه سبحانه لا يظلم احدا بل يعدل ويتفضل ولذلك جاء بالشهود ليشهدوا على اممهم اتوا فيما لا قوه من العذاب من قبل انفسهم

قوله تعالى (٩١) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ (٩٢) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٣) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤) وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ أربع آيات

﴿ اللغة ﴾

التوكيد التشديد واوكد عقدك أي شده وهي لغة أهل الحجاز وأهل نجد يقولون اكدت تأكيدا والانكاث الانقاض واحدها نكث والنكث المصدر وهذا قول لا نكثة فيه أي لا خلف وكل شيء نقض بعد القتل فهو انكاث حبلا كان او غزلا والحبل منتكث أي منتقض ومنه سموا من تابع الإمام طائعا ثم خرج عليه نكثا لأنه نقض ما وكذ على نفسه بالإيمان واليهود كفعل الناكثة غزلا والدخل ما ادخل في الشيء على فساد وقيل الدخل الدغل والحديعة وانما قيل الدخل لأن داخل القلب على ترك الوفاء والظاهر على الوفاء قال ابو عبيدة كل امر لم يكن صحيحا فهو دخل وكل ما دخله عيب فهو مدخول واربي افعال من الربا وهو الزيادة ومنه الربوة والربا في المال واربي فلان للزيادة التي تريدها على عزيمة في رأس ماله قال الشاعر

واسمر خطي كأن كعوبه نوى القسب قد اربى ذراعا على العشر

﴿ الاعراب ﴾

انكاثا منصوب لأنه في معنى المصدر دخلا بينكم منصوب لأنه مفعول له والمعنى تتخذون ايمانكم للدخل

والغش وقوله ان تكون امة على تقدير بان تكون امة وهي اربى موضع اربى رفع مبتدأ وخبره كلامه في محل نصب بأنه خبر كان وقال الفراء ان موضع اربى نصب وهي عماد وهذا لا يجوز لأن الفصل الذي يسميه الكوفيون عادا لا يدخل بين النكرة وخبره وقد اخطأ أيضا بأن شبه ذلك بقوله تجدوه عند الله هو خيرا فإن الهاء في تجدوه معرفة وهاهنا امة نكرة فلا يشبه ذلك ويجوز ان تكون الجملة صفة لا امة ولا يحتاج تكون إلى خبر لأنه بمعنى يحدث ويقع وامة فاعله وتقديره كراهة ان تكون فهو مفعول له ولئلا يكون عند الكوفيين

— المعنى —

لما تقدم ذكر الأمر بالعدل والاحسان والنهي عن المنكر والعدوان عقبه سبحانه بالأمر بالوفاء بالعهد والنهي عن نقض الأيمان فقال (واوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) قال ابن عباس الوعد من العهد وقال المفسرون العهد الذي يجب الوفاء به والوعد هو الذي يحسن فعله وعاهد الله ليفعله فإنه يصير واجبا عليه (ولا تنقضوا الأيمان بعدتوكيدها) هذا نهي منه سبحانه عن نكث الأيمان وهو ان ينقضها بخلافه موجبا وارتكاب ما يخالف عقدها وقوله بعدتوكيدها أي بعد عقدها وبراءها وتوثيقها باسم الله تعالى وقيل بعد تشديدها وتغليظها بالعزم والعقد على اليمين بخلاف امر اليمين عن ابي مسلم (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) أي حسيبا فيما عاهدتموه عليه وقيل كفيلا بالوفاء وذلك ان من حلف بالله فكأنه اكفل الله بالوفاء بما حلف وقيل انه قولهم الله علي كفيل أو وكيل وقيل أراد به ان الكفيل بالشيء يكون حفيظا له والإنسان انما يؤكده الأمر على نفسه بذكر اسم الله تعالى على جهة اليمين ليحفظ سبحانه ذلك الأمر (ان الله يعلم ما تفعلون) من نقض العهد والوفاء به فإياكم ان تلقوه وقد نقضتم وهذه الآية نزلت في الذين بايعوا النبي ﷺ على الاسلام فقال سبحانه للمسلمين الذين بايعوه لا يحملنكم قسلة المسلمين وكثرة المشركين على نقض البيعة فإن الله حافظكم أي اثبتوا على ما عاهدتم عليه الرسول واكذبتمه بالأيمان وقيل نزلت في قوم خافوا قوما فجاءهم قوم وقالوا نحن أكثر منهم وازدوا قويا فانقضوا ذلك العهد وخالفونا (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة) أي لا تكونوا كالامراة التي غزلت ثم نقضت غزلها من بعد امرار وقل للفرل وهي امراة حقا من قريش كانت تغزل مع جواربها إلى انتصاف النهار ثم تأمرهن ان ينقضن ما غزلن ولا يزال ذلك دأبها واسمها ربيعة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة وكانت تسمى خرقاء مكة عن الكلابي وقيل انه مثل ضربه الله تعالى شبه فيه حال ناقض العهد بن كان كذلك (انكاثا) جمع نكث وهو الغزل من الصوف والشعر يبرم ثم ينكث وينقض ليغزل ثانية (تتخذون ايمانكم دخلا بينكم) اي دخلا وخيانة ومكرا وذلك انهم كانوا يخلفون في عهودهم ويضمرون الخيانة وكان الناس يسكنون إلى عهدهم ثم ينقضون العهد فقد اتخذوا ايمانهم مكرا وخيانة (ان تكون امة هي اربى من امة) اي لا تنقضوا العهد بسبب ان يكون قوم اكثر من قوم وامة اعلى من امة ولاجل ذلك وتقديره ولا تنكثوا ايمانكم متخذوها دخلا وغدرا وخديعة لمداراتكم قوما هم اكثر عددا ممن حلفتم له ولقلتمكم وكثرتهم بل عليكم الوفاء بما حلفتم والحفظ لما عاهدتم عليه (انما يبلاوكم الله به) اي انما يختبركم الله بالأمر بالوفاء والهاء في به عائدة على الأمر وتحقيقه انه يعاملكم معاملة المختبر ليقع الجزاء بحسب العمل (وليبيتن) اي وليفصلن (لكم يوم القيامة ما كنتم فيه) اي في صحته (تختلفون) وليظهرن لكم حكمه حتى يعرف الحق من الباطل (وارشء لجملكم امة واحدة) اي لجملكم مهتدين يعني به مشينة القدرة كما قال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى (ولكن يضل من يشاء) بالخذلان او بالحكم عليه بالضلال (ويهدي من يشاء) بالتوفيق وبالحكم عليه بالهداية وقد ذكرنا معاني الضلال والهدى في سورة البقرة (ولتستلن عما كنتم تعملون) من الطاعات والمعاصي فستجازون على كل منها بقدرة (ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم) نهي سبحانه عن الحلف على امر يكون باطنه بخلاف ظاهره فيضمم خلاف ما يظهر أي يضمم الخلف

والحنث فيه (فتزل قدم بعد ثبوتها) هذا مثل ضربه الله تعالى ومعناه فتضلوا عن الرشدي بعد ان تكونوا على هدي يقال زل قدم فلان في امر كذا اذا عدل عن الصواب وقيل معناه فيسخط الله عليكم بعد رضاه عنكم لأن ثبات القدم تكون برضاه الله سبحانه وزلة القدم تكون بسخطه وقيل انها نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ على نصرته الاسلام وأهله فنهوا عن نقض ذلك (وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله) أي تذوقوا العذاب بما منعتم الناس عن اتباع دين الله (ولكن) مع ذلك (عذاب عظيم) يريد عذاب الآخرة وروي عن سلمان الفارسي «ره» انه قال تهلك هذه الأمة بنقض موثيقها وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال نزلت هذه الآيات في ولايته علي (ع) وما كان من قول رسول الله ﷺ سلموا علي علي بأمرة المؤمنين

✽ النظم ✽

وجه اتصال قوله ولو شاء الله لجمعكم امة واحدة الآية بما قبله انه اخبر في الآية المتقدمة انه يبين لهم في الآخرة الحق من الباطل والمحق من المبطل بيان ضرورة فأخبر عقيب ذلك انه يقدر على ذلك أيضا في الدنيا ولكنه لم يفعل ذلك ليستحق الناس الثواب بأعمالهم

قوله تعالى (٩٥) وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٦) مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٨) فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٩) إِنَّهُ لَبَسَ لَهُ سُلْطَانَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (١٠٠) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهٖ مُشْرِكُونَ ست آيات

✽ القراءة ✽

قرأ ابو جعفر وابن كثير وعاصم ولنجزين بالنون والباقون بالياء وروي عياش عن ابي عمرو بالنون ايضا

✽ الحجة ✽

حجة الياء وما عند الله باق والنون في المعنى مثل الياء

✽ اللفظ ✽

التفاد الفناء ونقد الشيء ينقد نفاذا إذا فني وانقد القوم إذا فني زادهم وناقدت الرجل مثل حاكمته ومعناه يرجع إلى ان كل واحد من الخصمين يريد نفاذ حجة الآخر ومنه الحديث ان نافدتهم نافدوك ومن الناس من يرويه بالقاف والمعنى ان قات قالوا لك والباقي هو الموجود المستمر وجوده وقيل الموجود عن وجود من غير فصل وضده الفاني وهو المدموم بعد الوجود واختلاف المتكلمون في الباقي فقال الباخي انه يبقى بمعنى هو بقاء وقال الاكثرون لا يحتاج إلى معنى به يبقى والبقاء هو استمرار الوجود والاستعاذة طلب المعاذ استفعال من العوذة والعباد والله سبحانه معاذ من عاذبه وقال النبي ﷺ للمرأة التي قالت له اعوذ

بالله منك لقد عدت بماذا فالحق بأهلك واصل السلطان من التسلط وهو القهر وانما سميت الحجة سلطانا لأن
الخصم به يقهر وقيل اشتق من السليط وهو دهن الزيت وسميت الحجة سلطانا لاضاءتها وفي الحديث عن
ابن عباس رأيت عليا وكان عينيه سراجا سليط

✽ الاعراب ✽

ما عند الله اسم ان وهو فصل وخير وخبره وما عندكم مبتدأ وينفذ خبره وكذلك ما عند الله باق وانما
قال ولنجزينهم بلفظ الجمع لأن لفظ من يقع على الواحد والجمع فرد الضمير على المعنى

= النزول =

قال ابن عباس ان رجلا من حضرموت يقال له عبدان الاشرع قال يا رسول الله ان امرأ القيس
الكندي جاورني في ارضي فاقتطعت من ارضي فذهب بها مني والقوم يعلمون اني لصادق ولكنه اكرم
عليهم مني فسأل رسول الله ﷺ امرأ القيس عنه فقال لا أدري ما يقول فأمره ان يحلف فقال عبدان
انه فاجر لا يبالي ان يحلف فقال ان لم يكن لك شهود فخذ بيمينه فلما قام ليحلف انظره فانصرفا فنزل قوله
ولا تشتروا بعهد الله الا بتان فلما قرأها رسول الله ﷺ قال امرؤ القيس اما ما عندي فينفذ وهو صادق
فيا يقول لقد اقتطعت أرضه ولم أدركم هي فليأخذ من أرضي ما شاء ومثلها معها بما اكلت من ثمرها فنزل
فيه ومن عمل صالحا الآية

✽ المعنى ✽

لما تقدم النهي عن نقض العهد أكد سبحانه فقال (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) اي لا تخالفوا عهد الله
بسبب شيء يسير تنالونه من حطام الدنيا فتكونوا قد بتمت عظيم ما عند الله بالشيء الحقير (ان ما عند الله هو خير
لكم) معناه ان الذي عند الله من الثواب على الوفاء بالعهود خير لكم واشرف مما تأخذونه من عرض الدنيا على
نقضها فإن القليل الذي يبقى خير من الكثير الذي يفتى فكيف بالكثير الذي يبقى في مقابلة القليل الذي
يفنى (ان كنتم تعملون) الفرق بين الخير والشر والتفاوت الذي بين القليل الغاني والكثير الباقي (ما عندكم
ينفذ وما عند الله باق) بين سبحانه بهذا ان العلة التي لأجلها كان الثواب خيرا من متاع الدنيا هو ان الثواب
الذي عند الله يبقى والذي عندكم من نعيم الدنيا يفنى ثم اخبر سبحانه انه يميز الصابرين فقال (ولنجزين الذين
صبروا) اي لنكافئن الذين ثبتوا على الطاعات وعلى الوفاء بالعهود (اجرهم) وثوابهم (باحسن ما كانوا يعملون)
اي بالطاعات من الواجبات والمندوبات فإن افعال المكلف قد تكون طاعة وقد تكون مباحا لا يقع الجزاء
عليه ولا يستحق عليه أجر ولا حمد فلذلك قال سبحانه باحسن فإن الطاعة احسن من المباح وهذا يدل على فساد
قول من يقول انه لا يكون حسن احسن من حسن (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن) هذا وعد من
الله سبحانه اي من عمل عملا صالحا سواء كان ذكرا او انثى وهو مع ذلك مؤمن مصدق بتوحيد الله مقرر بصدق
انبيائه (فلنجزيه حياة طيبة) قيل فيه اقوال ✽ احدها ✽ ان الحياة الطيبة الرزق الحلال عن ابن عباس وسعيد
بن جبير وعطاء ✽ وثانيها ✽ انها القناعة والرضا بما قسم الله عن الحسن ووهب وروي ذلك عن النبي ﷺ
✽ وثالثها ✽ انها الجنة عن قتادة ومجاهد وابن زيد قال الحسن لا يطيب لأحد حياة الا في الجنة وقال ابن زيد
الا ترى الى قوله يا ليتني قدمت لحياتي ✽ ورابعها ✽ انها رزق يوم يوم ✽ وخامسها ✽ انها حياة طيبة في القبر
(ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) مر تفسيره وانما كرره تأكيداً (فاذا قرأت القرآن فاستمعذ
بالله من الشيطان الرجيم) معناه اذا اردت يا محمد قراءة القرآن فاستعذ بالله من شر الشيطان المرجوم المطرود

الملعون وهذا كما يقال اذا اكلت فاغسل يديك واذا صليت فكبر ومنه اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم والاستعاذة استدفاع الاديء بالأعلى على وجه الخضوع والتذلل وتأويله استعذ بالله من وسوسة الشيطان عند قراءتك لتسلم في التلاوة من الزلل وفي التأويل من الخطل والاستعاذة عند التلاوة مستحبة غير واجبة بلا خلاف في الصلاة وخارج الصلاة وقد تقدم ذكر اختلاف القراء في لفظ الاستعاذة في اول الفاتحة (انه) يعني الشيطان (ليس له سلطان) اي تسلط وقدره (على الذين آمنوا) بالله (وعلى ربهم يتوكلون) والمعنى انه لا يقدر على ان يكرههم على الكفر والمعاصي وقيل معناه ليس له حجة على ما يدعوهم اليه من المعاصي عن فتادة (إنما سلطانه على الذين يتولونه) معناه إنما تسلطه على الذين بطيعونه يقبلون دعاءه ويتبعون اغواءه (والذين هم به) اي بسبب طاعته (مشركون) بالله وقيل معناه والذين هم بالله مشركون اي بشركون مع الله سبحانه غيره في العبادة عن مجاهد

﴿ النظم ﴾

اتصل قوله فإذا قرأت القرآن الآيات بما قدمه سبحانه من الأمر بالطاعات فعقب ذلك بالاستعاذة من الشيطان الأمر بالمعاصي تحذيراً منه وإنما خص بالقرآن لأن القرآن هو العمدة في جميع أمور الدين وقيل اتصل بقوله وانزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ثم اعترض ذكر الأوامر والنواهي ثم عاد الكلام الى ذكر القرآن والأمر بالاستعاذة عند قراءته

قوله تعالى (١٠١) وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠٢) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٣) وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٤) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٥) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ بلحدون بفتح الياء والحاء اهل الكوفة غير عاصم والباقون بلحدون بضم الياء وكسر الحاء وروي في الشواذ عن الحسن اللسان الذي بلحدون اليه بالالف واللام

— الحجة —

حجة من قرأ بلحدون قوله ومن يرد فيه بالحاء ومن قرأ بلحدون فلأن لحد لغة في الحد وذلك اذا مال ومنه أخذ اللحد لأنه في جانب القبر ويكون الضم ارجح من حيث لغة التنزيل

— اللغة —

التبديل في اللغة رفع الشيء مع وضع غيره مكانه يقال بدله وابدله واستبدل به بمعنى واللسان العضو المعروف ويقال للغة اللسان وتقول العرب للقصيد هذه لسان فلان قال الشاعر

لسان السوء تهديها الينا وحننت وما حسبتك ان تحينا

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه مخبراً عن احوال الكفار (واذا بدلنا آية مكان آية) معناه واذا نسخنا آية وآتيناهم مكانها آية

اخرى إمانسخ الحكم والتلاوة وإمانسخ الحكم مع بقاء التلاوة (والله اعلم بما ينزل) معناه والله اعلم بمصالح ما ينزل
 فينزل كل وقت ما توجه المصلحة وقد تختلف المصالح باختلاف الاوقات كما تختلف باختلاف الاجناس والصفات
 (قالوا انما انت مفتر) اي قلل المشركون انما انت كاذب على الله قال ابن عباس كانوا يقولون بسخر محمد
 باصحابه يا مرهم اليوم يا مر وغدا يا مرهم يا مروان لكاذب بايديهم بما يقول من عند نفسه (بل اكثرهم لا يعلمون)
 اية لا يعلمون انه من عند الله او لا يعلمون جواز النسخ ولاي سبب ورد النسخ (قل يا محمد) نزله روح
 القدس) اي انزل الناسخ جبرائيل (ع) (من ربك بالحق) اي بالامر الحق الصحيح الثابت (ليثبت الذين
 آمنوا) بما فيه من الحجج والآيات فيزدادوا تصديقا وبقينا ومعنى تثبيته استدعاؤه لهم بالطافة ومعونه الى الثبات
 على الايمان والطاعة (وهدي) اي وهو هدى فيكون هدى خبير مبتدأ محذوف (وبشرى للمسلمين) اي
 بشارة لهم بالجنة والثواب (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر) يقول سبحانه انا نعلم ان الكفار يقولون
 ان القرآن ليس من عند الله وانما يعلم النبي صلى الله عليه وسلم بشر قال ابن عباس قالت قريش انما يعلمه بلعام وكان
 قينا بمكة روميا نصرانيا وقال الضحاك اراد به سلمان الفارسي (ره) قالوا انه يتعلم القصص منه وقال مجاهد
 وقتادة ارادوا به عبدا لبني الحضرمي روميا يقال له يعيش او عائش صاحب كتاب اسلم وحسن اسلامه وقال
 عبد الله بن مسلم كان غلامان في الجاهلية نصرانيان من اهل عين النمر اسم احدهما يسار واسم الآخر
 خير كانا صيقلين يقرآن كتابا لهما بلسانهما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما مر بهما واستمع لقراءتهما فقالوا
 انما يتعلم منهما ثم الزمهم الله تعالى الحجة واكذبهم بأن قال (لسان الذي يلحدون اليه اعجمي) اي لغة
 الذي يضيفون اليه التعليل ويميلون اليه القول اعجمية ولم يقل اعجمي لأن العجمي هو المنسوب الى العجم
 وان كان فصيحاً والاعجمي هو الذي لا يفصح وان كان عربيا الا ترى ان سبويه كان عجميا وان كان لسانه
 لسان اللغة العربية وقيل يلحدون اليه يرمون اليه ويرغمون انه يعلمك اي لسان هذا البشر الذي يزعمون انه
 يعلمك اعجمي لا يفصح ولا يتكلم بالعربية فكيف يتعلم منه ما هو في اعلى طبقات البيان (وهذا) القرآن
 (لسان عربي مبين) اي ظاهريين لا يشكك يعني اذا كانت العرب تعجز عن الاتيان بمثله وهو بلغتهم
 فكيف يأتي الأعجمي بمثله قال الزجاج وصفه بأنه عربي اي صاحبه يتكلم بالعربية ثم اتبع سبحانه هذه
 الآية بذكر الوعيد للكفار على ما قالوه فقال (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) اي بحجج الله التي اظهرها
 والمعجزات التي صدق بها قومك يا محمد (لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم) اي لا يشبههم الله على الايمان او لا يهديهم الى
 طريق الجنة بدلالة انه انما نفى هداية من لا يؤمن فالظاهر انه اراد بذلك الهدى الذي يكون ثوبا على الايمان
 لا الهداية التي في قوله فأما ثمود فهديناهم ثم بين سبحانه ان هؤلاء هم المفترون فقال (انما يفترى الكذب
 الذين لا يؤمنون بآيات الله) اي انما يخترع الكذب الذين لا يصدقون بدلائل الله تعالى دون من آمن
 بها لأن الايمان يججز عن الكذب (وأولئك هم الكاذبون) لا انت يا محمد فخصر فيهم الكذب بمعنى ان
 الكذب لازم لهم وعادة من عاداتهم وهذا كما تقول كذبت وانت كاذب فيكون قولك انت كاذب
 زيادة في الوصف بالكذب وفي الآية زجر عن الكذب حيث اخبر سبحانه انه انما يفترى الكذب من
 لا يؤمن وقد روي مرفوعا انه قيل يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قيل يا رسول الله المؤمن
 يسرق قال قد يكون ذلك قيل يا رسول الله المؤمن يكذب قال لا ثم قرأ هذه الآية

(=) (النظم) (=)

قيل في اتصال قوله وإذا بدلنا آية مكان آية بما تقدم وجهان ﴿﴾ احدهما ﴿﴾ انه من تمام صفة اولياء الشيطان

المذكورين في قوله على الذين يتولونه وتقديره يتولون الشيطان ويشركون بالآية المنزلة ويقولون عند تبديل الآية مكان الآية الأخرى إنما أنت مفتر * والآخر * ان الآية منقطعة عما قبلها وهي معطوفة على الآية المتقدمة التي فيها وصف أفعال الكافرين والاول أوجه

قوله تعالى (١٠٦) مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٩) لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١١٠) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاءَهُمْ وَصَرُّوا إِلَىٰ رَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغُفُورٌ رَحِيمٌ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر فتنوا بفتح الفاء والتاء والباقون فتنوا بضم الفاء وكسر التاء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من قرأ فتنوا ان الآية في المستضعفين المقيمين الذين كانوا بمكة وهم صهيب وعمار وبلال فتنوا وحملوا على الارتداد عن دينهم فمنهم من اعطى التقية وعمار منهم فانه من اظهر ذلك تقية ثم هاجر ومن قرأ فتنوا فيكون على معنى فنن نفسه باظهار ما اظهر من التقية فكأنه يحكي الحال التي كانوا عليها من اظهار ما اخذوا به من التقية لأن الرخصة فيه لم تكن نزلت بعد وهي قوله ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم إلى قوله إلا المستضعفين وقوله من كفر بالله من بعد إيمانه إلا ومن اكرهه وقلبه مطمئن بالإيمان = (الاعراب) =

قال الزجاج قوله من كفر بالله في موضع رفع على البدل من الكاذبين وهو تفسير للكاذبين ولا يجوز ان يكون رفعا بالابتداء لأنه لا خبر هاهنا للابتداء فإن قوله من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من اكرهه وقلبه مطمئن بالإيمان ليس بكلام تام وقوله فعليهم غضب من الله خبر قوله من شرح بالكفر صدرا وقال الكوفيون من كفر شرط وجوابه يدل عليه جواب من شرح فكأنه قيل من كفر فعليه غضب من الله وهذا كقولهم من يأتنا فنن يحسن نكرمه فجواب الأول محذوف وقوله انهم في الآخرة هم الخاسرون يجوز ان يكون في موضع رفع على ان يكون قوله لا من لا جرم ردا للكلام والمعنى وجب انهم ويجوز ان يكون في موضع نصب على ان يكون المعنى جرم فعلهم هذا انهم الخاسرون وتكون لا مزيدة ويجوز ان يكون معناه لا بد انهم فيكون على حذف الجار اي لا بد من ذلك ثم ان ربك - خبر ان قوله غفور رحيم وهذا من باب ماجاء في التنزيل ان فيه مكررا وكذلك الآية التي تأتي بعد ثم ان ربك للذين عملوا السوء الآية

﴿ النزول ﴾

قيل نزل قوله إلا من اكرهه وقلبه مطمئن بالإيمان في جماعة اكرهوا وهم عمار وياسر ابوه وامه سمية

وصهيب وبلال وخباب عذبوا وقتل أبو عمار وامة واعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا منه ثم اخبر سبحانه بذلك رسول الله ﷺ فقال قوم كفر عمار فقال ﷺ كلا ان عمارا ملي ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه وجاء عمار الى رسول الله ﷺ وهو يبكي فقال ﷺ ما وراءك فقال شربا رسول الله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آهتهم بخير فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه ويقول ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت الآية عن ابن عباس وقتادة وقيل نزلت في اناس من اهل مكة آمنوا وخرجوا يريدون المدينة فأدر بهم قريش وفتنهم فتكلموا بكلمة الكفر كارهين عن مجاهد وقيل ان ياسرا وسمية ابوي عمار اول شهيدين في الاسلام وقوله من كفر بالله ومن شرح بالكفر صدرا وهو عبد الله بن سعد ابن ابي سرح من بني عامر بن لوئي واما قوله ثم ان ربك للذين هاجروا الآية فقيل انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الرضاعة وابي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وغيرهم من اهل مكة فتنهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ثم انهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا فنزلت الآية فيهم

✽ المعنى ✽

(من كفر بالله من بعد إيمانه) اختلف في تقديره فقيل ان تقديره وتلخيص معناه من كفر بالله بأن يراد عن الاسلام وشرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم (الا من اكره) فتكلم بكلمة الكفر على وجه التقية مكرها (وقلبه مطمئن) أي ساكن (بالايمان) ثابت عليه فلا حرج عليه في ذلك وقيل أنه يتصل بما تقدم فمعناه انما يقنري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه ثم استثنى من ذلك من اكره على ذلك وكان مطمئن القلب الى الايمان في باطنه فإنه بخلافه (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أي من اتسع قلبه للكفر وطابت نفسه به (فعليهم غضب من الله) وله العذاب في الآخرة ثم اشار سبحانه الى العذاب العظيم فقال (ذلك بأنهم استحبوا) أي آثروا (الحياة الدنيا) والتلذذ فيها والركون اليها (على الآخرة) عني بذلك انهم فعلوا ما فعلوه للدنيا طلبا لها دون طلب الآخرة (وان الله لا يهدي القوم الكافرين) قد سبق معناه (أو لئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم) قد سبق معنى الطبع على القلوب والسمع والابصار في سورة البقرة (أو لئك هم الغافلون) وصفهم بعموم الغفلة مع ان الخواطر تزعمهم لجهلهم عما يؤدى اليه حالهم في الآخرة وقيل اراد انهم بمنزلة الغافلين فيكون تهجينا لهم وذما ثم قال (لاجرم انهم في الآخرة هم الخاسرون) هذا تأكيد لحكم الخسار عليهم يعني انهم هم المغبونون إذ حرموا الجنة ونعيمها وعذبوا في النار) ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا (أي عذبوا في الله وارتدوا على الكفر فأعطوهم بعض ما أرادوا لیسلموا من شرهم (ثم جاهدوا) مع النبي ﷺ (وصبروا) على الدين والجهاد (ان ربك من بعدها) أي من بعد تلك الفتنة أو تلك الغفلة التي فعلوها من التفوه بكلمة الكفر (انفقر رحيم)

✽ النظم ✽

وانصلت هذه الآية الأخيرة بقوله إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان فبين سبحانه حالهم بعدما تخلصوا من المشركين وهاجروا وجاهدوا عن ابي مسلم وقيل انه لما تقدم ذكر الخاسرين اتبعه سبحانه بذكر من رحمت صفته وهو من هاجر وجاهد

قوله تعالى (١١١) يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَبَدُّلًا عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ

لَا يُظْلَمُونَ (١١٢) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١١٤) فَكُلُّوا مِنْهَا رِزْقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِبْرَاهِيمَ تَعْبُدُونَ (١١٥) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ خمس آيات

(= القراءه) =

قرأ عباس بن الفضل عن ابي عمرو والخوف بالنصب والباقون بالجر وفي الشواذ قراءة الأعرج وابن يعمر وابن اسحاق وعمرو بن نعيم بن ميسرة لما نصف الستم الكذب بالجر وقراءة مسلم بن محارب الكذب - (الحجية) -

من قرأ والخوف بالنصب فإنه حمله على الاذاقة والخوف لا يذاق على الحقيقة فحمله على اللباس اولى وقوله والكذب بالجر يكون على البدل من ما تصف واما الكذب فهو وصف الالسنه وهو جمع كاذب أو كذوب

✽ اللغة ✽

الأنعم جمع نعمة فهو مثل شدة واشد وقيل ان واحدها نعم فهو كغصن وانصن وقيل واحدها نعماء فيكون كبأساء وأبؤس وقوله أذاقها الله استعارة تقول العرب اركب هذا الفرس وذقه اي اختبره قال الشاخب

فذاق فأعطاه من اللين جانباً كفى ولها ان يغرق السهم حاجز
يصف قوسا وقال الآخر

وان الله ذاق حلوم قيس فلما رآه خفتها قلاها

✽ الاعراب ✽

يوم تأتي منصوب على احد شيئين اما على معنى ان ربك لغفور رحيم يوم تأتي واما ان يكون على معنى العظة والتذكير أي اذ كر يوم تأتي عن الزجاج

- المعنى -

(يوم تأتي كل نفس) أراد به يوم القيامة (تجادل عن نفسها) أي تخاصم الملائكة عن نفسها وتحتج بما ليس فيه حجة وتقول والله ربنا ما كنا مشركين ويقول اتباعهم ربنا هو لا اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ويحتمل ان يكون المراد انها تحتج عن نفسها بما تقدر به ازالة العقاب عنها (وتوفى كل نفس ما عملت) أي جزاء ما عملت من خير وشر (وهم لا يظلمون) في ذلك (وضرب الله مثلا قرية) أي مثل قرية (كانت آمنة) أي ذات أمن يأمن فيها أهلها لا يفار عليهم (مطمئنة) قارة ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها بخوف او ضيق (يأتيها رزقها رغدا من كل مكان) أي يحمل اليها الرزق الواسع من كل موضع ومن كل بلد كما قال سبحانه يجبي اليه ثمرات كل شيء (فكفرت بأنعم الله) أي فكفر اهل تلك القرية بأنعم الله ولم

يؤدوا شكرها (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) أي فأخذهم الله بالجوع والخوف بصنيعهم وسوء فعلهم وسمى اثر الجوع والخوف لباسا لأن اثر الجوع والهزال يظهر على الإنسان كما يظهر اللباس وقيل لأنهم شملهم الجوع والخوف كما يشمل اللباس البدن وقيل ان هذه القرية هي مكة عن ابن عباس وجاهد وقناة عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى اكلوا القد والعلهز وهو الوبر يخلط بالدم والقراد ثم يؤكل وهم مع ذلك خائفون وجلون من النبي ﷺ واصحابه يغيرون عليهم قوافلهم وذلك حين دعا النبي ﷺ عليهم فقال اللهم اشد وطأتك على مضر واجعل عليهم سنين كسني يوسف وقيل انها قرية كانت قبل نبينا ﷺ بعث الله اليهم نبيا فكفروا بذلك النبي وقتلوه فعذبهم الله بمذاب الاستئصال (ولقد جاءهم رسول منهم) يعني أهل مكة بعث الله عليهم رسولا من صميمهم ليتبعوه لا من غيرهم فكذبوه وجحدوا نبوته (فأخذهم العذاب وهم ظالمون) أي في حال كونهم ظالمين وعذبهم ما حل بهم من الجوع والخوف المذكورين في الآية المتقدمة وما نالهم يوم بدر وغيره من القتل ومن قال ان المراد بالقرية غير مكة قال هذه صورة القرية المذكورة ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) صيغته صيغة الأمر والمراد به الإباحة أي كالأمر بما اعطاكم الله من الغنائم واحلها لكم (واشكروا نعمة الله) فيما خلقه لكم واحلها لكم (ان كنتم اياه تعبدون) وهذه الآية مع التي بعدها مفسرة في سورة البقرة

قوله تعالى (١١٦) وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَسْنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٧) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٨) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَّا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٩) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ أربع آيات

✽ الإعراب ✽

متاع قليل خبر مبتدأ محذوف وتقديره متاعهم بهذا الذي فعلوه متاع قليل وتم الكلام عند قوله لا يفلحون

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر ما احله الله سبحانه لهم وحرمه عليهم عقبه سبحانه بالنهي عن مخالفة او امره ونوايه في التحليل والتحرير فقال (ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب) وتقديره لوصف السنتكم الكذب (هذا حلال وهذا حرام) اي لا تقولوا لما حلتتموه بانفسكم مثل الميتة هذا حلال ولما حرمتتموه مثل السائبة هذا حرام (لتفتروا على الله الكذب) اي لتكذبوا على الله في اضافة التحريم اليه (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) اي لا ينجحون من عذاب الله. ولا يتالون خيرا (متاع قليل) معناه الذين هم فيه من الدنيا بشي قليل ينتفعون به اياما قلائل (ولهم عذاب أليم) في الآخرة (وعلى الذين هادوا) يعني اليهود (حرمتنا ما قصصنا عليك من قبل) يعني بذلك ما ذكره في سورة الانعام من قوله وعلى الذين هادوا حرمتنا كل ذي ظفر الآية عن الحسن وقناة وعكرمة وعنى بقوله من قبل نزول هذه الآية لأن ما في سورة الانعام نزل قبل هذه الآية (وما ظلمناهم) بتحريم ذلك عليهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بالعصيان والكفر بنعم الله تعالى والجهود بانبيائه واستحقوا بذلك تحريم هذه الاشياء عليهم لتغيير المصلحة عند كفرهم وعصيانهم

ثم ذكر سبحانه التائبين بعد تقدم الوعد والوعيد فقال (ثم إن ربك) الذي خلقك يا محمد (لذنب عملوا السوء أي المعصية (بجهالة) أي بداعي الجهل فإنه يدعو إلى التوب) كما أن داعي العلم يدعو إلى الحسن وقيل بجهالة السيئات أو بجهالتهم للعاقبة وقيل بجهالة أنها سوء وقيل الجهالة هو أن يعجل بالاقدم عليها وبعد نفسه التوبة عنها (ثم تابوا) عن تلك المعصية (من بعد ذلك واصلحوا) نياتهم وفعالهم (إن ربك من بعدها) أي من بعد التوبة أو الجهالة أو المعصية (لغفور رحيم) واعداد قوله إن ربك لنا أكيد وليعود الضمير في قوله من بعدها إلى الفعلة

✽ النظم ✽

انما اتصل قوله وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك بما تقدم ذكره من التحريم والتحليل ليبين ان ما كانوا يحرمونه ويحللونه بزعمهم ليس في التوراة كما انه ليس ذلك في القرآن وقيل ليبين انه اذا لم يحرم على اليهود جميع الطيبات بعصيانهم فكيف يحرم على المسلمين ذلك

قوله تعالى (١٢٠) **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢١)**
شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢٢) وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي
الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٣) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٤) إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ خمس آيات

✽ المعنى ✽

(إن إبراهيم كان أمة) اختلف في معناه فقيل قدوة ومعلما للخير قال ابن الاعرابي يقال للرجل العالم أمة وهو قول أكثر المفسرين وقيل اراد امام هدى عن قتادة وقيل سماه أمة لأن قوام الأمة كان به وقيل لأنه قام بعمل أمته وقيل لأنه اقررد في دهره بالتوحيد فكان موثنا ووحده والناس كفارا عن مجاهد (قانتا لله) أي مطيعا له دائما على عبادته عن ابن مسعود وقيل مصليا عن الحسن (حنيفاً) أي مستقيماً على الطاعة وطريق الحق وهو الاسلام (ولم يك من المشركين) بل كان موحداً (شاكراً لأنعمه) أي لأنعم الله معترفاً بها (اجتباها) الله أي اختاره الله واصفاً (وهده إلى صراط مستقيم) أي دله إلى الدين المستقيم وهو الإسلام والتوحيد (وأتيناه) أي اعطيناه (في الدنيا حسنة) أي نعمة سابقة في نفسه وفي اولاده وهو قول هذه الأمة كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وقيل هي النبوة والرسالة عن الحسن وقيل هي انه ليس من اهل دين الا وهو برضاة ويتولاه عن قتادة وقيل هي تنويه الله بذكره بطاعته لربه ومسارعتة إلى مرضاته حتى صار اماماً يقنطدى به وبهتدى بهداء وقيل هي اجابة الله دعوته حتى اكرم بالنبوة ذريته (وانه في الآخرة لمن الصالحين) ولم يقل لني اعلى منازل الصالحين مع اقتضاء حاله ذلك ترغيباً في الصلاح فإنه عز اسمه بين انه (ع) من جملة الصالحين مع علو رتبته وشرف منزلته تشريفا لهم وتنويهاً بذكر من هو منهم وناهيك بهذا الترغيب في الصلاح وبهذا المدح لا إبراهيم (ع) ان يشرف جملة هو منها حتى يصير الاستدعاء اليها بأنه فيها (ثم اوحينا اليك) يا محمد (ان اتبع ملة ابراهيم) أي امرناك باتباع ملة ابراهيم (حنيفاً) أي مستقيم الطريقة في الدعاء إلى توحيد الله وخلع الانداد له وفي العمل بسنته (وما كان) ابراهيم (من المشركين) ومتى قيل ان نبينا كان أفضل منه فكيف امر الفاضل باتباع المفضول فجوابه ان ابراهيم (ع) سبق إلى اتباع الحق ولا يكون في سبق المفضول إلى متابعة الحق ذرابة على الفاضل في اتباعه (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) معناه إنما جعل السبت لعنة ومسحاً على الذين اختلفوا فيه فحرموه ثم اسنحلوه فلعنهم

الله ومسخهم عن الحسن ويجوز ان يكون اختلافهم فيه انهم نهوا عن الصيد فيه فنصبوا الشباك يوم الجمعة ودخل فيه السمك يوم السبت واخذوه يوم الأحد وقيل معناه انما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا في امر الجمعة وهم اليهود وكانوا قد امروا بتعظيم الجمعة فعدلوا عما امروا به عن مجاهد وابن زيد وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم اليهود والنصارى قال بعضهم السبت اعظم الأيام لأن الله سبحانه فرغ فيه من خلق الأشياء وقال الآخرون بل الأحد اعظم لأنه ابتداء بخلق الأشياء فيه فهذا اختلافهم (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من امور دينهم ويفصل بين الحق والمبطل منهم

✽ النظم ✽

وجه اتصال الآية الأخيرة بما قبلها انه لما امر سبحانه باتباع الحق حذر من الاختلاف فيه بما ذكر من احوال المختلفين في السبت كيف شدد عليهم فرضه وضيق عليهم أمره وقيل انه سبحانه رد على اليهود والنصارى دعوتهم ان ابراهيم كان منهم ثم رد عليهم في هذه الآية ما اوجبه من تعظيم امر السبت وانه لا يجوز نسخه كما رد عليهم ذلك عن ابي مسلم

قوله تعالى (١٢٥) ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمتهدين (١٢٦) وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خيرا للصابرين (١٢٧) واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون (١٢٨) ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون اربع آيات

✽ القراءة ✽

قرأ ابن كثير وحده في ضيق بكسر الضاد وكذلك في النمل والباقون بفتح الضاد

✽ الحجة ✽

قال الزجاج من فتح أراد ضيق فخفف مثل سيد وهين ولين ويجوز ان يكون بمعنى الضيق فيكون مصدراً قال ابو الحسن الضيق والضيق لغتان في المصدر قال ابو علي ينبغي ان يحمل على انه مصدر لأنك إذا حملته على انه مخفف من ضيق فقد اتمت الصفة مقام الموصوف من غير ضرورة والمعنى لا تكن في ضيق أي لا بضيق صدرك من مكرهم كما قال وضائق به صدرك وليس المراد لا تكن في امر ضيق قال ابو عبيدة الضيق بالكسر في المعاش والمسكن والضيق بالفتح في القلب وقال علي بن عيسى بقال في صدري ضيق من هذا الأمر بالفتح وهو أكثر من الكسر

✽ المعنى ✽

ثم امر سبحانه نبيه بالدعاء الى الحق فقال (ادع الى سبيل ربك) أي ادع الى دينه لأنه الطريق الى مرضاته (بالحكمة) أي بالقرآن وسمي القرآن حكمة لأنه يتضمن الأمر بالحسن والنهي عن القبيح وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة اللجام وإنما قيل لها حكمة لأنها بمنزلة المانع من الفساد وما لا ينبغي ان يختار وقيل ان الحكمة هي المعرفة بمراتب الأفعال في الحسن والقبح والصلاح والفساد لأن بمعرفة ذلك يقع المنع من الفساد والاستعمال للصدق والصواب في الأفعال والأقوال (والموعظة الحسنة) معناه الوعظ الحسن وهو الصبر عن القبيح على وجه الترغيب في تركه والتزهيد في فعله وفي ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع وقيل ان الحكمة هي النبوة والموعظة الحسنة مواظب القرآن عن ابن عباس (وجادلهم بالتي هي أحسن) أي ناظرهم بالقرآن وبأحسن

ما عندك من الحجج وتقديره بالكلمة التي هي احسن والمعنى اقتل المشركين واصرفهم عما هم عليه من الشرك بالرفق والسكينة ولين الجانب في النصيحة ليكونوا اقرب إلى الأجابة فإن الجدل هو قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج وقيل هو ان يجادلهم على قدر ما يحتملونه كما جاء في الحديث امرنا معاشر الانبياء ان نكلم الناس على قدر عقولهم (إن ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله) أي عن دينه (وهو اعلم بالمهتدين) أي القابلين للهدى وهو يأمرك في الفريقين بما فيه الصلاح (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) معناه وان أردت معاقبة غيركم على وجه المجازاة والمكافاة فعاقبوا بقدر ما عوقبتهم به ولا تزيدوا عليه وقالوا ان المشركين لما مثلوا بقتلى احد وبجحزة بن عبد المطلب فشقوا بطنه وأخذت هند بنت عتبة كبده فجعلت تلوكه وجدهوا انقه وأذنه وقطعوا مذا كبره قال المسلمون لئن امكنا الله منهم لنتلن بالاحياء فضلا عن الأموات فنزلت الآية عن الشعبي وقتادة وعطاء بن يسار وقيل ان الآية عامة في كل ظلم كغصب أو نحوه فإنما يجازى بمثل ما عمل عن مجاهد وابن سيرين وابراهيم وقال الحسن نزلت الآية قبل ان يؤمر النبي ﷺ بقتال المشركين على العموم وأمر بقتال من قاتله ونظيره قوله فإن قاتلوكم فاقتلوهم (ولئن صبرتم) أي تركتم المكافاة والقصاص وجرعتم مرارته (لهو خير للصابرين) معناه الصبر خير وانفع للصابرين لما فيه من جزيل الثواب (واصبر) يا محمد فيما تبلغه من الرسالة وفيما تلقاه من الأذى وقيل معناه اصبر على ما يجب الصبر عليه وعمما يجب الصبر عنه (وما صبرك إلا بالله) أي وليس صبرك إلا بتوفيق الله واقداره وتيسيره وترغيبه فيه (ولا تحزن عليهم) أي ولا تحزن على المشركين في اعراضهم عنك فإنه يكون الظفر والنصرة لك عليهم ولا عتب عليك في اعراضهم فقد بلغت ما امرت به وقضيت ما عليك وقيل معناه ولا تحزن على قتلى أحد فإن الله تعالى قد نقلهم إلى ثوابه وكرامته (ولا تك في ضيق مما يمكرون) أي ولا يكن صدرك في ضيق من مكروهم بك وباصحابك فإن الله سبحانه يرد كيدهم في نحورهم ويحفظكم من شرورهم (ان الله مع الذين اتقوا) الشرك والفواحش والكبائر بالنصرة والحفظ والكلاءة (و) مع (الذين هم محسنون) قال الحسن اتقوا ما حرم عليهم وأحسنوا فيما فرض عليهم

(سورة بني اسرائيل)

هي مكية كلها وقيل مكية وإلا خمس آيات ولا تقتلوا النفس الآية ولا تقربوا الزنى الآية أو تلك الذين يدعون الآية أم الصلاة الآية وآت ذا القربى حقه الآية عن الحسن وقيل مكية إلا ثماني آيات وان كادوا ليفتنوك إلى قوله وقل رب ادخاني مدخل صدق الآية عن قتادة والمعدل عن ابن عباس

✽ عدد آياتها ✽

مائة واحدي عشرة آية كوفي وعشر آيات في الباقيين ✽ اختلافها ✽ آية للاذقان سجداً كوفي

✽ فضلها ✽

أبي بن كعب عن النبي ﷺ انه قال من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين اعطى في الجنة قطارين من الاجر والقططار الف اوقية ومائتا اوقية والاوقية منها خير من الدنيا وما فيها وروى الحسن ابن ابي العلاء عن الصادق (ع) انه قال من قرأ سورة بني اسرائيل في كل ليلة جمعة لم يميت حتى يدرك القائم ويكون من اصحابه

✽ تفسيرها ✽

ختم الله تعالى سورة النحل بذكر النبي ﷺ وافتتح سورة بني اسرائيل أيضا بذكره وبيان اسرته الى المسجد الاقصى فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢) وَأَتَيْنَا مُوسَى أَنْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ آلًا تَتَّخِذُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ذُرِّيَّةً مَحَلَمًا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

قرأ ابو عمرو وحده الا يتخذوا بالياء والباقون بالتاء

(- الحجة -)

من قرأ بالياء فلأن ما تقدمه على لفظ الغيبة والمعنى هديناهم لأن لا يتخذوا ومن قرأ بالتاء فللانصراف من الغيبة الى الخطاب كما في قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ثم قال إياك نعبد والضمير في الاتخذوا وان كان على لفظ الخطاب فإنما يعني به الغيب في المعنى

✽ الاعراب ✽

سبحان منصوب على المصدر على معنى اسبح لله تسييحاً قال ابو علي من زعم ان الاتخذوا على اضمار القول فكأنه يراد قال ان لاتخذوا لم يكن قوله هذا مستقيماً وذلك لأن القول لا يخلو من ان يكون بعده جملة تحكي او معنى جملة يعمل فيه لفظ القول فالأول كقوله قال زيد عمرو منطلق فموضع الجملة نصب بالقول والآخر نحو ان يقول القائل لا إله إلا الله فتقول قلت حقاً أو يقول الثلج حار فنقول قلت باطلاً فهذا معنى ما قاله وليس نفس القول وقوله ان لاتخذوا خارج من هذين الوجهين ألا ترى ان ان لاتخذوا ليس هو القول كما ان قولك حقاً إذا سمعت كلمة الاخلاص بمعنى القول وليس قوله ان لاتخذوا الجملة فيكون كقولك قال زيد عمرو منطلق ويجوز ان تكون ان بمعنى اي التي للتفسير وانصرف الكلام في الغيبة الى الخطاب كما انصرف منها الى الخطاب في قوله وانطلق الملائمة منهم ان امشوا في الأمر فكذلك انصرف في الغيبة الى الخطاب في النهي في ان لاتخذوا وكذلك قوله ان اعبدوا الله ربي وربكم في وقوع الأمر بعد الخطاب ويجوز ان يضمم القول ويحمل يتخذوا على القول المضمم إذا جعلت ان زائدة فيكون التقدير وجعلناه هدى لبني اسرائيل وقلنا لا تتخذوا فيجوز إذا في قوله ألا تتخذوا ثلاثة أوجه **أحدها** ان تكون ان الناصبة للفعل فيكون المعنى وجعلناه هدى كراهة ان يتخذوا من دوني وكيلا أو لأن لا يتخذوا **والآخر** ان يكون بمعنى أي لأنه بعد كلام تام فيكون التقدير اي لا تتخذوا **والثالث** ان تكون ان زائدة وبضمم القول فأما قوله ذرية من حملنا فانه يجوز ان يكون مفعول الاتخاذ لأنه فعل يتعدى الى مفعولين وافرد الوكيل وهو في معنى الجمع لأن فعلا يكون مفرداً للفظ والمعنى على الجمع نحو قوله وحسن أولئك رفيقاً فإذا حمل على هذا كان مفعولاً ثانياً في قراءة من قرأ بالتاء والياء ويجوز ان يكون نداء وذلك على قراءة من قرأ بالتاء لأن النداء للخطاب ولو رفع ذرية على البدل من الضمير المرفوع في ان لاتخذوا كان جائزاً ويكون التقدير الاتخذوا ذرية من حملنا مع نوح من دوني وكيلا ولو جعلته مجرداً بدلا من قولك بني اسرائيل جاز وكان التقدير وجعلناه هدى لذرية من حملنا مع نوح

✽ النزول ✽

قبل نزلت الآية في اسرائه وكان ذلك بمكة صلى المغرب في المسجد الحرام ثم اسرى به في ليلته ثم رجع فصلى الصبح في المسجد الحرام فاما الموضع الذي اسرى اليه ابن كان فإن الاسراء الى بيت المقدس وقد نطق به القرآن ولا يدفعه مسلم وما قاله بعضهم ان ذلك كان في النوم فظاهر البطلان اذ لا معجز يكون فيه ولا برهان وقد وردت روايات كثيرة في قصة المعراج في عروج نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الى السماء ورواها كثير من الصحابة مثل ابن عباس وابن مسعود وانس وجابر بن عبد الله وحذيفة وعائشة وام هاني وغيرهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزاد بعضهم ونقص بعض وتنقسم جملتها الى اربعة اوجه **الاول** ما يقطع على صحته لتواتر الاخبار به واحاطة العلم بصحته **والثاني** ما ورد في ذلك مما تجوزه العقول ولا تأباه الاصول فنحن نجوزه ثم نقطع على ان ذلك كان في يقظته دون منامه **والثالث** ما يكون ظاهره مخالفا لبعض الاصول الا انه يمكن تأويلها على وجه يوافق المعقول فالاولى ان تأوله على ما يطابق الحق والدليل **والرابع** ما لا يصح ظاهره ولا يمكن تأويله الا على التعسف البعيد فالاولى ان لا يقبله فاما الاول المقطوع به فهو انه اسرى به على الجملة واما الثاني فمنه ما روي انه طاف في السماوات ورأى الأنبياء والعرش والسدرة المنتهى والجنة والنار ونحو ذلك واما الثالث فنحو ما روي انه رأى قوماً في الجنة يتنعمون فيها وقوماً في النار يعذبون فيها فيحمل على انه رأى صفتهم او اسماءهم (واما) الرابع فنحو ما روي انه صلى الله عليه وآله وسلم كلم الله سبحانه جهرة وراه وقعد معه على سريره ونحو ذلك مما يوجب ظاهره التشبيه والله سبحانه بتقدس عن ذلك وكذلك ما روي انه شق بطنه وغسله لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان طاهرا مطهرا من كل سوء وعيب وكيف يطهر القلب وما فيه من الاعتقاد بالماء فمن جملة الاخبار الواردة في قصة المعراج ما روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اتاني جبرائيل (ع) وانا بمكة فقال قم يا محمد فقم معي وخرجت الى الباب فاذا جبرائيل ومعه ميكائيل واسرافيل فأتى جبرائيل (ع) بالبراق وكان فوق الحمار ودون البغل خده كخده الانسان وذنبه كذنب البقر وعرقه كعرق الفرس وقوائم كقوائم الاوبل عليه رحل من الجنة وله جناحان من فضة خطوه منتهى طرفه فقال ار كبت فر كبت ومضيت حتى انتهيت الى بيت المقدس ثم ساق الحديث الى ان قال فلما انتهيت الى بيت المقدس اذا ملائكة نزلت من السماء بالبخارة والكرامة من عند رب العزة وصلت في بيت المقدس وفي بعضها بشر لي ابراهيم في رهط من الانبياء ثم وصف موسى وعيسى ثم اخذ جبرائيل (ع) بيدي الى الصخرة فاقعدني عليها فاذا معراج الى السماء لم ار مثلها حسنا وجمالا فصعدت الى السماء الدنيا ورأيت عجائبها وملكوتهها وملائكتها يسلمون علي ثم صعدي جبرائيل الى السماء الثانية فرأيت فيها عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ثم صعدي الى السماء الثالثة فرأيت فيها يوسف ثم صعدي الى السماء الرابعة فرأيت فيها ادريس ثم صعدي الى السماء الخامسة فرأيت فيها هارون ثم صعدي الى السماء السادسة فاذا فيها خلق كثير يموج بعضهم في بعض وفيها الكروبيون ثم صعدي الى السابعة فابصرت فيها خلقا وملائكة وفي حديث ابي هريرة رأيت في السماء السادسة موسى ورأيت في السماء السابعة ابراهيم (ع) قال ثم جاوزناها متصاعدين الى اعلى عليين ووصف ذلك الى ان قال ثم كلمني ربي وكلمته ورأيت الجنة والنار ورأيت العرش وصدرة المنتهى ثم رجعت الى مكة فلما اصبحت حدثت به بالناس فكذبني ابو جويل والمشركون وقال مطعم بن عدي اتزعم انك سرت مسيرة شهرين في ساعة اشهد انك كاذب قالوا ثم قالت قريش اخبرنا عما رأيت فقال مررت بعير بني فلان وقد اضلوا بعيرا لهم وهم في طلبه وفي رحلهم قعب مملوء من ماء فشربت الماء ثم غطيته كما كان فسألوهم هل وجدوا الماء في القدر قالوا هذه آية واحدة قال ومررت بعير بني فلان فنفرت بكرة فلان فانكسرت بدها فسألوهم عن ذلك فقالوا هذه آية أخرى قالوا فأخبرنا عن غيرنا

قال مررت بها بالتنعيم وبين لهم اجمالها وهيئاتها وقال تقدمها جمل اوزق عليه فرارتان محيطتان ويطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا هذه آية أخرى ثم خرجوا يشتدون نحو التيه وهم يقولون لقد قضى محمد بيننا وبينه قضاء بينا وجلسوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبوه فقال قائل والله ان الشمس قد طلعت وقال آخر والله هذه الابل قد طلعت بقدمها بعير اوزق فيهنوا ولم يؤمنوا وفي تفسير العياشي بالاستناد عن ابي بكر عن ابي عبد الله (ع) قال لما اسرى برسول الله ﷺ الى السماء الدنيا لم يمر باحد من الملائكة الا استبشر قال ثم مر بملك حزين كئيب فلم يستبشر به فقال يا جبرائيل ما مررت باحد من الملائكة الا استبشر بي الا هذا الملك فمن هذا فقال هذا مالك خازن جهنم وهكذا جعله الله قال فقال له النبي ﷺ يا جبرائيل اسأله ان يرينيها قال فقال جبرائيل (ع) يا مالك هذا محمد رسول الله ﷺ وقد شكوا الي فقال ما مررت باحد من الملائكة الا استبشر بي الا هذا فاخبرته ان هكذا جعله الله وقد سألتني ان اسألك ان تربيه جهنم قال فكشف له عن طبق من اطباقها قال فما رأي رسول الله ﷺ ضاحكاً حتى قبض وعن ابي بصير قال سمعته يقول ان جبرائيل احتمل رسول الله حتى انتهى به الى مكان من السماء ثم تركه وقال له ما وطأ نبي قط مكانك

✽ المعنى ✽

(سبحان الذي اسرى بعبده) سبحان كلمة تنزيه وبراء لله عز اسمه عما لا يليق به من الصفات وقد يراد به التعجب يعني سبحان الذي سير عبده محمداً ﷺ وهو عجب من قدرة الله تعالى وتعجب ممن لم يقدر الله حق قدره واشرك به غيره وسرى بالليل واسرى بمعنى وقد عدي هنا بالباء والوجه في التأويل انه اذا كان مشاهدة العجب سبباً للتسبيح صار التسبيح تعجباً فليل سبح اي عجب (ليلاً) قالوا كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة (من المسجد الحرام) وقال اكثر المفسرين اسرى برسول الله ﷺ من دار ام هاني اخت علي بن ابي طالب وزوجها هبيرة بن ابي وهب المخزومي وكان ﷺ نائماً تلك الليلة في بيتها وان المراد بالمسجد الحرام هنا مكة ومكة والحرم كلها مسجد وقال الحسن وقتادة كان الاسراء من نفس المسجد الحرام (إلى المسجد الأقصى) يعني بيت المقدس وإنما قال الأقصى لبعده المسافة بينه وبين المسجد الحرام (الذي باركنا حوله) اي جعلنا البركة فيما حوله من الاشجار والثمار والنبات والأمن والخصب حتى لا يحتاجوا الى ان يجلب اليهم من موضع آخر وقيل باركنا حوله اي جعلنا البركة فيما حوله بأن جعلناه مقر الانبياء ومهبط الملائكة عن مجاهد وبذلك صار مقدساً عن الشرك لأنه لما صار متعبداً للأنبياء ودار مقام لهم تفرق المشركون عنهم فصار مطهراً من الشرك والتقديس القطع فقد اجتمع فيه بركات الدين والدنيا (لنريه من آياتنا) أي من عجائب حججنا ومنها امرؤه في ليلة واحدة من مكة إلى هناك ومنها ان اراه الأنبياء واحداً بعد واحد وان عرج به إلى السماء وغير ذلك من العجائب التي اخبر بها الناس (انه هو السميع) لأقوال من صدق بذلك أو كذب (البصير) بما فعل من الاسراء والمعراج (وأتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (وجعلناه هدى لبني اسرائيل) أي وجعلنا التوراة حجة ودلالة وبياناً وإرشاداً لبني اسرائيل يهتدون به (ألا تتخذوا من دوني وكيلاً) أي امرهم أن لا يتخذوا من دوني معتمداً يرجعون اليه في النوائب وقيل ربايتو يكون عليه (ذرية من حملنا مع نوح) أي أولاد من حملنا مع نوح في السفينة فأنجيناه من الطوفان وقد ذكرنا وجوه ذلك في الاعراب وعلى هذا يدور المعنى (انه كان عبداً شكوراً) معناه ان نوحاً كان عبداً لله كثير الشكر وكان إذا لبس ثوباً أو أكل طعاماً أو شرب ماء حمد الله وشكراً له وقال الحمد لله وقيل انه كان يقول في ابتداء الأكل والشرب بسم الله وفي انتهائه الحمد لله وروي عن ابي عبد الله (ع) وابي جعفر (ع) ان نوحاً كان إذا أصبح وامسى قال اللهم إني أشهدك ان ما أصبح أو امسى بي من نعمة في دين أو دنيا فنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر بها علي حتى ترضى وبعد الرضى وهذا كان شكره

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله وآتيناه موسى الكتاب بما قبله ان المعنى فيه سبحانه الذي امرى بمحمد ﷺ وأراه الآيات كلها كما أرى موسى الآيات والمعجزات الباهرات وقيل ان معناه ان كونك نبياً ليس بيدع فقد آتيناك الكتاب والحجج كما آتيناه موسى النوراة فلم أقروا به وانكروا أمرك والطريق فيها واحد وقيل ان معناه انهم كفروا بموسى كما كفروا بما اخبرتهم به من اسرائلك

قوله تعالى (٤) وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٥) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٦) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٧) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرُوا مَا عَلِمْتُمْ نَفِيرًا (٨) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

ليسوء بفتح الهمزة شامي كوفي غير حفص إلا ان الكسائي يقرأ بالنون والباقون ليسووا بالياء وضم الهمزة على وزن ليسوعوا وفي الشواذ قراءة ابن عباس لنفسدن بضم التاء وفتح السين وعيسى الثقفي لنفسدن بفتح التاء وضم السين وقراءة علي «ع» عبيداً لنا وقراءة ابي السماك فحاسوا بالحاء وقراءة ابي بن كعب ليسووا بالنون

﴿ الحجة ﴾

من قرأ ليسوء بالياء ففاعل ليسوء يجوز ان يكون احد شيئين اما اسم الله تعالى لأن الذي تقدم بعثنا ورددنا لكم وأمددناكم بأموال وبنين واما البعث ودل عليه بعثنا المتقدم كقوله لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم أي البخل خيراً لهم ومن قرأ ليسوء بالنون كان في المعنى كقول من قدر ان الفاعل ما تقدم من اسم الله تعالى وجاز ان ينسب المساءة إلى الله تعالى وان كانت من الذين جاسوا خلال الديار في الحقيقة لأنهم فعلوا المساءة بقوة الله تعالى فجاز ان ينسب اليه واما قوله ليسووا فمعناه إذا جاء وعد الآخرة أي وعد المرة الأخرى من قوله لنفسدن في الأرض مرتين بعثناهم ليسووا وجوهكم فحذف بعثناهم لأن ذكره قد تقدم والحجة في ليسووا انه اشبه بما قبله وما بعده ألا ترى ان قبله ثم بعثناهم وبعده ليدخلوا المسجد الحرام والمبعوثون في الحقيقة هم الذين يسوونهم بقتلهم إياهم وامرهم لهم فهو وفق المعنى وقال وجوهكم على ان الوجوه مفعول به ليسوء وعددي الى الوجوه لأن الوجوه قد يراد به ذو الوجوه كقوله كل شيء هالك إلا وجهه وقوله وجوه يومئذ ناضرة ووجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وقال النابغة

أقارع عوفا لا أحاول غيرها وجوه قرود تبغني من تخادع

وأما قراءة ابي ليسوء فالوجه فيه على قول ابن جنبي ان يكون على حذف الفاء كما يقال إذا سألني فلا عطك كأنك تأمر تسك ومعناه فلا عطيتك والامان بعده للأمر أيضاً وهما وليدخولا المسجد ولينبروا ويقوي ذلك انه لم يأت لا إذا جواب فيما بعد واما من قرأ لنفسدن ولتفسدن فأحدى القراءتين شاهدة للأخرى لأن من افسد

فقد فسد وأما حاسوا فمعناه معنى جاسوا بعينه

✽ اللغة ✽

القضاء فصل الأمر على أحكام ومنه سمي القاضي ثم يستعمل بمعنى الخلق والاحداث كما قال فقضاهن سبع سموات وبمعنى الإيجاب كما قال وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبمعنى الاعلام والاخبار بما يكون من الأمر وهو المعنى هاهنا وأصله الأحكام والعلو الارتفاع وعلا فلان الشيء إذا أطاقه ويقال علا في المكارم يعلى علا فهو علي وعلا في المكان يعلو علوا فهو عال والجوس التخلل في الديار يقال تركزت فلان بجوس بني فلان ويجوسهم ويدوسهم أي يطأهم قال ابو عبيد كل موضع خالطته ووطئته فقد حسسته وجسته قال حسان

ومنا الذي لاقى بسيف محمد فجاس به الاعداء عرض المساكر

وقيل الجوس طلب الشيء باستقصاء والكرة معناه الرجعة والدولة والنفير المدد من الرجال قال الزجاج ويجوز ان يكون جمع نفر كما قيل العبيد والضئبن والمعيز والكليب ونفر الانسان ونفره ونفيره ونافرتة رهطه الذين ينصرونه وينفرون معه والتبوير الإهلاك والتبار والهلاك والدمار واحد وكل ما يكسر من الحديد والذهب تبر والحصير الحبس ويقال للملك حصير لأنه محبوب قال لبيد

وقام غلب الرقاب كأنهم جن لدى باب الحصير قيام

والحصير البساط المرمول لحصر بعضه على بعض بذلك الضرب من النسيج

✽ المعنى ✽

لما تقدم امره سبحانه لبني اسرائيل عقب ذلك بذكر ما كان منهم وما جرى عليهم فقال (وقضينا إلى بني اسرائيل) أي أخبرناهم وأعلمناهم (في الكتاب) أي في النوراة (لتفسدن في الأرض مرتين) أي حقاً لا شك فيه أن اخلافكم سيفسدون في البلاد التي تسكنونها كرتين وهي بيت المقدس وأراد بالفساد الظلم وأخذ المال وقتل الانبياء وسفك الدماء وقيل كان فسادهم الأول قتل زكريا والثاني قتل يحيى بن زكريا عن ابن عباس وابن مسعود وابن زيد قالوا ثم سلط الله عليهم سابور ذا الاكتاف ملكاً من ملوك فارس في قتل زكريا وسلط عليهم في قتل يحيى بخت نصر وهو رجل خرج من بابل وقيل الفساد الأول قتل شعيا والثاني قتل يحيى وان زكريا مات حتف انفه عن محمد بن اسحاق قال وأنهم في الأول بخت نصر وفي الثاني ملك من ملوك بابل وقيل كان الأول جالوت فقتله داود (ع) والثاني بخت نصر عن قتادة وقيل انه سبحانه ذكر فسادهم في الأرض ولم يبين ما هو فلا يقطع على شيء مما ذكر عن ابي علي الجبائي (ولتعلمن علواً كبيراً) أي وتستكبرن وتظلمن الناس ظلماً عظيماً والعلو نظير العتو هنا وهو الجرأة على الله تعالى والتعرض لسخطه (فإذا جاء وعد أولاهما) معناه فإذا جاء وقت أولى المرتين اللتين تفسدون فيها والوعد هنا بمعنى الموعد ووضع المصدر موضع المفعول به أي إذا جاء وقت الموعد لا فسادكم في المرة الأولى (بعثنا عليكم عبداً لنا أولي بأس شديد) أي سلطنا عليكم عبداً لنا أولي شوكة وقوة ونجدة وخلينا بينكم وبينهم خاذلين لكم جزاءاً على كفركم وعنوكم وهو مثل قوله أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا عن الحسن وقيل معناه أمرنا قوماً مؤمنين بقتالكم وجهادكم لأن ظاهر قوله تعالى عبداً لنا وقوله بعثنا يقتضي ذلك عن الجبائي وقيل يجوز ان يكونوا مؤمنين أمرهم الله بجهاد هؤلاء ويجوز ان يكونوا كافرين فتألفهم نبي من الانبياء

الحرب هؤلاء وسلطهم على نظرائهم من الكفار والفساق عن ابي مسلم (فجاسوا خلال الديار) أي فطافوا
وسط الديار يترددون وينظرون هل بقي منهم احد لم يقتلوه عن الزجاج (وكان وعداً مفعولاً) أي موعوداً
كأننا لا خلف فيه (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) أي رددنا لكم يا بني اسرائيل الدولة واطهرناكم عليهم وعاد
ملككم على ما كان عليه (وأمددناكم بأموال وبنين) أي وأكثرنا لكم أموالكم وأولادكم ورددنا لكم العدة
والقوة (وجعلناكم أكثر نفيراً) أي أكثر عدداً وأنصاراً من أعدائكم (ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) معناها
ان أحسنتم في أقوالكم وأفعالكم فنفخ احسانكم عائد عليكم وثوابه واصل اليكم تنصرون على أعدائكم في الدنيا
وتثابون في العقبى (وان أسأتم فلها) معناها وان أسأتم فقد أسأتم إلى أنفسكم أيضاً لأن مضره الاساءة
عائدة اليها وإنما قال فلها على وجه التقابل لأنه في مقابلة قوله ان احسنتم أحسنتم لأنفسكم كما يقال أحسن إلى نفسه
ليقابل أساء إلى نفسه ولأن معنى قولك أنت منتهى الاساءة وأنت المختص بالاساءة متقارب فلذلك
وضع اللام موضع إلى وقيل ان قوله فلها بمعنى فعلها كقوله تعالى لهم اللعنة أي عليهم اللعنة وقيل معناها فلها
الجزاء والعقاب وإذا امكن حمل الكلام على الظاهر فالأولى ان لا يعدل عنه وهذا الخطاب لبني اسرائيل
ليكون الكلام جارياً على النسق والنظام ويجوز ان يكون خطاباً لامة نبينا ﷺ فيكون اعتراضاً بين
القصة كما يفعل الخطيب والواعظ يحكي شيئاً ثم يعظ ثم يعود إلى الحكاية فكأنه لما بين ان بني اسرائيل لما
علوا وبعثوا في الأرض سلط عليهم قوماً ثم لما تابوا قبل توبتهم وأظفرهم على عدوهم خاطب أمتنا بأن من
أحسن عاد نفع احسانه اليه ومن أساء عاد ضرره اليه ترغيباً وترهيباً (فإذا جاء وعد الآخرة) أي وعد
المررة الأخرى من قوله لتفسدن في الأرض مرتين والمراد به جاء وعد الجزاء على الفساد في الأرض
في المرة الأخيرة أو جاء وعد فسادكم في الأرض في المرة الأخيرة أي الوقت الذي يكون فيه ما اخبر الله
عنكم من الفساد والعدوان على العباد (ليسوا وواجوهكم) أي غزاكم أعداؤكم وغلبوكم ودخلوا دياركم ليسوا وكم
بالتقتل والاسر يقال سئته اسوءه مسائة ومساوية وسوائية إذا أحرته وقيل معناها ليسوا كباراً كم وروساء كم
وفي مسائة الاكبر واهانتهم مسائة الأصغر (وليدخلوا المسجد) أي بيت المقدس ونواحيه فكنى بالمسجد
وهو المسجد الأقصى عن البلد كما كنى بالمسجد الحرام عن الحرم ومعناه وليستولوا على البلد لأنه لا يمكنهم
دخول المسجد إلا بعد الاستيلاء (كما دخلوه أول مرة) دل بهذا على ان في المرة الأولى قد دخلوا
المسجد أيضاً وإن لم يذكر ذلك ومعناه وليدخل هؤلاء المسجد كما دخله أولئك أول مرة (وليتبروا
ما علوا تتبيراً) أي وليدمروا واهلكوا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميراً ويجوز ان يكون ما مع الفعل بتأويل
المصدر والمضاف محذوف أي ليتبروا مدة علوهم (عسى ربكم) يا بني اسرائيل (ان يرحمكم) بعد انتقامه
منكم ان تبتم ورجعتم إلى طاعته (وان عدتم عدنا) معناها وإن عدتم إلى الفساد عدنا بكم إلى العقاب لكم
والتسليط عليكم كما فعلناه فيما مضى عن ابن عباس قال انهم عادوا بعد الأولى والثانية فسلط الله عليهم المؤمنين
يقتلونهم ويأخذون منهم الجزية إلى يوم القيامة (وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) أي سجناً ومحبساً
عن ابن عباس

* القصة *

اختلف المفسرون في القصة عن هاتين الكرتين اختلافاً شديداً فالأولى ونورد من جملتها ما هو الأهم

على سبيل الايجاز قال لما عثا بنوا اسرائيل في المرة الأولى سلب الله عليهم ملك فارس وقيل بخت نصر وقيل ملكا من ملوك بابل فخرج اليهم وحاصرهم وفتح بيت المقدس وقيل ان بخت نصر ملك بابل بعد سنحاريب وكان من جيش نمرود وكان لزانة لأب له فظهر على بيت المقدس وخرب المسجد وأحرق التوراة والتي الجيف في المسجد وقتل على دم يحيى سبعين الفا وسبى ذرارهم وأغار عليهم وأخرج أموالهم وسبى سبعين الفا وذهب بهم إلى بابل فبقوا في يده مائة سنة يستعبدهم المجوس واولادهم ثم تفضل الله عليهم بالرحمة فأمر ملكا من ملوك فارس عارفا بالله سبحانه وتعالى فردهم إلى بيت المقدس فأقاموا به مائة سنة على الطريق المستقيم والطاعة والعبادة ثم عادوا إلى الفساد والمعاصي فجاءهم ملك من ملوك الروم اسمه انطياخوس فخرّب بيت المقدس وسبى أهله وقيل غزاهم ملك الرومية وسباهم عن حذيفة وقال محمد بن اسحق كان بنو اسرائيل يعصون الله تعالى وفيهم الاحداث والله يتجاوز عنهم وكان اول منازل بهم بسبب ذنوبهم ان الله تعالى بعث اليهم شعيا قبل مبعث زكريا وشعيا هو الذي بشر بعيسى (ع) وبمحمد ^{صلى الله عليه وسلم} وكان لبني اسرائيل ملك كان شعيا يرشده ويسدده فمضى الملك وجاء سنحاريب إلى باب بيت المقدس بستائة الف راية فدعا الله سبحانه شعيا فبرأ الملك ومات جمع سنحاريب ولم ينج منهم إلا خمس نفر منهم سنحاريب فهرب وارسلوا خلفه من اخذه ثم امر سبحانه باطلاقه ليخبر قومه بما نزل بهم فاطلقوه وهلك سنحاريب بعد ذلك بسبع سنين واستخلف بخت نصر ابن ابنه فلبث سبع عشرة سنة وهلك ملك بني اسرائيل ومرج أمرهم وتنافسوا في الملك فقتل بعضهم بعضا فقام شعيا فيهم خطيبا ووعظهم بعظمت بلغة وأمرهم ونهاهم فهموا بقتله فهرب ودخل شجرة فقطعوا الشجرة بالمنشار فبعث الله اليهم ارميا من سبط هرون ثم خرج من بينهم لما رأى من أمرهم ودخل بخت نصر وجنوده بيت المقدس وفعل ما فعل ثم رجع إلى بابل بسبايا بني اسرائيل وكانت هذه الدفعة الأولى وقيل ايضا ان سبب ذلك كان قتل يحيى بن زكريا وذلك ان ملك بني اسرائيل أراد ان يتزوج بنت امراته فنهاه يحيى وبلغ أمها فحقدت عليه وبعثته على قتله فقتله وقيل انه لم يزل دم يحيى بن زكريا يغلي حتى قتل بخت نصر منهم سبعين الفا واثنين وسبعين الفا ثم سكن الدم وذكر الجميع ان يحيى بن زكريا هو المقتول في الفساد الثاني قال مقاتل كان بين فساد الأول والثاني مائتا سنة وعشر سنين وقيل انما غزا بني اسرائيل في المرة الأولى بخت نصر وفي المرة الثانية ملك فارس والروم وذلك حين قتلوا يحيى فقتلوا منهم مائة الف وثمانين الفا وخرّب بيت المقدس فلم يزل بعد ذلك خرابا حتى بناه عمر بن الخطاب فلم يدخله بعد ذلك رومي إلا خانقا وقيل انما غزاهم في المرة الأولى جالوت وفي الثانية بخت نصر والله اعلم

قوله تعالى (٩) إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (١٠) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١١) وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١٢) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا أربع آيات

✽ اللغة ✽

مبصرة أي مضيئة منيرة نيرة قال ابو عمرو أراد تبصر بها كما يقال ليل نائم وسر كاتم وقال الكسائي العرب تقول ابصر النهار اذا اضاء وقيل المبصرة التي اهلها بصراء فيها كما يقال رجل مخبث أي أهله خبثاء ومضعف أي أهله ضعفاء ولا يكتب الواو في يدع في المصحف وهي ثابتة في المعنى

✽ الاعراب ✽

ان لهم أجراً كبيراً فتح ان على تقدير حذف الباء اي يبشرهم بأن لهم الجنة وان الثانية معطوفة عليها ولو كسرت على الاستئناف لجاز وان لم يقرأ به احد واعتدنا أصله أعددنا فقلبت احدى الدالين تاء فراراً من التضعيف إلى حرف من مخرج الدال وكل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده وهو قوله فصلناه والتقدير وفصلنا كل شيء

✽ المعنى ✽

(ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم) معناه ان هذا القرآن يهدي إلى الديانة والملة والطريقة التي هي أشد استقامة يقال هذه الطريق وللطريق والى الطريق وقبل معناه يرشد إلى الكلمة التي هي اعدل الكلمات وأصوبها وهي كلمة التوحيد وقيل يهدي إلى الحال التي هي اعدل الحالات وهي توحيد الله والإيمان به وبرسله والعمل بطاعته عن الزجاج (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم) اي بأن لهم (أجراً كبيراً) أي ثواباً عظيماً على طاعتهم (و) يبشرهم أيضاً (ب) ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي بالنشأة الآخرة (اعتدنا لهم) أي هيأنا لهم (عذاباً أليماً) وهو عذاب النار وإنما سمي العذاب اجرا لأنه يستحق في مقابلة عمل كالأجرة التي تجب في مقابلة عمل يعود نفعه إلى المستاجر والثواب يستحق على الله تعالى وان كان نفعه يعود إلى العامل لأنه سبحانه اوجب ذلك على نفسه في مقابلة عمل العبد فضلاً منه وكرماً (ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير) قيل في معناه اقوال ✽ احدها ✽ ان الإنسان ربما يدعو في حال الزجر والغضب على نفسه واهله وماله بما لا يحب ان يستجاب له فيه كما يدعو لنفسه بالخير فلو اجاب الله دعاءه لأهلكه لكنه لا يجيب بفضله ورحمته عن ابن عباس والحسن وقتادة ✽ والآخر ✽ ان معناه ان الإنسان قد يطلب الشر لاستعماله المنفعة ✽ وثالثها ✽ ان معناه ويدعو في طلب المحظور كدعائه في طلب المباح (وكان الإنسان عجولاً) يعجل بالدعاء في الشر عجلته بالدعاء في الخير عن مجاهد وقيل يريد ضجراً لا صبراً له على ضراء ولا على سراء عن ابن عباس وروي عنه أيضاً انه أراد به آدم (ع) لما انتهت النفخة إلى سرته أراد أن ينهض فلم يقدر فشبه الله سبحانه ابن آدم بأبيه في الاستعجال وطلب الشيء قبل وقته (وجعلنا الليل والنهار آيتين) اي دلتين يدلان على وحدانية خالقهما لما في كل واحد منهما من الفوائد من الكسب بالنهار والاستراحة بالليل والزيادة في اجزاء احدهما بالنقصان من اجزاء الآخر ولأن كل واحد منهما ينقضي لمجيب الآخر وذلك يدل على حدوثها اذ القديم لا يجوز عليه الانتقضاء وعلى ان لها محدثاً قادراً عالماً وقد علمنا ضرورة ان أحداً من البشر لم يحدثها لعجز البشر عن ذلك فدل على انه من صنع القديم القادر لذاته العالم لذاته الذي ليس كمثل شيء ولا يتعذر عليه شيء وقيل ان الآيتين هنا الشمس والقمر (فمحونا آية الليل) وهي القمر اي طمسنا نورها بما جعلنا فيها من السواد عن ابن عباس (وجعلنا آية النهار) يعني الشمس (مبصرة) أي نيرة مضيئة

للإبصار يبصر أهل النهار النهار بها وقيل ان معناه جعلنا آية الليل ممحوة والمراد جعلنا الليل مظلم لا يبصر فيه كما لا يبصر ما يحى من الكتاب وجعلنا آية النار مبصرة اي جعلنا النهار مضيئا يبصر فيه وتذكر الاشياء فيه وعلى هذا فتكون آية الليل هي الليل نفسه وآية النهار هي النهار نفسه كما يقال نفس الشيء وعين الشيء وهذا من عجيب البلاغة وقيل ان آية الليل ظلمته وآية النهار ضوؤه فالمراد محونا ظلمة الليل بضوء النهار ومحونا ضوء النهار بظلمة الليل الا انه ذكر احدها وحذف الآخر لدلالة المذكور على المحذوف ثم بين سبحانه الغرض في ذلك وقال (تبتغوا فضلا من ربكم) اي لتسكنوا بالليل وتطلبوا الرزق بأنواع التصرف في النهار الا انه حذف لتسكنوا بالليل لما ذكره في مواضع اخر (وتعلموا عدد السنين والحساب) اي لتعلموا بالليل والنهار عدد السنين والشهور وآجال الديون وغير ذلك من المواقيت وتعلموا حسنات اعمالكم وآجالكم ولولا الليل والنهار لما علم شيء من ذلك (وكل شيء فصلناه تفصيلا) اي ميزناه تميزا ظاهرا بينا لا يلتبس وبيناه تبيانا شافيا لا يخفى

﴿ النظم ﴾

اتصلت الآية الأولى بقوله عسى ربكم ان يرحمكم والوجه فيه انه لما أمر بني اسرائيل بالرجوع الى الطريق المستقيم من التوبة وقبول الإسلام بين ان ذلك الطريق هذا الكتاب الذي يدل على ما هو احسن الاديان وقيل يتصل بقوله وآتينا موسى الكتاب اي كما آتينا التوراة آتينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم القرآن الذي يهدي الى الاحسن الا قوم وقيل اتصل بقوله سبحانه الذي اسرى كأنه قال اسرى بعبدته وآتاه الكتاب الذي هذه صفته وانما اتصل قوله بدع الانسان بالشر الآية مما تقدم من بشارة الكفار بالعذاب فيبين عقبيه انهم يستعجلون العذاب جهلا وعنادا ثم بين انه يستجيب لهم ما فيه صلاحهم ثم بين بالآية الأخرى انه انعم عليهم بوجوده النعم كالليل والنهار ونحو ذلك وان لم يشكروه

قوله تعالى (١٢) وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) مِنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا
ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر ويخرج له بضم الياء وفتح الراء وقرأ يعقوب ويخرج له بفتح الياء وضم الراء والباقون ونخرج بالنون وقرأ ابو جعفر وابن عامر تلقية بضم التاء وفتح اللام وتشديد القاف والباقون بفتح الياء وسكون اللام
= (الحجة) =

من قرأ ويخرج له فمعناه انه يخرج له عمله او يخرج له طائره يوم القيامة كتابا ويكون كتابا منصوبا على الحال ومن قرأ ويخرج فتقديره فيخرج له عمله او طائره ويكون كتابا حاليا ايضا من الضمير في يخرج كما في الأول ومن قرأ ونخرج بالنون فيكون كتابا مفعولا لنخرج ويجوز ان يكون منصوبا على التمييز على معنى ونخرج طائره له كتابا ويجوز ان يكون نصبا على الحال فيكون بمعنى ذا كتاب اي مثبتا في الكتاب الذي قال فيه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقوله منشورا يكون منصوبا على الحال من الهاء في يلقاه على القرائات

جميعاً ومن قرأ بلفظه منشوراً فإنه يدل عليه قوله وإذا الصحف نشرت ومن قرأ بلفظه فيدل عليه قوله وياقون فيها تحية وسلاماً

✽ اللغة ✽

الإنسان يقع على المذكر والمؤنث فإذا أردت الفصل قلت رجل وامرأة ومثل ذلك فرس يقع على المذكر والمؤنث فإذا أردت الفصل قلت حصان وحجر وفي الهاليج برذون ورمكة وكل يعبر يقع على المذكر والمؤنث فإذا فصلت قلت جمل وناقرة واشتقاق الإنسان من الأوس أو الأوس وهو فعلان عند البصريين وقال الكوفيون هو من النسيان وأصله إنسيان حذف الياء منه استخفافاً واحتجوا على ذلك بقول العرب في تصغيره انسيان وهذه الياء عند البصريين زائدة وهو من التصغير الشاذ عندهم مثل عشيبة ومغربان الشمس وليلية وأشباه ذلك والطائر هانعا عمل الإنسان شبه بالطائر الذي يسبح ويتبرك به والطائر الذي يبرح فيتشام به والسائح الذي يجعل ميامنه إلى ميامرك والبارح الذي يجعل ميامره إلى ميامنك والأصل في هذا أنه إذا كان سائحاً أمكن الرامي وإذا كان بارحاً لم يمكنه قال أبو زيد كل ما يجري من طائر أو ظبي أو غيره فهو عندهم طائر وأنشد لكثير

فلست بناسيها ولست بتارك إذا عرض الأدم الجوارى سواها

أدرك من أم الحكيم عبيطة بها خبرتني الطير أم قد اتى لها

في البيت الأخير ان الذي زجره طائر وأنشد لزهير في ذلك

فلما ان تفرق آل ليلى جرت بيني وبينهم ظباء

جرت سنحاً فقلت لهم مروعاً نوى مشمولة فمتى اللقاء

قال وقولهم سأت الطير وقلت للطير إنما هو زجرتها من خير أو شر ويقوي ما ذكره قول الكميث

ولا أنا من يزجر الطير همه أصاح غراب أم تعرض ثعلب

وأنشد لحسان بن ثابت

ذريبي وعلمي بالأمر وشيمتي فما طائري فيها عليك بأخيلا

أي ليس رأبي بمشووم وأنشد لكثير

أقول إذا ما الطير مرت مخيلة لعلك يوماً فانتظر أن تنالها

وإنما قال طائرته في عنقه ولم يقل في يده لينبه على لزوم ذلك له وتعلقه به كما يقال طوقتك كذا أي قلدتك كذا والزمته إياك ومنه قلده السلطان كذا أي صارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة ومكان الطوق قال الأعمش

قلدتك الشعر ياسلامه ذا الإفضال والشعر حيث ما جعلنا

وقال الآخر

ان لي حاجة إليك فقالت بين أذني وعاتقي ما تريد

والعرب تقيم هذا العضو مقام الذات فتقول أعتقت رقبة وطوقت عنقي أمانة ولذلك قال أبو حنيفة إذا قال الإنسان عنقك أو رقبك حر عتق لأنه يعبر بذلك عن جميع البدن ولو قال بدك أو شعرك حر لا يعنى لأنه لا يعبر بذلك عن جميع البدن وقال الشافعي هما سواء يعنى في الحالين

(الاعراب) -

موضع بنفسك رفع لأنه فاعل كفي وحسبياً نصب على التمييز له وقال أبو بكر السراج المعنى كفي الاكتفاء

بنفسك فالفاعل على هذا محذوف والجار والمجرور في موضع النصب على اصله وحسباً نصب على الحال من كفى

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الوعيد أتبع ذلك بذكر كيفية فقال (وكل انسان الزمناه طائره في عنقه) معناه والزمنا كل انسان عمله من خير أو شر في عنقه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة يريد جعلناه كالطوق في عنقه فلا يفارقه وإنما قيل للعمل طائراً على عادة العرب في قولهم جرى طائره بكذا ومثله قوله سبحانه قالوا طائر كم معكم وقوله إنما طائرهم عند الله وقيل طائره بمنه وشؤمه عن الحسن وهو ما بتطير منه وقيل طائره حظه من الخير والشر عن ابي عبيدة والقتبي وخص العنق لأنه محل الطوق الذي يزين المحسن والغل الذي يشين المسيء وقيل طائره كتابه وقيل معناه جعلنا لكل انسان دليلاً من نفسه لأن الطائر عندهم يستدل به على الأمور الكائنة فيكون معناه كل انسان دليل نفسه وشاهد عليها إن كان محسناً فطائره ميمون وإن ساء فطائره مشؤوم (ونخرج له يوم القيامة كتاباً) وهو ما كتبه الحافظة عليهم من أعمالهم (بلقاه) أي يرى ذلك الكتاب (منشوراً) أي مفتوحاً معروضاً عليه ليقرأه ويعلم ما فيه والماء في له يجوز ان تكون عائدة إلى الانسان ويجوز ان تكون عائدة إلى العمل (اقرأ كتابك) فها هنا حذف أي ويقال له اقرأ كتابك قال قتادة يقرأ يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا وروى جابر بن خالد بن نجيح عن ابي عبد الله (ع) قال يذكر العبد جميع أعماله وما كتب عليه حتى كأنه فعله تلك الساعة فلذلك قالوا يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا بغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها (كفى بنفسك اليوم عليك حسباً) أي محاسباً وإنما جعله محاسباً لنفسه لأنه إذا رأى أعماله يوم القيامة كلها مكتوبة ورأى جزاء أعماله مكتوباً بالعدل لم ينقص عن ثوابه شيء ولم يزد على عقابه شيء أذعن عند ذلك وخضع وتضرع واعترف ولم يتهيا له حجة ولا إنكار وظهر لأهل المحشر انه لا يظلم قال الحسن يا ابن آدم لقد أنصفتك من جعلك حسيب قسك (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه) أي من اهتدى في الدنيا إلى دين الله وطاعته فثقتة اهتدائه راجعة اليه (ومن ضل فإنما يضل عليها) أي ومن ضل عن الدين في الدنيا فضرر ضلاله راجع إلى نفسه وعقوبة ضلاله على نفسه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل حاملة حمل أخرى أي ثقل ذنوب غيرها ولا يعاقب أحد بذنوب غيره وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تحن يمينك على شمالك وهذا مثل ضربته (ع) وفي هذا دلالة واضحة على بطلان قول من يقول ان أطفال الكفار يعذبون مع آباؤهم في النار (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) معناه وما كنا معذبين قوماً بعذاب الاستئصال الا بعد الاعذار اليهم والانهذار لهم بأبلغ الوجوه وهو ارسال الرسل اليهم مظهرة في العدل وإن كان يجوز مؤاخذتهم على ما يتعلق بالعقل معجلاً فعلى هذا التأويل تكون الآية عامة في العقليات والشرعيات وقال الاكثرون من المفسرين وهو الأصح ان المراد بالآية انه لا يعذب سبحانه في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد البعثة فتكون الآية خاصة فيما يتعلق بالسمع من الشرعيات فأما ما كانت الحجة فيه من جهة العقل وهو الإيمان بالله تعالى فانه يجوز العقاب بتركه وان لم يبعث الرسول عند من قال ان التكليف العقلي بنفسك من التكليف السمعي على ان المحققين منهم يقولون انه وان جاز التعذيب عليه قبل بعثة الرسول فانه سبحانه لا يفعل ذلك مبالغته في الكرم والفضل والاحسان والطول فقد حصل من هذا انه سبحانه لا يعاقب احداً حتى ينفذ اليهم الرسل المنبهين إلى الحق الهادين إلى الرشده استظهاراً في الحجة لأنه إذا اجتمع داعي العقل وداعي السمع تأكد الأمر وزال الرب فيما يلزم العبد وقد أخرج سبحانه في هذه الآية عن ذلك وهذا لا يدل على انه لو لم يبعث رسولا لم يحسن منه ان يعاقب إذا ارتكب القبائح العقلية إلا ان يفرض في بعثة الرسول لطفاً فإن عند ذلك لا يحسن منه سبحانه ان يعاقب احداً إلا بعد ان بوجه اليه مما هو لطف له فيزاح بذلك علقته

قوله تعالى (١٦) وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا (١٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١٨) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصِلَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٩) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (٢٠) كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢١) أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢٢) لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَعْتَدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا سبع آيات

القراءة

القراءة العامة امرنا بالتخفيف غير ممدود وقرأ يعقوب امرنا بالمد وهو قراءة علي بن ابي طالب (ع) والحسن وابي العالية وقتادة وجماعة وقرأ امرنا بالتشديد للميم ابن عباس وابوعثمان النهدي وابو جعفر محمد بن علي بخلاف وقرأ امرنا بكسر الميم بوزن عمرنا الحسن ويحيى بن يعمر

الحجة

قال ابو عبيدة امرنا اكثرنا من قولهم امر بنو فلان أي كثروا وانشد للبيد

ان يغبطوا يهبطوا وان امروا يوماً يصيروا للهلك والنقد

قال ابو علي لا يخلو قوله امرنا مخفة المهمزة من ان يكون فعلنا من الأمر أو من أمر القوم وامرتهم مثل شئت عينه وشترتها ورجع ورجعته وسار ومسرته فمن لم ير ان يكون امرنا من أمر القوم إذا كثروا كما حكى ذلك يونس عن ابي عمرو فإنه ينبغي ان يكون من الامر الذي هو خلاف النهي ويكون المعنى امرناهم بالطاعة فصوا وفسقوا ومن قرأ امرنا فإنه يكون فعلنا من أمر القوم إذا كثروا وامرهم الله وكذلك ان ضاعف العين فقال امرنا ويقوي حمل امرنا على النقل من امر وان لا يجعل من الامر الذي هو خلاف النهي ان الأمر بالطاعة على هذا يكون مقصوراً على المترفين فقد امر الله بطاعته جميع خلقه من مترف وغيره ويحمل امرنا على انه مثل امرنا ونظير هذا كثر واكثره الله وكثره ولا يحمل امرنا على ان المعنى جعلناهم امراء لأنه لا يكاد يكون في قرية واحدة جماعة امراء فإن قلت يكون منهم الواحد بعد الواحد فإنهم إذا كانوا كذلك لا يكثرون في حال وانما يهلك بكثرة المعاصي في الأرض وعلى هذا جاء الأمر في التنزيل يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فأبوا فاعبدون فأمرنا بالخروج من الأرض التي تكثر فيها المعاصي إلى ما كان بخلاف هذه الصفة وما جاء فيه امر بمعنى الكثرة قول زهير

والإثم من شر ما يصل به والبر كالغيث نبتة امر

واما امر فقد روى ابن جنبي باسناده عن ابي حاتم قال قال ابو زيد يقال امر الله ماله وامره ومن قال ان امرنا لا يكون بمعنى اكثرنا قال في قوله خير المال سكة مأبورة ومهيرة مأبورة ان معنى مأبورة مؤهه فأبوا قال هذه لمكان الازدواج كما قالوا الغدايا والعشايا والغداة لا تجمع على الغدايا لكن قيل ذلك ليزدوج الكلام

(اللغة) =

الترفة النعمة قال ابن عرفة المترف المتروك يصنع ما يشاء ولا يمنع منه والتدمير والاهلاك والدمار المللك ويقال

ذمته وذاميته وذمته فهو مذموم ومذموم ومذموم بمعنى ويكون ذامته بمعنى طرده ويقال اصنع ذاك وخلالك ذم أي
ولاذم عليك والدحر الإبعاد والمذحور المبعد والمطرود يقال اللهم ادحر عنا الشيطان أي ابعد

✽ الاعراب ✽

كم اهلكنا موضع كم نصب بأهلكنا ودخلت الباء في قولك يربك للمدح كما تقول ناهيك به رجلاً وجاد
بشوك ثوباً وطاب بطعامك طعاماً واكرم به رجلاً ويكون في كل ذلك في موضع رفع كما قال الشاعر

ويخبرني عن غائب المرء هديه كفى الهدى إمام غيب المرء مخبراً

فرفع لما اسقطت الباء وبصليها في موضع نصب على الحال لمن يريد بدل من قوله عجلنا له فيها ما نشاء واعاد
اللام لما كان البديل في تقدير جملة أخرى كقوله لمن آمن منهم ومذموماً حال من الضمير المستكن في بصليها
كلا فمد نصب كلا بنمد وهو لاء بدل من قوله كلا أي فمد كل واحد من هؤلاء وهو لاء

✽ المعنى ✽

(واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا متر فيها فسقوا فيها) لما لم يميز في العقول تقديم إرادة العذاب على المعصية
لأنه عقوبة عليها ويستحقه لأجلها فتم لم توجد المعصية لم يحسن فعل العقاب وإذا لم يحسن فعله لم تحسن إرادته
اختلفوا في تأويل الآية وتقديرها على وجوه ✽ أحدها ✽ ان معناه وإذا أردنا أن نهلك أهل قرية بعد قيام
الحجة عليهم وإرسال الرسل اليهم أمرنا متر فيها أي رؤساءها وساداتها بالطاعة واتباع الرسل أمراً بعد أمر تكرره
عليهم وبينت بعد بينة تأتيهم بها اعداراً للعصاة وانذاراً لهم وتوكيداً للحجة فسقوا فيها بالمعاصي وأبوا إلا تماديا
في العصيان والكفران (فحق عليها القول) أي فوجب حينئذ عليها الوعيد (فدمرناها تدميراً) أي أهلكناها
إهلاكاً وإنما خص المترفين وهم المنعمون والرؤساء بالذكر لأن غيرهم تبع لهم فيكون الأمر لهم أمراً لاتباعهم
وعلى هذا فيكون قوله امرنا متر فيها جواباً لا إذا واليه يؤول ما روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير ان معناه
أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا ومثله امرتك فعصيتي ويشهد بصحة هذا التأويل الآية المتقدمة وهي قوله من اهتدى
فإنما يهتدي لنفسه إلى قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ✽ وثانيها ✽ ان قوله امرنا متر فيها من صفة القرية
وتقديره وإذا أردنا أن نهلك قرية صفتها انا كنا قد أمرنا متر فيها فسقوا فيها فلا يكون لا إذا جواب ظاهر في
اللفظ للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه ونظيره قوله سبحانه حتى إذا جاؤوها وفنحت أبوابها إلى قوله ونعم أجر
العاملين فلم يأت لا إذا جواب في طول الكلام للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة وبما يشهد بصحة ذلك قول الهذلي
حتى إذا سلكوهم في قتائده شلا كما تطرد الجمالة الشردا

فحذف جواب إذا لأن هذا البيت آخر القصيدة ✽ وثالثها ✽ ان الآية محمولة على التقديم والتأخير وتقديرها
إذا أمرنا متر في قرية بالطاعة فعصوا أردنا اهلاكم وما يمكن ان يكون شاهداً لهذا الوجه قوله وإذا كنت
فيهم فأتمت لم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وقيام الطائفة معه يكون قبل إقامة الصلاة لأن إقامتها هي الاتيان
بجميعها على الكمال وكذلك قوله إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم والطهارة إنما تجب قبل القيام إلى الصلاة
✽ ورابعها ✽ انه سبحانه ذكر الإرادة على وجه المجاز والاتساع وإنما عني بها قرب الهلاك والعلم بكونه لا محالة
كما يقال إذا أراد العليل ان يموت تخط في مأكله وبسرعه إلى ما يتوق نفسه اليه وإذا أراد التاجر ان يفنقر
أناه الخسران من كل وجه ومعلوم ان العليل والتاجر لم يريد في الحقيقة شيئاً لكن لما كان من المعلوم من حال
هذا الهلاك ومن حال ذلك الخسران حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه وللكلام العرب اشارات
واستعارات ومجازات لاجلها كان كلامهم في الغاية القصوى من الفصاحة والوجه الأول عندي أصح الوجوه
وأقربها إلى الصواب إذا تأولت الآية على الأمر الذي هو ضد النهي فأما إذا تأولت الآية على معنى القراءتين

الأخيرة من أمرنا بالمد وامرنا بالتشديد فلن يخرج على هذا الوجه وتكون محمولة على احد الأوجه الثلاثة الأخر ثم بين سبحانه ما فعله من ذلك بالقرون الخالية فقال (وكم أهلكتنا من القرون) أي من الأمم الكثيرة المكذبة (من بعد نوح) أي من بعد زمان نوح إلى زمانك هذا لأن كم تفيد التكثير كما ان رب تفيد التقليل والقرن مائة وعشرون سنة عن عبد الله بن ابي أوفى وقيل مائة سنة عن محمد بن القاسم المازني وروي ذلك مرفوعاً وقيل ثمانون سنة عن الكلبى وقيل اربعون سنة ورواه بن سيرين مرفوعاً (وكفى ربك بذنوب عباده خبيراً) أي كفى ربك علماً بذنوب خلقه (بصيراً) بها يجازيهم عليها ولا يفوته شيء منها ثم بين سبحانه انه يدبر عباده بحسب ما يراه من المصلحة فقال (من كان يريد العاجلة) أي النعم العاجلة وهي الدنيا فعبه عنها بصفتها (عجلنا له فيها ما نشاء) من البسط والتقتير وعلق ذلك بمشيئته لا بمشيئة العبد فقد يشاء العبد ما لا يشاءه الله فلا يعطيه لكونه مفسدة (لمن يريد) أي لمن يريد اعطاه بين بذلك انه ربما يكون حريصاً يريد الدنيا فلا يعطى وإن اعطى اعطى قليلاً (ثم جعلنا له جهنم بصليها) أي بصير بصلاحها ويحترق بنارها (مذموماً) ملوماً (مدحوراً) مبعداً من رحمة الله وروي عن ابن عباس ان النبي ﷺ قال معنى الآية من كان يريد ثواب الدنيا بعمله الذي افترضه الله عليه لا يريد به وجه الله والدار الآخرة عجل له فيها ما يشاء الله من عرض الدنيا وليس له ثواب في الآخرة وذلك ان الله سبحانه وتعالى يؤتيه ذلك ليستعين به على الطاعة فيستعمله في معصية الله فيعاقبه الله عليه (ومن اراد الآخرة) أي ومن اراد خير الآخرة ونعيم الجنة (وسعى لها سعيها وهو مؤمن) أي فعل الطاعات وتجنب المعاصي وهو مع ذلك مصدق بتوحيد الله تعالى مقرر بأنيائه (فأولئك) كان سعيهم مشكوراً) أي تكون طاعتهم مقبولة وقيل شكره انه سبحانه يضاعف حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم عن قتادة والمعنى انا احللتنا سعيهم محل ما يشكر عليه في حسن الجزاء وروي عن الحسن انه قال اطلبوا الآخرة فما رأيت طالباً لها الا نالها وربما نال الدنيا وما رأيت طالب دنيا نال الآخرة وربما لا ينال الدنيا ايضاً (كلا نمده هؤلاء وهؤلاء) أي كل واحد من هذين الفريقين ممن يريد الدنيا ومن يريد الآخرة ندم أي تزيدم وقيل كلا نعطي من الدنيا البر والفاجر عن الحسن والمعنى انا نعطي المؤمن والكافر في الدنيا وأما الآخرة فالمتقين خاصة (من عطاء ربك) أي نعمة ربك ورزقه (وما كان عطاء ربك محظوراً) معناه وما كان رزق ربك محبوساً عن الكافر الكفره ولا عن الفاسق لفسقه «سؤال» فإن قيل هل يجوز ان يريد المكلف بعمله العاجل والآجل والجواب نعم إذا جعل العاجل تبعاً للآجل كما يجاهد في سبيل الله يقاتل لاعزاز الدين ويجعل الغنيمة تبعاً (انظر) يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) بأن جعلنا بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء وبعضهم موالى وبعضهم عبيداً وبعضهم أصحاباً وبعضهم مرضى على حسب ما علمناه من المصالح (وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً) أي درجاتها ومراتبها أعلى وأفضل وهي مستحقة على قدر الأعمال فينبغي أن تكون رغبتهم في الآخرة وسعيهم لها أكثر وقد روي ان ما بين أعلى درجات الجنة وأسفلها ما بين السماء والأرض وفي الآية دلالة على ان الطاعة لا تزيد في رزق الدنيا وإنما تزيد في درجات الآخرة (لا تجعل مع الله إلهاً آخر) قيل ان الخطاب للنبي ﷺ والمراد به أمته وقيل معناه لا تجعل أيها السامع أو أيها الإنسان مع الله إلهاً آخر في اعتقادك واقرارك ولا في عبادتك ولا في رغبتك ورهبتك (فتتعبد مذموماً مخذولاً) معناه فإنك إن فعلت ذلك قعدت وبقيت ما عشت مذموماً على لسان العقلاء مخذولاً ولا ناصر لك يمنع الله نصرته عنك ويكلك إلى ما أشركت به «وقيل» معنى القعود الذل والخزي والخسران والعجز لا الجلوس كما يقال قعد به الضعف عن القتال أي عجز عنه

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها انها اتصلت بقوله حتى يبعث رسولا والمعنى انه لا يعذب إلا بعد إرسال

الرسول وتقديم الأمر والنهي وإتمام النعمة في الانذار والاعذار وظهور العصيان من الكفار والفجار وقيل انها
تتصل بما تقدم من قصة بني اسرائيل وما فعل بهم في الكرة الأولى والثانية فيبين سبحانه ان ما فعله موافق لعادته
فيمن يريد إهلاكه فإنه يهلك القرى إذا أمر مترفيا بالطاعة ففسقوا فيكون اهلاكم بالاستحقاق لاعلى الابتداء
قوله تعالى (٢٣) وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَأْتُوا الدِّينَ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ
الْكِبَرَ أَحَدُهُمْ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمْ أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمْ وَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا كَرِيمًا (٢٤) وَأَخْفِضْ لَهُمْ
جَنَاحَ الدَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمَهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٥) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي
نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَابِينَ غَفُورًا ثلاث آيات

❖ القراءة ❖

يبلغان بالالف وكسر النون كوفي غير عاصم والباقون يبلغن أف بفتح الفاء هاهنا وفي الأنبياء والاحقاف
مكي شامي وبعقوب وسهل واف بالكسر والتنوين في الجميع مدني وحفص والباقون اف بالكسر غير منون وفي
الشواذ قراءة ابي الساء اف مضمومة غير منونة وقرأ ابن عباس اف خفيفة وجناح الذل بكسر الذال

❖ الحجة ❖

قال ابو علي قوله اما يبلغن يرتفع احدهما به وقوله كلاهما معطوف عليه والذ كر الذي عاد من قوله احدهما
بغني عن اثبات علامة الضمير في يبلغان فلا وجه لقول من قال ان الوجه اثبات الالف لتقدم ذكر الوالدين معني
به الفراء وإنما الوجه في ذلك انه على الشيء الذي يذكر على وجه التوكيد ولو لم يذكر لم يقع بترك ذكره
اخلال نحو قوله أموات غير أحياء فقوله غير أحياء توكيد لأن قوله أموات يدل عليه فيكون الالف مجردة
لمعنى التثنية ولا حظ للاسمية فيها يرتفع احدهما أو كلاهما بالفعل وقال الزجاج يكون أحدهما أو كلاهما بدلا
من الألف في يبلغان قال ابو علي من قرأ أف بالفتح فانه بناه على الفتح كقولهم سرعان ذا اهالة وهو اسم لسرع
ومثله وشكان قال

او شكان ما عنيتهم وشمتهم يا اخوانكم والعز لم يتجمع

وكذلك اف اسم لا تضجر واتكره ونحو ذلك ومن قرأ اف فإنه بدخول التنوين يدل على التنكير مثله مع وصه
ومثله قولهم فداء لك بنوه على الكسر وإن كان في الأصل مصدرا كما كان افه في الأصل مصدرا من قولهم افه
وتفه يراد بها تننا ودفرا ومن قرأ أف ولم بنوت جعله معرفة فلم ينون كما ان من قال صه وغاق فلم ينون أراد به
المعرفة فإن قلت ما موضع أف في هذه اللغات بعد القول هل يكون موضعه نصبا كما ينتصب المفرد بعده أو
يكون كما تكون الجمل فالتقول ان موضعه موضع الجمل كما انك لو قلت رويد لكان موضعه الجمل قال
الزجاج في اف سبع لغات اف بالضم منونا وغير منون واف بالكسر منونا وغير منون واف واقا وفي مائة وزاد ابن
الانباري اف خفيفة مفتوحة قال ابو الحسن وقول الذين قالوا اف أكثر وأجود ولو قلت اف لك واقا لك
لاحتمل وجهين ❖ احدهما ❖ ان يكون الذي صار اسما للفعل لحقه التنوين علامة للتنكير ❖ والآخر ❖ ان
يكون نصبا معربا وكذا الضم فإن لم يكن معه لك كان ضعيفا ألا ترى أنك لا تقول وبل ولو قلته لم يستقم حتى
يوصل به لك فيكون في موضع الخبر والذل ضد الصعوبة والذل ضد العز والأول في الدابة والثاني في الإنسان

❖ الإعراب ❖

قوله وبالوالدين احسانا العامل في الباء قضي والتقدير وقضى بالوالدين إحسانا ويجوز ان يكون على تقدير

واوصى بالوالدين إحسانا وحذف لدلالة الكلام عليه قال الشاعر

عجبت من دهما إذ تشكونا ومن أبي دهما إذ يوصينا

خيراً بها كأننا خافونا

فاعمل بوصينا في الخير كما ربياني أي كرحمة تربيتهما يعني رحمة تحدث عند التربية كما تقول ضرر التلف وقيل الكاف بمعنى على ارحمهما على ما ربياني عن الأخفش وكذا قال في قوله كما أمرت ان تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين منكم فيحذف ويجوز ان يكون على كان لكم فوضع الظاهر موضع المضمر لأنهم الصالحون

« المعنى »

لما تقدم النهي عن الشرك والمعاصي عقب سبحانه بالأمر بالتوحيد والطاعات فقال سبحانه (وقضى ربك) أي أمر ربك أمراً باتاً عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل الزم وأوجب ربك عن الربيع بن أنس وقيل أوصى عن مجاهد (ان لا تعبدوا إلا اياه) معناه أن تعبدوه ولا تعبدوا غيره فإذ قيل ان الأمر لا يكون أمراً باتاً لا يكون الشيء لأن الأمر يقتضي ارادة المأمور به والإرادة لا تتعلق بأن لا يكون الشيء وإنما تتعلق بحدوث الشيء فالجواب ان المعنى أراد منكم عبادته على وجه الاخلاص وكره منكم عبادة غيره وعبر عن ذلك بقوله أمر ان لا تعبدوا إلا اياه (وبالوالدين إحساناً) أي وقضى بالوالدين إحساناً أو أوصى بالوالدين إحساناً ومعناها واحد لأن الوصية أمر (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) يعني به الكبر في السن والمعنى ان عاشا عندك أيها الإنسان المخاطب حتى يكبرا أو عاش احدهما حتى يكبر يريد ان بلغا في السن مبلغاً بصيران بمنزلة الطفل الذي يحتاج إلى متعهد وخص حال الكبر وإن كان من الواجب طاعة الوالدين على كل حال لأن الحاجة أكثر في تلك الحال إلى التعهد والخدمة وهذا مثل قوله ويحكم الناس في المهدي وكهلاً مع ان الناس كلهم يتكلمون في حال الكهولة والوجه فيه انه سبحانه اخبر ان عيسى يحكم الناس في المهدي وانه يعيش حتى يكهل ويتكلم بعد الكهولة ونحو ذلك قوله والأمر يومئذ لله وإنما خص ذلك اليوم لأنه لا يملك فيه احد سواه وقيل ان الكبر في الآية راجع الى المخاطب أي ان بلغت حال الكبر وهو حال التكليف وقد بقي معك أبواك أو أحدهما (فلا تقل لها أف) وروي عن علي بن موسى الرضا عن ابيه عن جده ابي عبد الله (ع) قال لو علم الله لفظة أوجز سيف ترك عقوق الوالدين من أف لا تأتي به وفي رواية اخرى عنه قال أدنى العقوق أف ولو علم الله شيئاً يسر منه واهون منه لنهى عنه وفي خبر آخر فليعمل العاق ما يشاء ان يعمل فلن يدخل الجنة فالمعنى لا تؤذيها بقليل ولا كثير قال مجاهد معناه ان بلغا عندك من الكبر ما يبولان ويحدثان فلا تنفد برهما وامط عنها كما كانا يميضان عنك في حال الصغر والمتبرم بكثير قول أف وهي كلمة تدل على الضجر وقيل ان الأف والتف وسخ الا صابع إذا فتلت عن ابي عبيدة وقيل هي كلمة كراهة عن ابن عباس وقيل معناه التثني وجاء في المثل ابر من النسر قالوا لأن النسر إذا كبر ولم ينهض للطيران جاء الفرخ فزقه كما كان ابواه يزقانه (ولا تنهرها) أي لا تزجرها باغلاظ وصياح وقيل معناه لا تمتنع من شيء اراداه منك كما قال واما السائل فلا تنهر (وقل لها قولاً كريماً) أي وخاطبهما بقول رقيق لطيف حسن جميل بعيد عن اللغو والقيح يكون فيه كرامة لهما وبدل على كرامة المقول له على القائل وقيل معناه قل لهما قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ عن سعيد بن المسيب (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أي وبالغ في التواضع والخضوع لهما قولاً وفعالاً برأ بهما وشفقة عليهما والمراد بالذل هاهنا اللين والتواضع دون الهوان من خفض الطائر جناحه إذا ضم فرخه اليه فكأنه سبحانه قال ضم ابوك إلى قسك كما كانا يفعلان بك وانت صغير واذا وصفت العرب إنساناً بالسهولة وترك الآباء قالوا هو خافض الجناح وقال ابو عبد الله (ع) معناه لا تملأ عينيك من النظر اليهما الا برأفة ورحمة ولا ترفع صوتك فوق اصواتهما ولا بيدك فوق ايديهما

ولا تتقدم قدامهما (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) معناه ادع لهما بالمغفرة والرحمة في حياتهما وبعد ماتهما جزاء لتربيتهما اياك في صباك وهذا إذا كانا مؤمنين وفي هذا دلالة على ان دعاء الولد لوالده الميت مسموع وإلا لم يكن الأمر به معني وقيل ان الله تعالى اوصى الأبناء بالوالدين لقصور شفقتهم ولم يوص الوالدين بالأبناء لوفور شفقتهم وذكر حال الكبر لأنهما احوج في تلك الحال إلى البر لضعفهما وكونهما كلا على الولد ففي الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال رغم أنفه رغم أنفه قالوا من يا رسول الله قال من ادرك ابويه عند الكبر احدهما او كلاهما ولم يدخل الجنة اوردته مسلم في الصحيح وروى ابو اسيد الانصاري قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي من بر ابوي شي ابرهما به بعدموتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وافتاد عهدهما من بعدهما واکرام صديقتهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما قال قتادة هكذا علمتم وبهذا امرتم فخذوه بتعليم الله وادبه (ربكم اعلم) اي اكثر معلوماً وقيل اثبت علماً فإنه سبحانه اعلم بأن الجسم حادث من الإنسان العالم بذلك (بما في قوسكم) اي بما تضمرون من البر والعقوق فمن ندرت منه نادرة وهو لا يضمر عقوقاً غفر الله له ذلك وقيل معناه انه اعلم بجميع ما في ضمائركم وهذا اوجه (ان تكونوا صالحين) اي طائعين لله (فإنه كان للأوابين غفورا) والأواب التواب المتعبد الراجع عن ذنبه عن مجاهد وروى ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقيل ان الأولين المطيعون المحسنون عن قتادة وقيل انهم الذين يذنبون ثم يتوبون ثم يذنبون ثم يتوبون عن سعيد بن المسيب وقيل هم الراجعون الى الله فيما يتوبهم عن ابن عباس وقيل هم المسيحون عن ابن عباس في رواية اخرى ويعضده قوله يا جبال اوبي معه وقيل انهم الذين يصلون بين المغرب والعشاء روي ذلك مرفوعاً وروى هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال صلاة أربع ركعات بقرا في كل ركعة خمسين مرة قل هو الله احد هي صلاة الأولين

قوله تعالى (٢٦) وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً (٢٧) إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً (٢٨) وإما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً منسوراً (٢٩) ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً (٣٠) إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خيراً بصيراً خمس آيات

— اللغة —

التبذير التفريق بالاسراف وأصله ان يفرق كما يفرق البذر الا انه يختص بما يكون على سبيل الافساد وما كان على وجه الاصلاح لا يسمى تبذيراً وان كثر قال النابغة
 ترائب يستضيئ الحلى فيها كجمر النار بذر بالظلام
 والاعراض صرف الوجه عن الشيء وقد يكون عن قلى وقد يكون للاشتغال بما هو الاولى وقد يكون للازدلال كما قال واعرض عن الجاهلين وأصل الحسر الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسرا إذا كشف عنه والحسرة الغم لانحسار ما فات ودابة حسير إذا كالت لشدة السير لانحسار قوتها بالكلال ومنه قوله بنقل اليك البصر خاسئاً وهو حسير والمحسور المنقطع به لذهاب ما في يده وانحساره عنه قال الهذلي
 ان العسير بها داء مخامرها فشطرها نظر العيتين محسور
 ويقال حسرت الرجل بالمسألة اذا افنت جميع ما عنده

✽ الاعراب ✽

وأما تعرضن تقديره وان تعرض وما مزبدة وابتغاء مفعول له وقيل هو مصدر وضع موضع الحال اي مبتغيا رحمة من ربك ترجوها اي راجيا إياها وترجوها جملة في موضع الجر بكونها صفة لرحمة ويجوز ان يكون في موضع النصب على الحال من الضمير في تعرضن

✽ المعنى ✽

ثم حث سبحانه نبيه ﷺ على إيتاء الحقوق لمن يستحقها على كيفية الاقلاق فقال (وآت ذى القربى حقه) معناه واعطى القرايات حقوقهم التي اوجبها الله لهم في أموالكم عن ابن عباس والحسن وقيل ان المراد قرابة الرسول عن السدي قال ان علي بن الحسين (ع) قال لرجل من اهل الشام حين بعث به (ع) غيبه الله بن زياد الى يزيد بن معاوية أقرأت القرآن قال نعم قال أما قرأت وآت ذى القربى حقه قال وانكم ذو القربى الذي أمر الله ان يؤتى حقه قال نعم وهو الذي رواه اصحابنا عن الصادقين (ع) واخبرنا السيد ابو الحمد مهدي ابن نزار الحسيني قراءة قال حدثنا ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال حدثنا الحاكم ﷺ الواحد ابو محمد قال حدثنا عبد الله عمر بن احمد بن عثمان يبيغداد شفاها قال اخبرني عمر بن الحسن بن علي بن مالك قال حدثنا جعفر بن محمد الاحمسي قال حدثنا حسن بن حسين قال حدثنا ابو معمر سعيد بن جثيم وعلي بن القاسم الكندي ويحيى بن يعلى وعلي بن مسهر عن فضل بن مرزوق عن عطية العوفي عن ابي سعيد الخدري قال لما نزل قوله وآت ذا القربى حقه اعطى رسول الله ﷺ فاطمة فدكا قال عبد الرحمن بن صالح كتب المأمون الى عبد الله بن موسى يسأله عن قصة فدك فكتب اليه عبد الله بهذا الحديث رواه الفضيل بن مرزوق عن عطية فرد المأمون فدكا الى ولد فاطمة (ع) (والمسكين وابن السبيل) معناه وآت المسكين حقه الذي جعله الله له ﷺ من الزكاة وغيرها وآت المجتاز المنقطع عن بلاده حقه ايضا (ولا تبذر تبذيرا) قيل ان المبذر الذي ينفق المال في غير حقه عن ابن عباس وابن مسعود وقال مجاهد لواقق مدا في باطل كان مبذرا ولو اتفق جميع أماله في الحق لم يكن مبذرا وروي عن ابي عبد الله (ع) ان امير المؤمنين (ع) قال لعنابة كمن زاملة للمؤمنين وان خير المطايا امثلها واسلمها ظهرها ولا تكن من المبذرين (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) معناه ان المسرفين اتباع الشياطين سالكون طريقهم وهذا كما يقال لمن لازم السفر هو اخو السفر وقيل معناه انهم قرناء الشياطين في النار (وكان الشيطان لربه كفورا) اي كان الشيطان في قديم مذهبه كثير الكفر مرة بعد اخرى (وإما تعرضن عنهم) اي وان تعرض عن هؤلاء الذين امرتك بإيتاء حقوقهم عند مسألتهم إياك لأنك لا تجد ذلك حياء منهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) اي لتبتغي الفضل من الله والسعة التي يمكنك معها البذل بأمل تلك السعة وذلك الفضل (فقل لهم قولاً يسورا) اي عدم عدة حسنة وقل لهم قولاً سهلاً ليناً يتيسر عليك وروي ان النبي ﷺ كان لما نزلت هذه الآية اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال يرزقنا الله وإياكم من فضله (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) اي لا تكن بمن لا يعطي شيئاً ولا يهب فتكون بمنزلة من يده مغلولة الى عنقه لا يقدر على الاعطاء والبذل وهذا مبالغة في النهي عن الشح والامساك (ولا تبسطها كل البسط) اي ولا تعط ايضا جميع ما عندك فتكون بمنزلة من بسط يده حتى لا يستقر فيها شيء وهذا كناية عن الاسراف (فتقدملوما) تلوم نفسك وتلام (محسورا) منقطعاً به وايس عندك شيء عن السدي وابن عباس وقيل عاجزا نادماً عن قتادة وقيل محسورا من الثياب والمحسور العريان عن ابي عبد الله (ع) وقيل معناه ان امسكت قعدت ملوما مذموما وان اسرفت بقيت متحسرا مغموما عن الجبائي وقال الكلبي لا تعط ما عندك جميعاً فيجيب الآخرون يسألونك فلا تجد ما تعطيهم فيلوموك وروي ان امرأة بعثت ابنها الى رسول الله ﷺ وقالت قل له ان أمي تستكسيك

درا فلان قال حتى ياتنا شي فقل له انها تستكسيك قميصك فاتاه فقال ما قالت له فترع قميصه فدفعه اليه فترت الآية ويقال انه (ع) بقي في البيت اذ لم يجد شيئا يلبسه ولم يمكنه الخروج الى الصلاة فلامه الكفار وقالوا ان محمدا اشتغل بالنوم واللغو عن الصلاة (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) اي يوسع مرة ويضيق مرة بحسب المصلحة مع سعة خزائنه (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) اي عالما باحوالهم بصيرا بمصالحهم فيبسط على واحد ويضيق على اخر يدبرهم على ما يراه من الصلاح
 = (النظم) =

وانما اتصلت هذه الآية الاخيرة بما قبلها من حيث ان فيها حثا على الاعطاء اعتمادا على الله تعالى ونهياعن البخل وحثا على القصد اذ هو سبحانه مع غناه وكمال قدرته يوسع مرة ويضيق مرة اخرى مراعاة للمصلحة فمن هو دونه اولى ان يراعي الصلاح ويملك طريق القصد

قوله تعالى (٣١) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِنَّا كُمْ إِذَا قَتَلْتُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣٢) وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٣) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْفِتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٤) وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٥) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا خمس آيات
 = (القراءة) =

قرأ ابو جعفر وابن عامر برواية ابن ذكوان كان خطأ بفتح الحاء والطاء من غير الف بعدها وقرأ ابن كثير خطأ بكسر الحاء ومدودا والباقون خطأ بكسر الحاء من غير مد وفي الشواذ قراءة الزهري واي رجاء خطأ بكسر الحاء غير ممدود وقراءة الحسن خطأ بالمد وفي رواية اخرى عنه خطأ بفتح الحاء والطاء خفيفة وقرأ اهل الكوفة غير عاصم فلانسرف بالياء والباقون بالياء وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر القسطنطاس بكسر القاف والباقون بضمها
 = (اللمحة) =

الخطأ ما لم يتعمد وكان المأثم فيه موضوعا عن صاحبه قال ابو علي قالوا الخطأ في معنى خطى كما ان خطى في معنى اخطأ في مثل قوله

عبادك يخطئون وانت رب كريم لا يليق بك الذموم

فمجرى الكلام انهم خاطئون وفي التنزيل لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا والمواخذة عن المخطى موضوع فهذا يدل على ان اخطانا في معنى خطئنا وكما جاء اخطأ في معنى خطى كذلك جاء خطى في معنى اخطأ في قوله «يا لهف هند اذ خطئن كاهلا» وفي قول الآخر

والناس يلحون الأ مير اذا هم خطئوا الصواب ولا يلام المرشد

فكذلك قراءة ابن عامر خطأ في معنى اخطأ كما جاء خطى بمعنى اخطأ ويجوز ان يكون الخطى بمعنى الخطأ ايضا كالمثل والمثل والشبه والشبه والبدل والبدل واما قراءة ابن كثير خطأ فإنه يجوز ايضا ان يكون مصدر خطأ وان لم يسمع خطأ ولكن جاء ما يدل عليه وهو قوله «تخاطأت النبل احشاه» قال وانشدنا محمد ابن السري في وصف كرامة

واشعث ان ناولته حوش (?) القرى
ادرت عليه المدجنات الهواضب
تخطأه القناص حتى وجدته
وخرطومه في منقع الماء راسب

فتخطأ يدل على خاطا لأن تفاعل مطاوع فعل كما أن تفاعل مطاوع فعل ووجه من قرأ خطأ بين فإنه يقال خطي بخطأ خطأ اذا تعمد الشيء والفاعل منه خاطي وقد جاء الوعيد فيه في قوله تعالى لا يأكله الا الخاطئون واما خطأ فهو اسم بمعنى المصدر من اخطأت كما عطا ومن اعطيت وقال ابن جنبي يقال خطي يخطأ خطأ وخطا في الدين واخطا الغرض ونحوه وقد يتد اخلان واما اخطا وخط فتخفيف خطأ وخطا قال ابو علي واما قوله فلا يسرف بالياء فإن فاعل يسرف يجوز ان يكون على وجهين * احدهما * ان يكون القاتل الاول فيكون تقديره فلا يسرف القاتل في القتل ويكون مضمرا وان لم يجوز له ذكر لأن الحال تدل عليه فإن قلت كيف يكون في القتل قصد بين شينين حتى ينهي عن الاسراف فيه الذي هو ترك القصد (فالجواب) انه لا يمتنع ان يكون فيه الاسراف كما جاء في اموال اليتامى ولا تأكلوها اسرافا ولم يجوز ان يترك منه لا على الاقتصاد ولا على غيره لقوله ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية فكذلك لا يمتنع ان يقال للقاتل الاول لا يسرف في القتل لأنه بقتله يكون مسرفا ويكون الضمير على هذا في قوله انه كان منصورا لقوله ومن قتل مظلوما تقديره فلا يسرف القاتل المبتدئ بقتله في القتل لأن من قتل مظلوما كان منصورا بان يقتص له وليه او السلطان ان لم يكن له ولي غيره فيكون هذا ردعا للقاتل عن القتل كما ان قوله ولكم في القصاص حياة كذلك فالولي اذا اقتص فإنما يقتص للمقتول ومنه انتقل الى الولي بدلالة ان المقتول لو ابرى من السبب المؤذي الى القتل لم يكن للولي ان يقتص ولو صالح الولي من العمد على مال كان للمقتول ان يؤذي منه دينه ولا يمتنع ان يقال في المقتول منصور لأنه قد جاء ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا * والاخر * ان يكون في يسرف ضمير الوالي اي فلا يسرف الوالي في القتل واسرافه فيه ان يقتل غير الذي قتل او يقتل اكثر من قاتل وولييه وكان مشركا العرب يفعلون ذلك والتقدير فلا يسرف الوالي في القتل اذ الوالي كان منصورا بقتل قاتل وولييه والاقتصاص من القاتل ومن قرأ فلا تسرف بالياء احتمل وجهين ايضا * احدهما * ان يكون المبتدئ القاتل ظلما فليله لا تسرف ايها الانسان فتقتل ظلما من ليس لك قتله ان من قتل مظلوما كان منصورا باخذ القصاص له * والاخر * ان يكون الخطاب للولي فيكون التقدير فلا تسرف ايها الولي في القتل فتتعدى قاتل وليك الى من لم يقتله ان المقتول ظلما كان منصورا وكل واحد من المقتول ظلما ومن ولي المقتول قد تقدم ذكره في قوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لولييه سلطانا واما القسطاس والقسطاس فهما لغتان مثل القسطاس والقسطاس والضم اكثر

المعنى *

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (ولا تقتلوا اولادكم) اي بناتكم (خشية اطلاق) اي خوف فقر وعجز عن النفقة عليهن ويحتمل ان يكون قوله ولا تقتلوا منصوبا عطفا على قوله ان لا تعبدوا ويجوز ان يكون على النهي فيكون مجزوما وإنما نهاهم الله عن ذلك لأنهم كانوا يشدون البنات فيدفنونهن احياء (نحن نرزقهم وايام) اخبر سبحانه انه متكفل برزق اولادهم ورزقهم (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) يعني ان قتلهم في الجاهلية كان إثما عظيما عند الله وهو اليوم كذلك (ولا تقربوا الزنى) وهو وطء المرأة حراما بلا عقد ولا شبهة عقد (انه كان فاحشة) اي معصية كبيرة عظيمة والمراد انه كان عندهم في الجاهلية فاحشة وهو الآن كذلك ومثل هذا في القرآن كثير (وساء سبيلا) اي وبئس الطريق الزنا وفيه اشارة الى ان العقل يقبح الزنى من حيث انه لا يكون للولد نسب اذ ليس بعض الزناة اولي به من بعض فيؤدي الى قطع الانساب وابطال الموارث وابطال صلة الرحم وحقوق الاباء على الاولاد وذلك مستنكر في العقول واخبرني المفيد عبد الجبار بن عبد الله بن علي قال حدثنا الشيخ ابو جعفر

الطوسي قال حدثنا ابو عبد الله الحسن بن احمد بن حبيب الفارسي عن ابي بكر محمد بن احمد بن محمد الجرجاني قال سمعت ابا عمر وعثمان بن الخطاب المعروف بابي الدنيا يقول سمعت علي بن ابي طالب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول في الزناست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما اللواتي في الدنيا فيذهب بنور الوجه ويقطع الرزق ويسرع الفنا وأما اللواتي في الآخرة فغضب الرب وسره الحساب والدخول في النار والخلود في النار (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) وهو ان يجب عليه القتل اما لكفره أو لانه قتل نفسا بغير حق أو زنى وهو محصن (ومن قتل مظلوماً بغير حق) فقد جعلنا لولييه سلطاناً) أي قد اثبتنا لولييه سلطان القود على القاتل أو الدية أو العفو عن ابن عباس والضحاك وقيل سلطان القود عن قتادة (فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً) سر تفسيره قبل (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي احسن حتى يبلغ أشده) فسرناه في سورة الانعام (واوفوا بالعهد) في الوصية بمال اليتيم وغيرها وقيل ان كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد وقد يجب الشيء ايضاً بالنذر والعهد به وان لم يجب ابتداءً وانما يجب عند العقد (ان العهد كان مسؤلاً) عنه للجزاء عليه فحذف عنه لأنه مفهوم وقيل ان معناه ان العهد يسأل فيقال له بما نقضت كما تسأل المروءة بأبي ذنب قتلت (واوفوا الكيل إذا كلفتم) أي أتوه ولا تبخسوا منه ومعناه واوفوا الناس حقوقهم إذا كلفتم عليهم (وزنوا بالقسط) وهو الميزان صغرام كبر عن الزجاج وقيل هو القبان عن الحسن وقيل هو العدل بالرومية عن مجاهد فيكون محمولاً على موافقة اللغتين (المستقيم) الذي لا يخس فيه ولا غبن (ذلك خير) أي خير ثواب عن قتادة وقيل اقرب إلى الله عن عطاء وقيل معناه ان ابقاء الكيل والوزن خير لكم في دنياكم فانه يكسب اسم الأمانة في الدنيا (واحسن تأويلاً) اي واحسن عاقبة في الآخرة ومرجعاً من آل يؤول إذا رجع حث الله سبحانه بهذه الآية على اتمام الوزن والكيل في المعاملات والبياعات وايفاء حقوق العباد

قوله تعالى (٣٦) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٧) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٨) كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٩) ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا (٤٠) أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا خمس آيات

القراءة

قرأ ابن عامر واهل الكوفة كان سيئه بضم الهمزة مضافاً إلى الماء وقرأ الباقون سيئة منصوباً منونا غير مضاف

الحجة

من قرأ سيئه مضافاً قال لأنه قد تقدم ذكر أمر منها سي ومنها حسن فخص الله سبحانه السي منها بأنه مكروه عنده لأنه عز اسمه لا يكره الحسن ويقوي ذلك قوله مكروها ولو كان سيئة غير مضاف لوجب ان تكون مكروهة فإن قيل ان التأنيث غير حقيقي فلا يمنع ان يذكر قيل ان هاهنا التذكير لا يحسن وان لم يكن حقيقياً لأن المؤنث قد تقدم ذكره فإن قوله «ولا ارض اقبل ابقالها» مستقبح عندهم واو قال اقبل ارض لم يستقبح وذلك ان المتقدم الذكر ينبغي ان يكون الراجع اليه وفقه كما يكون وفقه في التثنية والجمع واذا لم يتقدم له ذكر لم يلزم ان يراعي ذلك ومن قرأ سيئة فانه يشبه ان يكون لما رأى الكلام اقتطع عند قوله واحسن تأويلاً وكان

الذي بعده من قوله ولا تقف ما ليس لك به علم لا امر حسنا فيه قال كل ذلك كان سيئة فأفرد ولم يضيف
فإن قلت كيف ذكر الموث ثم قال مكروها قلت فإنه يجوز أن لا يجعل مكروها صفة سيئة ولكن نجعله بدلا
ولا يلزم أن يكون في البديل ذكر المبدل منه كما يجب ذلك في الصفة ويجوز أن يكون مكروها حالا من الذكر
الذي في قوله عند ربك على أن تجعل عند ربك صفة للذكرة قال النحوي البصير ليس هذا بصحيح لأن الضمير الذي
في الظرف موث كما أن السيئة موث فيلزم منه ما لزم من الأول إذا جعلته صفة للسيئة وإن حمله على التأنيت
غير الحقيقي يجيء منه ما قال في قوله ولا أرض اقبل ابقاها

✽ اللغة ✽

القفور اتباع الاثر ومنه القيافة فكأنه يتبع قفا المتقدم قال

ومثل الذمي شم العرائن ساكن بهن الحياء لا يشعن التقافيا

اي التقاذف قال ابو عبيدة القفور العضية يقال قافه يقوفه وقفاه يقفوه بمعنى فهو مثل جذب وجذب واصل
الحرق القطع ورجل خرق يتخرق في السخاء والخرق الغلاة لانقطاع اطرافها بتباعدها قال رؤبة «وقاتم الاعماق
خاوي المخترق» اي خاوي المقطع والمرح شدة الفرح

✽ الاعراب ✽

قال كل أو تلك لأن أو تلك وهؤلاء للجمع القليل من المذكر والمؤنث وإذا أريد الكثير يقال كل هذه
وتلك قال الشاعر

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أو تلك الايام

فأو تلك كما يكون إشارة إلى العقلاء يكون إشارة إلى غيرهم وقوله كان عنه مسوؤلا الهاء تعرد إلى كل
اي يسأل عن استعمال هذه الاشياء وان شئت كان الهاء يعود إلى الانسان اي يسأل عن الانسان فيما استعمل
هذه الاشياء ويكون في مسوؤلا ضمير يقود إلى كل وقدره ابو علي ان افعال السمع والبصر والفؤاد كل افعال
أو تلك طولاً مصدر وضع موضع الحال اما عن الفاعل في ان تبلغ او من الجبال وجوز الأمرين ابو علي فتلقى
منسوب باضمار ان اكونه جواب النهي بافناء ملوماً مدحوراً نصب على الحال ومرحاً نصب على التمييز ويجوز
ان يكون مصدراً وضع موضع الحال كقواهم جاء زيد ركضاً وجاء زيد ركضاً فركضاً او كد في الاستعمال
لأن ركضاً يدل على تأكيد الفعل وتقديره ير كض ركضاً وعلى هذا يكون معناه ولا تمش في الارض مختالاً وقيل
ان طولاً نصب على التمييز

✽ المعنى ✽

ثم قال سبحانه (ولا تقف ما ليس لك به علم) ومعناه لا تقل سمعت ولم تسمع ولا رأيت ولم تر ولا علمت ولم تعلم
عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه لا تقل في قفا غيرك كلاماً اي اذا مر بك فلا تقبته عن الحسن وقيل هو شهادة
الزور عن محمد بن الحنفية والاصل انه عام في كل قول وفعل او عزم يكون على غير علم فكأنه سبحانه قال
لا تقل الا ما تعلم انه مما يجوز ان يقال ولا تفعل الا ما تعلم انه مما يجوز ان يفعل ولا تعتقد الا ما تعلم انه مما يجوز
ان يعتقد وقد استدلل جماعة من اصحابنا بهذا على ان العمل بالقياس وبخبر الواحد غير جائز لأنها لا يوجب العلم
وقد نهى الله سبحانه عن اتباع ما هو غير معلوم (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسوؤلاً) معناه
ان السمع يسأل عما سمع والبصر عما رأى والقلب عما عزم عليه ذكر سبحانه السمع والبصر والفؤاد والمراد ان
اصحابها هم المسوؤلون ولذلك قال كل أو تلك وقيل بل المعنى كل أو تلك الجوارح يسأل عما فعل بها قال الوابي
عن ابن عباس يسأل الله العباد فيما استعملوها وروى علي بن ابراهيم في تفسيره عن ابيه عن الحسن بن محبوب عن

ابي حمزة الثمالي عن ابي جعفر (ع) قال قال رسول الله ﷺ لا يزول قدم عبد يوم القيامة بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن اربع خصال عمرك فيما افنيته وجسدك فيما ابلتته ومالك من اين كسبته واين وضعته وعن حبناء أهل البيت (ولا تمش في الارض مرها) معناه لا تمش على وجه الاشر والبطر والخيلاء والتكبر قال الزجاج معناه لا تمش في الارض مختللاً فخوراً وقيل المرح شدة الفرح بالباطل (انك ان تخرق الارض وان تبلغ الجبال طولاً) هذا مثل ضربه الله تعالى قال انك ايها الانسان ان تشق الارض من تحت قدمك بكبرك ولن تبلغ الجبال بطاواك والمعنى انك لن تبلغ مما تريد كثير مبلغ كما لا يمكنك ان تبلغ هذا فما وجه المنازعة على ما هذا سبيله مع ان الحكمة زاجرة عنه وإنما قال ذلك لان من الناس من يمشي في الارض بطراً يدق قدميه عليها ليري بذلك قدرته وقوته ويرفع رأسه وعنقه فيبين سبحانه انه ضعيف مهين لا يقدر ان يخرق الارض بدق قدميه عليها حتى ينتهي الى آخرها وان طولها لا يبلغ طول الجبال وان كان طويلاً علم الله سبحانه عبادته التواضع والمروءة والوقار (كل ذلك) اشارة الى جميع ما تقدم ذكره مما نهى الله سبحانه عنه في هذه الآيات (كان سيئته) اي معصيته (عند ربك مكروها) له سبحانه يكرهها ولا يريد لها ولا يرضاها وعلى القراءة الثانية فيكون ذلك اشارة الى جميع ما امر به من الحسنات ونهى عنه من المقيحات اي كان سيئ ماسبق من هذه الاشياء مكروها عند ربك وفي هذا دلالة واضحة على بطلان قول المجبرة فانه سبحانه صرح بأنه يكره المعاصي والسيئات وإذا كرهها فكيف يريد لها فان من المحال ان يكون الشيء الواحد مراداً مكروها عنده (ذلك) الذي تقدم ذكره مسن الأوامر والنواهي (بما اوحى اليك ربك) يا محمد (من الحكمة) المؤدية الى المعرفة بالحسن والقبح والفرق بينهما (ولا تجعل مع الله إلهاً آخر) في اقرارك وقولك والخطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره ليكون ابلغ في الزجر كقوله لن اشركت ليحبطن عملك (فتلقى) أي فتطرح بمعنى انك إذا فعلت ذلك القيت وطرحت (في جهنم ملوماً بلوماك) الناس (مدحوراً) أي مطروداً مبعداً عن رحمة الله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثاً) هذا خطاب لمن جعل الملائكة بنات الله تعالى ومعناه اخلصكم الله سبحانه بالبنين وخصكم بهم واتخذ لنفسه الإناث وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه واختصكم بالأرفع وجعل لنفسه الأدون تقول اصفيت فلانا بالشيء إذا آثرته به (انكم لتقولون قولاً عظيماً) اي كبيراً في الاثم واستحقاق العقوبة حيث اضعتم الى الله سبحانه ما لم ترضوا لأنفسكم به وجعلتم الملائكة وهم اعلى خلق الله واشرفهم أدون خلق الله وهم الاناث

قوله تعالى (٤١) وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَغُوا إِلَيَّ الْعَرْشَ سَيِّئًا (٤٣) سُبْحَانَ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوءًا كَبِيرًا (٤٤) تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا

﴿ القراءه ﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ليدكروا ساكنة الذال خفيفة وفي سورة الفرقان مثله والباقون ليدكروا بفتح الذال والكاف وتشديدهما في السورتين وقرأ كما يقولون بالياء يسبح له بالياء أهل المدينة والشام وابو بكر وقرأ أهل البصرة كما تقولون بالياء عما يقولون بالياء تسبح له بالياء وقرأ حفص كما يقولون وعما يقولون بالياء يسبح بالياء وقرأ الجميع بالياء ابن كثير وقرأ الجميع بالياء حمزة والكسائي وخلف

﴿ الحجته ﴾

قال ابو علي حجته من قال ليدكروا قوله ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون فالتذكير هنا أشبه من الذكر

لأنه كان يراد به التدبر وليس يراد الذكر الذي هو ضد النسيان واكتنه كما قال كتاب أنزلناه اليك مبارك ليعذروا آياته وليتذكر اولو الألباب وليس المراد ليتذكروه بعد نسيانهم بل المراد ليتدبروه بمقوله ووجه التخفيف ان التخفيف قد جاء في هذا المعنى خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فهذا ليس على معنى لا تنسوه ولكن تدبروه ومن قرأ كما يقولون بالياء فالعنى كما يقول المشركون من اثبات الآلهة من دونه فهو مثل قوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون لأنهم غيب فأما من قرأ سبحانه وتعالى عما يقولون فإنه يحتمل وجهين ﴿أحدهما﴾ ان يعطف على كما يقولون ﴿والآخر﴾ ان يكون نزه سبحانه نفسه عن دعوتهم قال سبحانه وتعالى عما يقولون ومن قرأ كما تقولون بالتاء وعما يقولون بالياء فإن الأول على ما تقدم والثاني على انه نزه نفسه عن قولهم ويجوز أن تحمله على القول كأنه قال قل أنت سبحانه وتعالى عما يقولون واما قوله تسبيح له السموات فكل واحد من اليا والتاء حسن

✽ المعنى ✽

ثم احتج سبحانه على الذين تقدم ذكرهم فقال (ولقد صرفنا) أي كررنا الدلائل وفضلنا المعاني والأمثال وغير ذلك مما يوجب الاعتبار به (في هذا القرآن ليعذروا) أي ليتفكروا فيها فيعلموا الحق وحذف ذكر الدلائل والعبارة لدلالة الكلام عليه وعلم السامع به (وما يزيدهم إلا نفورا) أي وما يزداد هولا الكفار عند تصريف الأمثال والدلائل لهم إلا تباعدا عن الاعتبار ونفورا عن الحق وأضاف النفور إلى القرآن لأنهم ازدادوا النفور عند نزوله كقوله فلم يزدحم دعائي إلا فرارا فإن قيل إذا كان المعلوم انهم يزدادون النفور عند انزال القرآن فما المعنى في انزاله وما وجه الحكمة فيه قيل الحكمة فيه الزام الحججة وقطع المذرة في اظهار الدلائل التي تحسن التكليف وانه يصلح عند انزاله جماعة ما كانوا يصلحون عند عدم انزاله ولو لم ينزل لكان هولا الذين ينفرون عن الإيمان يفسدون بفساد اعظم من هذا النفور فالحكمة اقتضت انزاله لهذه المعاني وإنما ازدادوا نفورا عند مشاهدة الآيات والدلائل لاعتقادهم انها شبه وحيل وقلة تفكرهم فيها (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (لو كان معي آلهة كما يقولون) هم أو تقولون أنتم على القراءتين (إذا لابتغوا إلى ذي العرش سيلا) أي لطلبوا طريقا يقربهم إلى مالك العرش والتمسوا الزلفه عنده لعلهم يعلوه عليهم وعظمتهم عن مجاهد وقتادة وقال اكثر المفسرين معناه لطلبوا سيلا إلى معازة مالك العرش ومغالبة صاحبها ليصفو له الملك وفي هذا إشارة إلى دليل التانع ثم نزه سبحانه نفسه من ان يكون له شريك في الإلهية فقال (سبحانه وتعالى عما يقولون) أي عن قولهم (علوا كبيرا) وإنما لم يقل تعاليا كبيرا لأنه وضع مصدر مكان مصدر نحوه قوله تبثل اليه تبثيلا ومعنى تعالى ان صفاته في اعلى المراتب ولا مساوي له فيها لأنه قادر لا أحد أقدر منه وعالم لا أحد اعلم منه وخص العرش باضافته اليه تعظيما للعرش ويجوز ان يريد بالعرش الملك (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن) معنى التسبيح هاهنا الدلالة على توحيد الله وعدله وانه لا شريك له في الإلهية وجرى ذلك مجرى التسبيح باللفظ وربما يكون التسبيح من طريق الدلالة اقوى لأنه يورثي إلى العلم (وان من شيء إلا يسبح بحمده) أي ليس شيء من الموجودات إلا ويسبح بحمد الله تعالى من جهة خلقته إذ كل موجود سوى القديم حادث يدعو إلى تعظيمه حاجته إلى صانع غير مصنوعه أو صنع من صنعته فهو يدعو إلى تثبیت قديم غني بنفسه عن كل شيء سواه ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات وقيل ان معناه وما من شيء من الأحياء إلا يسبح بحمده عن الحسن وقيل ان كل شيء على العموم من الوحوش والطيور والجمادات يسبح الله تعالى حتى صرير الباب وخرير الماء عن ابراهيم وجماعة (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أي لا تعلمون تسبيح هذه الأشياء حيث لم تنظروا فيها فتعلموا كيف دلالاتها على توحيد الله (انه كان حليما)

يهلكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفركم (غفورا) لكم اذا تبتم وانبتم اليه

قوله تعالى (٤٥) واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا (٤٦) وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على آذانهم نفورا (٤٧) نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان نتبعون الا رجلا مسحورا (٤٨) انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا أربع آيات

✽ اللغة ✽

الوقر بالفتح الثقل في الاذن وبالكسر الحمل والاصل فيه الثقل إلا انه خوفاً بين البناءين للفرق والنفور جمع نافر وهذا الجمع قياس في كل فاعل اشتق من فعل مصدره على فعول مثل ركوع وسجود وشهود والنجوى مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وهو مقرر على لفظه = (الاعراب)

قوله ان يفقهوه في موضع نصب بأنه مفعول له على كراهة ان يفقهوه . نفورا نصب على الحال وتقديره ولوا نافرين وقيل انه مصدر واوا خرج على غير لفظه لأن معنى ولوا نفروا فكأنه قال نفروا نفورا

✽ النزول ✽

قيل نزل قوله واذا قرأت القرآن الآية في قوم كانوا يؤذون النبي ﷺ بالليل إذا تلا القرآن وصلى عند الكعبة وكانوا يرمونه بالحجارة ويمتنعونه عن دعاء الناس إلى الدين فقال الله سبحانه بينه وبينهم حتى لا يؤذوه عن الزجاج والجبائي

✽ المعنى ✽

لما تقدم قوله ولقد صرفنا في هذا القرآن بين سبحانه حالهم عند قراءة القرآن فقال (واذا قرأت القرآن) يا محمد (جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة) وهم المشركون (حجابا مستورا) قال الكلبي وهم ابو سفيان والنضر بن الحرث وابو جهل وأم جميل امرأة ابي لهب حجب الله رسوله عن ابصارهم عند قراءة القرآن وكانوا يأتونه ويرونه ولا يرونه وقيل أراد حجابا ساترا عن الأُخْفَش والفاعل قد يكون في لفظ المفعول يقال مشووم وميسوم إنما هو شائم ويامن وقيل هو على بناء النسب لا على ان المفعول بمعنى الفاعل والفاعل بمعنى المفعول والمعنى حجابا ذا ستر وهذا هو الصحيح وقيل حجابا مستورا عن الأعين لا يبصر وإنما هو من قدرة الله تعالى حجب نبيه بحجاب لا يرونه ولا يراه النبي ﷺ وقيل ان المعنى في الآية جعلنا بينك وبينهم حجابا بمعنى باعدنا بينك وبينهم في القرآن فهو لك وللمؤمنين معك شفاء وهدى وهو للمشركين في آذانهم وقر عليهم عسى فهذا هو الحجاب عن ابي مسلم وهذا بعيد والاول أوجه لأنه الحقيقة (وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا) مر تفسيره في سورة الأنعام (واذا ذكرت ربك في القرآن وحده) معناه واذا ذكرت الله بالتوحيد وأبطلت الشرك (ولوا على آذانهم نفورا) أي اعرضوا عنك مدبرين نافرين والمعنى بذلك كفار قريش وقيل هم الشياطين عن ابن عباس وقيل معناه إذا سمعوا بسم الله الرحمن الرحيم ولوا وقيل إذا سمعوا قول لا إله إلا الله (نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون اليك) معناه ليس يخفى علينا حال هؤلاء المشركين وغرضهم في الاستماع اليك وقد علمنا سبب استماعهم وهذا كما يقال فعلت ذلك بجرمتك (واذ هم نجوى) أي متناجون وقيل هم ذوو نجوى

والمعنى انا نعلمهم في حال ما يصفون إلى سماع قراءتك وفي حال ما يقومون من عندك ويتناجون فيما بينهم فيقول بعضهم هو ساحر وبعضهم هو كاهن وبعضهم هو شاعر وقيل يعني به ابا جهل وزمعة بن الأسود وعمر بن هشام وخويطب بن عبد العزى اجتمعوا وتشاوروا في أمر النبي ^{صلى الله عليه وسلم} فقال ابو جهل هو مجنون وقال زمعة هو شاعر وقال خويطب هو كاهن ثم اتوا الوليد بن المغيرة وعرضوا ذلك عليه فقال هو ساحر (إذ يقول الظالمون ان تتبعون إلا رجلا مسحورا) قيل فيه وجه ^{احدها} انهم يقولون ما يتبعون إلا رجلا قد سحر فاختلط عليه امره وإنما يقولون ذلك للتفخير عنه ^{وثانيها} ان المراد بالمسحور المخدوع الملعن كما في قول امرئ القيس

أرانا موضعين لحتم غيب ونسحر في الطعام وفي الشراب
وقول امية بن ابي الصلت
فإن تسألينا فيم نحن فإننا
عصافير من هذا الأنام المسحر

^{وآلثها} ان المعنى ان تتبعون إلا رجلا إذا سحر أي رثة خلقه الله بشرا مثلكم ^{ورابعها} ان المسحور بمعنى الساحر كما قيل في قوله حجابا مستورا أي ساترا وقد زيف هذا الوجه والوجه الثلاثة أوضح وعلى هذا فمعنى الآية البيان عما توجهه حال المعادي للدين الناصب للحق اليقين وان قلبه كأنه في كنانة عن تفهمه وكأن في أذنيه وقرأ عن استماعه فهو مول نافر عنه بناجي في حال الانحراف عنه جهالا أمثاله قد بعدوا بالحجة حتى نسبوا صاحبها إلى انه مسحور لما لم يكن لهم إلى مقاومة ما أتى به سبيل ولا على كسره بالمعارضة دليل ثم قال سبحانه على وجه التعجب (أنظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الأمثال) أي شبهوا لك الاشياء فقالوا مجنون وساحر وشاعر (فضلوا) بهذا القول عن الحق (فلا بسطيعون سبيلا) أي لا يجدون حيلة ولا طريقا إلى بيان تكذيبك إلا البهت الصريح وقيل لا يجدون سبيلا أي لا يجدون حيلة وطريقا إلى صد الناس عنك وإلى اثبات ما ادعوا عليك وقيل ضلوا عن الطريق المستقيم وهو الدين والإسلام فلا يجدون إليه طريقا بعد ما ضلوا عنه

قوله تعالى (٤٩) وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا أَوْنَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٥٠) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥١) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكُمْ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥٢) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا
أربع آيات قد ذكرنا اختلاف القراء في الاستفهامين من قوله إذا وأءنا في سورة الرعد فلا معنى لإعادته

اللغة

الرفات ما تكسر ويلي من كل شيء ويكثر بناء فعال في كل ما يحطم ويرضض يقال حطام ودقاق وتراب وقال المبرد كل شيء مدقوق مبالغ في دفعه حتى انسحق فهو رفات وقال الفراء لا واحد له من لفظه يقال رفت الشيء رفنا فهو رفوت إذا صير كالحطام ويقال انفض رأسه بنفضه نفضا إذا حركه قالوا والنفض تحريك الرأس بارتفاع وانخفاض ومنه قيل للظلم نفض لأنه يحرك رأسه في مشيه بارتفاع وانخفاض قال العجاج «اصك نفضا لابني مستهدجا» ونفض السن إذا تحركت قال «فنفضت من هرم اسنانها»

-- « الاعراب » --

إذا في موضع نصب بفعل يدل عليه قوله إنا لمبعوثون وتقديره أنبعث في ذلك الوقت ولا يجوز ان يكون ظرفاً لقوله لمبعوثون لأن ما بعد ان ولام الابتداء لا يجوز ان يعمل فيما قبلها والباء في بحمده باء الحال اي تستجيبيون حامدين له ويدعوكم في موضع الجر بإضافة يوم اليه وتستجيبيون عطف عليه وتظنون ليس في موضع الجر لأن الواو للحال وتقديره وحالكم إذ ذلك ان تظنوا و قليلاً نصب على الظرف وتقديره ان لبثتم لازماً قليلاً

- المعنى -

لما تقدم ذكر البعث والنشور حكى سبحانه عن الكفار ما قالوا في انكاره فقال (وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا) اي غباراً عن ابن عباس وقيل تراباً عن مجاهد (انالمبعوثون خلقاً جديداً) والمعنى قال المنكرون للبعث انا اذا متنا وانتشرت لحومنا وصرنا عظاماً وتراباً أنبعث بعد ذلك خلقاً جديداً اي متجدداً وهو انكار في صورة الاستفهام (قل) يا محمد لهم (كونوا حجارة او حديداً) اي اجهدوا في ان لاتعادوا و كونوا ان استطعتم حجارة في القوة او حديداً في الشدة (او خلقاً مما يكبر في صدوركم) اي خلقاً هو اعظم من ذلك عندكم واصعب فالنكس لا تفوتون الله تعالى وسيحييكم بعد الموت وينشركم الا ان الكلام خرج مخرج الأمر لأنه ابلغ في الإلزام وقيل يعني بقوله ما يكبر في صدوركم الموت عن ابن عباس وسعيد بن جبير اي لو كنتم الموت لأنتم الله تعالى ولبس شيءاً كبر في صدور بني آدم من الموت وقيل يعني به السماوات والارض والجبال عن مجاهد (فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة) معناه فإنك اذا قلت لهم ذلك سيقولون لك من يحيينا بعد الموت قل يا محمد يحييكم من خلقكم اول مرة فإن من قدر على ابتداء الشيء كان على اعادته اقدر ما لم تبطل قدرته ولم يتغير فإن ابتداء الشيء اصعب من اعادته وإنما قال ذلك لهم لأنهم كانوا يقرون بالنشأة الاولى (فسيفضون اليك رؤوسهم) اي فسيسحرون اليك رؤوسهم تحريك المستهزي المستخف المستبطن لما تنذرهم به (ويقولون متى هو) اي متى يكون البعث (قل عسى ان يكون قريباً) لأن ما هو آت قريب ومن كلام الحسن كأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تنزل (يوم يدعوكم فتستجيبيون بحمده) معناه عسى ان يكون بعثكم قريباً ايها المشركون يوم يدعوكم من قبوركم الى الموقف على السنة الملائكة وذلك عند النفخة الثانية فيقولون ايها العظام النخرة والجلود البالية عودي كما كنت فتستجيبيون مضطربين بحمده اي حامدين لله على نعمه وانتم موحدون وهذا كما يقول القائل جاء فلان بغضبه اي جاء غضبان وقيل معنى تستجيبيون بحمده انكم تستجيبيون معترفين بأن الحمد لله على نعمه لا تنكرونه لأن المعارف هناك ضرورة قال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم يقولون سبحانك وبحمدك ولا ينفعهم في ذلك اليوم لأنهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد (وتظنون ان لبثتم الا قليلاً) اي وتظنون انكم لم تلبثوا في الدنيا الا قليلاً لسرعة انقلاب الدنيا الى الآخرة قال الحسن وقتادة استقصوا مدة لبثهم في الدنيا لما يعلمون من طول لبثهم في الآخرة ومن المفسرين من يذهب الى ان هذه الآية خطاب للمؤمنين لأنهم الذين يستجيبيون لله بحمده ويحمدونه على احسانه اليهم ويستقلون مدة لبثهم في البرزخ لكونهم في قبورهم منعمين غير معذبين واهام السرور والرخاء قصار

قوله تعالى (٥٣) وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ بِنَزْعِ بَيْنِهِمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَسَاءَ بَرَحْمِكُمْ أَوْ إِنْ يَسَاءُ يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا (٥٥) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (٥٦) قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ

دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا خمس آيات

✽ اللغة ✽

الوسيلة القربة والواصل الراغب قال لبيد « بلى كل ذي دين الى الله واسل » قال الزجاج الوسيلة والسؤل والطالبة في معنى واحد

✽ الاعراب ✽

يقولوا جواب شرط محذوف تقديره قل لعبادي قولوا التي هي احسن يقولوا وكان ابو عثمان يزعم أن يقولوا واقع موقع قولوا وهو مبني لأنه وقع موقع قولوا ووقوع الفعل موقع الفعل المبني لا بوجب له البناء الا ترى ان قوله تؤمنون بالله ورسوله واقمع موقع آمنوا وهو معرب وإنما ذلك في الاسماء نحو يا زيد بني لوقوعه موقع يا انت اولئك رفع بالابتداء والذين يدعون صفة لهم وابتغون خبر الابتداء وقوله ايهم اقرب قال الزجاج ان شئت كان ايهم رفعا بالابتداء والخبر وقوله اقرب ويكون معناه ينظرون ايهم اقرب اليه فيتوسلون به والجملة متعلقة ينظرون المضمره ويجوز ان يكون ايهم اقرب بدلا من الواو في يبتغون

✽ النزول ✽

كان المشركون يؤذون اصحاب رسول الله ﷺ بمكة فيقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فيقول لهم اني لم اوامر فيهم بشي فأ نزل الله سبحانه قل لعبادي الآية عن الكلبي

✽ المعنى ✽

ثم امر سبحانه عباده باتباع الأحسن من الأقوال والأفعال فقال (وقل) يا محمد (لعبادي) وهذا اضافة تخصيص وتشريف أراد به المؤمنين وقيل هو عام في جميع المكلفين (يقولوا التي هي أحسن) أي يختاروا من المقالات والمذاهب المقالة التي هي أحسن المقالات والمذاهب وقيل معناه مرهم يقولوا الكلمة التي هي أحسن الكلمات وهي كلمة الشهادتين وكل ما ندب الله اليه من الأقوال وقيل معناه يأمرها بما امر الله به وبنهوا عما نهى الله عنه عن الحسن وقيل معناه قل لهم يقل بعضهم لبعض أحسن ما يقال مثل رحمك الله ويغفر الله لك وقيل معناه قل لعبادي إذا سمعوا قولك الحق وقول المشركين يقولوا ما هو أولى ويتبعوا ما هو أحسن عن ابي مسلم وقال نظيره فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه (ان الشيطان ينزغ بينهم) أي يفسد بينهم ويغري بعضهم ببعض ويلقي بينهم العداوة (ان الشيطان كان) في جميع الأوقات (للانسان) أي لآدم وذريته (عدواً مبيناً) مظهراً للعداوة ثم خاطب سبحانه الفريقين فقال (ربكم أعلم بكم) معناه انه أعلم بأحوالكم فيدبر أموركم على ما يعلمه من المصلحة لكم (ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم) قيل أراد انه سبحانه مالك للرحمة والعذاب فيكون الرجاء اليه والخوف منه عن الجبائي وقيل معناه ان يشأ يرحمكم بالتوبة أو ان يشأ يعذبكم بالإصرار على المعصية عن الحسن وقيل معناه ان يشأ يرحمكم باخراجكم من مكة وتخليصكم من اشداء المشركين أو ان يشأ يعذبكم بتسليطهم عليكم وقيل ان يشأ يرحمكم بفضله وان يشأ يعذبكم بعدله وهو الاظهر ثم عاد الى خطاب النبي ﷺ فقال (وما أرسلناك عليهم وكيلا) أي وما أرسلناك موكلا عليهم حفيظاً لأعمالهم يدخل الايمان في قلوبهم شاؤوا أم أبوا ومعناه انك لا تؤخذ بأعمالهم فإننا أرسلناك داعياً لهم الى الايمان فإن اجابوك والا فلا شي عليكم فإن عتاب ذلك يحل بهم واللائمة تلزمهم (وربك اعلم بين في السموات والارض) أي هو اعلم بين في

السموات من الملائكة ومن في الارض من الانبياء بين سبحانه بهذا انه لم يختار الملائكة والانبياء للميل اليهم وانما اختارهم لعلمه بباطنهم وقيل معناه انه اعلم بالجميع فجعلهم مختلفين في الصور والرزق والاحوال كما اقتضته المصلحة كما فضل بعض النبيين على بعض (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) والمعنى ان الانبياء وان كانوا في اعلى مراتب الفضل فانهم طبقات في ذلك وبعضهم اعلى من بعض بزيادة الدرجة والثواب وبالمعجزات والكتب ولما كان سبحانه عالماً بيوطن الامور اختارك للنبوة وفضلك على الانبياء كما فضل بعضهم على بعض فسخر لبعضهم النار والآن لبعضهم الحديد واتى بعضهم الملك وكلم بعضهم وكذلك خصك بخصائص لم يعطها احداً وختم بك النبوة ثم قال (واتينا داود زبوراً) قال الحسن كل كتاب زبور الا ان هذا الاسم غلب على كتاب داود (ع) كما غلب اسم الفرقان على القرآن وان كان كل كتاب من كتب الله فرقانا لانه يفرق بين الحق والباطل وقال الزجاج معنى ذكر داود هنا انه يقول لا تنكروا وتفضل محمد ﷺ واعطاء القرآن فقد اعطينا داود الزبور ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله (ادعوا الذين زعمتم من دونه) انها آلهة عند ضر ينزل بكم ليكشفوا ذلك عنكم او يحولوا تلك الحالة الى حالة اخرى (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) للحالة التي تكروهونها الى حالة تحبونها يعني تحويل حال القحط الى الخصب والفقير الى الغنى والمرض الى الصحة وقيل معناه لا يملكون تحويل الضر عنكم الى غيركم بين سبحانه ان من كان بهذه الصفة فإنه لا يصلح للالهية ولا يستحق العبادة والمراد بالذين من دونه الملائكة والمسيح وعزير عن ابن عباس والحسن وقيل هم الجن لأن قوماً من العرب كانوا يعبدون الجن عن ابن مسعود قال واسلم اولئك نفر من الجن وبقي الكفار على عبادتهم قال الجبائي ثم رجع سبحانه الى ذكر الانبياء في الآية الاولى فقال (اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) ومعناه اولئك الذين يدعون الى الله تعالى ويطلبون القرية اليه بفعل الطاعات (ايهم اقرب) أي ليظهر ايهم الافضل والاقترب منزلة منه وتأويله ان الانبياء مع علو رتبهم وشرف منزلتهم إذا لم يعبدوا غير الله فانتهم اولى ان لا يعبدوا غير الله وإنما ذكر ذلك حثاً على الاقتداء بهم وقيل ان معناه اولئك الذين يدعونهم ويعبدونهم ويعتقدون انهم آلهة من المسيح والملائكة يبتغون الوسيلة والقرية الى الله تعالى بعبادتهم ويبتعد كل منهم ليكون اقرب من رحمته أو يطلب كل منهم ان يعلم ايهم اقرب الى رحمته أو الى الاجابة (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) أي وهم مع ذلك يستغفرون لأنفسهم فيرجون رحمته ان اطاعوا ويخافون عذابه ان عصوا ويعملون عمل العبيد (ان عذاب ربك كان محذوراً) أي متى يجب ان يحذر منه لصعوبته وقد ذكرنا ما جاء في معنى الوسيلة عند قوله وابتغوا اليه الوسيلة

قوله تعالى (٥٨) وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٩) وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٦٠) وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءُوسَ الَّتِي آرَيْنَاكَ الْإِفْتِنَةَ لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنَخَوْهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ثلاث آيات

اللغة

المسطور المكتوب قال العجاج

في الصحف الاولى الذي كان سطر

واعلم بان ذا الجلال قد قدر

والمنع وجود ما لا يصح معه وقوع الفعل من القادر عليه وإنما جاز في وصف الله تعالى بمنعنا للمبالغة في أنه لا يقع منه الفعل فكأنه قد منع منه الفعل وإن كان لا يجوز إطلاق مثل هذه الصفة عليه سبحانه لأنه قادر لذاته ومقدوراته غير متناهية فلا يصح أن يمانعه شيء

✽ الاعراب ✽

وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون أن الأولى نصب وإن الثانية رفع والمعنى وما منعنا الإرسال إلا تكذيب الأولين ومبصرة نصب على الحال والشجرة الملعونة تقديرها وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنه للناس أيضاً والمعنى الشجرة الملعونة أهلها وآكلوها وهم الكفرة والفجرة فلما حذف المضاف استتر الضمير في اسم المفعول فأنث المفعول لما جرى على الشجرة وقوله فما يزيدم إلا طغيانا كبيرا أي فما يزيدم التخويف فأضمر التخويف لجرى ذكر الفعل وانتصب قوله طغيانا على أنه مفعول ثان لقوله يزيد

✽ المعنى ✽

ثم زاد سبحانه في الموعظة فقال (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) معناه وما من قرية إلا نحن مهلكوها بإماتة أهلها (أو معذبوها عذاباً شديداً) وهو عذاب الاستئصال فيكون هلاك الصالحين بالموثوق وهلاك الظالمين بالعذاب في الدنيا فإنه يفتي الناس ويخرب البلاد قبل يوم القيامة ثم تقوم القيامة عن الجبائي ومقاتل وقيل إن المراد بذلك قري الكفر والضلال دون قري الإيمان والمراد بالهلاك التدمير عن أبي مسلم (كان ذلك في الكتاب مسطوراً) أخبر أن ذلك كائن لا محالة ولا يكون خلافه ومعناه كان ذلك الحكم في الكتاب الذي كتبه الله تعالى لملائكته وهو اللوح المحفوظ مكتوباً (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) ذكر فيه أقوال **✽** أحدها **✽** أن التقدير ما منعنا إرسال الآيات التي سألوها إلا أن كذبوا الأولين ومعناه أنا لم نرسل الآيات التي اقترحتها قريش في قولهم حول لنا الصفا ذهباً وفجر لنا الأرض بنبوعا إلى غير ذلك لأننا لو أرسلناها لم يؤمنوا فيستحقوا المعالجة بالعقوبة كما أنا لما اجبنا الأولين من الأمم إلى آيات اقترحوها فكذبوا بها عذبناهم بعذاب الاستئصال لأن من حكم الآية المقترحة أنه إذا كذب بها وجب عذاب الاستئصال ومن حكمنا النافذ في هذه الآيات أن لا نعذبهم بعذاب الاستئصال لشرف محمد ﷺ ولما يعلم في ذلك من المصلحة ولأن فيهم من يؤمن به وينصره ومن يولد له ولد مؤمن ولأن أمته باقية وشريعته موبدة إلى يوم القيامة فلذلك لم نجيبهم إلى ذلك وانزلنا من الآيات الواضحات والمعجزات البينات ما تقوم به الحجة وتنقطع به المذرة **✽** الثاني **✽** أن معناه أنا لا نرسل الآيات لعلمنا بأنهم لا يؤمنون عندها فيكون انزالنا إياها عبثاً لا فائدة فيه كما أن من كان قبلهم لم يؤمنوا عند انزال الآيات والمعجزات ضربان **✽** أحدهما **✽** ما لا يصح معرفة النبوة إلا به وهذا الضرب لا بد من إظهاره سواء وقع منه الإيمان أو لم يقع **✽** والثاني **✽** ما يكون لطفاني الإيمان فهذا أيضاً يظهره الله سبحانه وما خرج عن هاتين الصفتين من المعجزات لا يفعله سبحانه **✽** الثالث **✽** أن المعنى أنا لا نرسل الآيات لأن آباءكم وأسلافكم سألوها ولم يؤمنوا عندها وأنتم على آثار أسلافكم مقتدون فكما لم يؤمنوا هم لا تؤمنون أنتم عن أبي مسلم (وأتينا ثمود الناقة مبصرة) أي بينة أراد آية مبصرة كما قال وجعلنا آية النهار مبصرة ومعناه دلالة واضحة ظاهرة وقيل ذات ابصار وقيل تبصرهم وتبين لهم حتى يبصروا بها الهدى من الضلالة وهي ناقة صالح المخرجة من الصخرة على الصفة التي اقترحوها (فظلموا بها) أي فكفروا بتلك الآية وجحدوا بأنها من عند الله وقيل ظلموا أنفسهم بسببها وبعقرها (وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) أي لا نرسل الآيات التي تظهرها على الأنبياء إلا عظة للناس وزجر أو تخويفاً لهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا ثم خاطب سبحانه النبي ﷺ فقال (واذ قلنا لك) أي واذكر الوقت الذي قلنا لك يا محمد (إن ربك اعطاك بالناس) أي اعطاك علماً بأحوالهم وبما يفعلونه من طاعة أو

معصية وما يستحقونه على ذلك من الثواب والعقاب وهو قادر على فعل ذلك بهم فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته وهذا معنى قول ابن عباس وقيل إن المراد به انه عالم بجميع الأشياء فيعلم قصدهم الى ايدائك إذا لم تأتكم ما أقترحوا منك من الآيات وهذا حث للرسول ﷺ على التبليغ ووعد له بالعصمة من اذية قومه وهذا معنى قول الحسن وقيل معناه انه احاط بأهل مكة فيستفتحها لك عن مقاتل وقال الفراء معناه احاط امره بالناس وقيل معناه انه قادر على ما سأله من الآيات عالم بمصالحهم فلا يفعل إلا ما هو الصالح فامض لما امرت به من التبليغ فإن الله سبحانه إن انزلها فلما يعلم في انزلها من اللطف وإن لم ينزلها فلما يعلم من المصلحة عن الجبائي (وما جعلنا الرؤيا التي اريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن) فيه اقوال * أحدها * ان المراد بالرؤيا رؤبة العين وهي ما ذكره في اول السورة من اسراء النبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس والى السماوات في ليلة واحدة إلا أنه لما رأى ذلك ليلا واخبر بها حين اصبح سماها رؤيا وسماها فتنة لأنه أراد بالفتنة الامتحان وشدة التكليف ليعرض المصدق بذلك لجزيل ثوابه والمكذب لأليم عقابه وهذا معنى قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد * وثانيها * ما روي عن ابن عباس في رواية اخرى انها رؤيا نوم رآها أنه سيدخل مكة وهو بالمدينة فقصدتها فصدته المشركون في الحديبية عن دخولها حتى شك قوم ودخلت عليهم الشبهة فقالوا يا رسول الله اليس قد أخبرتنا انا ندخل المسجد الحرام آمنين فقال ﷺ أو قلت لكم انكم تدخلونها العام قالوا لا فقال لندخلها إن شاء الله ورجع ثم دخل مكة في العام القابل فنزل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وهو قول الجبائي وابي مسلم وانما كان فتنة وامتحانا وابتلاء لما ذكرناه * وثالثها * ان ذلك رؤيا رآها النبي ﷺ في منامه أن قروداً تصعد منبره وتنزل فساءه ذلك واغتم به روى سهل بن سعيد عن ابيه ان النبي ﷺ رأى ذلك وقال انه ﷺ لم يستجمع بعد ذلك ضاحكاً حتى مات وروى سعيد بن يسار ايضا وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) وقالوا على هذا التأويل ان الشجرة الملعونة في القرآن هي بنو امية اخبره الله سبحانه بتغلبهم على مقامه وقتلهم ذريته روي عن المنهال بن عمرو قال دخلت على علي بن الحسين (ع) فقلت له كيف أصبحت يا ابن رسول الله فقال أصبحنا والله بمنزلة بني اسرائيل من آل فرعون يذبجون ابناهم ويستجيبون نساءهم واصبح خبير البرية بعد رسول الله ﷺ يلعن على المناير واصبح من يحينا منقوصا حقه بجهه ايانا وقيل للحسن يا ابا سعيد قتل الحسين بن علي (ع) فبكي حتى اختلج جنابه ثم قال واذلاه لأمة قتل ابن دعيها ابن بنت نبيها وقيل ان الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم عن ابن عباس والحسن وقيل الشجرة الملعونة هي اليهود عن ابي مسلم وتقدير الآية وما جعلنا الرؤيا التي اريناك والشجرة الملعونة الا فتنة للناس قالوا وانما سمي شجرة الزقوم فتنة لأن المشركين قالوا ان النار تحرق الشجرة فكيف تنبت الشجرة في النار وصدق بها المؤمنون وروي ان ابا جهل قال ان محمداً بوعدهم ان النار تحرق الحجارة ثم يزعم انه تنبت فيها الشجرة وقوله في القرآن معناه التي ذكرت في القرآن (ونخوفهم) اي نرهبهم بما نقص عليهم من هلاك الأمم الماضية وقيل بما نزل من الآيات (فما يزيدهم) ذلك (الا طغيانا كبيرا) اي عتوا في الكفر عظيما وتماديا في الغي كبيراً لأنهم لا يرجعون عنه

قوله تعالى (٦١) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٣) قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٤) وَأَسْتَفْزِزُ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ

في الأموال والأولاد وعدتهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً (٦٥) إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً خمس آيات

✽ القراءة ✽

قرأ حفص ورجلك بكسر الجيم والباقون بسكونها

= (الحجعة) =

من سكن الجيم فهو جمع راجل مثل راكب وركب وصاحب وصحب وتاجر وتجر وأما قراءة حفص بكسر الجيم فروى أبو علي عن أبي زيد يقال رجل للراجل ويقال جاءنا حافيا رجلا وانشد

أما أقاتل عن ديني على فرسي ولا كذا رجلا إلا بأصحاب

كأنه قال أما أقاتل فارسا وراجلا وروى ابن جني عن قطرب انه قال الرجل الرجل وعليه قراءة عكرمة وقتادة ورجالك قال زهير في الرجل

هم ضربوا عن فرجها بكثبية كبيضاء حوس في جوانبها الرجل

- (اللغة) =

الاحتناك الاقتطاع من الأصل يقال احتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم إذا استقصاه فأخذه كله واحتنك الجراد الزرع إذا أكله كله قال الشاعر

أشكو اليك سنة قد أجهفت جهدا إلى جهد بنا وأضعفت

واحتنكت أموالنا وجلفت

وقيل انه من قولهم حنك الدابة يمنكها إذا جعل في حنكها الأسفل جبلا يقودها به والموفور المكمل يقال وفرتة افره وفرا قال زهير

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

والاستفزاز الإزعاج والاستنهاض على خفة وامرأع وأصله القطع وتفزز الثوب إذا تحرق وتفززته تفززا فكأن معنى استفزة استزله بقطعه عن الصواب ورجل فز أي خفيف والاستطاعة قوة تنطاع بها الجوارح للفعل ومنه الطوع والطاعة وهو الانقياد للفعل والإجلاب السوق بجلبة من السائق والجلبة شدة الصوت وقال ابن الاعرابي أجلب الرجل على صاحبه إذا توعده بالشر وجمع عليه الجيش

✽ الإعراب ✽

قال الزجاج طينا منصوب على الخال بمعنى أنك انشأته في حال كونه من طين ويجوز أن يكون تقديره من طين فحذف من فوصل الفعل ومثله قوله ان تترضعوا أولادكم أي لا أولادكم وقيل انه منصوب على التمييز والكاف في قوله أرايتك لا موضع لها من الاعراب لأنها حرف خطاب جاء للتوكيد وموضع هذا نصب بأرايت والجواب محذوف المعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي ولم كرمته علي وقد خلقتني من نار وخلقته من طين فحذف ما ذكرناه لأن في الكلام دليلا عليه

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه قصة آدم «ع» وإبليس فقال (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس) قد مر تفسيره في سورة البقرة (قال) إبليس (أسجد لما خلقت طينا) وهو استفهام بمعنى الإنكار أي كيف

اسجد له وانا افضل منه وأصلي اشرف من أصله وفي هذا دلالة على ان إبليس فهم من ذلك تفضيل آدم على الملائكة ولولا ذلك لما كان لامتناعه من السجود وجه وإنما جاز أن يأمرهم سبحانه بالسجود لآدم «ع» ولم يجوز أن يأمرهم بالعبادة له لأن السجود يترتب في التعظيم حسب ما يراد به وليس كذلك العبادة التي هي خضوع بالقلب ليس فوقه خضوع لأنه يترتب في التعظيم لنفسه يبين ذلك انه لو سجد ساهياً لم يكن له منزلة في التعظيم على قياس غيره من افعال الجوارح (قال رأيتك هذا الذي كرمت علي) أي قال إبليس رأيت يا رب هذا الذي فضله علي يعني آدم «ع» (لئن أخرتن إلى يوم القيامة) أي لئن أخرت أجل موتي (لأحتسكن ذريته إلا قليلا) أي لأغوين ذريته واقودنهم معي إلى المعاصي كما تقاد الدابة بحنكها إذا شد فيها حبل تجر به إلا القليل الذين تعصمهم وهم المخلصون عن ابي مسلم وقيل لأحتسكنهم أي لأستولين عليهم عن ابن عباس وقيل لأستأصلنهم بالإغواء من احتناك الجراد الزرع وهو ان يأكله ويستأصله عن الجبائي وإنما طمع الملعون في ذلك لأن الله سبحانه أخبر الملائكة انه سيجعل في الارض من يفسد فيها فكان العلم قد سبق له بذلك عن الجبائي وقيل لأنه وسوس إلى آدم فلم يجد له عزما فقال ان اولاده اضعف منه عن الحسن (قال) الله سبحانه له علي وجه الاستهانة والاستصغار (اذهب) يا إبليس (فمن تبعك منهم) أي من ذرية آدم «ع» واقفني أترك وقيل منك (فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً) أي موفراً كاملاً لا نقصان فيه عن الاستحقاق (واستغفر من استغفرت منهم بصوتك) أي واستغفر من استغفرت منهم أصلمهم بدعائك ووسوستك من قولهم صوت فلان بفلان إذا دعاه وهذا تهديد في صورة الأمر عن ابن عباس ويكون كما يقول الانسان لمن يهدده أجهد جهدك فستري ما ينزل بك وإنما جاء التهديد في صورة الأمر لأنه بمنزلة ان يؤمر الغير باهانة نفسه وقيل بصوتك أي بالغناء والمزامير والملاهي عن مجاهد وقيل كل صوت يدعى به إلى الفساد فهو من صوت الشياطين (واجلب عليهم بخيلك ورجلك) أي اجمع عليهم ما قدرت عليه من مكابذك وأتباعك وذريتك واعوانك وعلى هذا فيكون الباء مزيدة في بخيلك وكل راكب أو ماش في معصية الله من الانس والجن فهو من خيل إبليس ورجله وقيل هو من اجلب القوم وجلبوا أي صاحوا أي صح بخيلك ورجلك واحشرم عليهم بالاغواء (وشاركهم في الأموال والأولاد) وهو كل مال أصيب من حرام وأخذ بغير حقه وكل ولد زنا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل ان مشاركتهم في الاموال انه أمرهم ان يجعلوها سائبة وبجيرة وغير ذلك وفي الأولاد انهم هودوم ونصروهم ومجسوم عن قتادة وقيل ان كل مال حرام او فرج حرام فله فيه شرك عن الكبي وقيل ان المراد بالأولاد تسميتهم عبد شمس وعبد الحرث ونحوهما وقيل هو قتل المؤودة من اولادهم والقولان مرويان عن ابن عباس (وعدمهم) أي ومنهم البقاء وطول الأمل وانهم لا يعيشون وكل هذا زجر وتهديد في صورة الأمر (وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) هذا اخبار من الله عز وجل ان مواعيد الشيطان تكون غرورا أي يزين لهم الخطأ انه صواب وهو اعتراض (ان عبادي) يعني الذين يطيعونني اضافهم إلى نفسه تشريفاً لهم (ليس لك عليهم سلطان) أي قوة وقادراً لأنهم يعلمون ان مواعيدك باطلة فلا يفترون بها وقيل معناه لا سلطان لك على جميع عبادي إلا في الوسوسة والدعاء إلى المعصية فأما في ان تمنعهم عن الطاعة وتحملهم على المعصية جبراً وكرهاً فلا عن الجبائي (وكفى بربك وكيلاً) أي حافظاً لعباده من شرك

✽ النظم ✽

الوجه في اتصال الآيات بما قبلها على تقدير وما يزيدهم إلا طغيانا كبيراً محققين ظن إبليس فيهم يوم قيل له اسجد فقال كذا وكذا عن علي بن عيسى وقيل اتصلت بقوله ان الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للانسان عدواً مبيناً ثم عاد إلى ذكر الشيطان لزيادة الايضاح والبيان بما أبان عن قصته مع آدم «ع» عن ابي مسلم

قوله تعالى (٦٦) رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ
كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٧) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًُا فَلَمَّا نَجَّكُمْ
إِلَى الْبَرِّ اعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (٦٨) أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ
يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (٦٩) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَ كُمْ فِيهِ نَارَةً
أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْهَا بِهِ
تَبِعًا أَرْبَع آيَات

✽ القراءة ✽

قرأ ابن كثير وابو عمرو ونخسف ونرسل ونعيد كم فنرسل عليكم فنفرقكم كله بالتون وقرأ ابو جعفر وبعقوب
فنفرقكم بالتاء والباقي بالياء وقرأ الباقي كلها بالياء

✽ الحجة ✽

من قرأ الجميع بالياء فلما تقدم من قوله ضل من يدعون إلا إياه فلما نجاكم ومن قرأ بالتون فلأن هذا النحو
قد تقطع بعضه من بعض ولأن الانتقال من الغيبة إلى الخطاب جائز ومن قرأ فنفرقكم بالتاء فإنه رد الضمير
المؤنث في فنفرقكم إلى الريح

✽ اللغة ✽

الأجزاء سوق الشيء حالا بعد حال والخاص من قولهم حصبه بالحجارة يحصبه حصبا إذا رماه بها رميا متتابعا
قال القتيبي الخاص الريح التي ترمي بالحصباء وهي الحصا الصغار قال الفرزدق

مستقبلين شمال الشام يضر بنا بحاصب كنديف القطن مندوف
والقاصف الكاسر بشدة قصفه بقصفه قصفا

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر الشيطان وذكر المشركين وعبدة الأوثان احتج عليهم سبحانه بدلائل التوحيد والإيمان
فقال (ربكم) أي خالقكم ومدبركم (الذي يزجي لكم الفلك) أي يجري لكم السفن (في البحر) بما
خلق من الرياح وبأن جعل الماء على وجهه يمكن جري السفن فيه (لتبتغوا من فضله) أي لتطلبوا من فضل الله
تعالى بر كوب السفن على وجه الماء فيما فيه صلاح دنياكم من التجارة أو صلاح دينكم من الفرق (إنه كان بكم
رحيما) حيث أنعم عليكم بهذه النعم (وإذا مسكم الضر) أي الشدة (في البحر) بسكون الرياح واحتباس
السفن أو باضطراب الأمواج وغير ذلك من أهوال البحر (ضل من تدعون إلا إياه) أي ذهب عنكم ذكر
كل معبود إلا الله فلا ترجون هناك النجاة إلا من عنده فتدعونه ولا تدعون غيره (فلما نجاكم) من البحر (إلى
البر) وأمنتم الفرق (اعرضتم) عن الإيمان به وعن طاعته كفرانا للنعمة (وكان الإنسان كفورا) أي كثير
الكفران (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر) معناه أن فعلكم هذا فعل من يتوهم أنه إذا صار إلى البر أمن
المكاره حتى اعرضتم عن شكر الله وطاعته فهل أمنتم أن يخسف بكم أي يغييبكم ويذهبكم في جانب البر وهو
الأرض يقال خسف الله به الأرض أي غاب به فيها وأراد به بعض البر وهو موضع حلولهم فيه فسماه جانبا لأنه
يصير بعد الخسف جانبا وقيل أنهم كانوا على ساحل البحر وساحله جانب البر وكانوا فيه آمنين من أهوال البحر

فحذرهم ما امنوه من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر (او يرسل عليكم حاصبا) اي او هل امنتم ان يرسل عليكم حجارة تحصبون بها أي ترمون بها والمعنى انه سبحانه قادر على اهلاككم في البر كما انه قادر على اغراقكم في البحر (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) أي حافظا يحفظكم عن عذاب الله ودافعا يدفعه عنكم (أم أمنتم) اي ام هل امنتم (أن يعيدكم فيه تارة أخرى) اي في البحر مرة أخرى بأن يجعل لكم حاجة او يحدث لكم رغبة او رهبة فترجعون إلى البحر مرة أخرى (فيرسل عليكم قاصفا من الريح) اي فاذا ركبتم البحر ارسل عليكم ريحا شديدة كاسرة للسفينة وقيل الحاصب الريح المهلكة في البر والقاصف المهلكة في البحر (فيفرقكم بما كفرتم) من نعم الله (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) أي تابعا يتبع اهلاكم لكم للمطالبة بدمائكم ويقول لم فعلت هذا بهم وهذا في معنى قول المفسرين يعني نازرا ولا ناصرآ

قوله تعالى (٧٠) وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧١) يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَمَأْوِيَّتُكَ بَقَرَةٌ مِّنْ كِتَابِهِمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٢) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ثلاث آيات

القراءة

قرأ اهل البصرة اعمى الأولى بالامالة واعمى الثانية بالتفخيم وقرأ حمزة والكسائي بالامالة فيها والباقون بالتفخيم فيها وقرأ زيد عن يعقوب يوم يدعوا بالياء والباقون بالنون وفي الشواذ قراءة الحسن يوم يدعوا بضم الباء وفتح العين

الحجة

قال ابو علي من امالها فإنه حسن لأنه بنحو الألف نحو الياء اي علم انها ينقلب إلى الياء وإن كانت فاصلة او مشبهة بالفاصلة فالامالة فيها حسنة لأن الفاصلة موضع وقف والألف تخفى في الوقف فاذا امالها تخفى بها نحو الياء ليكون اظهر لها وأبين ومما يقوي ذلك ان من العرب من يقلب هذه الالفات في الوقف ياءً لت يكون أبين لها قالوا أعمى وحيلي ومنهم من يقول افعو وهم كأنهم احرص على البيان من الاولين من حيث كانت الواو اظهر من الياء والياء أخفى منها من حيث كانت اقرب إلى الألف من الواو اليها واما من امال الألف من الكلمة الأولى ولم يمل من الثانية فإنه يجوز أن لا يجعل اعمى الكلمة الثانية عبارة عن المؤوف الجارحة ولكنه جعله افعال من كذا مثل ابلد من فلان فجاز أن يقول فيه افعال من كذا وإن لم يجز أن يقول ذلك في المصاب بصره فاذا جعله كذلك لم يقع الألف في آخر الكلمة لأن آخرها إنما هو من كذا وإنما تحسن الامالة في الاواخر لما تقدم وقد حذف من افعال الذي هو للتفضيل الجار والمجرور وهما مرادان في المعنى مع الحذف وذلك نحو قوله فإنه يعلم السر وأخفى المعنى من السر وكذلك قولهم عام اول اي اول من عامك وكذلك قوله فهو في الآخرة اعمى أي اعمى منه في الدنيا ومعنى اعمى في الآخرة انه لا يهتدي إلى طرق الثواب ويؤكده ذلك ظاهر ما عطف عليه من قوله وأضل سبيلا فكما ان هذا لا يكون إلا على افعال فكذلك المعطوف عليه ومعنى أضل سبيلا في الآخرة ان ضلاله في الدنيا قد كان ممكنا من الخروج منه وضلاله في الآخرة لا سبيل له إلى الخروج منه ويجوز ان يكون اعمى فيمن تأوله افعال من كذا على هذا التأويل ايضا قال ابن جني قراءة الحسن يوم يدعوا على لغة من ابدل الألف في الوصل واوا نحو افعو وحبلو ذكر ذلك سيبويه واكثر هذا في الوقف

* المعنى *

لما تقدم قول إبليس هذا الذي كرمت علي ذكر سبحانه بعد ذلك تكريمة لبني آدم بأنواع الاكرام وفتون الانعام فقال (ولقد كرمتنا بني آدم) أي فضلناهم عن ابن عباس وأجريت الصفة على جميعهم من أجل من كان فيهم على هذه الصفة كقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس وقيل إنما عمهم بالتكريمة مع ان فيهم الكافر المهان لأن المعنى اكرمتناهم بالنعم الدنيوية كالصور الحسنة وتسخير الأشياء لهم وبعث الرسل اليهم وقيل معناه عاملناهم معاملة المكرم على وجه المبالغة في الصفة واختلف فيما كرموا به فقيل بالقوة والعقل والنطق والتمييز عن ابن عباس والضحاك وقيل انهم يأكلون باليد وكل دابة تأكل بفمها رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس وقيل بتعديل القامة وامتدادها عن عطاء وقيل بالأصابع يعملون بها ما يشاؤون روى ذلك جابر بن عبد الله وقيل بتسليطهم على غيرهم وتسخير سائر الحيوانات لهم عن ابن جرير وقيل بأن جعل محمد صلى الله عليه وسلم منهم عن محمد بن كعب وقيل بأنهم يعرفون الله ويأتمرون بأمره وقيل بجميع ذلك وغيره من النعم التي خصوا بها وهو الأوجه (وحملناهم في البر والبحر) في البر على الإبل والخيل والبغال والحمير وفي البحر على السفن (ورزقناهم من الطيبات) أي من السائر والفواكه والأشياء الطيبة وسائر الملاذ التي خص بها بنو آدم ولم يشر كهم شيء من الحيوانات فيها (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) استدلل بعضهم بهذا على ان الملائكة افضل من الأنبياء قال لأن قوله على كثير يدل على ان ههنا من لم يفضلهم عليه وليس إلا الملائكة لأن بني آدم افضل من كل حيوان سوى الملائكة بالاتفاق وهذا باطل من وجوه * احدها * ان التفضيل ههنا لم يرد به الثواب لأن الثواب لا يجوز التفضيل به ابتداء وانما المراد بذلك ما فضلهم الله به من فتون النعم التي عددنا بعضها * وثانيها * ان المراد بالكثير الجميع فوضع الكثير موضع الجميع والمعنى انا فضلناهم على من خلقنا وهم كثير كما يقال بذلت له العريضة من جاهي وأبجته المتبع من حريمي ولا يراد بذلك اني بذلت له عريضة جاهي ومنعته ما ليس بعريضة وأبجته متبع حريمي ولم أبجها ما ليس متبعا بل المقصود اني بذلت له جاهي الذي من صفته انه عريضة وفي القرآن ومحاورات العرب من ذلك ما لا يحصى ولا يخفى ذلك على من عرف كلامهم قال سويد بن ابي كاهل في شعره

من أناس ليس في أخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع

ولم يرد ان في اخلاقهم فحشا أجلا ولو أراد ذلك لم يكن مادحا لهم * وثالثها * انه إذا سلم ان المراد بالتفضيل زيادة الثواب وان لفظه من في قوله ممن خلقنا يفيد التبعيض فلا يمتنع أن يكون جنس الملائكة افضل من جنس بني آدم لأن الفضل في الملائكة عام لجميعهم او اكثرهم والفضل في بني آدم يختص بقليل من كثير وعلى هذا فغير منكر أن يكون الأنبياء افضل من الملائكة وإن كان جنس الملائكة افضل من جنس بني آدم ومتى قيل إذا كان معنى التكريم والتفضيل واحدا فما معنى التكرار * فجوابه * ان قوله كرمتنا بني آدم عن الانعام ولا ينبي عن التفضل فجاء بلفظ التفضيل ليدل عليه وقيل ان التكريم يتناول نعم الدنيا والتفضيل يتناول نعم الآخرة وقيل ان التكريم بالنعم التي يصح بها التكليف والتفضيل بالتكليف الذي عرضهم به للمنازل العالية (يوم ندعوا كل أناس امامهم) فيه اقوال * احدها * ان معناه بتبنيهم عن مجاهد وقتادة ويكون المعنى على هذا أن ينادى يوم القيامة فيقال هاتوا متبعي ابراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي محمد فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأيامهم ثم يقال هاتوا متبعي الشيطان وهاتوا متبعي رؤساء الضلالة وهذا معنى ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وروي ايضا عن علي «ع» ان الأئمة إمام هدى وإمام ضلالة ورواه الوابي عنه بأئمتهم في الخير والشر * وثانيها * معناه بكتابتهم الذي أنزل عليهم من أوامر الله ونواهيه فيقال يا أهل القرآن ويا أهل التوراة عن ابن زيد والضحاك * وثالثها * ان معناه بمن كانوا يأتمون به

من علمائهم وأئمتهم عن الجبائي وابي عبيدة ويجمع هذه الأقوال ما رواه الخاص والعام عن الرضا علي بن موسى «ع» بالأسانيد الصحيحة انه روى عن آباءه «ع» عن النبي ﷺ انه قال فيه يدعى كل اناس بإمام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبينهم وروى عن الصادق «ع» انه قال ألا تحمدون الله إذا كان يوم القيامة فدعا كل قوم إلى من يتولونه ودعانا إلى رسول الله ﷺ وفزعتم اليانا فأولى أين ترون يذهب بكم إلى الجنة ورب الكعبة قالها ثلاثا **﴿ورابعها﴾** ان معناه بكتابهم الذي فيه اعمالهم عن ابن عباس في رواية أخرى والحسن وابي العالية **﴿وخامسها﴾** معناه بأعمالهم عن محمد بن كعب (فمن أوتي كتابه يمينه) أي فمن اعطي كتاب عمله الذي فيه طاعاته وثواب اعماله يمينه (فأولئك يقرؤون كتابهم) فرحين مسرورين لا يجنبون عن قراءته لما يرون فيه من الجزاء والثواب (ولا يظلمون فيثاب) أي لا ينقصون ثواب اعمالهم مقدار فتيل وهو المقتول الذي في شق التواة عن قتادة وقيل القليل في بطن التواة والتقير في ظهرها والقطمير قشر التواة عن الحسن جعل الله اعطاء الكتاب باليمين علامة الرضا والخلص واعطاء الكتاب باليسار ومن وراء الظهر علامة السخط والهلاك (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى) ذكر في معناه اقوال **﴿احدها﴾** ان هذه إشارة إلى ما تقدم ذكره من النعم ومعناه ان من كان في هذه النعم وعن هذه العبر أعمى فهو عما غيب عنه من امر الآخرة أعمى عن ابن عباس **﴿وثانيها﴾** ان هذه إشارة إلى الدنيا ومعناه من كان في هذه الدنيا أعمى عن آيات الله ضالاً عن الحق ذاهباً عن الدين فهو في الآخرة أشد تحميراً وذهاباً عن طريق الجنة او عن الحجية إذا سئل فإن من ضل عن معرفة الله في الدنيا يكون يوم القيامة منقطع الحجية فالأول اسم والثاني فعل من العمى وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وقتادة **﴿وثالثها﴾** ان معناها من كان في الدنيا أعمى القلب فإنه في الآخرة أعمى العين يحشر كذلك عقوبة له على ضلخته في الدنيا عن ابي مسلم قال وهذا كقوله ونحشره يوم القيامة أعمى وتأول قوله سبحانه فبصرك اليوم حدبذ بأن معناه الاخبار عن قوة المعرفة والجاهل بالله سبحانه يكون عارفاً به في الآخرة وتقول العرب فلان بصير بهذا الأمر وإنما أرادوا بذلك العلم والمعرفة لا الابصار بالعين وعلى هذا فليس يكون قوله فهو في الآخرة أعمى على سبيل المبالغة والتعجب وإن عطف عليه بقوله (وأضل سبيلاً) ويكون التقدير وهو أضل سبيلاً قال ويجوز أن يكون اعمى عبارة عما يلحقه من الغم المفرط فإنه إذا لم ير إلا ما يسوء فكأنه أعمى كما يقال فلان سخين العين **﴿ورابعها﴾** ان معناه من كان في الدنيا ضالاً فهو في الآخرة أضل لأنه لا يقبل توبته عن الحسن واختاره الزجاج على هذا القول وقال تأويله انه إذا عمى في الدنيا وقد عرفه الله الهدى وجعل له إلى التوبة وصلة فعمى عن رشده ولم يتب فهو في الآخرة أشد عمى وأضل سبيلاً لأنه لا يجد طريقاً إلى الهداية

﴿النظم﴾

قيل في وجه اتصال قوله يوم ندعو كل اناس بإمامهم بما قبله وجوه **﴿احدها﴾** انه سبحانه ذكر تفضيل نبي آدم ثم بين أن ذلك التفضيل إنما يكون في ذلك اليوم فيستحق المهتدون الثواب بهدايتهم **﴿وثانيها﴾** انها اتصلت بقوله إن عذاب ربك كان محذورا أي فاحذروا يوم يدعى كل أمة بإمامهم **﴿وثالثها﴾** انها اتصلت بقوله بعيدكم أي بعيدكم يوم يدعو **﴿ورابعها﴾** انه تعالى ذكر فيها تقدم من آمن ومن كفر ثم بين في هاتين الآيتين ما اعد للفریقین من ثواب وعقاب وانه يعطيهم ذلك على ما هو مكتوب في كتبهم عن ابي مسلم

قوله تعالى (٧٣) وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا (٧٤) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٥) إِذَا

لَاذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ثلاث آيات

✽ الإعراب ✽

لولا ان ثبتناك تقديره لولا تثبيتنا اياك فإن هاهنا في موضع رفع بالابتداء وخبره مضمرة وهذا يدل على بطلان مذهب ابي سعيد حيث قال «لولا حددت ولا عدوى لحدود» واستدل به على ان لولا تدخل على الفعل وخفي عليه اضمار أن في البيت

= النزول =

في سبب نزوله اقوال ✽ احدها ✽ ان قريشا قالت للنبي ﷺ لا ندعك تستلم الحجر حتى تلم بالهتنا فحدث نفسه وقال ما علي في ان ألم بها والله يعلم اني لكاره لها وبدعوني استلم الحجر فأزل الله تعالى هذه الآية عن سعيد بن جبير ✽ وثانيها ✽ انهم قالوا له كف عن شتم آهتنا وتسفيه احلامنا واطرد هؤلاء العبيد والسقاط الذين رأتحتهم رائحة الصنان حتى نجالسك ونسمع منك فطمع في اسلامهم فنزلت الآية ✽ وثالثها ✽ ان رسول الله ﷺ اخرج الاصنام من المسجد فطلبت اليه قريش ان يترك صنما كان على المروة فهم يتركه ثم امر بعد بكسره فنزلت الآية رواه العياشي باسناده ✽ ورابعها ✽ انها نزلت في وفد ثقيف قالوا تبايعك على ان تعطينا ثلاث خصال لا نتخني بفنون الصلاة ولا نكسر اصنامنا بأيدبنا وتمتعنا باللات سنة فقال ﷺ لا خير في دين ليس فيها ركوع ولا سجود فأما كسر اصنامكم بأيديكم فذاك لكم وأما الطاعة لللات فأني غير متمكم بها وقام رسول الله ﷺ وتوضأ فقال عمر بن الخطاب ما بالكُم آذيتُم رسول الله ﷺ انه لا بدع الاصنام في ارض العرب فما زالوا به حتى انزل الله هذه الآيات عن ابن عباس ✽ وخامسها ✽ ان وفد ثقيف قالوا اجلنا سنة حتى نقبض ما يهدى لآهتنا فإذا قبضنا ذلك كسرناها واسلمنا فهم بتأجيلهم فنزلت الآية عن الكلبي رواه عن عطية عن ابن عباس

= المعنى =

ثم حكى الله سبحانه عن الكفار فقال (وإن كادوا ليقتنوك عن الذي اوحينا اليك) ان هذه مخففة من الثقيلة والمعنى ان المشركين الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة هموا وقاربوا ان يزأوا ويصرفوك عن القرآن الذي اوحينا اليك اي من حكمه (لتفتري علينا غيره) اي لتخترع علينا غير ما اوحينا اليك والمعنى لتجعل محل الافتري لأنك تخبر انك لا تنطق الا عن وحى فإذا اتبعته اهواءهم او هممت انك تفعله بأمر الله فكنت كالمفتري (واذا لا تتخذوك خليلا) معناه وانك لو أحببتهم إلى ما طلبوا منك لتولوك وأظهروا خلتك اي صداقتك لموافقك معهم وقيل هو من الخلة التي هي الحاجة اي فقيرا محتاجا اليهم والأول اوجه (ولولا ان ثبتناك) اي ثبتنا قلبك على الحق والرشد بالنبوة والعصمة والمعجزات وقيل بالالطاف الخفية (لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) أي ركونا قليلا والمعنى لقد قاربت ان تسكن اليهم بعض السكون وأن تميل اليهم ميلا قليلا فتعطيهم بعض ما سألوك يقال كدت أفعل كذا اي قاربت ان افعله ولم افعله وقد صح عنه ﷺ قوله وضع عن أمي ما حدثت به قسها ما لم تعمل به او تتكلم به قال ابن عباس يريد حيث سكنت عن جوابهم والله اعلم بنبية ثم توعدده سبحانه على ذلك لو فعله فقال (اذا لا ذقناك ضعف الحياة وضعف المات) اي لو فعلت ذلك لعذبناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب المات اي مثلي ما نعذب به المشرك في الدنيا ومثلي ما نعذب به المشرك في الآخرة لأن ذنبك يكون اعظم وقيل ان المراد بالضعف العذاب المضعف المم والمعنى لا ذقناك عذاب الدنيا وعذاب الآخرة عن ابان بن تغلب وأنشد قول الشاعر

لمقتل مالك إذا بان مني ابنت الليل في ضعف اليم

ابن عذاب قال ابن عباس رسول الله ﷺ معصوم ولكن هذا تخويف لأمة لثلاثين ركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين في شيء من احكام الله وشرائعه (ثم لا تجدك علينا نصيرا) أي نصرا ينصرك وقال انه لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ اللهم لا تكلفني إلى نفسي طرفة عين ابدا عن قتادة قوله تعالى (٧٦) وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٧) سَنَةً مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسِنَّتِنَا تَحْوِيلًا آيتان = (القراءة) =

قرأ أهل الحجاز وابوعمر ووابوبكر خلفك بغير الف والباقون خلافاً بالالف وقرأ رويس عن يعقوب بالوجهين

✽ الحجة ✽

قال ابو علي زعم ابو الحسن ان خلافاً في معنى خلفك ومعناه بعدك فمن قرأ خلفك أو خلافاً فهو في القراءة جميعاً على تقدير حذف المضاف أي بعد خروجه فيكون مثل قول ذي الرمة له واجف بالقلب حتى تقطعت

والمعنى خلاف طلوع الثريا وكذلك من جعل قوله خلاف رسول الله ﷺ اسماً للجهة كان على حذف المضاف كأنه خلاف خروج رسول الله ﷺ ومن جعله مصدراً جعله مضافاً إلى مفعول به وعلى أي الأمرين حمل ذلك في سورة التوبة كان بمقدم المقعد فيه مصدر لا اسم المكان لأن اسم المكان لا يتعلق به شيء

✽ الاعراب ✽

قال لا يلبثون بالرفع لأن إذا وقعت بعد الواو جاز فيها الالقاء لأنها متوسطة في الكلام كأنه لا بد من أن تلقى إذا وقعت حشواً سنة من قد أرسلنا انتصب بمعنى قوله لا يلبثون لأن تأويله انا سننا هذه السنة فيمن أرسلنا قبلك والتقدير اهلكناهم إهلاكاً سنة مثل سنة من قد أرسلنا قبلك

✽ النزول ✽

نزلت في أهل مكة لما هموا باخراج النبي ﷺ من مكة عن مجاهد وقاتدة وقيل نزلت في اليهود بالمدينة لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قالوا له ان هذه الأرض ليست بأرض الأنبياء وإنما أرض الانبياء الشام فأنت الشام عن ابن عباس

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه ان الكفار لما يتسوا من اجابته إياهم فيما التمسوه منه كادوا له فقالوا (وان كادوا يستفتونك من الأرض ليخرجوك منها) معناه وان المشركين ارادوا ان يزججوك من أرض مكة بالاخراج عن قتادة ومجاهد وقيل عن أرض المدينة يعني اليهود عن ابن عباس وقيل يعني جميع الكفار ارادوا ان يخرجوك من أرض العرب عن الجبائي وقال الحسن ليستفتونك معناه ليقتلونك (واذا لا يلبثون خلافاً الا قليلاً) معناه انهم لو اخرجوك لكانوا لا يلبثون بعد خروجك إلا زماناً قليلاً ومدة بسيرة قيل وهي المدة بين خروج النبي ﷺ من مكة وقتلهم يوم بدر عن الضحاك وقيل انهم اخرجوه واهلكوا والمراد بقوله الا قليلاً الا ناساً قليلاً منهم يريد من اقلت منهم يوم بدر وآمنوا بعد ذلك (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) معناه انهم لو اخرجوك لاستأصلناهم بعد خروجك كسنننا فيمن قبلك قال سفيان بن عيينة يقول لم ترسل قبلك رسولا فأخرجهم قومه الا اهلكوا فقد سننا هذه السنة فيمن أرسلنا قبلك اليهم (ولا تجد لسنننا تحويلاً) أي تبديلاً ومعناها بتيهاً لأحد ان يقلب سنة الله ويبتلها والسنة هي العادة الجارية والصحيح ان المعنيين في الآية مشركو مكة وانهم لم يخرجوه

من مكة ولكنهم هموا بإخراجه كما في قوله واذا يمكر بك الذين كفروا إلى قوله او يخرجوك ثم خرج بالتفصيل
لما امر بالهجرة خوفاً منهم وندموا على خروجه ولذلك ضمنوا الاموال في رده فلم يقصدوا على ذلك ولو اخرجوه
لاستوفوا بالعذاب ولما اتوا طراً

قوله تعالى (٧٨) أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن
الفجر كان مشهوداً (٧٩) ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً
(٨٠) وقل رب أذخاني من مدخل صدق وأخرجني من مدخل صدق وأجعل لي من لدنك سلطاناً
نصيراً (٨١) وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً أربع آيات

✽ اللفظة ✽

الدلوك الزوال وقال المبرد دلوك الشمس من لدن زوالها إلى غروبها وقيل هو الغروب واصله من الدالك فسمي
الزوال دلو كما لأن الناظر إليها بذلك عينه لشدة شعاعها وسمي الغروب دلو كما لأن الناظر بذلك عينه ليتبينها
قال ثعلب دلكت الشمس مالت وقال الزجاج يقال دلكت براح وبراوح اي مالت للزوال حتى صار الناظر
يحتاج إذا تبصرها ان يكسر الشعاع عن بصره براحته قال الرازي

هذا مقام قديم براح للشمس حتى دلكت براح

وربما اسم ساقى الاوبل ومن قال براح بفتح الباء جعلها اسماً للشمس منبياً على فعال مثل قطام وحذام ومن روى
براح بكسر الباء أراد براحته وقال الفراء اي قال بالراحة على العين لينظر هل غابت الشمس بعد وغسق الليل
ظهور ظلامه يقال غسقت القرحة اذا انفجرت فظهور ما فيها والتهجد التيقظ والسهر بما ينفي النوم والمجود النوم
وهو الأصل هجد بهجد نام وقد هجدته إذا نومه قال لبيد

قلت هجدنا وقد طال السرى
وقال آخر

الا طرقتنا والرفاق هجود
وقال الخطيب

الاطرقت هند الهنود وصحبي
بحوران حوران الجنود هجود
قال المبرد التهجد السهر للصلاة او لذكر الله وقال علقمة التهجد يكون بعد نومة والنافلة والنفل الغنيمة
قال لبيد

ان تقوى ربنا خير نفل
وباذن الله ريشى وعجلى
اي وعجلي وعسى من الله واجبة وقد أشد لابن مقبل في وجوبها

ظني بهم كعسى وهم بتذوفة
يتنازعون جوائز الأمثال
يريد كيقين والزهوق الهلاك والبطلان يقال زهقت نفسه إذا خرجت فكأنه قد خرجت إلى الهلاك

✽ الاعراب ✽

قرآن الفجر منصوب على تقدير وأقم قرآن الفجر وانصب قوله نافلة لك لأنه في موضع الحال

* المعنى *

ثم أمر سبحانه بعد إقامة البيئات وذكر الوعد والوعيد وإقامة الصلاة فقال مخاطباً للنبي ﷺ والمراد هو وغيره (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل) اختلف المفسرون في الدلوك فقال قوم دلوك الشمس زوالها وهو قول ابن عباس بخلاف ابن عمر وجابر وابي العالية والحسن والشعبي وعطا ومجاهد وقتادة والصلاة المأمور بها على هذا هي صلاة الظهر وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) ومعنى قوله لدلوك الشمس اي عند داوكها وقال قوم داوكها غروبها وهو قول النخعي والضحاك والسدي والصلاة المأمور بها على هذا هي المغرب وروي ذلك عن ابن مسعود وابن عباس والقول الأول هو الاوجه لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس فصلاوات دلوك الشمس الظهر والنصر وصلات غسق الليل هما المغرب والعشاء الآخرة والمراد بقرآن الفجر صلاة الفجر فهذه خمس صلوات وهذا معنى قول الحسن واختاره الواحدي وغسق الليل هو أول بدء الليل عن ابن عباس وقتادة وقيل هو غروب الشمس عن مجاهد وقيل هو سواد الليل وظلمته عن الجبائي وقيل هو انتصاف الليل عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) واستدل قوم من اصحابنا بالآية على ان وقت صلاة الظهر موسع الى آخر النهار لأنه سبحانه أوجب إقامة الصلاة من وقت داوكها الى غسق الليل وذلك يقتضي ان ما بينهما وقت ولم يرتضه الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه قال لأن من قال ان الدلوك هو الغروب فلا دلالة فيه عنده بل يقول اوجب سبحانه إقامة المغرب من عند الغروب الى وقت اختلاط الظلام الذي هو غروب الشفق ومن قال الدلوك هو الزوال امكنه ان يقول ان المراد بالآية بيان وجوب الصلوات الخمس على ما ذكره الحسن لا بيان وقت صلاة واحدة وأقول انه يمكن الاستدلال بالآية على ذلك بأن يقال إن الله سبحانه جعل من دلوك الشمس الذي هو الزوال الى غسق الليل وقتاً للصلاة الأربعة إلا أن الظهر والعصر اشتركا في الوقت من الزوال الى الغروب والمغرب والعشاء الآخرة اشتركا في الوقت من الغروب الى الغسق وافرد صلاة الفجر بالذكر في قوله (وقرآن الفجر) ففي الآية بيان وجوب الصلوات الخمس وبيان اوقاتها ويؤيد ذلك ما رواه العياشي بالاسناد عن عبيد بن زرارة عن ابي عبد الله (ع) في هذه الآية قال ان الله افترض اربع صلوات أول وقتها من زوال الشمس الى انتصاف الليل منها صلاتان أول وقتها من عند زوال الشمس الى غروبها الا ان هذه قبل هذه ومنها صلاتان أول وقتها من غروب الشمس الى انتصاف الليل إلا ان هذه قبل هذه والى هذا ذهب المرتضى علم الهدى قدس الله روحه في اوقات الصلوات وقال الزجاج أن في قوله وقرآن الفجر فائدة عظيمة تدل على ان الصلاة لا تكون إلا بقراءة لأن قوله أقم الصلاة وأقم قرآن الفجر قد أمر فيه ان يقيم الصلاة بالقراءة حتى سميت الصلاة قرآناً فلا يكون صلاة إلا بقراءة (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) كلهم قالوا معناه ان صلاة الفجر تشهد بها ملائكة الليل وملائكة النهار وقال النبي ﷺ تفضل صلاة الجماعة صلاة احدكم وحده بخمسة وعشرين جزءاً ويجتمع ملائكة الليل والنهار في صلاة الفجر اورده البخاري في الصحيح (ومن الليل فتهجد به) خطاب للنبي ﷺ اي فصل بالقرآن عن ابن عباس ولا يكون التهجد إلا بعد النوم عن مجاهد والاسود وعلقمة واكثر المفسرين وقال بعضهم ما تنفلت به في كل الليل يسمى تهجداً والتهجد الذي يلقي الهجود عن نفسه كما يقال المتخرج والمتأثم (نافلة لك) اي زيادة لك على الفرائض وذلك ان صلاة الليل كانت فريضة على النبي ﷺ مكتوبة عليه ولم تكتب على غيره وكانت فضيلة لغيره عن ابن عباس وقيل كانت واجبة عليه فنسخ وجوبها بهذه الآية وقيل ان معناه فضيلة لك وكفارة لغيرك فإن كل انسان يخاف ان لا يقبل فرضه فيكون نغله كفارة والنبي لا يحتاج الى كفارة عن مجاهد وقيل معناه نافلة لك ولغيرك وانما اختصه بالخطاب لما في ذلك من دعاء الغير الى الاقتداء به والحث على الاستئنان بسنته (عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً) عسى من الله واجبة والمقام بمعنى البعث فهو مصدر من غير جنسه اي

يبعثك يوم القيامة بعثا أنت محمود فيه ويجوز أن يجعل البعث بمعنى الإقامة كما يقال بعثت بعيري أي اثرته وأقمته فيكون معناه يقيمك ربك مقاما محمودا يحمذك فيه الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة تشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع وقد اجمع المفسرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة وهو المقام الذي يشفع فيه للناس وهو المقام الذي يعطى فيه لواء الحمد فيوضع في كفه ويجتمع تحته الأنبياء والملائكة فيكون ^{وَاللَّهُ وَاسِعٌ} أول شافع وأول مشفع (وقل) يا محمد (رب ادخلي مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) المدخل والمخرج هنا مصدر الإدخال والإخراج فالإخراج بالتقدير ادخلي ادخال صدق وأخرجني إخراج صدق وفي معناه اقوال ^{أحدها} أن المعنى ادخليني في جميع ما أرسلتني به ادخال صدق وأخرجني منه سالما إخراج صدق أي اعني على الوحي والرسالة عن مجاهد ^{وثانيها} أن معناه ادخليني المدينة وأخرجني منها إلى مكة للفتح عن ابن عباس والحسن وقادة وسعيد بن جبير ^{وثالثها} أنه ^{وَاللَّهُ وَاسِعٌ} أمر بهذا الدعاء إذا دخل في أمر أو خرج من أمر والمراد ادخليني كل أمر مدخل صدق عن أبي مسلم ^{ورابعها} أن المعنى ادخليني القبر عند الموت مدخل صدق وأخرجني منه عند البعث مخرج صدق عن عطية عن ابن عباس ومدخل الصدق ما تحمد عاقبته في الدنيا والدين وإنما أضاف الإدخال والإخراج إليه سبحانه وإن كانا من فعل العبد لأنه سأله اللطف المقرب إلى خير الدين والدنيا (واجعل لي من لذنك سلطانا نصيرا) أي اجعل لي عزا امتنع به ممن يحاول صدي عن إقامة فرائضك وقوة تنصرتي بها على من عاداني فيك وقيل اجعل لي ملكا عزيزا أقهر به العصاة فنصر بالرب حتى خافه العدو على مسيرة شهر وقيل حجة بينة أتقوى بها على سائر الأديان الباطلة عن مجاهد قال وسماه نصيرا لأنه تقم به النصرة على الأعداء فهو كالمعين (وقل) يا محمد (جاء الحق) أي ظهر الحق وهو الإسلام والدين (وزهق الباطل) أي وبطل الباطل وهو الشرك عن السدي وقيل الحق التوحيد وعبادة الله والباطل عبادة الأصنام عن مقاتل وقيل الحق القرآن والباطل الشيطان وزهق بطل واضمحل عن قتادة وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال دخل النبي ^{وَاللَّهُ وَاسِعٌ} مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنهما ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا أورده البخاري في الصحيح قال الكلبي فجعل الصنم ينكب لوجهه إذ قال ذلك وأهل مكة يقولون ما رأينا رجلا أسحر من محمد (إن الباطل كان زهوقا) أي مضمجلا ذاهبا هالكا لا يثبت له

قوله تعالى (٨٢) وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٣) وَإِذَا أُنعِمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنُنَاجِيهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَوسِسًا قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَن هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أبو جعفر وابن عامر برواية ابن ذكوان وناه بجانبه ممدودة مهجوزة وفي حم مثله وقرأ حمزة إلا العجلي وأبو بكر برواية حماد ويحيى وعياش وأبو شعيب السوسي عن يزيد بن نصير عن الكسائي نثي بفتح النون وكسر الهجزة وقرأ حمزة برواية العجلي وخلف والكسائي نثي بكسر النون والهجزة وقرأ الباقون نأى بفتح النون والهجزة في وزن نعي

— الحجة —

قال أبو علي ناء مثل فاع وهو على القلب وتقديره فلع ومثله رأى ورأى قال
فكل خليل رأني فهو قائل
من أجلك هذا هامة اليوم أوغد

ومن امال الفتحين فلان الألف منقلبة من الياء التي في النائي فإذا أراد أن ينحو نحوها
امال فتحة النون لإمالة فتحة الهززة وقد قالوا رأيت عمادا فأمالوا الألف لإمالة الألف فكذلك امالوا
الفتحة لإمالة الفتحة لأنهم يجرون الحركة مجرى الحرف في اشياء. ومن فتح النون وكسر الهززة فإنه لم يمل الفتحة
الأولى لإمالة الفتحة الثانية كما لم يميلوا الألف لإمالة الألف في رأيت عمادا

= اللغة =

الشائكة الطريقة والمذهب يقال هذا طريق ذو شواكل أي ينشعب منه طرق جماعة

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن القرآن فقال (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) ووجه الشفاء فيه من وجوه
« منها » ما فيه من البيان الذي يزيل عمى الجهل وحريرة الشك « ومنها » ما فيه من النظم والتأليف والفصاحة
الباقة حد الاعجاز الذي يدل على صدق النبي ﷺ فهو من هذه الجهة شفاء. من الجهل والشك والعمى في
الدين ويكون شفاء للقاب « ومنها » انه يتبرك به وبقرآته ويستعان به على دفع العلل والاسقام ويدفع الله به
كثيرا من المكروه والمضار على ما تقتضيه الحكمة « ومنها » ما فيه من أدلة التوحيد والعدل وبيان الشرائع
والأمثال والحكم وما في التعبد بتلاوته من الصلاح الذي يدعو إلى امثاله بالمشاركة التي بينه وبينه فهو شفاء
للناس في دنياهم وآخرتهم ورحمة للمؤمنين أي نعمة لهم وخصمهم بذلك لأنهم المنتفعون به (ولا يزيد الظالمين
إلا خسارا) ومعناه انهم لا يزدادون عنده إلا خسارا يخسرون الثواب ويستحقون العقاب اكفرهم به وتركهم
التدبر له والتفكير فيه وهذا كقوله فلم يزدكم دعائي إلا فرارا ويحتمل أن يريد ان القرآن يظهر خبث سرائرهم
وما يفترون به من الكيد والمكر بالنبي ﷺ فيقتضون بذلك (وإذا أنعمنا على الانسان اعرض) عن ذكرنا
أي ولي كأنه لم يقبل علينا بالدعاء والابتهاال (وننا بجانبه) أي بعد بنفسه عن القيام بحقوق انعامنا فلا يشكره
كما اعرض عن النعمة بالقرآن وقال مجاهد معناه تباعد منا وعلى هذا فيكون معناه تجبر وتكبر واعجب بنفسه
لأن المعجب نافر عن الناس متباعد عنهم (وإذا مسه الشر كان يرؤسا) معناه وإذا أصابه المحنة والشدة او الفقر
لم يصبر وكان قنوطا من رجاء الفرج من الله تعالى بخلاف المؤمن الذي يرجو الفرج والروح فيكون المراد بالآية
خاصا وإن كان اللفظ عاما وسمى الأمراض والبلايا شرا لكونها شرا عند الكافر من حيث لا يرجو ثوابا ولا
عوضا ولأن الطباع تنفر عنها وتكرهها وإلا فهي في الحقيقة صلاح وحكمة وصواب (قل) يا محمد
لهم (كل يعمل على شاكلته) أي كل واحد من المؤمن والكافر يعمل على طبيعته وخليقته التي تخلق بها عن
ابن عباس وقيل على طريقته وسنته التي اعتادها عن الفراء والزجاج وقيل على ما هو اشكل بالصواب وأولى
بالحق عنده عن الجبائي قال ولهذا قال (فربكم اعلم بن هو أهدي سبيلا) أي انه يعلم أي الفريقين على الهدى
وايهما على الضلالة وقيل معناه انه اعلم بن هو اصوب ديننا واحسن طريقا وقال بعض ارباب اللسان هذه الآية
ارجى آية في كتاب الله لأن الأليق بكرمه سبحانه وجوده العفو عن عباده فهو يعمل به

قوله تعالى (٨٥) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ الرُّوحُ قُلُوبٌ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا
(٨٦) وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ لَتَنذِهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٧) إِلَّا
رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٨) قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ
يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَأَيُّنُونُ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٩) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ

في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا خمس بات

✽ اللغة ✽

الظهير المعين وهو المظاهر وأصله من الظهر كان كل واحد يسند ظهره إلى ظهر صاحبه فيتقوى به والتصريف
تصيير الشيء دائرا في الجهات وكذلك تصريف الكلام هو تصديره دائرا في المعاني المختلفة

✽ الإعراب ✽

إلا رحمة من ربك الرحمة استثناء من الأول والمعنى ولكن الله تعالى رحمتك فأثبت ذلك في قلبك لا يأتون
مرفوع لأنه غلب جواب القسم على جواب ان واللام في لئن موطئة للقسم دالة عليه والتقدير فوائده لا يأتون بثله
ومثله قول كثير

لئن عاد لي عبد العزيز بمثلها وامكنني منها إذا لا اقبلها

- المعنى -

ثم قال سبحانه لئله ^{صلى الله عليه وسلم} ويستلونك يا محمد (عن الروح) اختلف في الروح المسؤول
عنه على اقوال **احدها** انهم سألوه عن الروح الذي هو في بدن الانسان ما هو ولم يجيبهم وسأله عن ذلك قوم من
اليهود عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة واختاره الجبائي وعلى هذا فإنما عدل النبي ^{صلى الله عليه وسلم} عن جوابهم لعلمه
بأن ذلك ادعى لهم إلى الصلاح في الدين ولا أنهم كانوا يسوءوا لهم متعنتين لا مستفيتين فلو صدر الجواب لازدادوا
عنادا وقد قيل ان اليهود قالت لكفار القریش سلوا محمدا عن الروح فإن أجابكم فليس بنبي وان لم
يجبكم فهو نبي فأونا نجد في كتبنا ذلك فأمر الله سبحانه بالعدول عن جوابهم وان يكلمهم في معرفة الروح الى
ما في عقولهم ليكون ذلك علما على صدقه ودلالة لنبوته **وثانيها** انهم سأوا عن الروح أهي مخلوقة محدثة
أم ليست كذلك فقال سبحانه (قل الروح من امر ربي) أي من فعله وخلقه وكان هذا جوابا لهم عما سألوه عنه
بمعينه وعلى هذا فيجز أن يكون الروح الذي سأوا عنه هو الذي به قوام الجسد على قول ابن عباس وغيره أمر
جبرئيل «ع» على قول الحسن وقتادة أم ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان
يسبح الله بجميع ذلك على ما روي عن علي «ع» أم عيسى «ع» فإنه قد سمي بالروح **وثالثها** ان المشركين
سألوه عن الروح الذي هو القرآن كيف يلقاك به الملك او كيف صار معجزا وكيف صار نظمه وترتيبه مخالفا
لأنواع كلامنا من الخطب والشعار وقد سمي الله تعالى القرآن روحا في قوله وكذلك أوحينا إليك روحا من
امرنا فقال سبحانه قليا محمدان الروح الذي هو القرآن من امر ربي أنزله دلالة على دلالة النبوة وليس من فعل المخلوقين
ولا مما يدخل في امكانهم وعلى هذا فقد وقع الجواب ايضا موقعا واما على القول الأول فيكون معنى قوله
الروح من امر ربي هو من الأمر الذي يعلمه ربي ولم يطلع عليه احد واختلف العلماء في ماهية الروح فقيل انه
جسم رقيق هوائي متردد في مضارق الحيوان وهو مذهب أكثر المتكلمين واختاره الأجل المرتضى علم الهدى قدس الله
روحه وقيل جسم هوائي على بنية حيوانية في كل جزء منه حياة عن علي بن عيسى قال فلكل حيوان روح وبدن
إلا ان منه من الأغلب عليه الروح ومنه من الأغلب عليه البدن وقيل ان الروح عرض ثم اختلف فيه فقيل هو
الحياة التي يتبها به المحل او جود القدرة والعلم والاختيار وهو مذهب الشيخ المفيداني عبد الله محمد بن محمد بن
النعمان «ره» والباضي وجماعة من المعتزلة البغداديين وقيل هو معنى في القلب عن الاسواري وقيل ان الروح الانسان
وهو الحي المكلف عن ابن الاخشيد والنظام وقال بعض العلماء ان الله تعالى خلق الروح من ستة اشياء من جوهر
النور والطيب والبقا والحياة والعلم والعلو ألا ترى انه ما دام في الجسد كان الجسد نورانيا يبصر بالعينين ويسمع

بالأذنين ويكون طيبا فإذا خرج من الجسد نتن الجسد ويكون باقيا فإذا فارقه الروح بلي وفني ويكون حياً
 ويجزوجه يصير ميتا ويكون عالما فإذا خرج منه الروح لم يعلم شيئا ويكون علويا لطيفا توجد به الحياة بدلالة
 قوله تعالى في صفة الشهداء بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين واجسامهم قد بليت في التراب وقوله (وما أوتيتهم من
 العلم إلا قليلا) قيل هو خطاب للنبي ﷺ وغيره إذا لم يبين له الروح ومعناه وما أوتيتهم من العلم المنصوص
 عليه إلا قليلا أي شيئا يسيرا لأن غير المنصوص عليه أكثر فأون معلومات الله تعالى لا نهاية لها وقيل خطاب لليهود
 الذين سأروه فقالت له اليهود عند ذلك كيف وقد اعطانا الله التوراة فقال التوراة في علم الله قليل ثم قال سبحانه (وانن
 شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك يعني القرآن ومعناه اني اقدر ان اخذ ما اعطيتك كما منعت غيرك ولكنني دبرتك
 بالرحمة لك فأعطيتك ما تحتاج اليه ومنعتك ما لا تحتاج الى النص عليه وان توهم قوم انه بما تحتاج اليه فتدبر أنت
 بتدبير ربك وارض بما اختاره لك (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) أي ثم لو فعلنا ذلك لم تجد علينا وكيلا يستوفي
 ذلك منا وقيل معناه ولو شئنا لمحونا هذا القرآن من صدوركم وصدركم حتى لا يوجد له أثر ثم لا تجد له حفيظا
 يحفظه عليك ويحفظ ذكره على قلبك عن الحسن وابي مسلم والأصم قالوا وفي هذا دلالة على ان السؤال وقع
 عن القرآن (إلا رحمة من ربك) معناه لكن رحمة من الله ربك لك اعطاك ما اعطاك من العلوم ومنعتك ما منعتك
 منها وأثبت القرآن في قلبك وقلوب المؤمنين (إن فضله كان) فيما مضى وفيما يستقبل (عليك كبيرا) عظيما اذ
 اختارك للنبوته وخصك بالقرآن فقابله بالشكر وقال ابن عباس يريد حيث جعلك سيد ولد آدم وختم بك النبيين
 واعطاك المقام المحمود ثم احتج سبحانه على المشركين باعجاز القرآن فقال (قل لئن اجتمعت الإانس والجن على
 أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) معناه قل يا محمد هؤلاء الكفار لئن اجتمعت الإانس والجن متعاونين
 متعاضدين على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في فصاحته وبلاغته ونظمه على الوجوه التي هو عليها من كونه في الطبقة
 العليا من البلاغة والدرجة القصوى من حسن النظم وجودة المعاني وتهذيب العبارة والخلو من التناقض واللفظ
 المسخوط والمعنى الدخول على حد يشكل على السامعين ما بينها من التفاوت اعجزوا عن ذلك ولم يأتوا بمثله (ولو
 كان بعضهم لبعض ظهيرا) أي معينا على ذلك مثل ما يتعاون الشعراء على بيت شعر فيقيمونه عن ابن عباس وفي
 هذا تكذيب للنضر بن الحارث حين قال لو نشاء لقلنا مثل هذا قال ابو مسلم وفي هذا ايضا دلالة على ان السؤال
 بالروح وقع عن القرآن لأنه من تمام ما أمر الله نبيه ﷺ أن يجيئهم به (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن
 من كل مثل) معناه ولقد بينا لهم في هذا القرآن من كل ما يحتاج اليه من الدلائل والأمثال والعبور والأحكام وما
 يحتاجون اليه في دينهم ودنياهم ليتفكروا فيها (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) أي جهورا لاحق والمثل قد
 يكون الشيء بعينه وقد يكون صفة للشيء وقد يكون شبهه

قوله تعالى (٩٠) وقالوا ان نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا (٩١) أو تكون
 لك جنة من نخيل وعنب فنفجر الأنهار خلالها تفجيرا (٩٢) أو نسقط السماء كما زعمت
 علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا (٩٣) أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقي
 في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا
 رسولا (٩٤) وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا
 (٩٥) قل لو كانت في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا
 رسولا ست آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة ويعقوب حتى تفجر لنا بفتح التاء وضم الجيم والباقون تفجر بضم التاء وتشديد الجيم وقرأ ابو جعفر وابن عامر كسفا بفتح السين هاهنا وفي سائر القرآن كسفا ساكنة السين وقرأ حفص بالفتح في جميع القرآن إلا في الطور وقرأ اهل العراق وابن كثير بالكون في جميع القرآن إلا في الروم ولم يقرأ في الروم بسكون السين إلا ابو جعفر وابن عامر وابن كثير وابن عامر قال سبحانه ربي والباقون قل على الأمر - (الحجة) -

من قرأ تفجر بالتشديد فلا نهم ارادوا كثرة الانفجار من الينبوع وهو وإن كان واحدا فلكثير الانفجار منه حسن ان يقال بتكرير العين كما يقال ضرب زيد إذا كثرت منه فعل الضرب ومن قرأ تنجر فلأن الينبوع واحد فلا يكون كقوله فتفجر الأنهار خلاها تفجيرا لأن فجرت الأنهار مثل غلقت الأبواب فلذلك اتفق الجميع على التثقيب فيه والكسف القطع واحدها كسفة ومن سكنه جاز ان يريد الجمع مثل سدره وسدر قال ابو زيد كسفت الشرب اكسفه كسفا إذا قطعه قال ابو علي إذا كان المصدر الكسف فالكسف الشي المقطوع كالطحن والطحن والسقي والسقي ونحو ذلك فجاز ان يكون قوله او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا بمعنى ذات كسف وذلك ان اسقط لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد فوجب ان ينتصب كسفا على الحال ذا الحال في المعنى وإذا كان كذلك وجب ان يكون الكسف هو السماء فيصير المعنى او تسقط السماء علينا مقطعة او قطعاً ومن قرأ قال سبحانه ربي فالوجه فيه ان الرسول قال عند اقتراحهم هذه الأشياء سبحانه ربي ومن قرأ قل فهو على الأمره بأن يقول ذلك

﴿ اللغة ﴾

التفجير التشقيق عما يجري من ماء او ضياء ومنه سمي الفجر لأنه ينشق عن عمود ومنه الفجور لأنه خروج إلى الفساد يشقق به عمود الحق والينبوع يفعل من نبع الماء ينبع فهو نابع إذا فار والقبيل الكفيل من قبلت به اقبل قبالة أي كفلت وتقبل فلان بالشي إذا تكفل به قال الزجاج وجائز أن يكون المعنى تأتي بهم حتى زاهم مقابلة اي معاينة وانشد غيره

فصالحكم حتى تبوء بشلها كصرحة حبلي اسلمتها قبيلها

أي قابلتها التي هي مقابلتها والعرب تجريه في هذا المعنى مجرى المصدر فلا يشي ولا يجمع ولا يؤنث وأصل الزخرف من الزخرفة وهي الزينة وزخرفت الشيء إذا أكملت زينته ولا شيء في تحسين بيت وتزيينه وزخرفته كالذهب ويقال في الصعود رقيت ارقى رقا وفيما تدأويه بالرقية رقيت ارقى رقية ورقيا

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس ان جماعة من قريش وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو سفيان بن حرب والأسود بن المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام وعبد الله بن ابي أمية وأميرة بن خلف والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج والنضر بن الحارث وابو البخترى بن هشام اجتمعوا عند الكعبة وقال بعضهم لبعض ابعدوا إلى محمد فكلموه وخاصموه فبعثوا إليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا لك فبادر ^{صلى الله عليه وسلم} اليهم فلما منه انهم بدا لهم في أمره وكان حريصا على رشدهم فجلس اليهم فقالوا يا محمد انا دعوناك لنعذر اليك فلا تعلم احدا ادخل على قومه ما ادخلت على قومك شتمت الالهة وعبت الدين وسفقت الأحلام وفرقت الجماعة فإن كنت جنت بهذا لتطلب مالا اعطيناك وإن كنت تطلب الشرف سودناك علينا وإن كانت علة غلبت عليك طلبنا الك الأطباء فقال ^{صلى الله عليه وسلم} ايس شيء من ذلك بل بعثني الله اليكم رسولا وأنزل كتابا فلن تبلمن ما جنت به فهو

حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه أصبر حتى يحكم الله بيننا قالوا فإذا نزلنا من السماء فإذن ليس أحد اضيق بلدا منا فاسأل ربك أن يسير هذه الجبال ويجري لنا أنهارا كأنهار الشام والعراق وأن يبعث لنا من مضي وليكن فيهم قصي فإنه شيخ صدوق لنساء لهم عما تقول أحق أم باطل فقال ^{صلى الله عليه وسلم} ما بهذا بعثت قالوا فإن لم تفعل ذلك فاسأل ربك أن يبعث ملكا يصدقك ويجعل لنا جنات وكنوزا وقصورا من ذهب فقال ^{صلى الله عليه وسلم} ما بهذا بعثت وقد جئتم بما بعثني الله به فأون قبلتم وإلا فهو يحكم بيني وبينكم قالوا فاسقط علينا السماء كما زعمت إن ربك إن شاء فعل ذلك قال ذلك إلى الله إن شاء فعل وقال قائل منهم لا نؤمن حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا فقام النبي ^{صلى الله عليه وسلم} وقام معه عبد الله بن أبي أمية المخزومي ابن عمته عاتكة بنت عبد المطيب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله ثم سأوك لأنفسهم أمورا فلم تفعل ثم سأوك أن تعجل ما تخوفهم به فلم تفعل فوالله لا أؤمن بك أبدا حتى تتخذ سلما إلى السماء ثم ترقى فيه وأنا انظر ويأتي معك نفر من الملائكة يشهدون لك وكتاب يشهد لك وقال أبو جهل انه أبى إلا سب الآلهة وشتم الآباء وأنا أعاهد الله لأحملن حجرا فإذا سجد ضربت به رأسه فانصرف رسول الله ^{صلى الله عليه وسلم} حزينا لما رأى من قومه فأنزل الله سبحانه الآيات

— المعنى —

لما بين سبحانه فيما تقدم اعجاز القرآن عقب ذلك البيان بأنهم ابوا إلا الكفر والطغيان واقتروا من الآيات ما ليس لهم ذلك فقال (وقالوا ان نؤمن لك) اي ان نصدقك فيما تدعي من النبوة (حتى تفجر لنا من الارض) أي تشق لنا من ارض مكة فإلها قليلة الماء (ينبوعا) اي عينا ينبع منه الماء في وسط مكة (او تكون لك جنة) وهي ما تجتهد الاشجار اي تستره (من نخيل وعبث فتفجر الأنهار) من الماء (خلاها) اي وسطها (تفجيرا) أي تشقيا حتى يجري الماء تحت الاشجار (او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) اي قطعاً قد تتركب بعضها على بعض عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقوله كما زعمت معناه كما خوفتنا به من انشقاق السماء وانفطارها وقيل معناه كما زعمت انك نبي تأتي بالمعجزات (او تأتي بالله والملائكة قبيلا) اي كفيلا ومعناه تأتي بكل واحد حتى يكون كفيلا ضامنا لنا بما تقول عن ابن عباس والضحاك وقيل هو جمع القبيلة اي تأتي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة عن مجاهد وقيل معناه مقابلين لنا كالشيء يقابل الشيء حتى نشاهدهم قبلا اي مقابلة نعاينهم ويشهدون بأنك حق ودعوتك صدق عن الجبائي وقتادة وهذا يدل على ان القوم كانوا مشبهة مع شركهم (او يكون لك بيت من زخرف) اي من ذهب عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل الزخرف النقوش عن الحسن (او ترقى في السماء) اي تصعد (وان نؤمن لرقبك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) اي واو فعلت ذلك لم نصدقك حتى تنزل على كل واحد منا كتابا من الله شاهدا بصحة نبوتك نقرؤه وهو مثل قوله بل يريد كل امرء منهم ان يوتي صحفا منشرة (قل سبحانه ربي) اي تزئها له من كل قبيل وبراءة له من كل سوء وفي ذلك من الجواب انكم تمنخرون الآيات وهي إلى الله سبحانه فهو العالم بالتدبير الفاعل لما توجه المصلحة فلا وجه لطلبكم إياها مني وقيل معناه تعظيها له عن ان يحكم عليه عبده لأن له الطاعة عليهم وقيل انهم لما قالوا تأتي بالله وترقى في السماء إلى الله لا اعتقادهم ان الله تعالى جسم قال قل سبحانه ربي عن كونه بصفة الاجسام حتى تجوز عليه المقابلة والتزول وقيل معناه تزئها له عن ان يفعل المعجزات تابعا للاقتراحات (هل كنت إلا بشرا رسولا) معناه ان هذه الاشياء ليس في طاقة البشر ان يأتي بها وان يفعلها فلا اقدر بنفسي ان آتي بها كما لم يقدر من كان قبلي من الرسل والله تعالى انما يظهر الآيات المعجزة على حسب المصلحة وقد فعل فلا تطالبوني بما لا يطالب به البشر (وما منع الناس ان يؤمنوا) اي وما صرف المشركين عن الايمان اي التصديق بالله وبرسوله (إذ جاءهم الهدى) اي حين أتاهم الحجج والبيانات (إلا ان قالوا) اي الاقوام (ابعث الله بشرا رسولا) دخلت عليهم الشبهة في انه لا يجوز ان يبعث الله رسولا الا من

الملائكة كما دخلت عليهم الشبهة في ان عبادتهم لا تصلح لله فوجهها إلى الأصنام فعظموا الله بجهلهم بما ليس فيه تعظيم وإنما ذكر سبحانه هنا لفظ المنع مبالغة في وصف الصرف وإلا فالمنع يستحيل معه الفعل فلا يجوز أن يكون مراداً هنا ولكن شبه الصرف بالمنع (قل) يا محمد (لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين) أي ساكنين قاطنين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) منهم عن الحسن وقيل معناه مطمئين إلى الدنيا ولذاتها غير خائفين ولا متعبدين بشرع لأن المطمئن من زال الخوف عنه عن الجبائي وقيل معناه لو كان أهل الأرض ملائكة لبعثنا اليهم ملكا ليكونوا إلى القهم اليه أسرع عن ابني مسلم وقيل ان العرب قالوا كنا ساكنين مطمئين فجاء محمد فأزعجنا وشوش علينا أمرنا فبين سبحانه انهم لو كانوا ملائكة مطمئين لأوجب الحكمة إرسال الرسل اليهم فكذلك كون الناس مطمئين لا يمنع من إرسال الرسول اليهم إذ هم أحوج اليه من الملائكة فكيف انكروا إرسال الرسول اليهم مع كونهم مطمئين «سؤال» قالوا إذا جاز ان يكون الرسول إلى النبي ملكا ليس من جنسه فألا جاز ان يكون الرسول إلى الناس أيضا ملكا ليس من جنسهم وجوابه ان صاحب المعجزة قد اختير للنبوة فصارت حاله مقاربة لحال الملك وليس كذلك غيره من الأمة لأنه يجوز ان يرى الملائكة كما يرى بعضهم بعضا بخلاف الأمة وأيضاً فإن النبي يحتاج إلى معجزة تعرف بها رسالة قسه كما احتاجت إليه الأمة فجعل الله المعجزة رؤيته الملك

قوله تعالى (٩٦) قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٩٧) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبِهِدَىٰ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ يُجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصُمًّا مَا وَأَهُمْ جَهَنَّمَ كَلَّمَا خَبَّتْ زُدْنَآهُمْ سَعِيرًا (٩٨) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِآنَهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَآءَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أءَا نَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٩) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَارَبِّ فِيهِ فَآبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (١٠٠) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا خمس آيات

✽ اللغة ✽

الخبو سكون النار عن الالتهاب يقال خبت النار تخبو قال عدي بن زيد

وسطه كالبراع او سرج المجدل
حينما يخبو وحينما ينير
وقال آخر

وكنا كالخريق اصاب غابا
فيخبو ساعة وينير ساعا

والقتر التضييق والقفور فعول منه للمبالغة ويقال قتر بقتر وقتر واقتر وقتر إذا قدر في النفقة

✽ الاعراب ✽

كفى بالله المفعول محذوف وهو الكاف والباء زيادة وشهيدا تمييز والتقدير كفاك الله من جملة الشهداء من يهدي الله ومن يضل كلاهما شرط ووحده الضمير المتصل يهدي ويضل على اللفظ ثم قال فلن تجد لهم أولياء ونحشرهم الخ فجمع الضمير في كل ذلك على المعنى وقوله كلما خبت زدناهم سعيراً الجملة في موضع الحال من جهنم لأن جهنم موضع متلفظ ومتسع ولولا ذلك لم يجز محي الحال عنهما ويجوز ان تكون الجملة لا محل

لها من الاعراب ويكون في تقدير العاطفة والتقدير وكلما خبت فحذف الواو على وجوههم في موضع نصب على الحال وتقديره مجرورين على وجوههم وقوله لو انتم تملكون انتم مرفوع بفعل مضمر بفسره هذا الظاهر الذي هو قوله تملكون لأن لو يقع بها الشيء لو قوع غيره فلا يليها إلا الفعل وإذا وليها اسم عمل فيه فعل مضمر قال
لو غيركم علق الزبير بجبله أدى الجوار إلى بني العوام

✽ المعنى ✽

ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) اني رسول الله اليكم وقد مر معناه في سورة الرعد (انه كان عباده خبيراً بصيراً) لا يخفى عليه من احوالهم شيء والمراد به تأكيد الوعيد (ومن يهدي الله فهو المهتد) أي من يحكم الله بهداه فهو المهتد باخلاصه وطاعته على الحقيقة (ومن يضل) أي ومن يحكم بضلاله (فلن تجد لهم أولياء من دونه) أي لن تجد لهم أنصارا بقدرت على إزالة اسم الضلال عنهم وقد ذكرنا وجوه الهدى والضلال في سورة البقرة (ونحشرهم) أي نجتمعهم (يوم القيامة على وجوههم) أي يسحبون على وجوههم إلى النار وكما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في أهائه وتعذيبه وروى انس بن مالك ان رجلاً قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال ان الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة أورده البخاري ومسلم في الصحيح (عمياً وبكياً وصماً) قيل المعنى عمياً بما يسرههم بكياً عن التكلم بما ينفعهم صماً عما يمتنعهم عن ابن عباس أي كأنهم عدوا هذه الجوارح وقيل يحشرون على هذه الصفة عمياً كما عموا عن الحق في دار الدنيا بكماً جزاء على سكوتهم عن كلمة الاخلاص وصماً لتركهم سماع الحق واصغائهم إلى الباطل قال مقاتل هذا حين يقال لهم اخشوا فيها ولا تكلمون وقيل يحشرون كذلك ثم يجعلون يبصرون ويسمعون وينطقون عن الحسن (مأواهم جهنم كلما خبت زنادهم سعيراً) أي مستقرهم جهنم كلما سكن الثهايبا زنادهم اشتعالاً فيكون كذلك دائماً ومتى قيل كيف يبقى الحي حياً في تلك الحالة من الاحتراق دائماً قلنا ان الله تعالى قادر على ان يمنع وصول النار إلى مقاتلهم (ذلك) أي ذلك الذي تقدم ذكره من العقاب (جزاؤهم) استحقاقه (بأنهم كذبوا) كذا في النسخ والصواب كفروا (بآياتنا) أي تكذبون بآيات الله (وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً) مثل التراب مترضين (أنا لمبعوثون خلقاً جديداً) مر معناه في هذه السورة (أولم يروا) أي أولم يعلموا (ان الله الذي خلق السموات والأرض قادر على ان يخلق مثلهم) لأن القادر على الشيء قادر على امثاله إذا كان له مثل أو أمثال في الجنس وإذا كان قادراً على خلق أمثالهم كان قادراً على إعادتهم إذ الإعادة أهون من الإنشاء في الشاهد وقيل أراد قادر على ان يخلقهم ثانياً وأراد بثلثهم إياهم وذلك ان مثل الشيء ومسا له في حاله فجاز ان يعبر به عن الشيء قسه يقال مثلك لا يفعل كذا بمعنى أنت لا تفعله ونحوه ليس كمثل شيء وتم الكلام ههنا ثم قال سبحانه (وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه) أي وجعل لإعادتهم وقتاً لا شك فيه انه كائن لا محالة وقيل معناه وضرب لهم مدة ليتفكروا ويعلموا فيها ان من قدر على الابتداء قدر على الإعادة وقيل وجعل لهم أجلاً يعيشون اليه ويخترمون عنده لا شك فيه (فأبى الظالمون) لنفوسهم الباخسون حقها بفعل المعاصي إلا كفوراً أي جحوداً بآيات الله ونعمه وفي الآية دلالة على ان القادر على الشيء يجب ان يكون قادراً على جنس مثله إذا كان له مثل وعلى انه يجب ان يكون قادراً على ضده لأن منزلته في المقدور منزلة مثله وفيه دلالة أيضاً على انه يقدر على إعادته إذا كان مما يفنى وتصح عليه الإعادة ثم قال سبحانه (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي) أي لو ملكتم خزائن أرزاق الله وقيل لو ملكتم مقدورات ربي أي ما يقدر عليه ربي من النعم إذا لا يكون له سبحانه موضع يخزن فيه الرحمة ثم يخرج منه كما يكون للعباد ورحمته نعمته (إذا لا مسكتكم) شحاً وبخلًا (خشية الإيقاق)

أي خشية الفقر والفاقة عن ابن عباس وقتادة وقيل خشية أن تنفقوا فتنفروا عن السدي والمعنى لأمسكنم عن الاتفاق خشية الفقر للاتفاق (وكان الإنسان قتوراً) أي بخيلاً عن ابن عباس وقتادة وهذا جواب لقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ويقال نفقت نفقات القوم إذا تقدمت وأنفقها صاحبها أي أنفدها حتى افتقر وظاهر قوله وكان الإنسان قتوراً العموم وقد علمنا ان في الناس الجواد والوجه فيه أحد أمرين وهو أن يكون الأغلب عليهم من ليس بجواد فجاز الاطلاق تغليبا للأكثر وأيضاً فإن ما يعطيه الإنسان وان عد جواداً يخل في جنب ما يعطيه الله سبحانه لأن الإنسان إنما يعطي ما يفضل عن حاجته ويمسك ما يحتاج اليه والله سبحانه لا تجوز عليه الحاجة فيفيض من النعم على المطيع والمعاصي إفاضة من لا يخاف الحاجة

قوله تعالى (١٠١) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَسْتَلِ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (١٠٢) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلْهُوَ لِإِلَّهِ الْأَرْبَابِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَشْبُورًا (١٠٣) فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرْ مِنْ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (١٠٤) وَقُلْنَا مَنْ بَعْدَهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَسْكِنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (٥٠١) وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا

خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ الكسائي وحده لقد علمت بضم التاء والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي حجة من فتح ان فرعون ومن كان يتبعه قد علموا صحة أمر موسى بدلالة قوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ومن قال لقد علمت إذا قيل له كيف يصح الاحتجاج عليهم بعلمه وعلمه لا يكون حجة على فرعون وإنما يكون علم فرعون بما علم من صحة أمر موسى حجة عليه فالقول انه لما قيل له ان رسولكم الذي ارسل اليكم مجنون كان ذلك قدحا في علمه لأن المجنون لا يعلم فكأنه نفى ذلك فقال لقد علمت صحة ما أتيت به وانه ليس بسحر علما صحيحا كعلم العقلاء فصير العقل حجة عليه من هذا الوجه وزعموا ان هذه القراءة رويت عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب «ع»

﴿ اللغة ﴾

التبور الهلاك ثبره الله يثبره ويثبره لغتان ورجل مشبور محبوب عن الخبرات قال

إذ اجاري الشيطان في سنن النعي ومن قال مثله مشبور

وتقول العرب ما تبرك عن هذا الأمر أي ما صرفك عنه وما منعك منه ولفيف مصدر قولك لففت الشيء أي جمعته يقال لففته لفاولفيفا ومن ذلك قولهم لففت الجيوش ضربت بعضها ببعض فاختلف الجميع قال الزجاج اللفيف الجماعات من قبائل شتى

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه قصة موسى «ع» فقال (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أي ولقد أعطينا موسى تسع دلالات وحجج واضحات واختلف في هذه الآيات التسع فقيل هي يد موسى وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم عن ابن عباس والضحاك وقيل الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر

والعصا والطمسة والحجر عن محمد بن كعب وعن ابي علي الجبائي أيضا إلا انه ذكر بدل الطمسة اليد وعن قتادة ومجاهد وعكرمة وعطا كذلك إلا انهم ذكروا بدل البحر والطمسة والحجر اليد والسنين ونقص من الثمرات والطمسة هي دعاء موسى وتأمين هارون وقال الحسن مثل ذلك إلا انه جعل الأخذ بالسنين ونقص من الثمرات آية واحدة وجعل التاسعة تلفف العصا ما يافكون وقيل انها تسع آيات في الاحكام روى عبد الله ابن سلمة عن صفوان بن عسال ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي قال فأتى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن هذه الآية فقال هو أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تمشوا بالبري إلى سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة ولا تولوا الفرار يوم الزحف وعليكم خاصة يا يهود أن لا تعتدوا في السبت فقبل بده وقال أشهد انك نبي (فاسأل بني اسرائيل إذ جاءهم) هذا أمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يسأل بني اسرائيل لتكون الحججة عليهم أبلغ وقيل ان المعنى فاسأل أباها السامع لأن العلم قد وقع بخبر الله تعالى فلا حاجة إلى الرجوع إلى أهل الكتاب وقيل ان معنى السؤال أن تنظر ما في القرآن من أخبار بني اسرائيل عن الحسن وروي عن ابن عباس انه قرأ فاسأل بني اسرائيل بمعنى فاسأل موسى فرعون بني اسرائيل أن يرسلهم (فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا) أي معطي علم السحر فهذه العجائب التي فعلتها من سحرك وقيل معناه إني لأظنك ساحرا فوضع المفعول موضع الفاعل كما يقال مشووم ويميمون في معنى شائم وبامن وقيل معناه انك سحرت فأنت تحمل تسك على ما تقوله للسحر الذي بك وقيل مسحورا أي مخدوعا عن ابن عباس (قال موسى لقد علمت) أنت يا فرعون (ما أنزل) هذه الآيات (إلا رب السموات والأرض) الذي خلقهن (بصائر) أي أنزلها حججا وبراهين للناس يبصرون بها أمور دينهم وقيل أدلة على نبوتك لأنك تعلم انها ليست من السحر وروي ان عليا (ع) قال في علمت والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذي علم فقال لقد علمت (وإني لأظنك يا فرعون مشورا) معناه وإني لاعلمك يا فرعون هالك الكفر وانكارك عن قتادة والحسن وقيل أعلمك ملعونا عن ابن عباس وقيل مخبولا لا عقل لك عن ابن زيد وقيل بعيدا عن الخير مصروفا عنه عن الفراء وقيل المراد به الظن على الظاهر لأن الهلاك يكون بشرط الاصرار ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الله (فأراد أن يستفهم من الأرض) معناه فأراد فرعون ان يزعم موسى ومن معه من ارض مصر وفلسطين والاردن بالنفي عنها وقيل بأن يقتلهم (فأغرقناه ومن معه) من جنوده (جميعا) لم ينج منهم أحد ولم يهلك من بني اسرائيل أحد (وقلنا من بعده) أي من بعد هلاك فرعون وقومه (لبنى اسرائيل اسكنوا الأرض) أي أرض مصر والشام (فإذا جاء وعد الآخرة) يعني يوم القيامة عن أكثر المفسرين أي وعد الكفرة الآخرة وقيل أراد نزول عيسى عن الكليبي وقاتدة (جننا بكم لفيقا) معناه جننا بكم من القبور إلى الموقف للحساب والجزاء مختلطين التف بعضهم ببعض لا تتعارفون ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وقيل لفيقا أي جميعا أولكم وآخركم عن ابن عباس ومجاهد (وبالحق أنزلناه) معناه وبالحق أنزلنا القرآن عليك (وبالحق نزل) القرآن وتاويله أردنا بانزال القرآن الحق والصواب وهو ان يؤمن به ويعمل بما فيه ونزل بالحق لأنه يتضمن الحق ويدعو إلى الحق وقال البلخي يجوز ان يكون المراد أنزلنا موسى فيكون كقوله وأنزلنا الحديد ويجوز ان يكون المراد وأنزلنا الآيات اي وأنزلنا ذلك كما قال ابو عبيدة انشدني روبة

فيه خطوط من سواد بلق كأنه في العين توليع البهق

فقلت له ان أردت الخطوط فقل كأنها وإن اردت السواد واليباض فقل كأنها قال فقال لي كان ذلك وتلك (وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا) مبشرا بالجنة لمن اطاع ومنذرا بالنار لمن عصي

قوله تعالى (١٠٦) وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا (١٠٧) قل

آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُوْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا
(١٠٨) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا مَفْعُولًا (١٠٩) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُونَ
وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١١٠) قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
وَلَا تُجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَاتَّبِعُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١١١) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ
وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرًا نَكْبِيرًا

ست آيات

﴿ القراءة ﴾

القراءة المشهورة في فرقناه بالتخفيف وروى عن علي «ع» وابن مسعود وابن عباس وابي بن كعب والشعبي والحسن بخلاف وقتادة وعمرو بن فائد فرقناه بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

معنى فرقناه فصلناه ونزلناه آية آية وسورة سورة وبدل عليه قوله على مكث والمكث والمكث لعتان

﴿ الإعراب ﴾

قرآنا منصوب بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر أي وفرقنا قرآنا فرقناه وجاء بالنصب ولم يأت فيه الرفع لأن صدره فعل وفاعل وهو قوله وبالحق انزلناه على مكث في موضع نصب على الحال أي متمهلاً متوقفاً غير مستعجل يخرون للأذقان في موضع رفع بكونه خبر أن وسجداً نصب على الحال أن كان وعد ربنا أن هذه مخففة من الثقيلة وهي اللام دخلنا للتأكيد أي ما تدعو تدعو مجزوم بالشرط الذي يتضمنه أي علامة الجزم فيه سقوط النون وما مزيدة مؤكدة للشرط وإيا منصوب بتدعو

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وقرآنا فرقناه) أي وانزلنا عليك يا محمد قرآنا فصلناه سوراً وآيات عن أبي مسلم وقيل معناه فرقناه به الحق عن الباطل عن الحسن وقيل معناه جعلنا بعضه خيراً وبعضه أمراً وبعضه نهيًا وبعضه وعداً وبعضه وعيداً وانزلناه متفرقاً لم تنزله جميعاً إذ كان بين أوله وآخره نيف وعشرين سنة (لتقرأه على الناس على مكث) أي على تثبت وتؤدة فترتله ليكون أمكن في قلوبهم ويكفونوا أقدراً على التأمل والتفكير فيه ولا تعجل في تلاوته فلا يفهم عنك عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لتقرأه عليهم مفرقاً شيئاً بعد شيء (ونزلناه تنزيلاً) على حسب الحاجة ووقوع الحوادث وروى عن ابن عباس أنه قال لئن أقرأ سورة البقرة وارتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن هذا وعن عبد الله بن مسعود أنه قال لا تقرأوا القرآن في أقل من ثلاث وأقرأوا في سبع (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (آمنوا به) أي بالقرآن (أو لا تؤمنوا) فإن إيمانكم ينفعكم ولا ينفع غيركم وترككم الإيمان يضركم ولا يضر غيركم وهذا تهديد لهم وهو جواب لقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا (إن الذين أوتوا العلم من قبله) أي أعطوا علم التوراة من قبل نزول القرآن كعبد الله بن سلام وغيره فعلموا صفة النبي ^{صلى الله عليه وسلم} قبل مبعثه عن ابن عباس وقيل إنهم أهل العلم من أهل الكتاب وغيرهم وقيل إنهم أمة محمد ^{صلى الله عليه وسلم} عن الحسن (إذا يتلى عليهم) القرآن (يخرون للأذقان سجداً) أي يسقطون على الوجوه ساجدين عن ابن عباس وقتادة وإنما خص الذقن لأن من سجد كان أقرب شيء منه إلى الأرض ذقنه والذقن يجمع للحيين (ويقولون سبحان

ربنا) اي تزيها لربنا عز اسمه عما بضيف اليه المشركون (إن كان وعد ربنا لمفعولا) إنه كان وعد ربنا مفعولا حقا يقينا ولم يكن وعد ربنا إلا كأننا (ويجزون للاذقان يبيكون) اي يسجدون باكين اشفاقا من التقصير في العبادة وشوقا إلى الثواب وخوفا من العقاب (ويزيدهم) ما في القرآن من المواعظ (خشوعا) اي تواضعا لله تعالى واستسلاما لأمر الله وطاعته ثم قال سبحانه (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين نبوتك (ادعوا الله او ادعوا الرحمن) وذكروا في سببه اقوال **احدها** **ع** ان النبي **ص** كان ساجدا ذات ليلة بمكة يدعو يارحم يارحم فقال المشركون هذا يزعم ان له آلهما واحدا وهو يدعومثنى مثنى عن ابن عباس **ع** وثانيها **ع** ان المشركين قالوا اما الرحيم فنعرفه واما الرحمن فلانعرفه عن ميمون بن مهران **ع** وثالثها **ع** أن اليهود قالوا إن ذكر الرحمن في القرآن قليل وهو في التوراة كثير عن الضحاك (اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى) معناه اي اسمائه تدعو وما هاهنا صلة كقوله عما قليل ليصبحن نادمين وقيل هي بمعنى اي شيء كررت مع اي لاختلاف اللفظين تو كيدا كما قالوا ما رأيت كالليلة ليلة وتقديره اي شيء من اسمائه تدعونه به كان جائزا فإن معنى اوفي قوله او ادعوا الرحمن الا بإباحة اي ان دعوتهم باحدهما كان جائزا وان دعوتهم بهما كان جائزا فله الاسماء الحسنى فإن اسماءه تنبئ عن صفات حسنة وافعال حسنة فأما اسماؤه المنبئة عن صفات ذاته فهو القادر العالم الحي السميع البصير القديم وأما اسماؤه المنبئة عن صفات افعاله الحسنة فنحو الخالق والرازق والعدل والمحسن والمجمل والمنعم والرحمن والرحيم واما ما أنبأ عن المعاني الحسنة فنحو الصمد فإنه يرجع إلى افعال عباده وهو انهم بصمدونه في الحوائج ونحو المعبود والمشكور بين سبحانه في هذه الآية انه شيء واحد وان اختلفت اسماؤه وصفاته وفي الآية دلالة على ان الاسم عين المسمى وعلى ان تقديم اسمائه الحسنى قبل الدعاء والمسألة مندوب اليه مستحب وفيها ايضا دلالة على انه سبحانه لا يفعل القبائح مثل الظلم وغيره لأن اسماءه حينئذ لا تكون حسنة فإن الاسماء قد تكون مشتقة من الافعال فلو فعل الظلم لاشتق منه اسم الظالم كما اشتق من العدل العادل وقوله (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) اختلف في معناه على اقوال **احدها** **ع** ان معناه لا تجهر باشاعة صلاتك عند من يؤذيك ولا تخافت بها عند من يلمسها منك عن الحسن وروى أن النبي **ص** كان إذا صلى فجهر في صلاته تسمع له المشركون فشموه واذوه فأمره سبحانه بترك الجهر وكان ذلك بمكة في اول الأمر وبه قال سعيد بن جبير وروى ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله **ع** **ع** وثانيها **ع** ان معناه لا تجهر بدعائك ولا تخافت بها ولكن بين ذلك فالمراد بالصلاة الدعاء عن مجاهد وعطاء ومكحول ونحوه وروى عن ابن عباس **ع** وثالثها **ع** ان معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها (وابتغ بين ذلك سبيلا) بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار عن ابي مسلم **ع** ورابعها **ع** لا تجهر جهورا يشغل به من يصلي بقربك ولا تخافت بها حتى لا تسمع نفسك عن الجبائي وقرب منه ما رواه اصحابنا عن ابي عبد الله **ع** انه قال الجهر بها رفع الصوت شديدا والمخافتة ما لم تسمع اذنيك وقرأ قراءة وسطا ما بين ذلك وابتغ بين ذلك سبيلا اي بين الجهر والمخافتة ولم يقل بين ذينك لانه اراد به الفعل فهو مثل قوله عوان بين ذلك (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) فيكون مربوبا لاربابا لأن رب الارباب لا يجوز ان يسكون له ولد (ولم يكن له شريك في الملك) فيكون عاجزا محتاجا إلى غيره ليعينه ولا يجوز ان يسكون الآله بهذه الصفة (ولم يكن له ولي من الدن) اي لم يكن له حليف حاله لينصره على من يناوئه لأن ذلك من صفة الضعيف عاجز ولا يجوز ان يسكون الآله بهذه الصفة قال مجاهد لم يذل فيحتاج إلى من يتعزز به يعني انه القادر بنفسه وكل ما عبد من دونه فهو ذليل مقهور وقيل معناه ليس له ولي من اهل الدن لأن الكافر والفاسق لا يسكون وليا لله (وكبره تكبيرا) اي عظمه تعظيما لا يساويه تعظيما ولا يقاربه وروى ان النبي **ص** كان يعلم اهله هذه الآية وما قبلها عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقيل ان في هذه الآية ردا على اليهود والنصارى حين قالوا اتخذ الله الولد وعلى مشركي العرب حيث قالوا ليبيك لا شريك لك

إلا شريكاً هو لك وعلى الصابئين والمجوس حين قالوا لولا أولياء الله لذل الله عن محمد بن كعب القرظي
 * سؤال * قالوا كيف يحمد سبحانه ان لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك والحمد إنما يستحق على فعل له
 صفة التفضل * والجواب * انه ليس له الحمد في الآية على انه لم يفعل وإنما الحمد له سبحانه على أفعاله المحمودة
 وتوجه الحمد إلى من هذه صفة كما يقال أنا أشكر فلاناً الجميل ولا نشكره على جماله بل على أفعاله

(سورة الكهف)

مكية قال ابن عباس وإلا آية واصبر تسك مع الذين يدعون ربهم فإنها نزلت بالمدينة في قصة عينته بن
 حصن الفزاري

* عدد آياتها *

مائة واحدى عشرة آية بصري وعشر كوفي وست شامي وخمس حجازي

* اختلافها *

إحدى عشرة آية فزدناهم هدى غير الشامي إلا قليل مدي الاخير إني فاعل ذلك غدا غير الاخير ذرعاً ومن
 كل شيء سبباً عراقي شامي والاخير هذه أبداً غير شامي والاخير عندها قوماً غير الكوفي والاخير فاتبع سبباً الثلاث
 عراقي بالأخسر بن أعمالاً عراقي شامي

* فضائها *

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة فإن خرج الدجال في تلك
 الثمانية الأيام عصمه الله من فتنة الدجال ومن قرأ الآية التي في آخرها قل إنما أنا بشر مثلكم الآية حين يأخذ
 مضجعه كان له في مضجعه نور يتلأل إلى الكعبة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه فإن كان
 في مكة فتلاها كان له نوراً يتلأل إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ .
 سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال من قرأ عشر آيات من سورة الكهف حفظاً لم تضره فتنة الدجال ومن
 قرأ السورة كلها دخل الجنة وعن النبي ﷺ قال الا أدلكم على سورة شيعها سبعون الف ملك حين نزلت
 ملأت عظمها ما بين السماء والأرض قالوا بلى قال سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر الله له إلى
 الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام واعطي نوراً يبلغ السماء ووفي فتنة الدجال وروى الواقدي باسناده عن ابي
 الدرداء عن النبي ﷺ قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ثم أدرك الدجال لم يضره ومن حفظ
 خواتيم سورة الكهف كانت له نوراً يوم القيامة وروى أيضاً بالاسناد عن سعيد بن محمد الجزمي عن ابيه عن
 جده عن النبي ﷺ قال من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ستة أيام من كل فتنة تكون فإن خرج
 الدجال عصم منه وروى العياشي باسناده عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن ابيه عن ابي عبد الله «ع» قال
 من قرأ سورة الكهف في كل ليلة جمعة لم يمت إلا شهيداً وبعثه الله مع الشهداء ووقف يوم القيامة مع الشهداء

* تفسيرها *

ختم الله سبحانه سورة بني اسرائيل بالتحميد والتوحيد وذكر النبي ﷺ والقرآن وافتتح سورة الكهف
 أيضاً بالتحميد والتوحيد وذكر القرآن والنبي ﷺ ليتصل أول هذه بأخر تلك اتصال الجنس بالجنس فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (٢) قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٣) مَا كَثُرِينَ فِيهِ أَبَدًا (٤) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٥) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِابَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٦) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ست آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أبو بكر برواية يحيى من لدنه باشمام الدال الضم وكسر الهاء والنون وقرأ الباقر بضم الدال وسكون النون وفيه الشواذ كبرت كلمة برفع كلمة قرأه يحيى بن يعمر والحسن وابن الميحيصن وابن ابي اسحاق والثقفى والاعرج بخلاف وعمرو بن عبيد

— الحجة —

قال ابو علي في لدن ثلاث لغات لدن مثل سبع ويخفف الدال ويكون على ضربين ✽ أحدهما ✽ ان يحذف الضمة من الدال فيقال لدن ✽ والآخر ✽ ان يحذف الضمة من الدال وينقل إلى اللام فيقال لدن مثل عضد في عضد وفي كلا الوجهين يجتمع في الكلمة ساكتان فمن قرأ من لدنه بكسر النون فإن الكسرة فيه ليست كسرة اعراب وإنما هي كسرة لالتقاء الساكتين وذلك ان الدال اسكنت كما اسكنت الباء في سبع والنون ساكنة فالتقى الساكتان فكسر الثاني منهما فأما اشمام الدال الضمة فليعلم ان الأصل كان في الكلمة الضمة ومثل ذلك قولهم أنت تغرين وقولهم قيل اشمت الكسرة فيهما الضمة ليدل على ان الاصل فيهما التحريك بالضم وان كان الاشمام في لدنه ليس في حركة خرجت إلى اللفظة وإنما هو بهيئة العضو لا إخراج الضمة وأما الجار في قوله من لدنه فيحتمل ضربين ✽ أحدهما ✽ ان يكون صفة متعلقا بشديد ✽ والآخر ✽ ان يكون صفة للنكرة وفيها ذكر للموصوف

✽ اللغة ✽

العوج بالفتح فيما يرى كالقناة والخشبة وبالكسر فيما لا يرى شخصاً قائماً كالدين والكلام والقيم والمستقيم والباخع القاتل المهلك يقال باخع نفسه ببخعهما بخعاً وبخوعاً قال ذو الرمة

ألا أي هذا الباخع الوجد نفسه لشيء نحتته عن يديه المقادر

يريد نحتته فخفف والأسف المبالغة في الحزن والغضب يقال أسف الرجل فهو أسف واسيف قال الاعشى

ترى رجلاً منهم أسيفاً كأنه يضم إلى كسحيه كفا مخضباً

قيماً نصب على الحال من الكتاب والعامل فيه انزل وقوله ان لهم أجراً تقديره بأن لهم أجراً فحذف الجار وما كثرين نصب على الحال في معنى خالدين وقوله كبرت كلمة اختلف في نصب كلمة فقال السراج انتصب على تفسير المضمر على حد قولهم نعم رجلاً زيد والتقدير على هذا كبرت الكلمة كلمة ثم حذف الأول لدلالة الثاني عليه ومثله كرم رجلاً زيد وقدم صاحباً عمرو ويكون المخصوص بالتكبير هذه المسألة محذوفاً لدلالة صفة عليه والتقدير كلمة تخرج من أفواههم أي كلمة خارجة من أفواههم فيكون مرفوعاً على وجهين ✽ أحدهما ✽ ان يكون مبتدأ وما قبله الخبر ✽ والآخر ✽ ان يكون خبر مبتدأ محذوف وتقديره هي كلمة تخرج وقيل انتصب

كلمة على التمييز المنقول عن الفاعل على حد قولك تصيبت عرقا وتفقات شحما والأصل كبرت كتبهم الخارجة من افواههم قال الشاعر

ولقد علمت اذ الريح تناوحت هدى الريال تكبهن شمالا
اي تكبهن الرياح شمالا ومن قرأ كبرت كلمة فإنه جعل كلمة فاعل كبرت وجعل قولهم اتخذ الله ولدا كلمة كما قالوا للقصيد كلمة وعلى هذا فيكون قوله تخرج من افواههم في موضع رفع بكونه صفة لكلمة ولا يجوز أن يكون وصفا لكلمة الظاهرة المنصوبة لأن الوصف يقرب النكرة من المعرفة والتمييز لا يكون معرفة البتة ولا يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من كلمة المنصوبة لوجهين أحدهما أن الحال يقوم مقام الوصف والثاني أن الحال لا يكون من نكرة في غالب الأمر واسفا منصوب بأنه مصدر وضع موضع الحال ولو كان في غير القرآن لجاز ان لم يؤمنوا بالفتح كما في قول الشاعر

اتجزع ان بان الخليط المودع وحبل الصفا من عزة المتقطع

— المعنى —

(الحمد لله . يقول الله سبحانه خلقه قولوا كل الحمد والشكر لله (الذي أنزل على عبده) محمد ﷺ (الكتاب) أي القرآن وأنجبه من خلقه وخصه برسالته فبعثه نبيا رسولا (ولم يجعل له عوجا قويا) فيه تقديم وتأخير وتقديره الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قويا ولم يجعل له عوجا وعنى بقوله قويا معتدلا مستقيما مستويا لا تناقض فيه عن ابن عباس وقيل قويا على سائر الكتب المتقدمة بصدقها ويحفظها وينفي البطل عنها وهو ناسخ لشرائعها عن الفراء وقيل قويا لامور الدين يلزم الرجوع اليه فيها فهو كقيم الدار الذي يرجع اليه في امرها عن النبي وسلم وقيل قيادا دائما يدوم ويثبت الى يوم القيامة لا ينسخ عن الأصم ولم يجعل له عوجا اي لم يجعله ملتبسا لا يفهم ومعوجا لا يستقيم وهو معنى قول ابن عباس وقيل لم يجعل فيه اختلافا كما قال عز وجل اسمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا عن الزجاج ومعنى العوج في الكلام ان يخرج من الصحة إلى الفساد ومن الحق إلى الباطل ومما فيه فائدة إلى ما لا فائدة فيه ثم بين سبحانه الغرض في انزاله فقال (لينذر بأسا شديدا من لدنه) ومعناه ليخوف العبد الذي أنزل عليه الكتاب الناس عذابا شديدا ونكالا وسطوة من عند الله تعالى ان لم يؤمنوا به (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا) معناه وليبشر المصدقين بالله ورسوله الذين يعملون الطاعات بعد الايمان ان لهم ثوابا حسنا في الآخرة على ايمانهم وطاعتهم في الدنيا وذلك الثواب هو الجنة (ما كثر في ابداء) اي لا يثنى في ذلك الثواب خالد بن مؤبد بن لا ينقلون عنه (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) اي وليحذر الكفار الذين قالوا الملائكة بنات الله وهم قريش عن الحسن ومحمد بن اسحاق وقيل هم اليهود والنصارى عن السدي والكبي فمع جميع الكفار بالانذار في الآية الاولى وخص في هذه الآية القائلين بهذه المقالة منهم لتقليدهم الآباء في ذلك ولا يصرارهم على الجهل وقلة التفكير ولصددهم الناس عن الدين (ما لهم به من علم ولا بائهم) اي ليس هؤلاء القائلين بهذا القول الشنيع علم به ولا لاسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل ما هم عليه اليوم وإنما يقولون ذلك عن جهل وتقليد من غير حجة وقيل معناه ليس لهم بالله من علم ولا بائهم (كبرت كلمة تخرج من افواههم) اي عظمت الكلمة كلمة تخرج من افواه هؤلاء الكفار ووصف الكلمة بالخروج من الافواه توسعا ومجازا وإن كانت الكلمة عرضا لا يجوز عليها الدخول والخروج ولا الحركة والسكون ولكن لما كانت الكلمة قد تحفظ وتثبت وتوجد مكتوبة ومقروءة في غير الموضوع الذي فعلت فيه وصفها بالخروج وذكر الافواه تأكيدا والمعنى انهم صرحوا بهذه الكلمة العظيمة في القبح واظهروها (ان يقولون الا كذبا) اي ما يقول هؤلاء الا كذبا واقتراء على الله (فلملك) يا محمد (باخ)

نفسك على آثامهم (أي مهلك وقاتل نفسك على آثام قومك الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً مردداً منهم على ربهم (إن لم يؤمنوا) أي ان لم يصدقوا (بهذا الحديث) أي بهذا القرآن الذي أنزل عليك (اسفاً) أي حزناً وتلهفاً ووجدوا بلادهم عنك واعراضهم عن قبول ما آتيتهم به وقيل على آثامهم أي بعد موتهم لشدة شفقتك عليهم وقيل معناه من بعد توليهم واعراضهم عنك وقيل اسفاً أي غيظاً وغضباً عن ابن عباس وقتادة وهذه معاتبه من الله سبحانه لرسوله على شدة وجده وكثرة حرصه على إيمان قومه حتى بلغ ذلك به مبلغاً يقربه إلى الهلاك

قوله تعالى (٧) إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً (٨) وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً آيات

— (اللغة) —

الصعيد ظهر الأرض وقال الزجاج الصعيد الطريق الذي لا نبات به والجرز الأرض التي لا تنبت كأنها تأكل النبات الكلا يقال أرض جرز وأرضون اجراز وقال سيديه يقال جرزت الأرض فهي مجرزة وجرزها الجراز والنعم ويقال للسنة المجذبة للجرز لجدوبها وييسها وقلة امطارها قال الرازي « قد جرفت من السنون الاجراز » ويقال اجرز القوم إذا صارت ارضهم جرزا وجرزهم ارضهم إذا اكلوا نباتها كله

* الاعراب *

ايهم مرفوع بالابتداء لأن افضله لفظ الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام أي لاختبر اهنا احسن عملاً ام هذا وهو تعليق لما في الخبر من معنى العلم

* المعنى *

ثم بين سبحانه انه ابتداء خلقه بالنعم وان اليه مصير الامم فقال (إنا جعلنا ما على الأرض) مسن الأنهار والأشجار وأنواع المخلوقات من الجماد والحيوان والنبات (زينة) لها أي حلية الأرض ولاهلها (لنبلوهم أيهم احسن عملاً) أي لنختبرهم ونمتحنهم والمعنى لتعامل عبادنا معاملة المتلى وقد سبق ذكر امثاله والأحسن عملاً الأعمل بطاعة الله والاطوع له وقيل ان معنى الابتلاء الامر والنهي لأن بهما يظهر المطيع من العاصي وقيل اراد بالزينة الرجال لأنهم زينة الأرض وقيل اراد الانبياء والعلماء (وانا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزا) معناه وانا مخرجون الارض بعد عمارتها وجاعلون ما عليها مستويا من الأرض يابساً لا نبات عليه وقيل بلقع عن مجاهد وفي قوله ايهم احسن عملاً دلالة على انه سبحانه اراد من الخلق العمل الصالح وعلى ان افعالهم الصادرة منهم حادثة من جهتهم ولولا ذلك لما صح الابتلاء وفي ذلك بطلان قول اهل الجبر

قوله تعالى (٩) أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (١٠) إذ أوحى الفية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيبنا لنا من أمرنا رشداً (١١) فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً (١٢) ثم بعثناهم لنعلم أي الجز بين احصى لما لبثوا أمداً أربع آيات

* اللغة *

الكهف المغارة في الجبل الا انه واسع فاذا صغر فهو غار والرقيم اصله من الرقم وهو الكتابة يقال رقمت

الكتاب ارقمه فهو فعيل بمعنى مفعول كالجريح والقتيل ومنه الرقم في الثوب لأنه خط يعرف به ثمنه والارقم الحية المنقشة لما فيه من الخطوط وتقول العرب عليك بالرقمة ودع الضفة اي عليك برقمة الوادي حيث الماء ودع الجانب والاولى الرجوع والفتية جمع فتى وفتلة من اسماء الجمع وليس بنا يقاس عليه يقال صبي وصبية وغلان وغلمة ولا يقال غني وغنية لأنه غير مطرد في باب الضرب معروف ومعنى ضربنا على آذانهم سلطنا عليهم النوم وهو من الكلام البالغ في الفصاحة يقال ضربه الله بالفالج اذا ابتلاه الله به قال قطرب هو كقول العرب ضرب الامير على يد فلان اذا منعه من التصرف قال الأسود بن يعفر وكان ضريرا

ومن الحوادث لا ابالك انني
والحزب الجاعة والامد الغاية قال انبابة

الا لمثلك او من انت سابقه
سابق الجواد إذا استولى على الامد

(- الاعراب -)

سنين نصب على الظرف وعددا منصوب على ضريين * احدهما * على المصدر المعنى تعد عددا ويجوز ان يكون نعتا لسنين . المعنى سنين ذات عدد قال الزجاج والفائدة في قولك عدد في الاشياء المعدودات انك تريد توکید كثرة الشيء لأنه اذا قل فهم مقداره ومقدار عدده فلم يحتج إلى ان يعد فالعدد في قولك اقمت اياما عددا انك تريد بها الكثرة وجائز ان يؤكد بعدد معنى الجماعة في انها قد خرجت من معنى الواحد قال وامد منصوب على نوعين * احدهما * التمييز * والآخر * على احصى امدا فيكون العامل فيه احصى كأنه قال لنعلم أهؤلاء . احصى الامد أمر هؤلاء ويكون منصوبا بلبثوا ويكون احصى متعلقا بلما فيكون المعنى أي الحزبين احصى للبهتهم في الامد قال ابو علي ان انتصابه على التمييز عندي غير مستقيم وذلك لأنه لا يخلو من ان يحمل احصى على ان يكون فعلا ماضيا أو فعلا نحو احسن واعلم فلا يجوز ان يكون احصى بمعنى أفل من كذا وغير مثال للماضي من وجهين * احدهما * انه يقال احصى يحصي وفي التنزيل احصاه الله ونسوه وأفعل يفعل لا يقال فيه هو افعل من كذا وأما قولهم ما أولاه بالخير وما اعطاه الدرهم فمن الشاذ النادر الذي حكمه ان يحفظ ولا يقاس عليه * والآخر * ان ما ينتصب على التمييز في نحو قولهم هو اكثر مالا واعز علما يكون في المعنى فاعلا ألا ترى ان المال هو الذي كثر والعلم هو الذي عز وليس ما في الآية كذلك ألا ترى ان الامد ليس هو الذي احصى فهو خارج عن حد هذه الأسماء وإذا كان ماضيا كان المعنى لنعلم اي الحزبين احصى امدا للبهتهم فيكون الامد على هذا منتصبا بأنه مفعول به والعامل فيه احصى



* النزول *

محمد بن اسحق باسناده عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس ان النضر بن الحرث بن كلدة وعقبة بن ابي معيط انقذها قريش إلى ابحار اليهود بالمدينة وقالوا لها سلامهم عن محمد وصفا لهم صفته وخبرهم بقوله فالنهم اهل الكتاب الأول وعندهم من علم الانبياء ما ليس عندنا فخرجنا حتى قدما المدينة فسألا ابحار اليهود عن النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا لهم ما قالت قريش فقال لها ابحار اليهود اسألوه عن ثلاث فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فهو رجل متقول فروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فالونه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبوه وسلوه عن الروح ما هو وفي رواية أخرى فالن اخبركم عن الثنتين ولم يخبركم بالروح فهو نبي فانصرفا إلى مكة فقالا يا معاشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد وقصا عليهم القصة فجازوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه فقال اخبركم بما سألتهم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه في ذلك وحيا

ولا يأتيه جبرائيل حتى ارجف اهل مكة وتكلموا في ذلك فشق على رسول الله ﷺ ما يتكلم به أهل مكة عليه ثم جاءه جبرائيل (ع) عن الله سبحانه بسورة الكهف وفيها ما سأله عنه عن امر القتيبة والرجل الطواف وانزل عليه ويسألونك عن الروح الآية قال ابن اسحق فذكر لي ان رسول الله ﷺ قال لجبرائيل حين جاءه لقد احتسبت عني يا جبرائيل فقال له جبرائيل (ع) وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا الآية
 - (المعنى) -

(أم حسبت) معناه بل حسبت يا محمد (ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) فلخلق السموات والأرض اعجب من هذا عن مجاهد وقتادة ويحتمل انه لما استبطأ الجواب حين سأله عن القصة قيل له حسبت ان هذا شيء عجيب حرصا على ايمانهم حتى قوي طمعك انك إذا اخبرتهم به آمنوا والمراد بالكهف كهف الجبل الذي اوى اليه القوم الذين قص الله اخبارهم واختلف في معنى الرقيم فقيل انه اسم الوادي الذي كان فيه الكهف عن ابن عباس والضحاك وقيل الكهف غار في الجبل والرقيم الجبل نفسه عن الحسن وقيل الرقيم القرية التي خرج منها اصحاب الكهف عن كعب والسدي وقيل هو لوح من حجارة كتبوا فيه قصة اصحاب الكهف ثم وضعه على باب الكهف عن سعيد بن جبير واختاره البلخي والجبائي وقيل جعل ذلك اللوح في خزائن الملوك لأنه من عجائب الأمور وقيل الرقيم كتاب ولذلك الكتاب خبر فلم يخبر الله تعالى ما فيه عن ابن زيد وقيل ان اصحاب الرقيم هم النفر الثلاثة الذين دخلوا في غار فانسد عليهم فقالوا ليدعوا الله تعالى كل واحد منا بعمله حتى يفرج الله عنا ففعلوا فنجاهم الله ورواه النعمان بن بشير مرفوعا (إذ اوى القتيبة إلى الكهف) اي اذ ذكر لقومك اذ التجأ أولئك الشبان إلى الكهف وجعلوه مأواهم هربا بدينهم إلى الله (فقالوا) حين اؤوا اليه (ربنا آتانا من لذك رحمة) أي نعمة ننجو بها من قومنا وفرج عنا ما نزل بنا (وهيم لنا من أمرنا رشدا) اي هيمنا واصلح لنا من أمرنا ما نصيب به الرشد وقيل هيمنا لنا مخرجنا من العار في سلامة عن ابن عباس وقيل معناه دلنا على امر فيه نجاتنا لأن الرشد والنجاة بمعنى وقيل يسر لنا من أمرنا ما نلتمس به رضاك وهو الرشد وقالوا هؤلاء القتيبة قوم آمنوا بالله تعالى وكانوا يخفون الإسلام خوفا من ملكهم وكان اسم الملك دقيانوس واسم مدينتهم افسوس وكان ملكهم يعبد الأصنام ويدعو اليها ويقتل من خالفه وقيل انه كان مجوسيا يدعو إلى دين المجوس والقتية كانوا على دين المسيح لما برح اهل الانجيل وقيل كانوا من خراس الملك وكان يسر كل واحد منهم إيمانه عن صاحبه ثم اتفق أنهم اجتمعوا واطهروا أمرهم فأوروا إلى الكهف عن عبيد بن عمير وقيل أنهم كانوا قبل بعث عيسى (ع) (فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا) معناه أفتاهم سنين ذات عدد وتأويله فأجبنا دعاءهم وسددنا آذانهم بالنوم الغالب على نفوذ الأصوات اليها سنين كثيرة لأن النائم انما ينتبه بسماع الصوت ودل سبحانه بذلك على أنهم لم يموتوا وكانوا نياما في امن وراحة وجمام نفس وهذا من فصيح لغات القرآن التي لا يمكن ان يترجم بمعنى يوافق اللفظ (ثم بعثناهم) أي ايقظناهم من نومهم (لتعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا) اي ليظهر معلومنا على ما علمناه وذكرنا الوجه في امثاله فيما سبق والمعنى لننظر اي الحزبين من المؤمنين والكافرين من قوم اصحاب الكهف عد امد لبثهم وعلم ذلك وكأنه وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف بعد خروجهم من بيوتهم فبعثهم الله ليبين ذلك ويظهر وقيل يعني بالحزبين اصحاب الكهف لما استيقظوا اختلفوا في تعداد لبثهم وذلك قوله وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم الآية

✽ النظم ✽

اتصل قوله أم حسبت ان اصحاب الكهف الآية بما قبلها من وجوه  احدها  انه لما اخبر عن زينة الارض وعن الابتلاء عقبه بذكر القتيبة التي تركت زينة الدنيا واختارت طاعة الله وفارقت ديارها واموالها حثا

على الاقتداء بهم ﴿ والآخرون ﴾ انه اتصل بقوله فعليك باضع نفسك على آثارهم اي فلا تأسف عليهم لانه لا يضرك كفره والله ناصرك وحافظك من أعدائك كما حفظ أصحاب الكهف ﴿ والثالث ﴾ انه اتصل بقوله ويهبي للمؤمنين اي وينصرهم كما نصر أصحاب الكهف

قوله تعالى (١٣) نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٤) وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا (١٥) هو لا عقومنا اتخذوا من دونه إلها لولا بأتون عليهم يسطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا (١٦) وإذ اعتزلتموه وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهبي لكم من أمركم مرفقا أربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وابن عامر والأعشى والبرجي عن أبي بكر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء والباقون مرفقا بكسر الميم وفتح الفاء.

﴿ الحجة ﴾

قال الزجاج وذكر قطرب وغيره اللغتين جميعا في مرفق الأمر ومرفق اليد ومرفق السيد بالكسر أجود قال أبو الحسن مرفقا أي شيئا يرتفقون به مثل المقطع ونحوه ومرفقا جعله اسما مثل المسجد أو يكون لغة قال أبو علي قوله جعله اسما أي جعل المرفق اسما ولم يجعله اسم المكان ولا المصدر من رفق يرفق كما ان المسجد ليس باسم الموضوع من سجد يسجد وقوله أو يكون لغة أو يجعله في اسم المصدر كما جاء المطلق ونحوه ولو كان على القياس لفتح اللام

= اللغة =

الشطط الخروج عن الحد بالغلو فيه واصله مجاوزة الحد في البعد وشطت الجارية تشط شططا وشطاطة إذا جاوزت الحد في الطول واشط في السوم إذا جاوز القدر بالغلو فيه والاعتزال التنحي عن الأمر والتعزل بمعناه قال يا بيت عاتكة التي اتعزل حذر العدى وبه الفؤدا مو كل

وسمي عمرو بن عبيد وأصحابه معتزلة لما اعتزلوا حلقة الحسن

﴿ الإعراب ﴾

كسر إنهم فتية على الاستئناف إذ قاموا يتعلق بربطنا أي في الوقت الذي قاموا فيه وشططا منصوب على المصدر المعنى لقد قلنا قولنا شططا وما يعبدون في موضع نصب عطفا على الهاء والميم في اعتزلتموه والمراد الأصنام التي يعبدونها من دون الله ويجوز ان تكون ما مصدرية أي وعبادتهم الا عبادة الله فحذف المضاف والاستثناء على هذا من الهاء والميم وان جعلت ما موصولة كان الاستثناء من مفعول يعبدون استثناء منقطعا

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه قصة أصحاب الكهف فقال (نحن نقص عليك) أي نتلو عليك يا محمد (نبأهم) أي خبرهم (بالحق) أي بالصدق والصحة (أنهم فتية) أي أحداث وشباب (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) أي بصيرة في الدين ورغبة في الثبات عليه بالأطاف القوية ادواعيهم إلى الإيمان وحكمهم لهم سبحانه بالفتوة لأن رأس الفتوة الإيمان وقيل الفتوة بذل الندي وترك الأذى وترك الشكوى عن مجاهد وقيل هي اجتناب المحارم واستعمال المكارم

(وربطنا على قلوبهم) أي شدنا عليها بالاطراف والخواطر المقوية للإيمان حتى وطنوا أنفسهم على اظهار الحق والثبات على الدين والصبر على المشاق ومفارقة الوطن (إذ قاموا) أي حين قاموا بين يدي ملكهم الجباردقيانوس الذي كان يفتن أهل الإيمان عن دينهم (فقالوا) بين يديه (ربنا رب السموات والارض) أي ربنا الذي نعبد خالق السموات والارض (ان ندعو من دونه إلها) أي لن نعبد إلها سواه معه (لقد قلنا إذا شططا) معناه ان دعونا مع الله إلها آخر فلقد قلنا إذا قولا مجاوزا للحق غاية في البطلان (هو لاء قومنا) أي اهل بلدنا (اتخذوا من دونه) أي من دون الله (آلهة) يعبدونها (لولا يأتون عليهم بسطان بين) أي هلا يأتون على عبادتهم غير الله بحجة ظاهرة وفي هذا ذم زجر للتقليد وإشارة إلى انه لا يجوز ان يقبل دين إلا بحجة واضحة (فمن اظلم ممن افتدى على الله كذبا) فزعم ان له شريكا في العبادة (وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) قال ابن عباس وهذا من قول تليخا وهو رئيس اصحاب الكهف قال لهم فإذا فارقتموهم وتنجيتهم عنهم جانباً يعني عبدة الأصنام وفارقتهم ما يعبدون أي اصنامهم إلا الله فانكم لن تتركوا عبادته وذلك ان اولئك كانوا بشر كون بالله ويجوز انه كان فيهم من يعبد الله مع عبادة الأصنام فقال إذا اعتزلتم الأصنام ولم تعتزلوا الله ولا عبادته فيكون الاستثناء متصلا ويجوز ان يكون جميعهم كانوا يعبدون الأوثان من دون الله فيكون الاستثناء منقطعاً (فأروا إلى الكهف) أي صيروا اليه واجعلوه مأواكم (ينشر لكم ربكم من رحمته) أي يبسط عليكم ربكم من نعمته (ويهيئ لكم من امركم مرفقا) أي ويسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه ويأتيكم باليسر والرفق والالطف عن ابن عباس وكما ارتفعت فهو مرفق وقيل معناه ويصلح لكم من امر معاشكم ما ترتفقون به وفي هذا دلالة على عظم منزلة الهجرة في الدين وعلى قبح المقام في دار الكفر إذا كان لا يمكن المقام فيها إلا باظهار كلمة الكفر وبالله التوفيق

قوله تعالى (١٧) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّصُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٨) وَتَحْسَبُهُمْ آيْقَاتًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُجْبًا آيَاتَانِ

القراءة

قرأ ابن عامر ويمقوب تزور بتشديد الزاي وقرأ أهل الكوفة تراور بالتخفيف والباقون تزاور بتشديد الزاي وقرأ أهل الحجاز لملت بالتشديد والباقون بالتخفيف وفي الشواذ قراءة الجعدي تزور وقراءة الحسن وتقلبهم بفتح التاء والقاف والباء وضم اللام

(الحجة) -

من قرأ تزاور فإنه تتزاور فادغم التاء في الزاي ومن قرأ تراور حذف الثانية وخفف الكلمة بالحذف كما حذف أولئك بالادغام ومن قرأ تزور فقد قال ابو الحسن لا معنى له في هذا الموضع إننا يقال هو مزور عني أي منقبض عني يدل عليه قول عنقرة

وشكا إلي بعبرة وتحمحم

فازور من وقع القنا بلبانه

قال ابو علي والذي حسن القراءة به قول جرير

عسفن عن الاداس من مهيل وفي الاضعان عن طلح ازورار

فظاهر استعمال هذا في الاظمان مثل استعماله في الشمس وتزاور على وزن تفاعل وتزوار على وزن تفعال من الازويرار وقوله لملت منهم بالشديد للكثير قال ابو الحسن الخفيفة أجود لا يكادون يقولون ملاً مني رعباً وانما يقولون ملاً تني رعباً قال ابو علي يدل على قول ابي الحسن قول امرئ القيس «فملاً بيتنا اقطاوسمنا» وقول الاعشى «وقدمت بكر ومن اف لفها» وانشدوا في التشبيل قول المخبل السعدي «فملاً من كعب بن عوف سلاسله» ومن قرأ وتقلبهم فإنه نصبه بفعل مضمر دل عليه ما قبله فكأنه قال وترى أو تشاهد تقلبهم

اللغة

القرض القطع يقال قرضت الموضع إذا قطمته وجاوزته قال الكسائي هو المجازاة يقال قرضني فلان يقرضني وجداني يجذوني بمعنى قال ذو الرمة

الى ظعن يقرضن اجواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس

ويستعمل القرض في اشياء غير هذا منه القطع للثوب وغيره ومنه المقرض ومنه القارض ومنه القارض قال ابو الدرداء «ان قارضتهم قارضوك وان تركتهم لم يتركوك» يعني ان طعنت فيهم وعبتهم فعلوا بك مثله وان تركتهم من ذلك لم يتركوك والقراض بلغة الحجاز المضاربة والقرض هو قول الشعر القصيدة منه خاصة دون الرجز ومنه قيل للشعر القريض قال الاعلى العجلي «أرجزا تريد أم قريضا» والفجوة المتسع من الارض وجمعه فجوات وفجاء ممدود وفجوة الدار ساحتها والايقاظ جمع يقظ ويقظان قال الراجز «وجدوا اخوتهم ايقاظا» والرقود جمع راقد وراقدي قد رقادا وراقدا والوصيد من اوصدت الباب اي اغلقته وجمعه وصائد ويقال وصيد واصيد واصدت واصدت مثل ورخت الكتاب وارخته ووكدت الأمر واكدته

الاعراب

وترى الشمس إلى قوله وهم في فجوة منه متملق بالرؤية وقوله إذا طلعت وإذا غربت كلاهما مجزأ بهما في موضع المفعول الثاني والحال والجملة التي هي وهم في فجوة منه في موضع الحال وكههم باسط ذراعيه أعمل اسم الفاعل حيث نصب به ذراعيه وان كان بمعنى الماضي لأنه حكاية حال كما قال هذا من شيعته وهذا من عدوه وهذا يشار به إلى الحاضر ولم يكن المشار اليهما حاضرين حين قص القصة على النبي ﷺ ولكنه على تلك الحال قص القصة. فهو المهتمد كتب في المصحف هنا بغير ياء وفي الاعراب بالياء وحذف الياء جائز في الاسماء خاصة ولا يجوز في الافعال لأن حذف الياء في الفعل دليل الجزم وحذف الياء في الاسماء واقع إذا لم يكن الالف واللام نحو مهتمد فدخلت الالف واللام وترك الحرف على ما كان عليه ودلت الكسرة على الياء المحذوفة قال الزجاج او اطلعت بكسر الواو ويجوز الضم والكسر اجود لأن الواو ساكنة والطاء ساكنة والأصل في التقاء الساكنين الكسر وجاز الضم لأن الضم من جنس الواو ولكنه إذا كان بعد الساكن مضموم فالضم هناك احسن نحو او انقص قرئ بالضم والكسر فرارا منصوب على المصدر لأن المعنى وليت فررت ورعبا منصوب على التمييز يقال امتلأت فرقا وامتلا الاناء ماء

المعنى

ثم بين سبحانه حالهم في الكهف فقال (وترى الشمس) اي لو رأيتها لرأيت (إذا طلعت تراور عن كهفهم ذات اليمين) اي تيل وقت طلوعها عن كهفهم الى جهة اليمين (وإذا غربت تقرضهم) اي تمدل عنهم وتتركهم (ذات الشمال) إلى جهة الشمال شمال الكهف اي لا تدخل كهفهم وقيل تقرضهم اي تجاوزهم منحرفة عنهم عن ابن عباس (وهم في فجوة منه) اي في متسع من الكهف وقيل في فضاء منه عن قتادة وقيل كان متسعا داخل

الكهف بحيث لا يراه من كان ببابه وينالهم نسيم الريح ثم اخبر سبحانه عن لطفه بهم وحفظه اياهم في مضجعتهم واختياره لهم اصلح المواضع لرقادهم فبرأهم مكانا من الكهف مستقبلا بنات النعش تميل الشمس عنهم طالعة وغاربة كيلا يؤذيهم حرها او تغير ألوانهم او تبلي ثيابهم وهم في متسع ينالهم فيه روح الريح وكان باب الغار مقابل القطب الشمالي (ذلك من آيات الله) اي من ادلته وبرهانه (من يهدي الله فهو المهتد) مثل اصحاب الكهف (ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا) مثل قوم اصحاب الكهف (وتحسبهم ايقاظا) أي لو رأيتهم لحسبتهم منتبهين (وهم رقود) اي نائمون في الحقيقة قال الجبائي وجماعة لأنهم مفتحو العيون يتنفسون كأنهم يريدون ان يتكلموا ولا يتكلمون وقيل انهم يتقلبون كما ينقلب اليقظان (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) معناه ان يتقلبهم تارة عن اليمين إلى الشمال وتارة عن الشمال إلى اليمين كما يتقلب النائم لأنهم لو لم يتقلبوا لاكلتهم الارض ولبليت ثيابهم لطول مكثهم على جانب واحد وقيل كانوا يقلبون كل عام تقليبين عن اليمين وقيل كان تقليبهم كل عام مرة عن ابن عباس وقوله (وكلبهم) قال ابن عباس واكثر المفسرين انهم هربوا من ملكهم ليلا فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعه كلبه وقيل انهم مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تحشوا خيانة فانا احب اولياء الله فناموا حتى احرسكم عن كلب وقيل كان ذلك كلب صيدهم وقيل كان ذلك الكلب اصفر اللون عن مقاتل وقيل كان انحر واسمه قطمير عن ابن عباس وفي تفسير الحسن ان ذلك الكلب مكث هناك ثلاثة مائة وتسع سنين بغير طعام ولا شراب ولا نوم ولا قيام (باسط ذراعيه) هو ان يلقىهما على الأرض مبسوطتين كافتراش السبع (بالصيد) اي بغنا الكهف عن ابن عباس وبجاهد وقتادة وقيل بالباب وقيل بباب الفجوة او فناء الفجوة لا باب الكهف لأن الكفار خرجوا إلى باب الكهف في طلبهم ثم انصرفوا ولو رأوا الكلب على باب الغار لدخلوه وكذلك لو كان بالقرب من الباب ولما انصرفوا آسرين عنهم فلأنهم سدوا باب الغار بالحجارة فجاء رجل بماشيته إلى باب الغار وأخرج الحجارة واتخذ لماشيته كذا عند باب الغار وهم كانوا في فجوة من الغار عن الجبائي وقيل الرصيد عتبة الباب عن عطاء (واطلعت عليهم اوليت منهم فرارا) معناه لو اشرفت عليهم ورأيتهم في كهفهم على حالتهم لفررت عنهم واعرضت عنهم هربا لاستيحاشك الموضع (ولمئت منهم رعبا) اي وللمنى قلبك خوفا وفزعا وذلك ان الله منعهم بالرعب لئلا يصل اليهم احد حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم وقيل كانوا في مكان موحش من رآه فزع ولا يتنعم ان الكفار لما أتوا باب الكهف فزعوا من وحشة المكان فسدوا باب الكهف ليهلكوا فيه وجعل سبحانه ذلك لطفًا لئلا ينالهم مكروه من سبع وغيره وليكونوا محروسين من كل سوء وقيل انهم كانت اظفارهم قد طالت وكذلك شعورهم ولذلك يأخذ الرعب منهم وهذا لا يصح لقوله تعالى حكاية عنهم لبثنا يوما او بعض يوم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال غزوت مع معاوية نحو الروم فعروا بالكهف الذي فيه اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقلت له ليس هذا لك فقد منع ذلك من هو خير منك قال الله تعالى لو اطلعت عليهم اوليت منهم فرارا ولمئت منهم رعبا فقال معاوية لا انتهى حتى اعلم علمهم فبعث رجالا فلما دخلوا الكهف ارسل الله عليهم ريحا اخرجتهم

قوله تعالى (١٩) وكذلك بعثناهم لئلا يؤمنوا بآياتنا قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبينا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بوريقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً (٢٠) إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبداً آياتنا

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو عمرو وأبو بكر وحمة وخلف يورقكم ساكنة الراء والباقون بكسر الراء وروي عن أبي عمرو بإدغام الكاف في القاف وفي الشواذ قراءة أبي رجاء يورقكم بكسر الواو والإدغام = (الحجة) =

في يورقكم اربع لغات فتح الواو وكسر الراء وهو الأصل وفتح الواو وسكون الراء وكسر الواو وسكون الراء والإدغام قال ابن جنى هذا عند اصحابنا مخفي غير مدغم لكنه اخفى كسرة القاف فظنوا القراء مدغمة ومعاذ الله لو كانت مدغمة لوجب نقل كسرة القاف إلى الراء كقولهم يرد وبرق ولقراء في هذا عادة ان يعبروا عن المخفي بالمدغم للطف ذلك عليهم

﴿ الاعراب ﴾

لم لبستم تقديره كم يوما لبستم فكم منصوبة بلبستم والمميز محذوف الا ترى ان جوابه لبثنا يوماً او بعض يوم فلينظر ايها اذكى طعاما الجملة التي هي ايها اذكى مفعول فلينظر وطعاما تمييز

﴿ المعنى ﴾

(وكذلك بعثناهم) معناه وكما فعلنا بهم الامور العجيبة وحفظناهم تلك المدة المديدة بعثناهم من تلك الرقدة واحييناهم من تلك النوم التي اشبهت الموت (ليتساءلوا بينهم) اي ليكون بينهم تساؤل وتنازع واختلاف في مدة لبثهم فينبهوا بذلك على معرفة صانهم ويزدادوا يقينا الى يقينهم (قال قائل منهم كم لبستم) في نومكم (قالوا لبثنا يوماً او بعض يوم) قال المفسرون انهم دخلوا الكهف غدوة وبعثهم الله في آخر النهار فلذلك قالوا يوماً فلما رأوا الشمس قالوا او بعض يوم وكان قد بقيت من النهار بقية (قالوا ربكم اعلم بما لبستم) وهذا القائل هو تلميذا رئيسهم عن ابن عباس رد علم ذلك إلى الله تعالى (فابعثوا احداً من يورقكم هذه) والورق الدراهم وكان معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم عن ابن عباس (إلى المدينة) يعني المدينة التي خرجوا منها (فلينظر ايها اذكى طعاما) اي اطهر واحل ذبيحه عن ابن عباس قال لأن عامتهم كانت مجوسا وفيهم قوم مؤمنون يخفون ايمانهم وقيل اطيب طعاما عن الكبي وقيل اكثر طعاما من قولهم زكى المال اذا زاد عن عكرمة وذلك لأن خير الطعام إنما يوجد عند من كثر طعامه وقيل كان من طعام اهل المدينة ما لا يستحله اصحاب الكهف (فليأتكم برزق منه) اي فليأتكم بما ترزقون اكله (وليتلفظ) اي وليدقق النظر وبنجيل حتى لا يطلع عليه وقيل وليتلفظ في الشراء فلا يما كس البائع ولا ينازعه ولا يشعرن بكم احدا) اي لا يخبرن بكم ولا بمكانكم احدا من اهل المدينة (وانهم ان يظهروا عليكم) اي يشرفوا وبطلعوا عليكم ويعلموا بمكانكم (يرجوكم) اي يقتلوكم بالرجم وهو من اخبث القتل عن الحسن وقيل معناه يؤذوكم ويشتموكم يقال رجمه باسائه عن ابن جريج (او يعيدوكم في ملتهم) أي يردوكم إلى دينهم (ولن تفلحوا إذا ابدا) معناه ومتى فعلتم ذلك لن تفوزوا ابدا بشي من الخير ومتى قيل من اكره على الكفر فأظهره فإنه مفلح فكيف تصح الآية فالجواب يجوز أن يكون اراد يعيدوكم إلى دينهم بالاستدعاء دون الاكراه ويجوز أن يكون في ذلك الوقت كان لا يجوز التقية في اظهار الكفر

قوله تعالى (٢١) وكذلك أعتزنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابناؤنا عليهم بنينا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لننخذن عليهم مسجداً (٢٢) سيقولون ثلاثة رآهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم

إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٣) وَلَا تَقُولنَّ لشيءٍ
إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٤) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكَرُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي
لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ٠ أربع آيات عدالمدني الاخير الا قليل آية وترك غدا وعد غير الاخير غدا آية
وترك الا قليل

اللغة

عثر على الشيء بعثر عثرا إذا اطلع عليه واعثرت عليه غيري والعائور حفرة تحفر ليصطاد به الاسد يقال للرجل
إذا تورط وقع في عاثور واصله من العثار والمرء الجدال ما ربت الرجل اماريه مرء

الاعراب

إذ يتنازعون بجوز أن يكون منصوبا بقوله اعثرنا اي اطلعنا عليهم في وقت المنازعة في امرهم وبجوز ان
يكون منصوبا بقوله ليعلموا وإنما دخلت الواو في قوله وثامنهم ولم يدخل في الأولين لأن هاهنا عطف جملة على
جملة وهناك وصف النكرة بجملة فإن التقدير هم سبعة وهم ثلاثة فثلاثة مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف ورابعهم
كلبهم وصف لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم صفة لخمسة وهذا قول علي بن عيسى قال وفرق ما بينهما ان السبعة
اصل للمبالغة في العدد لأن جلائل الامور سبعة سبعة واقول قد وجدت لأبي علي الفارسي في هذا كلاما
طويلا سأخصه لك واهذبه فضل تهذيب قال إن الجملة المنبسة احدهما بالآخرى وهي ان تكون غير اجنبية
منها على ضربين **أحدهما** ان تعطف بحرف العطف والآخر ان توصل بها بغير حرف العطف فما يوصل
بها بما قبلها بغير حرف العطف من الجملة على اربعة اضرب **أحدها** ان تكون صفة **والآخر** ان
تكون حالا **والثالث** ان تكون تفسيرا **والرابع** ان لا تكون على احد هذه الأوجه الثلاثة
لكن يكون في الجملة الثانية ذكر مما في الاولى او من فيها فالأول نحو مررت برجل ابوه قائم وبغلام يقوم
ولا وجه لادخال حرف العطف على هذا لأن الصفة تبين الموصوف وتخصصه فلو عطفت خرجت بالعطف من ان
تكون صفة لان العطف ليس الثاني وهو المعطوف فيه بالأول وإنما يشرك الثاني في اعراب الأول والصفة هو الموصوف
في المعنى **واما** الثاني وهو ان تكون حالا فلا مدخل لحرف العطف عليه ايضا لأن الحال مثل الصفة في
انها تفرق بين هياتين او هيات كما ان الصفة تفرق بين موصوفين او موصوفات وهي مثل المفعول في انها تكون بعد
كلام تام فكما لا يدخل الحرف العاطف بين الصفة والموصوف ولا بين المفعول وما عمل فيه كذلك لا يدخل بين الحال
وذي الحال والجملة الواقعة موقع الحال إما ان تكون من فعل وفاعل أو من مبتدأ وخبر نحو رأيت زيدا بضحك
وجاء زيدا ابوه منطلق قال الشاعر

ولولا جنان الليل ما آب عامر
إلى جعفر سر باله لم يمزق

واما الثالث وهي الجملة التي تكون تفسيرا لما قبلها فنحو قوله وعد الله الذين آمنوا ثم قال لهم مقرة
واجبر عظيم فالمقرة تفسير الوعد الذي وعدوا فأما قوله تعالى هل ادلكم على تجارة تنجيكم ثم قال تؤمنون بالله فتؤمنون
على لفظ الخبر ومعناه الامر بدلالة قوله بغير لكم وحسن ان يكون الأمر على لفظ الخبر لوقوعه كالتفسير لما قبله
من ذكر التجارة وحكم التفسير أن يكون خبرا فلذلك حسن كون الأمر على لفظ الخبر هنا **واما** الرابع
الذي لا يكون اتصاله على الوجوه الثلاثة ويكون في الجملة الثانية ذكر مما في الاولى فإن هذا الوجه يتصل
بما قبله على وجهين **أحدهما** بحرف عطف كما يتبع الأجنبية اباها بحرف عطف وذلك نحو زيدا ابوك

واخوه عمرو فهذه قد نزلت منزلة الأجنبية من الأولى في العطف بالواو ونحو قام زيد وخرج عمرو وزيد قائم وبكر خارج والآخر ان يتبع الثانية الأولى بغير حرف عطف كقوله سبحانه انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ويقول في آية اخرى وكانوا يبصرون بالواو وقوله سيقولون ثلاثة رابعهم كليلهم ويقولون خمسة سادسهم كليلهم ويقولون سبعة وثامنهم كليلهم والدليل على هذا نوع آخر خارج عن الانواع الثلاثة ان قوله وثامنهم كليلهم بعد الجملة المحذوف مبتدأها لا يخلو من ان يكون حالا او صفة او تفسيرا او جملة منقطعة من الاول ولا يجوز ان يكون في موضع الحال لأن ما قبلها من الكلام لا معنى فعل فيه عاملا في الحال والحال لا بد لها من عامل فيها ولا يمكن ان يجعل المبتدأ المضمرة هذا وما اشبهه من اساء الاشارة فينتصب الحال عنها لأن المخبر عنهم هاهنا ليسوا بمشار اليهم في وقت الاخبار وانما المراد الاخبار عن عددهم ولو كانوا بحيث يشار اليهم لم يقع الاختلاف في عددهم ولا يجوز ان يكون تفسيرا لأن التفسير هو المفسر في المعنى ولا يجوز ان يكون شيئا من جزء الجملة التي هي رابعهم كليلهم شيئا من جزء الجملة التي هي م ثلاثة ولا يجوز أيضا ان يكون صفة للنكرة التي قبلها لأنه لا يخلو في الوصف من احد امرين اما ان يعمل اسم فاعل كما يعمل سائر اساء الفاعلين الجارية على افعالها فيرتفع ما بعده به واما ان يجعل جملة في موضع وصف ولا يعمل اسم الفاعل عمل الفعل فيكون مبتدأ وخبرا ولا يجوز الاول لأنه في معنى الماضي والماضي لا يقدر فيه الاقصال وانما يقدر في الحاضر والآتى لأنه كما اعرب من الافعال المضارعة ما كان حاضرا وآتيا كذلك لم يعمل الماضي من اساء الفاعلين ولو لا الماضي لم يمتنع اعمال قوله رابعهم وسادسهم ولا تكون ايضا الجملة صفة لثلاثة كما توصف النكرات بالجل لأن هذه جملة مسانقة وليست على حد الصفة بل على حد ما بعدها من قوله وثامنهم كليلهم فحذفت الواو واستغني عنها اذا كانت انما تذكر لتدل على الاتصال وما في الجملة من ذكر ما في الاولى كأنه يستغني به عن ذكر الواو لأن الحرف يدل على اتصاله وما في الجملة من ذكر ما تقدمها اتصال ايضا فيستغني به ويكتفى بذلك منه وهذا فضل جامع في النحو جليل الموقع كثير الفائدة اذا تأمله المتأمل حق التأمل واحكمه اشرف به على كثير من المسائل إن شاء الله وأما من قال ان هذه الواو واو الثانية واستدل بقوله حتى إذا جاؤوها وفتحت ابوابها لأن للجنة ثمانية ابواب فشي لا يعرفه النحويون

* المعنى *

(وكذلك أعتزنا عليهم) اي وكما اتناهم وبعثناهم اطعنا واعتزنا عليهم اهل المدينة وجملة امرهم وحالهم على ما قاله المفسرون انهم لما هربوا من ملكهم ودخلوا الكهف امر الملك ان يسد عليهم باب الكهف ويدعوهم كما هم في الكهف فيموتوا عطشا وجوعا وليكن كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن انهم ايقاظ ثم ان رجلين مؤمنين كتبنا شأن الفتية واسبابهم واسماءهم وخبرهم في لوح من رصاص وجعلاه في تابوت من نحاس وجعلاه التابوت في البنيان الذي بنوا على باب الكهف وقال لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة ليعلموا خبرهم حين يقرأون هذا الكتاب ثم انقرض اهل ذلك الزمان وخلفت بعدهم قرون وملوك كثيرة وملك اهل تلك البلاد رجل صالح يقال له ندليس وقيل بندوسيس عن محمد بن اسحاق وتجزب الناس في ملكه احزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب فكبر ذلك على الملك الصالح وبكى إلى الله وتضرع وقال اي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بها ان البعث حق وان الساعة حق آية لا ريب فيها فألقى الله في نفس رجل من اهل ذلك البلد الذي فيه الكهف ان يهدم البنيان الذي على فم الكهف فيبني به حظيرة لغنمه ففعل ذلك وبعث الله الفتية من نومهم فأرسلوا احدهم ليطلب لهم طعاما فاطلع الناس على امرهم وبعثوا إلى الملك الصالح يعلمونه الخبر ليعجل القدوم عليهم وينظر إلى آية من آيات الله جعلها

الله في ملكه فلما بلغه الخبر حمد الله وركب معه مدينته حتى أتوا أهل الكهف فذلك قوله وكذلك اعثرنا عليهم (ليعلموا ان وعد الله) بالبعث والثواب والعقاب (حق) وان الساعة لا ريب فيها (أي ان القيامة لا شك فيها فان من قدر على ان ينجم جماعة تلك المدة المديدة أحياء ثم يوقظهم قدر أيضاً على ان يميتهم ثم يحييهم بعد ذلك) (اذ يتنازعون بينهم أمرهم) أي فعلنا ذلك حين تنازعوا في البعث فمنهم من انكره ومنهم من قال يبعث الأرواح دون الأجسام ومنهم من أثبت البعث فيها واطاف الأمر اليهم لتنازعهم فيه كما يقال ما صنعتم في أمركم عن عكرمة وقيل ان معناه اذ يتنازعون في قدر مكثهم في الكهف وفي عددهم وفيما يفعل بهم بعد ان اطلعوا عليهم وذلك انه لما دخل الملك عليهم مع الناس وجعلوا يسألونهم سقطوا ميتين فقال الملك ان هذا الامر عجيب فارتدون فاختلّفوا فقال بعضهم ائبوا عليهم بنيانا كما تئبى المقابر وقال بعضهم اتخذوا مسجداً على باب الكهف وهذا التنازع كان منهم بعد العلم بموتهم عن ابن عباس (فقالوا) اي قال مشركو ذلك الوقت (ابنوا عليهم بنيانا) أي استروهم من الناس بأن تجعلوهم وراء ذلك البنيان كما يقال بنى عليه جداراً إذا حوطه وجعله وراء الجدار (ربهم أعلم بهم) معناه ربهم أعلم بحالهم فيما تنازعوا فيه وقيل انه قال ذلك بعضهم ومعناه ربهم أي خالقهم الذي أنامهم وبعثهم أعلم بحالهم وكيفية أمرهم وقيل معناه ربهم أعلم بهم أحياء نيام هم أم أموات فقد قيل انهم ماتوا وقيل انهم لا يموتون إلى يوم القيامة (قال الذين غلبوا على أمرهم) يعني الملك المؤمن واصحابه وقيل اولياء اصحاب الكهف من المؤمنين وقيل رؤساء البلد الذين استولوا على أمرهم عن الجبائي (لنتخذن عليهم مسجداً) أي معبداً وموضعاً للعبادة والسجود يتعبد الناس فيه ببركاتهم وذل ذلك على ان الغلبة كانت للمؤمنين وقيل مسجداً بصلي فيه اصحاب الكهف إذا استيقظوا عن الحسن وقد روي ايضاً ان اصحاب الكهف لما دخل صاحبهم اليهم واخبرهم بما كانوا عنه غافلين من مدة مقامهم سألو الله تعالى أن يعيدهم إلى حالتهم الأولى فأعادهم اليها وحال بين من قدمه وبين الوصول اليهم بأن أضلهم عن الطريق إلى الكهف الذي كانوا فيه فلم يهتدوا اليه ثم بين سبحانه تنازعهم في عددهم فقال (سيقولون) أي سيقول قوم من المختلفين في عددهم (ثلاثة) اي هم ثلاثة (رابعهم كلبهم ويقولون) أي ويقول آخرون هم (خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب) اي قذفاً بالظن من غير يقين عن قتادة (ويقولون) اي ويقول آخرون هم (سبعة وثمانهم كلبهم) وقيل ان هذا اخبار من الله تعالى بأنه سيقع نزاع في عددهم ثم وقع ذلك لما وفد نصارى نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقالت يعقوبية منهم كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقالت النسطورية كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثمانهم كلبهم (قل) يا محمد (ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل) من الناس عن قتادة وقيل قليل من أهل الكتاب عن عطاء وقال ابن عباس انا من ذلك القليل هم سبعة وثمانهم كلبهم والأظهر ان يكون عرف ذلك من جهة النبي صلى الله عليه وسلم وروى الضحاك عن ابن عباس انه قال قال هم مكسليتنا وتقليخا ومرطولس ونيونوس وسارينونوس ودربونوس وكشوطبونوس وهو الراعي (فلا تمار فيهم) اي فلا تجادل الخائضين في عددهم وشأنهم (إلا مراة ظاهرا) فيه وجوه **أحدها** * ن معناه الا تجادلهم إلا بما اظهرنا لك من أمرهم عن ابن عباس وفتادة ومجاهد أي لا تجادل إلا بحجة ودلالة واخبار من الله سبحانه وهو المراء الظاهر **ثانيها** * ان المراد لا تجادلهم إلا جديلاً ظاهراً وهو ان تقول لهم أثبتتم عدداً وخالفكم غيركم وكلا القولين يحتمل الصدق والكذب فهلماوا بحجة تشهد لكم **ثالثها** * ان المراد إلا مراة بشهده الناس ويحضرونه فلو اخبرتهم في غير ملا من الناس لكذبوا عليك وليسوا على الضعفة فادعوا انهم كانوا يعرفونه لأن ذلك من غوامض علومهم (ولا تستفت فيهم منهم احدا) معناه ولا تستخبر في أهل الكهف وفي مقدار عددهم من أهل الكتاب احدا ولا تستفتهم من جهتهم عن ابن عباس ومجاهد وفتادة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لثلاثا يرجعوا في ذلك إلى مسالة اليهود فإنه كان واثقا بخبر

الله تعالى (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا ان يشاء الله) قد ذكر في معناه وجوه * أحدها * انه نهي من الله تعالى لنبيه ﷺ ان يقول اني فاعل شيئا في الغد إلا ان يقيد ذلك بمشيئة الله تعالى فيقول ان شاء الله قال الاخفش وفيه اضرار القول وتقديره إلا ان تقول ان شاء الله ولما حذف تقول نقل ان شاء الله الى لفظ الاستقبال فيكون هذا تأديبا من الله للعباد وتعليلهم ان يعلقوا ما يخبرون به بهذه اللفظة حتى يخرج عن حد القطع فلا يلزمهم كذب او حنث إذا لم يفعلوا ذلك لمناهم وهذا معنى قول ابن عباس * وثانيها * ان قوله ان يشاء الله بمعنى المصدر وتعلق بما تعلق به على ظاهره وتقديره ولا تقولن اني فاعل شيئا غدا إلا مشية الله عن الفراء وهذا وجه حسن يطابق الظاهر ولا يحتاج فيه الى بناء الكلام على محذوف ومعناه ولا تقل اني فاعل إلا ما يشاء الله ويريده وإذا كان الله تعالى لا يشاء إلا الطاعات فكأنه قال لا تقل اني فاعل إلا الطاعات ولا يطمئن على هذا جواز الاخبار عما يفعل من المباحات التي لا يشاؤها الله تعالى لأن هذا النهي نهي تنزيه لا نهي تحريم بدلالة انه لو لم يقل ذلك لم يأت بلا خلاف * وثالثها * انه نهي عن ان يقول الانسان سأفعل غدا وهو يجوز الاخترام قبل ان يفعل ما اخبر به فلا يوجد مخبره على ما اخبر به فهو كذب ولا يأمن ايضا أن لا يوجد مخبره يحدث شي من فعل الله تعالى نحو المرض والعجز وبأن يبدو له هو في ذلك فلا يسلم خبره من الكذب إلا بالاستثناء الذي ذكره الله تعالى فإذا قال اني صائر غدا الى المسجد ان شاء الله امن من ان يكون خبره هذا كذبا لأن الله تعالى ان شاء ان يلجئه الى المصير الى المسجد غدا حصل المصير اليه منه لا محالة فلا يكون خبره هذا كذبا وان لم يوجد المصير منه الى المسجد لأنه لم يوجد ما استثناء في ذلك من مشيئة الله تعالى عن الجبائي وقد ذكرنا فيما قبل ما جاء في الرواية ان النبي ﷺ سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين فقال اخبركم عنه غدا ولم يستثن فاحتسب الوحي عنه اياما حتى شق عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية بأمره بالاستثناء بمشيئة الله تعالى وقوله (واذكر ربك إذا نسيت) فيه وجهان * أحدهما * انه كلام متصل بما قبله ثم اختلف في ذلك فقيل معناه واذكر ربك إذا نسيت الاستثناء ثم تذكرت فقل ان شاء الله وإن كان بعد يوم او شهر او سنة عن ابن عباس وقد روي ذلك عن أمثنا (ع) ويمكن ان يكون الوجه فيه أنه إذا استثنى بعد النسيان فإنه يحصل له ثواب المستثنى من غير أن يؤثر الاستثناء بعد اتصال الكلام في الكلام وفي ابطال الحنث وسقوط الكفارة في اليمين وهو الأشبه بمبراد ابن عباس في قوله وقيل فاذا ذكر الاستثناء ما لم تقم من المجلس عن الحسن ومجاهد وقيل فاذا ذكر الاستثناء إذا تذكرت ما لم ينقطع الكلام وهو الوجه وقيل معناه واذكر ربك إذا نسيت الاستثناء بأن تقدم على ما قطعت عليه من الخبر عن الأصم * والآخر * انه كلام مستأنف غير متعلق بما قبله ثم اختلف في معناه فقيل معناه واذكر ربك اذا غضبت بالاستغفار ليزول عنك الغضب عن عكرمة وقيل انه امر بالانقطاع الى الله تعالى ومعناه واذكر ربك اذا نسيت شيئا بك اليه حاجة بذكره لك عن الجبائي وقيل المراد به الصلاة والمعنى اذا نسيت صلاة فصلها إذا ذكرت عنها الضحاك والسدي قال السيد الأجل المرتضى قدس الله روحه اعلم ان للاستثناء الداخل على الكلام وجوها مختلفة فقد يدخل في الإيمان والطلاق والعتاق وسائر العقود وما يجري مجراها من الأخبار فإذا دخل في ذلك اقتضى التوقف عن امضاء الكلام والمنع من لزوم ما يلزم به ولذلك يصير ما يتكلم به كأنه لا حكم له ولذلك يصح على هذا الوجه أن يستثنى الانسان في الماضي فيقول قد دخلت الدار ان شاء الله تعالى ليخرج بهذا الاستثناء من ان يكون كلامه خبرا قاطعا او يلزم به حكم وإنما لم يصح دخوله في المعاصي على هذا الوجه لأن فيه اظهار الانقطاع الى الله تعالى والمعاصي لا يصح ذلك فيها وهذا الوجه احد ما يشتمله تأويل الآية وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به اللطف والتسهيل وهذا الوجه يختص بالطاعات وهذا جرى قول القائل لأقضي غدا ما علي من الدين او لأصلين غدا ان شاء الله مجرى ان يقول اني فاعل ان لطف

الله تعالى فيه وسهله ومتى قصد الخالف هذا الوجه لم يجب إذا لم يقع منه الفعل ان يكون حائثاً او كاذباً لأنه
لوذا لم يقع علمنا انه لم يلفظ فيه لأنه لا لطف له وهذا الوجه لا يصح ان يقال في الآية لأنه يختص الطاعات
والآية تتناول كل ما لم يكن قبيحاً بدلالة اجماع المسلمين على حسن استثناء ما تضمنه في كل فعل لم يكن قبيحاً
وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به التسهيل والاقدار والتخلية والبقاء على ما هو عليه من الأحوال وهذا هو
المراد إذا دخل في المباحات وهذا الوجه يمكن في الآية وقد يدخل في الكلام استثناء المشيئة في الكلام وإن لم
يرد به شيء من المتقدم ذكره بل يكون الغرض الاقتران الى الله تعالى من غير أن يقصد به الى شيء من هذه
الوجوه ويكون هذا الاستثناء غير معتد به في كونه كاذباً او صادقاً لأنه في الحكم كأنه قال لأفعلن كذا
إن وصلت إلى مرادي مع انقطاعي إلى الله تعالى واطهاري الحاجة اليه وهذا الوجه ايضا يمكن في الآية ومتى
تؤمل جملة ما ذكرناه من الكلام عرف به الجواب عن المسألة التي لا يزال يسأل عنها من يذهب إلى خلاف العدل
من قولهم لو كان الله تعالى إنما يريد الطاعات من الأفعال دون المعاصي لوجب إذا قال عليه الدين لغيره
وطالبه به والله لأعطينك حقه غدا إن شاء الله ان يكون كاذباً او حائثاً إذا لم يفعل لأن الله تعالى قد شاء
ذلك منه عندكم وان كان لم يقع ولكن يجب أن تلزمه به الكفارة وان لا يؤثر هذا الاستثناء في يمينه ولا
يخرجه من كونه حائثاً كما انه لو قال والله لأعطينك حقه غدا ان قام زيد فقام ولم يعطه يكون حائثاً وفي التزام
الحث خروج من الاجماع انتهى كلامه رضي الله عنه وقوله (وقل عسى ان يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً)
معناه قل عسى ربي أن يعطيني من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون اقرب من الرشد وأدل من قصة
اصحاب الكهف عن الزجاج ثم ان الله سبحانه فعل به ذلك حيث آتاه من علم غيوب اخبار المرسلين وآثارهم
ما هو واضح في الدلالة واقرب إلى الرشد من خبر اصحاب الكهف وقيل ان معناه ادع الله أن يذكرك إذا
نسيت شيئاً وقل ان لم يذكرني الله ذلك الذي نسيت فإنه يذكرني ما هو أنفع لي منه عن الجبائي

قوله تعالى (٢٥) وَلَبِشُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٦) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا لَبِشُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي
حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٧) وَأَنْتَ مَا أَوْحِي إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ
مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ثلاثمائة سنين مضافا والباقون بالتنوين وقرأ ولا تشرك بالثناء مجزوماً ابن عاصم
وروح وزيد عن يعقوب وسهل والباقون ولا بشرك بالرفع والياء
— الحجة —

قال ابو الحسن يكون السنين ثلاثمائة قال ولا يحسن اضافة المائة إلى السنين لانكاد العرب تقول مائة سنين
قال وهو جائز في ذا المعنى وقد يقوله بعض العرب قال ابو علي ومما يدل على صحة قول من قال ثلاثمائة سنين ان
هذا الضرب من العدد الذي يضاف في اللغة المشهورة إلى الاحاد نحو ثلاثمائة رجل واربعمائة ثوب قد جاء مضافا
الى الجمع في قول الشاعر

فما زودوني غير سحق عمامة وخمس مي منها قيسي وزايف
وذلك ان قوله مي لا يخلو من ان يكون في الأصل كأنه فعلة فجمع على فعل مثل سدرة وسدر أو

يكون فعلة فجمع على فعول مثل بدره وبدور ومائة وموئن قال «عظيما الكلاكل والموئن» والأولى جملة على فعول وانه خفف كما يخفف في القوافي كقوله «كنهور كان من اعقاب السمي» ثم كسر فاؤه كما يكسر في نحو حلى وقال غيره ان العرب قد تضع الجمع هنا موضع الواحد لأن الأصل أن تكون الاضافة الى الجمع قال الشاعر

ثلاثاين قد مضين كواملا وها أنا ذا قد أبتغي مر أربع

فجاء به على الأصل ومن نون ثلاثايم ففي نصب ستين قولان * احدهما * ان يكون ستين بدلا من ثلاثايم او عطف بيان * والآخر * ان يكون تمييزا كما تقول عندي عشرة ابطال زيتا قال الريم بن ضبيع الفزاري

إذا عاش الفتى مائتين عاما فقد ذهب اللذاذة والفتاء

قال الزجاج ويجوز أن يكون ستين من نعت المائة فيكون مجرورا وهو راجع في المعنى إلى ثلاث كما قال عنتره فيها اثنتان واربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الأسحم

فجعل سودا نعتا لحلوبة وهو في المعنى نعت لجملة العدد قال ابو علي لا يمتنع أن يكون الشاعر جعل حلوبة جمعا وجعل سودا وصفا لها وإذا كان المراد به الجمع فلا يمتنع أن يقع تفسيرها لهذا الضرب من العدد من حيث كان على لفظ الأحاد كما يقال عشرون قرآ وثلاثون قبيلة ومن قرأ ولا تشرك بالثناء فإنه على النهي عن الاثراك والقراءة الأخرى أشيع وأولى لتقدم اسماء الغيبة وهو قوله ما لهم من دونه من ولي والمعنى ولا يشرك الله في حكمه أحدا

* المعنى *

ثم اخبر سبحانه عن مقدار مدة لبثهم فقال (وليثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين) معناه واقام اصحاب الكهف من يوم دخلوا الكهف إلى أن بعثهم الله واطلع عليهم الخلق ثلاثايم سنة (وازدادوا تسعا) أي تسع سنين إلا انه استغنى بما تقدم عن اعادة ذكر تفسير التسع كما يقال عندي مائة درهم وخمسة (قل الله اعلم بما لبثوا) معناه ان حاجك يا محمد أهل الكتاب في ذلك فقل الله اعلم بما لبثوا وذلك ان أهل نجران قالوا اما الثلاثايم فقد عرفناها واما التسع فلا علم لنا بها وقيل ان معناه الله اعلم بما لبثوا إلى أن ماتوا وحكي عن قتادة انه قال قوله وليثوا في كهفهم الآية حكاية عن قول اليهود وقوى ذلك بقوله قل الله اعلم بما لبثوا فذكر انه سبحانه العالم بمقدار لبثهم دون غيره وقد ضعف هذا الوجه بأن اخبار الله لا ينبغي صرفها إلى الحكاية إلا بدليل قاطع ولو كان الأمر على ما قاله لم تكن مدة لبثهم مذكورة ومن المعلوم ان الله سبحانه أراد بالآية الاستدلال على عجيبة قدرته وباهر آيته وذلك لا يتم إلا بعد معرفة مدة لبثهم فالمراد بقوله قل الله اعلم بما لبثوا بعد بيان مدة لبثهم ابطال قول أهل الكتاب واختلافهم في مدة لبثهم فتقديره قل يا محمد الله اعلم بمدة لبثهم وقد اخبر بها فخذوا بما اخبر الله تعالى ودعوا قول أهل الكتاب فهو اعلم بذلك منهم (له غيب السماوات والارض) والغيب أن يكون الشيء بحيث لا يقع عليه الادراك أي لا يغيب عن الله سبحانه شيء لأنه لا يكون بحيث لا يدركه فيعلم ما غاب في السماوات والارض عن إدراك العباد (أبصر به وأسمع) هذا لفظ التعجب ومعناه ما أبصره وأسمعه أي ما أبصر الله تعالى لكل مبصر وما أسمع لكل مسموع فلا يخفى عليه من ذلك وإنما أخرجه مخرج التعجب على وجه التعظيم ورويه ان يهوديا سأل علي بن ابي طالب (ع) عن مدة لبثهم فأخبر بما في القرآن فقال انا نجد في كتابنا ثلاثايم فقال (ع) ذلك بسني الشمس وهذا بسني القمر وقوله (ما لهم من دونه من ولي) أي ليس لأهل السموات

والأرض من دون الله من ناصر يتولى نصرتهم (ولا يشرك) الله (في حكمه أحداً) فلا يجوز ان يحكم حاكم بغير ما حكم الله تعالى به وقيل معناه انه لا يشرك الله في حكمه بما يخبر به من الغيب أحداً وعلى القراءة الأخرى معناه ولا تشرك أنت أيها الإنسان في حكمه أحداً ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك) أي واقرأ عليهم ما أوحى الله اليك من أخبار أصحاب الكهف وغيرهم فإن الحق فيه وقيل معناه اتبع القرآن واعمل به (لا تبدل لكلماته) أي لا مغير لما أخبر الله به فيه وما أمر به وعلى هذا فيكون التقدير لا تبدل لحكم كلماته (ولن تجد من دونه ملتحداً) معناه ان لم تتبع القرآن فلن تجد من دون الله ملجأ عن مجاهد وقيل حرزا عن ابن عباس وقيل موثلاً عن قتادة وقيل معدلاً ومحيصاً عن الزجاج وإبي مسلم والأقوال متقاربة في المعنى يقال لحد إلى كذا أو التحد إذا مال إليه

قوله تعالى (٢٨) وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تَطَّعَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٩) وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِشُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِشْسِ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَقَفًا آيتان

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر وحده بالغدوة والباقون بالغدوة وفي الشواذ قراءة الحسن ولا تعد عينيك وقراءة عمرو بن فائد من اغفلنا قلبه

✽ الحجة ✽

قال أبو علي أما غدوة فهو اسم موضوع للتعريف وإذا كان كذلك فلا ينبغي أن تدخل عليه الألف واللام كما لا تدخل على سائر الأعلام وإن كانت قد كتبت في المصحف بالواو ولم يدل على ذلك كما انهم كتبوا الصلوة بالواو وهي الف وحجة من ادخل اللام المعرفة عليها انه قد يجوز وان كانت معرفة ان تنكر كما حكاه أبو زيد من انهم يقولون لقيته فينة والفينة بعد القينة فينة مثل غدوة في التعريف بدلالة امتناع الانصراف وقد دخلت عليه لام التعريف وذلك ان يقدر من أمة كلها له مثل هذا الاسم فيدخل التنكير لذلك ويقوي هذا تشبيه الأعلام وجمعها وقوله «لا هيثم الليلة للمطي» وقولهم أما النضرة فلا نضرة لك فاجرى مجرى ما يكون شائعا في الجنس وكذلك الغدوة واما قوله ولا تعد عينيك فإنه منقول من عدت عينك إذا جاوزتاه وهو من قولهم جاء القوم عدا زيدا أي جاوز بعضهم زيدا ثم نقل إلى اعديت عيني عن كذا أي صرفتها عنه قال الشاعر

حتى لحقنا بهم تعدي فوارسنا كأننا رعن قف ترفع الألا

أي تعدي فوارسنا خيلهم عن كذا فحذف المفعول بعد المفعول او تعديها من عدا الفرس أي جرى وعلى ان أصلها واحد لأن الفرس إذا عدا فقد جاوز مكانا إلى غيره واما من قرأ من اغفلنا قلبه فمعناه ولا تطع من ظننا غافلين عنه وهو من قولهم اغفلت الرجل أي وجدته غافلا قال الاعشى

أثوى وقصر ليله ليزودا ومضى واخلف من قتيلة موعدا

أي صادقة مخلفا

* اللغة *

الفرط التجاوز للحق والخروج عنه من قولهم افراطا إذا اسرف والسرادق الفسطاط المحيط بما فيه ويقال السرادق ثوب يدار حول الفسطاط قال رؤبة

يا حكم بن المنذر بن الجارود سرادق المجد عليك ممدود

والمهل خثارة الزيت وقيل هو النحاس الذائب والمرتفق المتكأ من المرتفق يقال ارتفق إذا تكأ على مرفقه قال ابو ذؤيب

بات الخلي وبت الليل مرتفقا كأن عيني فيها الصاب مذبوح

ويقال إنه مأخوذ من الرفق والمنفعة

نزلت الآية الأولى في سلمان وابي ذر وصهيب وعمار وحباب وغيرهم من فقراء اصحاب النبي ﷺ وذلك ان المؤلفه قلوبهم جاؤا إلى رسول الله ﷺ عيينة بن الحصين والاقرع بن حابس وذوهم فقالوا يا رسول الله ان جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء روائح صنائهم وكانت عليهم جبات الصوف جلسنا نحن اليك وأخذنا عنك فلا يمتنعنا من الدخول عليك الا هؤلاء فلما نزلت الآية قام النبي ﷺ بلبسهم فأصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله عز وجل فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني ان اصبر نفسي مع رجال من أمي معكم المحيا ومعكم الممات

* المعنى *

ثم أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بالصبر مع المؤمنين فقال (واصبر نفسك) يا محمد اي احبس نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اي يداومون على الصلاة والسدعاء عند الصباح والمساء لا شغل لهم غيره ويستفتحون يومهم بالدعاء ويختتمونه بالدعاء (يريدون وجهه) اي رضوانه وقيل يريدون تعظيمه والقربة اليه دون الرياء والسعة (ولا تعد عينك عنهم) اي ولا تتجاوز عينك عنهم بالنظر إلى غيرهم من ابناء الدنيا (تريد زينة الحياة الدنيا) تريد في موضع الحال اي يريد اجمالاً أهل الشرف والغنى وكان النبي ﷺ حريصاً على إيمان العظماء من المشركين طمعا في إيمان اتباعهم ولم يمل إلى الدنيا وزينتها قط ولا إلى أهلها وإنما كان يلين في بعض الأحيان للروساء طمعا في ايمانهم فعوتب بهذه الآية وأمر بالاقبال على فقراء المؤمنين وأن لا يرفع بصره عنهم يريد اجمالاً مجالسة الاشراف (ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا) قيل في معناه أقوال **احدها** ان معناه ولا تطع من جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا بتعريضه للغفلة ولهذا قال واتبع هواه ومثله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم **وثانيها** اغفلنا قلبه اي نسبنا قلبه إلى الغفلة كما يقال اكفره إذا نسبته إلى الكفر وسماه كافراً كقول الكميت

وطائفة قد اكفروني بحبكم وطائفة قالوا مسيء ومذنب

وثالثها اغفلنا قلبه صادفناه غافلاً عن ذكرنا كما قالت العرب سألتكم فما اقمناكم وقاتلناكم فما أجبتناكم **ورابعها** اغفلنا قلبه اي جعلناه غفلاً لم نسبه بسمة قلوب المؤمنين ولم نعلم فيه علامة المؤمنين لتعرفه الملائكة بذلك السمة تقول العرب اغفل فلان ماشيته اذا لم يسمها بسمة تعرف **وخامسها** ان معناه ولا تطع من تركنا قلبه خذلناه وخلينا بينه وبين الشيطان بتركه امرنا عن الحسن (واتبع هواه) اي لا تطع من اتبع هواه في شهوته وافعاله (وكان امره فرطاً) اي سرفاً وافرطاً عن مقاتل والجبائي وقيل تجاوز اللحد عن الاخفش وقيل ضياعاً وهلاكاً عن مجاهد والسدي قال الزجاج ومن قدم العجز في أمره اضاعه واهلكه فيكون المعنى في هذا انه ترك الايمان والاستدلال بآيات الله واتبع الهوى ثم قال سبحانه (وقل) يا محمد لهؤلاء الذين امروك

بتنحية الفقراء (الحق من ربكم) اي هذا الحق من ربكم يعني القرآن وقيل معناه الذي اتيتكم به الحق عن الزجاج من ربكم يعني لم آتكم به من قبل نفسي وإنما آتيتكم به من قبل الله وقيل معناه أظهرت الحججة ووضح الحق من ربكم وزالت الشبهة (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا وعيد من الله سبحانه وانذار ولذلك عقبه بقوله (انا اعتدنا) وانما جاز التهديد بلفظ الأمر لأن المهديد كالمأمور بإهانة نفسه ومعناه فليختر كل لنفسه ما شاء فإنهم لا ينفعون الله تعالى بإيمانهم ولا يضرونه بكفرهم وإنما يرجع النفع والضرر اليهم (انا اعتدنا) اي هيأنا واعددنا (للظالمين) اي الكافرين الذين ظلموا انفسهم بعبادة غير الله تعالى (نارا احاط بهم سرادقها) والسرادق حائط من نار يحيط بهم عن ابن عباس وقيل هو دخان النار ولهبا يصل اليهم قبل وصولهم اليها وهو الذي في قوله الى ظل ذي ثلاث شعب عن قتادة وقيل اراد ان النار احاطت بهم من جميع جوانبهم فشبه ذلك في السرdaq عن ابي مسلم (وان يستغيثوا) من شدة العطش وحر النار (بغاثوابماء كالمهل) وهو كل شيء اذيب كالرصاص والنحاس والصفير عن ابن مسعود وقيل كعكر الزيت اذا قرب اليه سقطت فروة راسه روى ذلك مرفوعا وقيل كدردي الزيت عن ابن عباس وقيل هو القبح والدم عن مجاهد وقيل هو الذي انتهى حره عن سعيد ابن جبير وقيل انه ماء اسود وان جهنم سوداء وماؤها اسود وشجرها اسود واهلها سود عن الضحاك (يشوي الوجوه) اي ينضجها عند دنوه منها ويحرقها وانما جعل سبحانه ذلك اغاثة لا فترانه بذكر الاغاثة (بش الشراب) ذلك المهل (وساءت) النار (مرتقفا) اي متكثرا لهم قيل ساءت مجتمعها مأخوذ من المرافقة وهي الاجتماع عن مجاهد وقيل منزلا ومستقرا عن ابن عباس وعطا

قوله تعالى (٣٠) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا**
 (٣١) **أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحْمَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَارٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكِيمِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعِيمٌ أَلْوَابٌ وَحَسَنَةٌ مَرْتَقِفًا آيَاتَانِ**
 * اللغة *

العدن الإقامة يقال عدن بالمكان يعدن عدنا والاسوار جمع اسوار على حذف الزيادة لأن الاصل اساور
 عن قطرب وايي عبيدة وقيل جمع اسورة واسورة جمع سوار عن الزجاج وهو سوار اليد بالكسر وقد حكى
 سوار بالضم والسندس ما رق من الديباج واحده سندسة والاستبرق الغليظ من الديباج وقيل هو الحرير قال
 قال المرقش

تراهن يلبسن المشاعر مرة واستبرق الديباج طوراً لباسها
 والأرائك جمع أربكة وهي السرير قال
 حدود جفت في السير حتى كأنما يباشرن بالمعزاء مس الأرائك
 قال الزجاج الأرائك الفرش في الحجال قال الأعشى
 بين الرواق وجانب من سيرها منها وبين أربكة الأنصار

* الإعراب *

قيل في خبران الذين آمنوا أقوال * احدها * انه قوله انا لا نضيع اجر من احسن عملا وعلى هذا فيكون
 في الخبر محذوفا كأنه لا نضيع اجر من احسن عملا منهم * والثاني * ان يكون الخبر أولئك لهم جنات عدن
 ويكون انا لا نضيع الخ اعتراضاً بين الاسم والخبر * والثالث * ان المعنى انا لا نضيع اجرهم لأن من

احسن عملاً في المعنى هم الذين آمنوا

= « المعنى » =

لما تقدم الوعيد عقبه سبحانه بذكر الوعد فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) من الطاعات (انا لانضيق اجر من احسن عملاً) اي لاترك اعمالهم تذهب ضياعاً بل نجازيهم ونوفيهم اجرهم من غير بخس (اولئك لهم جنات عدن) اي اقامتهم لا أنهم يبقون فيها بقاء الله دائماً ابداً وقيل عدن بطنان الجنة اي وسطها وهي جنة من الجنان عن ابن مسعود وعلى هذا فإنما جمع لسعتها ولأن كل ناحية منها تصلح ان تكون جنة (تجري من تحتهم الأنهار) لأنهم على غرف في الجنة كما قال وهم في الغرفات آمنون وقيل ان انهار الجنة تجري في أخاديد من الأرض فلذلك قال تجري من تحتهم الأنهار (يحلون فيها من اساور من ذهب) اي يجعل لهم فيها حللي من اساور وقيل انه يحلى كل واحد بثلاثة اساور سوار من فضة وسوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وياقوت عن سعيد بن جبير (ولبسوا ثيابا خضرا من سندس واستبرق) اي من الديباج الرقيق والغليظ وقيل ان الاستبرق فارسي معرب اصله استبره قيل هو الديباج المنسوج بالذهب (متكئين فيها على الأرائك) اي متنعمين في تلك الجنات على السرر في الحجال وانما قال متكئين لأن الاتكاء يفيد انهم متنعمون في الأمن والراحة فإن الإنسان لا يتكئ الا في حال الأمن والسلامة (نعم الثواب) اي طاب ثوابهم وعظم عن ابن عباس (وحسنت) الأرائك (مرتقفا) اي موضع ارتفاق وقيل منزلاً ومجلساً ومجتمعاً

قوله تعالى (٣٢) وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا (٣٣) كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْهُ كَلِمَاتُهَا وَلَمْ تُظَلِّمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَافَهُمَا نَهْرًا (٣٤) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٥) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٦) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا . خمس آيات

(القراءة) =

قرأ أبو جعفر وعاصم ويعقوب وسهل وكان له ثمر واحيط بشمره في الموضعين بالفتح ووافق رويس في الاول وقرأ أبو عمرو وبضم التاء وسكون الميم في الموضعين والباقون بضم التاء والميم في الحرفين وقرأ اهل الحجاز وابن عامر خيرا منهما بزيادة ميم وكذلك هو في مصاحفهم وقرأ اهل العراق منها بغير ميم

✽ الحجة ✽

قال ابو علي الثمرة ما يجتني من ذبى الثمر وجمعها ثمرات ويجمع على ثمر كبقرة وبقر وعلى ثمار كقرقة ورقاب وعلى هذا تشبيه المخلوقات بغير المخلوقات وقد يشبه كل واحد منهما بالآخر ويجوز في القياس ان يكسر ثمار على ثمر ككتاب وكتب وقراءة ابي عمرو وكان له ثمر يجوز ان يكون جمع ثمار كما يخفف كتب ويجوز ان يكون ثمر جمع ثمرة كبدنة وبدن وخشبة وخشب ويجوز ان يكون ثمر واحدة كعنق وطنب فعلى اي هذه الوجوه كانت جاز اسكان العين منه كذلك في قوله واحيط بشمره وقال بعض اهل اللغة الثمر المال والثمر المأكول وجاء في التفسير قريب من هذا قالوا الثمر النخل والشجر ولم يرد به الثمرة والثمر على ما روي عن عدة من السلف بل الأصول التي تحمل الثمرة لا قس الثمر بدلالة قوله فأصبح بقلب كفيه على ما افق فيها اي في الجنة والنفقة إنما تكون على ذوات الثمرة في اغلب العرف وكانت الآفة التي ارسلت اليها اصطلمت

الاصول واجتاحتها كما جاء في صفة الجنة الاخرى فاصبحت كالصريم اي كالليل في سوادها لاحتراقها و كالنهار في بياضها وما بطل من خضرتها بالآفة النازلة بها وحكي عن ابي عمرو الثمر والتمر انواع المال فإذا اصطم الثمر فاجتيج دخات الثمرة فيه ولا يمكن ان يصاب الأصل ولا تصاب الثمرة وإذا كان كذلك فمن قرأ بشمره وثمره كان قوله ابين ممن قرأ بالفتح ويجوز القراءة بالفتح كأنه اخبر عن بعض ما اصاب وامسك عن بعض وقوله خيراً منها منقلباً فالافراد لا نه اقرب إلى الجنة المفردة في قوله ودخل جنته والتثنية لتقدم ذكر الجنة

اللغة

حف القوم بالشيء إذا اطافوا به وحفافا الشيء جانباه كأنهما اطافا به قال طرفه
 كأن جناحي مضرحي تكسفا
 حفافيه شكاً في العسب بمسرد
 والمحاورة مراجعة الكلام في المخاطبة ويقال كمت فلانا فمارجع إلى حوار ومحورة وحوار

الإعراب

إنما قال اتت على لفظ كلتا فإنه بمنزلة كل في انه مفرد اللفظ ولو قال اتتا على المعنى لجاز قال الشاعر في التوحيد
 وكتاها قد خط لي في صحيفتي
 فلا العيش اهواه ولا الموت اروح

المعنى

ثم ضرب الله لعباده مثلاً يستفيئهم به إلى طاعته ويزجرهم عن معصيته وكفران نعمته فقال مخاطباً لنبيه
 (واضرب لهم مثلاً رجلين) روي عن ابن عباس انه قال يريد ابي ملك كان في بني اسرائيل توفي وترك
 ابنين وترك مالا جزبلاً فأخذ احدهما حقه منه وهو المؤمن منهما فتقرب إلى الله تعالى واخذ الآخر حقه فتملك به
 ضياعاً منها هاتان الجنة وفي تفسير علي بن ابراهيم بن هاشم انه يريد رجلاً كان له بستانان كبيران كثيرا
 الثمار كما حكى سبحانه وكان له جار فقير فافتخر الغني على الفقير وقال له انا اكثر منك مالا واعز نفراً وهذا البق
 بالظاهر (جعلنا لأحدهما جنتين) اي بستانين اجنهما الاشجار (من اعناب وحفناهما بنخل) اي جعلنا النخل
 مطيفا بهما (وجعلنا بينهما زرعاً) اي وجعلنا بين البستانين مزرعة فكملت النعمة بالعنب والتمر والزرع (كلتا
 الجنة آتاكها) اي كل واحدة من البستانين آتت غلتها وأخرجت ثمرتها وسماه اكلاً لأنه ما كول (ولم
 تظلم منه شيئاً) أي لم تنقص منه شيئاً بل ادته على التمام والكمال كما قال الشاعر

بظلمني مالي كذا ولوى يدي
 لوى يده الله الذي هو غالبه

اي ينقصني مالي (وفجرنا خلالهما نهراً) اي شققنا وسط الجنة نهراً يسقيهما حتى يكون الماء قريباً منهما
 يصل اليهما من غير كد وتعب ويكون ثمرهما وزرعهما بدوام الماء فيهما او في وأروى (وكان له ثمر) قيل
 ان معناه وكان للنخل الذي فيهما ثمر وقيل معناه وكان للرجل ثمر ملكه من غير جنتيه كما يملك الناس ثماراً
 لا يملكون اصلها عن ابن عباس وقيل كان لهذا الرجل مع هذين البستانين الذهب والفضة عن مجاهد وقيل كان
 له معهما جميع الاموال عن قتادة وابن عباس في رواية اخرى (فقال لصاحبه وهو يحاوره) اي فقال الكافر
 لصاحبه المؤمن وهو يخاطبه ويراجعه في الكلام (انا اكثر منك مالا واعز نفراً) اي اعز عشيرة ورهطاً وسمى
 العشيرة نفراً لأنهم ينفرون معه في حوائجه وقيل معناه اعز خدماً وولداً عن قتادة ومقاتل (ودخل جنته وهو ظالم
 لنفسه) اي ودخل الكافر بستانه وهو ظالم لنفسه بكفره وعصيانه (قال ما أظن ان تبيد هذه ابداً) اي ما اقدر ان
 تفنى هذه الجنة وهذه الثمار ابداً وقيل يريد ما اظن هذه الدنيا تفنى ابداً (وما اظن الساعة قائمة) اي وما احسب
 القيامة آتية كائنة على ما يقوله الموحدون (ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً) معناه ولئن كانت القيامة

والبعث حقاً كما يقوله الموحدون لأجدن خيراً من هذه الجنة قال الزجاج وهذا يدل على ان صاحبه المؤمن قد اعلمه ان الساعة تقوم وانه يبعث فأجابته بأن قال له ولئن رددت إلى ربي أي كما اعطاني هذه في الدنيا سيعطيني في الآخرة افضل منها لكرامتي عليه ظن الجاهل انه اوتي ما اوتي لكرامته على الله تعالى وقيل معناه لا كسبن في الآخرة خيراً من هذه التي اكتسبتها في الدنيا ومن قرأ منهما رد الكناية إلى الجنة اللتين تقدم ذكرهما وفي هذا دلالة على انه لم يكن قاطعاً على بقي المعاد بل كان شاكاً فيه

قوله تعالى (٣٧) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا (٣٨) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٩) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرِينِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٤٠) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُوثِّقَ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤١) أَوْ يُصْبِحَ مَاءً وَهِيَ غُورًا فَلَنْ نَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤٢) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأُصْبِحَ بِقَلْبٍ كَفِيهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٣) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٤) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ثماني آيات

القراءة

قرأ ابن عامر وابن فليح والبرجمي ويعقوب لكننا بآيات الالف في الوصل والوقف وقرأ الباقون لكن بحذف الألف في الوصل وقرأ البخاري لورش بالوجهين بالوصل ولا خلاف في آيات الالف في الوقف إلا قتيبة فإنه قرأ بغير الف في الوصل والوقف وفي الشواذ قراءة أبي بن كعب والحسن لكن انا وقراءة عيسى الثقفي لكن هو الله ربي وقرأ البرجمي عن أبي بكر غورا بضم العين هاهنا وفي الملك وقرأ ولم يكن له فية بالياء اهل الكوفة غير عاصم والباقون ولم تكن بالتاء وقرأ ابو عمرو والولاية بفتح الواو والله الحق بالرفع وقرأ الكسائي والولاية بكسر الواو والحق بالرفع وقرأ حمزة وخلف الولاية بكسر الواو والحق بالجر وقرأ الباقون والولاية بفتح الواو والحق بالجر

الحجة

وقرأ عاصم وحمزة وخلف عقبا ساكنة القاف والباقون بضم القاف قال الزجاج من قرأ لكننا بتشديد النون فهو لكن انا في الأصل فطرحت المهمزة على النون فتحركت بالفتح فصارت لكنن بنونين مفتوحين فاجتمع الحرفان من جنس واحد فأدغمت النون الاولى في الثانية وحذفت الألف في الوصل لأن الف انا تثبت في الوقف وتحذف في الأصل في اجود اللغات نحو ان قمت بغير الألف ويجوز انا قمت بإثبات الالف وهو ضعيف جدا ومن قرأ لكننا فآثبت الألف في الوصل فإنه على لغة من قال انا قمت فآثبت الألف قال الشاعر

انا شبيخ العشيرة فاعرفوني حميداً قد تدرت السنما

إلا ان اثبات الألف في لكننا هو الجيد لأن المهمزة قد حذفت من انا فصار اثبات الألف عوضاً من المهمزة قال ابو علي لا ارى قوله ان اثبات الألف هو الجيد لأنه صار عوضاً من المهمزة كما قال لأن هذه

الألف تلحق للوقف مثل الهاء في ماهيه وحسايه والهاء في مثل هذا الطرف مثل الف الوصل في ذلك الطرف فكان اثبات همزة الوصل في الوصل خطأ كذلك الهاء والألف في الوصل خطأ فلا يلزم ان يثبت عوض من الهمزة المحذوفة ألا ترى ان الهمزة في ويلمه قد حذفت حذفاً على غير ما بوجهه قياس التخفيف ولا يعوض منها فأن لا يعوض منها في التخفيف القياسي اجدر لأن الهمزة هنا في تقدير الثبات ولو لا ذلك لم يحرك حرف اللين في نحو جيل في جبال ومونة في مؤنة قال وقد تجي هذه الألف مثبتة في الشعر نحو قول الأعشى

فكيف انا وانتحالي القوافي بعد المشيب كفى ذاك عارا

وقول الآخر انا شيخ العشيرة البيت ولا يكون ذلك مختاراً في القراءة ومن قرأ لكننا في الوصل فإنه يحتمل امرين أحدهما ان يجعل الضمير المتصل مثل المنفصل الذي هو نحن فيدغم النون من لكن لسكونها في النون من علامة الضمير فيكون على هذا لكننا باثبات الألف وصلًا ووقفًا لا غير الا ترى ان احدا لا يحذف الألف من نحو فعلنا وقوله هو من هو الله ربي ضمير الحديث والقصة كما انه في قوله فإذا هي شاحصة وقوله قل هو الله احد كذلك والتقدير الامر الله احد لأن هذا الضمير يدخل على المبتدأ والخبر فيصير المبتدأ والخبر موضع خبره كما انه في ان وكان وظنفت وما يدخل على المبتدأ والخبر كذلك وعاد الضمير على الضمير الذي دخلت عليه لكن على المعنى ولو عاد على اللفظ لكان لكننا هو الله ربنا ودخلت لكن مخففة على الضمير كما دخلت في قوله انا معكم والوجه الآخر ان سيبويه حكى انه سمع من يقول اعطني ايضاً فشدد والحق الهاء بالتشديد للوقف والهاء مثل الألف في سبساء والياء في عيلى واجرى الهاء مجرهما في الاطلاق كما كانت مثلهما في نحو قوله

صفية قومي ولا تجزعي وبكى النساء على حمزة

فهذا الذي حكاه سيبويه في الكلام وليس في شعر وكذلك الآية يكون الألف فيها كالماء ولا يكون الهاء للوقف الا ترى ان الهاء للوقف لا يبين بها العرب ولا ما ضارع العرب فعلى أحد هذين الوجهين يكون قول من اثبت الألف في الوصل او عليها جميعاً ولو كانت فاصلة لكأن مثل فأضلونا السبيلا (واما) قراءة ابي لكن انا في الاصل في قراءة الجماعة لكن على ما تقدم بيانه لأن الف انا محذوف في الوصل قال الشاعر

وثرمينني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن اياك لا اقلي

أي لكن انا وانا مرفوع بالابتداء وخبره الجملة المركبة من المبتدأ والخبر التي هي هو الله ربي والعاثد على المبتدأ من الجملة الياء في ربي ومن قرأ لكن هو الله ربي فاعرابه واضح واما من قرأ غورا فيمكن أن يكون غورا لغة في غور وإنما جاز أن يقع المصدر موقع الصفة للمبالغة كما قال الشاعر

تظل جياده نوحاً عليه مقلدة أعنتها صفونا

واما قوله ولم يكن له فية بالياء فإن الياء والتاء هنا حسن واما قوله هنالك الولاية لله الحق فقد حكى ابو عبيدة عن ابي عمرو ان الولاية هنا لحن لأن الكسر في فعالة يجي فيما كان صنعة ومعنى متقلداً كالكتابة والامارة والخلافة وما اشبه ذلك وليس هنا معنى تولى اسماً إنما هو الولاية من الدين وكذلك التي في الأتقال ما لكم من ولايتهم من شيء وقال بعض أهل اللغة الولاية النصر يقال هم أهل ولاية عليك أي متناصرون عليك والولاية ولاية السلطان قال وقد يجوز الفتح في هذه والكسر في تلك كما قالوا الوكالة والوكالة والوصاية بمعنى واحد فعلى هذا يجوز الكسر في الولاية في هذا الموضع ومن كسر القاف من الحق فجعله من وصف الله تعالى وصفه بالحق وهو مصدر كما وصفه بالعدل والسلام والمعنى ذو الحق وذو السلام وكذلك الإله معنى ذو العبادة وبدل عليه قوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين ومن رفع الحق جعله صفة للولاية ومعنى وصف الولاية

بالحق انه لا يشوبها غيره ولا يخاف فيها ما يخاف في سائر الولايات من غير الحق واما قوله عقبا فإن ما كان على فعل جاز تخفيفه على ما تقدم ذكره

✽ اللغة ✽

أصل الحساب السهام التي ترمى لتجري في طلق واحد وكان ذلك من رمي الأساورة وأصل الباب الحساب وإنما يقال لما يرمي به حساب لأنه بكثرة كثرة الحساب قال الزجاج الصعيد الطريق الذي لا نبات فيه والزلق الأرض المساء المستوية لا نبات فيها ولا شيء وأصل الزلق ما تزلق عنه الأقدام فلا يثبت عليه

✽ الإعراب ✽

ما شاء الله يحتمل أن يكون ما رفعاً وتقديره الأمر ما شاء الله فيكون موصولاً والضمير العائد إليه يكون محذوفاً لطول الكلام ويجوز أن يكون التقدير ما شاء الله كائن ويحتمل أن يكون ما في موضع نصب على معنى الشرط والجزاء ويكون الجواب محذوفاً وتقديره أي شيء شاء الله كان ومثله في حذف الجواب قوله فإن استطعت أن تتبغني فقفاً في الأرض أن ترن أنا أقل منسوب بأنه مفعول ثانٍ لترن وأنا إن شئت كان تو كيدا أو وصفاً ليا المتكلم وإن شئت كان فصلاً كما تقول كنت أنت القائم يا هذا قاله الزجاج ويجوز رفع أقل وقد قرأ بها عيسى بن عمر فيكون أنا مبتدأ وأقل خبره والجملة في موضع نصب بأن يكون المفعول الثاني لترني وقوله فعسى الجواب قوله أن ترني وثواباً وعقبا منصوبان على التمييز

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه جواب المؤمن للكافر فقال (قال له صاحبه وهو يحاوره) أي بخاطبه وبجيبه مكفره له بما قاله (أ كفرت بالذي خلقك من تراب) يعني أصل الخلقة أي خلق أبالك من تراب وهو آدم (ع) وقيل لما كانت النطفة خلقها الله سبحانه بمجرد العادة من الغذاء والغذاء ينبت من تراب جاز أن يقول خلقك من تراب (ثم من نطفة ثم سواك رجلاً) أي ثقلك من حال إلى حال حتى جعلك بشراً سوياً معتدلاً للخلقة والقامة وإنما كفروه بل إنكاره المعاد وفي هذا دلالة على أن الشك في البعث والنشور كفر (لكننا هو الله ربّي) تقديره لكن أنا أقول هو الله ربّي وخالقي ورازقي فإن افتخرت عليّ بدنياك فإن افتخاري بالتحديد (ولا أشرك ربّي أحداً) أي لا أشرك بعبادتي إياه أحداً سواه بل أوجهها إليه وحده خالصاً وإنما استحال الشرك في العبادة لأنها لا تستحق إلا بأصول النعم وبالنعمة التي لا يوازنها نعمة منعم وذلك لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى ثم قال (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) معناه وقال لصاحبه الكافر هلا حين دخلت بستانك، فرأيت تلك الثمار والزرع شكرت الله تعالى وقلت ما شاء الله كان وإني وإن تعبت في جمعه وعمارته فليس ذلك إلا بقدرته الله وتيسيره ولو شاء لخال بيني وبين ذلك ولزرع البركة عنه فإنه لا يقوى أحد على ما في يديه من النعمة إلا بالله ولا يكون له إلا ما شاء الله ثم رجع إلى نفسه فقال (إن ترن أنا أقل منك مالا وولداً فعسى ربّي أن يوتقن خيراً من جنتك) معناه إن كنت تراني اليوم فقيراً أقل منك مالا وعشيرة وأولاداً فلعل الله أن يوتقني بستاناً خيراً من بستانك في الآخرة أو في الدنيا والآخرة (ويرسل عليها حساباتاً من السماء) أي ويرسل على جنتك عذاباً أو ناراً من السماء فيحرقها عن ابن عباس وقتادة وقيل يرسل عليها عذاب حسابان وذلك الحساب حساب ما كسبت يدك من الزجاج وقيل ويرسل عليها مرامي من عذابه أما برداً وأما حجارة أو غيرها مما يشاء من أنواع العذاب (فتصبح صعيداً زاقاً) أي أرضاً مستوية لا نبات عليها تزاق عنها القدم فتصير أرضاً من بعد أن كانت أنفع أرض (أو يصبح ماؤها غوراً) أي غائراً ذاهباً في باطن غامض منقطعاً فيكون أديم أرضاً للماء بعد أن كانت أوجد أرضاً للماء (فلن تستطيع له طلباً) أي فلن تقدر على طلبه إذا غار ولا يبقى له أثر تطلبه به فلن تستطيع ردهً قيل

معناه فلن تستطيع طلب غير ذلك الماء بدلا عنه إلى هنا انتهى مناظرة صاحبه وانذاره ثم قال سبحانه (وأحيط بشمره) معناه اهلك وأحيط العذاب بأشجاره ونخله فهلكت عن آخرها تقول أحيط ببني فلان إذا هلكوا عن آخرهم وأصل الاحاطة ادارة الحائط على الشيء وفي الخبر ان الله عز وجل أرسل عليها نارا فأهلكها وغار ماؤها (فأصبح) هذا الكافر (يقاب كفيه) تأسفا وتحسرا (على ما أنفق فيها) من المال وهو أن يضرب يديه واحدة على الأخرى عن ابن عباس وتقليب الكفين يفعله الندام كثيرا فصار عبارة عن الندم (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة على سقفها وما عرش لكرومها وذلك ان السقف ينهدم اولاً ثم ينهدم الحائط على السقف وقيل ان العروش الأبنية ومعناه خالية على بيوتها قد ذهب شجرها وبقيت جدرانها لا خير فيها (ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا) ندم على الكفر لفناء ماله لا لوجوب الايمان فلم ينفعه ولو ندم على الكفر فأمن بالله تحقيقا لانفع به وقيل انه ندم على ما كان منه من الشرك بالله تعالى وآمن (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله) أي لم يكن لهذا الكافر جماعة يدفعون عذاب الله عنه وقيل الفئة الجند قال العجاج « كما يجوز الفئة الكمي » (وما كان منتصرا) أي وما كان يمتنع عن قتادة قيل معناه وما كان مستردا بدل ما ذهب عنه قال ابن عباس وهذا الرجلان هما اللذان ذكرهما الله تعالى في سورة الصافات في قوله اني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين إلى قوله فاطلم فرآه في سواء الجحيم وروى هشام بن سالم وابان بن عثمان عن الصادق (ع) قال عجبت لمن خاف كيف لا يفزع إلى قوله سبحانه حسبنا الله ونعم الوكيل فإني سمعت الله يقول بعقبها فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء وعجبت لمن أقتم كيف لا يفزع إلى قوله لا إله إلا أنت سبحانه إني كنت من الظالمين فأني سمعت الله سبحانه يقول بعقبها فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وعجبت لمن مكر به كيف لا يفزع إلى قوله وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد فأني سمعت الله عز وجل يقول بعقبها فوقاه الله سيئات ما مكروا وعجبت لمن أراد الدنيا وزينتها كيف لا يفزع إلى قوله ما شاء الله لا قوة إلا بالله فأني سمعت الله يقول بعقبها فمسي ربي أن يوتين خيرا من جنتك وعسى وموجة وقوله (هنالك الولاية لله الحق) اخبر سبحانه ان في ذلك الموضع وفي ذلك الوقت الذي يتنازع فيه الكافر والمؤمن بالنعرة والاعزاز لله عز وجل فهو الذي يتولى أمر عباده المؤمنين ويمالك النعرة لمن أراد وقيل هنالك اشارة إلى يوم القيامة وتقديره الولاية يوم القيامة لله يريد يومئذ يتولون الله ويؤمنون به ويتبرون مما كانوا يعبدون عن القيسي وقيل معناه هنالك ينصر المؤمنين ويخذل الكافرين فالولاية يومئذ خالصة له لا يملكها احد من العباد (هو خير ثوابا) أي هو افضل ثوابا ممن يرجي ثوابا على تقدير ان كان يشيب غيره لكان هو خير ثوابا (وخير عقبا) أي عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير عقب طاعة ثم حذف المضاف اليه والعقب والعقبى والعاقبة يعني

قوله تعالى (٤٥) وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٦) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا (٤٧) وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا نَاهُمْ فَلَمَّ نَغَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٨) وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٩) وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مِنْ مَشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا خمس آيات

﴿ القراءه ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويوم تسير بضم التاء وفتح الياء الجبال رفع والباقون نسير بالنون وكسر الياء والجبال نصب

-(الحجة)-

قال ابو علي حجة من بني الفعل للمفعول به قوله وسيرت الجبال وقوله وإذا الجبال سيرت ومن قرأ نسير فلأنه اشبه بما بعده من قوله وحشرناهم فلم تقادر منهم احدا
= اللغة =

المشيم ما يكسر ويحطم من يبس النبات والذر والتذرية تطيير الريح الاشياء الخفيفة في كل جهة يقال ذرته الريح تذروه وذرتة وأذرتة وأذريت الرجل عن الدابة إذا القيته عنها قال الشاعر

فقلت له صوت ولا تجهذهه فيذكر من أخرى القطة فيزلق

والمغادرة الترك ومنه الغدر لأنه ترك للوفاء ومنه الغدير ترك الماء فيه والاشفاق الخوف من وقوع مكروه مع تجويز أن لا يقع وأصله الرقة ومنه الشفق الحمراء الرقيقة التي تكون في السماء وشفقة الانسان على ولدته وقته عليه

﴿ الاعراب ﴾

صفا نصب على الحال أي مصفرين . ان ان نجعل ان هذه مخففة من الثقيلة وان نجعل لكم موعدا خبره وقرال قد كتبت في المصحف اللام مفصولة ولا وجه له . لا ينادر في موضع نصب على الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يضرب المثل للدنيا تزهدا فيها وترغيبا في الآخرة فقال (واضرب)
يا محمد (لهم مثل الحياة الدنيا كما اتزلنا من السماء فاختلط به نبات الأرض) اي نبت بذلك الماء نبات الترف
بعضه ببعض يروق حسنا وغضاضة وهذا مفسر في سورة يونس (ع) (فأصبح هشيا) اي كسيرا مقتتا (تذروه
الرياح) فتقله من موضع إلى موضع فاقطاب الدنيا كانه انقلاب هذا النبات (وكان الله على كل شيء مقتدرا)
اي قادرا لا يجوز عليه المنع قال الحسن اي كان الله مقتدرا على كل شيء قبل كونه قال الزجاج وتأويله ان
ما شاهدتم من قدرته ليس بجادث وانه كذلك كان لم يزل هذا مذهب سيويوه وقيل انه اخبار عن الماضي ودلالة
على المستقبل وهذا المثل إنما هو للمتكبرين الذين اعترضوا بأموالهم واستنكفوا عن مجالسة فقراء المؤمنين اخبرهم
الله سبحانه أن ما كان من الدنيا لا يراد الله سبحانه به فهو كالنبت الحسن على المطر لا مادة له فهو يروق ماخاطبه
ذلك الماء فإذا انقطع عنه عاد هشيا لا ينتفع به ثم قال (المال والنون زينة الحياة الدنيا) اي يتفاخر بهما ويتزين
بهما في الدنيا ولا ينتفع بهما في الآخرة وإنما ساهما زينة لأن في المال جمالا وفي البنين قوة ودفعا فصارا زينة الحياة
الدنيا وكلاهما لا يبقى للانسان فينتفع به في الآخرة (والباقيات الصالحات) وهي الطاعات لله تعالى وجميع
الحسنات لأن ثوابها يبقى ابدان عن ابن عباس وقتادة (خير عند ربك ثوابا وخير املا) أي افضل ثوابا واصدق
املا من المال والبنين وسائر زهرات الدنيا فإن من الامال كواذب وهذا امل لا يكذب لان من عمل الطاعة
وجد ما يأمله عليها من الثواب وقيل ان الباقيات الصالحات هي ما كمن يأتي به سلمان وصهيب وفقراء المسلمين
وهو سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر عن ابن عباس في رواية عطا ومجاهد وعكرمة وروى انس
ابن مالك عن النبي ﷺ انه قال جلسائه خذوا جنتكم قالوا احذر عدو قال خذوا جنتكم من النار قولوا
سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر فإلهم المقدمات وهن المجيبات وهن المعقبات وهن الباقيات
الصالحات ورواه اصحابنا عن ابي عبد الله (ع) عن آباءه عن النبي ﷺ ثم قال والذكر الله اكبر قال ذكر الله

حجوة النون

المان من لهم من الله

عند ما احل او حرم وروي عن النبي ﷺ انه قال ان عجزتم عن الليل ان تكابدوه وعن العدو ان تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فانهم من الباقيات الصالحات فقولوا وقيل هي الصلوات الخمس عن ابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق والنخعي وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) وروي عنه ايضا أن من الباقيات الصالحات القيام بالليل لصلاة الليل وقيل ان الباقيات الصالحات هن البنات الصالحات والاولى حملها على العموم فيدخل فيها جميع الطاعات والحجرات وفي كتاب ابن عقدة أن ابا عبد الله (ع) قال للحصين بن عبد الرحمن يا حصين لا تستصغر مردتنا فانها من الباقيات الصالحات قال يا ابن رسول الله ما استصغرها ولكن احمد الله عليها وإنما سميت الطاعات صالحات لأنها اصلح الأعمال للمكلف من حيث امر بها ووعد الثواب عليها وتوعد بالعقاب على تركها (يوم نسير الجبال) قيل انه يتعلق بما قبله وتقديره والباقيات الصالحات خير ثواب في هذا اليوم وقيل انه ابتداء كلام وتقديره واذا كر يوم نسير الجبال يعني يوم القيامة وتسير الجبال قلعها عن اماكنها فان الله سبحانه يقلعها ويجعلها هباء منثورا وقيل نسيرها على وجه الأرض كما نسير السحاب في السماء ثم يجعلها كشيء مهيلا كما قال يوم ترجف الأرض والجبال الآية ثم يصيرها كالمهن المنفوش ثم يصيرها هباء منبثا في الهواء كما قال وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا ثم يصيرها بمنزلة السراب كما قال وسيرت الجبال فكانت سرابا (وترى الأرض بارزة) اي ظاهرة ليس عليها شيء من جبل او بناء او شجر يسترها عن عيون الناظرين وقيل ان معناه وترى باطن الأرض ظاهرا قد برز من كان في بطنها فصاروا على ظهرها عن عطا وتقديره وترى ما في الأرض بارزا فهو مثل قول النبي ﷺ ترمي الأرض بأفلاذ كبدها (وحشرناهم) اي وبعثناهم من قبورهم وجمعناهم في الموقف (فلم نغادر منهم احدا) اي فلم نترك منهم احدا إلا حشرناه (وعرضوا على ربك) يعني المحشورين يعرضون على الله تعالى يوم القيامة (صفا) اي مصوفين كل زمرة وامة صفا وقيل يعرضون صفا بعد صف كالصوف في الصلاة وقيل يعرضون صفا واحدا لا يوجب بعضهم بعضا ويقال لهم (اقد جنتمونا كما خلقناكم اول مرة) معناه اقد جنتمونا ضعفاء فقراء عاجزين في الموضع الذي لا يملك فيه الحكم غيرنا كما كنتم في ابتداء الخلق لا تملكون شيئا وقيل معناه ليس معكم شيء مما اكتسبتموه في الدنيا من الأموال والأولاد والخدم تنتفعون به كما كنتم في اول الخلق وروي عن النبي ﷺ انه قال يحشر الناس من قبورهم يوم القيامة حفاة عراة غلا فقات عائشة يارسول الله اما يستحي بعضهم من بعض فقال ﷺ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه (بل زعمتم اننا نجعل لكم موعدا) اي ويقال لهم ايضا بل زعمتم في دار الدنيا أن الله لم يجعل لكم موعدا للبعث والجزاء والحساب يوم القيامة (ووضع الكتاب) اي ووضع الكتاب فلو ان الكتاب اسم جنس والمعنى ووضعت صحائف بني آدم في ايديهم وقيل معناه ووضع الحساب فعبء عن الحساب بالكتاب لأنهم يحاسبون على أعمالهم المكتوبة عن الكلابي (فترى المجرمين مشفقين مما فيه) اي خائفين مما فيه من الأعمال السيئة (ويقراون يا ويلتنا) هذه لفظة يقولها الانسان إذا وقع في شدة فيدعو على نفسه بالويل والشبور (ما لهذا الكتاب) أي اي شيء لهذا الكتاب (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها) اي لا يترك صغيرة من الذنوب ولا كبيرة إلا عدّها واثبتها وحواسها وقد مر تفسير الصغيرة والكبيرة في سررة النساء وانث الصغيرة والكبيرة بمعنى الفعلة والخصلة (ووجدوا ما عملوا حاضرا) اي مكتوبا في الكتاب مثبتا وقيل معناه وجدوا جزاء ما عملوا حاضرا فجعل وجود الجزاء كوجود الأعمال توسعا (ولا يظلم ربك احدا) معناه ولا ينقص ربك ثواب محسن ولا يزيد في عقاب مسي وفي هذا دلالة على انه سبحانه لا يعاقب الأطفال لأنه إذا كان لا يزيد في عقوبة المذنب فكيف يعاقب من ليس بمذنب

قوله تعالى (٥٠) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ

بالطاعة من دوني وهم جميعا أعداء لكم والعاقلة حقيق بأن يتهم عدوه على نفسه وهذا استفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ قال مجاهد ذريته الشياطين وقال الحسن الجن من ذريته (بش للظالمين بدلا) تقديره بش البدل للظالمين بدلا ومعناه بش ما استبدلوا بعبادة ربهم إذ اطاعوا إبليس عن الحسن وقيل بش البدل طاعة الشيطان عن طاعة الرحمن عن قتادة (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) أي ما أحضرت إبليس وذريته خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم مستعينا بهم على ذلك ولا استعنت ببعضهم على خلق بعض وهذا أخبار عن كمال قدرته واستغناؤه عن الأنصار والأعوان ويدل عليه قوله (وما كنت متخذ المضامين عضدا) أي الشياطين الذين يضاور الناس إعرانا يعضدونني عليه وكثيرا ما يستعمل العضد بمعنى العون وإنما وحده هنا لوفاق الفواصل وقيل أن معنى الآية إنكم أتبعتم الشيطان كما يتبع من يكون عنده علم لا ينال إلا من جهته وأنا ما أطلعهم على خلق السموات والأرض ولا على خلق أنفسهم ولم انظرهم العلم بأنه كيف تخلق الأشياء فمن أين تتبعونهم وقيل معناه ما أحضرت مشركي العرب وهؤلاء الكفار خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم أي وما أحضرت بعضهم خلق بعض بل لم يكونوا موجودين فخلقهم فمن أين قالوا إن الملائكة بنات الله ومن أين ادعوا ذلك (ويوم يقول) يريد يوم القيامة يقول الله للمشركين وعبدة الأصنام (نادوا شركائي الذين زعمتم) في الدنيا أنهم شركائي ليدفعوا عنكم العذاب (فدعوهم) يعني المشركين يدعون أولئك الشركاء الذين عبدوهم مع الله (فلم يستجيبوا لهم) أي فلا يستجيبون لهم ولا ينفعونهم شيئا (وجعلنا بينهم) أي بين المؤمنين والكافرين (موبقا) وهو اسم واد عميق فرق الله به سبحانه بين أهل الهدى وأهل الضلالة عن مجاهد وقاتدة وقيل بين المعبودين وعبدتهم موبقا أي حاجزا عن ابن الأعرابي أي فأدخلنا من كانوا يزعمون أنهم معبودهم مثل الملائكة والمسيح الجنة وأدخلنا الكفار النار وقيل معناه جعلنا تواصلهم في الدنيا موبقا أي مهلكا لهم في الآخرة عن الفراء وروي ذلك عن قتادة وابن عباس فالذين على هذا القول معناه التواصل والمعنى أن تواصلهم وتوادهم في الكفر صار سبب هلاكهم في الآخرة وقيل موبقا عدوة عن الحسن فكانه قال عدوة مهلكة وروي عن انس ابن مالك أنه قال الموبق واد في جهنم من قيح ودم

النظم

وجه اتصال قوله ما أشهدتهم خلق السموات والأرض بما قبله أنه يتصل اتصال الحجة التي تكشف حيرة الشبهة لأنه بمنزلة أن يقال إنكم قد قبلتم على اتباع إبليس وذريته وتركنتم أمر الله تعالى مع كثرة الحجج ولو أشهدتم خلق السموات والأرض لم تزيدوا على ما فعلتم من اتباعهم وقيل أنه سبحانه بين بذلك أنه المتفرد بالخلق والاختراع لا شريك له فيه فلا ينبغي أن تشركوا معه في العبادة غيره أو تدعوا غيره إلهًا

قوله تعالى (٥٣) ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يحيدوا عنها مصرفاً
 (٥٤) ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شياً جدلاً
 (٥٥) وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين
 أو يأتيهم العذاب قبلاً (٥٦) وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين
 كفروا بآياتنا ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا أربع آيات

القراءة

قرأ أهل الكوفة قبل بعضهم والباقون قبل

صحبنا منهم

✽ الحجة ✽

قد ذكرنا الوجه في سورة الأنعام

✽ اللغة ✽

المواقعة ملابسة الشيء بشدة ومنه وقائع الحروب وواقع به ايقاعا والتوقع الترقب لوقوع الشيء والمصرف المعدل قال ابو كثير

ازهير هل عن شبيبة من مصرف ام لا خلود لبازل متكلف

والتصريف تنقيح المعنى في الجهات المختلفة والادحاض الاذهاب بالشيء إلى الهلاك ومكان دحض اي مزلق منزل لا يثبت عليه خف ولا حافر ولا قدم قال «وحاد كما حاد البعير عن الدحض»

— (الاعراب) —

أن يؤمنوا في موضع نصب والمعنى ما منع الناس من الايمان إلا طلب أن يأتيهم فيكون ان يأتيهم في موضع رفع وما اتذروا في موضع نصب عطفا على آياتي وهزوا هو المفعول الثاني لا تتخذوا

— (المعنى) —

ثم بين سبحانه حال المجرمين فقال (ورأى المجرمون النار) يعني المشركين رأوا النار وهي تتلظى حنقا عليهم عن ابن عباس وقيل هو عام في اصحاب الكبائر (فظنوا انهم مواتعوا) اي علموا انهم داخلون فيها واقعون في عذابها (ولم يجدوا عنها مصرفا) اي معدلا وموضعا ينصرفون اليه ليتخلصوا منها (ولقد صرفنا) اي بينا (في هذا القرآن للناس من كل مثل) وتصريفها تردديها من نوع واحد وانواع مختلفة ليتفكروا فيها وقد مر تفسيره في بني اسرائيل (وكان الانسان اكثر شيا جدلا) يريد بالانسان النضر بن الحارث عن ابن عباس ويريد ابي بن خلف عن الكلبي وقال الزجاج معناه وكان الكافر يدل عليه قوله ويجادل الذين كفروا بالباطل (وما منع الناس ان يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم) معناه ما منهم من الايمان بعد مجيء الدلالة ومن ان يستغفروا ربهم على ما سبق من معاصيهم (إلا ان تأتيهم سنة الاوئين) اي الا طلب ان تأتيهم العادة في الاوئين من عذاب الاستئصال حيث آتاهم العذاب من حيث لا يشعرون حين امتنعوا من قبول الهدى والايمان (او يأتيهم العذاب قبلا) او طلب ان يأتيهم العذاب عيانا مقابلة من حيث يرونه وتأويله انهم بامتناعهم من الايمان بمنزلة من يطلب هذا حتى يؤمنوا كرها لأنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم وهذا كما يقول القائل لغيره ما منعك ان تقبل قولي إلا ان تضرب على ان المشركين قد طلبوا مثل ذلك فقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ومن قرأ قبلا فهو في معنى الأول ويجوز أن يكون ايضا جمع قبيل وهو الجماعة أي يأتيهم العذاب ضروبا من كل جهة ثم بين سبحانه انه قد ازاح العلة وظهر الحجة وأوضح المحجة فقال (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) اي لم نرسل الرسل إلى الخلق إلا مبشرين اهم بالجنة إذا أطاعوا او محذرين لهم بالنار إذا عصوا (ويجادل الذين كفروا بالباطل) اي وينظر الكفار دفعا عن مذاهبهم بالباطل (ليدحضوا به الحق) اي ليزيلوا الحق عن قراره قال ابن عباس يريد المستهزئين والمقتسمين واتباعهم وجداهم بالباطل انهم الزموا أن يأتي بالآيات على احوالهم على ما كانوا يفترونه ليطلوا به ما جاء به محمد ﷺ يقال ادحضت حجته أي ابطلتها (واتخذوا آياتي) يعني القرآن (وما اتذروا) اي ما تحوفوا به من البعث والنار (هزوا) مهزوا به استهزؤوا به

قوله تعالى (٥٧) وَمِنْ أَظْلَمٍ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ

يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن ندعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا (٥٨) وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثقا (٥٩) وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا ثلاث آيات

القراءة

قرأ حفص عن عاصم لمهلكهم بفتح الميم وكسر اللام وكذلك في النمل وما شهدنا مهلك وقرأ أحاد ويحيى عن أبي بكر بفتح الميم واللام وقرأ الأعشى والبرجمي عنه هاهنا بالضم وهناك بالفتح وقرأ الباقر لمهلكهم ومهلك بضم الميم وفتح اللام

اللمحة

من قرأ لمهلكهم فإن المهلك يجوز أن يكون مصدرا ويجوز أن يكون وقتا فيكون معناه لاهلاكهم أو لوقت اهلاكهم ومن قرأ لمهلكهم فالمراد لوقت هلاكهم ومن قرأ بفتح الميم واللام فهو مصدر مثل الهلاك وقد حكى ابن قتيبا يقول هلكتني زيد وعلى هذا حمل بعضهم قوله «ومعه هالك من تعرجا» فقال هو بمعنى مهلك فيكون هالك مضافا إلى المفعول به وإذا لم يكن بمعنى مهلك يكون هالك مضافا إلى الفاعل مثل حسن الوجه وكذلك قوله لمهلكهم على قراءة حفص أو لمهلكهم بفتح اللام والميم فإنه مصدر فعلى قول من عدى هلكت يكون مضافا إلى المفعول به وعلى قول من لم يعده يكون مضافا إلى الفاعل

الإعراب

تلك القرى تلك رفع بالابتداء والقرى صفة لها مبينة لها وأهلكناهم في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ ويجوز أن يكون موضع تلك القرى نصبا بفعل مضر يكون أهلكناهم مفسرا لذلك الفعل وتقديره وأهلكنا تلك القرى أهلكناهم

المعنى

ثم قال سبحانه (ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها) معناه ليس احد اظلم لنفسه من ذكر اي وعظ بالقرآن وآياته ونبه على ادلة التوحيد فأعرض عنها جانبا (ونسي ما قدمت يداه) اي نسي المعاصي التي استحق بها العقاب وقيل معناه تذكر واشتغل عنه استخفافا به وقلة معرفة بعاقبته لانه نسي ذلك ثم قال سبحانه (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) وهي جمع كنان^{اعلم} (ان يفقهوه) اي كراهة ان يفقهوه او لئلا يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) اي قولا وقد تقدم بيان هذا فيما مضى وجعلته انه على التمثيل كما قال في موضع آخر (وإذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا) والمعنى كأن على قلوبهم أكنة ان يفقهه (وفي آذانهم وقرا ان يسمع) وان تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا) اخبر سبحانه انهم لا يؤمنون أبدا وقد خرج مضربا موافقا خبره فأتوا على كفرهم (وربك الغفور ذو الرحمة) معناه وربك الساتر على عباده الغافر لذنوب المؤمنين ذر النعمة والافضل على خلقه وقيل الغفور التائب ذو الرحمة للمصر بأن يهمل ولا يعجل بالعذاب (في الدنيا) بل لهم موعد) وهو يوم القيامة والبعث (ان يجدوا من دونه موثقا) اي ملجأ عن ابن عباس وقتادة وقيل محرزا عن مجاهد وقيل منجبا ينجيهم عن ابي عبيد قال يقال لا واثت نفسه اي لا نجت قال الاعشى

وقد اخالس رب البيت غفلته وقد يحاذر مني ثم لا يرسل
وقال الآخر

لا وألت نفسك خليتها للعامرين ولم تكلم

(وتلك القرى) إشارة إلى قرى عاد وثمود وغيرهم (اهلكناهم لما ظلموا) بتكذيب انبياء الله ووجود آياته (وجعلنا لهم ملكهم) أي وجعلنا وقت إهلاكهم أول وقت هلاكهم (موردا) معلوما يهلكون فيه لمصلحة اقتضت تأخيرها إليه وإنما قال سبحانه تلك القرى ثم قال اهلكناهم ولم يقل اهلكناها لأن القرية هي المسكن نحو المدينة والبلدة وهي لا تستحق الهلاك وإنما يستحق الهلاك أهلها ولذلك قال لما ظلموا يعني أهل القرية الذين اهلكناهم

قوله تعالى (٦٠) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦١) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيًا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦٢) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءًا نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٣) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٤) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ حفص وما أنسانيه بضم الهاء وفي الفتح بما عاهد عليه الله بضم الهاء والباقون بكسر الهاء من غير بلوغ الياء إلا ابن كثير فإنه يثبت الياء في الوصل وقد تقدم القول في وجه ذلك

﴿ اللفظة ﴾

لا أبرح أي لا أزال ولو كان معناه لا أزول كان محالاً لأنه إذا لم يزل من مكانه لم يقطع أرضاً قال الشاعر

وأبرح ما أدام الله قومي رخي البال منتطقاً مجيداً

أي لا أزال والحمب الدهر والزمان وجمعه أحقاب قال الزجاج والحمب ثمانون سنة والسرب المسلك والمذهب ومعناه في اللغة المحفور في الأرض لا نفاذ له ويقال للذهب في الأرض سارب قال الشاعر

أني سربت وكنت غير سرور وتقرب الأحلام غير قريب

والنصب والرصب والتعب نظائر وهو الروعن الذي يكون على الكد

﴿ الاعراب ﴾

سرباً منصوب على وجهين أحدهما أن يكون مفعولاً ثانياً لاتخذ كما يقال اتخذت طريقتي مكان كذا واتخذت طريقتي في الرب والآخر أن يكون مصدرًا يدل عليه اتخذ سبيله في البحر فكانه قال فسرب الحوت سرباً وقوله إن اذكره في موضع نصب بدل من الهاء في أنسانيه والمعنى وما أنساني إن اذكره إلا الشيطان وعجبا منصوب على وجهين ﴿ أحدهما ﴾ أن يكون على قول يوشع اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا والآخر أن يكون قال يوشع واتخذ سبيله في البحر فأجابه موسى (ع) فقال عجبا فكأنه قال اعجب عجبا وقصصاً مصدر وضع موضع الحال تقديره يقصان الأثر قصصاً والقصص اتباع الأثر وقال أحد المحققين عجبا في موضع حال تقديره قال ذلك متعجبا وقصصاً مصدر لفعل مضمر يدل عليه قوله فارتدا على آثارهما فإن معناه فاقتصا الأثر

* النزول *

ذكر علي بن ابراهيم في تفسيره قال لما اخبر رسول الله ﷺ قريشا بخبر اصحاب الكهف قالوا اخبرنا عن العالم الذي امر الله موسى (ع) ان يتبعه من هو كيف تبعه وما قصته فانزل الله تعالى

* المعنى *

(وإذ قال موسى لفتاه) اكثر المفسرين على انه موسى بن عمران وفتاه يوشع بن نون وسماه فتاه لانه صحبه ولازمه سفرا وحضرا للتعلم منه وقيل لانه كان يخدمه ولهذا قال له اتنا غداً نا وهو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب وقال محمد بن اسحاق بقول اهل الكتاب ان موسى الذي طلب الخضر هو موسى ابن ميثا بن يوسف وكان نبياً في بني اسرائيل قبل موسى بن عمران إلا ان الذي عليه الجمهور انه موسى بن عمران ولان اطلاقه يوجب صرفه إلى موسى بن عمران كما ان اطلاق محمد ﷺ ينصرف إلى نبينا ﷺ قال علي بن ابراهيم حدثني محمد بن علي بن بلال قال اختلف يونس وهشام بن ابراهيم في العالم الذي اتاه موسى أيها كان اعلم وهل يجوز أن يكون على موسى حجة في وقته وهو حجة الله على خلقه فكتبوا إلى ابي الحسن الرضا (ع) يسألونه عن ذلك فكتب في الجواب اتى موسى العالم فأصابه في جزيرة من جزائر البحر فسلم عليه موسى فانكر السلام إذ كان بأرض ليس بها سلام قال من انت قال انا موسى بن عمران قال انت موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليماً قال نعم قال فما حاجتك قال جئت لتعلمني بما علمت رشداً قال أي وكنت بأمر لا تطيقه ووكلت بأمر لا اطيقه الخبر بطوله (لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين) معناه لا ازال امضي وامشي ولا اسلك طريقاً آخر حتى ابلغ ملتقى البحرين ببحر فارس وبحر الروم وبما يلي المغرب ببحر الروم وبما يلي المشرق ببحر فارس عن قتادة وقال محمد بن كعب هو طنجة وروي عنه افریقیه وكان وعد ان يلقي عنده الخضر (أو أمضي حقبا) اي دهرًا عن ابن عباس وقيل سبعين سنة عن مجاهد وقيل ثمانين سنة عن عبد الله بن عمر (فلما بلغا مجمع بينهما) اي فلما بلغ موضع الذي يجتمع فيه رأس البحرين (نسيا حوتهما) اي تركاه وقيل انه ضل الحوت عنهما حين اتخذ سبيله في البحر سرباً فسمى ضلاله عنهما نسياناً منهما له وقيل انه من النسيان والناسي له كان احدهما وهو يوشع فأضيف النسيان اليهما كما يقال نسي القوم زادم إذا نسيه متعمداً منهم وقيل ان النسيان وجد منهما جميعاً فإن يوشع نسي أن يحمل الحوت او ان يذكر موسى ما قد رأى من امره ونسي موسى أن يأمره فيه بشي فصار كل واحد منهما ناسياً لغيره مانسيه الآخر وقوله (فاتخذ سبيله في البحر سرباً) اي فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلماً يذهب فيه وذلك ان موسى وفتاه تزودا حوتاً مملوحاً عن ابن عباس وقيل حوتاً طرياً عن الحسن ثم انطلقا بمشيان على شاطئ البحر حتى انتهيا إلى صخرة على ساحل البحر فاوبا اليها وعنده عين ماء تسمى عين الحياة فجلس يوشع بن نون وتوضأ من تلك العين فانتضح على الحوت شيء من ذلك الماء فعاش ووثب في الماء وجعل يضرب يذنبه الماء فكان لا يسلك طريقاً في البحر إلا صار ماء جامداً فذلك معنى قوله فاتخذ سبيله في البحر سرباً (فلما جاوزا) ذلك المكان قال موسى (لفتاه آتنا غداً نا) قيل انهما انطلقا بقية يومهما وليتبعهما فلما كان من الغد قال موسى ليوشع آتنا غداً نا اي اعطنا ما نتغدى به والغداء طعام الغداة والعشاء طعام العشي والانسان إلى الغداء اشد حاجة منه إلى العشاء (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) اي تعبنا وشدة قالوا ان الله تعالى التي على موسى الجوع ليتذكر حديث الحوت (قال) له يوشع عند ذلك (أرأيت إذ أوبنا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت) ومعناه ان يوشع تذكر قصة الحوت لما دعا موسى بالطعام ليأكل فقال له أرأيت حين رجعنا إلى الصخرة ونزلنا هناك فإني تركت الحوت وفقدته وقيل نسيته ونسيت حديثه وقيل فيه اضمار اي نسيت ان اذكر لك امر الحوت ثم اعتذر فقال (وما انسانيه إلا الشيطان ان اذكره) وذلك انه او ذكر لموسى (ع)

قصة الحوت عند الصخرة لما جاوزها موسى ولما ناله النصب الذي اشكاه ولم يلق في سفره النصب إلا يومئذ (واتخذ سبيله في البحر عجبا) أي سبيلا عجبا وهو ان الماء انجاب عنه وبقي كالكة لم يلتئم وقيل ان كلام يوشع قد انقطع عند قوله واتخذ سبيله في البحر فقال موسى عند ذلك عجبا كيف كان ذلك وقيل ان معناه واتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا عن ابن عباس والمعنى دخل موسى الكوة على أثر الحوت فإذا هو بالخضر (قال ذلك ما كنا نبغ) قال موسى «ع» ذلك ما كنا نطلب من العلامة (فارتدا على آثارهما) أي رجعا وعادا عودهما على بدنه في الطريق الذي جاء منه يقصان آثارهما (قصصا) أي ويتبعانها ويوشع امام موسى «ع» حتى انتهى إلى مدخل الحوت

❀ القصة ❀

سعید بن جبیر عن ابن عباس قال اخبرني أبي ابن كعب قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسل أي الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه إذا لم يرد العلم اليه فأوحى الله اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال تأخذ معك حوتا فتجمله في مكث ثم انطلق وانطلق معه فناه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكث فخرج منه فسقط في البحر واتخذ سبيله في البحر سرى وامسك الله عن الحوت جربة الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومها وليتها حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتهاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امر الله تعالى به فقال فناه أرايت إذ أوينا إلى الصخرة الآية قال وكان للحوت سرى ولموسى ولفتهاه عجبا فقال موسى ذلك ما كنا نبغ الآية قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهى إلى الصخرة فوجد رجلا مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بارضك السلام قال انا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا يا موسى اني اعلم من علم الله لا تعلمه علمتبه وانت على علم من علم الله علمك لا أعلمه انا فقال له موسى ستجدني إن شاء الله صابرا ولا اعصي لك أمرا فقال له الخضر فإرت اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمسيان على ساحل البحر فمرت سفينة وكوهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير قول فلما ركبا في السفينة لم يفجا إلا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم قد حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال ألم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا قال وقال رسول الله ﷺ كانت الأولى من موسى «ع» نسيانا قال وجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر تقرة فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما تقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فيبيناهما يمسيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقلعه فقتله فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه أشد من الأولى قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني إلى قوله يريد أن ينقض كان ماثلا فقال (١) الخضر «ع» بيده فأقامه فقال موسى «ع» قوم قد أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك فقال رسول الله ﷺ وددنا ان موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما قال سعید بن جبیر كان ابن عباس يقرأ وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين رواه البخاري ومسلم في الصحيحين وروى اصحابنا عن ابي عبد الله «ع» ايضا انه كان يقرأ كل سفينة صالحة غصبا وروى ذلك ايضا عن ابي جعفر قال وهي قراءة امير المؤمنين «ع»

(١) كذا ولله فده

قوله تعالى (٦٥) فَوَجَدَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنَ الدُّنْيَا عِلْمًا
 (٦٦) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا (٦٧) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ
 صَبْرًا (٦٨) وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا (٦٩) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا
 وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٧٠) قَالَ فَإِنْ أَتَيْتَنِي فَلَا تَسْتَلِنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
 (٧١) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا
 (٧٢) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٣) قَالَ لَا تُؤْخَذِني بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقِني
 مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٤) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا قَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ
 لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكَرًا (٧٥) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا احدى عشرة آية

* القراءة *

قرأ ابو عمرو ويعقوب رشدا بالفتح والباقون رشدا بضم الراء وسكون الشين وقرأ فلا تسألني مشددة النون
 مدني شامي والباقون خفيفة النون ولم يخالفوا في إثبات الياء فيه وصلا ووقفا لانها مثبتة في جميع المصاحف وقرأ
 ليغرق بفتح الياء والراء اهلهما بالرفع كوفي غير عاصم والباقون لتغرق بضم التاء اهلهما بالنصب وقرأ زكية بغير
 الف كوفي وشامي وسهل والباقون زاكية وقرأ نكرا بضم نون مدني غير اسماعيل وابو بكر ويعقوب وسهل وابن
 ذكوان والباقون نكرا ساكنة الكاف

- الحجة -

قال ابو علي الرشد والرشد لغتان وقد اجري العرب كل واحد منها مجرى الآخر فقالوا اسد وأسد وخشب
 وخشب فجمعوا فعلا على فعل ثم فعلا ايضا على فعل وذلك قوله والفلك التي تجري في البحر وفي آية أخرى في
 الفلك المشحون فهذا يدل على انهم أجروها مجرى واحد ومن قرأ فلا تسألني بالتشديد فإنه لما ادخل النون الثقيلة
 بني الفعل معها على الفتح قال والقراءة بالتاء في لتغرق اولي ليكون الفعل مسندا إلى المخاطب كما كان المعطوف
 عليه كذلك وهو اخرقتها وهذا يأتي في معنى الياء ايضا لانهم إذا اغرقهم غرقوا وقوله نكرا فعل وهو من امثلة
 الصفات قالوا ناقة أجد ومشيبة سحج فمن خفف ذلك كما يخفف نحو العنق والطنب والشعل فالتخفيف فيه مسنم

* اللغة *

الأمر الداهية العظيمة قال الشاعر

لقد لقي الأقران مني نكرا داهية دهباء إذا إمرأ

وهو مأخوذ من الأمر لأنه الفاسد الذي يحتاج أن يؤمر بتركه إلى الصلاح ومنه رجل امر إذا كان
 ضعيف الرأي لأنه يحتاج ان يؤمر حتى يقوى رأيه ومنه امر القوم اي كثروا ومعناه احتاجوا إلى من يأمرهم
 وينهاهم ومنه الأمر من الأمور اي الشيء الذي من شأنه ان يؤمر فيه

* الاعراب *

قوله رشدا يجوز ان ينصب على انه مفعول له ويكون المعنى هل اتبعك للرشد او لطلب الرشد على ان تعلمني فيكون
 على ان تعلمني حالا من قوله اتبعك ويجوز ان يكون قوله رشدا مفعولا به وتقديره اتبعك على ان تعلمني رشدا بما

علمته وبكون العلم الذي يتعدى إلى مفعول واحد فيتعدى بتضعيف العين إلى مفعولين والمعنى على ان تعلمني امرا ذا رشد وعلما ذا رشد واخيرا نصب على المصدر والمعنى لم يخبره خبرا

✽ المعنى ✽

(فوجدا عبدا من عبادنا) اية صادف موسى وفناه وادر كما عبداً من عبادنا قائماً على الصخرة يصلي وهو الخضر «ع» واسمه بلياً بن ملكان وإنما سمي خضرا لأنه إذا صلى في مكان اخضر ما حوله وروي مرفوعا انه قد عد على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء وقيل انه رأى على طففة خضراء فلم عليه فقال وعليك السلام يا نبي بني اسرائيل فقال له موسى وما ادراك من انا ومن اخبرك اني نبي قال من ذلك علي واختلف في هذا العبد فقال بعضهم انه كان ملكا امر الله تعالى موسى ان يأخذ عنه ما حمله إياه من علم بواطن الأشياء وقال الا كثرون انه كان من البشر ثم اختلفوا فقال الجبائي وغيره انه كان نبيا لأنه لا يجوز ان يشبع النبي من ليس نبي ليتعلم منه العلم لما في ذلك من الغضاضة على النبي و كان ابن الاخشيد يجوز ان لا يكون نبيا وبكون عبداً صالحا اودعه الله من علم باطن الأمور ما لم يودعه غيره وهذا ليس بالوجه ومتى قيل كيف يكون نبي اعلم من موسى في وقته قلنا يجوز ان يكون الخضر خص بعلم ما لا يتعلق بالاداء فاستعلم موسى من جهته ذلك العلم فقط وإن كان موسى اعلم منه في العلوم التي يودعها من قبل الله تعالى (آتيناه رحمة من عندنا) يعني النبوة وقيل طول الحياة (وعلمناه من لدنا علما) اي علما من علم الغيب عن ابن عباس وقال الصادق (ع) كان عنده علم لم يكتب لموسى (ع) في الألواح وكان موسى يظن ان جميع الأشياء التي يحتاج اليها في تابوته وان جميع العلم قد كتب له في الألواح (قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا) اي علما ذا رشد قال قتادة لو كان احد مكتفيا من العلم لا اكتفى بنجسي الله موسى ولكنه قال هل اتبعك الآبة عظمه «ع» بهذا القول غاية التعظيم حيث أضاف العلم اليه ورضي باتباعه وخطابه يمثل هذا الخطاب والرشد العلوم الدينية التي ترشد إلى الحق وقيل هو علوم اللطاف الدينية التي تخفى على الناس (قال) العالم (انك لن تستطيع معي صبرا) أي بثقل عليك الصبر ولا يخف عليك ولم يرد انه لا يقدر على الصبر وإنما قال ذلك لأن موسى «ع» كان يأخذ الأمور على ظواهرها والخضر كان يحكم بما اعلمه الله من بواطنها فلا يسهل على موسى مشاهدة ذلك ثم قال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أي كيف تصبر على ما ظاهره عندك منكروا وانت لم تعرف باطنه ولم تعلم حقيقته والخبر العلم وفي هذا دلالة على انه لم يرد بقوله لن تستطيع معي صبرا نفي الاستطاعة للصبر لأنه لو أراد ذلك لكان لا يستطيع الصبر سواء علم او لم يعلم (قال) موسى (ستجدني ان شاء الله صابرا) أي اصبر على ما أرى منك (ولا أعصي لك امرا) تأمرني به ولا أخالفك فيه قال الزجاج وفيما فعله موسى «ع» وهو من جملة الأنبياء من طلب العلم والرحلة فيه ما يدل على انه لا ينبغي لأحد أن يتروك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته وانه يجب أن يتواضع لمن هو اعلم منه وإنما قيد (ع) صبره بمشئته الله لأنه اخبر به على ظاهر الحال فجوز ان لا يصبر فيما بعد بأن يعجز عنه فقال إن شاء الله ليخرج بذلك من أن يكون كاذبا (قال) الخضر له (فإن اتبعني) واقتفيت أثري (فلا تستلني عن شيء حتى احث لك منه ذكرا) اية لا تسألني عن شيء افعله مما تنكره ولا تعلم باطنه حتى اكون انا الذي افسره لك (فانطلقا) يمسيان على شاطئ البحر (حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) ومعناه انها أرادا أن يعبرا في البحر إلى ارض أخرى فانما معبر اعراف صاحب السفينة الخضر (ع) فحملها فلما ركبا في السفينة خرق الخضر (ع) السفينة أي شقها حتى دخلها الماء وقيل انه قلع لوحين مما يلي الماء فحشاهما موسى (ع) بثوبه (وقال) منكرا عليه (أخرقتها لتغرق أهلها) ولم يقل لتغرق وإن كان في غرقها غرق جميعهم لأنه اشفق على القوم اكثر من اشفاقه على نفسه جريا على عادة الأنبياء ثم قال بعد انكاره ذلك (لقد جئت شيئا امرا) اية منكرا عظيما يقال امر

الامر امرا إذا كبر والامر الاسم منه (فقال) له الخضر (ألم اقل) لك (انك لن تسطيع معي صبرا) اي ألم اقل حين رغبت في اتباعي ان تسك لا تطاوعك على الصبر معي فتذكر موسى ما بذل له من الشرط ثم (قال) معذرا مستقبلا (لا تؤاخذني بما نسيت) اي غفلت من التسليم لك وترك الانكار عليك وهو من النسيان الذي هو ضد الذكر وروي عن ابي بن كعب قال انه لم ينس ولكنه من معاريض الكلام وقيل بما تركت من وصيتك وعهدك عن ابن عباس وعلى هذا فيكون من النسيان بمعنى التبرك لا بمعنى الغفلة والسهو (ولا ترهقني من امري عسرا) اي لا تكلفني مشقة تقول ارهقته عسرا إذا كلفته ذلك والمعنى عاملني باليسر ولا تعاملني بالعسر ولا تضيق علي الأمر في صحبتي إياك (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما قتلته) ومعناه فخرجا من البحر وانطلقا يمسيان في البر يعني موسى والخضر ولم يذكر يوشع لأنه كان تابعا لموسى او كان قد تأخر عنها وهو الأظهر لاخصاص موسى بالنبوة واجتماعه مع الخضر (ع) في البحر فلقيا غلاما يلعب مع الصبيان فذبحه بالسكين عن سعيد بن جبير وكان من احسن أولئك الغلمان واصبحهم وقيل صرعه ثم نزع رأسه من جسده وقيل ضربه برجله فقتله وقال الأسم كان شابا بالغاً لأن غير البالغ لا يستحق القتل وقد يسمى الرجل غلاما قالت ليلى الاخيلية

شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هز القناة سقاها

(قال أقتلت نفساً زكية) أي طاهرة من الذنوب وزكية بريئة من الذنوب وقيل الزاكية التي لم تذب والزكية التي أذنت ثم تابت حكي ذلك عن ابي عمرو بن العلاء وقيل الزكية أشد مبالغة من الزاكية عن تغلب وقيل الزاكية في البدن والزاكية في الدين (بغير نفس) اي بغير قتل نفس يريد القود (لقد جئت شيئا نكرا) أي قطعيا منكرا لا يعرف في شرع والمنكر اشد من الامر عن قتادة وإنما قال ذلك لأن قلبه صار كالمغلوب عليه حين رأى قتله (قال) العالم (ألم اقل لك انك لن تسطيع معي صبرا) أعاد هذا القول لتأكيد الأمر عليه والتحقيق لما قاله اولا مع النهي عن العود بمثل سؤاله

قوله تعالى (٧٦) قَالَ إِنْ سَأَلْتِكُمْ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا
 (٧٧) فَإِنِ نَظَلْنَا مِنْهَا فَإِن يَكُن لَهَا بَيْتٌ فَيَوُجَدُ فِيهَا جِدَارٌ يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٨) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ
 سَأُنَبِّئُكَ بِتِأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٩) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي
 الْبَحْرِ فَأَرَدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٨٠) وَأَمَّا الْغُلَامُ
 فَكَانَ أَبُوهُُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِمَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨١) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا
 خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨٢) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ
 تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً
 مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا سبع آيات

✽ القراءة ✽

قرأ يعقوب برواية روح وزيد فلا نصحني والباقون فلا تصاحبني وقرأ أهل المدينة وأبو بكر عن عاصم من
 لدي خيفة التون والباقون لدي بالشديد وقرأ ابن كثير وأهل البصرة لتخذت بكسر الخاء مخففة وابن كثير

يظهر منه الذال والباقون لا اتخذت وعاصم يظهر الذال والآخرون يدغمون وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو أن يبدلها بفتح الباء وتشديد الدال وكذلك في التحريم أن يبدله وفي القلم أن يبدلنا والباقون بسكون الباء وتخفيف الدال وقرأ رحما بضم الحاء أبو جعفر وابن عامر وعاصم وعباس ويعقوب وسهل والباقون بسكون الحاء وفي الشواذ قراءة النبي ^{صلى الله عليه وسلم} جدارا يريد أن ينقض بضم الياء وقراءة علي بن أبي طالب (ع) وعكرمة ويحيى بن يعمر بنقاص بصاد غير معجمة وبالألف وقراءة عبد الله والأعمش يريد لينقض

✽ الحجة ✽

من قرأ فلا تصحبي فعناه لا تكونن صاحبي ومن قرأ فلا تصاحبني فعناه إن طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وأما قوله من لدني فإن الاجود تشديد النون لأن أصل لدن الاسكان فإذا اختلفت إلى قسك زدت نونا لتسلم سكون النون الأولى تقول من لدن زيد ومن لدني كما تقول عن زيد وعني ومن قرأ لدني لم يجز له أن يقول عني لأن لدن اسم غير متمكن ومن وعن حرفان جاء المعنى ولدن مع ذلك أثقل من من وعن والدليل على أن الأسماء يجوز فيها حذف النون قولهم قدني في معنى حسبي ويجوز قدني «قال قدني من نصر الخبيبين قدني» فجاء بالفتحة وقال أبو زيد اتخذنا مالا نتخذة اتخذنا واتخذت اتخذت اتخذنا وقال أبو علي وجه الادغام ان هذه الحروف متقاربة فيدغم بعضها في بعضها كما يدغم سائر المتقاربة فالطاء والذال والذال والطاء يدغم بعضها في بعض للمقاربة فأما الصاد والسين والراء فيدغم بعضها في بعض ويدغم فيها الحروف الستة ولا يدغم في الستة لما يمتثل من ادغامها في مقاربتها من الصغير وأما قوله ان يبدلها فإن ابدل وبدل متقاربان في المعنى كما ان انزل ونزل كذلك وأما قوله رُحماً فإن الرحم والرحم هاهنا الرحمة قال رؤبة

يا منزل الرحم على ادريس ومنزل اللعن على ابليس

قال ابن جني قوله يريد ان ينقض معناه قد قارب او شارف ذلك فهو غائده الى معنى يكاد وقد جاء ذلك عنهم وانشد ابو الحسن

كادت وكدت وثلث خير ارادة لو عاد من لهو الصباية ما مضى

وحسن هنا لفظ الارادة لأنه اقوى في وقوع الفعل وذلك انها داعية الى وقوعه وهي ايضا لاتصح الا مع الحياة ولا يصح الفعل الا لذي الحياة وليس كذلك كاد لأنه قد يقارب الأمر ما لا حياة له نحو ميل الخائط واشراق ضوء الفجر وينقاض اي ينكسر يقال قضه فانقاض قال

فراق كقبص السن فالصبر إنه لكل اناس كسرة وجبور

وقالوا ايضا قضته فانقاض بصاد معجمة يعني هدمته فانهدم قال «كأنها هدم في الجفر منقاض» وقراءة العامة ينقض يحتمل امرين أحدهما ان يكون ينفع من القضة وهي الحصى الصغار والآخر ان يكون يفعل من تقضت الشيء كقراءة النبي ^{صلى الله عليه وسلم} يريد ان ينقض فيكون كيزور وبرعوي ونحوهما مما جاء من غير الالوان والعيوب ومن قرأ لينقض فإن شئت قلت اللام زائدة فيه واحتجبت فيه بقراءة النبي ^{صلى الله عليه وسلم} وان شئت قلت تقديره ارادته لكذا كقولك قيامه لكذا وجلوسه لكذا ثم وضع الفعل موضع مصدره كما انشد ابو زيد

فقالوا ما نشاء فقلت الهو الى الاصباح أثر ذي أثر

اي الهو فوضع الهو موضع مصدره وانشد ايضا

واهلكني لكم في كل يوم تعوجكم علي واستقيم

اي واستقامتي وكاللام هنا اللام في قوله

أريد لأنسى ذكرها فكأنما نمثل لي ليلي بكل سبيل

فيحتمل اللام هنا الوجهين اللذين تقدم ذكرهما

✽ اللغة ✽

الانقضاء السقوط بسرعة قال ذو الرمة (فاتقض كالكوكب الدردي منصلتا) والوراء والخلف واحد وهو نقيض جهة القدم ويستعمل وراء بمعنى القدام ايضا على الاتساع لأنها جهة مقابلة لجهة فكان كل واحدة من الجهتين وراء الاخرى قال الشاعر

أثر جو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم وأفلاة ورائيا

وقال لبيد

أليس وراءي ان تراخت منيتي لزوم العصا تمنحو عليها الأصابع

وقال الفراء يجوز ذلك في الزمان دون الاجسام قال علي بن عيسى وغيره يجوز في الاجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر والارهاق ادراك الشيء بما يغشاه ورهقه الفارس اي غشيه وادركه وغلام مراهق إذا قارب ان يغشاه حال البلوغ ويقال ارهقه امرا أي الحقه اياه قال الأزهري رهق جهل الانسان وارهقه عسرا كلفه اياه وجاء في الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة مراهقا خرج إلى عرفة اية ضاق عليه الوقت

✽ الإعراب ✽

قال الزجاج قوله هذا فراق بيني وبينك زعم سيبويه أن معنى مثل هذا التوكيد يعني هذا فراق بيننا اي هذا فراق اتصنا ومثله من الكلام اخزي الله الكاذب مني ومنك وهذا لا يكون الا بالواو ولا يجوز هذا فراق بيني وبينك لأن معنى الواو الاجتماع ومعنى الفاء ان يأتي الثاني في اثر الأول ومساكين لا ينصرف لأنه جمع ليس له في الأحاد نظير رحمة من ربك منصوب على ضربين ✽ احدهما ✽ ان المعنى فعلنا ذلك رحمة اي للرحمة كما تقول انقذتك من الهلكة رحمة لك والآخر ان يكون منصوبا على المصدر لأن معنى قوله فأراد ربك ان يبلغنا اشد هما ويستخرجنا كنزهما رحمهما الله بذلك

✽ المعنى ✽

(قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) أي قال له موسى جوابا إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة او بعد هذه النفس وقتلها فلا تتراكني اصحبك (قد بلغت من لدني عذرا) اي قد اعذرت فيما بيني وبينك وقد اخبرتني اني لا استطيع معك صبرا عن ابن عباس وهذا اقرار من موسى (ع) بأن الخضر قد قدم اليه ما يوجب العذر عنده فلا يلزمه ما انكره وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية فقال اسنجي نبي الله موسى ولو صبر لرأى الفأ من العجائب (فانطلقا حتى إذا أتيا اهل قرية) وهي انطاكية عن ابن عباس وقيل ايلة عن ابن سيرين ومحمد بن كعب وقيل هي قرية على ساحل البحر يقال لها ناصرة وبها سميت النصراري نصارى وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) (استطعا اهليا) اي سألهم الطعام (فأبوا ان يضيفوها) والتضييف والإضافة بمعنى واحد اي لم يضيفهما احد من اهل القرية وروي ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كانوا اهل قرية لثام وقال ابو عبد الله (ع) لم يضيفوهما ولا يضيفون بعدهما احدا إلى ان تقوم الساعة (فوجد فيها جدارا يريد أن ينقض) وصف الجدار بالارادة مجاز ومعناه قرب ان ينقض واشرف على ان ينهدم وذلك على التشبيه بحال من يريد الفعل في الثاني وهذا من فصيح كلام العرب ومثله في اشعارهم كثير قال الراعي يصف الاوبل

قلق الفؤوس إذا اردن فصولا

في مهمه قلقت بها هاماتها

وقال الآخر

ويرغب عن دماء بني عقيل

يريد الرمح صدر ابي براء

وقرب منه قول الآخر

لزمان يهم بالإحسان

إن دهرًا يلف شملي بسعدي

أي كأنه يهم وقال عنبرة بصف فرسه

وشكا الي بعبرة وتحمحم

فازور من وقع ألقنا بلبانه

(فأقامه) أي سواه قيل انه دفع الجدار بيده فاستقام عن سعيد بن جبير (قال لو شئت لتخذت عليه اجرا) معناه إنهم لما بخلوا عليهما بالطعام وأقام الخضر جدارهم المشرف على الانهدام عجب مومى من ذلك فقال لو شئت لعملت هذا بأجر تأخذه منهم حتى كنا نسد به جوعتنا (قال هذا فراق بيني وبينك) معناه هذا الكلام والانكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا وقبل معناه هذا وقت فراق اتصالنا وكرر بين تأكيدها عن الزواج وقيل معناه هذا الذي قلته سبب الفراق بيني وبينك ثم قال له (سأنبئك) أي سأخبرك (بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) أي بتفسير الأشياء التي لم تستطع على الامساك عن السؤال عنها صبرا (أما السفينة فكانت لمساكين) معناه اما السبب في خرق السفينة فهو انها كانت لفقرائها لاشيء لهم يكفيهم قدسكنتهم قلة ذات ابيديهم (يعملون في البحر) يعملون بها في البحر ويتعيشون بها (فأردت أن أعيها) أي احدث فيها عيبا (وكان وراءهم) أي وكان قدامهم (ملك يأخذ كل سفينة) صحيحة او غير معيبة (غصبا) عن قتادة وابن عباس قال عباد بن صهيب قدمت الكوفة لاسمع من اسماعيل بن ابي خالد فررت بشيخ جالس فقلت ياشيخ كيف امر إلى منزل اسماعيل ابن ابي خالد فقال لي وراءك فقلت ارجع فقال اقول وراءك وترجع فقلت أليس ورائي خلفي قال لا ثم قال حدثني عكرمة عن ابن عباس وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا قال ولو كان وراءهم لكانوا قد جاوزوه ولكن كان بين ابيديهم قال الخضر إنما خرقتها لأن الملك إذا رآها منخرقة تركها ووقعها أهلها بقطعة خشب فاتفموا بها وقيل يحتمل ان الملك كان خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه ولم يعلم به اصحاب السفينة وعلم به الخضر «ع» (واما الغلام فكان ابواه مؤمنين) وروي عن ابي وابن عباس انها كانا بقرآن واما الغلام فكان كافرا وابواه مؤمنين وروي ذلك عن ابي عبد الله «ع» ومعناه واما الغلام الذي قتلته فانما قتلته لأنه كان كافرا (فخشينا أن يرحمها طغيانا وكفرا) أي فعلمنا انه إن بقي يرحق ابويه أي بغشها طغيانا وكفرا وهو من كلام الله تعالى وقيل معناه فخفنا ان يحمل ابويه على الطغيان والكفر بأن يباشر ما لا يمكنها منعه منه فيحملها على الذب عنه والتعصب له فيؤدي ذلك إلى أمور يكون مجاوزة للحد في العصيان والكفر وهو من كلام الخضر لأن الله تعالى لا يجوز عليه الخشية وقيل معناه فكرهنا أن يرحق الغلام ابويه إنما وظلما بطغيانه وكفره (فأردنا أن يبدلها ربها خيرا منه زكاة) أي ولدا خيرا منه دينا وطهارة وصلاحا (واقرب رحما) أي وارحم بها عن قتادة والزكاة الصلاح والركي الصالح والرحم العطف والرحمة وقيل معناه ابرو الدبسه وأوصل للرحم عن ابن عباس وقيل معناه واقرب ان يرحمها قال قتادة قال مطرف ام الله أنا لنعلم انها فرحا به يوم ولد وحزنا عليه يوم قتل ولو عاش كان فيه مهلكتها فرضي رجل بما قسم الله له فإن قضاء الله للمؤمن خير من قضائه لنفسه وما قضى لك يا ابن آدم فيها تسكره خير مما قضى لك فيما تحب فاستخر الله وارض بقضائه وروي انها ابدلها بالغلام المقتول جارية فولدت سبعين نبيا عن ابي عبد الله «ع» وقيل انه تزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبيا هدى الله على يديه أمة

من الأمم عن الكلي وفي قتل الغلام دلالة على وجوب اللطف على ما نذهب إليه لأن المفهوم من الآية أنه تدبير من الله تعالى لم يكن يجوز خلافه وأنه إذا علم من حال الإنسان أنه يفسد عند شيء يجب عليه في الحكمة أن يذهب ذلك الشيء حتى لا يقع هذا الفساد ومتى قيل أنه لو حصل لنا العلم بذلك كما حصل لذلك العالم هل كان يحسن منا القتل قلنا إن هذا العلم لا يحصل إلا للأنبياء وعند حصول العلم به يحسن ذلك ومتى قيل إن الله كان قادرا على إزالة حياة الغلام بالموت من غير ألم فتزول التبقية التي هي المفسدة من غير ادخال إيلام عليه بالقتل فلم أمر بالقتل فالجواب من وجهين ﴿١﴾ أحدهما ﴿٢﴾ أن الله تعالى قد علم أن أبويه لا يثبتان على الإيمان إلا بقتل هذا الغلام فتعين وجه الوجوب في القتل ﴿٣﴾ والآخر ﴿٤﴾ أن تبقية الغلام إذا كانت مفسدة فالتعالى مخير في إزالتها بالموت من غير ألم وبالقتل لأن القتل وإن كان فيه ألم يلحق المقتول فإن بإزائه أحواضا كثيرة توازي ذلك الألم ويزيد عليه أضعافا كثيرة فيصير القتل بالمنافع العظيمة التي بإزائه كأنه ليس بألم ويدخل في قبيل النفع والاحسان (وأما الجدار فكان) أي فأما أقمته لأنه كان (لغلامين يتيمين في المدينة) يعني القرية المذكورة في قوله أتيا أهل قرية (وكان تحته كنز لهما) والكنز هو كل مال مذخور من ذهب أو فضة وغير ذلك واختلف في هذا الكنز فقيل كانت صحف علم مدفونة تحته عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقال ابن عباس ما كان ذلك الكنز إلا علما وقيل كان كنزا من الذهب والفضة عن قتادة وعكرمة واختاره الجبائي ورواه أبو الدرداء عن النبي ﷺ وقيل كان لوحا من ذهب وفيه مكتوب عجب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن . عجب لمن أيقن بالرزق كيف يتعب . عجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح . عجب لمن يؤمن بالحساب كيف يعقل . عجب لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ عن ابن عباس والحسن وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) وفي بعض الروايات زيادة وتقضان وهذا القول يجمع القولين الأولين لأنه يتضمن إن الكنز كان مالا كتب فيه علم فهو مال وعلم (وكان أبوهما صالحا) بين سبحانه أنه حفظ الغلامين بصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاحا عن ابن عباس وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء وقال ﷺ إن الله ليصلح صلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي يتهيأ إلى الوقت الذي يعرفان فيه قمع أنفسهما وحفظ مالهما وهو أن يكبرا ويعقلا (ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) أي نعمة من ربك والمعنى أن كل ما فعلته رحمة من الله تعالى أي رحم الله بذلك المساكين وأبوي الغلام واليتيمين رحمة (وما فعلته عن أمري) أي وما فعلت ذلك من قبل نفسي وإنما فعلته بأمر الله تعالى قال ابن عباس يريد أن يكشف لي من الله علم فعلت به ثم قال (ذلك) الذي قلته لك (تأويل ما لم تستطع عليه صبرا) أي ثقل عليك مشاهدته ورويته واستنكرته بقال استطاع يستطيع واستطاع بسطيع قال أبو علي الجبائي لا يجوز أن يكون الخضر حيا إلى وقتنا هذا لأنه لو كان لعرفه الناس ولم يخف مكانه ولأنه لا نبي بعد نبينا ﷺ وهذا الذي ذكره غير صحيح لأن تبقيته في مقدور الله تعالى ويجوز أن تنخرق العادة للأنبياء صلوات الله عليهم بالاجماع ولا يمتنع أيضا أن يكون بحيث لا يتعرف إلى أحد وإن كانوا بشاهدونه لا يعرفونه وقوله أنه لا نبي بعد نبينا مسلم ولكن نبوة الخضر (ع) كانت ثابتة قبل نبوة نبينا محمد ﷺ وأما شرعه لو كان له شرع خاص فإنه منسوخ بشرية نبينا ولو كان داعيا إلى شريعة من تقدمه من الأنبياء فإن شريعة نبينا ﷺ ناسخة لها فلا يؤدي إلى ما قاله الجبائي

قوله تعالى (٨٣) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٤) إِنَّا مَكْنَانًا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٥) فَاتَّبَعَ سَبَبًا (٨٦) حَتَّى إِذَا بَلَغَ

مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا نُغْرَبُ فِي عَيْنِ حِمَّةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ
تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٧) قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ
فِيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا خمس آيات في الكوفي ست في البصري أربع في المدني عدا الكوفي
والبصري من كل شيء سبباً فاتبع سبباً آيتين ولم يعد الكوفي عندها قوماً آية بل جعل آخر الآية حسناً

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة فاتبع ثم اتبع بهمزة القطع وفتحها وتخفيف التاء وسكونها والباقون فاتبع
بهمزة الوصل وتشديد التاء وفتحها وقرأ أبو جعفر وابن عامر وأهل الكوفة غير حفص حامية والباقون حمئة
بغير الف مهموز

✽ الحجة ✽

قال أبو علي تبع فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا نقلته بالهمزة تعدى إلى مفعولين بذلك على ذلك قوله
واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة وأما اتبع فإنه افتعل يتعدى إلى مفعول واحد كما يتعدى فعل إليه مثل حفرته واحتفرته
وشوبته واشتوبته ومن قرأ فاتبع سبباً تقديره فاتبع سبباً سبباً أو اتبع امره سبباً أو اتبع ما هو عليه سبباً فحذف
أحد المفعولين كما حذف في قوله لينذر بأساً شديداً ولا يكادون يفقهون قولاً والمعنى لينذر الناس بأساً شديداً
ولا يكادون يفقهون أحداً قولاً ومن قرأ فاتبع سبباً فالمعنى اتبع في كل وجه وجهناه له وأمرناه به السبب
الذي ينال به صلاح ما مكن منه وقال أبو عبيدة معناه اتبع طريقاً وأثراً ومن قرأ حمئة فعلى فعلة ومن قرأ حامية
فهي فاعلة من حميت تحمى فهي حامية وروي عن الحسن أنه قال حارة ويجوز فيمن قرأ حامية أن يكون فاعلة من
الحماة فحذف الهمزة على قياس قول أبي الحسن فيقلبها باء محضة وإن خففها على قول الخليل كانت بسين بين قال
سيبويه وهو قول العرب

✽ اللفظة ✽

القرن قرن الشاة وغيرها وقرون الشعر الذوات ومنه قول أبي سفيان ولا الروم ذوات القرون أراد قرون
شعورهم لأنهم كانوا يطولونه والذكر حضور المعنى للنفس وقد يكون بالقلب وهو التفكير وقد يكون باللسان
وكل ما وصل شيئاً إلى شيء فهو سبب يقال للطريق إلى الشيء سبب وللجبل سبب وللباب سبب والحماة الطين
الأسود يقال بحمات البئر تحماً فهي حمئة إذا صار فيها الحماة قال أبو الأسود

تجبي بملئها طوراً وطوراً تجبي بمجأة وقليل ماء

وحمات البئر اخرجت منه الحماة واحماتها القيت فيها الحماة

✽ الإعراب ✽

إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً مع الفعل في موضع نصب بفعل مضمر كما أن قوله فإما منا بعد وأما
فسداه كذلك ويجوز أن يكون أن مع الفعل في موضع المبتدأ والخبر مضمر أي أما العذاب واقع منك فيهم
وأما اتخاذاً مردي حسن واقع منك فيهم فحذف الخبر لطول الكلام بالصلة وهذا أظهر والأول عن أحمد بن يحيى

= « المعنى » =

ثم بين سبحانه قصة ذي القرنين فقال (وبألونك) يا محمد (عن ذي القرنين) أي عن خبره وقصته لا عن
شخصه واختلف فيه فقيل أنه نبي مبعوث فتح الله على يديه الأرض عن مجاهد وعبد الله بن عمر وقيل أنه كان

ملكا عادلا ورويه عن علي بن ابي طالب (ع) انه كان عبداً صالحاً احب الله واحبه الله وناصره الله وناصره الله قد امر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه ضربة بالسيف فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع اليهم فدعاهم الى الله فضربوه على قرنه الآخر بالسيف فذلك قرناه وفيكم مثله يعني نفسه (ع) وفي سبب تسميته بذي القرنين اقوال آخر **منها** * انه سمي به لانه كانت له ضفيران عن الحسن **منها** * **منها** * انه كان على رأسه شبه القرنين تواريه العامة عن يعلى بن عبيد **منها** انه بلغ قطري الأرض من المشرق والمغرب فسمي بذلك لاستيلائه على قرن الشمس من مغربها وقرنها من مطلعها عن الزهري واختاره الزجاج **منها** * **منها** * انه رأى في منامه انه دنى من الشمس حتى اخذ بقرنيها في شرقها وغربها فقص رؤياه على قومه فسموه ذا القرنين عن وهب **منها** * **منها** * انه عاش عيش قرنين فاتقضى في وقته قرنان من الناس وهو حي **منها** * **منها** * انه كان كريم الطرفين من اهل بيت الشرف من قبل ابيه وامه قال معاذ بن جبل كان من ابناء الروم واسمه الاسكندرو هو الذي بنى الاسكندرية (قل سأتلوا عليكم منه ذكرا) معناه قل يا محمد سأقرأ عليكم منه خبراً وقصة (انا مكناله في الأرض) اي بسطنا يده في الأرض وملكناه حتى استولى عليها وقام بمصالحها وروي عن علي (ع) انه قال سخر الله له السحاب فحمله عليها ومد له في الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء فهذا معنى تمكينه في الأرض وهو انه سهل عليه المسير فيها وذلله طريقها وحزونها حتى تمكن منها اني شاء (وآتيناه من كل شيء سبباً) اي فأعطيناه من كل شيء علماً يتسبب به إلى إرادته ويبلغ به إلى حاجته عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل معناه وآتيناه من كل شيء يستعين به الملوك على فتح البلاد ومحاربة الاعداء عن الجبائي وقيل معناه وآتيناه من كل شيء سبيلاً كما قال سبحانه لعلني ابليج الاسباب اسباب السماوات اي سببها (فأتبع سبباً) معناه فأتبع طريقاً واحداً في سلوكه قال الزجاج معناه فأتبع سبباً من الاسباب التي اوتي بها وذلك انه اوتي من كل شيء سبباً فأتبع من تلك الاسباب التي اوتي سبباً في المسير إلى المغرب ومن قرأ فأتبع سبباً فمعناه لحق كقوله فأتبعه الشيطان والأصل فيه ما مر ذكره في الحجية (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) اي موضع غروبها ومعناه انه انتهى إلى آخر العارة من جانب المغرب وبلغ قوماً لم يكن وراءهم أحد إلى موضع غروب الشمس ولم يرد بذلك انه بلغ إلى موضع الغروب لانه لا يصل إليه أحد (وجدها) تغرب معناه وجدها كأنها (تغرب في عين حمئة) وان كانت تغرب في ورائها عن الجبائي وابن مسلم والبلخي لأن الشمس لا تزايل الفلك ولا تدخل عين الماء ولا انه قال وجد عندها قوماً ولكن لما بلغ ذو القرنين ذلك الموضع تراءى له كأن الشمس تغرب في عين كما ان من كان في البحر رآها كأنها تغرب في الماء ومن كان في البر رآها كأنها تغرب في الأرض المساء والعين الحمئة هي ذات الحياة وهي الطين الاسود المنتن والحامية الحارة وعن كعب قال اجدها في التوراة تغرب في ماء وطين وقوله (ووجد عندها قوما) معناه ووجد عند العين ناساً (قلنا يا ذا القرنين إما ان تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً) في هذا دلالة على ان القوم كانوا كفاراً والمعنى اما ان تعذب بالقتل من أقام منهم على الشرك وأما ان تأسرهم وتمسكهم بعد الأمر لتأديبهم الهدى وتستنقذهم من العمى وقيل معناه واما ان تعفو عنهم واستدل من ذهب إلى ان ذا القرنين كان نبياً لذا قال لأن أمر الله تعالى لا يعلم الا بالوحي والوحي لا يجوز إلا على الانبياء وقال الكلبي ان الله تعالى الهمه ولم يوح اليه وقال ابن البارني ان كان ذو القرنين نبياً فان الله تعالى قال له كما يقول للأنبياء إما بتكليم او وحي وان لم يكن نبياً فإن معنى قلنا الهمنا لأن الالهام ينوب عن الوحي قال سبحانه واولحينا إلى أم موسى أي والهمنائها قال قتادة فقضى ذو القرنين فيهم بقضاء الله تعالى وكان عالماً بالسياسة قال (أما من ظلم) اي اشرك عن ابن عباس (فسوف نعذبه) اي نقتله اذا لم يرجع عن الشرك (ثم يرد إلى ربه) بعد قتلي اياه (فيعذبه عذاباً نكراً) اي منكرًا غير معهود يعني سيف النار وهو أشد من القتل في الدنيا

قوله تعالى (٨٨) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا
(٨٩) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيلًا (٩٠) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجدهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ
مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩١) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩٢) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيلًا خمس آيات عراقی

(= القراءة =)

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر ويعقوب فله جزاء بالنصب والتنوين . والباقون جزاء الحسنی بالرفع والإضافة

✽ الحجية ✽

قال أبو علي من قال فله جزاء الحسنی كان المعنى فله جزاء الخلال الحسنی التي عملها لأن الإيمان والعمل
الصالح خلال ومن قال فله جزاء الحسنی فالمعنى له الحسنی جزاء فجزاء مصدر وقع موقع الحال أي فله الحسنی
مجزية وقال أبو الحسن وهذا لا يكاد العرب تتكلم به مقدا الا في الشعر

✽ المعنى ✽

(وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنی) مر معناه (وسنقول له من أمرنا يسرا) أي سنقول له قولا
جميلا وستأمره بما يتيسر عليه ولا نؤاخذه بما مضى من كفره (ثم أتبع سبيلًا) أي طريقا آخر من الأرض
ليؤديه إلى مطلع الشمس ويوصله إلى المشرق (حتى إذا بلغ مطلع الشمس) أي بلغ موضع ابتداء العارة من
الجانب الذي تطلع منه الشمس (وجدها تطلع على قوم لم يجعل لهم من دونها سترا) معناه أنه لم يكن بها
جبل ولا شجر ولا بناء لأن أرضهم لم يكن يثبت عليها بناء فكانوا إذا طلعت الشمس يغورون في المياه والامراب
وإذا غربت تصرفوا في أمورهم عن الحسن وقتادة وابن جريج وروى أبو بصير عن أبي جعفر (ع) قال لم يعلموا
صنعة البيوت وقوله كذلك معناه مثل ذلك القبيل الذي كانوا عند مغرب الشمس في ان حكمهم حكم أولئك
وقيل ان معناه انه أتبع سبيلًا إلى مطلع الشمس مثل ما أتبع سبيلًا إلى مغرب الشمس وتم الكلام عند قوله (كذلك)
ثم ابتداء سبحانه فقال (وقد أحطنا بما لديه خبرا) أي علمنا ما كان عند ذي القرنين من الجيوش والعدة وآلات
السياسة وقيل معناه احطنا علما بصلاحه واستقلاله بما ملكناه قبل أن يفعله كما علمناه بعد أن فعله ولم يخف علينا
حاله وفي قوله بما لديه إشارة إلى حسن الثناء عليه والرضا بافعاله لامثاله أمر الله تعالى في كل أحواله ثم أتبع سبيلًا
معناه ثم أتبع مسلكا بالغا ما يبلغه قطرا من اقطار الأرض وهذا بقوي قول من قال إن الأرض كروية الشكل
لانه لم يأخذ في الطريق الذي كان قد عاد فيه وإنما أخذ في طريق آخر

قوله تعالى (٩٣) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا
(٩٤) قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَا جُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ
تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٥) قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٦) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ
نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٧) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا
(٩٨) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا

* القراءة *

قرأ ابن كثير وابو عمرو بين السدين وسدا بالفتح هنا وفي ياسين بالضم وقرأ أهل الكوفة غير عاصم بين السدين بضم السين وسدا حيث كان بالفتح وقرأ حفص الجميع بالفتح وقرأ الباقر الجميع بالضم كل القراءت وقرأ أهل الكوفة غير عاصم بفتح الياء و كسر القاف والباقر بفتح الياء والقاف وقرأ عاصم بأجوج ومأجوج بالهمزة ومثله في الانبياء وقرأ الباقر بغير همزة فيهما في السورتين وقرأ أهل الكوفة غير عاصم خراجا وفي المؤمنين خراجا فخراج ربك كله بالالف والباقر خرجا بغير الف في الموضوعين فخراج ربك بالالف وقرأ ابن كثير ما مكثني بنونين والباقر بنون واحدة مشددة وقرأ يحيى عن ابي بكر ردما اتوني بالوصل وقرأ حمزة ويحيى عن ابي بكر قال اتوني بالوصل ايضا والباقر اتوني بقطع الالف في الحرفين وقرأ أهل المدينة والكوفة غير ابي بكر بين الصدفين بفتح الصاد والبدال وقرأ الباقر بضم الصاد والبدال غير ابي بكر فإنه قرأ بضم الصاد وسكون السدال وقرأ حمزة غير خلاد فما استطاعوا مشددة الطاء والباقر خفيفة الطاء وقرأ أهل الكوفة دكاه بالمد والهمزة والباقر د كما نونا غير مهموز

* الحجة *

قال ابو عبيدة كل شيء وجدته العرب من فعل الله من الجبال والشعاب فهو سد بالضم وما بناه الادميون فهو سد وقال غيره هالعتان كالضعف والضعف والفقير والفقير قال ابو علي يجوز ان يكون السد بالفتح مصدر او السد بالضم المسدود كالايشاء التي يفصل فيها بين المصادر والاسماء نحو السقي والسقي والشرب والشرب فإذا كان كذلك فالاشبه بين السدين لانه المسدود ويجوز فيمن فتح السدين ان يجعله اسما للمسدود نحو نسج اليمن وضرب الأمير بمعنى المنسوج والمضروب ومن قرأ لا يكادون يفقهون فإن فقهت بتعدى الى مفعول واحد نحو فقهت السنة فإذا نقلته تعدى الى مفعولين فيكون المعنى فيمن ضم لا يكادون يفقهون أحدا قولا فحذف أحد المفعولين كما حذف من قوله فاتبعوهم مشرقين والمعنى فاتبعوهم جندهم مشرقين وقوله فاتبعوهم فرعون وجنوده اي فاتبعوهم فرعون طلبه إياهم او يتبعه لهم والحذف في هذا النحو كثير قال ابو علي بأجوج ان جعلته عريبا فهو بفعول من أج نحو يربوع ومن لم يهمز امكن ان يكون خفف الهمزة قلبها الفاء فهو على قوله بفعول ايضا وان كانت الالف في بأجوج ليس على التخفيف فإنه فاعول من ي ج ج فإن جعلت الكلمة من هذا الأصل كانت الهمزة فيها كمن قال ساق ونحو ذلك مما جاء مهموزا ولم يتبع ان يهمز ويكون الامتناع من صرفه على هذا للتأنيث والتعريف كأنه اسم القبيلة كنجوس وأما مأجوج فمن همز فمفعول من اج فالكلمتان على هذا من اصل واحد ومن لم يهمز فإنه فاعول من مع فالكلمتان على هذا من أصلين وليسا من اصل واحد ويكون ترك الصرف فيه ايضا للتعريف والتأنيث فإن جعلتهما من العجمية فهذه التمثيلات لا تصح فيهما وإنما امتنعا من الصرف للعجمة والتعريف وقوله هل نجعل لك خراجا اي هل نجعل لك عطية نخرجها اليك من اموالنا وكذلك قوله أم تسألهم خراجا اي مالا يخرجونه اليك فأما المضروب على الارض فالخراج وقد يجوز في غير ضرائب الأرض الخراج بدلالة قول العجاج «يوم خراج يخرج السمرجا» فهذا ليس على الضرائب التي الزمت الارضين لأن ذلك لا يضاف الى وقت من يوم وغيره وإنما هو شيء مؤبد لا يتغير وقوله ما مكثني باظهار المثاليين فلأن الثاني منهما غير لازم لأنك قد تقول قد مكثتك ومكثته فلا تلزم النون فلما لم تلزم لم يعتد بها كما ان التاء في اقتتلوا كذلك ومن ادغم لم ينزله منزلة مالا بلزم فادغم كما ان من قال قتلوا في اقتتلوا كان كذلك قال ابو علي ومكن مكانه فهو مكين فعل غير متعد فادغم العين عدبته بذلك وحجة من قرأ ردما اتوني يتوني ان اشبه باعينوني بقوة لأنه كلفهم المعونة على عمل السد ولم يقبل الخرج الذي بذلوه له وقوله اتوني الذي معناه جيتوني وإنما هو معونة على ما كلفهم في

قوله فأعينوني بقوة وأما أتوني فمعناه اعطوني فاعطوني يجوز ان يكون على المناولة ويجوز ان يكون على الاتهاب
وأتوني المقصورة لا يحتمل الاجيئوني فيكون احسن هنا لاختصاصه بالمعونة فقط دون ان يكون سؤال عين
والعطية قد تكون هبة قال

ومنا الذي اعطى الرسول عطية اسارى تميم والعيون دوامع

فالعطية تجري مجرى الهبة لهم والانعام عليهم في فك الاسر وقد تكون بمعنى المناولة ووجه قراءة من قرأ اتوني
انه لم يرد باتوني العطية والهبة ولكن تكليف المناولة بالانفس كما كان قراءة من قرأ أتوني لا يصرف الى استدعائه
تمليك عين هبة ولا يغيرها فأما ان تصاب زبر الحديد فإنيك تقول اثنيك بدرهم قال

اتيت بعبد الله في القيد موثقا فهلا سعيدا ذا الخيانة والغدر

فيصل الفعل إلى المفعول الثاني بحرف جر ثم يجوز ان يحذف الحرف اتساعا فيصل الفعل إلى المفعول
الثاني على حد امرتك الخير ونحوه والصدف والصدف لغات فاشية قال ابو عبيدة الصدفان جنبنا الجبل
ومن قرأ اتوني افرغ عليه قطرا فمعناه جيئوني به كما قلناه في اتوني زبر الحديد في اتصال الفعل الى المفعول
الثاني بحرف الجر الا انه اعلم الفعل الثاني فلو اعلم الفعل الأول لكان اتوني افرغه عليه قطرا بقطر الا ان
يقدر ان الفعل يصل إلى المفعول الثاني بلا حرف كما كان كذلك في قوله اتوني زبر الحديد وجميع ما مر بنا في التنزيل
من هذا النحو انما هو على اعمال الثاني كما يختاره سيبويه فمن ذلك قوله يستفتونك قل الله بفتنكم في الكلاله ومنه
قوله هاؤم اقرأوا كتابيه ووجه من قرأ اتوني ان المعنى ناولوني قطرا افرغ عليه قطرا الا ان اعلم الثاني من الفعلين
كما اعلم الثاني من قصر اتوني وقراءة حمزة فما استطاعوا انما هو على ادغام التاء في الظاء ولم يلق حركتها على السين
فيحرك ما لا يتحرك ولكن ادغم مع ان الساكن الذي قبل المدغم ليس حرف مد وقد قرأت القراء غير حرف
من هذا النحو وقد تقدم ذكر وجه هذا النحو ومما يؤيد ذلك ان سيبويه انشد

كأنه بعد كلال الزاجر ومسحه مرعقاب كاسر

والحذف في استطاعوا والاثبات في استطاعوا كل واحد منهما احسن من الادغام على هذا الوجه الذي هو جمع
بين السين الساكنة والتاء المدغمة وهي ساكنة ايضا وأما قوله جعله د كما فإنه يحتمل امرين أحدهما
انه لما قال جعله د كما كانت بمنزلة خلق وعمل فكانه قال د كما د كما فحمله على الفعل الذي دل عليه قوله
جعله والوجه الآخر ان يكون جعله ذاك فحذف المضاف ويمكن ان يكون حالا في هذا الوجه ومن قرأ
د كما فعلى حذف المضاف كأنه جعله مثل د كما قالوا ناقة د كما أي لا اسنام لها ولا بد من تقدير الحذف لأن
الجبل مذكر فلا يوصف بد كما

✽ اللغة ✽

السد وضع ما يتنفي به الحرق يقال سده بسده ومنه سد السهم لأنه سد عليه طرق الاضطراب ومنه السداد
الصواب والردم السد والحاجز يقال ردم فلان موضع كذا يردمه ردما والثوب المردم الخلق المرقع ومنه قول عنبرة
هل غادر الشعراء من متردم ام هل عرفت الدار بعد توهم
أي هل تركوا من قول يؤلف تأليف الثوب المرقع والزبرة الجملة المجتمعة من الحديد والفضة ونحوها
واصله الاجتماع ومنه الزبور وزيرت الكتاب إذا كتبه لأنك جمعت حروفه قال ابو عبيدة القطر الحديد
المذاب وأنشد

حسام آكلون الثلج صاف حديده جراز من اقطار الحديد المنعت

وأصله من القطر لأن الرصاص والحديد إذا أذيب قطر كما يقطر الماء وفي استطاع ثلاث لغات استطاع يستطيع واستطاع بسطيع واستاع بسنيع يحذف الطاء استقلوا اجتماعهما وهما من مخرج واحد فاستطاع بسطيع بقطع الالف وهو أطاع افعل فزادوا السين عوضاً من ذهاب حركة الواو لأن أصل أطاع أطوع ومثله اهراق يهريق زادوا الماء في اراق يريق وليس هذا العوض بلازم الا ترى ان ما كان نحوه لم يلزمه هذا العوض

✽ المعنى ✽

(حتى إذا بلغ بين السدين) ثم أخبر سبحانه عن حال ذي القرنين بعد منصرفه عن المشرق انه سلك طريقاً إلى ان بلغ بين السدين ووصل إلى ما بينهما وهما الجبلان اللذان جعل الردم بينهما وهو الحاجز بين بأجوج وأجوج ومن وراءهم عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل أراد بالسدين الموضع الذي فيه السدان اليوم لأنه لو كانت هناك سد لم يكن لطلبهم السد معنى والسد الموضع المسدود لا المنفتح (وجد من دونهما قوم ما لا يكادون يفقهون قولاً) أي خصوا بلغة كادوا لا يعرفون غيرها قال ابن عباس كادوا لا يفقهون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم وإنما قال لا يكادون لأنهم فهموا بعض الأشياء عنهم وإن كان بعد شدة ولذلك حكى الله عنهم انهم (قالوا يا ذا القرنين ان بأجوج وأجوج مفسدون في الأرض) ويجوز ان يكون الله سبحانه فهمهم ذا القرنين لسانهم كما فهم سليمان (ع) منطق الطير أو قالوا له بترجمان ان بأجوج وأجوج مفسدون في أرضهم وفسادهم انهم كانوا يخرجون فيقتلونهم وبأ تكون لحومهم ودوابهم وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يدعون شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه عن الكبي وقيل أرادوا انهم سيفسدون في المستقبل عند خروجهم وورد في الخبر عن حذيفة قال سألت رسول الله ﷺ عن بأجوج فقال بأجوج أمة وأجوج أمة كل أمة اربع مائة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى الف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة اصناف صنف منهم امثال الارز قلت يا رسول الله وما الارز قال شجر بالشام طوال وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء وهو لاء الذين لا يقوم لهم خيل ولا حديد وصنف منهم يفتش احدى اذنيه وبلتحف بالأخرى ولا يمرون بفيل ولا وحش ولا حمل ولا خنزير إلا اكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية قال وهب ومقاتل انهم من ولد يافث بن نوح ابي الترك وقال السدي الترك سريه من بأجوج وأجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت خارجه وقال قتادة ان ذا القرنين بنى السد على إحدى وعشرين قبيلة وبقيت منهم قبيلة دون السد فهم الترك وقال كعب هم نادرة في ولد نبي آدم وذلك ان آدم (ع) احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء بأجوج وأجوج فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم وهذا بعيد وقوله (فهل نجعل لك خرجاً) أو خرجاً معناه فهل نجعل لك بعضاً من أموالنا (على ان تجعل بيننا وبينهم سداً) أي حائطاً وقيل في الفرق بين الخرج والخراج ان الخراج اسم لما يخرج من الأرض والخرج اسم لما يخرج من المال وقيل الخراج الغلة والخرج الاجرة وقيل الخراج ما يؤخذ عن الأرض والخرج ما يؤخذ عن الرقاب قاله ابو عمرو وقيل الخراج ما يؤخذ في كل سنة والخرج ما يؤخذ دفعة عن تغلب (قال) ذو القرنين (بما مكفي فيه ربي خير) أي أعطاني ربي من المال ومكفي فيه من الاتساع في الدنيا خير مما عرضتموه علي من الأجر (فأعينوني بقوة) أي برجال فيكون معناه بقوة الأبدان وقيل بعمل تعملونه معي عن الزجاج وقيل بألة العمل وذلك زير الحديد والصفير (أجعل بينكم وبينهم ردماً) أي سداً وحاجزاً قال ابن عباس الردم اشد الحجاب وقيل هو السد المتراب كعبه على بعض (أتوني زير الحديد) أي اعطوني قطع الحديد أو جيثوا بقطع الحديد على القراءة الأخرى وفي الكلام حذف وهو انهم أتوه بما طلبه منهم من زير الحديد لعمل الردم في وجوه بأجوج وأجوج فبناه (حتى إذا ساءوا بين الصدفين) أي

سوى بين جانبي الجبل بما جعل بينهما من الزبر قال الأزهرى يقال لجانبي الجبل صدقان لتصادفهما أي تحاذبهما وتلاقيهما وقيل هما جبلان كل واحد منهما منعدل عن الآخر كأنه قد صدف عنه وقوله (قال انفضوا) معناه قال ذو القرنين انفضوا النار على الزبر أمرهم ان يوتئى بمنافع الحدادين فينفخوا في نار الحديد التي اوقدت فيه (حتى إذا جعله ناراً) أي حتى إذا جعل الحديد كالنار في منظره من الحمي واللب فصار قطعة واحدة لازم بعضها بعضاً (قال أتوني افرغ عليه قطراً) أي اعطوني نحاساً مذاباً او صفراً مذاباً او حديداً مذاباً اصبه على السدين الجبلين حتى ينسد الثقب الذي فيه ويصير جداراً مصمتاً فكانت حجارتها الحديد وطينه النحاس الذائب عن ابن عباس ومجاهد والضحاك قال قتادة فهو كالبرد المحبر بطريقة سوداء وطريقة حمراء (فما استطاعوا ان يظفروه) معناه فلما لم يستطع بأجوج ومأجوج ان يعلوه ويصدوه يقال ظهرت السطح إذا علوته (وما استطاعوا له نقباً) أي ولم يستطيعوا ان ينقبوا اسفله لكثافته وصلابته ونقي بذلك كل عيب يكون في السد وقيل ان هذا السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك بلي مؤخرهما البحر المحيط وقيل انه وراء دربند وخزران من ناحية ارمينية واذربيجان وقيل ان مقدار ارتفاع السد مائتا ذراع وعرض الحائط نحو من خمسين ذراعاً (قال) ذو القرنين (هذا رحمة من ربي) أي هذا السد نعمة من الله لعباده انعم بها عليهم في دفع شرر بأجوج ومأجوج عنهم (فإذا جاء وعد ربي) يعني إذا جاء وقت اشراط الساعة ووقت خروجهم الذي قدره الله تعالى (جعله دكا) أي جعل السد أرضاً مستوية مع الأرض مدكو كما أو ذا دك وإنما يكون ذلك بعد قتل عيسى بن مريم الدجال عن ابن مسعود وجاء في الحديث انهم يدأبون في حفره نهارهم حتى إذا أمسوا وكادوا يبصرون شعاع الشمس قالوا نرجع غداً ونفتحه ولا يستثنون فيعودون من الغد وقد استوى كما كان حتى إذا جاء وعد الله قالوا غدا نفتح ونخرج إن شاء الله فيعودون اليه وهو كهيشته حين تركوه بالامس فيخرجونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون سهامهم إلى السماء فترجع وفيها كهيئة الدماء فيقولون قد قهرنا أهل الارض وعلونا أهل السماء فبيعت الله عليهم نفقا في اققائهم فيدخل في آذانهم فيهلكون بها فقال النبي ﷺ والذي نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتسكز من لحومهم سكرًا وفي تفسير الكلبى ان الخضر والبسج يجتمعان كل ليلة على ذلك السد يجعبان بأجوج ومأجوج عن الخروج (وكان وعد ربي حقا) أي وكان ما وعد الله بأن يفعله لا بد من كونه فإنه حق اذا لا يجوز ان يخلف وعده

قوله تعالى (٩٩) وتر كنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً (١٠٠) وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً (١٠١) الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً (١٠٢) أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني آلياً إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً (١٠٣) قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً (١٠٤) الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (١٠٥) أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً (١٠٦) ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ثماني آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أبو بكر في رواية الاعشى والبرجمي عنه وزيد عن يعقوب أفحسب الذين كفروا برفع الباء وسكون

السين وهو قراءة أمير المؤمنين (ع) وابن يعمر والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وابن أبي ليلى وهذا من الاحرف التي اختارها أبو بكر وخالف عاصمًا فيها وذكر انه ادخلها في قراءة عاصم من قراءة أمير المؤمنين (ع) حتى استخلص قراءته وقرأ الباقرن أفحسب بكسر السين وفتح الباء.

— (الحجة) —

قال ابن جني معناه أفحسب الكافرين وحظهم ومطلوبهم ان يتخذوا عبادي من دوني أولياء بل يجب ان يعبدوا انفسهم مثلهم فيكون كلهم عبيداً وأولياء لي ونحوه قوله تعالى وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني إسرائيل اي اتخذتهم عبيداً وهذا ايضا مر المعنى إذا كانت القراءة أفحسب الذين كفروا الا ان حسب ساكنة السين اذهب في الهمزة وذلك لأنه جعله غاية مرادهم ومجموع مطلوبهم وايست القراءة الأخرى كذلك

✽ اللغة ✽

الترك التخلية والتريكة بيضة المنام كأنها تركت بالبراء والتريكة ايضا الروضة يعقلها الناس فلا يرعونها والترك ضد الأخذ والترك في الحقيقة لا يجوز على الله تعالى وإنما يجوز على العاذر بعذره الا انه يتوسع فيه فيعير فيه عن الاخلال بالشئ بالترك والموج اضطراب الماء بترابك بعضه على بعض والتزل ما يهيب للتزيل وهو الضيف قال الشاعر

نزيل القوم اعظهم حقوقاً وحق الله في حق النزيل

وطعام ذو نزل ونزل بفتح النون والزاء ايضا ذو فضل

✽ الاعراب ✽

ان يتخذوا في موضع نصب بوقوع حسب عليه ومن قرأ فحسب بالرفع وسكون السين فان يتخذوا في موضع رفع اعمالاً منصوب على التمييز لأنه لما قال بالآخرين كان مبهماً لا يدل على ما خسروه فبين ذلك الخسران في اي نوع وقع والذين يصلح ان يكون في موضع جر على الصفة للأخسرين ويصلح ان يكون في موضع رفع على الاستئناف اي هم الذين ضل سعيهم

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن حال تلك الأمم فقال (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) اي وتركنا ايأ جوج ومأجوج يوم انقضاء أمر السد يموجون في الدنيا مختلطين لكثرةهم ويكون حالهم كحال الماء الذي يتموج باضطراب امواجه وقيل انه أراد سائر الخلق من الجن والانس اي وتركناهم يوم خروج يأجوج ومأجوج يمتطون بعضهم ببعض لأن ذلك علم للساعة ثم ذكر سبحانه نفخ الصور فقال (ونفخ في الصور) لأن خروج يأجوج ومأجوج من اشراط الساعة واختلف في الصور فقيل هو قرن ينفخ فيه عن ابن عباس وابن عمر وقيل هو جمع صورة فأذن الله سبحانه بصور الخلق في القبور كما صورهم في ارحام الامهات ثم ينفخ فيهم الارواح كما نفخ في ارحام امهاتهم عن الحسن وابي عبيدة وقيل انه ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات فالنفخة الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق التي يصعق من في السماوات والارض بها فيموتون والثالثة نفخة القيام لرب العالمين فيحشر الناس بها من قبورهم (فجمعناهم جمعاً) اي حشرنا الخلق يوم القيامة كلهم في ضعيد واحد (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً) اي اظهرنا جهنم وبرزناها لهم حتى شاهدوها ورأوا الران عذابها قبل دخولها ثم وصف الكافرين فقال (الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري) ذكر سبحانه السبب الذي استحقوا به النار يعني الذين غفلوا عن الاعتبار بقدرتي الموجب للذكري واعرضوا عن التفكير في آياتي ودلائلي فصاروا بمنزلة من يكون في عينه غطاء يمنعه من الادراك (وكانوا لا يستطيعون سمعاً) اي وكان يثقل عليهم سماع القرآن وذكر الله تعالى كما يقال فلان

لا يستطيع النظر اليك ولا يستطيع ان يسمع كلامك اي يتقل عليه ذلك وأراد بالعين هنا عين القلب كما يضاف
 العسى إلى القلب (أفحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني أولياء) معناه أفحسب الذين جحدوا توحيد الله
 ان يتخذوا من دوني اربابا ينصرونهم ويدفعون عقابي عنهم والمراد بالعباد المسيح والملائكة الذين عبدوهم من
 دون الله وهم براء منهم ومن كل مشرك بالله تعالى وقيل معناه أفحسب الذين كفروا ان يتخذوا من دوني آلهة
 وانا لا اغضب انفسى عليهم ولا أعاقبهم عن ابن عباس ويدل على هذا المحذوف قوله (انا اعتدنا جهنم للكافرين
 نزلا) اي منزلا عن الزجاج وهو معنى قول ابن عباس يريد هي مشواهم ومصيرهم وقيل معناه انا جعلنا جهنم معدة
 مهيأة للكافرين عندنا كما يهيا التزل للضيف (قل) يا محمد (هل ننبئكم) اي هل نضربكم (بالآخسرين
 اعمالا) اي باخسر الناس اعمالا والمعنى باقوم الذين هم اخسر الناس فيما عملوا وهم كفار أهل الكتاب اليهود
 والنصارى (الذين ضل سعيهم) اي بطل عملهم واجتهادهم (في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون
 صنعا) اي يظنون انهم يفعلهم محسنون وان افعالهم طاعة وقربة وروى العياشي باسناده قال قام ابن الكوا إلى
 أمير المؤمنين (ع) فسأله عن أهل هذه الآية فقال أولئك أهل الكتاب كفروا بربههم وابتدعوا في دينهم فحبطت
 اعمالهم وما أهل النور منهم ببعيد يعني الخوارج (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم)
 اي جحدوا بجهنم الله وبيناته ولقائه جزائه في الآخرة فبطلت وضاعت اعمالهم التي عملوها لأنهم ارتكبوها على
 خلاف الوجه الذي امرهم الله به (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) اي لا قيمة لهم عندنا ولا كرامة ولانعتدبهم
 بل نستخف بهم ونعاقبهم تقول العرب ما فلان عندنا وزن اي قد ومثله ويوصف الجاهل بأنه لا وزن له لحقته
 بسرعة بطشه وقلة تثبته وروى في الصحيح ان النبي ^{صلى الله عليه وسلم} قال إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة
 لا يزن جناح بعوضة (ذلك جزاؤهم جهنم) معناه الامر ذلك الذي ذكرت من حبوط اعمالهم وخيبة قدرهم
 ثم ابتداء سبحانه فقال جزاؤهم جهنم (بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) اي بكفروهم واتخاذهم آياتي
 اي اداتي الدالة على توحيدى يعني القرآن ورسلي هزوا اي مهزوا به

قوله تعالى (١٠٧) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا**

(١٠٨) **خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا** (١٠٩) **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي**

لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١١٠) **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**

يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ

بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا أربع آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ان ينفذ بالياء والباقون تنفذ باتاء وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابن مسعود
 ومجاهد وسليمان التيمي ولو جئنا بمثله مدادا

✽ الحجة ✽

قال ابو علي تنفذ باتاء احسن لأن المسند اليه الفعل موثث والمذكر حسن ايضا لأن التانيث ليس بحقيقي
 ومن قرأ مددا فهو منصوب على الحال كما يقال جنتك بزيد عونا لك ومددا لك ويجوز ان ينتصب على المصدر
 بفعل مضمير يدل عليه قوله ولو جئنا بمثله فكأنه قال امددنا به امدادا ثم وضع مددا موضع امدادا وقال الزجاج هو
 منصوب على التمييز ومن قال جئنا بمثله مدادا فإنه ينتصب على التمييز والمعنى بمثله من المداد ويكون مثل

قولك لي مثله عبدا اي من العبيد وعلى التمرة مثلها زبدا اي من الزبد

— (اللغة) —

الفردوس البستان الذي يجتمع فيه التمر والزهر وسائر ما يتبع ويلد قال الزجاج هو البستان الذي يجمع محاسن كل بستان قال وقال قوم ان الفردوس الاودية التي تنبت ضروبا من النبت وقالوا هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية ولم تجده في اشعار العرب الا في بيت حسان

فان ثواب الله كل موحد جنان من الفردوس فيها يخلد

والحول التحول يقال قد حال من مكانه حولا كما قالوا في المصادر صغر صغرا وعظم عظما وعاد في حيا عودا وقيل إن الحول ايضا الحيلة وقيل ان الحول بمعنى التحويل يقال حولوا عنها تحويلا وحولا عن الأزهرى وابن الأعرابي والمداد الذي يكتب به والمدد المصدر وهو مجي شي بعد شي والكلمة الواحدة من الكلام وقد يقال للقصيدة كلمة لأنها قطعة واحدة من الكلام (وما) يسأل عنه فيقال إن الكلمات لأقل العدد فكيف جاء بها هاهنا والجواب أن العرب تستغني بالجمع القليل عن الجمع الكثير وبالكثير عن القليل قال الله تعالى وهم في الغرفات آمنون والغرف في الجنة أكثر من ان تحصى وقال هم درجات عند الله وقال حسان

لنا الجففات الغري لمعن في الضحى واسيا فنا يقطن من تجدة دما

وكان ابو علي الفارسي ينكر الحكاية التي تزوى عن النابغة وانه قال حسان قلت جفنا تكتم واسيا فكم فقال لا يصح هذا عن النابغة

✽ الاعراب ✽

إن جمعت تولا بمعنى المنزل فهو خبر كان على ظاهره وان جعلته بمعنى ما يقام للنازل قدرت المضاف على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها تولا ويجوز أن يكون تولا جمع نازل فيكون نصبا على الخال من الضمير في اهم ومعنى كان انه كان في علم الله تعالى قبل ان يخلقوا عن ابن الانباري وقوله فيعمل يجوز كسر اللام واسكانها والاصل الكسر إلا انه يشقل في اللفظ

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر حال الكافرين عقبه سبحانه بذكر حال المؤمنين فقال (إن الذين آمنوا) اي صدقوا الله ورسوله (وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس) اي كان في حكمهم الله وعلمه لهم بساتين الفردوس وهو اطيب موضع في الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها عن قتادة وقيل هو الجنة الملتفة الأشجار عن قتادة وقيل هو البستان الذي فيه الأعتاب عن كعب وروى عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض الفردوس اعلاها درجة منها تفجر انهار الجنة الاربعة فاذا سألتهم الله تعالى فاسألوه الفردوس (تولا) اي منزلا ومأوى وقيل ذات تزول (خالدين فيها) أي دائمين فيها (لا ييغنون عنها حولا) اي لا يطلبون عن تلك الجنات تحولا إلى موضع آخر لطيبتها وحصول مرادهم فيها ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ فقال (قل) يا محمد لجميع المكافين (لو كان البحر) وهو اسم الجنس اي لو كان البحر بانه (مسدادا لكلمات ربي) اي مدادا ليكتب به ما يقدر الله عليه من الكلام والحكم وقيل أراد بالكلمات ما يقدر سبحانه على ان يخلقه من الاشياء ويأمر به كما قال في عيسى (ع) وكلمته القاها إلى مريم وقيل أراد بالكلمات ما وعد لأهل الثواب واعد لأهل العقاب عن ابي مسلم (لنفد البحر) اي لنفنى ماء البحر (قبل ان تنفد كلمات ربي) وقيل ان كلماته المراد بها مقدراته وحكمته وعجائبه وقوله (ولو جئنا بمثله مددا) اي ولو جئنا بمثل البحر مددا له اي عونا وزيادة لما نفد ذلك وقيل أراد بكلمات ربي معاني كلمات ربي وفوائدها وهي القرآن وسائر كتبه ولم يرد

بذلك اعيان الكلمات لانه قد فرغ من كتابتها فيكون تقدير قل لو كان البحر مدادا لكتابة معاني
كلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفذ كتابة معاني كلمات ربي فحذف لأن المعنى مفهوم والمداد هو الجاني والآتي
شيئا بعد شيء قال ابن الانباري سمي المداد مدادا لامداده الكاتب ويقال للزيت الذي يوقد به السراج مداد
وروي عكرمة عن ابن عباس قال لما نزل قوله وما أوتيتهم من العلم إلا قليلا قالت اليهود أوتينا علما كثيرا
أوتينا التوراة وفيها علم كثير فأنزل الله هذه الآية ولذلك قال الحسن أراد بالكلمات العلم فإنه لا يدرك ولا يحصى
ونظيره ولو ان مافي الأرض من شجرة اقلام الآية ثم قال (قل) يا محمد (انما انا بشر مثلكم) قال ابن
عباس علم الله نبيه التواضع لئلا يزهى على خلقه فأمره ان يقر على نفسه بأنه ادني كغيره الا أنه اكرم بالوحي
وهو قوله (يوحى إلي انما اهلكم اله واحد) لا شريك له اي لا فضل لي عليكم إلا بالدين والنبوة ولا علم لي
إلا ما علمنيه الله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه) اي فمن كان يطعم في لقاء ثواب ربه ويأمله ويقرب بالبعث
اليه والوقوف بين يديه وقيل معناه فمن كان يخشى لقاء عقاب ربه وقيل ان الرجاء يشتمل على كلا المعنيين الخوف
والأمل وانشد في ذلك قول الشاعر

فلا كل ما ترجو من الخير كائن ولا كل ما ترجو من الشر واقع

(فليعمل عملا صالحا) اي خالصا لله تعالى يتقرب به اليه (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) غيره من ملك او بشرا
حجرا او شجرة عن الحسن وقيل معناه لا يراني في عبادته احد اعن سعيد بن جبير وقال مجاهد جاء رجل إلى النبي ﷺ
فقال اني اتصدق واصل الرحم ولا اصنع ذلك الا لله فيذكر ذلك مني واحمد عليه فيسرنني ذلك واعجب به
فسكت رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا فنزلت الآية قال عطاء عن ابن عباس ان الله تعالى قال ولا يشرك
بعبادة ربه احدا ولم يقل ولا يشرك به لأنه أراد العمل الذي يعمل لله ويجب ان يحمد عليه قال ولذلك يستحب
للرجل أن يدفع صدقته إلى غيره ليقسمها كيلا يعظمه من يصله بها وروي عن النبي ﷺ انه قال قال الله عز
وجل انا اغني الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا اشرك فيه غيري فأنا منه بري فهو للذي اشرك اوردته مسلم في
الصحيح وروي عن عبادة بن الصامت وشداد بن أوس قال سمعنا رسول الله ﷺ يقول من صلى صلاة يراني بها
فقد اشرك ومن صام صوما يراني به فقد اشرك ثم قرأ هذه الآية وروي ان ابا الحسن الرضا (ع) دخل يوما على
المأمون فرآه يتوضأ للصلاة والغلام يصب على يده الماء فقال لا تشرك بعبادة ربك أحدا فصرف المأمون الغلام
وتولى اتام وضوئه بنفسه وقيل ان هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن وروي الشيخ ابو جعفر بن بابويه باسناده
عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي (ع) قال ما من عبد يقرأ قل انما انا بشر مثلكم إلى آخره إلا
كان له نوراني مضمعه إلى بيت الله الحرام فلئن كان من أهل البيت الحرام كان له نورا إلى بيت المقدس وقال ابو
عبد الله (ع) ما من أحد يقرأ آخر الكهف عند النوم الا يتيقظ في الساعة التي يريد

✽ النظم ✽

وجه اتصال الآية الثانية وهي قوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي بما قبلها انه لما تقدم الأمر
والنهي والوعد والوعيد وعقب ذلك سبحانه ببيان ان مقدراته لا تنتهي وانه قادر على ما يشاء في افعاله وأوامره
على حسب المصالح فمن الواجب على المكلف ان يمثل أمره ونهيه ويتقرب بوعده ويتقي وعيده



سورة مريم «ع»

وهي مكية بالاجماع

✽ عدد آياتها ✽

وهي ثمان وتسعون آية عراقية شامية والمدني الأول وتسع مكية والمدني الأخير

✽ اختلافها ✽

ثلاث آيات كهيعص كوفي الرحمن مدا غير الكوفي في الكتاب ابراهيم مكية والمدني الأخير

✽ فضلها ✽

ابن بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها اعطي من الاجر بعدد من صدق بزكريا وكذب به ويحيى ومريم وعيسى وموسى وهارون و ابراهيم واسحاق ويعقوب واسماعيل عشر حسنات وبعدد من دعى لله ولدا وبعدد من لم يدع له ولدا وقال الصادق (ع) من اد من قراءة سورة مريم لم يميت في الدنيا حتى يصيب منها ما يغنيه في نفسه وماله ووالده وكان في الآخرة من اصحاب عيسى بن مريم (ع) واعطي من الاجر في الآخرة ملك سليمان ابن داود في الدنيا

✽ تفسيرها ✽

ختم الله سبحانه سورة الكهف بذكر التوحيد والدعاء اليه وافتتح هذه السورة بذكر الانبياء الذين كانوا على تلك الطريقة بعثا على الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم وحثا عليه فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) كهيعص (٢) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا (٣) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٥) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٦) يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ست آيات في أنكوفي وخمس في غيرهم

✽ القراءة ✽

قرأ أبو عمرو كهيعص بأماله ها وفتح يا وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان وحزة وخلف بفتحها وأماله يا وقرأ الكسائي بأماله ها ويا وروي ذلك عن يزيد بن علي بن الحسين بن محمد بن علي الباقر وابن يعمر وسعيد بن جبير وقرأ أبو عمرو والكسائي يرثني ويرث بالجزم فيها والباقر بالرفع فيها وفي الشواذ قراءة الحسن ذكر رحمة ربك وقراءة عثمان وابن عباس وزيد بن ثابت وعلي بن الحسين ومحمد بن علي الباقر وابن يعمر وسعيد بن جبير وإني خفت الموالي بفتح الخاء وتشديد الفاء وكسر التاء وقراءة علي بن أبي طالب (ع) وابن عباس وجعفر بن محمد وابن يعمر والحسن والحجدري وقتادة وإني نهيك يرثني وأرث من آل يعقوب

✽ الحجة ✽

قال أبو علي القول في امالة هذه الحروف انها لا تمتنع لأنها ليست بحروف معنى وإنما هي أسماء. هذه الاصوات قال سيبويه قالوا بأمالها لأنها أسماء لما يتهجى به فجازت فيها الامالة كما جازت في الاسماء ويدلك على انها أسماء انك إذا اخبرت عنها اعربت ها وان كنت لا تعربها قبل ذلك كما ان أسماء العدد إذا اخبرت عنها اعربت ها فكما ان أسماء العدد

قبل ان تعربها اسما فكذلك هذه الحروف هو إذا كانت اسماء ساغت الامالة فيها فأما من لم يعل فعلى مذهب أهل الحجاز وكلهم اخفى نون عين الا حفصا فإنه بين النون وقال ابو عثمان وبيان النون مع حروف التثنية الخن إلا ان هذه الحروف تجري على الوقف عليها والقطع لها عما بعدها فحكمها البيان وان لا تخفى فكذلك اسما العدد حكمها على الوقف وعلى انها منفصلة عما بعدها وما يبين انها على الوقف انهم قالوا ثلاثة اربعة نقلوا حركة الهمزة الى الهاء لسكونها ولم يقلوها تا. وان كانت موصولة لما كانت النية بها الوقف فكذلك النون ينبغي ان تبين لأنها في نية الوقف والانفصال مما بعدها ولم يبين ان يستدل بتركهم قطع الهمزة في ألم الله ألا ترى ان الهمزة لم تقطع وان كان ما هي منه في تقدير الانفصال مما قبله فكذلك لم يبين النون من عين لأنها جعلت في حكم الاتصال كما كانت الهمزة فيناذ كرنا كذلك قال ابو الحسن التبيين يعني تبين النون اجود في العربية لأن حروف الهجاء والعدد يفصل بعضها من بعض كما قال وعامة القراء على خلاف التبيين ووجه الرفع في قوله يرثني ويرث إنني أنه سأل ربه وليا وارثا وليس المعنى على الجزء اي ان وهبته يرث ووجه الجزم انه على الجزء وجواب الدعاء ومن قرأ يرثني وأرث فمعناه التجريد وتقديره فهب لي وليا يرثني منه وأرث من آل يعقوب وهذا الوارث نفسه قال ابن جنى قال وهذا ضرب من العربية غريب فكأنه جرد منه وارثا ومثله قوله تعالى لهم فيها دار الخلد وهي نفسها دار الخلد فكأنه جرد من النار دارا وعليه قول الاخطل

بنزوة لص بعد ما مر مصعب
باشعث لا يفلى ولا هو يقفل

ومصعب نفسه هو الاشعث فكأنه استخلص منه اشعث وأما قراءة الحسن ذكر رحمة ربك فلون فاعل ذكر ضمير ما تقدم اي هذا المثلون من القرآن الذي هذه الحروف اوله وفاتحته بذكر رحمة ربك وعلى هذا ايضا يرتفع قوله ذكر رحمة ربك اي هذا القرآن ذكر رحمة ربك وإن شئت كان التقدير ومما نقص عليك ذكر رحمة ربك فيكون على الوجه الأول ذكر خبر مبتدأ وعلى الوجه الثاني يكون مبتدأ ومن قال خفت الموالي فمعناه قل بنوعمي واهلي ومعنى من ورائي اي من اخلفه بعدي فقوله من ورائي حال متوقفة محكية اي متصورا متوقفا كونهم بعدي ومثله مسألة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي متصورا به صيده به غدا

❖ اللغة ❖

الوهن الضعف ونقصان القوة يقال وهن يهن وهنا والاشتعال انتشار شعاع النار وقواه واشتعل الرأس شيما من احسن الاستعارات والمعنى اشتعل الشيب في الرأس وانتشر كما ينتشر شعاع النار قال الزجاج يقال للشيب إذا كثر جدا قد اشتعل رأس فلان وانشد للبيد

ان تربي رأسي امسى واضحا
سلط الشيب عليه فاشتعل

والدعاء طلب الفعل من المدعو وفي مقابلته الاجابة كما ان في مقابلة الامر الطاعة والمولى اصله من الولي وهو القرب وسمي ابن العم مولى لانه يليه في النسب وقال ابن الانباري في كتاب مشكل القرآن المولى في اللغة ينقسم على ثمانية اقسام المنعم المعتق والمنعم عليه المعتق والولي والاولى بالشيء وابن العم والجار والصهر والخليف واستشهد على كل قسم من هذه الاقسام بشيء من الشعر ومما استشهد به في انه بمعنى الولي والاولى قول الاخطل

فأصبحت مولاها من الناس بعده
وقوله ايضا يخاطب بني أمية

اعطاكم الله جدا تنصرون به
لا جدا لصغيرا بعد محتقر
لم يأشروا فيه إذ كانوا مواليه
ولو يكون لقوم غيرهم أشروا

والعاقر المرأة التي لا تلد يقال إمراة عاقر ورجل عاقر لا يولد له ولد قال الشاعر
لبس الفتى ان كنت اسودعاقرا جباناً في عذري لدى كل محضر
والعقر في البدن الجرح ومنه أخذ العاقر لأنه نقص أصل الحلقة أما بالجراحة وأما بامتناع الولادة وعقرت
الفرس بالسيف ضربت قوائمه والجعل على اربعة اقسام بمعنى الاحداث كقولهم جعل البناء اي احداثه وبمعنى ان يحدث
ما يتغير به كقولهم جعل الطين خزفاً وبمعنى ان يحدث فيه حكماً كقولهم جعل فلانا فاسقا اي بما احداث فيه
من حكمه وتسميته وبمعنى ان يحدث ما يدعوه إلى ان يفعل كقولهم جعله ان يقتل زيدا اي بأن أمره به ودعاه
إلى قتله

✽ الاعراب ✽

ذكر مرتفع بالمضمر وتقديره هذا الذي يتلوه عليك ذكر رحمة ربك وهو مصدر مضاف إلى ما هو المفعول في
المعنى ورحمة مصدر مضاف إلى الفاعل وعنده مفعول ورحمة زكريا بدل من عبده او عطف بيان ويقرب القصر والمد قوله قال
رب اني وهن العظم مني بيان وتفسير للنداء الخفي وشيئا منصوب على التمييز والتقدير واشتعل الرأس من الشيب
بدعائك تقديره بدعائي اياك فالمصدر مضاف الى المفعول كقوله من دعاء الخير وبسؤال نعبتك

✽ المعنى ✽

(كهيمص) قد بينا في اول البقرة اختلاف العلماء في الحروف المعجم التي في أوائل السور وشرحنا اقوالهم
هناك وحدث عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال ان كاف من كريم وها من هاد ويا من
حكيم وعين من عليم وصاد من صادق وفي رواية عطا والكلي عنه ان معناه كاف خلقه هاد لعباده يده فوق
أيديهم عالم ببيته صادق في وعده وعلى هذا فإذن كل واحد من هذه الحروف يدل على صفة من صفات الله عز وجل
وروي عن امير المؤمنين (ع) انه قال في دعائه اسألك يا كهيمص (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) أي هذا خبر
رحمة ربك زكريا عبده ويعني بالرحمة اجابته اياه حين دعاه وسأله الولد زكريا اسم نبي من انبياء بني اسرائيل
كان من اولاد هارون بن عمران اخي موسى بن عمران وقيل ان معناه ذكر ربك عبده بالرحمة (إذ نادى ربه نداء
خفياً) أي حين دعا ربه دعاء خفياً خافياً سرا غير جهر يخفيه في نفسه لا يريد به رياء وفي هذا دلالة على ان المستحب
في الدعاء الاخفاء وان ذلك اقرب إلى الاجابة وفي الحديث خير الدعاء الخفي وخير الرزق ما يكفي وقيل انها اخفاء
لئلا يهزأ به الناس فيقول انظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد على الكبر (قال رب اني وهن العظم مني) اي ضعف
وإنما اضاف الوهن إلى العظم لأن العظم مع صلابته إذا ضعف وتناقص فكيف باللحم والعصب وقيل إنها خص
العظم لانه شكاً ضعف البطش والبطش إنما يكون بالعظم دون اللحم وغيره (واشتعل الرأس شيئا) معناه
ان الشيب قد عم الرأس وهو نذير الموت عن ابي مسلم وقيل معناه تلاً الشيب في رأسي لكثرة عن ابن الانباري
وصف حاله خضوعاً وتذلاً لا تعريفاً (ولم اكن بدعائك رب شقياً) اي ولم اكن بدعائي اياك فيما مضى مخيباً
محروما والمعنى انك قد عودتني حسن الإجابة وما خيبتني فيما سألتك ولا حرمتني الاستجابة فيما دعوتك فلا تخيبني
فيا اسألك ولا تحرمني اجابتك فيما ادعوك يقال شقي فلان بجاخته إذا تعب بسببها ولم يحصل مطلوبه منها (واني
خفت الموالي) وهم الكلاله عن ابن عباس وقيل العصبه عن مجاهد وقيل لهم العمومة وبنو العم عن ابي جعفر (ع)
وقيل بنو العم وكانوا اشرار بني اسرائيل عن الجبائي وقيل هم الورثة عن الكلبي (من ورائي) اي من خلفي
(وكانت امرأتي عاقراً) اي عقياً لا تلد (فهب لي من لدنك ولياً) اي ولدا يليني فيكون اولي ببيرائي (يرثني) ان
قرأته بالجزم فالمعنى ان تهبه لي يرثني وان رفعت جملته صفة لولي والمعنى وليا وارثاً لي (ويرث من آل يعقوب)
وهو يعقوب بن ماثان وأخوه عمران بن ماثان ابو مريم عن الكلبي ومقاتل وقيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم

لأن زكريا كان متزوجا باخت ام مريم بنت عمران ونسبها يرجع إلى يعقوب لأنها من ولد سليمان بن داود (ع) وهو من ولد يهوذا بن يعقوب وزكريا من ولد هارون وهو من ولد لاوي بن يعقوب عن السدي ثم اختلف في معناه فقيل معناه يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة عن ابي صالح وقيل معناه يرث نبوتي ونبوة آل يعقوب عن الحسن ومجاهد واستدل اصحابنا بالآية على ان الأنبياء يورثون المال وأن المراد بالارث المذكور فيها المال دون العلم والنبوة بأن قالوا إن افظ الميراث في اللغة والشرعية لا يطبق إلا على ما ينتقل من الموروث إلى الوراث كالأموال ولا يستعمل في غير المال إلا على طريق المجاز والتوسع ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز بغير دلالة أيضا فإن زكريا (ع) قال في دعائه (واجعله رب رضا) أي اجعل يارب ذلك الولي الذي يرثني مرضيا عندك ممثلا لأمرك ومتى حملنا الارث على النبوة لم يكن لذلك معنى وكان اغوا عبثا ألا ترى انه لا يحسن أن يقول احد اللهم ابعث لنا نبيا واجعله عاقلا مرضيا في اخلاقه لأنه إذا كان نبيا فقد دخل الرضا وما هو اعظم من الرضا في النبوة ويقوي ما قلناه أن زكريا صرح بأنه يخاف بني عمه بعده بقوله وإني خفت الموالي مني ورائي وإنما يطلب وارثا لأجل خوفه ولا يلبق خوفه منهم إلا بالمال دون النبوة والعلم لأنه (ع) كان اعلم بالله تعالى من ان يخاف أن يبعث نبيا من ليس باهل للنبوة وأن يورث علمه وحكمته من ليس لهما باهل ولانه وإنما بعث لاداعة العلم ونشره في الناس فكيف يخاف من الأمر الذي هو الغرض في بعثته فان قيل ان هذا يرجع عليكم في وراثة المال لان في ذلك اضافة الضن والبخل اليه قلنا معاذ الله ان يستوي الأمران فإن المال قد يرزق المؤمن والكافر والصالح والطالح ولا يمتنع ان يأسى على بني عمه إذا كانوا من اهل الفساد أن يظفروا بهما فيصرفوه فيما لا ينبغي بل في ذلك غاية الحكمة فان تقوية الفساق واعانتهم على افعالهم المذمومة محظورة في الدين فمن عد ذلك بخلا وضنا فهو غير منصف وقوله خفت الموالي من ورائي يفهم منه ان خوفه إنما كان من اخلاقهم وفعالهم ومعاني فيهم لا من اعيانهم كما ان من خاف الله تعالى فإنه خاف عقابه فالمراد به خفت تضيع الموالي مالي وانفاقهم اياه في معصية الله تعالى

قوله تعالى (٧) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (٨)
 قَالَ رَبِّ إِنِّي بَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٩) قَالَ
 كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (١٠) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ
 لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ الْأَنْتُكَلِمَ النَّاسِ ثَلَاثَ لَبَّالٍ سَوِيًّا (١١) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ
 فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي عتيا وصليا وجشيا وبكيا بكسر اوائلها وحذف كذلك إلا في بكيا فإنه يضم الباء منها والباقون بالضم في الجميع وقرأ حمزة والكسائي خلقناك والباقون خلقتك

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي اعلم أن ما كان على فعول كان على ضربين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون جمعا والآخر أن يكون مصدرا وقد جاءت احرف في غير المصادر وهي قليلة والجمع إذا كان على فعول من معتل اللام جاء على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون اللام واوا والآخر أن يكون ياء فما كانت اللام منه واوا من هذه الجموع قلبت إلى الياء وذلك نحو حقو وحقني وعصا ونصي وقد جاءت حروف قليلة من ذلك على الاصل فمن ذلك ما حكاه سيويه من

قولهم انكم لتنظرون في نحو كثيرة وقواهم فتو في جمع فتى فما كان كذلك فإن كسر الفاء فيه مطرد وذلك نحو ولي وحقى وعصي وإنما جاز ذلك لأنها غيرت تغييرين وهما ان الواو التي هي لام قلبت والواو التي كانت قبلها قلبت ايضا فلما غيرت تغييرين قويا على هذا التغيير من كسر الفاء وأما ما كان لامة ياء نحو ثدي وحلي ونجى فقد كسروا الفاء ايضا منه فقالوا حلي وثدي وإن لم يغير تغييرين فقد اجروا الياء هاهنا مجرى الواو كما اجروا الياء في اتسر واتبس افتعل من اليسر واليبس مجرى الواو وفي اتصل واتهب فأما ما كان من ذلك مصدرا فما كان من الواو فالقياس فيه ان يصح نحو العتو والعلوان واوه لم يلزمها الانقلاب كما يلزمها الانقلاب في الجمع ولكن لما كانوا قد قلبوا الواو في هذا النحو وإن كان مفردا نحو معدى ومرضى قلبوا ذلك ايضا في نحو عتي ثم اجرى المصدر مجرى الجمع في كسر الفاء منه فأما ما كان من هذه المصادر من الياء فليس يستمر الكسر في فائه كما استمر في الجمع وفي المصادر التي من الواو ألا ترى ان الماضي في نحو فما استطاعوا مضيا ليس أحد يروي فيه الكسر فيما علمنا وحكى ابو عمرو عن ابي زيد أوى اليه اوريا وبما يؤكده الكسر في هذا النحو وإنهم قد قالوا قسي فأزموها كسر القاف وذلك إنه قلبت الواو إلى موضع اللام فلما وقعت موقعها قلبت كما تقاب الواو إذا كانت لاما وكسرت الفاء والزمت الكسرة وحجة من قال قد خلقتك ان قبله قال ربك وحجة من قال خلقتك قوله فيما بعد وحنا من لدنا ولأنه قد جاء بلفظ الجمع بعد لفظ الافراد قال سبحانه الذي أسرى بمبعده ثم قال وآتيناه موسى الكتاب

✽ اللغة ✽

الغلام اسم المذكر أول ما يبلغ ومنه اشتق اغتلم الرجل اذا اشتدت شهرته للجماع ثم يستعمل في التلميذ فيقال غلام تغلب العتي والعسي بمعنى يقال عتايعتوا عتوا وعتيا وعسى يعرعو عسا وعسا فهو عات وعاس إذا غير طول الزمان إلى حال اليبس والجفاف وفي حرف ابي وقد بلغت من الكبر عتيا والايحاء القاء المعنى إلى النفس في خفية بسرعة وأصله من قولهم الوحي الوحي اي الاسراع الاسراع

✽ الاعراب ✽

اسمه يحيى جملة اسمية مجرورة الموضع صفة الغلام كذلك في موضع رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف اي الامر كما قيل لك ولم تك أصله لم تكن حذف التنوين منه أكثرته في الكلام فكانه جزم مرتين وسويا منصوب على الحال ان سبحوا يجوز ان يكون التقدير اي سبحوا ويجوز ان يكون انه سبحوا فخفض واضمر الاسم ولم يعرض من المضمرة شيئا كقوله لولا أن من الله علينا كما جاء العوض في قوله ليعلم ان قد ابلغوا وعلم ان سيكون منكم مرضى وحسبوا أن لا تكون فتنة فيمن رفع وبكرة وعشيا منصوبان على الظرف

= (المعنى) =

(يا زكريا انا نبشرك بغلام) هاهنا حذف معناه فاستجاب الله دعاء زكريا وادعى اليه يا زكريا انا نبشرك على السنة الملائكة بخبر يرى السرور به في وجهك وهو ان يولد لك ابن (اسمه يحيى) وقد تقدم تفسيره في سورة آل عمران (لم نجعل له من قبل سميا) اي لم يسم أحد قبله باسمه عن قتادة وابن جريج والسدي وابن زيد وفي هذا تشریف له من وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان الله سبحانه تولى تسميته ولم يكلفها إلى الابوين والاخر أنه سماه باسم لم يسبق اليه يدل ذلك الاسم على فضله وقال ابو عبد الله (ع) وكذلك الحسين (ع) لم يكن له من قبل سميا ولم تبتك السماء إلا عليهما اربعين صباحا قيل له وما كان بكأوها قال كانت تطلم حمراء وتقيب حمراء وكان قاتل يحيى ولد زنا وقاتل الحسين (ع) ولد زنا وروى سفيان بن عيينه عن علي بن زيد عن علي بن الحسين (ع) قال خرجنا مع الحسين (ع) فما نزل منزلا ولا ارتحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا وقال يوما ومن هو ان الدنيا على الله عز وجل ان رأس يحيى بن زكريا اهدي إلى بغي من بغايا بني اسرائيل وقيل إن معنى قوله

لم نجعل له من قبل سميا لم تلد العواقر مثله ولدا وهو كقوله هل تعلم له سميا اي مثلا عن ابن عباس ومجاهد (قال رب انى يكون لي غلام) فسرناه في سورة آل عمران (وكانت امرأتى عاقرا) قال الحسن إنما قال ذلك على جهة الاستخباراي أتعيدنا شابين أم ترزقنا الولد شيخين (وقد بلغت من الكبر عتيا) معناه وقد بلغت من كبر السن إلى حال اليأس والجفاف ونحول العظم عن قتادة ومجاهد قال قتادة كان له بضع وتسعون سنة (قال كذلك) اي قال الله سبحانه الأمر على ما أخبرتك من هبة الولد على الكبر (قال ربك هو علي هين) أرد عليك قوتك حتى تقوى على الجماع وافتق رحم امرأتك بالولد عن ابن عباس (وقد خلقتك من قبل) اي من قبل يحيى (ولم تك شيئا) اي انشأتك وأوجدتك ولم تك شيئا موجودا فإزالة عقر زوجتك وإزالة ما يمنع قبول الولد ايسر في الاعتبار من ابتداء الاشياء وروى الحكم بن عيينة عن ابي جعفر (ع) قال إنما ولد يحيى بعد البشارة له من الله بخمسة سنين (قال) ذكر يا (رب اجعل لي آية) اي دلالة وعلامة استدلل بها على وقت كونه (قال) الله تعالى (آيتك) اي علامتك على ذلك (ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) اي وانت سوي صحيح سليم من غير علة قال ابن عباس اعتقل لسانه من غير مرض ثلاثة أيام وقال قتادة والسدي اعتقل لسانه من غير بأس ولا خرس فإنه كان يقرأ الزبور ويدعو إلى الله وبسبحه ولا يمكنه ان يكلم الناس وهذا أمر خارج عن العادة (فخرج على قومه من المحراب) اي من مصلاه عن ابن زيد وسمي المحراب محرابا لأن المتوجه اليه في صلاته كالمحارب للشيطان على صلاته والاصل فيه مجلس الاشراف الذي يحارب دونه ذبا عن أهله قالوا وكان زكريا قد اخبر قومه بما بشر به فلما خرج عليهم وامتنع من كلامهم علموا إجابة دعائه فسروا به (فأوحى اليهم) أي أشار اليهم وأوحى بيده وقيل كتب لهم في الارض عن مجاهد (ان سبحوا بكرة وعشيا) أي صلوا بكرة وعشيا عن الحسن وفتادة وتسمى الصلاة سبعة وتسيحا لما فيها من التسبيح وقيل أراد التسبيح بعينه وقال ابن جريج أشرف عليهم زكريا من فوق غرفة كان يصلي فيها لا يصعد اليها إلا يسلم وكانوا يصلون معه الفجر والعشاء فكان يخرج اليهم فيأذن لهم بلسانه فلما اعتقل لسانه خرج على عادته وأذن لهم بغير كلام ففرغوا عند ذلك انه قد جاء وقت حمل امرأته يحيى فمكث ثلاثة أيام لا يقدر على الكلام معهم ويقدر على التسبيح والدعاء

قوله تعالى (١٢) يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأْتِينَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٣) وَحَنَانًا مِّنْ

لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٤) وَبَرًّا بَوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (١٥) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا أَرْبَعُ آيَاتٍ

✽ اللغة ✽

اصل الحنان الرحمة يقال حنانك وحنانك وقال امرؤ القيس

ويعنحها بنوشمجي بن جرم
معيضم حنانك ذا الحنان
وقال آخر

قالت حنان ما أنى بك هاهنا
اذونسب أم أنت بالحي عارف
اي امرنا حنان قال ابو عبيدة واكثر ما يستعمل بلفظ التثنية قال طرفه

ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا
حنانك بعض الشراهنون من بعض
وتحنن عليه اي تعطف عليه قال الخطيبه لعمر بن الخطاب

تحنن علي هدك المليك
فإن لكل مقام مقالا

(١٧) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٨) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٩) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (٢٠) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بِغِيًّا خمس آيات

✽ القراءة ✽

قرأ ابو عمرو وورش وقالون برواية الحلواني وبمعقوب ليهب بالياء والباقون لأهب بالهمزة

✽ الحجة ✽

قال ابو علي حجة من قال لأهب فأسند الفعل إلى المتكلم والهبة لله تعالى ومنه إن الرسول والوكيل قد يسند هذا النحو إلى نفسه وإن كان الفعل للموكل او المرسل للعلم بأنه مترجم عنه ومن قال ليهب لك فهو على تصحيح اللفظ في المعنى ففي قوله تعالى ليهب ضمير من قوله ربك وهو سبحانه الواهب وزعموا ان في حرفي ابي وابن مسعود ليهب ولو خفت الهمزة من لأهب لكان في قول ابي الحسن ليهب فنقلها ياء محضة وفي قول الخليل لأهب يجعلها بين الياء والهمزة

✽ اللمة ✽

التبذ اصله الطرح والانتبذ افتعال منه ومنه قوله فنبذوه وراء ظهورهم اي القوه وانتبذ فلان ناحية اي تمنحى ناحية وجلس فلان نبذة من الناس ونبذة بفتح النون وضمها اي ناحية وإنما يقال ذلك إذا جلس قريبا منهم حتى لو نبذوا اليه شيئا لوصل اليه فالانتبذ اخذ الشيء بالقاء غيره عنه والمكان الشرقي الذي كان في جهة الشرق قال جرير

هبت جنوب فذكرى ما ذكرتم عند الصفاة إلى شرقي حوران

✽ الاعراب ✽

مكانا نصب على الظرف بشرا سويا منصوب على الحال

✽ المعنى ✽

ثم عطف سبحانه قصة مريم وعيسى «ع» على قصة زكريا ويحيى «ع» فقال (واذ كر في الكتاب) اي في كتابك هذا وهو القرآن (مريم) أي حديث مريم وولادتها عيسى وصلاحها ليقسدي الناس بها ولذكون معجزة لك (اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا) اي اتردت من أهلها إلى مكان في جهة المشرق وقعدت ناحية منهم قال ابن عباس انما اتخذت النصارى المشرق قبلة لانها انتبذت مكانا شرقيا وقيل اتخذت مكانا تفرد فيه للعبادة لثلاث تشغل بكلام الناس عن الجبائي وقيل تباعدت عن قومها حتى لا يرونها عن الاصم وابي مسلم وقيل انها تمت ان تجد خلوة فتغلي رأسها فخرجت من يوم شديد البرد فجلست في مشرقه للشمس عن عطا (فاتخذت من دونهم حجابا) اي فضربت من دون أهلها لثلاثا يروها سترها وحاجزا بينها وبينهم (فأرسلنا إليها روحنا) يعني جبرائيل (ع) عن ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم وسماه الله روحا لأنه روحاني واصله إلى نفسه تشريفا له (فتمثل لها بشرا سويا) معناه فأثابها جبرائيل فانتصب بين يديها في صورة آدمي صحيح لم ينقص منه شيء وقال ابو مسلم ان الروح الذي خلق منه المسيح تصور لها انسان والاول هو الوجه لاجماع المفسرين عليه وقال عكرمة كانت مريم اذا حاضت خرجت من المسجد وكانت عند خالتها امرأة زكريا ايام حيضها فلم اذا طهرت عادت إلى بيتها في المسجد فبينما هي في مشرقه لها في ناحية الدار وقد ضربت بينها وبين أهلها سترًا تتغسل وتمشط اذ دخل عليها جبرائيل في صورة رجل شاب

أورد سوي الخلق فانكرته فاستعازت بالله منه (قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) معناه اني اعتصم بالرحمن من شرك فاخرج من عندي ان كنت تقيا «سؤال» يقال كيف شرطت في التعوذ منه ان يكون تقيا والتقيا لا يحتاج ان يتعوذ منه وانما يتعوذ من غير التقى «والجواب» ان التقى اذا تعوذ بالرحمن منه ارتدع عما يسخط الله ففي ذلك تخويف وترهيب له وهذا كما تقول ان كنت مؤمنا فلا تظلمني فالمعنى ان كنت تقيا فاتعظوا وارجع روي عن علي (ع) انه قال علمت ان التقى ينهأ التقى عن المعصية وقيل ان معنى قوله ان كنت تقيا ما كنت تقيا حيث استحللت النظر اليّ وخلوت بي فلما سمع جبرائيل (ع) منها هذا القول (قال) لها (إنما انا رسول ربك لأهب لك) وقد بينا معنى القرائتين (غلاما زكيا) اي ولدا طاهرا من الادناس وقيل ناميا في افعال الخير وقيل يريد نبيا عن ابن عباس (قالت) مريم (اني يكون لي غلام) اي كيف يكون لي ولد (ولم يمسن بشرا) على وجه الزوجية (ولم اك بغيا) اي ولم اكن زانية وانما قالت ذلك لأن الولد سيفي العادة يكون من احدى هاتين الجهتين والمعنى اني لست بذات زوج وغير ذات الزوج لا تلد الا عن فجور ولست فاجرة وإنما يقال للفاجرة بغى بمعنى انها تبغي الزنا اسية تطلبه وفي هذه الآيات دلالة على جواز اظهار المعجزات لغير الانبياء لأن من المعلوم ان مريم ليست بنبيه وان روية الملك على صورة البشر وبشارة الملك اباها وولادتها من غير وطئ الى غيرها من الآيات التي أتناها الله بها من اكبر المعجزات ومن لم يجوز اظهار المعجزات على غير النبي اختلفت اقوالهم في ذلك قال الجبائي وابنه انها معجزات لذكريا (ع) وقال البلخي انها معجزات لعيسى على سبيل الارهاص والتأسيس لنبوته

قوله تعالى (٢١) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢٢) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٣) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا (٢٤) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٥) وَهَزَيْتِ إِلَيْهِ الْجَيْدَ فَأَسْقَطَتِ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا (٢٦) فَكَلِمِي وَأُشْرِي وَفَرِي عَيْنًا فَأَمَّا تَرْبِيَّتٌ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقَوْلِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٧) فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٨) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا (٢٩) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٣٠) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا عَشْرَ آيَاتٍ

القراءة

قرأ حمزة وحفص نسيا بفتح النون والباقون نسيا بكسر النون وقرأ من تحتها بكسر الميم أهل المدينة والكوفة غير ابي بكر وسيل والباقون من تحتها وقرأ حفص عن عاصم تساقط بضم التاء وكسر القاف وقرأ أحمد عن عاصم وبصير عن الكسائي ويعقوب وسهل بساقط بالياء وتشديد السين وقراءة حمزة تساقط بفتح التاء وتخفيف السين والباقون تساقط بفتح التاء وتشديد السين وفي الشواذ قراءة مسروق بساقط بضم الياء وتخفيف السين وقرأ طلحة بن سليمان رطبا جنيا بكسر الجيم فأما تربيين بسكون الياء والتخفيف

- الحجة -

قال ابو علي قال ابو الحسن النسي هو الشيء الخفير ينسى نحو النعل والسوط وقال غيره النسي اغفل ما من شيء حقير وقال بعضهم ما اذا ذكر لم يطلب وقالوا الكسر اعلى اللغتين قال الشنفرى

كان لها في الأرض نسيا تقصه على امها وان تخاطبك تبلت

وقال في قوله من تحتها انه جبرائيل او عيسى وقال بعض اهل التأويل لا يكون الا عيسى (ع) ولا يكون جبرائيل لأنه لو كان جبرائيل لناداها من فوقها وقد يجوز ان يكون جبرائيل وليس قوله لمن تحتها يراد به الجهة السفلى وإنما المراد من دونها بدلالة قوله قد جعل ربك تحتك سرىا ولم يكن النهر محاذيا لهذه الجهة ولكن المعنى جعله دونك وقد يقال فلان تحتنا اي دوننا في الموضع والاشبه ان يكون المتنادي لها عيسى فإنه اشد ازالة لما خامر قلبها من الاغتمام واذا قال من تحتها كان عاما وضع موضع الخاص والمراد به عيسى قال والوجوه كلها كما في تساقط متفقة في المعنى الا قراءة حفص الا ترى ان من قرأ تساقط إنما هي تساقط فحذف التاء التي بدغمها غيره وكلهم جعل فاعل الفعل الذي هو تساقط او تساقط في رواية حفص النخلة ويجوز ان يكون فاعل تساقط او تساقط هي جذع النخلة الا انه لما حذف المضاف اسند الفعل الى النخلة في اللفظ فأوما تعدبتهم تساقط فهو تفاعل لأن تفاعل مطاوع فاعل فكما عدي نحو تفعل في نحو تجرعه وتمززه فكذلك عدي تفاعل فمما جاء من ذلك في الشعر قول اوفى بن مطر

تخاطأت النبل احشاءه وأخر يومي فلم يعجل

وقول الآخر

تطالعنا خيالات بسلمى كما بتطالع الدين الغريم

وقول امرئ القيس

ومثلك بيضاء العوارض طفلة لعوب تناساني اذا قمت سربالي

اراد تنسيني ومن قرأ بالياء امكن ان يكون فاعله الهزلان قوله هزي قد دل عليه فإذا كان كذلك جاز ان يضمه كما اضمر الكذب في قوله من كذب كان شراله ويمكن ان يكون الجذع ويجوز في الفعل اذا اسند الى الجذع وجهان **أحدهما** ان الفعل اضيف الى الجذع كما اضيف الى النخلة برمتها لأن الجذع معظمها **والآخر** ان يكون الجذع منفردا عن النخلة يسقط عليها ويكون سقوط الرطب من الجذع آية لعيسى (ع) وبصير سقوط الرطب من الجذع اسكن لنفسها واشد ازالة لاهتمامها وسقوط الرطب من الجذع منفردا من النخل مثل رزقها الذي كان يأتيها المحراب في قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا الى قوله هو من عند الله وقوله رطبيا في هذه الوجوه منصوب على انه مفعول به ويجوز في قوله تساقط عليك اي تساقط عليك ثمرة النخلة رطبيا فحذف المضاف الذي هو الثمرة ويكون انتصاب رطب على الحال وجاز ان يضم الثمر وان لم يجر لها ذكر لأن ذكر النخلة يدل عليها فأما الباء في قوله وهزي اليك يجذع النخلة فيحتمل امرين **أحدهما** ان يكون زيادة كقوله التي بيده والتي بيده وقوله

بواد يمان ينبت الشث صدره واسفله بالمرخ والشبهان

ونحو ذلك ويجوز ان يكون المعنى وهزي اليك بهز جذع النخلة رطبيا كما قال ذو الرمة

وصوح البقل نتاج تجيى به هيف يمانية في مرها نكب

اي تجيى بمجيئة هيف يعني اذا جاء النتاج جاء الهيف وكذلك اذا مزت الجذع هزت بهزه رطبيا اي فأذا

هزرت الرطب سقط واما قراءة مسروق يساقط فإنه بمعنى يسقط شيئا بعد شيء وانشد ابن جني قول ضابني البرحمي
يساقط عنه ورقه ضارباتها سقاط حديد القين اخول اخولا

اي يسقط قرن هذا الثور ضاربات كلاب الصيد لطعنه اياها به شيئا بعد شيء واما قراءة طلحة رطب اجنيا
فإنه اتبع كسرة الجيم كسرة النون قال ابن جني شبه النون وان لم يكن من حروف الحلق بين في نحو الشخير
والنخير والرغيف واما تيرين نهى شاذ لكنه جاء في لغة اثبات النون في الجزم وانشد ابو الحسن
لولا فوارس من قيس واسرئهم يوم الصليفاء لم يوفون بالجار

اللغة

القصي البعيد والقاصي خلاف الداني وقوله فأجاءها اي جاء بها المخاض وهو مما يعدى تارة بالباء وتارة
بهمزة النقل قال زهير

وجار سار معتمد اعلىنا اجاءته المخاوف وألرجاء

اي جاءت به وبروى جاء قال الكسائي تميم تقول ما اجاءك الى هذا وما امشاك اليه ومن امثالهم شرا جاءك
الى محبة عرقوب وتميم تقول امشاك والسري النهر لأنه يسري بجريانه قال ابويد

فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلامها

ويقال قررت به عينا اقر قرورا فهي لغة قريش واهل نجد يقولون قررت به بفتح العين اقر قرورا كما يقولون
قررت بالمكان بالفتح والجنبي بمعنى المجني من جنيت الثمرة واجنيتها اذا قطعها وقال ابن اخت حذيمه
هذا جنابي وخياره فيه

وفي معناه قول الكميتم يمدح أهل البيت «ع»

جنانون في ذي كفهم اربوا خيارها يجتنون فيه اذا

قال ابو مسلم القرني مأخوذ من فرى الأديم إذا قطعه على وجه الاصلاح ثم يستعمل في الكذب وقال الزجاج
يقال فلان بفري القرني إذا كان يعمل عملا يبالغ فيه قال الرازي «قد كنت تفرين به القرينا»

الاعراب

عينا منصوب على التمييز فأما تراين أصله تراين إلا ان الاستعمال بغير همز والياء فيه ضمير المؤنث وإنما
حركت لالتقاء الساكنين وهما الياء والنون الأولى من المشددة كما تقول للمرأة ارضين زيدا وقوله من كان في
المهد صبيا كان هنا بمعنى الحدوث والوقوع والتقدير كيف نكلم من وجد في المهد صبيا نصب على الحال من كان
ومثل كان هاهنا قوله وإن كان ذو عسرة ومثله قول الربيع

إذا كان الشتاء فادفوني فإن الشيخ يهدمه الشتاء

ويجوز ان يكون كان هنا مزبدة كما في قول الشاعر

جياذ بني ابي بكر تسامي على كأن المسومة العراب

فعلى هذا يكون العامل في الحال نكلم قال الزجاج الاجود أن يكون من في معنى الشرط والجزاء فيكون
المعنى من يكن في المهد صبيا فكيف نكلمه ويكون صبيا حالا كما تقول من كان لا يسمع ولا يعقل فكيف
أخاطبه

* المعنى *

(قال كذلك) اي قال لها جبرائيل حين سمع تعجبها من هذه البشارة الامر كذلك اي كما وصفت لك
(قال ربك هو علي هين) اي احداث الولد من غير زوج للمرأة سهل متأت لا يشق علي (ولنجعله آية للناس)
معناه ولنجعله علامة ظاهرة وآية باهرة للناس على نبوته ودلالة على براءة أمه (ورحمة منا) له ولنجعله نعمة منا على
الخلق يهتدون بسببه (وكان أمرا مقضيا) اي وكان خلق عيسى من غير ذكر أمرا كائنا مفرغا عنه محتوما
قضى الله سبحانه بأن يكون وحكم به (فحملته) اي فحملت مريم بعيسى فحبلت في الحال قيل ان جبرائيل أخذ
ردن قميصها باصبعه فنفخ فيه فحملت مريم من ساعتها ووجدت حس الحمل وقيل نفخ في كمها فحملت عن
ابن جريج وروي عن الباقر (ع) إنه تناول جيب مدرعتها فنفخ فيه فتخه فكل الولد في الرحم من ساعتها كما
يكل الولد في ارحام النساء تسعة اشهر فخرجت من المستحجم وهي حامل محج مثقل فنظرت اليها خالتها فأنكرتها
ومضت مريم على وجهها مستحجة من خالتها ومن زكريا (فالتبذت به مكانا قصيا) اي تنحت بالحمل إلى مكان
بعيد وقيل معناه اقردت به مكانا بعيدا من قومها حياء من أهلها وخوفا من أن يتهموها بسوء واختلفوا في مدة
حملها فقيل ساعة واحدة قال ابن عباس لم يكن بين الانتباز والحمل إلا ساعة واحدة لأنه تعالى لم يذكّر بينها
فصلا لأنه قال فحملته فالتبذت به فأجاءها والفاء للتعقيب وقيل حملت به في ساعة وصور في ساعة ووضعته في
ساعة حين زاغت الشمس من يومها وهي بنت عشر سنين عن مقاتل وقيل كانت مدة حملها تسع ساعات وهذا
مروي عن ابي عبد الله (ع) وقيل ستة اشهر وقيل ثمانية اشهر وكان ذلك آية وذلك انه لم يعش مولود وضع لثمانية اشهر غيره
(فأجاءها الخاض) اي اجاها الطلق اي وجع الولادة (إلى جذع النخلة) فالتبذت اليها لتستند اليها عن ابن
عباس ومجاهد وقتادة والسدي وقيل أجاءها اي جاء بها قال ابن عباس نظرت مريم إلى آفة فصعدت مسرعة
اليها فإذا عليها جذع نخلة نخرة ليس لها سيف والجذع ساق النخلة والالف واللام دخلت للعهد لا للجنس اي
النخلة المعروفة فلما ولدت (قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) اي شيئا حقيرا متروكا عن ابن
عباس وقيل شيئا لا يذكّر ولا يعرف عن قتادة وقيل حيضة ملقاة عن عكرمة والضحاك ومجاهد قال ابن عباس
فسمع جبرائيل كلامها وعرف جزعها (فناداها من تحتها) (وكان اسفل منها تحت آفة) (ألا تحزني) وهو قول
السدي وقتادة والضحاك ان المتادي جبرائيل ناداها من سفح الجبل وقيل ناداها عيسى عن مجاهد والحسن ووهب
وسعيد بن جبير وابن زيد وابن جرير والجبائي وإنما تمت «ع» الموت كراهية لأن يعصي الله فيها وقيل استحياء
من الناس ان يظنوا بها سوءاً عن السدي وروي عن الصادق «ع» لأنها لم تر في قومها رشيدا فافراسته يترها من
السوء (قد جعل ربك تحتك سريا) اي ناداها جبرائيل او عيسى ليزول ما عندها من الغم والجزع لا تقتضي قد
جعل ربك تحت قدميك نهرا تشيرين منه وتظهرين من النفاس عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير قالوا وكان
نهرا قد انقطع الماء عنه فامر الله الماء فيه لمريم واحيى ذلك الجذع حتى أثمر واورق وقيل ضرب جبرائيل (ع)
برجله فظهر ماء عذب وقيل بسل ضرب عيسى برجله فظهرت عين ماء تجري وهو المروي عن ابي جعفر (ع)
وقيل السري عيسى (ع) عن الحسن وابن زيد والجبائي والسري هو الشريف الرفيع قال الحسن كان والله عبدا سريا
(وهزي اليك بجذع النخلة) معناه اجذبني اليك بجذع النخلة والباء مزيدة وقال الفراء العرب تقول هزه وهز به (تساقط
عليك رطبا جنيا) مر معناه وقال الباقر (ع) لم تستشف النفساء بمثل الرطب ان الله اطعمه مريم في تقاسمها وقالوا
ان الجذع كان يابس لا ثمر عليه اذ لو كان عليه ثمر لهزته من غير ان تؤمر به وكان في الشتاء فصار معجزة بخروج
الرطب في غير اوانه وبخروج دفعة واحدة فإن العادة ان يكون نورا اولاً ثم يصير بلحا ثم يسرا وروي انه لم يكن
للجذع رأس فضرته برجلها فاورقت واثمرت وانتثر عليها الرطب جنيا والشجرة التي لا رأس لها لا تثمر في

العادة وقيل ان تلك النخلة كانت برنية وقيل كانت عجوة وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) (فكلي واشربي) اي كلي يا مريم من هذا الرطب واشربي من هذا الماء (وقري عينا) جاء في التفسير وطيبى قسا وقيل معناه لتقر عينك سرورا بهذا الولد الذي تربين لأن دمة السرور باردة ودمة الحزن حارة وقيل معناه اتسكن عينك سكون سرور برويتك ما تحبين (فإما تربين من البشر احدا) فسألك عن ولدك (فقولي اني نذرت للرحمن صوما) اي صمنا عن ابن عباس والمعنى اوجبت على نفسي لله ان لا اتكلم وقيل صوماي امساكا عن الطعام والشراب والكلام عن قتادة وانما امرت بالصمت ليكفيها الكلام ولدها بما يبرى به ساحنها عن ابن مسعود وابن زيد وهب وقيل كان في بني اسرائيل من اراد ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم الصائم حتى يمسي بدل على هذا قوله (فلن اكل اليوم انيسا) اي اني صائم فلن اكل اليوم احدا وكان قد اذن لها ان تتكلم بهذا القدر ثم تسكت ولا تتكلم بشئ آخر عن السدي وقيل كان الله تعالى امرها بان تنذر لله الصمت واذ اكلها احد تومي بأنها نذرت لله صمنا لأنه لا يجوز ان يأمرها بأن تخبر بانها نذرت ولم تنذر لأن ذلك كذب عن ابي علي الجبائي (فأتت قوتها تحمله) اي فأتت مريم بعيسى حاملة له وذلك انها لفته في خرقة وحملته الى قومها (قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) اي امر عظيم بديعا اذ لم تلد اثني قبلك من غير رجل عن مجاهد وقاتدة والسدي وقيل امر قبيحا منكرا من الافتراء وهو الكذب عن الجبائي (يا اخت هارون) قيل فيه اقوال **احدها** ان هارون هذا كان رجلا صالحا في بني اسرائيل ينسب اليه كل من عرف بالصلاح عن ابن عباس وقاتدة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة يرفعه الى النبي (ص) وقيل انه لما مات شيع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هارون فقولهم يا اخت هارون معناه يا شبيهة هارون في الصلاح ما كان هذا معروف منك **وثانيها** ان هارون كان اخاها لا ييها ليس من امها وكان معروف بحسن الطريقة عن الكلبى **وثالثها** ان هارون اخو موسى (ع) فنسبت اليه لأنها من ولده كما يقال با اخت تميم عن السدي **ورابعها** انه كان رجلا فاسقا مشهورا بالهجر والفساد فنسبت اليه وقيل لها يا شبيهة في قبح فعله عن سعيد بن جبير (ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا) اي كان ابوك صالحين فمن ابن جئت بهذا الولد (فاشارت اليه) اي فاومت الى عيسى (ع) بأن كلموه واستشهدوه على براءة ساحتي فتعجبوا من ذلك ثم (قالوا كيف نكلم من كان في المهدي صيبا) معناه كيف نكلم صيبا في المهدي وقيل صيبا في الحجر رضيعا وكان المهدي حجر امه الذي تربيه فيه اذ لم تكن هيأت له مهديا عن قتادة وقيل انهم غضبوا عند اشارتها اليه وقالوا السخرتها بنا اشد علينا من زناها فلما تكلم عيسى (ع) قالوا ان هذا الامر عظيم عن السدي (قال) عيسى (ع) (اني عبد الله) قدم اقراره بالعبودية ليبتل به قول من يدعي له الربوبية وكان الله سبحانه انطقه بذلك لعلمه بما يقوله الغالون فيه ثم قال (اتاني الكتاب وجعلني نبيا) اي حكم لي باتيان الكتاب والنبوة وقيل ان الله تعالى اكمل عقله في صغره وارسله الى عباده وكان نبيا مبعوثا الى الناس في ذلك الوقت مكلفا عاقلا ولذلك كانت له تلك المعجزة عن الحسن والجبائي وقيل انه كلمهم وهو ابن اربعين يوما عن وهب وقيل يوم ولد عن ابن عباس واكثر المفسرين وهو الظاهر وقيل ان معناه اني عبد الله سيؤتيني الكتاب وسيجعلني نبيا وكان ذلك معجزة لمريم (ع) على براءة ساحتها

قوله تعالى (٣١) **وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**

(٣٢) **وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا** (٣٣) **وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا** (٣٤) **ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ** (٣٥) **مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** خمس آيات

✽ القراءة ✽

قرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول الحق بالنصب والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة ابي مجلز وابي نهيك وبرا بوالدتي بكسر الباء

✽ الحجة ✽

قال ابو علي قول الحق الرفع فيه على ان قوله ذلك عيسى بن مريم كلام والمبتدأ المضمر ما دل عليه هذا الكلام اي هذا الكلام قول الحق ويجوز ان يضم هو ويجعله كتابة عن عيسى «ع» اي هو قول الحق لأنه قد قيل فيه روح الله و كلمته والكلمة قول وأما النصب فعلى ان قوله ذلك عيسى بن مريم يدل على احق قول الحق وتقول هذا زيد الحق لا الباطل لأن قولك هذا زيد عندك بمنزلة أحق فكأنك قلت أحق الحق وأحق قول الحق ومن قال وبرا بوالدتي فكأنه قال والزمي برا بوالدتي ويكون معطوفا على موضع الجار والمجرور من قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة وعليه بيت الكتاب «بذهبن في نجد وغوراغورا» اي وبسلكن غورا وان شئت حملته على حذف المضاف بمعنى وجعاني ذا بر وان شئت جعلته اياه على المبالغة كقول الخنساء «فإنما هي اقبال وادبار»

✽ اللفظة ✽

السلام مصدر سلمت والسلام جمع سلامة والسلام اسم من اساء الله تعالى وسلام مما يبشأ به في النكرة لأنه اسم يكثر استعماله يقال سلام عليك والسلام عليك واسماء الاجناس يكثر الابتداء بها وفائدة نكرتها قريب من فائدة معرفتها تقول لبيك وخير بين يديك وإن شئت قلت والخير بين يديك الا أنه لما جرى ذكر سلام قبل هذا الموضع بغير الف واللام كان الاحسن ان يرد ثانية بالالف واللام

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه تمام كلام عيسى «ع» فقال (وجعلني مباركا أينما كنت) اي وجعلني معلما للخير عن مجاهد وقيل نفاعا حيث ما توجهت والبركة نماء الخير والمبارك الذي ينتمي للخير به وقيل ثابتا دائما على الايمان والطاعة وأصل البركة الثبوت عن الجبائي (وأوصاني بالصلاة والزكاة) أي بإقامة الصلاة وأداء الزكاة (مادمت) اي مابقيت (حيا) مكفأ (وبرا بوالدتي) اي واجعلني بارا بها وودي شكرها فيما قاسته بسببي (ولم يجعلني جبارا) اي متجبرا (شقيا) والمعنى اني بلطفه وتوفيقه كنت محسنا إلى والدتي متواضعا في نفسي حتى لم أكن من الجبابرة الاشقياء (والسلام علي) اي والسلامة علي من الله (يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) اي في هذه الاحوال الثلاث وقد مر تفسيرها قبل في قصة يحيى وفي هذه الآيات دلالة على انه يجوز ان يصف الإنسان نفسه بصفات المدح إذا أراد تعريفها إلى غيره لا على وجه الاختيار قيل ولما كلمهم عيسى «ع» بهذا علموا براءة مريم ثم سكت عيسى «ع» فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان (ذلك عيسى بن مريم) معناه ذلك الذي قال ابي عبد الله عيسى بن مريم لا ما يقوله النصارى من انه ابن الله وأنه آله (قول الحق) مر معناه في الحجة (الذي فيه يمترون) اي يشكون بعني اليهود والنصارى فزعمت اليهود انه ساحر كذاب وزعمت النصارى انه ابن الله وثالث ثلاثة وقيل هو امترأ النصارى واختلافهم فبعضهم قالوا هو الله وقال بعضهم ابن الله وقال بعضهم ثالث ثلاثة ثم كذبهم الله تعالى فقال (ما كان لله ان يتخذ من ولد) معناه ما كان ينبغي لله ان يتخذ من ولد اي ما يصلح له ولا يستقيم عن ابن الانباري قال فنابت اللام عن الفعل وذلك ان من اتخذ ولدا فإنما يتخذ من جنسه لأن الولد مجانس للوالد والله تعالى ليس كمثل شئ فلا يكون له سبحانه ولد ولا يتخذ ولدا وقوله من ولد من هذه هي الذي تدل على تقي الواحد والجماعة فالمعنى أنه لا يجوز ان يتخذ ولدا واحدا ولا أكثر ثم نزه سبحانه نفسه عن ذلك فقال (سبحانه) ثم بين السبب في كون عيسى من غير اب فقال (إذا قضى أمرا

فإنما يقول له كن فيكون) وقد مر تفسيره فيما مضى والمعنى أنه لا يتعذر عليه إيجاء شيء على الوجه الذي أرادته
قوله تعالى (٣٦) وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٣٧) فَاخْتَلَفَ
الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٨) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ
يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٩) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ
قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٤٠) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا
يُرْجَعُونَ خمس آيات

(= القراءة =)

قرأ أهل الكوفة وابن عامر وروح وزيد عن يعقوب وإن الله بكسر الهمزة والباقون بالفتح

✽ الحجة ✽

قال ابو علي حجة من كسر انه جعله مستأنفا كما ان المعطوف عليه مستأنف وحجة من فتح انه حملة على
قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة وبأن الله ربي وربكم

✽ الإعراب والمعنى ✽

قوله (وان الله ربي وربكم) من فتح الهمزة ففيه أربعة اوجه ✽ احدها ✽ ان المعنى وقضى ان الله ربي وربكم
عن ابي عمرو بن العلاء ✽ والثاني ✽ انه معطوف على كلام عيسى اي وأوصاني بأن الله ربي وربكم ✽ والثالث ✽
ذلك عيسى بن مريم وذلك ان الله ربي وربكم عن الفراء ✽ والرابع ✽ ان العامل فيه فاعبدوه والتقدير
ولأن الله ربي وربكم (فاعبدوه) فحذف الجار ومن كسر الهمزة جاز ان يكون معطوفا على قوله قال ابي عبد الله
اي وقال إن الله ربي وربكم وجاز ان يكون ابتداء كلام من الله تعالى أو أمر من الله لرسوله ان يقول ذلك
وقوله (هذا صراط مستقيم) معناه هذا طريق واضح فالزموه وقيل إن المعنى هذا الذي أخبرتمكم إن الله أمرني
به هو الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه (فاختلف الاحزاب من بينهم) الاختلاف في المذهب ان يعتقد
كل قوم خلاف ما يعتقد الآخرون والاحزاب جمع حزب وهو الجمع المنقطع في رأيه عن غيره وتجزوا اي
صاروا احزابا فالمعنى أن الاحزاب من أهل الكتاب اختلفوا في عيسى «ع» فقال قوم منهم هو الله وهم اليعقوبية
وقال آخرون هو ابن الله وهم النسطورية وقال آخرون هو ثالث ثلاثة وهم الاسرائيلية وقال المسلمون هو عبد الله
عن قتادة ومجاهد وإنما قال من بينهم لأن منهم من ثبت على الحق وقيل ان من زائدة والمعنى اختلفوا بينهم (فويل)
اي فشدّة عذاب وهي كلمة وعيد (للذين كفروا) بالله بقولهم في المسيح (من مشهد يوم عظيم) المشهد بمعنى
الشهود والحضور اي من حضورهم ذلك اليوم وهو يوم القيامة وسمي عظيما لعظم احواله وقيل ويصل لهم من مجمع
يوم اي من الفضيحة على رؤوس الجمع يومئذ (اسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) قيل فيه وجهان ✽ احدها ✽
ان التقدير صاروا ذوي سمع وبصر والجار والمجرور في موضع رفع لأنه فاعل اسمع والمعنى ما اسمعهم وأبصرهم
يوم القيامة وان كانوا في الدنيا صما وبكما عن الحق عن الحسن ومعناه الاخبار عن قوة علومهم بالله تعالى في تلك
الحال ومثله قوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) يعني ان
الكافرين في الدنيا آثروا الهوى على الهدى فهم في ذهاب عن الدين وعدول عن الحق والمراد أنهم في الدنيا
جاهلون وفي الآخرة عارفون حيث لا تنفعهم المعرفة وقال ابو مسلم وهذا يدل على ان قوله سبحانه صم بكم عمي
ليس معناه الآفة في الأذن واللسان والعين بل هو انهم لا يتدبرون ما يسمعون ويرون ولا يعتبرون ألا ترى انه

جعل قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين في مقابلته فأقام السمع والبصر مقام الهدى إذ جعله في مقابلة الضلال المبين ﴿٥١﴾ والثاني ﴿٥٢﴾ ان معناه اسمعهم وابصرهم اي بصرهم وبين لهم انهم إذا أتوا مع الناس إلى موضع الجزاء سيكونون في ضلال مبين عن الجنة والثواب عن الجبائي قال ويجوز أن يكون المعنى أسمع الناس بهؤلاء الأنبياء وابصرهم بهم ليعرفوهم ويعرفوا خبرهم فيؤمنوا بهم لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم يعني يوم القيامة في ضلال عن الجنة وهذا بعيد وقد استدرك على الجبائي في قوله والأولى والأظهر في الآية الوجه الأول (وانذرهم يوم الحسرة) الخطاب للنبي ﷺ والمعنى خوف يا محمد كفار مكة يوم يتحسر المسي هلا احسن العمل والمحسن هلا ازداد من العمل وهو يوم القيامة وقيل إنما يتحسر المستحق للعقاب فأما المؤمن فلا يتحسر وروى مسلم في الصحيح بالاستناد عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قيل يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون وقيل يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيجاء بالموت كأنه كبش املاح فيقال لهم تعرفون الموت فيقولون هذا هذا وكل قد عرفه قال فيقدم فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت قال وذلك قوله وانذرهم يوم الحسرة الآية ورواه اصحابنا عن ابي جعفر «ع» وابي عبد الله «ع» ثم جاء في آخره فيفرح أهل الجنة فرحا لو كان أحد يومئذ ميتا لما اتوا فرحا ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتا لما اتوا (إذ قضي الأمر) اي فرغ من الأمر وانقطعت الآمال وأدخل قوم النار وقوم الجنة وقيل معناه اتقضى امر الدنيا فلا يرجع اليها الاستدراك الفائق وقيل معناه حكم بين الخلائق بالعدل وقيل قضي على أهل الجنة بالخلود وقضي على أهل النار بالخلود (وهم في غفلة) في الدنيا عن ذلك ومعناه إنهم مشغولون اليوم بما لا يعينهم غافلون عن احوال الآخرة (وهم لا يؤمنون) اي لا يصدقون بذلك ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها) أي نمت سكانها فترثها ومن عليها من العقلاء لأننا نمتهم ونهلكهم فلا يبقى فيها مالك ومتصرف (والينا يرجعون) اي إلينا يردون بعد الموت اي إلى حيث لا يملك الأمر والنهي غيرنا

قوله تعالى (٤١) واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا (٤٢) إذ قال لا يبي يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا (٤٣) يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فأتبعني أهدك صراطا سويا (٤٤) يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا (٤٥) يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا (٤٦) قال أرأيت أنت عن الهني يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمك وأهجرني مليا (٤٧) قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفييا (٤٨) وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا (٤٩) فلما أعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا (٥٠) ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

قد ذكرنا الاختلاف بين القراء في قوله يا أبت والوجه في ذلك في سورة يوسف «ع»

﴿ اللمة ﴾

الصدق هو كثير التصديق بالحق حتى يصير علما فيه والرغبة عن الشيء تقبض الرغبة فيه والترغيب الدعاء

إلى الرغبة في الشيء والانتفاء الامتناع من الفعل المنهي عنه يقال نهاه عن الأمر فانهى وأصله النهاية والنهي زجر
عن الخروج من النهاية المذكورة والتناهي بلوغ نهاية الحد والرجم الرمي بالحجارة والرجم الشتم وأصله من الرجم
والرجم وهو الحجارة والملي الدهر الطويل قال الفراء يقال كنت عندنا ملووملوة وملووملوة وملووملوة وملووملوة وكله من طول المقام
والخفي المستقضي في السؤال والخفي اللطيف بعموم النعمة وأصل الباب الاستقصاء تقول تخفيت به أي بالغت في
إكرامه وحفوته من كل خير بالغت في منعه واحفيت شاربي بالغت في أخذه حتى استأصلته واحفيت في السؤال
بالغت وكل شيء استوصل فقد احتفي وتقول العرب جاءني لسان فلان أي مدحه وذمه قال عامر بن الحرث

إني أنتني لسان لا أسر بها من علو لاعجب منها ولا سخر

جاءت مرجمة قد كنت احذرها لو كان ينفعني الاشفاق والحذر

✽ الاعراب ✽

قال الزجاج العرب تقول في النداء يا ابت ويا أمت ولا يقال قال ابني كذا وقالت امي كذا وزعم الخليل
وسيبويه انها بمنزلة قولهم يا عمه ويا خالة وزعم انه بمنزلة قولهم رجل ربة وغلाम بفعه وان الهاء عوض من باء
الاضافة في يا ابني ويا أمي وقوله مليا منصوب على الظرف وكلام مفعول جعلنا

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه قصة ابراهيم (ع) فقال (واذكر) يا محمد (في الكتاب) أي القرآن (ابراهيم) انه كان
صديقاً أي كثير التصديق في أمور الدين عن الجبائي وقيل صادقا مبالغاً في الصدق فيما يخبر عن الله تعالى عن
أبي مسلم (نيباً) أي علياً رفيع الشأن برسالة الله تعالى (إذ قال لأبيه) أزر (يا أبت) أي يا ابني ودخلت التاء
للمبالغة في تحقيق الإضافة (لم تعبد ما لا بسمع) دعاء من يدعوه (ولا يبصر) من يتقرب اليه ويعبده (ولا
بغني عنك شيئاً) من أمور الدنيا أي لا يكفيك شيئاً فلا تنفعك ولا بضررك (يا أبت) أي قد جاءني من العلم
بالله والمعرفة (ما لم يأتك فاتبعني) على ذلك واقتدي بي فيه (اهدك صراطاً سوياً) أي أوضح لك طريقاً مستقيماً
معتدلاً غير جائر بك عن الحق إلى الضلال (يا أبت لا تعبد الشيطان) أي لا تطعه فيما يدعوك اليه
فتكون بمنزلة من عبده ولا شبهة ان الكافر لا يعبد الشيطان ولكن من أطاع شيئاً فقد عبده (إن الشيطان كان
لرحمناً عصياً) أي عاصياً (يا أبت) أي أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن (أي يصيبك عذاب من جهة الله سبحانه
لاصرارك على الكفر) فتكون للشيطان ولياً (أي فتكون موكولاً إلى الشيطان وهو لا يغني عنك شيئاً عن
الجبائي وقيل معناه فتكون لاحقاً بالشيطان باللعن والخذلان واللاحق يسمى التالي والذي يتلو الشيء والذي
يليه سواء عن أبي مسلم وقيل فتكون له قربناً في النار وقيل معناه فيكون الشيطان ولي نصرتك ولم يقل
فيكون الشيطان وليك لأنه ابلغ في الفضيحة وإنما أراد زجره عن موالاة الشيطان لا تحقيق النصره بعني إذا
لم يكن لك الانصرته فأنت مخذول لا ناصر لك وقد بينا فيما مضى ان الذي يقوله اصحابنا ان هذا الخطاب
من ابراهيم (ع) إنما توجه إلى من سماه الله أباً له لأنه كان جداً لابراهيم (ع) لانه وان أباه الذي ولده كان اسمه
تارخ لاجماع الطائفة على ان أباه نبينا ﷺ إلى آدم (ع) كلهم مسلمون موحدون ولما روي عنه ﷺ
انه قال لم يزل ينقاني الله تعالى من اصلاب الطاهرين إلى ارحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا والكافر
غير موصوف بالطهارة لقوله تعالى إنما المشركون نجس (قال) أزر مجيباً لابراهيم (ع) حين دعاه إلى الإيمان
(أراغب أنت عن آلهي) أي أعرض أنت عن عبادة آلهي التي هي الاصنام (يا ابراهيم) وتارك لها وزاهد
فيها (لئن لم تنته) أي لئن لم تمتنع عن هذا (لأرجمنك) بالحجارة عن الحسن والجبائي وقيل لأرمينك بالذنب

والعيب واشتمنك عن السدي وابن جريج وقيل معناه لأقتلنك (واهجرني مليا) اي فارقتي دهرآ طوبلا عن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير والسدي وقيل مليا سويا سليما عن عقوبتي عن ابن عباس وقتادة وعطا والضحاك من قولهم فلان ملي بهذا الأمر اذا كان كاملا فيه مضطعا به (قال) ابراهيم (سلام عليك) سلام توديع وهجر على اللفظ الوجه وهو سلام متاركة ومباعدة منه عن الجبائي وابي مسلم وقيل هذا سلام اكرام وير فقابل جفوة ابيه بالبر تأدية لحق الابوة اي هجرتك على وجه جميل من غير عقوق (سأستغفر لك ربي) قيل فيه اقوال * احدها * انه إنما وعده بالاستغفار على مقتضى العقل ولم يكن بعد قد استقر قبح الاستغفار للمشركين * وثانيها * انه قال سأستغفر لك ربي على ما يصح ويجوز من ترك عبادة الاوثان واخلاص العبادة لله تعالى عن الجبائي * وثالثها * ان معناه سادعو الله ان لا يعذبك في الدنيا عن الأصم (انه كان في حفيا) اي بارآ لطيفارحيا عن ابن عباس ومقاتل وقيل ان الله عودني احسانه وكان لي مكرما وقيل كان عالما بي وبما ابتغيه من مجادلتيك لعله يهديك (واعتز لكم وما تدعون من دون الله) اي واتنحى منكم جانبا واعتزل عبادة ما تدعون من دونه من الاصنام (وادعوا) اي واعبد (ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا) كما شقيتم بدعاء الاصنام وانما ذكر عسى على وجه الخضوع وقيل معناه لعله يقبل طاعتي وعبادتي ولا اشقى بالرد فان المؤمن بين الرجاء والخوف (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) اي فارقتهم وهاجرهم الى الارض المقدسة (وهبنا له اسحاق) ولدا (ويعقوب) ولد (وكلا جعلنا نبيا) اي انسانا وحشته من فراقهم باولاد كرام على الله وكلا من هذين جعلناه نبيا يقتدى به في الدين (وهبنا له من رحمتنا) اي نعمتنا سوى الاولاد والنبوة من نعم الدين والدنيا (وجعلناهم لسان صدق عليا) اي ثناء حسنا في الناس عليا مرتفعا سائرا في الناس و كل اهل الاديان يتولون ابراهيم وذريته وبثنون عليهم ويدعون انهم على دينهم وقيل معناه واعلينا ذكرم بان محمدا ^{صلى الله عليه وآله وسلم} وامته يذكر ونهم بالجميل الى قيام القيامة وقيل هو ما بقى في الشهد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم

قوله تعالى (٥١) واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا (٥٢) ونادينا من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا (٥٣) وهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا (٥٤) واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا (٥٥) وكان يا مؤرأهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا خمس آيات

✽ القراءة ✽

قرأ اهل الكوفة مخلصا بفتح اللام والباقون مخلصا بكسرها

✽ الحجة ✽

من كسر اللام فحجته واخلصوا دينهم لله ومن فتحها فحجته انا اخلصناهم

✽ اللفظة ✽

يقال ناجاه بناجيه اذا اختصه بكلام القاه اليه واصل النجاة الارتفاع من الارض ومنه النجاة ايضا وهو الارتفاع عن الهلكة والنجاة السرعة لأنه ارتفاع في السير ومنه المناجاة لأنه ارتفاع الحديث الى المحدث والنجي بمعنى المناجي كالجليس والضجيع وقيل نجى مصدر بمعنى ارتفاع لأن معنى قربناه رفعناه ويجوز ان يكون التقدير وقربناه مكانا رفيعا

المعنى

ثم ذكر سبحانه حديث موسى (ع) فقال (واذكر) يا محمد (في الكتاب) الذي هو القرآن (موسى انه كان مخلصا) اخلص العبادة لله تعالى واخلص نفسه لاداء الرسالة وفتح اللام يكون معناه اخلصه الله بالنبوة واختاره للرسالة (وكان رسولا) الى فرعون وقومه (نبيا) رفيع الشأن عالي القدر (وناديه من جانب الطور الايمن) الطور جبل بالشام ناداه الله تعالى من جانبه اليمين وهي بين موسى وقيل من جانب اليمين من الطور يريد حيث اقبل من مدين ورأى النار في الشجرة وهو قوله يا موسى اني انا الله رب العالمين (وقربناه نجيا) اي مناجيا كليما قال ابن عباس قربه الله وكلمه ومعنى هذا التقريب انه اسمعه كلامه وقيل قربه حتى سمع صرير القلم الذي كتبت به التوراة وقيل قربناه اي ورفعنا منزلته واعلينا محله حتى صار محله منا في الكرامة والمنزلة محل من قربه مولاه في مجلس كرامته فهو تقريب كرامة واصطفاء لا تقرب مسافة وادناه اذ هو سبحانه لا يوصف بالحلول في مكان فيقرب من بعد او يبعد من قرب او يكون احد اقرب اليه من غيره (ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا) اي انعمنا عليه باخيه هارون حيث قال واجعل لي وزيرا من اهلي هارون وجعلناه نبيا اشركناه في امره وشددنا به ازره (واذكر في الكتاب) الذي هو القرآن (اسماعيل) بن ابراهيم ايضا (انه كان صادق الوعد) اذا وعد بشي وفي به ولم يخلف (وكان) مع ذلك (رسولا نبيا) الى جرهم وقد مضى معناه قال ابن عباس انه واعد رجلا ان ينتظره في مكان ونسي الرجل فانتظره سنة حتى اتاه الرجل وذلك مروى عن ابي عبد الله (ع) وقيل اقام ينتظره ثلاثة ايام عن مقاتل وقيل ان اسماعيل بن ابراهيم (ع) مات قبل ابيه ابراهيم (ع) وان هذا هو اسماعيل بن حزقيل بعثه الله الى قومه فسلخوا جلدة وجهه وفروة رأسه فضخيره الله فيما شاء من عذابهم فاستغفاه ورضي بشوابه وفوض امرهم الى الله تعالى في عفوه وعقابه ورواه اصحابنا عن ابي عبد الله (ع) ثم قال في آخره اتاه ملك من ربه يقرئه السلام ويقول قد رأيت ما صنع بك وقد امرني بطاعتك فمروني بما شئت فقال يكون لي بالحسين (ع) أسوة (وكان يأمر اهله) اي قومه وعترته وعشيرته وقيل امته عن الحسن (بالصلاة والزكاة) وقيل انه كان يأمر اهله بصلاة الليل وصدقة النهار (وكان) مع ذلك (عند ربه مرضيا) قد رضي اعماله لانها كلها طاعات لم تكن فيها قبائح وقيل مرضيا معناه صالحا زكيا مرضيا فحصل له عند المنزلة العظيمة قوله تعالى (٥٦) واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا (٥٧) ورفعناه مكانا عليا (٥٨) اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل ومن هدينا واجتبتنا اذ اتتلى عليهم آيات الرحمن خزوا وسجدوا وبكيا (٥٩) فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا (٦٠) إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يظلمون شيئا خمس آيات

اللفظة

العلي العظيم العلو والعلو العظيم فيما يقدر به على الامور ومنه يوصف الله تعالى بانه علي والفرق بين العلي والرفيع ان العلي قد يكون بمعنى الاقتدار وبمعنى علو المكان والرفيع من رفع المكان لا غير ولذلك لا يوصف الله تعالى بانه رفيع واما رفيع الدرجات فانه وصف للدرجات بالرفعة وبكسبي وزنه فعول وهو جمع بالك ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى البكاء والخلف بفتح اللام يستعمل في الصالح وبسكون اللام في الطالح وقد يستعمل كل واحد

في الآخر قال لبيد

ذهب الذين يعاش في اكنافهم
وبقيت في خلف كجلد الاجرب

✽ الاعراب ✽

سجدا وبكيا نصب على الحال وتقديره خروا ساجدين وباكين قال الزجاج وهي حال مقدرة المعنى خروا مقدرين السجود لان الانسان في حال غروره لا يكون ساجدا الا من تاب في موضع نصب اي فسوف يلقون العذاب الا التائبين فيكون الاستثناء متصلا ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا من غير الاول ويكون المعنى لكن من تاب وامن فاولئك يدخلون الجنة

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه حديث ادريس فقال (واذكر) يا محمد (في الكتاب) الذي هو القرآن (ادريس) وهو جد اب نوح (ع) واسمه في التوراة اخنوخ وقيل انه سمي ادريس لكثرة درسه الكتب وهو اول من خط بالقلم وكان خياطاً واول من خاط الثياب وقيل ان الله تعالى علمه النجوم والحساب وعلم الهياة وكان ذلك معجزة له (انه كان صديقا نبيا) مر معناه (ورفعناه مكانا عليا) اي عالبارفيعا وقيل انه رفع الى السماء الرابعة عن انس وابي سعيد الخدري وكعب ومجاهد وقيل الى السماء السادسة عن ابن عباس والضحاك قال مجاهد رفع ادريس (ع) كما رفع عيسى (ع) وهو حي لم يمت وقال آخرون انه قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة وروي ذلك عن ابي جعفر وقيل ان معناه ورفعناه محله ومرتبته بالرسالة كقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك ولم يرد به رفعة المكان عن الحسن والحيائي وابي مسلم ولما فصل سبحانه ذكر النبيين ووصف كلا منهم بصفة تخصه جمعهم في المدح والثناء فقال (اولئك) تقدم ذكرهم (الذين انعم الله عليهم) بالنبوة وقيل بالثواب وبسائر النعم الدينية والدنيوية (من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل) انما فرق سبحانه ذكر نبيهم مع ان كلهم كانوا من ذرية آدم (ع) لتبيان مراتبهم في شرف النسب فكان لادريس شرف القرب لادامه (انه جد نوح) (ع) وكان ابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح وكان اسماعيل واسحاق ويعقوب من ذرية ابراهيم لما تباعدوا من آدم حصل لهم شرف ابراهيم وكان موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى من ذرية اسرائيل (ومن هدينا واجتبتنا) قيل انه تم الكلام عند قوله اسرائيل ثم ابتدأ فقال (ومن هدينا واجتبتنا من الامم قوم اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا فحذف لدلالة الكلام عليه عن ابي مسلم وروي عن علي بن الحسين (ع) انه قال نحن عتينا بها وقيل بل المراد به الانبياء الذين تقدم ذكرهم من ذرية آدم ومن هديناهم واجتبتناهم اي هديناهم الى الحق فاهتدوا واخترناهم من بين الخلق ثم وصفهم فقال (اذا تتلى عليهم) اي تقرأ عليهم (آيات الرحمن) وهو القرآن عن ابن عباس (خروا سجدا) اي ساجدين لله (وبكيا) اي باكين متضرعين اليه بين الله سبحانه انهم مع جلالة قدرهم كانوا يبكون عند ذكر آيات الله وهو لا العصاة ساهون لاهون مع احاطة السيئات بهم ثم اخبر سبحانه فقال (فخلف من بعدهم خلف) والخلف البدل السيء معناه من بعد النبيين المذكورين قوم سوء وقيل هم اليهود ومن تبعهم لانهم من ولد اسرائيل وقيل هم من هذه الامة عند قيام الساعة عن مجاهد وقتادة (اضاعوا الصلاة) تركوها عن محمد بن كعب وقيل اضاعوها بتأخيرها عن مواقيتها من غير ان تركوها اصلا عن ابن مسعود وابراهيم وعمر بن عبد العزيز والضحاك وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) (واتبعوا الشهوات) اي انفذوا الشهوات فيما حرم الله عليهم فقال رهب فخلف من بعدهم خلف شرايون للقهوات لعابون بالكعبات ركابون للشهوات متبعون للذات تاركون للجماعات مضيعون للصلوات (فسوف يلقون غيا) اي يلقون مجازاة الغي عن الزجاج وهذا كقوله ومن يفعل ذلك يلق اثمها اي مجازاة الاثم وقيل يلقون غيا

اي شرا وخيبة عن ابن عباس وابن زيد ومنه قول الشاعر « ومن يفو لا يعدم على الغي لا ثما » اي يجب وقيل الغي واد في جهنم عن ابن مسعود وعطاء وكعب (الامن تاب) اي ندم على ما سلف (وآمن) في مستقبل عمره (وعمل صالحا) من الواجبات والمندوبات (فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) ومن قرأ يدخلون بضم الياء وفتح الحاء اراد ان الله سبحانه يدخلهم الجنة بان يأمرهم بدخولها وهذا يطابق قوله ولا يظلمون ومن قرأ يدخلون اراد انهم يدخلونها بأمر الله والمعنيان واحد ولا يبغضون شيئا من ثوابهم بل يوفيه الله اليهم على التمام والكمال وفي هذا دلالة على ان الله لا يمنع احدا ثواب عمله ولا يبطله لانه سبحانه سمي ذلك ظلما

قوله تعالى (٦١) جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده ما تيا
 (٦٢) لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا (٦٣) تلك الجنة التي
 نورث من عبادنا من كان تقيا (٦٤) وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا
 وما بين ذلك وما كان ربك نسيا (٦٥) رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده
 وأصطبر لعبادته هل تعلم له سميا خمس آيات

القراءة

قرأ رويس عن يعقوب نورث بالتشديد والباقون نورث وفي بعض الروايات عن ابي عمرو هل تعلم يدغم اللام في التاء والأكثر الاظهار

الحجة

يقال اورثه وورثه بمعنى قال ابو علي يرى سيبويه ان ادغام اللام في التاء والذال والطاء والصاد والزاي والسين جائز لأن مخرج اللام قريب من مخارجهن وهي حروف طرف اللسان وانشد لمزاحم العقيلي
 فذر ذا ولكن هت عين متيما
 على ضوء برق آخر الليل ناصب

الاعراب

جنات عدن بالنصب على البدل من قوله الجنة وقوله بالغيب في موضع الحال اي كائنة بالغيب وذو الحال جنات عدن وسلاما استثنا. منقطع فكأنه قال لا يسمعون فيها كلاما يؤلمهم ولكن يسمعون سلاما وما تنزل الا بأمر ربك تقديره قل ما تنزل فاضمر القول له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك قال ابو علي هذه الآية تدل على ان الازمنة ثلاثة ماض وهو قوله ما بين ايدينا ومستقبل وهو قوله وما خلفنا وحال وهو قوله وما بين ذلك وما كان ربك نسيار السماوات والارض بدل من اسم كان وان شئت كان خبر مبتدأ محذوف وان شئت كان مبتدأ وقوله فاعبده خبره وهذا على قول الاخفش دون سيبويه

النزول

قيل ان العاص بن وائل السهمي لم يعط اجرة اجير استعماله وقال او كان ما يقوله محمد حقا فنحن اولي بالجنة ونعيمها فحينئذ او فاجره فنزل تلك الجنة التي نورث الآية وقيل احتبس الرحي اياما لما سئل النبي ﷺ عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فسق ذلك عليه فلما اتاه جبرائيل استبطاه فنزلت وما تنزل الا بأمر ربك الآية عن عكرمة والضحاك و قتادة والكلبي ومقاتل

(المعنى) =

ثم وصف سبحانه الجنة فقال (جنات عدن) اي جنات اقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به ووحد في الآية

المتقدمة وجمع ههنا فكأنه جنة تشتمل على جنات وقيل لأن لكل واحد من المؤمنين جنة تجمعها الجنة العظماء (التي
وعدا الرحمن عباده بالغيث) المراد بالعباد المؤمنون كما قال فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقيل انه يتناول المؤمن والكافر
ولكن بشرط رجوع الكافر عن كفره وقال بالغيث لأنهم غابوا عما فيها مما لا عين رأت ولا اذن سمعت عن
ابن عباس والمعنى انه وعدهم امرا لم يكونوا يشاهدونه فصدقوه وهو غائب عنهم (انه كان وعده) اي مووعده
(ماتيا) اي آتيا لا محالة والمفعول هنا بمعنى الفاعل لأن ما آتتسه فقد آتاك وما آتاك فقد آتتسه يقال آتت على
خمسين سنة وآتت على خمسون سنة وقيل إن الموعود هو الجنة والجنة مأتية آتيتها المؤمنون (لا يسمعون فيها
لغوا) اي لا يسمعون في تلك الجنات القول الذي لا معنى له يستفاد وهو اللغو وقيل قد يكون اللغو الهزل وما يلغى
من الكلام مثل النجس والباطيل (إلا سلاما) اي إلا سلام للملائكة عليهم وسلام بعضهم على بعض قال
الزجاج السلام إسم جامع لكل خير لأنه يتضمن السلامة اي يسمعون ما يسلمهم (ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا) قال المفسرون ليس في الجنة شمس ولا قمر فيكون لهم بكرة وعشيا والمراد انهم يوتون برزقهم على
ما يعرفونه من مقدار الغذاء والعشاء وقيل كانت العرب إذا أصاب احدهم الغذاء والعشاء اعجبت به وكانت
تكبره الوجبة وهي الأكلة الواحدة في اليوم فأخبر الله تعالى ان لهم في الجنة رزقهم بكرة وعشيا على قدر ذلك
الوقت وليس ثم ليل وإنا هو ضوء ونور عن قتادة وقيل انهم يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب واغلاق الابواب
ومقدار النهار يرفع الحجب وفتح الابواب (تلك الجنة التي) هي مذكورة في قوله فأولئك يدخلون الجنة التي (نورث
من عبادنا من كان تقيا) اي إنما تلك تلك الجنة من كان تقيا في دار الدنيا بترك المعاصي وفعل الطاعات وإنا قال نورث
مع أنه ليس بتملك نقل من غيرهم اليهم لأنه شبه بالميراث من جهة انه تمليك بحال استوفت عن حال قد انقضت من
أمر الدنيا كما ينقضي حال الميت من أمر الدنيا عن الجبائي وقيل إنه تعالى اورثهم من الجنة المساكن والمنازل التي
كانت لأهل النار لو اطاعوا الله تعالى وأضاف العباد إلى نفسه لأنه أراد المؤمنين (وما ننزل إلا بأمر ربك)
قال ابن عباس إن النبي ﷺ قال اجبرائيل ما منعك ان تزورنا أكثر مما تزورنا فنزل وما ننزل إلا بأمر ربك
الآية اي إذا أمرنا نزلنا عليك وهو قول مجاهد وقاتدة والضحاك وقيل انه قول أهل الجنة انا لا ننزل موضعا من
الجنة إلا بأمر الله تعالى عن ابي مسلم (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) معناه له ما بين أيدينا من أمر
الآخرة وما خلفنا اي ما مضى من أمر الدنيا وما بين ذلك اي ما بين النفختين عن ابن عباس وقاتدة والضحاك والربيع
قال مقاتل وما بين النفختين اربعون سنة وقيل معناه ابتداء خلقنا ومنتها آجالنا ومدة حياتنا وقيل ما بين أيدينا
ما بقي من أمر الدنيا وما خلفنا ما مضى من الدنيا وما بين ذلك من حياتنا اي هو المدبر لنا في الاوقات الماضية والآتية
والذاهبة وقيل ما بين أيدينا اي الأرض عند نزولنا وما خلفنا السموات إذ نزلنا منها وما بين ذلك السماء
والأرض (وما كان ربك نسيا) قيل هذا تمام حكاية قول الملائكة وقول أهل الجنة وقيل بل تم الكلام قبله
ثم اخبر الله سبحانه عن نفسه ومعناه انه سبحانه ليس ممن ينسى ويخرج عن كونه عالما لأنه عالم لذاته وتقديره وما
نسيتك يا محمد وان اخر الوحي عنك وقيل ما كان ربك ناسيا لا حد حتى لا يعشه يوم القيامة عن ابي مسلم (رب
السموات والأرض) اي خالقهما ومدبرهما (وما بينهما) من الخلائق والاشياء (فاعبه) وحده لا شريك
له (واصطبر لعبادته) اي اصبر على تحمل مشقة عبادته ثم قال لنبيه ﷺ (هل تعلم لهسميا) اي مثلا وشيها
عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج وسعيد بن جبير وقيل هل تعلم احدا يستحق ان يسمى إله إلا هو عن الكلبي
وقيل هل تعلم احدا يسمى إله خالقا رازقا محييا مميتا قادرا على الثواب والعقاب سواه حتى تعبده فلماذا لم تعلم
ذلك فالزم عبادته وهذا استفهام بمعنى النفي اي لا تعلم من يسمى بلفظة الله

قوله تعالى (٦٦) وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِثْ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا (٦٧) أَوْلَا يَذْكَرُ

الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٨) فوردك لنحشرنهم والشیاطین ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٩) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٧٠) ثم لنحن أعلم بالذین هم أولى بها صلیا خمس آيات

﴿ القراءه ﴾

قرأ نافع وعاصم وابن عامر وروح وزید عن يعقوب وسهل أولا يذكر خفيا والباقون أولا يذكر بالتشديد (الحجة)

قال ابو علي التذکر يراد به التدبر والتفكر وليس تذکرا عن نسيان والثقیلة كأنه في هذا المعنى اكثر فمعنى ذلك قوله اولم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر وقال إنما يتذكر أولو الاباب فأضافته إلى اولي الاباب يدل على ان المراد به النظر والتفكر والحقیفة في هذا المعنى دون ذلك في الكثرة وقد قال الله تعالى إن هذه تذكرة فمن شاء ذكره وزعموا انه في حرف ابي اول يتذكر واما قوله ولم يك شيئا فمعناه لم يك شيئا موجودا وليس يراد انه قبل الخلق لم يقع عليه اسم شيء وهذا كقوله تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقد قال ان زلزلة الساعة شيء عظيم

— (اللغة) —

الجثي جمع الجاثي وهو الذي برك على ركبتيه واصاله جثو فعول من جثي يجثو وقد تقدم القول فيه في أوائل السورة والشيعة الجماعة المتعاونون على أمر واحد من الامور ومنه تشايح القوم إذا تعاونوا والصلي مصدر صلی يصلي صلیا مثل لقي بلقي لقيا وصلي يصلي صلیا مثل مضى يمضي مضيا

﴿ الاعراب ﴾

العامل في قوله إذا مات مضمردل عليه قوله سوف اخرج حيا والتقدير إذا ماتت بعثت ولا يجوز ان يعمل فيه اخرج لأن ما بعد اللام لا يعمل فيا قبله كما ان ما بعد ان كذلك وما بعد الاستفهام وحرف النفي وقد ذكرنا ذلك في مواضع والشیاطین يجرى ان يكون منصوبا بأنه مفعول به اي ونحشر الشیاطین ويحتمل ان يكون مفعولا معه بمعنى لنحشرنهم مع الشیاطین وجثيا منصوب على الحال وعتيا منصوب على التمييز وكذلك صلیا فأما الرفع في أيهم أشد قال الزجاج فيه ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ قال سيبويه عن يونس ان لننزعن معلقة لم تعمل شيئا فكان قول يونس ثم لننزعن من كل شيعة ثم استأنف فقال أيهم ﴿ والثاني ﴾ حكى سيبويه عن الخليل انه بمعنى الذین يقال لهم أيهم أشد على الرحمن عتيا ومثله قول الشاعر

ولقد أتيت من القناة بمنزل فأبيت لا حرج ولا محروم

والمعنى فأبيت بمنزلة الذي يقال لا هو حرج ولا محروم ﴿ والثالث ﴾ قال سيبويه ان أيهم مبنية على الضم لأنها خالفت اخواتها بان استعمل معها حذف الابتداء تقول اضرب أيهم افضل تريد أيهم هو افضل فيحسن الاستعمال كذلك بحذف هو ولا يحسن اضرب من افضل حتى تقول من هو افضل ولا يحسن كل ما اطيبت حتى تقول كل ما هو اطيبت قال فلما خالفت من وما والذي لا تقول فيه ايضا خذ الذي افضل حتى تقول خذ الذي هو افضل فلما خالفت هذا الخلاف بنيت على الضم في الاضافة والنصب حسن وان كنت قد حذفته هو لأن هو قد يجوز حذفها وقد قرئ تماما على الذي احسن على معنى الذي هو احسن قال ابو علي ينبغي ان يكون مراد يونس بقوله ان الفعل معلق انه معمل في موضع من كل شيعة وليس يريد به انه غير معمل في شيء البتة بل يريد انه معمل

في موضع الجار والمجرور لأن لفظ التعليق انما يستعمل فيما يعمل في الموضع دون اللفظ ولو اراد انه لا عمل له في لفظ ولا موضع لقال ملقى ولم يقل معلق كما تقول في زيد ظننت منطلق انه ملقى واذا كان كذلك كان قول الكسائي في الآية مثل قول يونس لأن الكسائي قال ان قوله لننزعن من كل شيعة كقولك اكلت من طعام فلان كان كذلك كان ايهم منقطعا من هذه الجملة وكانت جملة مستأنفة فلان قال قائل لم زعم سيبويه انه اذا حذف العائد من الصلة وجب البناء على الضم فالجواب ان الصلة تبين الموصول وتوضحه كما ان المضاف اليه يبين المضاف ويخصه فكما ان المضاف اليه لما حذف بني المضاف فكذلك لما حذف العائد من الصلة الى الموصول هنا بني فلان قال ما ينكر ان لا يكون حذف المبتدأ العائد من الصلة عرض حذف المضاف اليه من المضافات لأن المحذوف هنا بعض الجملة وفي المضاف قد حذف المضاف كله قيل ان حذف العائد هنا نظير حذف المضاف اليه هناك الا ترى ان الذي يبين به الموصول ويتضح انما هو الراجع الذي في الجملة ولولا الراجع لم يبين واذا كان المبين له الراجع من الجملة فالحذف منها كان بمنزلة حذف المضاف اليه من المضاف

✽ النزول ✽

نزل قوله ويقول الانسان الآية في اي ابن خلف الجمحي وذلك انه اخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويذريه في الريح ويقول زعم محمد رواه ان الله يبعثنا بعد ان نوت ونكون عظاما مثل هذا ان هذا شي لا يكون ابدا عن الكلبي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة في رواية عطا عن ابن عباس

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر الوعد والوعيد والبعث والنشور حكى سبحانه عقيبه قول منكري البعث ورد عليهم باوضح بيان واجلي برهان فقال (ويقول الانسان أإذا ما مت لسوف اخرج حيا) هذا استفهام المراد به الانتكار والاستهزاء اي اذا ما مت اعادني الله حيا فقال سبحانه مجيبا لهذا الكافر (أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل) اي اول ما يتذكر هذا الجاحد حال ابتداء خلقه فيستدل بالابتداء على الاعادة وقيل ان الانسان هنا مفرد في اللفظ مجموع في المعنى يريد جميع منكري البعث (ولم يك شيئا) معناه ولم يك شيئا كأننا او مذكورا «سؤال» قيل كيف تدل النشأة الأولى على النشأة الثانية والواحد منا يقدر على افعاله كالحر كات والسكنات والاصوات وغيرها ولا يقدر على اعادتها «والجواب» من وجوه **١** احدها **٢** انه سبحانه خلق الاجسام والحياة فيها والبقاء جائز عليها فيجب ان يقدر على اعادتها بخلاف افعالنا فانها لا تبقى ولا يصح الاعادة عليها **٣** والثاني **٤** ان الابتداء اصعب من الاعادة فلما كان قادرا على الابتداء فلان يكون قادرا على الاعادة اولى **٥** والثالث **٦** انه سبحانه استدل بخلق الاجسام على انه قادر لذاته اذ القادر بقدره لا يصح منه فعل الاجسام واذا كان قادرا لذاته ويقدر على ايجاد ما يصح وجوده وبتين قدره على اعادته ثم حقق سبحانه امر الاعادة فقال (فوربك) يا محمد (لنحشرنهم والسياطين) اي لنجمعهم ونبعثهم من قبورهم مقرنين باوليائهم من الشياطين وقيل لنحشرنهم ولنحشرن الشياطين ايضا (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) اي مستوفزين على الركب عن قتادة والمعنى يجثون حول جهنم متخاصمين ويثبرأ بعضهم من بعض لأن المحاسبة تكون بقرب جهنم وقيل جثيا اي جماعات جماعات عن ابن عباس كأنه قيل زمرا وهو جمع جثوة وجثوة هي المجموع من التراب والحجارة وقيل معناه قياما على الركب وذلك لضيق المآ كان بهم لا يمكنهم ان يجلسوا عن السدي (ثم لننزعن من كل شيعة) اي لنستخرجن من كل جماعة (أيهم اشد على الرحمن عتيا) اي الاعنى فالاعنى منهم قال قتادة لننزعن من كل اهل دين قادتهم ورؤوسهم في الشر والعتي هاهنا مصدر كالتور وهو التمرد في العصيان وقيل يبدأ بالأكثر جرما فالأكثر عن مجاهد واي الاحوص (ثم لنعلم بالذين هم اولى بها صليا) اي لنحسب اعلم بالذين هم اولى بشدة العذاب واحق بعظيم العقاب واجدد بلزوم النار

قوله تعالى (٧١) وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧٢) ثُمَّ نُنَجِّي
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٣) وَإِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٤) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ
أَحْسَنُ آثَانًا وَرِيًّا (٧٥) قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَا حَتَّى إِذَا رَأَوْا
مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا خمس آيات

❖ القراءة ❖

قرأ الكسائي وروح وزيد عن يعقوب ثم ننجي بالتخفيف والباقون ننجي بالتشديد وقرأ ابن كثير مقاما
بضم الميم والباقون بفتحها وقرأ اهل المدينة غير ورش وابن عامر والاعشى والبرجمي عن ابي بكر وريا بغير
همز مشددة الياء والباقون وريا مهوزة وفي الشواذ قراءة طلحة وريا خفيفة بلا همز وقراءة سعيد بن جبير وزيابا زاي

❖ الهمزة ❖

انجاء ينجيه ونجاه ينجيه بمعنى والمصدر واسم الموضع من باب يفعل يجيى على مفعل فالمقام بفتح الميم يصلح
ان يكون مصدر من قام يقوم ويصلح ان يكون اسم الموضع والمقام المصدر والموضع من اقام يقيم فاما قول زهير

وفيهم مقامات حسان وجوههم واندية ينتابها القول والفعل

فانما هو على حذف المضاف اي اهل مقامات ومشاهد وروي عن الاصمعي انه قال المجلس القوم وانشد
« واستب بعدك يا كليب المجلس » قال ابو علي المجلس موضع الجلوس فالمعنى على اهل المجلس كما ان المعنى
على اهل المقامات قال السكري المقامة المجلس والمقام المنزل وقوله خير مقاما من ضم الميم جعله اسما للشوى
ومن فتح كان كذلك ايضا الا ترى ان الندي والنادي هما المجلس فمن ذلك قوله تعالى وتأتون في ناديكهم
المنكر ويدل على ذلك قوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثانا وريا فلونه لا يراد به الحدث
انما يراد به حسن الشارة والهيئة والمنظر وهذا انما يكون في الاماكن واما قوله وريا قال ابو علي وري فعل
من رأيت فكأنه اسم لما ظهر وليس المصدر وانما المصدر الرأي والرؤية يدل على ذلك قوله يرونهم مثليهم رأني
العين فالري الفعل والرئي المرئي كالطحن والسقي والسقى والرعي والرعي ومن خفف الهمزة من وريا ازم ان
يبدل منها الياء لانكسار ما قبلها كما يبدل من ذئب وبشر فاذا ابدل منها الياء وقعت ساكنة قبل حرف مثله
فلا بد من الادغام وليس يجوز الاظهار في هذا كما جاز اظهار الواو في نحو رويا وروية يعني إذا خففت الهمزة فيها
لان الياء في ريا قبل مثل ووقعت في رويا قبل ما يجري مجرى المقارب قال ابن جنبي من قرأ ورياه شدة فلونه فعل
أما من رأيت وأما من رويت واصله وهو من الهمزة وريا كريا فخففت الهمزة وابدلت ياء وادغمت الياء الثانية
ويجوز ان يكون من رويت لان للريان نضارة وحسنا فيتفق معناه ومعنى وريا بالزاي وأصله على هذا زوي فأبدلت
الواو ياء وادغمت في الياء وأما ريا مخففة فيحتمل ان يكون مقالوبة من فعل إلى فلع فصار في التقدير ريا ثم حذف
الهمزة والقيمت حركتها على الياء قبلها فصارت ريا ويحتمل ان يكون ريا من رويت ثم خففت بحذف احدى
اليامين فصارت ريا وأما الزي بالزاي ففعل من زويت اي جمعت ذلك وذلك انه لا يقال لمن له شيء واحد من
آلته له زي حتى يكثر آتته المستحسنة وانشد ابن دريد

أهاجتك الطعائن يوم باتوا بذوي الزي الجميل من الاثاث

✽ اللغة ✽

الحتم القطع بالأمر والحتم والجزم والقطع بمعنى والندى والنادي المجلس الذي قد اجتمع فيه أهله ومنه دار الندوة وهي دار قضي بمكة وكانوا يجتمعون فيه للتشاور تيمنا به وقد ندوت القوم اندوهم اذا جمعهم في مجلس وأصل الندى انه مجلس أهل الندى وهو الكرم قال حاتم

ودعيت في اولى الندى ولم ينظر الي باعين خزر
والاثاث المتاع من الفرش والثياب التي تزين بها واحدا اثاثه رقيب لا واحد لها والري ما يراه الرجل من ظاهر احوال القوم وهو اسم للعربي كالدبيع اسم للمذبح

✽ الاعراب ✽

وان منكم إلا واردها تقديره وما احد ثابت منكم فأحد مبتدأ ومنكم ضفة وواردها خبر وجشيا منصوب على الحال مقاماً ونديا منصوبان على التمييز. كم اهلكناكم نصب باهلكنا والتقدير كم قرنا اهلكنا من جملة القرون فحذف الميز بدلالة الكلام عليه. فليمدد له الرحمن مدا لفظه لفظ الامر ومعناه خبر والتقدير فمد له الرحمن مدا وباب الامر والخبر يتداخلان فكما ان قوله والمطلقات يتربصن تقديره فليتربصن فجعل لفظ الخبر بمعنى الأمر فكذا هاهنا جعل لفظ الأمر بمعنى الخبر وقوله ما يرددون مفعول رأوا وأما العذاب وأما الساعة بدل من ما يوعدون وقوله من هو شر مكانا تعليق فعلى هذا يكون هو فصلا والفصل بين كلمة الاستفهام وخبره عزيز فالأولى ان يكون من هنا بمعنى الذي وفي موضع نصب بسيعلمون وهو شر مبتدأ وخبر والجملة صلة من

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه احوالهم يوم الحشر فقال (وإن منكم إلا واردها) اي ما منكم احد إلا واردها والهاء في واردها راجعة إلى جهنم واختلف العلماء في معنى الورد على قوانين **➤** احدهما **➤** ان ورودها هو الوصول اليها والاشراف عليها لا الدخول فيها وهو قول ابن مسعود والحسن وقتادة واختاره ابو مسلم واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ولما وردناه مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون وقوله تعالى فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه وأنتك تقول وردت بلد كذا وناه كذا اي اشرفت عليه دخلته او لم تدخله وفي امثال العرب «ان ترد الماء بماء اكيس» وقال زهير

فلما وردن الماء زرقا جمامه
وضمن عصي الحاضر المتخيم

أراد فلما بلغن الماء اطمئن عليه قال الزجاج والحجة القاطعة في ذلك قوله سبحانه إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى أو لئنك عنها مبعدون لا يسمعون حسيها فهذا يدل على ان أهل الحسنى لا يدخلونها قالوا فمعناه إنهم واردون حول جهنم للمحاسبة ويدل عليه قوله ثم لنحضرنهم حول جهنم جشيا ثم يدخل النار من هو اهلها وقال بعضهم معناه إنهم واردون عرصة القيامة التي تجمع كل بر وفاجر **➤** والآخر **➤** ان ورودها بمعنى دخولها بدلالة قوله تعالى فأردهم النار وقوله وانتم لها واردون لو كان هو لاء آلهة ما وردوها وهو قول ابن عباس وجابر واكثر المفسرين ويدل عليه قوله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جشيا ولم يقل وندخل الظالمين وإنما يقال نذر ونترك للشئ الذي قد حصل في مكانه ثم اختلف هو لاء فقال بعضهم إنه للمشركين خاصة ويكون قوله وإن منكم المراد به منهم كما قال سبحانه وسقاهم ربهم شرابا طهورا إن هذا كان لكم جزاء اي لهم وروي في الشواذ عن ابن عباس انه قرأ وإن منهم وقال الاكثر انه خطاب لجميع المكلفين فلا يبقى بر ولا فاجر الا ويدخلها فيكون بردا وسلاما على المؤمنين وعذابا لازما للكافرين قال السدي سألت مرة الهذلي عن هذه الآية فحدثني ان عبدا لله بن مسعود حدثهم عن رسول الله ^(صلى الله عليه وسلم) قال يرد الناس النار ثم يصدرون باعمالهم فأولهم

كلمع البرق ثم كمر الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب ثم كشد الرجل ثم كمشيه وروى ابو صالح غالب ابن سليمان عن كثير بن زياد عن ابي سمينة قال اختلفا في الورد فقال قوم لا يدخلها مؤمن وقال آخرون يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقبت جابر بن عبد الله فسأته فأرأى بأوصبيه إلى أذنيه وقال صمتان لم اكن سمعت رسول الله ﷺ يقول الورد والدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا يدخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان النار او قال لجهنم ضجيجا من بردها ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وروى مرفوعا عن يعلي بن منية عن رسول الله ﷺ قال تقول النار للمؤمن يوم القيامة جزيا مؤمن فقد اطلق نورك لبي وروى عن النبي ﷺ انه سئل عن معنى الآية فقال إن الله تعالى يجعل النار كالمسمن الجامد ويجمع عليها الخلق ثم ينادي المنادي ان خذي اصحابك وذري اصحابي قال ﷺ فوالذي نفسي بيده لمي اعرف باصحابها من الوالدة بولدها وروى عن الحسن انه رأى رجلا يضحك فقال هل علمت انك وارد النار قال نعم قال وهل علمت انك خارج منها قال لا قال فيم هذا الضحك وكان الحسن لم ير صاحكا قطف حتى مات وقيل ان الفائدة في ذلك ما روي في بعض الاخبار ان الله تعالى لا يدخل احدا الجنة حتى يطعمه على النار وما فيها من العذاب ليعلم تمام فضل الله عليه وكال لطفه واحسانه اليه فيزداد لذلك فرحا وسرورا بالجنة وتعيمها ولا يدخل أحد النار حتى يطعمه على الجنة وما فيها من انواع التعيم والثواب ليكون ذلك زيادة عقوبة له حسرة على ما فاته من الجنة وتعيمها وقال مجاهد الحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ وإن منكم إلا واردها فعلى هذا من حم من المؤمنين فقد ورد في الخبر ان الحمى من قبح جهنم وروى ان رسول الله ﷺ عاد مريضا فقال ابشر ان الله عز وجل يقول الحمى هي ناري اسلطنا على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار وقوله (كان على ربك حتما مقضيا) اي كائنا واقعا لا محالة قد قضى بأنه يكون وعلى كلمة وجوب فمعناه أوجب الله ذلك على نفسه وفيه دلالة على انه يجب عليه سبحانه أشياء من طريق الحكمة خلافا لما يذهب اليه أهل الجبر (ثم ننجي الذين اتقوا) الشرك وصدقوا عن ابن عباس (ونذر الظالمين) اي ونقر المشركين والكفار على حالهم (فيها) اي في جهنم (جثيا) اي باركين على ركبهم وقيل جماعات على ما مر تفسيره وقيل المراد بالظالمين كل ظالم وعاص ثم قال سبحانه (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) ومعناه وإذا يتلى على الكافرين آياتنا المنزلة في القرآن ظاهرات الحجج والادلة يمكن تفهم معانيها (قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خبير مقاما) أي الذين جحدوا وحدانية الله وكذبوا انبياءه للذين صدقوا بذلك مستهيمين لهم وغرضهم الانكاراي الفريقين اي نحن ام اتم خير منزلا ومسكنا اي موضع اقامة (واحسن نديا) اي مجلسا وإنما تفاخروا بالمال وزينة الدنيا ولم يتفكروا في العاقبة ولبسوا على الضعفة بأن من كان ذا مال في الدنيا فكذلك يكون في الآخرة ثم نبههم سبحانه على فساد هذا الاعتقاد بأن قال (وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن ائانا وريا) قال ابن عباس الأثاث المتاع وزينة الدنيا والري المنظر والهيئة والمعنى ان الله تعالى قد اهلك قبلهم أمما وجماعات كانوا اكثر اموالا واحسن منظرا منهم فأهلك اموالهم وافسد عليهم صورهم ولم تنع عنهم اموالهم ولا جمالهم كذلك لا يغني عن هؤلاء وقيل ان المعنى بالآية النضر بن الحارث وذووه وكانوا يرجلون شعورهم ويلبسون خز ثيابهم ويفتخرون بشارتهم وهياتهم على اصحاب النبي ﷺ ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (قل) يا محمد (من كان في الضلالة) عن الحق والعدل عن اتباعه (فليمدد له الرحمن مدا) هذا لفظ أمر معناه الخبر وتأويله أن الله سبحانه جعل جزاء ضلالته ان يمد له بأن يتركه فيها كما قال ونذرهم في طغيانهم يعمهون إلا أن لفظ الامر يوهم كدمعني الخبر فكان المتكلم يقول افعال ذلك وأمر تسي به فالمعنى فليعيش ما شاء وأضاف ذلك إلى نفسه لأنه سبحانه يبقيه في الدنيا اي فليعيش ما شاء الله من السنين والاعوام فإنه لا ينفعه طول عمره (حتى

إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب (أي عذاب الاستئصال) عن الأسم وقيل عذاب وقت البأس وقيل عذاب القبر وقيل عذاب السيف (وإما الساعة) أي القيامة وعذاب النار (فسيعلمون) حين يرون العذاب (من هو شر مكاناً) أي أهم أم المؤمنون لأن مكانهم جهنم ومكان المؤمنين الجنة (وأضعف جنداً) أي ويعلمون اجتهادهم اضعف أم جنود النبي ﷺ والمسلمين وهذا رد لقولهم أي الفريقين خير مقاماً واحسن ندباً

قوله تعالى (٧٦) وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا (٧٧) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا (٧٨) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اِتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٩) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٨٠) وَنُرِيهِ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨١) وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّيْسَ كُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨٢) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا سبع آيات

❖ القراءة ❖

قرأ حمزة والكسائي ولدا بضم الواو وسكون اللام في هذه السورة اربعة مواضع وفي الزخرف ان كان للرحمن ولد وفي نوح وولده فهذه ستة مواضع وقرأ أهل البصرة وابن كثير وخلف في صورة نوح بالضم فقط وقرأ الباقون بفتح الواو واللام في جميع القرآن

❖ الحجة ❖

قال الفراء من امثال بني أسد « ولدك من دمي عقيقك » قال وكان معاذ الحرشي يقول لا يكون الولد إلا جمعا وهذا واحد يعني الذي في المثل وانشد

فليت فلانا كان في بطن أمه ولبت فلانا كان ولد حمار

قال ابو علي يجوز ان يكون جمعا كاسد واسد ويجوز ان يكون واحدا فيكون ولد وولد كحزن وحزن وعرب وعرب فلا يكون كقول معاذ انه لا يكون إلا جمعا وما انشده الفراء من قوله « لبت فلانا كان ولد حمار » يدل على انه واحد ليس يجمع فهو مثل الفلك الذي يكون مرة جمعا ومرة واحدا

❖ الاعراب ❖

أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لا وتين مالا وولدا الموصول هو المفعول الأول لرأيت والاستفهام في موضع المفعول الثاني وهو قوله تعالى أطلع الغيب الآية قال الزجاج كلا زجر وردع وتنبه أي هذا مما يرتدع به وينبه على وجه الضلالة فيه وقال الفراء يكون صلة لما بعدها كقولك كلا رب النكبة وقال ابو حاتم جاءت في القرآن على وجهين بمعنى لا يكون ذلك وبمعنى الا التي للتنبه وجاءت في مواضع متوجهة على التأويلين ويدل على ذلك انها قد تكون مبتدأة مثل قوله علم الانسان ما لم يعلم ثم ابتداء كسلا إن الانسان ليطغى قال الاعشى

كلا زعمتم بأننا لا نقاتلكم انا لامثالكم يا قومنا قتل

وقال ابو العباس لا يوقف على كلا لأنها جواب والفائدة تقع فيما بعدها وقيل يجوز الوقف عليه ومن مشكلات الوقف في القرآن الوقف على كلا وقد قسمه القرآن على اربعة اقسام ❖ احدها ❖ ما يحسن الوقف عليه ويحسن الابتداء به ❖ والثاني ❖ يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء به ❖ والثالث ❖ يحسن الابتداء به

ولا يحسن الوقف عليه ❖ والرابع ❖ لا يحسن الوقف عليه ولا الابتداء به وهو في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعا وليس في النصف الأول شيء منه فأما القسم الأول وهو ما يحسن الوقف عليه والابتداء به ف عشرة مواضع قوله أم اتخذوا عند الرحمن عهدا كلاً وقوله ليكونوا لهم عزا كلاً وقوله تعالى لعلّي اعلم صالحا فيما تركت كلاً وقوله الذين الحقتهم به شر كاه كلاً وقوله ثم ينجيهم كلاً وقوله ان يدخل جنة نعيم كلاً وقوله ان أزيد كلاً وقوله صحفا منشرة كلاً وقوله ربنا اهانن كلاً وقوله إن ماله اخلده كلاً فمن جعل كلاً في هذه المواضع ردأ للأول بمعنى لا ليس الأمر كذلك وقف عليه ومن جعله بمعنى الا التي للتنبيه او بمعنى حقا ابتداء به وهو يحتمل الوجهين في هذه المواضع ❖ وأما الثاني ❖ وهو ما يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء به فموضعان قوله فأخاف ان يقتلون قال كلاً وقوله انا لمدر كون قال كلاً ❖ وأما الثالث ❖ وهو ما يحسن الابتداء به ولا يحسن الوقف عليه فتسعة عشر موضعا قوله كلاً انها تذكرة كلاً والقمر كلاً انه تذكرة كلاً لما يقض ما أمره كلاً بل تكذبون بالدين كلاً إذا بلغت التراقي كلاً لا وزر كلاً بل يجبون العاجلة كلاً سيعلمون كلاً بل ران على قلوبهم كلاً إن كتاب الفجار كلاً ان كتاب الابرار كلاً إنهم عن ربهم كلاً إذا دكت الارض دكا كلاً إن الانسان ليطغى كلاً لئن لم ينته كلاً لا تطعه كلاً سوف تعلمون كلاً لو تعلمون . يحسن الابتداء بكلاً في هذه المواضع ولا يحسن الوقف عليه لأنه ليس بمعنى الرد للأول وقال بعضهم إنه يحسن الوقف على كلاً في جميع القرآن لأنه بمعنى اثبه إلا في موضع واحد وهو قوله كلاً والقمر لأنه موصول باليمين بمنزلة قوله اي وربّي ❖ وأما الرابع ❖ فموضعان ثم كلاً سيعلمون ثم كلاً سوف تعلمون لا يحسن الوقف على ثم لأنه حرف عطف ولا على كلاً لأن الفائدة فيما بعد هذين الحرفين

❖ النزول ❖

روي في الصحيح عن خباب بن الارت قال كنت رجلا غنيا وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته اتقاضاه فقال لي لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ﷺ فقلت لن أكفر به حتى تموت وتبعث قال فاني لمبعوث بعد الموت فسوف أقضيك دينك إذا رجعت إلى مال وولد قال فنزلت الآية أفرأيت الذي كفر بآياتنا

❖ المعنى ❖

ثم بين سبحانه حال المؤمن فقال سبحانه (ويزيد الله الذين اهدوا هدى) قيل معناه ويزيد الله الذين اهدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ عن مقاتل وقيل يزيدهم هدى بالمعونة على طاعته والتوفيق لا بشيء مرضاته وهو ما يفتحه لهم من الدلالات وما يفعله بهم من اللطاف المقربة من الحسنات (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا) قدم تفسيره في سورة الكهف وجملة ان الاعمال الصالحة التي تبقى ببقاء ثوابها وتنفع صاحبها في الدنيا والآخرة خير ثوابا من مقامات الكفارات التي يفنخرون بها كل الافتخار (وخير مردا) اي خير عاقبة ومنفعة يقال هذا الشيء ارد عليك اي انفع واعود عليك لأن العمل الصالح ذاهب عنه بفقره له فيرد الله تعالى عليه ببرد ثوابه اليه حتى يجده في نفسه (أفرأيت الذي كفر بآياتنا) أفرأيت كلمة تعجب ومعناه أرايت هذا الكافر الذي كفر بأدلتنا من القرآن وغيره وهو العاص بن وائل عن ابن عباس ومجاهد وقيل الوليد بن المغيرة عن الحسن وقيل هو عام فيمن له هذه الصفة عن ابي مسلم (وقال لا وتبين مالا وولدا) استهزاء اي لاعطين مالا وولدا في الجنة عن الكابي وقيل اعطي في الدنيا اي ان أقمت على دين آبائي وعبادة آلهي اعطيت مالا وولدا (اطلع الغيب) هذه همزة الاستفهام دخلت على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل ومعناه اعلم الغيب حتى يعلم هو في الجنة أم لا عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه انظر في اللوح المحفوظ عن الكابي وتأويله اشرف على علم الغيب حتى علم انه سنوته مالا وولداً وانه ان بعث رزق مالا وولدا (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) اي اتخذ عند الله عهدا

يعمل صالح قدمه عن قتادة وقيل معناه أم عهد الله إليه أنه يدخل الجنة عن الكافي وقيل معناه أم قال لا إله إلا الله
فيرحمه الله بها عن ابن عباس (كلا) أي ليس الأمر على ما قال من أنه يوثر في المال والولد ويجوز أن يكون المعنى
كلا أنه لم يطلع الغيب ولم يتخذ عند الله عهداً (سكتب ما يقول) أي سنأمر الحفظة بأبوابه عليه لنجازيه به في
الآخرة ونوافقه عليه (وتمد له من العذاب مدا) أي نصل له بعض العذاب بالبعض ونزيده عذاباً فوق العذاب
فلا ينقطع عذابه أبداً وأكد الفعل بالمصدر كما يؤكد بالتكرير (ونزته ما يقول) أي ما عنده من المال والولد
بأهلاً كنا إياه وابطال ملكه عن ابن عباس وقاتلة وابن زيد (وبأتينا فرداً) أي يأتي الآخرة وحيداً بلا مال
ولا ولد ولا عدة ولا عدد (واتخذوا من دون الله آلهة) يعني أن هؤلاء الكفار الذين وصفهم اتخذوا آلهة أي
اصناماً عبدوها (ليكونوا لهم عزا) أي ليكونوا لهم شفعاء في الآخرة عن الفراء وهذا معنى قول ابن عباس
ليمنعوه مني وذلك أنهم رجوا منها الشفاعة والنصرة والمراد ليصبروا بهم إلى العز قال الله سبحانه (كلا) أي
ليس الأمر كما ظنوا بل صاروا بهم إلى الذل والعذاب (سيكفرون بعبادتهم) أي سيحسدون بان يكونوا
عبدوها ويتبرؤون منها لما يشاهدون من سوء عاقبة أمرهم ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وقيل معناه أن
المعبودين سيكفرون بعبادة المشركين لها ويكذبونهم فيها كما قال حكاية عنهم تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون
عن الجبائي (ويكونون عليهم ضداً) قال الأخفش الضد يكون واحداً وجمعاً كالرسول والعدو ومعناه ويكونون
عونا عليهم واعداً لهم بخاصموتهم ويكذبونهم وقيل ويكونون قرناء لهم في النار ويلعنونهم ويتبرؤون منهم عن
قتادة وقيل ويكونون أعداءهم يوم القيامة وكانوا في الدنيا أولياءهم عن القتيبي

قوله تعالى (٨٣) ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزئهم أزاً (٨٤) فلا
تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً (٨٥) يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وقدأ (٨٦) وأنسوق
المجرمين إلى جهنم ورداً (٨٧) لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً (٨٨)
وقالوا اتخذ الرحمن ولداً (٨٩) لقد جئتم شيئاً إذا (٩٠) تكاد السماوات يتفطرن منه
وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأ (٩١) أن دعوا للرحمن ولداً (٩٢) وما ينبغي للرحمن
أن يتخذ ولداً عشر آيات

﴿ القراءه ﴾

في الشواذ رواية قتادة عن الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون قال فقلت انها بالنون يا أبا سعيد قال وهي
للمتقين إذا وقراءة السلمي شيئاً إذا بفتح الهمزة وقرأ أبو جعفر وابن كثير وحفص تكاد بالتاء بتفطرن بالتاء
وفتح الطاء مشددة وفي عسق مثله وقرأ نافع والكسائي بكاد بالياء بتفطرن في السورتين وقرأ أبو عمرو ووابو بكر وهبيرة
عن حفص ويعقوب تكاد بالتاء بتفطرن بالياء والنون وكسر الطاء في السورتين وقرأ ابن عامر وحزمة وخلف
هاهنا تكاد بالتاء بتفطرن بالنون مثل ابي عمرو في عسق تكاد بالتاء بتفطرن بالتاء ايضاً

— الحجة —

حجة من قرأ بحشر ويساق قوله تعالى وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً والأد بالفتح القوة قال «نضوت
عني شره وإدا» فعلى هذا يمكن أن يكون المعنى لقد جئتم شيئاً إذا أي ذا قوة وإن شئت وصفته بالمصدر
كقولهم رجل عدل وضيف والانتظار مطاوعة الفطر يقال فطره فانفطر والتفطر مطاوعة التفطير يقال فطرت
فنفطر وكأنه اليق بهذا الموضع لما فيه من معنى المبالغة وتكرير الفعل وذهب أبو الحسن في معنى قوله تكاد

السموات إلى ان معنى تكاد تبرد و كذلك قال في قوله كذلك كدنا ليوسف اي أردنا له وأنشد
 كادت و كدت وتلك خير إرادة
 لو عاد من ذكر الصباية ماضى
 وكذلك قوله في أكاد أخفيها أي اريد أخفيها وعلى هذا فسر غيره قول الافوه
 فان تجمع اوتاد واعمدة
 وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا

اي ارادوا قال المعنى يردن لانهن ينفطرن ولا يدنون من ذلك ولكن من هممن به اعظاما لقول المشركين
 ولا يكون على من هم بالشيء ان يدنو منه ألا ترى ان رجلا لو أراد ان ينال السماء لم بدن من ذلك وقد كانت
 منه ارادة وقد قال بعض المتأولين في قوله تكاد السموات ينفطرن منه هدا مثل كانت العرب إذا سمعت كذبا
 او منكر اتعاظته وعظمته بالمثل الذي عندها عظيما فقالت كادت الارض تنشق واظلم على ما بين السماء والأرض فلما
 افتروا على الله الكذب ضرب مثل كذبهم بأهول الاشياء واعظمها قال ابو علي ومما يقرب من هذا قول الشاعر

ألم تر صدعا في السماء مبيّنا
 على ابن لبيّن الحرث بن هشام
 وقول الآخر

واصبح بطن مكة مقشعرا
 كأن الأرض ليس بها هشام
 وقال الآخر

لما اتى خبر الزبير تواضعت
 سور المدينة والجبال الخشع

اللغة

الاز الازعاج الى الأمر يقال ازه بأزه اذا وازبزا إذا هزه بالازعاج إلى امر من الأمور وازت القدر أزيذا
 إذا غلت ومنه الحديث انه كان يصلي وازيز جوفه كأزيز المرجل من البكاء واززت الشيء إلى الشيء ضممته اليه
 والوفد جمع وافد وقد بجمع وفودا ايضا وفد وفدا وأوفد على الشيء أشرف عليه والسوق الحث على السير
 ساقه يسوقه سوقا ومنه الساق لاستمرار السير بها أو لانت القدم يسوقها ومنه السوق لأنه يساق بها البيع
 والشري شيئا بعد شيء والورد الجماعة التي ترد الماء يقال ورد الماء يبرد وردا والاد الأمر العظيم قال الراجز

قد لقي الأعداء مني نكرا
 داهية دهباء إذا إمرا

والانقطاع الانشقاق والتفطر التشقق والمدم المدم بشدة صوت

الاعراب

توزم جملة في موضع الحال ومفعول نعد لهم محذوف والتقدير نعد افعالهم عدا ويوم نحشر ظرف قوله
 نعد لهم ويجوز أن ينتصب بقوله لا يملكون الشفاعة أي لا يملكون في ذلك اليوم وفدا منصوب على الحال من
 المتقين أي وافدين ووردا كذلك اي واردين إلا من اتخذ هو موصول وصلته في موضع رفع لأنه بدل من الواو
 في يملكون ويجوز ان يكون في محل نصب لأنه استثناء منقطع فإن من اتخذ عند الرحمن عهدا لا يكون من
 المجرمين وقوله تنشق الأرض جملة معطوفة على الجملة التي قبلها وتقديره وتكاد الأرض تنشق والجبال تنخر وهذا
 منصوب على المصدر في المعنى تقديره تنخر خرورا وتهدهدا ويجوز أن يكون في موضع الحال وان دعوا مفعول
 له والتقدير لان دعوا أي لأجل ذلك

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه عليه السلام فقال (ألم تر) يا محمد (إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أي خلينا

بينهم وبين الشياطين إذا وسوسوا اليهم ودعواهم إلى الضلال حتى اغوهم ولم نحل بينهم وبينهم بالإلحاء ولا بالمنع وعبر عن ذلك بالارسال على سبيل المجاز والتوسع كما يقال لمن خلى بين الكلب وغيره ارسل كلبه عليه عن الجبائي وقيل معناه سلطناهم عليهم ويكون في معنى التخلية ايضا على ما ذكرناه (توزم أزا) أي تزعمهم ازعاجا من الطاعة إلى المعصية عن ابن عباس وقيل تغريهم اغراء بالشر تقول امض امض في هذا الأمر حتى توقعهم في النار عن سعيد بن جبیر (فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا) معناه فلتطب نفسك يا محمد ولا تستعجل لهم العذاب فإن مدة بقائهم قليلة فإننا نعد لهم الأيام والستين وما دخل تحت العدة فكان قد قدوقيل معناه نعد انقاسهم في الدنيا فهي معدودة إلى الأجل الذي اجلناه لعذابهم عن ابن عباس وهذا من ابلغ الوعيد وقيل معناه نعد اعمالهم على ما ذكرناه قبل (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) أي اذ كر لهم يا محمد اليوم الذي نجتمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته واجتنب معاصيه إلى الرحمن أي إلى جنته ودار كرامته وفودا وجماعات عن الأخفش وقيل ركبانا بوؤتون بنوق لم ير مثلها عليها رحائل الذهب وازمتها الزبرجد فير كبون عليها حتى يضربوا ابواب الجنة عن امير المؤمنين (ع) وابن عباس (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) أي ونحث المجرمين على المسير إلى جهنم عطاشا كالابل التي ترد عطاشا مشاة على ارجلهم عن ابن عباس والحسن وقتادة وسمى العطاش وردا لأنهم يردون لطلب الماء. وقيل الورد النصب أي هم نصيب جهنم من الفريقين والمؤمنون نصيب الجنة عن أبي مسلم (لا يملكون الشفاعة) أي لا يقدرون على الشفاعة فلا يشفعون ولا يشفع لهم حين يشفع اهل الإيمان بعضهم لبعض لأن ملك الشفاعة على وجهين * أحدهما * ان يشفع للغير * والاخر * ان يستدعي الشفاعة من غيره لنفسه فينب سبجانه ان هو لاء الكفار لا تنفذ شفاعة غيرهم فيهم ولا شفاعة لهم لغيرهم ثم استثنى سبجانه فقال (الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) أي لا يملكون الشفاعة الا هو لاء وقيل لا يشفع إلا للهؤلاء والعهد هو الإيمان والاقرار بوحداية الله تعالى وتصديق انبيائه وقيل هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن يتبرا إلى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله عن ابن عباس وقيل معناه لا يشفع إلا من وعد له الرحمن باطلاق الشفاعة كالأنبياء والشهداء والعلماء والمؤمنين على ما ورد به الأخبار وقال علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره حدثني ابي عن الحسن بن محبوب عن سليمان ابن جعفر (ع) عن ابي عبد الله (ع) عن ابيه عن آبائه (ع) قال قال رسول الله ﷺ من لم يحسن وصيته عند الموت كان نقصا في مروءته قيل يا رسول الله وكيف يوصي الميت قال إذا حضرته وفاته واجتمع الناس اليه قال اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم إني اعهد اليك في دار الدنيا اني اشهد أن لا إله إلا انت وحدك لا شريك لك وان محمداً ﷺ عبدك ورسولك وأن الجنة حق وأن النار حق وأن البعث حق والحساب حق والقدر والميزان حق وأن الدين كما وصفت وأن الإسلام كما شرعت وأن القول كما حدثت وأن القرآن كما انزلت وانك انت الله الحق المبين اجزى الله محمداً عنا خير الجزاء وحييا الله محمداً وآله بالسلام اللهم باعدني عند كرتي وياصاحبي عند شدتي وياولي نعمتي وإلهي وآله آبائي لا تكلفني إلى نفسي طرفه عين فلنك ان تكلفني إلى نفسي اقرب من الشر وأبعد من الخير وأنس في القبر وحشتي وأجعل له عهدا يوم القالك منشورا ثم يوصي بمجائه وتصديق هذه الوصية في سورة مريم في قوله لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا فهذا عهد الميت والوصية حق على كل مسلم وحق عليه أن يحفظ هذه الوصية ويعلمها وقال امير المؤمنين علي (ع) علمنيها رسول الله ﷺ وقال علمنيها جبرائيل (ع) وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) هذا اخبار عن اليهود والنصارى ومشركي العرب فإن اليهود قالوا عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله (لقد جنتم شيئا إذا) هاهنا حذف تقديره قل لهم يا محمد لقد جنتم بشي منكر عظيم شنيع فطبع فلما حذف الباء وصل الفعل إليه فنصبه (تكاد السماوات يتفطرن منه) أي أرادت السماوات ان تنشق لعظم فرينهم اعظاما لقولهم ومعناه لو انشقت السماوات بشي عظيم لكادت تنشق من هذا (وتنشق الأرض)

أي وكادت الأرض تنشق (وتخر الجبال) أي كادت الجبال تسقط (هدا) أي كسرا شديدا عن ابن عباس وقيل هدمًا عن عطا (ان دعوا للرحمن ولدا) أي لان دعوا للرحمن ولدا او من ان دعوا للرحمن ولدا أي بسبب دعوتهم او تسميتهم له ولدا (وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا) أي ما يصلح للرحمن ولا يليق به اتخاذ الولد وليس من صفته ذلك لأن اثبات الولد له يقتضي حدوده وخروجه من صفة الإلهية واتخاذ الولد يدل على الحاجة تعالى عن ذلك وتقديس

قوله تعالى (٩٣) **إِن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا** (٩٤) **لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا** (٩٥) **وَكَلَّمَهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا** (٩٦) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** (٩٧) **فَأِنَّمَا يَسَّرْنَا بِهِ لِسَانَكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا** (٩٨) **وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِيسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا**
ست آيات

اللغة

اللدد شدة الخصومة وفي التنزيل ألد الخصام أي اشد الخصام خصومة وجمع الألدلد قال الشاعر
إِن تَحْتَ الْأَشْجَارِ حَزْمًا وَعَزْمًا وَخَصِيمًا أَلْدَ ذَا مَعْلَقٍ
 أي شديدا الخصومة والركز الصوت الخفي واصل الر كز الحسن ومنه الر كاز لانه يحس به مال من تقدم بالكشف عنه قال ذو الرمة

وقد نوحس ركزا من سنا بكها أو كان صاحب أرض أو به الموم

الأرض الرعدة والموم البرسام واصل الاحساس الإدراك بالحاسة

الاعراب

كل مبتدأ ومن في موضع خبر والجار والمجرور من صلته واتى الرحمن في موضع رفع خبر كل وهو مضاف إلى المفعول ووحده كلا على اللفظ وعبدا في موضع الحال من الضمير من أتى وهل تحس منهم من أحد من الأولى ينعلق بتحس والثانية مزبدة ويجوز أن يكون تقديره هل تحس احدا منهم ويكون منهم في موضع الصفة لاحد فلما قدم على الموصوف اتصب على الحال

المعنى

ثم قال سبحانه (ان كل من في السماوات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا) أي ما كل من في السماوات والأرض من الملائكة والانس والجن إلا وآتى الله سبحانه عبدا مملو كما خاضعا ذليلا ومثله قوله وكل أتوه داخرين والمعنى ان الخلق عبيده خلقهم ورباهم وجرى عليهم حكمه وان عيسى وعزبرا والملائكة من جملة العبيد وفي هذا دلالة على ان النبوة والعبودية لا يجتمعان وانه إذا ملك الإنسان ابنه عتق عليه (لقد احصاهم وعددهم عدا) أي علم تفاصيلهم واعدادهم فكأنه سبحانه عددهم إذ لا يخفى عليه شيء من احوالهم (وكلهم آتية يوم القيامة فردا) أي كل واحد منهم يأتي المحشر والموضع الذي لا يملك الأمر فيه إلا الله فردا وحيدا مفردا ليس له مال ولا ولد ولا ناصر مشغولا بنفسه لا يهتم به غيره ثم ذكر سبحانه المؤمنين فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) قيل فيه أقوال **احدها** انها خاصة في علي بن أبي طالب (ع) فما من مؤمن إلا وفي قلبه محبة لعلي (ع) عن ابن عباس وفي تفسير أبي حمزة الثمالي حدثني ابو جعفر الباقر (ع) قال

قال رسول الله ﷺ لعلي (ع) قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجملي لي في قلوب المؤمنين ودا فقال لها علي (ع) فنزلت هذه الآية وروي نحوه عن جابر بن عبد الله الانصاري **والثاني** **﴿﴾** انها عامسة في جميع المؤمنين يجعل الله لهم المحبة والاولفة والمقعة في قلوب الصالحين قال هرم بن حبان ما قبل عبد بقلبه إلى الله إلا قبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقهم مودتهم ورحمتهم ومحبتهم **وقال** الربيع بن انس إن الله إذا أحب مؤمنا قال لجبرائيل اني احببت فلانا فأحبه فيجبه جبرائيل ثم يتنادي في السماء إلا ان الله أحب فلانا فأحبوه فيجبه اهل السماء ثم يوضع له قبول في اهل الأرض فعلى هذا يكون المعنى يحبهم الله ويحبهم إلى الناس **والثالث** **﴿﴾** ان معناه يجعل الله لهم محبة في قلوب اعدائهم ومخالفهم ليدخلوا في دينهم ويعتزوا بهم **الرابع** **﴿﴾** يجعل بعضهم يحب بعضا فيكون كل واحد منهم عضدا لأخيه المؤمن ويكونون بيدا واحدة على من خالفهم **والخامس** **﴿﴾** ان معناه سيجعل لهم ودا في الآخرة فيحب بعضهم بعضا كحبة الوالد لولده في ذلك اعظم السرور وأتم النعمة عن الجبائي ويؤيد القول الأول ما صح عن امير المؤمنين (ع) انه قال لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على ان يبغضني ما ابغضني ولو صببت الدنيا بجملتها على المنافق على ان يحبني ما احببني وذلك انه قضى فاقضى على لسان النبي الامي انه قال لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (فأبنا يسرناه بلسانك) أي يسرنا القرآن بأن ازلناه بلسانك وهي لغة العرب ليسهل عليهم معرفته ولو كان بلسان آخر ما عرفوه عن ابي مسلم وقيل معناه يسرناه قراءة القرآن على لسانك ومكانك من قراءته عن الجبائي (لتبشر به المتقين) اي لتبشر بالقرآن الذين يتقون الشرك والكبائر اي تخبرهم بما تسرهم مما اعداه الله لهم (وتنذر به قوما لدا) أي شدادا في الخصومة عن ابن عباس يعني قريشا وقيل قوما ذوي جدل مخاصمين عن قتادة ثم انذرهم سبحانه وخوفهم بقوله (وكم اهلكنا قبلهم من قرن) اي قبل هؤلاء من قرن مكذبين للرسل وفيه تسلية للنبي ﷺ والمعنى لا يهمنك كفرهم وشقاقهم فإن وبال ذلك راجع اليهم وقد اهلكنا قبلهم من كان مثلهم (هل تحس منهم من احد) اي هل تبصر منهم احدا (او تسمع له ركزا) اي صوتا عن ابن عباس وقيلا حسا عن ابن زيد والمعنى انهم ذهبوا فلا يرى لهم عين ولا يسمع لهم صوت وكانوا اكثر اموالا واعظم اجساما واشد خصاما من هؤلاء فلم يغنهم ذلك لما اردنا اهلاكم فحكم هؤلاء الكفار حكم اولئك في انه لا يبقى منهم عين ولا اثر والحمد لله رب العالمين

تم الجزء السادس من كتاب جمع البيان في علوم القرآن

فهرس المجلد الثالث من مجمع البيان في تفسير القرآن

وهو حاو للجزء الخامس والسادس حسب تجزئة المصنف

وفيه تفسير سور التوبة ويونس وهود ويوسف والرعد و ابراهيم والحجر والنحل

والإسراء والكهف ومريم

صفحة	صفحة	صفحة
٤٢	٢٢	٢
ومنهم الذين يؤذون النبي إلى	وقالت اليهود عزيز ابن الله	برأة من الله ورسوله إلى قوله
قوله ذلك الخزي العظيم	إلى قوله سبحانه عما يشركون	وان الله مخزي الكافرين
٤٥	٢٤	٤
يحذر المنافقون ان تنزل عليهم	يريدون أن يطفئوا نور الله	وأذان من الله ورسوله إلى قوله
إلى قوله كانوا مجرمين	بأفواههم إلى قوله ولو كره	إن الله يحب المتقين
٤٧	٢٥	٦
المنافقون والمنافقات بعضهم من	المشركون	فاذا انسلخ الأشهر الحرم
بعض إلى قوله انفسهم يظلمون	يا ايها الذين آمنوا إن كثيرا	إلى قوله ذلك بأنهم قوم لا يعلمون
٤٩	٢٦	٨
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم	من الأحزاب والرهبان إلى قوله	كيف يكون للمشركين عهد
اوليا، بعض إلى قوله وبئس المصير	ما كنتم تكفرون	عند الله إلى قوله واكثرهم فاسقون
٥٠	٢٨	٩
يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا	إن عدة الشهور عند الله اثنا	اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا
كاذبة الكفر	عشر شهرا	إلى قوله إن كنتم مؤمنين
٥٢	٣٠	١١
ومنهم من عاهد الله إلى قوله	إنما النسي زيادة في الكفر	قاتلوهم يعذبهم الله إلى قوله
علام الغيوب	يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا	والله عليهم حكيم
٥٤	٣١	١٢
الذين يلمزون المطوعين من	قيل لكم إلى قوله والله عسى	أمر حسبتم أن تتركوا
المؤمنين إلى قوله والله لا يهدي	كل شي قد ير	ما كان للمشركين أن يعمروا
القوم الفاسقين	إلا تنصروه فقد نصره الله	مساجد الله إلى قوله أن يكونوا
٥٥	٣٢	من المهتدين
فرح المخلفون بمقدمهم خلاف	انفروا خفافا وثقالا إلى قوله	١٤
رسول الله إلى قوله فاقعدوا مع	وتعلم الكاذبين	أجعلتم سقاية الحاج إلى قوله
الخالفين	لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله	إن الله عنده أجر عظيم
٥٦	٣٤	١٥
ولا تصل على احد منهم مات	واليوم الآخر إلى قوله وهم كارهون	يا أيها الذين آمنوا إلى قوله
ابدا إلى قوله وهم كافرون	ومنهم من يقول إنئذ لي إلى	والله لا يهدي القوم الفاسقين
٥٧	٣٥	١٦
وإذا انزلت سورة إلى قوله	قوله إنا معكم متربصون	لقد نصركم الله في مواطن كثيرة
ذلك الفوز العظيم	قل انفقوا طوعا او كرها	ثم أنزل الله سكينته إلى قوله
٥٨	٣٦	والله غفور رحيم
وجاء المعتذرون من الأعراب	فلا تعجبك أموالهم	٢٠
٥٩	٣٧	يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون
ليس على الضعفاء ولا على المرضى	ويخلفون بالله إنهم لمنكم إلى	نجس
إلى قوله فهم لا يعلمون	قوله وهم يمححون	٢١
٦٠	٤٠	قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله
يعتذرون اليكم إذا رجعت اليهم	ومنهم من يلحز في الصدقات	
٦١	٤١	
سيخلفون بالله لكم إلى قوله	إلى قوله إلى الله راغبون	
عن القوم الفاسقين	إنما الصدقات للفقراء والمساكين	

صفحة	صفحة	صفحة
٦٢	٩١	١١٢
الاعراب اشد كفرا ونفاقا الى	هو الذي جعل الشمس ضياء الى	ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا
قوله إن الله غفور رحيم	قوله لايات لقوم يتقون	الى قوله وهم لا يظلمون
٦٣	٩٢	١١٤
والسابقون الأولون من المهاجرين	ان الذين لا يرجون لقاءنا الى	ويقولون متى هذا الوعد الى
٦٥	قوله ان الحمد لله رب العالمين	قوله بما كنتم تكسبون
الى قوله إن الله غفور رحيم	٩٣	١١٥
٦٧	ولو يجعل الله للناس الشراستعجالهم	ويستنبئونك احق هو الى قوله
الى قوله فينبئكم بما كنتم تعملون	الى قوله ما كانوا يعملون	هو يحيي ويميت واليه ترجعون
٦٩	٩٥	١١٦
وآخرون مرجون لأمر الله	ولقد اهلكتنا القرون من قبلكم	يا أيها الناس قد جاءكم موعظة
والذين اتخذوا مسجدا ضارا	الى قوله لننظر كيف تعملون	من ربكم الى قوله خير
٧٠	٩٦	١١٧
الى قوله والله عليهم حكيم	واذا تتلى عليهم آياتنا بينات	ما يجمعون
٧٤	الى قوله انه لا يفلح المجرمون	قل رأيتم ما انزل الله لكم
انفسهم الى قوله وبشر المؤمنين	٩٨	١١٨
٧٦	يضرهم ولا ينفهم الى قوله	وما تكون في شأن وما تتلوا
ما كان للنبي والذين آمنوا الى	اني معكم من المنتظرين	منه من قرآن
قوله إن ابراهيم لاواه حليم	٩٩	١١٩
٧٧	واذا ذقنا للناس رحمة الى قوله	ألان اولياء الله لا خوف عليهم
قوله من ولي ولا نصير	لنكونن من الشاكرين	الى قوله هو السميع العليم
٧٨	١٠٠	١٢١
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين	فلما نجاهم اذا هم يبغون في	ألان لله من في السماوات ومن
الى قوله إن الله هو التواب الرحيم	الأرض بغير الحق	في الأرض الى قوله بما كانوا
٨٠	١٠٢	١٢٢
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله	انما مثل الحياة الدنيا كماء	يكفرون
٨١	انزلناه من السماء الى قوله	واتل عليهم نبأ نوح الى قوله
ما كان لأهل المدينة ومن حولهم	صراط مستقيم	كيف كان عاقبة المنذرين
الى قوله ما كانوا يعملون	١٠٣	١٢٤
٨٢	للذين احسنوا الحسنى الى قوله	ثم بعثنا من بعده رسلا الى
وما كان المؤمنون لينفروا كافة	ارثك اصحاب النار هم فيها	قوله وما نحن لك بماؤمنين
الى قوله وهم كفرون	خالدون	وقال فرعون اتيتني بكل
٨٤	١٠٤	١٢٥
أولايون انهم يفتنون الى قوله	ويوم نحشرهم جميعا	ساحر عليهم الى قوله ولو كره
روثوف رحيم	١٠٥	المجرمون
٨٥	هنا لك تبلو كل نفس ما اسلفت	فيا أمين لموسى الاذرية من قومه
إلا هو	١٠٦	وقال موسى يا قوم ان كنتم
	قل من يرزقكم من السماء	الى قوله من القوم الكافرين
	والارض الى قوله انهم لا يؤمنون	وأوحينا الى موسى واخيه الى
	١٠٨	قوله الذين لا يعلمون
	قل هل من شر أكثركم الى	١٣٠
	قوله عليهم بما يفعلون	وجاوزنا ببني اسرائيل البحر
	١٠٩	الى قوله عن آياتنا لئلا فلون
	وما كان هذا القرآن ان يفترى	ولقد بوأنا بني اسرائيل موبأ
	الى قوله وربك اعلم بالهم	صدق الى قوله حتى يروا
	وان كذبك فقل لي علي اني	العذاب الأليم
	قوله انفسهم يظلمون	

سورة يونس

٨٧ بسم الله الرحمن الرحيم آر
الى قوله ان هذا لساحر مبين
٨٩ ان ربكم الذي خلق السماوات
والأرض الى قوله بما كانوا يكفرون

صفحة	صفحة	صفحة
الى قوله وأهلها مصلحون ٢٠٢ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة الى قوله بغافل عما تعملون	١٥٧ قالوا يا نوح قد جادلتنا الى قوله وأنا بري مما تجرمون ١٥٨ وأوحى الى نوح الى قوله ويحمل عليه عذاب مقيم ١٦٠ حتى إذا جاء أمرنا الى قوله فكان من المغرقين	١٣٤ فأرلا كانت قريبة آمنت فنفخها ابانها ١٣٦ وار شاء ربك لا آمن من في الأرض الى قوله ويحمل الرجس على الذين لا يعقلون
﴿ سورة يوسف ﴾ ٢٠٦ آكر تلك آيات الكتاب المبين الى قوله لمن الغافلين ٢٠٧ إذ قال يوسف لأبيه الى قوله ان ربك حكيم عليم ٢١٠ لقد كان في يوسف واخوته الى قوله ان كنتم فاعلين ٢١٣ قالوا يا أبانا ما لك لا تأمناعلى يوسف الى قوله وأنا له لحافظون ٢١٥ قال انه ليحزني أن تذهبوا به الى قوله والله المستعان على ما تصفون	١٦٤ وقيل يا ارض ابلي ماءك ١٦٥ ونادى نوح ربه الى قوله ان العاقبة للمتقين ١٦٨ والى عاد أخاهم هودا الى قوله ونحيثاهم من عذاب غليظ ١٦٩ واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ١٧١ والى ثمود اخاهم صالحا الى قوله ألا بعدا لثمود	١٣٧ قل انظروا ماذا في السموات والأرض الى قوله ننج المؤمنين ١٣٨ قل يا أيها الناس الى قوله وهو الغفور الرحيم ١٣٩ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم
٢١٨ فجاءت سيارة فأرسلوا واردهم الى قوله وكانوا فيه من الزاهدين ٢٢٠ وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه ٢٢١ ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما ٢٢٢ وراودته التي هي في بيتها عن نفسه ٢٢٣ ولقد همت به وهم بها ٢٢٦ واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر الى قوله إنك كنت من الخاطئين ٢٢٧ وقال نسوة في المدينة امرأة العزير تراود فتاها عن نفسه ٢٢٨ قالت فذلكن الذي لمتني فيه الى قوله حتى حين ٢٣٢ ودخل معه السجن فتيان الى قوله ولكن أكثر الناس لا يشكرون ٢٣٣ يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار	١٧٥ ولقد جاءت رسلنا ابراهيم الى قوله عذاب غير مردود ١٨١ ولما جاءت رسلنا لوطاسي بهم الى قوله وما هي من الظالمين ببيعد ١٨٥ والى مدين أخاهم شعيبا الى قوله وما انا عليكم بحفيظ ١٨٦ قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي الى قوله كما بعدت ثمود	﴿ سورة هون ﴾ ١٤١ آكر كتاب احكمت آياته الى قوله وهو على كل شي قدير ١٤٢ ألا انهم يشنون صدورهم ليستخفوا منه ١٤٣ وما من دابة في الأرض الى قوله ما كانوا به يستهزئون ١٤٥ ولئن اذقنا الانسان منارحة الى قوله أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ١٤٦ فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الى قوله فهل انتم مسلمون ١٤٧ من كان يريد الحياة الدنيا ١٤٨ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار ١٤٩ أفئن كان على بينة من ربه الى قوله هم الأخسرون ١٥٢ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى قوله وأنتم لها كارهون ١٥٦ ويا قوم لا استلکم عليه مالا الى قوله إني إذا لمن الظالمين

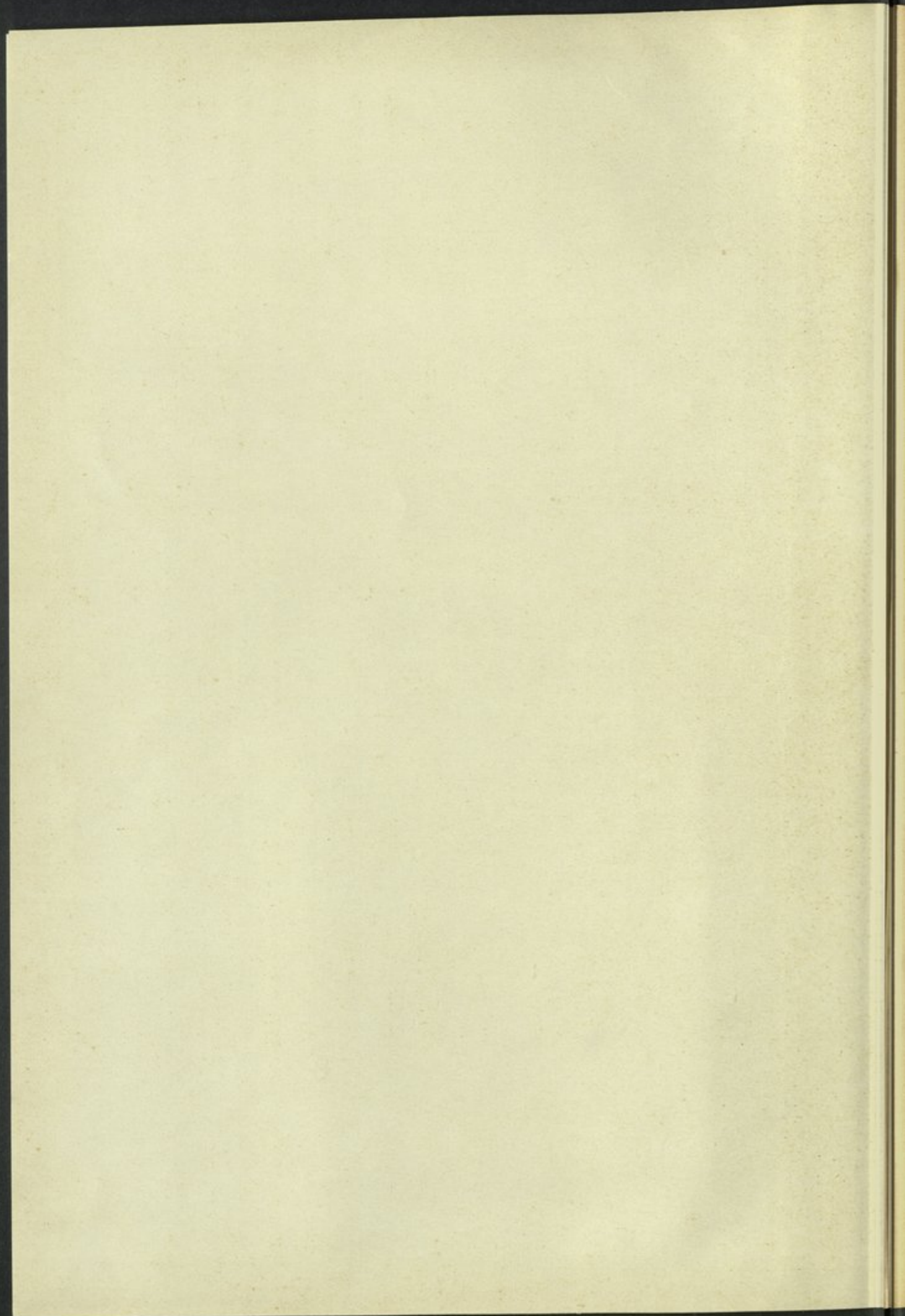
صفحة	صفحة	صفحة
٢٣٤	٢٥٩	٢٩٠
ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها إلى قوله فلبث في السجن بضع سنين	قالوا تالله لقد آثر الله علينا إلى قوله وأتوني بأهلكم اجمعين	والذين ينقضون عهد الله إلى قوله طوبى لهم وحسن مآب
٢٣٥	٢٦١	٢٩٢
وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان إلى قوله إلا قليلا مما تأكلون	ولما فصلت العير قال أبوهم إلى قوله انه هو الغفور الرحيم	كذلك أرسلناك في أمة إلى قوله ان الله لا يخلف الميعاد
٢٣٦	٢٦٣	٢٩٤
ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد إلى قوله وفيه بعضرون	فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبو به إلى قوله وهم يكفرون	ولقد استهزى برسلك من قبلك إلى قوله وما لهم من الله من واق
٢٣٩	٢٦٦	٢٩٥
وقال الملك ائتوني به إلى قوله إن ربي غفور رحيم	وما أكثر الناس إلى قوله وهم لا يشعرون	مثل الجنة التي وعد المتقون إلى قوله اليه ادعوا واليه مآب
٢٤١	٢٦٨	٢٩٦
الذين آمنوا وكانوا يتقون	قل هذه سبيلي إلى قوله أفلا تعقلون	وكذلك أنزلناه حكما عربيا
٢٤٤	٢٦٩	٢٩٧
وجاء أخوة يوسف فدخلوا عليه فرغمهم إلى قوله وأخيرا المنزلة	حتى إذا استأيس الرسل إلى قوله لقوم يؤمنون	ولقد أرسلنا رسلا من قبلك إلى قوله فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب
٢٤٥	الجزء السادس	
فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي إلى قوله لعلمهم يرجعون	﴿ سورة الرعد ﴾	
٢٤٦	٢٧٣	٣٠٢
فلما رجعوا إلى آبيهم إلى قوله قال الله على ما تقول وكيل	سورة الرعد آتتلك آيات الكتاب إلى قوله بلقاء ربكم توقنون	آل كتاب أنزلناه إليك إلى قوله أولئك في ضلال بعيد
٢٤٨	٢٧٤	٣٠٣
وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد إلى قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون	وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا	وما أرسلنا من رسول إلى قوله بلاء من ربكم عظيم
٢٥٠	٢٧٥	٣٠٤
ولما دخلوا على يوسف إلى قوله وفوق كل ذي علم عليم	وفي الأرض قطع متجاورات وإن تعجب فعجب قولهم إلى قوله ولكل قوم هاد	واذ تأذن ربكم إلى قوله فأتونا بسلطان مبين
٢٥٣	٢٧٦	٣٠٦
قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل إلى قوله وهو خير الحاكمين	الله يعلم ما تحمل كل أنثى إلى قوله وما لهم من دونه من وال	قالت لهم رسلهم إن نحن الا بشر مثلكم إلى قوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
٢٥٥	٢٨١	٣٠٧
ارجعوا إلى آبيكم	هو الذي يرزقكم البرق إلى قوله بالغدو والآصال	وقال الذين كفروا لرسلكم إلى قوله ذلك هو الضلال البعيد
٢٥٦	٢٨٤	٣٠٩
وسئل القرية التي كنا فيها إلى قوله إنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون	قل من رب السماوات والأرض إلى قوله وهو الواحد القهار	ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق إلى قوله ما لنا من محيص
٢٥٨	٢٨٥	٣١٠
فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهنا الضر إلى قوله اذ أنتم جاهلون	انزل من السماء ماء	وقال الشيطان لما قضي الأمر إلى قوله إن الظالمين لهم عذاب اليم
	٢٨٦	
	للذين استجابوا لربهم	
	٢٨٨	
	أفمن يعلم أنما أنزل إليك إلى قوله فنعم عقبي الدار	

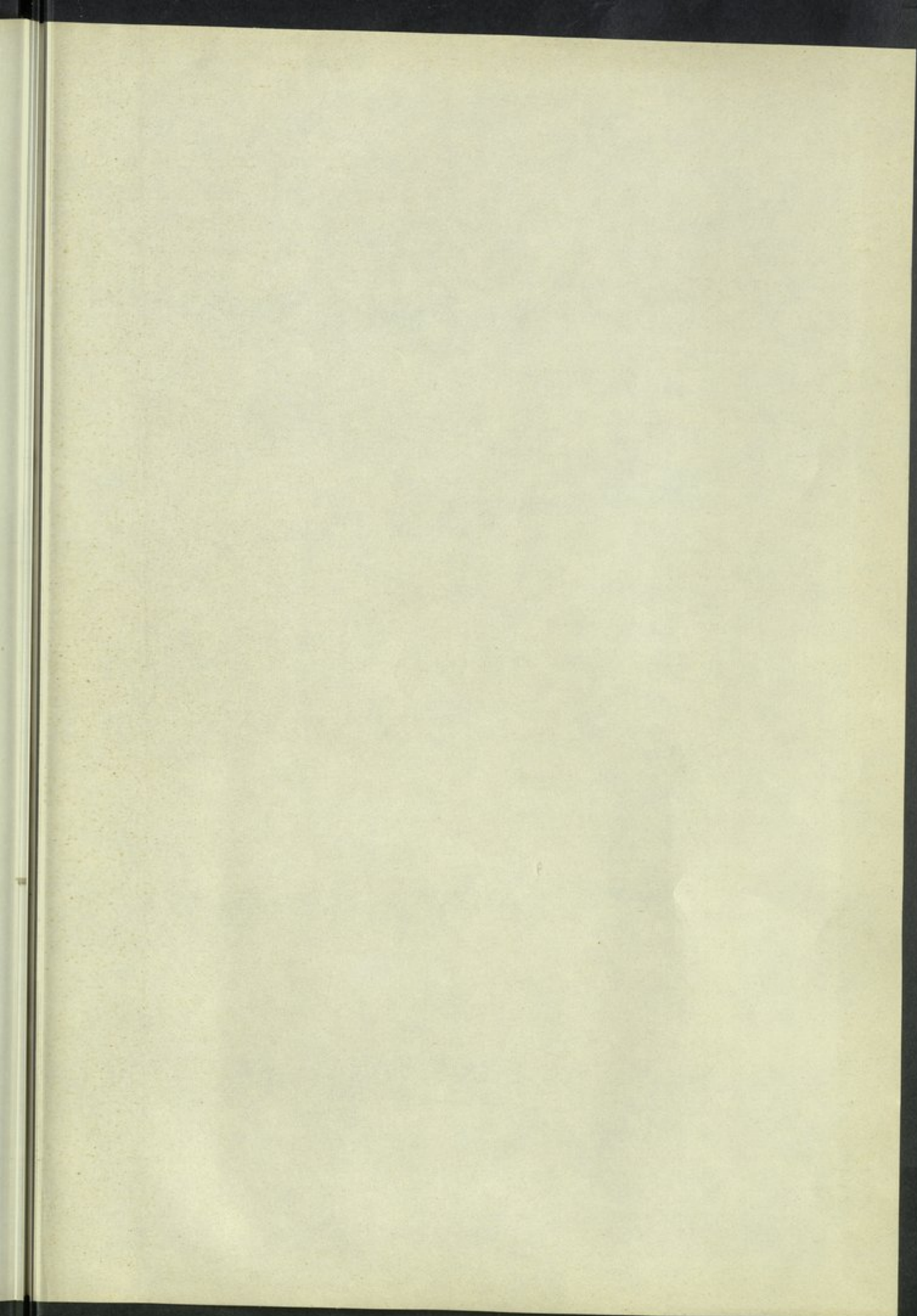
صفحة	صفحة	صفحة
٣٦٠ وأقسموا بالله جهد إيمانهم الى قوله كن فيكون	٣٣٩ ونبيهم عن ضيف ابراهيم الى قوله انها لمن الغابرين	٣١١ وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى قوله وفرعها في السماء
٣٦١ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا الى قوله ولعلمهم يتفكرون	٣٤١ فلما جاء آل لوط المرسلين الي قوله لفي سكرتهم يعمهون	٣١٢ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجثت من فوق الأرض
٣٦٢ أقامن الذين مكروا السيئات الى قوله ويفعلون ما يؤمرون	٣٤٢ فأخذتهم الصيحة مشرقين الى قوله ما كانوا يكسبون	٣١٣ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الى قوله فان مصيركم الى النار
٣٦٥ وقال الله لاتخذوا إلهين اثنين الى قوله فسوف تعلمون	٣٤٤ وما خلقنا السماوات والأرض الى قوله الذين جعلوا القرآن عضين	٣١٥ قل لعبادي الذين آمنوا الى قوله إن الانسان لظلموم كفار
٣٦٦ ويعلمون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم الى قوله وهو العزيز الحكيم	٣٤٦ فوربك لنسألنهم أجمعين الى قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين	٣١٧ واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلدا ممثالا الى قوله يوم يقوم الحساب
٣٦٧ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة	﴿ سورة النحل ﴾	٣٢٠ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون الى قوله وضربنا لكم الامثال
٣٦٨ ويعلمون الله ما يكرهون الى قوله لقوم يسمعون	٣٤٨ أتى امر الله فلا تستعجلوه الى قوله لا إله إلا أنا فاتقون	٣٢٢ وقد مكروا مكروم الى قوله وليذكر أولو الألباب
٣٦٩ وان لكم في الانعام لعبرة الى قوله ان الله عليم قدير	٣٤٩ خلق السماوات والأرض بالحق الى قوله إن ربكم لرؤوف رحيم	﴿ سورة الحجر ﴾
٣٧٢ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق الى قوله وانتم لاتعلمون	٣٥٠ والغليل والبغال والحمير لتركبوها وزينة الى قوله ومنه شجر فيه تسيمون	٣٢٦ آرتلك آيات الكتاب وقرآن مبين الى قوله وما يستأخرون
٣٧٤ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الى قوله ان الله على كل شيء قدير	٣٥١ وسخر لكم الليل والنهار الى قوله إن في ذلك لآية لقوم يذكرون	٣٢٩ وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون الى قوله فأتبعه شهاب مبين
٣٧٥ والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا	٣٥٣ وهو السذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا الى قوله إن الله لعفور رحيم	٣٣٢ والأرض مددناها الى قوله انه حكيم عليم
٣٧٦ ألم يروا الى الطير مسخرات في جوار السماء الى قوله ومتاعا الى حين	٣٥٤ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون الى قوله انه لا يجب المستكبرين	٣٣٤ ولقد خلقنا الانسان من صلصال الى قوله مع الساجدين
٣٧٧ والله جعل لكم مما خلق ظلالات الى قوله ولا هم ينظرون	٣٥٥ واذ قيل لهم ماذا انزل ربكم الى قوله فلبئس مشوى المنكبرين	٣٣٥ قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين
٣٧٩ واذا رءا الذين أشركوا شر كاهم الى قوله لعلكم تذكرون	٣٥٧ وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم الى قوله ما كانوا به يستهزئون	٣٣٦ قال رب فانظر في الى يوم يبعثون الى قوله جزء مقسوم
٣٨١ واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم الى قوله ولكم عذاب عظيم	٣٥٨ وقال الذين أشركوا الى قوله وما لهم من ناصرين	٣٣٨ ان المتقين في جنات وعيون الى قوله وان عذابي هو العذاب الأليم

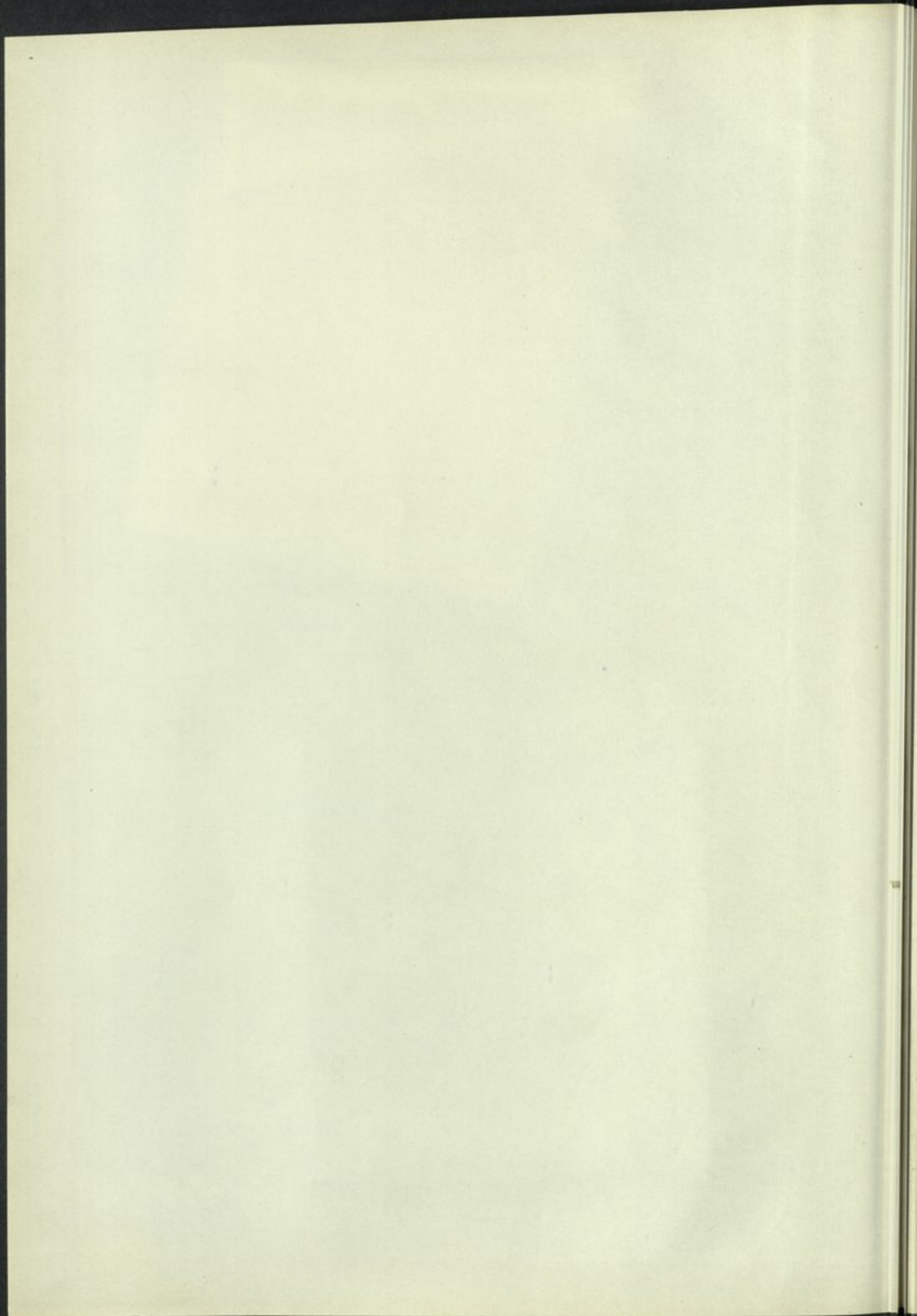
صفحة	صفحة	صفحة
	٤٢١ أولئك الذين يدعون يبتغون الى قوله ان عذاب ربك كان مخدورا	(سورة بني امس ائيل) ٣٩٤ سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الى قوله انه كان عبدا شكورا
٤٤٨ الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب الى قوله ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا	٤٢٢ وان من قرية الا نحن مهلكوها الى قوله فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا	٣٩٧ وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب الى قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا
٤٥٠ انا جعلنا ما على الارض زينة لها الى قوله احصى لما لبثوا امدا	٤٢٤ واذا قلنا للملائكة اسجدوا لا دم الى قوله جزاء موفورا	٤٠٠ ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم الى قوله وكل شي فصلناه تفصيلا
٤٥٣ نحن نقص عليك نيام بالحق الى قوله وبهي لكم من امركم مرفقا	٤٢٥ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ٤٢٧ ربكم الذي يزجي لكم الفلك الى قوله لكم علينا به تبعا	٤٠٢ وكل انسان اذمنه طائره في عنقه الى قوله حتى نبعث رسولا ٤٠٥ واذا اردنا ان نهلك قرية الى قوله فتعمد مذموما مخذولا
٤٥٤ وترى الشمس اذا طلعت الى قوله وملتت منهم رعبا	٤٢٨ ولقد كرمنا بني آدم الى قوله واضل سبيلا	٤٠٨ وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه الى قوله فانه كان للآوابين غفورا
٤٥٦ وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم الى قوله ولن تفلحوا اذا ابدوا	٤٣٠ وان كادوا ليفتنونك الى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا	٤١٠ وات ذا القرين حقه والمسكين الى قوله انه كان بعباده خبيرا بصيرا
٤٥٧ وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا الى قوله منهم احدا	٤٣٢ وان كادوا ليستفزونك من الارض الى قوله ولا تجد لستنتنا تحويلا	٤١٢ ولا تقتلوا اولادكم خشية اطلاق الى قوله ذلك خيرا واحسن تأويلا ٤١٤ ولا تقف ما ليس لك به علم الى قوله لتقولون قولا عظيما
٤٥٨ ولا تقولن شي الى قوله لا قرب من هذا رسدا	٤٣٣ اقم الصلاة لدلوك الشمس الى قوله ان الباطل كان زهوقا	٤١٦ ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا الى قوله انه كان حليما غفورا
٤٦٢ ولبثوا في كهفهم الى قوله ولن تجد من دونه ملتحددا	٤٣٥ وتنزل من القرآن ما هو شفاء الى قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا	٤١٨ واذا قرأت القرآن جعلنا بينك الى قوله فلا يستطيعون سبيلا ٤١٩ وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا الى قوله ان لبثتم الا قليلا
٤٦٤ واصبر نفسك مع الذين يدعون رهبهم الى قوله بشس الشراب وسامت مرتفقا	٤٣٦ ويسألونك عن الروح الى قوله الا كفورا	٤٢٠ وقيل لعبادي يقولوا التي هي احسن الى قوله واتينا داود زبورا
٤٦٦ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى قوله وحسنت مرتفقا	٤٣٨ وقالوا لن تؤمن لك الى قوله من السماء ملكا رسولا	
٤٦٧ واضرب لهم مثلا رجلين الى قوله لا جدن خيرا منها منقلبا	٤٤١ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم الى قوله وكان الانسان قتورا	
٤٦٩ قال له صاحبه وهو يحاوره الى قوله هو خير ثوبا وخير عقبا	٤٤٣ ولقد اتينا موسى الى قوله وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا	
٤٧٢ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا الى قوله ولا يظلم ربك احدا	٤٤٤ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس	
٤٧٤ واذا قلنا للملائكة اسجدوا لا دم قوله وكبره تكبيرا	٤٤٥ قل آمنوا به او لا تؤمنوا الى قوله وكبره تكبيرا	

صفحة	صفحة	صفحة
٥١٥	٤٩٧	٤٧٥
واذ كر في الكتاب ابراهيم	ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات	ما اشهدتهم خلق السماوات
الى قوله وجعلناهم لسان صدق عليا	الى قوله ولا يشرك بعبادة ربه احدا	والأرض إلى قوله وجعلنا بينهم
٥١٧		موقفا
واذ كر في الكتاب موسى الى		٤٧٦
قوله عند ربه مرضيا	﴿سورة الامر يسر﴾	ورا المجرمون النار فظنوا انهم
٥١٨	٥٠٠	مواقعوها الى قوله وما انذروا هزوا
واذ كر في الكتاب ادريس	كهيصص ذكر رحمة ربك عبده	٤٧٧
الى قوله ولا يظلمون شيئا	زكريا الى قوله واجعله رب رضيا	ومن اظلم ممن ذكر آيات ربه
٥٢٠	٥٠٣	٤٧٨
جنات عدن التي وعد الرحمن	يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه	وربك الغفور ذو الرحمة الى قوله
عباده الى قوله هل تعلمه سميا	يحيى الى قوله ان سبحوه بكرة وعشيا	وجعلنا لمهلكهم موعدا
٥٢١	٥٠٥	٤٧٩
ويقول الانسان اذا ما مت	يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى	واذ قال موسى لفتهاه الى قوله
٥٢٢		فارتدا على آثارهما قصصا
أولا بذكر الانسان أنا خلقناه	قوله يوم يبعث حيا	٤٨٢
الى قوله هم أولى بها صليا	٥٠٦	فوجدنا عبدا من عبادنا الى قوله
٥٢٤	٥٠٧	لن تستطيع معي صبرا
وان منكم الا واردها الى قوله	فاتخذت من دونهم حجابا الى قوله	٤٨٤
وأضعف جندا	ولم اك بغيا	الى قوله تسطع عليه صبرا
٥٢٧	٥٠٨	٤٨٨
أفرايت الذي كفر بآياتنا الى	قال كذلك قال ربك هو علي	وبسألونك عن ذي القرنين الى
قوله ويكونون عليهم ضدا	هين الى قوله آتاني الكتاب	قوله فأتبع سبيا
٥٢٩		٤٨٩
ألم تر أنا ارسلنا الشياطين على	وجعلني نبيا	حتى اذا بلغ مغرب الشمس الى
الكافرين الى قوله ان يتخذولدا	٥١٢	قوله فيعذبه عذابا نكرا
٥٣٢	٥١٤	٤٩١
ان كل من في السادات والارض	وان الله ربي وربكم فاعبدوه	وأما من آمن وعمل صالحا الى
الى قوله او تسمع لهم ركزا	الى قوله والينا يرجعون	قوله وكان وعد ربي حقا
		٤٩٥
		وتركنا بعضهم يومئذ يموج في
		بعض الى قوله ورسلي هزوا

﴿ملاحظة﴾ - أولا : ان الصفحة ٢١٥ قد ذكر رقمها خطأ ٢٠٥ فلنصحح
ثانياً : ان الصفحة ٢٦١ قد وضعت مكان الصفحة ٢٦٢ كما ان الصفحة
٢٦٢ قد وضعت مكان الصفحة ٢٦١ خطأ فلينتبه إلى ذلك القارى







DATE DUE

~~LIBRARY~~
- 3 JUN 1980

Faint handwritten notes or markings at the bottom of the page.

297.207:T111mA v.5-6
الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن
مجمع البيان في تفسير القرآن...

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01010402

297.207:T111mA

v.5-6 C.2

الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن

297.207

T111mA

v.5-6

17
A
2.6